

مكتبة
دار الفكر
بغداد

الأخوة المسلمون

بنيت

الابتداع الديني والإفلاس السياسي

علي بن أبي طالب
عليه السلام
مختار

دار
الفكر الإسلامية



رفع
عنه (رحمته) العبد
المذنب (الذليل)

الإخوان المسلمون

بيت الابتناع الديني والأفلاس السياسي

تأليف
علي السيد الوصفني
حفظه الله

ali_elwasefy@hotmail.com

طبعة خاصة بمصر

دار
المشارك الإسلامية

elabdo3012@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف

الطبعة الاولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الايداع
٢٠١٠/٩٢١٥

دار
المشارق الإسلامية
elabdo3012@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد : فإن دراسة جماعة من الجماعات لا يتحقق إلا من خلال منهجها الثابت، والصيغة العامة لها . ومن المعلوم أنك إذا خاطبت أحد دعاة جماعة الإخوان المسلمين عن مخالفات تلك الجماعة .. فيقول لك نحن لا نؤاخذ إلا بما يقوله المرشد. فهو المعبر عن الموقف الرسمي للجماعة ..

قال الأستاذ سيد قطب تعليقا على الخلاف الذى دار بين الإخوان حول الموقف من الإنجليز : « إنه لا الأخ طاهر منير رئيس شعبة الإخوان بالسويس ولا الأخ محمد الغزالى " عضو مكتب الإرشاد " يملك أن يقول كلمة الإخوان الرسمية. فقانون الإخوان يجعل هذه الكلمة الرسمية حق المرشد العام » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٥٠٤) .. وقد اتفق عامة الإخوان على رد كل النزاعات الواقعة بينهم إلى فكر حسن البنا ، قال عصام العريان : « والإخوان في حاجة لفهم أطروحات سيد قطب فى إطار فهم الشهيد حسن البنا ، وإذا وجد اختلاف بين الشهيدين فعلى أن نتسلح بالشجاعة لكى نتمتع بكلام حسن البنا وليس كلام أى أحد آخر » (محيط نت . ٥ إبريل ٢٠٠٦م) .

ويرجع ذلك إلى أن حسن البنا أكد عليهم أن يفهموا الإسلام فى حدود فهمه، وقال فى تفسير ركن " الفهم " الذى هو أحد أركان بيعته : « إنما أريد بالفهم : أن نؤمن بأن فكرتنا إسلامية صحيحة وأن تفهم الإسلام كما نفهمه فى حدود هذه الأصول العشرية الموجزة كل الإيجاز » (الرسائل ص/ ٣٩٠) .

ووصف هذا الفهم بالكمال والتمام ، فقال : « واذكروا جيدا أيها الإخوان .. أن الله قد من عليكم ، فهتمم الإسلام فهما نقيًا صافيًا شاملاً كافياً وافياً ، يسائر العصور وينفي بحاجات الأمم » (الرسائل ص/ ٣٢٦) .

وعامة الإخوان يؤمنون بذلك..

قال سعيد حوى : « نعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته » (فى آفاق التعاليم . ص / ٥) .

وقد ظن جمع كبير منهم فى زمن الأستاذ الهضيبي : أن المرشد العام لا يخطئ قال محمد الغزالي : « ولقد رأيت جمعا غفيرا من شباب الإخوان المسلمون ينظرون إلى مرشدتهم نظرة يجب أن ندرس وأن نحذر . قال أحدهم فى اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية : " إن المرشد لا يخطئ " » (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى (ص / ٢٠٦) .

وهذا الفكر غير بعيد على من ظنوا أن الله تعالى اختار لهم قائدهم على سبيل التشريف والتزكية ، قال التلمسانى : « لما كان الأمر أمر تجميع وتكوين وتوحيد مفاهيم أمة مسلمة لما كان الأمر أمر عودة المسلمين إلى الإيمان . لما كان الأمر كذلك اختار الله لهذه الدعوة إمامها الشهيد حسن البنا » (ذكريات لا مذكرات . ص / ٨) . ومن كان مختارا من قبل الله تعالى فلا حق لأحد أن يعترض عليه .. وهذا هو الذى دعا التلمسانى أن يكون بين يدي حسن البنا : « كالميت بين يدي مغسلة » (ذكريات لا مذكرات) .

وعليه فمحور دراستنا سيكون حول أصحاب المسؤولية ، خاصة أولئك الذين أصولا أصولا باطلة ، دارت عليها المفاهيم العملية لتلك الحركة زمتا طويلا .. وعلى خلاف ما قالوا بحصر المسؤولية على المرشدين فسبحانهم على ما قال الأبناء والمفكرون ، وذلك إذا اعتقدوا وعملوا بما فيه مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لأن الجماعة ليست هى المرشد العام فقط ، وإن كان للمرشد التوجيه الأول، فالجماعة تتأثر بالمفكرين تربية وعلمًا وثقافة ، كما أنها تتأثر بالمرشدين ، وإن كان الرأى الرسمي يرجع إلى المرشدين .. فالجميع أصحاب مسؤولية فى تربية هذا النشء ، والتأثير على مشاعره ..

ولا يخفى أن كثيرا من مشاهير الإخوان يتحدثون باسم الجماعة فى الصحف والقضايا والمنتديات .. وكلامهم محسوب على الجماعة . خاصة أنهم لا يتكلمون إلا باتفاق مسبق فيما بينهم . قال محمد عاكف : « وأنا منذ أن انتخب مرشدا عاما سمحت لجميع قادة الإخوان - بلا استثناء - بالحديث للصحف وأجهزة الإعلام ... » (الشرق الأوسط . ٣٠ يونيو ٢٠٠٥) .

وقد اعترف هؤلاء جميعا بترك كثير من وصايا المرشد الأول وأفكاره وراء ظهورهم ، متقلبين فى المفاهيم الليبرالية ، والتكتيكات السياسية ، والنظم والقوانين ، التى تمكنهم من اختراق جميع الهيئات والنوادي وال نقابات . دون النظر فى كون ذلك يتوافق مع معتقداتهم التى كانوا يدينون بها أم لا .

قال عبد المنعم أبو الفتوح : « ولكننا فى جماعة الإخوان قمنا بالكثير من المراجعات .. إننا لم نشبث بروانا السابقة ، بل تجاوزناها وتخلينا عنها » (الشرق الأوسط ١٢ سبتمبر ٢٠٠٤) وقد انتهى الحال بالمذكور إلى التشكيك فى التزام الجماعة بشعارها القديم " القرآن دستورنا " ، قائلا : « إن شعار الجماعة " القرآن دستورنا " ، هو شعار عاطفي وأدبي يعبر عن مرجعية الجماعة ، ولكنه لا يعبر عن منهجها فى العمل السياسي ، الذى تحرم فيه القانون والدستور الوضعي للدولة » (الشرق الأوسط ٢٥ مايو ٢٠٠٥) .

وهذا بخلاف ما كان عليه الأمر فى زمن حسن البنا إذ كان يدعو إلى اعتزال : « المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي ، والأندية والصحف والجمعيات والمدارس ، والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية ! مقاطعة تامة » (الرسائل ص / ٤٠٣) .

وقد صارت لتلك الجماعة بجميع طبقاتها خلف هؤلاء القادة وإن كانت الطبقات الدنيا متأخرة فى فهم تلك المتغيرات التى انتهوا إليها .. قال عصام العريان : « فالقيادة أكثر تفهما للمتغيرات السياسية ، ولكن القاعدة .. علاقتها بالسياسة علاقة موسمية » (إسلام أون لاين . ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٢ م) .

ومن أكبر المصائب التي لحقت بفرقة الإخوان ظنهم أن مواجهة أخطائهم خط أحمر لا ينبغي تجاوزه .. فجماعتهم زعموا : هي الجماعة المتفردة بامتلاك المفهوم الشمولي للإسلام ، قال القرضاوى : « فإن عقيدتهم وفكرتهم من حيث النقاء والأصالة لا تشوبها شائبة » (الإخوان سبعون عاما . ص/ ٢٨٣)

وهذا حكم فاسد إذا كان يقصد به عقيدة الإخوان ، أما إذا كان يقصد أهل السنة والجماعة ، وهم لهم تبع ، فالإخوان ليسوا من أهل السنة ، ويكفى دليلا على ذلك اعترافه بأنهم مزيج من أصناف متعددة ، بقوله : « وقد ضمت في صفوفها ألوانا مختلفة من الناس ، منهم السلفي ومنهم الصوفي ، منهم المتمسك بمذهبه ومنهم من لا يرى التمسك به ، ومنهم المحافظ الميال إلى القديم ومنهم المحرر الميال إلى الجديد » (المصدر السابق ص/ ١٧٨) .

وأهل السنة مشرب واحد ، ومعتقد واحد ، ومنهاج واحد ...

ومن وجه آخر صرح سعيد حوى أن عقيدة الإخوان المسلمين هي عقيدة الأشاعرة والماتريدية .. وزعم أن الأمة سلمت بذلك ، فقال في كتابه : (جولات في الفقهاء الكبير والأكبر . ص/ ١٣ . ط . دار السلام . ١٩٩٣م) :

« إن المسلمين خلال العصور (الماضية) أثمنتم في الاعتقاد وأثمنتم في الفقه وأثمنتم في التصوف والسلوك إلى الله عز وجل .. فأنتمتم في الاعتقاد كأي الحسن الأشعري وأبى منصور الماتريدي » .

والأشاعرة هم الذين نسبوا أنفسهم للإمام أبى الحسن الأشعري (رحمه الله) .. وقد كان على معتقد المعتزلة في إنكار الصفات زمنا طويلا ، ثم تركه إلى معتقد ابن كلاب في التأويل الذي عليه الأشاعرة الآن ، ثم ترك هذا المعتقد إلى معتقد الإمام أحمد (رحمه الله) وسجل ماكان يدين به بعد توبته في كتاب " الإبانة " إلا أنه بقى فيه بعض الثوابت كما كان عليه ..

والأشاعرة الموجودون الآن يقفون على المرحلة الثانية التي كان عليها الإمام الأشعري . وهم لا يثبتون الصفات كاملة ، وإنما يثبتون سبع صفات .. وهي التضمنة

لقول الناظم :

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذلك السمع والبصر

ومنهم من يثبت تسع صفات فقط ، ومنهم من يثبت ثلاث عشرة صفة .. تلك الصفات لا تثبت عندهم بالشرح ، إنما يثبتونها بالعقل مع اضطراب في ذلك ، أما بقية الصفات فإنهم يؤولونها عن ظاهرها بغير دليل ، وبغير سلف : إما أن يفسروا صفة بصفة أخرى ، أو يفسروا الصفة بشيء من لازمها .. فهم مقلدون في الفقه للأئمة الأربعة ، غير أنهم مقلدون في العقيدة لابن كلاب .. والإخوان خليط من هذا كله ..

ومع تعذر تعيين معتقد محدد لجماعة الإخوان ، فإن دعائهم يظنون أن من اعترض عليهم فقد اعترض على الحق المنزل ، وأن من خاصمهم فقد خاصم الإسلام ، ولا مانع أن يتهموا من نصحهم في دينه وعقله .. ويقولون عنه إن كان منهم : ليس عنده إحساس بالمسئولية ولا تقدير للقيادة ، ولا مراعاة لحرمتها ..

وإذا انشق عنهم أو كان من غيرهم قالوا عنه : إنسان موتور ، سطحي التفكير ، مريض الدين ، طالب شهرة ومكانة ، إن لم يكن رموه بالعمالة لجهات داخلية أو خارجية . وهذا أمر يردده الواقع ، وترده الوثائق الموجودة في كتبهم ، فعندهم الضعف المعرفي والهزيمة النفسية ، التي شهد عليهم بها الأدباء سيد قطب ، وعندهم المنظمات التكفيرية ، وعندهم الاختلالات السياسية والمنظمات الانقلابية .. وعندهم التلون والثقة .. وعندهم كل ما من شأنه أن يجرحهم ويسكت ألسنتهم تجاه خصومهم ، الذين يقذفونهم بشتى التهم ..

ولو فرض الأمر كما يدعون في ناصحهم .. فماذا يضيرهم إذا خرج الحق منهم ؟ : أليس الحق حبيبا إلى الله تعالى . ؟ فلماذا يرفضونه ؟ ألم يقر القرآن الكريم كلمة ملكة سبأ - وهي كافرة - في الملوك الجائرة : « إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَقْسَدُوهَا .. فصدقها الله بقوله : « وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » النمل : ٣٤) ؟ ألم يقر النبي ﷺ ما أخبر به إبليس أبا هريرة (رضى الله عنه) بفضل آية الكرسي ، وأنها تحفظ

المتمحصن بها حتى يصبح . قال النبي ﷺ لأبي هريرة : « صدقك وهو كذوب » (رواه البخارى . كتاب بدء الخلق ٣٠٣) .

ولله در الشاعر الليبي :

لا تحقرن الرأي وهو موافق حكم الصواب إذا أتى من ناقص

فالدر وهو أعز شئ يفتنى ما حظ قيمته هوان الغائص

إن العمالة التي يرمى بها قادة الإخوان ودعاتهم مخالفهم باختلاف صورهم وأشكالهم ، بسبب نصيحهم لهم هم أحق بها من غيرهم . فللإخوان خطوط سرية رسمية مع الأمريكان والغرب منذ زمن طويل .. وقد اعترف الأستاذ مأمون الهضيبي بأن أفراداً من الإخوان أجروا اتصالات متعددة بالأمريكان ، و : « كشف المرشد العام للإخوان "مأمون الهضيبي" عن مفاجأة جديدة عندما أشار إلى أن هذا الحوار لم يبدأ حسيماً أشارت المصادر في شهر مارس الماضي ، لكنه "امتد لخوالي ثلاثة أشهر مضت" » (الإخوان أون لاين ٢٧ / ٣ / ٢٠٠٤ م) .

تلك العلاقات المشبوهة التي غرق فيها الإخوان متعلقة بالاستقواء بالغرب . مع مقصد آخر لا يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى وتوحيده ، إنما يتعلق بطمأنة الغرب وأمريكا نحو إسلام إخواني ديمقراطي إذا هم وصلوا إلى الحكم .. وتهيئاً لذلك دعا عبد المنعم أبو الفتوح في كلمة له بجامعة "أوسلو" الغرب إلى نسيان ما قام به المسلمون عند غزو أوروبا في مقابل نسيان المسلمين ما فعله الصليبيون بهم أثناء الحروب الصليبية . فقال : « إن عالم اليوم أيها السادة الكرام ليس هو عالم الأسس ، فتاريخ الحملات الإسلامية على أوروبا وما تركه من مشاعر سلبية لا سيما حصار فيينا قد دفن مع الماضي .. ونحن أيضاً نعتبر أن الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، وكذلك الحملات الاستعمارية ، وما تركته من أثر مشابه قد دفنت أيضاً مع الماضي » (إخوان أون لاين ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٧ م) وقدم المذكور في سعيه الخائب خطة إخوانية ترعى الإلحاد والزندقة ، ليزين صورته وصورة جماعته عند أصحاب

الفكر الليبرالي ، وقال : « الأعمال المختلف عليها من حق صاحبها أن ينشرها علي نفقته أو على نفقة ناشر خاص ، ويقول فيها ما يشاء ، حتى لو كان يدعو إلى الإلحاد » (العربى . ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣ م) .. وشاركه عصام العريان في ذلك فقدم خطة في النادي السويسري بالجيزة تلفت حول الديمقراطية والمواطنة والمرأة والأقليات .. الخ : « وأشار إلى أن الاجتماع الذي استضافه النادي السويسري لم يخرج عن المناقشات الممهودة ، والتي دارت حول موقف الإخوان من الديمقراطية وحقوق الإنسان . الخ » (إسلام أون لاين . نت / ٢٢ - ٤ - ٢٠٠٣) .

وقام المرشد العام محمد عاكف فطال : « بإعطاء الشعب حريته في الحركة والدعوة إلى الله ، وحتى الدعوة إلى العلمانية والإباحية وأن تكون الحرية للجميع » (جريدة الدستور . نافذة مصر . نت ٤ / ١٢ / ١٤٢٧) .

فأباحوا نشر الإلحاد والكفر والإباحية تقرباً للأيدلوجيات الفكرية المعاصرة في الوقت الذي تراهم يتأسدون بالزور على من ينتقدهم أو يذكر أخطاءهم في كتاب أو مقالة أو تلفاز . فيشنعون عليه بشئ التهم والأكاذيب ..

فالحرية عند الإخوان تطول كل مقدس حتى ولو كان الإسلام ، ولكنها تنذر وتشنج إذا تكلمت عن الجماعة .. فضحية العمالة في المضممار الإخواني غمس جانب الاستقواء بأعداء الإسلام ، وغمس كذلك الجوانب الفكرية . ولا شك أن خطر العمالة الفكرية أشد على الأمة من ضياع الخلافة .. ومن خلال هذا البحث ستوضح حقائق مذهلة في دعوة الإخوان ، تبين للقاصي والداني كيف أعدت جماعة الإخوان للموت وكيف بنت للخراب ..

ومن أجل ذلك ندعو قادة الإخوان إلى التزام الإسلام على صورته الأولى ، والعودة إلى طريق سلف الأمة الصالح أهل الحديث (رضى الله عنهم) تأصيلاً وتفصيلاً ، لا مجرد إشارة قولية خالية المضمون والمعنى ، أو جملة متناقضة متضاربة المعنى كقولهم : (طريقة سنية وحقيقة صوفية) ، إنما منيح حياة وعمل ، واعتقاد وسنة

وولاء وبراء .. كما ينبغي التعلم من تجارب الفشل الماضي ، والحذر من تعريض الأمة والشباب لفتن لا قبل لهم بها . كما يجب أن تحل جميع التنظيمات السرية ، التي تهدد أمن المجتمع ، وتثير الفتن ، ليدخل أفرادها في حلق العلم والعلماء ، وتدخل الجماعة في إطار الإصلاح الاجتماعي الظاهر ، مع بقية فئات المجتمع المسلم .. فالإسلام يعرف الفقه والعلم والاجتهاد والمدارس الفقهية ، ولا يعرف التنظيمات السرية .. ولا يخفى أن وجود هذه الفئات في تلك الحركة أدى إلى سيادة الفكر التنظيمي على كل شيء ، ولو كان الإسلام نفسه ، كما أدى إلى اتخاذ مبدأ " الغاية تبرر الوسيلة " ، ورفع الموالين لهم ، ولو كانوا جهالا ، وإقصاء المخالفين ، ولو كانوا من أعباء الناس وأتقاهم .. فهؤلاء هم الذين يحددون البرامج التربوية ، التي لا تجد فيها طريقا مفصلا لبيان التوحيد والسنة ، وإنما تجد فيها كيف يكون العضو منضبطا ؟ . كيف يكون مطيعا ؟ . كيف يكون أستاذا في الكونغو ، والضربات القاتلة .. ؟ كيف يطلع على المحلات ، ويكتب تحليلا للأحداث ؟ . مع بعض المعاني العامة عن الإسلام كلها للمحافظة على كيان الجماعة .. فلا علم ولا فقه . فضلا عن ضعف التفكير في المقصد الأخروي المتعلق برؤية وجه الله الكريم ، والهروب من ناره ، والطمع في جنته .. فإنهم لا يذكرون الناس بذلك .. فالدين ومهادنة الناس لأجل مواجهة الحكومات ، والصراع على النقابات والمجالس والهيئات .. والتفاعلات الخاصة والعامة والمظاهرات لقياس نبض المجتمع .. ومن أجل ذلك تقدم لهم النصيحة - ولغيرهم الحذر - ليراجعوا أنفسهم .

وسرأعيهم في الله تعالى ، وستضرب لهم الأمثال ، وستوضح بما لا اختلاف فيها حقيقة ما فيه اختلاف ، وستنحصر الكلام فيما لا يخضع لاحتمال ، مما لا ينبغي القطع فيه رحمة بالناس ، كل ذلك بالأدلة والبراهين .. وما كفرنا أحدا منهم ، وما ضللنا من لم تقم عليه حجة الله تعالى ، ولا نشك في التوابع ، فإله أعلم بما في القلوب . اللهم إلا تسويخا لمعتقداتهم الفاسدة ، وزجرا لمن يتبع طريقهم ويقفئ آثارهم ، وإلا فإننا نسأل الله تعالى أن يرحم المسلمين جميعا برحمته الواسعة ، وأن

يتجاوز عن سيئاتهم ..

وقد يسر الله تعالى لنا في هذا الكتاب إقامة الحجة قدر المستطاع ، وتوضيح أمور كثيرة قد لا يعرفها كثير من الناس عن تلك الجماعة ، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع . وقد أردت حفظ الدين والملة .

فإذا ثبت وقوع قادة الإخوان في أخطاء وبدع فقد وجب إنكارها ، بكل طرق الإنكار ، براءة للذمة ، ومعدرة إلى الله تعالى ، ورغبة في الأجر والثواب في الآخرة .. فلقد قامت جماعة الإخوان من أجل مصيبة واحدة ، وصارت تتقلب إلى الآن في آلاف المصائب .. ولا يزال قادتها يستخفون بعقول شبابهم المسكين ، محتجين بأن ما هم فيه نوع من الانبلاء ، وليس من الضرورة أن ترى النصر ، المهم أن تعمل له .. ولا يزالون يقولون إن حرب الأنظمة لنا دليل أكد على أننا من أهل الحق ، لأنه لا يحارب إلا أهل الحق .. وهم في حقيقة الأمر يتجاوزون عن مصائبهم البليغة وأخطائهم الشنيعة ، التي حالت دون وصولهم إلى بغيتهم ، طيلة ما يقرب من سبعين عاما ، إضافة إلى أن سنن الله الكونية مع عباده الصالحين لم تكن معهم ، فكيف يكون طول الانبلاء علامة على صحة منهجهم ! . وهم فضلا عن تخطيطهم في فهم الحق والاجتماع عليه وتفصيله والدعوة إليه أعجز من أن يفرقوا بين طول الانبلاء وطول العقوبة .. فالانبلاء بالمصائب في دعوة الإخوان ليس له نتيجة إيجابية .. فلا مانع أن يكون الخذلان مرافقا لأكثر من جيل ولاكثر من عقد . ولا يعاتبون أنفسهم .. مصريين على أن ما هم فيه إنما هو ابتلاء ، وليس عقوبة ..

وقد أوجب الله تعالى على نفسه أن ينصر من ينصره في الدنيا والآخرة .. قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ [الحج : ٤٠] . وهؤلاء لم ينصرهم الله . وقد ذهب جيلهم الأول ولم يعد له دور .. وقد شتمهم الله في البلاد وفي السجون منذ عام ١٩٤٨م حتى ١٩٧١ ، إلى ما يقرب من ٢٣ عاما .. وهم مغبون عن الواقع . ومن منتصف الثمانينات وهم يعملون في السياسة . ومع ذلك فهذا الجيل الذي

يطلق عليه جيل الشباب - وقد دخل أكثره في عقد الستينات - لا يزال منكوسا ، لم يصل إلى شيء من التمكين والحكم ، بل إنه يخرج من كل مصيبة ليدخل في أخرى . . على الرغم من تقدّمه كافة المراجعات السياسية ، التي يراها من أعظم السبل الموصلة إلى سدة الحكم ولم يصل . ولو مكثنا فليس ذلك دليلا على صحة معتقداتهم . فكم مكن لأهم ضالة لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ..

ولقد كانت حركة الإخوان ولا زالت من أكبر العقبات ، التي حالت دون إظهار الدين الإسلامي بالصورة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه . ومنهم نشأت جميع الفرق الخارجية ، ويسببهم هرب كثير من الناس من الدين والاستقامة ، بسبب تصرفاتهم الحمقاء مع الملوك والرؤساء .. فهم أصحاب فتنة منذ أن نشأوا . قطاع طرق عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه (رضي الله عنهم) .. وإذا كان الأخذ على أيدي قطاع الطرق أمر واجب ، لتحقيق المصالح وحفظ الحقوق ، فالأولى بذلك الأخذ على أيدي الذين يقطعون الطريق أمام دعوة التوحيد ، ويستخفون بسنة الحبيب ﷺ .. وليس في الدين مبرر للسكوت على أهل البدع ، الذين يفسدون الدين بالمقالات الباطلة والأفعال التورية . فليس عرضهم أعظم من عرض الدين ، وليست ثوابتهم أعظم من ثوابت الدين ، وليس في كتمان الحق مصلحة إلا للشياطين والمفسدين في الأرض ...

ومن أجل ذلك ينبغي على من علم الأدلة والبراهين على منهج أهل الحديث بوجه خاص أن يحذر من حركة الإخوان ، وأن يبين فساد فكرهم وضلالة مسالكهم وغلوهم في شيوخيهم، وإثارتهم للمجتمعات الإسلامية، وتهديدهم لاستقرارها «معدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون» [الأعراف : ١٦٤] .

ومن لم يفعل ذلك مع القدرة عليه والحاجة إليه فهو متواطئ معهم ، في اتباعهم مذاهب الفرق الضالة في العقيدة ، وفي تميمهم سنة النبي ﷺ ، وفي احتقارهم دعوة السلف أهل الحديث وعلمائهم .. فليست القضية في أمة مضت ،

ولا في تاريخ قد انتهى ، ولا في أناس أصبحوا في ذمة الله تعالى .. القضية في تاريخ يحتاجون به ، ومرحلة يستمرون في إقامتها ، وأشخاص يتخذونهم فرقانا بين الحق والباطل .. والواجب أن نأخذ من التاريخ ما ينفع وندع ما يضر ، وأن نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال ، وأن تنتهي النظرة الاستصالية التي فرقت المجتمع وفتنت الأمة . وهم لا يفعلون ذلك ، وهذا بالضرورة يؤثر على الأجيال الآتية بالسلب .. فليست القضية متعلقة بأفراد ورموز إخوانية ، كما يظن من لا دراية لهم بمذاهب الفرق . القضية متعلقة بعرض الإسلام .. وعرض الإسلام ليس مستباحا لكل مبتدع ، كي يحرف فيه كما يشاء ، بل الواجب صيانة الإسلام ، ولو أدى ذلك إلى غيبة الأشخاص . فالغيبة في هذا الباب ليست محرمة ، بل هي جهاد في سبيل الله ، يثاب عليها المرء إن شاء الله تعالى ولا يذم .. ولا جهاد يسمو فوق هذا النوع من الجهاد .. فإذا كان المخالف من أهل السنة وقع في شيء من أخطاء أهل البدع فيجب على أهل العلم والاختصاص التحذير من مخالفاته أولا ، غير أنه لا يحكم عليه بالتبديد ولا بالنفيق إلا بعد النصيحة والبيان ، وإقامة الحجة الرسالية ، وانتفاء الموانع الشرعية والعقلية .. فإن عاد المخطئ إلى الحق واعتذر عن الباطل قبل اعتذاره .. وإذا التزم البدع وعدّها دينا يتقرب به إلى الله تعالى فهو مبتدع يعامل معاملة أهل البدع ، ويحذر منه ومن بدعته ..

أما إذا كان المخطئ منتسبا لفرقة من الفرق الضالة فحكمه حكم الفرقة التي ينتمي إليها . خاصة إذا كان داعيا متصدرا ، أو رافعا لواء المحاربة لأهل السنة أهل الحديث .. فلا شك أن جهاد أهل البدع وتبيين حالهم والتشهير بهم من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى ، لما يتحقق فيه من تمييز وتمحيص . وما شرع الجهاد في الإسلام لأجل مال ولا منعم ، إنما شرع لإعلاء كلمة الله تعالى .

وهؤلاء يدمجون الحق بالباطل ، ويفررون الناس بحماسهم في الدين ، ومظهرهم في الإسلام ، وهم في الحقيقة أعظم تلبيسا على العامة وفتنة للخاصة . وأمثال هؤلاء ينبغي جهادهم والرد عليهم ..

قال شيخ الإسلام : « الراد على أهل البدع مجاهد ، حتى كان يحيى بن يحيى يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد » (نقض المنطق . ص / ١٢) وقال ابن القيم : « الجهاد بالحجة والبيان .. وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل ، وهو جهاد الأئمة ، وهو أفضل الجهادين ، لعظم منفعة وشدة مؤنته ، وكثرة أعدائه » (مفتاح دار السعادة ص / ٧١) .

وقد عد علماء الإسلام مجاهدة أهل البدع الظاهرين أعظم من مجاهدة الكفار المحاربين ، وذلك لأن الكفار المحاربين يفسدون الدين من الخارج ، أما هؤلاء فإنهم يفسدون الدين من الداخل .. قال الحميدي : « والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردون حديث رسول الله ﷺ ، أحب إلي من أغزو عدتهم من الأتراك - الكفار » (أحاديث في ذم الكلام وأهله ٢ / ٧١) وقال ابن هبيرة : « قتال الحوارج أولى من قتال المشركين والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام وفي قتال أهل الشرك طلب الربح وحفظ رأس المال أولى » (الفتح . ١٢ / ٣٠١) .

وقال شيخ الإسلام : « ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تيماء ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء » (الفتاوى ٢٨ / ٣٣٢) .

وقال في (نقض المنطق . ص / ١٥٦) : « من الحكايات المشهورة التي بلغتنا أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الأمدي - وهو من أئمة المتكلمين - وقال : أخذها منه أفضل من أخذ عكا » أهـ وكانت عكا يومئذ تحت سلطان النصارى الإفرنج ..

وقال أبو الفضل الهمداني : « مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحددين ، لأن الملحددين قصدوا إفساد الدين من خارج ، وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل . » (الموضوعات لابن الجوزي ٥١ / ١)

وقال ابن القيم : « ولهذا اشدت نكير السلف والأئمة لها ، وصاحوا بأهلها في أقطار الأرض ، وحذروا فتنهم أشد التحذير ، وبالفعل في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان ، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد » (مدارج السالكين . ١ / ٣٧٢)

ومع ما تقدم فإن كثيرا ممن لا دراية لهم بأقوال أئمة السلف في أهل البدع يفترون بزهد أهل البدع ، وذويع نفيرهم ، وعلو شأنهم ، فيمنعهم ذلك من تقديمهم - حتى إنهم يذمون الناصحين لهم ويحاربونهم ويشتمون عليهم بالظن والوهم - وليس ذلك بمنع عن نصيحهم والتحذير منهم .. فما اتعرف أهل البدع من البدع أشد جرما من الوقوع فيهم .. فكيف إذا كان في الوقوع فيهم منقبة محمودة وسنة موروثة . ولو كان في هؤلاء خير لتركوا ما اتعرفوا من البدع ، ولنزلوا على معتقد أهل السنة وسلف الأمة ومنهجهم ، ولكنهم اغتروا بأنفسهم ، وتصدروا بغير أهلية وتكابرُوا على أهل العلم فكان هذا جزاءهم ..

قال حزم القطيعي حدثنا عاصم الأحول قال : « جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فيه - وهو من أئمة المعتزلة - فقلت : يا أبا الخطاب ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض . قال : يا أحول ولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تذكر حتى تعلم .. فبحثت من عند قتادة وأنا منغم لقوله في عمرو بن عبيد وما رأيت من نسل عمرو بن عبيد وهدية ، فوضعت رأسي بنصف النهار ، فإذا أنا بعمرو بن عبيد في النوم ، والمصحف في حجره ، وهو يحك آية من كتاب الله ، قلت : سبحان الله تحك آية من كتاب الله !.. »

قال إني سأعيدها ، فتركته حتى حكها .

فقلت له : أعدها

فقال : إني لا أستطيع » (اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤ / ٧٣٩)

وقد وجه أشخاص من لا علم لهم بمنهج السلف أهل الحديث القضية إلى منأى آخر زعموا فيه أن الرد على المخالف من باب تتبع العورات وذكر المسلم بما

يسكره . ! ولو أنهم أرادوا الحق بدليله لعلموا أن موافقة مراد الله تعالى أبين في صدق الدين ورضا الله تعالى من الرضا ببقاء الباطل دون دفعه ..

قال شيخ الإسلام : « وليس هذا الباب مخالفا لقوله ﷺ : « الغيبة ذكر كإحداك بما يكره » فإن الأخ هو المؤمن والأخ المؤمن إن كان صادقا في إيمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذي يجب على الله ورسوله وإن كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه » (مجموع الفتاوى . ٢٨ / ٢٣٥) وقال : « فلا بد من التحذير من تلك البدع وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم ، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها » (مجموع الفتاوى . ٢٨ / ٢٣٣) .

ومن تتبع أقوال الأئمة في علم الجرح والتعديل وأقوال علماء التوحيد يلحظ أنهم تتبعوا الفرق الضالة بأسماؤها وأعيانها وأسمائها وأوصافها بالزجر والتوبيخ . وليست جماعة الإخوان بمنأى عن ذلك ، خاصة أنها تتوافق مع جميع الفرق في كثير من اتجاهاتها ومبادئها ، خاصة المرتجة ..

فمفهومها في تناول القضايا والأحداث والعقائد والسُنن يشبه إلى حد كبير مفاهيم المرتجة ، وإن كانوا قد أخذوا من جميع الفرق والمذاهب .. وعلى ذلك يجب التحذير منها باسمها ووصفها وأعيانها ...

قال شيخ الإسلام : « وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب ، أو يعرفون بعضه ، ويجهلون بعضه ، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتُمونه ، ولا يبنون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ، ولا يذمون أهل البدع ويعاقبوه ، بل لهملهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذما مطلقا ؛ لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع ، وما يقوله أهل البدعة الفرقة ، أو يقررون الجميع على مذاهبهم المختلفة ، كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع . وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرتجة وبعض

المتفهمة والمتصوفة » (مجموع الفتاوى . ١٢ / ٤٦٧) .

ولعل المتدبر في تلك المقالة يظن أن جماعة الإخوان كانت في زمن شيخ الإسلام - وهذا خير صحيح في جماعة الإخوان جماعة محدثة نشأت في القرن الرابع عشر الهجري ، وقد كانت قبل ذلك مينة لا وجود لها .. غير أن تلك الأوصاف التي حذر منها شيخ الإسلام متوافقة تماما مع أوصافها ...

فقدان بين ما قاله شيخ الإسلام في نصر الحق وتأييده وبين نظرة حسن البنا في الخلاف الواقع بين السلف والخلف في باب الصفات الربانية ، وكذلك الخلاف الواقع بين السنة والشيعية يتبين لك الأمر . وانظر إلى الأتباع كيف يعظمون أهل البدع ، ويحذرون من الكلام في التوحيد والسنة ، بحجة أن للواقع أولويات أهمها تجميع الناس . كل ذلك يؤكد لك حقيقة الخلل الواقع في دعوة الإخوان ..

وقد ابتلى الشيخ القرضاوي بكل ما حذر منه شيخ الإسلام .. فقد جند نفسه في الدفاع عن أهل البدع ، وقام بجهد ملحوظ في حماية مناهج المعطلة والمؤولة ، وقد اجتمع هذا الرهط على القاعدة التي أصلها حسن البنا ، التي قال فيها ' نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ..

تلك القاعدة المطلقة التي طالت جميع العقائد والأيدولوجيات ، وأدت إلى ضم جميع الأصناف ، والاتجاهات ، ووحدت الجميع تحت الإيمان بفكر المرشد في الانقلاب والتغيير . وجعلت السني الذي يثبت العلم الأزلي لله تعالى كالقدر الذي يقول إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، وجعلت الموحد الذي يثبت العلو لله تعالى كالحلولي الذي يقول الله موجود في كل الوجود ، أو كالعدمي الذي يقول لا فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه .. الخ .

ولولا اغترار كثير من الشباب بهتافات الإخوان في الجامعات والندوات العمالية ، بغير وهي ولا لقه ، وما يصوره هؤلاء الغلمان لشيوعهم من الحالة العجيبة والنشاء الباطل ما مع عندهم من الضلال والشر مارادت عليهم ، ولكن أمانة الدين

تقتضى حماية هؤلاء الأحداث من الاعتزاز بتلك المظاهر الباطلة .

قال الإمام أحمد (رحمه الله) : « كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم » (النقض على بشر المبرسي للدرايمى ٣١٢) .

وقد بين الإمام ابن بطة (رحمه الله) فى (الشرح والإبانة . ص/ ٣٤٨) الحكمة فى ذلك قائلا : « أنا أذكر طرفا من أسماهم وشيئا من صفاتهم ؛ لأن لهم كتباً قد انتشرت ومقالات قد ظهرت ، لا يعرفها الغرّ من الناس ولا النشء من الأحداث ، تخفى معانيها على أكثر من يقرأها ..

فلعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه والإطباب فى الصلاة على النبي ﷺ ثم أتبع ذلك بدقيق كفره وخفي اختراعه وشبهه ، فيظن الحدث الذي لا علم له والأعجمي والغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء ، ولعله يعتقد فى هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان ومن بارز الله والوالى الشيطان » أهـ .

فلا يغرنك أيها المتحمس ما حصرت نفسك فيه وأنت لا تدري أحق هو أم باطل، ولا يفوتك ما عند علماء الحديث من الحق ، لأجل انشغالك بأمور قد ثبت للعامة والخاصة أنها أدت إلى خذلان تلك الجماعة منذ أن نشأت .

ولا يفتنك خروج النصيحة من غير جماعتك أن توليها ظهورك أو أن تسد لها أذنك ، فالحق أحق أن يتبع ، ونجاة نفسك أولى من التفتى بانتمائك لتلك الجماعة .. فاخر طريق السلف الصالح وأهل الحديث (رضى الله عنهم) ، ولا تسد أذنك وارفع الكرسف عنها ، وقل كما قال الشاعر اللبيب : « فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ إن كان الذي يأتي حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته » أهـ

أو اختر طريق من استخار الله فغيره لما يجب ، طريق الغلام الذي احتار فى أمر الراهب والساحر فاستخار الله قائلا : « اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من

أمر الساحر فاقتل هذه الدابة » (رواه مسلم فى الزهد والرفائق ٣٠٠٥ ، والترمذى فى تفسير القرآن ٣٣٤٠ وأحمد فى المسند ٢٣٤١٣) .

ومن رحمة الله تعالى بالخلائق أن بين لهم الحقائق ، وأرسل لهم الرسل ، وأنزل الكتب ، ليتحقق مراده الشرعي المحبوب له ، فمن ضم الإيمان بالشرع إلى الإيمان بالقدر فقد فاز ، ومن فرق بينهما فقد ضل . ومن تقدير الله تعالى أن أراد الشر كونا ولم يرد شرعا ، ومعنى أرادته كونا : أراداه لمحبوب آخر ، ولم يرد له لذاته ؛ وهو إحقاق الحق وإظهار الخير ، هذا بجوار ما فيه من عبادة لله تعالى بأسماء وصفات لم يكن لها أن تتحقق إلا فى وجود هذا الشر .. هذا بالإضافة إلى ما فى خلق المضادات من بيان لكمال ربوبية الله تعالى على الخلائق ، وكمال قدرته ، أن يخلق ما يشاء ، ويحكم ما يريد . والإيمان بذلك أصل من أصول الإيمان بالله تعالى .

وعليه فنحن لم نتعرض لمذاهب الفرق اكتفاء بما انتهت إليه من الضلال ، إنما أردنا أن نعرف الحق الذى أراداه الله تعالى ، ونعبده بمقتضاه ، وأن نحمد الله تعالى على النعم التى أنعم بها علينا وهدانا إليها .. ومن أعظم تلك النعم أن جعلنا مسلمين ناصرين للسنّة ، على مذهب أهل الحديث (رضى الله عنهم) ، وجنبنا مذاهب الفرق المنحرفة .. ولذا فنحن نعتقد أن الأمة لا تصلح إلا إذا عادت إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام (رضى الله عنهم) ... ولا يكون ذلك إلا بتحقيق العبودية الكاملة لله جل جلاله ، وذلك بتصفية المجتمعات من الشراكيات والبدع ، وتربية الناس على التوحيد والسنّة ؛ فيتحقق بذلك الولاء والبراء ، والحب فى الله والبغض فى الله ، والذى من خلاله تعصم الأمة بحبل الله تعالى جميعا ولا تنفرق ، ومن ثم تنال بركة التأييد والنصر من الله تعالى ، فلا يؤثر كيد عدوها فيها شيئا . قال تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد : ٧] وقد قسمت الكتاب إلى عدة فصول كالآتى :

الفصل الأول : نشأة جماعة الإخوان .

الفصل الثاني : الحلل التربوي ..

الفصل الثالث : الحلل العلمي ..

الفصل السادس : الآثار المسلكية في دعوة الإخوان ..

الفصل الخامس : فكر التكفير ..

الفصل السادس : فكر الانقلاب ..

الفصل السابع : الإفلاس الجهادي ..

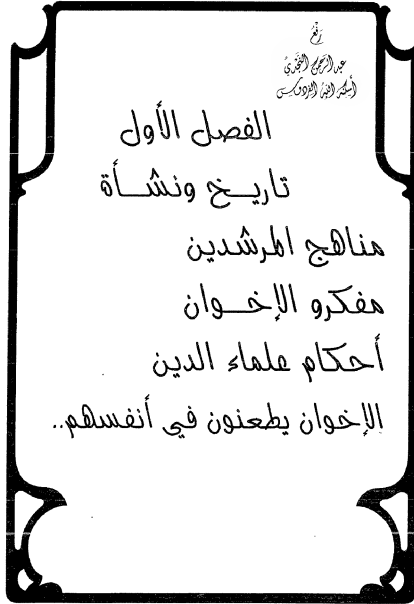
الفصل الثامن : الإخوان ودولة النورة

الفصل التاسع : الإفلاس السياسي ..

هذا وما كان من خير فمن الله ، وما كان من خلل فمني ومن الشيطان والله
منه براء (فاللهم اجعلنا من أوليائك ونصراء دينك) وصل اللهم على عبدك
ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه / على بن السيد الوصيفي

Email : ale-Elwasefy @ Hotmail.com



بيسار اللع الرحمن الرحيم نشأة جماعة الإخوان المسلمين

أنشأ حسن البنا جماعة الإخوان عام ١٩٢٨م ، وذلك بعد تخرجه من مدرسة المعلمين بعام واحد ، حيث كان يجتمع بعمامة الناس في المقاهي ، ويتكلم معهم بأسلوب عامي ، يثير الحماس ويلهب المشاعر ، حتى قصده ذات يوم ستة من العمال المهنيين ما بين سبائك وغبار .. لم يكن فيهم عالم ولا مفكر ولا داع . وطلبوا منه إنشاء جماعة تعمل من أجل الدين ، ويكون هو زعيمها وقائدها .. هؤلاء الستة هم : إسماعيل عزو وفؤاد إبراهيم وحافظ عبد الحميد وعبد الرحمن حسب الله وزكي المغربي وأحمد الحصري .. فطلب منهم البيعة وكمال الطاعة ، كما أشار في (رسالة التعاليم . ص/ ٣٩٧) : « ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا كمال الطاعة كذلك ، وعلى ذلك بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ . أهـ . واستمر في دعوته لا يقرب إلا أصحاب الكفايات العادية ، قال محمد الغزالي « فقد مرت بهذا الرجل العظيم - حسن البنا - ظروف جعلته يختار الماويين الأوائل له على أساس الكفاية العادية أو الضعيفة إذا صحبها التفاني في الدعوة والإخلاص للقيادة ، فهي أجدر بالحفاوة من الكفاية الحارقة إذا ضعفت علاقتها بشخص القائد » (من معالم الحق . ص/ ٢٢٢) .

واستمر من عام ١٩٢٨م إلى عام ١٩٣٥م يستخدم لغة الدعوة والدين . و لم يكن يقبل على دروس الثلاثاء في هذا الوقت إلا قلة قليلة ، لا تتجاوز عدد أصابع اليدين . قال محمود عبد الحليم : « كنت أ حضر هذا الحديث في المركز العام في شارع الناصرية ولا يكاد يتعدى عدد الحاضرين فيه أصابع اليدين ، وقد أشرت إلى الوسائل التي كان يلجأ الأستاذ إليها محاولا جذب انتباه سكان هذه المنطقة من حي

السيدة زينب إلى دار المركز العام ، لعل عدد من يحضرون هذا الحديث يتضاعف ، ومع ذلك كله لم يتضاعف » (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٣٨٤) .

وفي عام ١٩٣٥م دخل في طور العمل التنفيذي السري .. فأسس مليشيات عسكرية في الجيش والشرطة ، كما أسس جهازا سريا خاصا يخضع لأوامره بقصد حماية دعوته ، وأسس تنظيم الجواله ، ليخفي وراءه عمل تلك التنظيمات ، ول يظهر قوة الجماعة .. وأنشأ جهاز استخبارات للتجسس على الناس ، وأردفه بجهاز متخصص في نشر الإشاعات ، لقياس نبض المجتمع تجاه الأحداث . ويحكم تلك الأجهزة السرية باختلاف صورها الإيمان المقدس بالطاعة المطلقة لفرضية المرشد . وقد اقتبس حسن البنا فكرة تشكيل التنظيمات السرية والأسر والكتائب من الخلايا الشيوعية .. وعندما اشتد عود الجماعة دعا حسن البنا رؤساء الأحزاب والهيئات إلى الانضمام إليه ، وبشرهم إن هم سبقوا إليه بالرياسة والريادة ، وإن تأخروا بضعف المكانة والذل ، ولو عملوا في محيط الدعوة - انظر رسالة المؤتمر الخامس . ص/ ١٧٨) وبدأ يجابه الدولة ومؤسساتها ، ويهدد باستخدام القوة إن لم تنفع لغة الوعظ (الرسائل . ص/ ١٨٩) ووعد أتباعه في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان " متى تكون خطواتنا تنفيذية " إن هم بلغوا ثلاثمائة كتيبة مجهزة بالعلم والثقافة والإيمان أن يقاتل بهم كل جبار عنيد .. واستمر في الرسائل يفرر أتباعه بدعوته وبمنهجه ، حتى جعل من تخلف عن جماعته مخدر الإيمان ، بخلاف من ينضم إليه ويصير معه ، فهو مؤمن كامل الإيمان والعزة ..

وفي عام ١٩٤٢م رشح نفسه في الانتخابات البرلمانية ، فطلب منه النحاس باشا التنازل عن الترشيح ، وذلك لأن البلد كانت في حالة حرب ، فتنازل حسن البنا عن الترشيح مقابل الحصول على تسهيلات دعوية استفاد منها حتى عام ١٩٤٨م .

وفي عام ١٩٤٤م رشح نفسه مرة أخرى ، فطلب منه أحمد ماهر التنازل عن الترشيح ، لأن البلد كانت مقبلة على حرب - وقد كان أحمد ماهر متحالفا مع الإنجليز ضد الألمان وقوات المحور .. ولم يرض منه الإخوان ذلك .. فرفض التنازل .. وسقط في الانتخابات التي كان يتوافتد عليها الإخوان من جميع البلاد .. فقرر الإخوان بعدها قتل أحمد ماهر ، وأعدوا لذلك خطة محكمة . غير أنهم استطاعوا الهرب من تحمل تبعات تلك الجريمة ، حيث اتهم فيها شاب من شباب الحزب الوطني اسمه " محمود العيسوي " . وكان منتسبا إلى الإخوان .

وفي عام ١٩٤٥م قام الإخوان بمظاهرة كبيرة بمناسبة وعد بلفور ، كان الغرض منها كما بين محمود عبد الحليم هز مكانة الحكومة ، وإظهار قوة الدعوة .

وفي عام ١٩٤٦م ألقى الإخوان قتابل في جميع أقسام القاهرة ..

وبعد عشرين سنة من دعوته . وتحديدا في عام ١٩٤٧م شعر بضالة المفاهيم العلمية في الجماعة ؛ فبادر بإصدار بعض المجلات العلمية ، كى تعالج هذا الضعف ، وقد أكد ذلك القرضاوي في كتابه (ابن القرية ١ / ٢٩٨)

وفي عام ١٩٤٨م . وقعت أحداث وجرائم صدر بسببها الأمر الرئاسي رقم ٦٣ لعام ١٩٤٨ من دولة النقراشي باشا بحل جماعة الإخوان ومصادرة ممتلكاتها وغلق شعبها في جميع أنحاء القطر المصري . وأطلق عليها منذ ذلك الوقت لقب " الجماعة المنحلة " .. وعلى أثر ذلك قام التنظيم الخاص لجماعة الإخوان بتكفير الحكومة والدولة واستحلال دم النقراشي باشا والاتفاق على قتله وقتل موظفي الحكومة .. وعندما اشتدت الفتن على الجماعة عرض حسن البنا على حكومة الملك التنازل عن العمل السياسي للحزب الوطني والعودة إلى العمل الدعوى .. أوفتح الباب ليهاجر إلى الجبال والفلوات ، بعيدا عن الناس .. وفر جميع أصحابه ورفقائه من حوله ، وانفضت تنظيماته ، وتركوه وحيدا يلقي الموت ..

وفي ١٩ / ٢ / ١٩٤٩م أطلق على حسن البنا عدة رصاصات أمام دار الشباب المسلمين بالقاهرة مات على أثرها في المستشفى ..

واتهمت حكومة السعديين بتدبير ذلك ، ردا على مقتل النقراشي باشا .. غير أن الإخوان عزو القتل إلى هيئات أجنبية أمريكية وغربية تريد الكيد للإسلام ونسوا جرائمهم السابقة ..

واستمرت جماعة الإخوان بعد وفاة حسن البنا (رحمه الله) ثلاث سنين بدون مرشد عام .. وقع فيها عدة جرائم ، قام بها التنظيم الخاص لجماعة الإخوان على طريقة ابن لادن وتنظيم القاعدة ..

مناهج المرشدين ..

منهج حسن البنا ...

سعى حسن البنا في تجميع أطراف المجتمع باختلاف توجهاتها العقائدية والفكرية خلف قيادته ، ولم يكن له خصومة دينية مع أى طائفة من الطوائف . فلم تكن له خصومة مع الروافض ، الذين سبوا صحابة رسول الله ﷺ وكفروهم .. وزعموا أن القرآن ناقص ومحرف . بل إنه دعا إلى التقرب معهم ، والتجاوز عن الخلافات القائمة بينهم وبين أهل السنة ، وقال : « الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقرب فيها بينهما » (ذكريات لا مذكرات. ٢٤٩-٢٥٠) ولم تكن له خصومة دينية مع اليهود الذين سبوا الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه ، وقال : « إن خصوصتنا لليهود ليست دينية » (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٤٥٥) .

وتعهد في المؤتمر الذي عقد بدار المركز العام بمناسبة مرور عشرين عاما على قيام تشكيلة الإخوان بمسألة جميع الطوائف والملة ، قائلا : « وليست حركة الإخوان المسلمين حركة طائفية موجهة ضد عقيدة من العقائد أو دين من الأديان أو طائفة من الطوائف » (مواقف في الدعوة . ص/ ٣١٩) .

وقد أكد أحمد رائف أن حسن البنا كان يسر بالتخطيط للانقلاب على الملك والدولة لبعض الخاصة من جماعته ، ومن لهم به علاقة ثورية . أمثال عزيز المصرى والصباغ محمود لبيب . غير أنه أكد لأتباعه خلاف ذلك في رسائله ، قائلا : « وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بشيئها ونتائجها » (الرسائل . ص/ ١٩٠) .

كذلك لم يميز حسن البنا دعوته بتحقيق مسائل توحيد الإلهية والعبادة ، إتباعا لمنهج الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم) ، وولج في مفاهيم صوفية خرافية شركية ، تجعل الرسول يحضر مجالس المخرفين ، ليغفر الذنوب ، ويتجاوز عن المثالب والعيوب ، فقال :

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضر وسامح الكل في ماقد مضى وجرى . أهـ
(حسن البنا بأقلام تلامذته . ص ٧٠-٧١ ط . الوفاء ١٩٩٠) .

ودعا إلى التجاوز عن تحقيق مسائل الصفات الربانية على طريقة السلف أهل الحديث ، واتهم المهتمين بها بالتطرف والغلو ، قائلا : « ولو بحث الأمر لعلمت أن مسافة الخلاف بين الطرفين لا تختمل شيئا من هذا لو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو ... » (ص/ ٧٤ . رسالة العقائد)

ودعا إلى مسابقة أهل البدع ، دون نصيحة وبيان . فقال : « وأهم ما يجب أن تتوجه إليه هم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا » (العقائد ص/ ٤٥٦) .

وكان يرفض النظر في التفسير .. وقال لمحمود عبد الحليم : « إن كنت تريد نصيحتي فلا داعي لقراءة تفاسير » (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٢٠٨) .

وكان يدعو أتباعه إلى أن يتقوا في شخصه ، ويتروكوا آراءهم في مسائل النزاع ، نزولا على رأيهِ . وقال للدكتور عبد العزيز كامل : « أنا أعلم نوع تفكيرك وتسبكك بالسنّة ، وستأتى أيام وظروف قد نخلف فيها ، وأود في هذه الظروف أن تترك رأيك لرأى . ألا تظمنن إلى ؟ » (مذكرات د/ عبد العزيز كامل ص/ ٥٣) .

وكان لا يرى للمسلمين في زمنه إماما يرجعون إليه ... فقال : « ليس للمسلمين الآن (إمام) » (في قافلة الإخوان المسلمين . ص/ ٢٠٨) .

وكان يلبس الخارجين عليه لباس الخوارج على الدولة . فقال : « ولقد كان الإسلام حكيمًا أعظم الحكمة في وصيته بأخذ مثل هؤلاء الخوارج على رأى الجماعة بمنتهى الحرم : " من أتاكم وأمركم بجميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنًا من كان " ولكننا تأثرنا إلى حد كبير بالنظم المائعة التى يسترونها بالفاظ الديمقراطية والحرية » (مذكرات الدعوة . ص/ ١٥٤) .

وكان يرى أن ما يقوله هو الإسلام .. وقال :

« وعلى كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام ، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة » (مذكرات الدعوة والداعية / ص/ ٢٥٤).

وكان ينشئ في أتباعه رؤية أنفسهم في مقابل استصغار غيرهم ، وقال لهم في رسالة " الإخوان تحت راية القرآن " : « أيها الإخوان المسلمون : هذه منزلتكم ، فلا تصغروا في أنفسكم ، فتقبسوا أنفُسكم بغيركم » أهـ واقتصر لهم شارة تميزهم عن غيرهم ، حتى ظن أتباعه أن الإسلام لم يعرف شمولية الدين إلا في زمنه ..

الهضبيي مرشدا عاما ...

في عام ١٩٥١م تم اختيار المستشار حسن الهضبيي مرشدا عاما للإخوان ، على الرغم من كونه من خارج النطاق الحركي للجماعة ، مما أحدث شقا عظيما في صفوفها .. وقد كان لمهادة الهضبيي للقصر الملكي وترجيئه بالسعديين المتهمين بقتل الشيخ حسن البنا أكبر الأثر في اتساع الشقاق بينه وبين الشيخ الغزالي .. ولم يكن الهضبيي عالما بالحجة والبرهان .. ولم يكن لديه مؤهلات الخطابة ولا التصنيف ، وكان يتعمص شخصية القاضي في التعامل مع الآخرين . كما أشار القرضاوي . ولم يكن قادرا على جذب العقول والعواطف ، وكان يتعالى على أصحاب المسؤولية ، فما جلس مع أحد إلا وأضعا ساقا على ساق عن قصد وتعمد .

وعندما جلس مع الملك فاروق لم يرد ولم ينطق ، على الرغم من عرض الملك عليه التعاون مع الجماعة على نصر الإسلام ، واحتفى به احتفاء بالغا . غير أنه لم يتعاون معه في شيء . لا فيما يخص التسرع ، ولا فيما يخص الجماعة .

وفي لقائه مع عبد الناصر كان متجاهلا معاندا ، حتى أطال المسافة ووسع الشقاق .. قال القرضاوي : « كان يعامل عبد الناصر ورجال الثورة بعمزة واستعلاء ، معاملة الند للند والسيد للسيد » (آفاق عربية ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ).

ورفع لواء المواجهة ضد حركة الجيش بعد اخفائه في الإسكندرية ، وبين أن البلاد لن تهدأ ولن تستقر ، حتى يؤخذ برأي الإخوان ، كما أشار محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٤٧/٣).

وكانت اهتمامات عامة الإخوان في زمنه دائرة حول الانقلاب والاعتقال السياسي والوصول إلى الحكم . فقد بحث بالمشورات التي تدعو إلى قلب نظام الحكم ، قال محمود عبد الحليم : « حتى إن بعض هذه المشورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء » (أحداث صنعت التاريخ ٣/ ٢٧٣)

وفي ٢٨ فبراير ١٩٥٤م خرج الإخوان في مظاهرة عابدين لتأييد اللواء محمد نجيب في خلافة مع عبد الناصر ، على الرغم من مبايعة ثلاثة من كبارهم له ..

ويتحمل الهضبيي مسئولية ما حدث للإخوان من مصائب عام ١٩٦٥م ، حيث قبض على ثلاثة آلاف إخواني ، بسبب التنظيم السري الذي أمر عليه سيد قطب ، بشهادة زينب الغزالي في كتابها " أيام من حياتي " ، كما سيتبين .

الأستاذ عمر التلمساني مرشدا

ثم جاء عمر التلمساني .. ولم يكن عالما من علماء الإسلام ، ولكنه كان يعمل بمهنة المحاماة ، وقد نشأ متحميا لحزب الوفد ، وتأثر بالأحرار الدستوريين ، وترى على كتب العشق والهيام ، قال : « فقد كانت تستهويني بأعمال البطولة وحماية الشرف والعشق والهيام .. فقرأت أول ما قرأت كتب أبي زيد الهلالي سلامة وقرأت هن عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن . ثم تدرجت إلى قراءة كل روايات اسكندر ديماس ' وابنه ، وتعرفت إلى أبطال قصصه الذين كانت شجاعتهم والدفاع عن معشوقاتهم تملك على كل أوقاتي في شهور الأجازة » (ذكريات لا مذكرات . ص/ ١٢) وكان يمارس الرقص الإفرنجي ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « في حياتي بعض ما لا يرضى المتشددون من الإخوان أو غيرهم كالرقص الأفرنجي والموسيقى » (ذكريات لا مذكرات. ص/ ٣) وقال (ص/ ٨) : « تعلمت الرقص الإفرنجي في صالات عماد الدين ، وكان تعليم الرقصة الواحدة في مقابل ثلاث جنيهات ، فتعلمت الدن سيت والفوكس تروت ، والشارلستون ، والتانجو ، وتعلمت العزف على العود » أهـ

وقال (ص/ ١٣) : «حتى أنني لما كنت أبأشر عملي كمحام وأنزل يوم الجمعة لأحضر بعض الأفلام السينمائية وكنت انتهر فرصة الاستراحة (الأتراكت) لأصلى الظهر والعصر مجموعين مقصورين في أحد أركان السينما التي أكون فيها» أه وختم ذلك بقوله (ص/ ٢٦٣) : «ولئن سألوني عن الهوى فانا الهوى وابن الهوى وأبو الهوى وأخوه» أه

والاستاذ التلمساني كان يفعل ذلك كما زعم من باب تبشير الإسلام ، الذي يحب من وجهة نظره الانطلاق في ميادين الهوى والرقص ، وأكد ذلك بقوله : «وحي للانطلاق في حياتي بعيدا عن قيود التزمّت الذي لم يأمر به دين من الأديان خاصة إسلامنا ، الذي وصفه نبينا بما معناه : أنه سمح لن يشاده أحد إلا غلبه» (ذكريات لا مذكرات ص/ ٢٣٩ . ط . ١٩٨٥ . دار التوزيع الإسلامية) .

والحقيقة أنه كان متأسيا بشيخه الذي كان يدعو ضيوفه إلى دابر الأوبرا ليعتصموا برؤية العروض الفنية والرقصات الغربية .. قال عبد المنعم أبو الفتوح : « كان حسن البنا يصبر على اصطحاب ضيوفه العرب والأجانب إلي العروض الفنية في دار الأوبرا تكريما واحترافا بهم ، كما أنه كان يعرض بنفسه الفرق المسرحية والفنية المنتشرة في جميع ربوع مصر قبل الثورة» (إسلام أون لاين . نت . ٤-١٢-٢٠٠٥)

ولم يقف أمر التلمساني عند ذلك . بل تعدى إلى الانحراف في مسائل العقيدة .. فتكلم في الصفات الربانية على طريقة المؤولة والمعلطة . وزين فكر عباد القبور ، وجعل أعمالهم عند القبور مجرد أدواق . فقال : « فلا داعي إذن للتشدد في التكرير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد» (شهيد محراب ص/ ١٩٧ - ٢٢٦ ط ١٩٨٥ م . دار التوزيع والنشر ، ترقيم داخلي / ٢١٢٨ . ترقيم دولي / ١-١٤٢-٩٧٧) . وفي زمن التلمساني فتحت الدولة كافة السبل لنشر دعوة الإخوان ، وكان للأستاذ عمر علاقات ثنائية مع كثير من المسؤولين في مصر استفاد منها كثيرا ، غير أنه خسر كل شيء بعد الاعتراض على معاهدة السلام .

محمد حامد أبو النصر مرشدًا

* وجاء محمد حامد أبو النصر ففتح الأبواب لإنشاء الأحزاب الشيوعية ، توطئة لبسط السبل بين أصحاب الفكر السياسي ، فقال : « فلا مانع عندنا من إنشاء حزب شيوعي في دولة إسلامية» (المجتمع ٢٢ ، ذى القعدة ١٤٠٦ هـ)

مصطفى مشهور مرشدًا

* ثم بوع للأستاذ مصطفى مشهور .. وقد كانت جل اهتماماته تنظيمية تربوية ، تهدف في المقام الأول إلى ترسيخ مبدأ السمع والطاعة . وقد اعترف مشهور بمذهب الشيعة الروافض ، وقال : « والإثنا عشرية معترف بها كمذهب ، وجرت اتصالات بهم ...» (الأسبوع . ١٤ إبريل ١٩٩٧) . والروافض ليسوا مذهباً ، إنما هم فرقة ضالة ، لها اعتقادات شرعية باطلة ، ولهم تاريخ حافل بخيانة المسلمين .

المستشار المأمون الهضيبي مرشدًا

* ثم تبعه المستشار المأمون الهضيبي ، وقد كان كسابقيه في الفهم والمعتقد والمنهج ، وكان يرى أن تطبيق الشرع يخضع للاستفتاء العام .. وهذا استئناف للإسلام والإيمان ، وهو مذهب المعتزلة .. ثم إن الأمر بتطبيق الشريعة ثابت في النص الثاني من الدستور المصري ، فما الحاجة إلى إجراء الاستفتاء عليه ؟ . وفي زمن المأمون الهضيبي تعمقت اتصالات الإخوان بالأمريكان ، لتقوية وجود الجماعة في مواجهة المواقف التي تتعرض لها .

محمد عاكف مرشدًا

* ثم جاء محمد عاكف أستاذ العصيان المدني والدراسات الليبرالية .. فاستبدل الانحلال السياسية بالحنة الرسالية والهداية الربانية ، وفتح الأبواب لانضمام كافة الطوائف والملل لجماعته ، وقال : « كنت عضوا في جماعة الشبان المسيحيين وناديتهم ، فالإخوان لهم رسالة ومنهج ، وكل من يوافق على هذا سواء أكان مسيحياً أو يهودياً فأهلاً به » (العربي . ١٨ / ١١ / ٢٠٠٤م)

ومن أجل تعميق التقريب مع الأفكار الليبرالية العلمانية بين أن العقيدة الإسلامية في زمن حسن البنا كانت تأتي في المرتبة الثانية بعد الفكر والثقافة، وبين أنه ماض على أثره، بقوله: « يقول البنا: نريد أن يكون قوى الجسم متين الخلق مثقف الفكر.. قبل أن يكون صحيح العقيدة سليم العبادة » (نافذة مصر. نت ١٤٢٧/٣/٣٠هـ)

ومن باب التوسع فى نشر الفتن فى المجتمع المصري طالب بإقامة أحزاب للنصارى وأخرى للشيعة الروافض .. قائلا : « فانا مع حزب قبطي أو حزب شيعي أو حزب (لل...) » (الميدان ٢٩ ، سبتمبر ٢٠٠٥م)

وقد بين عاكف حقيقة فكره الانقلابي فى تهيج العامة، قائلا : « إن دور الإخوان المسلمين هو إثارة وعي المواطنين للتحرك ضد الحكام » (إخوان أون لاين نت ٢٠٠٦/٧/٣١ م) وجعل غاية هداية الناس فى الوقوف مع جماعته فى الانتخابات البرلمانية، قائلا : « هدفنا هو تربية الفرد والأسرة والمجتمع حتى نصل للمستوى الذى نضمن من خلاله أن يقف وراءنا جميع الناضحين » (الأخبار ٢٧ ، أغسطس ٢٠٠٥م)

مفكرو الإخوان

* تأثر الإخوان بفكر الأستاذ سيد قطب .. وقد كان رجلا فاضلا فى اللغة والأدب، وكانت له حماسة دينية عالية، وكان على علم بمذاهب الفرق الضالة، فدخل فى بطونها، ولم يستطع أن يخرج منها .. وكان سبب فتنة كبرى للمسلمين فى زمنه. وهو أيضا سبب الفتنة الثانية للإخوان بعد فتنة الهضيبي عام ١٩٥٤م، وذلك بتأسيسه تنظيم ١٩٦٥م بالتعاون مع زينب الغزالى وعبد الفتاح إسماعيل وغيرهما، وقد كان تنظيمًا انقلابيًا، كما شهد بذلك فريد عبد الخالق فى كتابه (الإخوان فى ميزان الحق) . وقد تأثر بفكر سيد قطب جميع الحوارج المنتهجين سبل العنف فى الأمر والنهى، المكفرين للمجتمعات الإسلامية ..

وقد اختلط فكره بمذاهب الحلوليين والاتحاديين والجهمية المعطلين لصفات الله تعالى . فقال بما قالوا، وناضل عنهم بالكيفية التى أصلوها. وتخطى بين إثبات فكر الوجوديين وبين نفيه فى مواضيع مختلفة. وتأثر سيد قطب بمذهب الجبرية فأنكر تأثير الأسباب . وقال بمذهب المعتزلة فى الإيمان، وادعى أن من حكم بغير حكم الله فى مسألة واحدة فهو منكر لإلهية الله، ورافض للإيمان بالكلية ..

وفى الصحابة (رضى الله عنهم) تأثر بفكر الروافض، واتهم معاوية وعمر بن العاص. بالفاق والكذب وبيع الذمم . وطعن فى نبى الله موسى (عليه السلام)، وشبه سور القرآن بالمظومات الموسيقية، كما فى تفسير سورتي النجم والجن، ورد أحاديث الأحاد فى مجال العقيدة .. وتأثر بالاشتراكية، ودعا إلى نزع الملكيات والأموال، ولو كانت آتية بالطريق الشرعي . وهو أول من وجه فكر الثورة إلى الاتجاه الاشتراكي .. ويشهد على ذلك كتاباته فى جرائد الاشتراكيين والوطنيين، وبما خطه فى كتابه " العدالة الاجتماعية " بشهادة اللواء محمد نجيب، كما نقل عنه أخوه محمد قطب.. كما سيئين ..

أ/ محمد الغزالي

* أما الأستاذ محمد الغزالي فقد كان من كبار مفكرى الإخوان .. وكان له دور بارز في الرد على المستشرقين .. ولو أنه اكتفى بذلك لكان خيرا له ، ولكنه شارك أهل البدع والأهواء في الطعن في أهل الحديث ونقله العلم والأثر ، الذين لولاهم ما عرفنا عن الإسلام ولا عن نبي الإسلام شيئا .. وعلى الرغم من إقراره بأن نقد الأئمة لا يكون إلا لأن قارب مستواهم بقوله : « إن نقد الأئمة لا يتصدى له إلا من قارب مستواهم على الأقل » (دستور الوحدة الثقافية ص/ ٩٩) وعلى الرغم من شهادته على نفسه أنه ليس له دراية بعلم الحديث ، قائلا : « أنا لست من علماء هذا الفن » (السنة النبوية ص/ ٧٦) كما شهد أيضا في ملتقى الفكر الإسلامى فى الجزائر أنه ليس من أئمة الفقه بقوله : « إننى ليس لى عقلية الفقيه » (الشيخ الغزالي كما عرفته ليوسف القرضاوى ص/ ١٥٧) .

إلا أنه سب أهل الحديث وأئمة السلف ، ورماهم بكل نقیصة . وسعى بالوقیعة بينهم وبين الفقهاء ..

وقد شد الغزالي في باب الأسماء والصفات ، فقام يرجع مايريد ويظلم ما يريد ، بغير دليل ولا برهان . وكانت كتب الغزالي مرصدا لجمع الشبهات ، التي اتخذها أهل الأهواء نكأة للطنن في السنة وأهلها . وتلك عادة المدرسة العقلية التي غرس بلورها أئمة المعتزلة . وهو واحد منهم ، كما شهد بذلك الإمام الألبانى ..

ويعد الغزالي المرجع الكبير للفكر الاشتراكي في دعوة الإخوان في زمن الملك والنزوة ، كما ظهر في كتابه " الأوضاع الاقتصادية في الإسلام " وهو أستاذ سيد قطب في ذلك ، وكان له دور كبير في إثارة المجتمعات الإسلامية ... وكان له مشاغبات متعددة مع المستشار الهضيبي تسببت في معاملة الإخوان له معاملة الكفار ، كما ذكر في كتابه (من معالم الحق الثابت ص ٢٠٦) .

الشيخ القرضاوى

* وسار على درب الغزالي الشيخ القرضاوى ، وهو أحد المراجع الفكرية المعاصرة لحركة الإخوان ، وهو عضو مشارك في منظمات عالمية مشبوهة .. فهو رئيس الاتحاد العالمى لما يسمى بعلماء المسلمين ، الذى يضم فى جنباته الشيعة والإباضية .. وقد أنشئ هذا الاتحاد فى أوربا ، ليجعل له ولاية إخوانية على المؤسسات الرسمية فى العالم الإسلامى .. وهو رئيس للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، ورئيس مجلس أمناء الجامعة الأمريكية الإسلامية ، وهو عضو مجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية فى أويسفورد (بريطانيا) .

وهذه كلها مراكز استشرافية تقدم بحوثا تطعن فى الإسلام ..

وقد اقتفى القرضاوى سقطات كثير من العلماء وزلاتهم ، تحت مسمى الوسطية والمعاصرة والتيسير .. وهون من فكر التأويل والتعطيل والتفويض فى الصفات الربانية ، بعوارض العقل والمجاز وأحداث الآحاد ، وسفه حقيقة الخلاف الدائر بين علماء السلف وبين الخلف بشأنها ، بحجة أن زمنه قد تولى وانتهى ،

ودعا إلى التقريب بين الإخوان وبين أصحاب المذاهب الشاذة ، ليجمع الناس باختلاف ألوانهم حول فكر الجماعة ، وليخفف من الخطر المفروض عليها من قبل الحكومات الإسلامية ، ومن أقواله فى ذلك : « إن المعركة اليوم ليست مع الأشاعرة ولا الماتريدية ولا المعتزلة ولا الجهمية ، إن معركتنا الكبرى مع الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا نبوة ولا بكتاب ، ليست معركتنا مع الذين يقولون عن الله ليس له مكان ، بل مع الذين يقولون ليس له وجود » (وجود الله ص/ ٧) .

وهذا استخفاف بمقول المسلمين .. فالقاصي والداني يعلم أن ليس للإخوان معركة مع المؤولة ، الذين ينكرون صفات الله تعالى كما قال ، وليس لهم معركة مع الشيوعيين ، الذين ينكرون وجود الله تعالى ، لأنهم يجوزون قيام أحزاب لهم تقوم على مبادئهم وتدعو إلى أفكارهم . وهذا ثابت فى أدبياتهم .

أحكام علماء الدين ..

من أجل تلك التقلبات الفكرية السابق ذكرها وعدم وضوح المناهج والعقائد فى دعوة الإخوان لم يستطيع العلامة العثميين أن يحدد ماهية عقيدة الإخوان ، قائلا: « والله ما نعرف عن الإخوان المسلمين ما هى عقيدتهم » (انظر الفتاوى المهمة . ص ١٧٤ /) .

وقد شهد جمع آخر من الأئمة أن الإخوان ليسوا من أهل السنة والجماعة .. وقد قال عنهم شيخنا العلامة محمد حامد الفقى " مؤسس أنصار السنة بمصر " : " الإخوان خوان الفرق " . وقد أخبرنى بذلك شيخنا العلامة محمد عبد الوهاب مرزوق البنا (حفظه الله) ، حيث قال : " إن الشيخ محمد حامد الفقى أسماهم : " خوان الفرق " - بكسر الحاء وتشديد الواو - والشيخ مقبل بن هادى الوادعي أسماهم " الإخوان المفلسون " فهم : " اخوان المفلوسن " أه فجمع (حفظه الله) بين مقاله الشيخان (رحمهما الله) .

وأخبرنى شيخنا الأستاذ عبد العزيز عاشور عن والده أن الشيخ محمد حامد الفقى التقى بالشيخ حسن البنا مع جمع من أئمة المصلحة فقال له : " أنت حاطب ليل " وقال لأئمة المصلحة " لا تقولوا إنكم تعبدون الله . فمعمودكم لا صفات الله . والله له أسماء وصفات ثابتة فى الكتاب والسنة ..

وحاطب الليل هو الذى يجمع من حشاش الأرض بالليل وقد تلذغه الحية . أو هو الذى يجمع الفس مع الثمن . وما يضره بجوار ما ينفعه .

وليس أمرا غريبا أن يلحق أحد من الناس بأهل البدع والأهواء ، فتلك قضية كبرى ، لا يتصدر لها إلا أهل العلم المشهود لهم بالدين والدراية غير أنه إذا وقع إنسان فى أى محذور من المحاذير الآتية فقد اتصف بصفات أهل البدع :

١- رد أصل من أصول الدين ، أو رفض قاعدة من قواعد الكلية .

٢- كثرة الوقوع فى المخالفات الفرعية ..

٣- التصدر للعلم بغير أهلية ..

٤- بغض أهل الحديث وعلماء السلف (رضى الله عنهم) والتشنيع عليهم بأنهم حشوية ومجسمة وناية وبدو ، أو القول بأنهم علماء حيض ونفاس ، أو أنهم من أصحاب الكتب الصفراء . الخ

٥- التعصب للأحزاب والأشخاص والولاء والبراء فى غير الله تعالى .

٦- إثارة الفتن وتهيج العامة وعدم اقتفاء الطرق الشرعية فى مناصحة الحكام ..

٧- الفناء على أهل البدع والتقرب إليهم ومعاداة من يحذر من مساوئهم .

وكثير من أفراد الإخوان ينطبق عليه تلك الأوصاف أو بعضها ، ولأجل ذلك اتفق كبار مشايخ الأزهر فى مصر فى الحكم عليهم قبل أن يحكم عليها أى طائفة أخرى من طوائف المسلمين .. وذلك بعد جرائم القتل التى وقعت منهم فى مصر فى الأربعينات والخمسينات من القرن الماضى ..

وفى عام ١٩٥٤م .. أعلن مشايخ الأزهر أن جماعة الإخوان تستخدم الدين لكسب ثقة الناس فيهم ، وأنها انحرفت عن منهج القرآن والسنة .

وقد نذل ذلك الأستاذ عباس السيسى " فى كتابه (فى قافلة الإخوان . ص / ٥٦٣) ، قائلا : « أعلنت جماعة كبار العلماء بالأزهر رأى الإسلام فى عصاة الإخوان فاستتكرت فى بيان أصدرته أس ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م انحراف هذه العصاة عن منهج القرآن فى الدعوة .. وجاء فى البيان : « فهذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف تنجبه به إلى الشعب المصري الكريم وإلى سائر المسلمين ، وتحت عنوان " التستر بالدين " « وقد ابتلى المسلمون فى عصورهم المختلفة بمن أخذوا بتلك المبادئ على غير وجهها الصحيح أو لعبت بقولهم الأهواء فجعلوا منها باسم الدين وسائل يجذبون بها ثقة الناس فيهم ويسترون بها للوصول إلى غاياتهم ومطامعهم .. والتاريخ الإسلامى حافل بأبناء تلك الطوائف التى انبعثت من خلاله ثم كانت حربا عليه أشد من حرب أعدائه . الخ » إهـ

مبتدع ، ومن كان لا يعلم المنهج وهو يظن أنه ينصر الإسلام والمسلمين فيعتبر مخطئاً « تحفة المجيب . ص/ ٢٠٣) ... وقال بشأن حسن البناء - الذى أثنى عليه من قبل - : « وكذا حسن البناء ما كنت ملماً بأحواله وبعد قراءة ما كتب فى بيان أحواله : فإذا الرجل مبتدع زائف » (المخرج من الفتنة . ص/ ٩٩) .

ونفس الأمر بالنسبة للإمام المحدث الشيخ الألباني .. فقد ظن فى الشيخ الغزالي ظناً حسناً ، وذلك حين طلب منه تحقيق كتابه "فقه السيرة" قال :

« فسارعت إلى تخريجه ظناً مني يومئذ أن ذلك كان منه اهتماماً بالسنة والسيرة النبوية وحرصاً على صيانتها من أن يدخل فيها ما ليس منها » ..

ولكنه حين تبين له أمره رماه بالاعتزال ، وقال عنه : « وفى كتابه الأخير (السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث) فقد تبين منه للناس أنه معتزلي المنهج وأنه أصبح لا قيمة عنده لجهود الأئمة الفقهاء فيما وضعوه من الأصول وفرعوا عليها من الفروع فإنه يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء دون ارتباط بأصل من أصولهم أو قاعدة من قواعدهم » (صفة صلاة النبي (ص/ ٦٦-٦٨)

ونفس الأمر بالنسبة لبعض علماء اللجنة الدائمة ، التى كان يرأسها الإمام العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله) لم يتكف لهم حال الإخوان انكشافاً كاملاً ، فحكموا عليهم بحسن الظن فيهم ، لكثرة ما سمعوا من ابتلائهم فى الدين ، وجهادهم ، وأنهم معظومون للسنة وأهلها ، وما أظهره بين أيديهم من البكاء ، إبان هرويبهم من مصر فى زمن عبد الناصر ، فقالوا كما فى فتاوى اللجنة الدائمة رقم ٦٢٥٠ : « أقرب الجماعات الإسلامية إلى الحق وأحرصها على تطبيقه أهل السنة وهم أهل الحديث وجماعة أنصار السنة ثم الإخوان المسلمون ، وبالجمله فكل فرقة من هؤلاء فيها خطأ وصواب . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم » أهـ .

ولكن حين انكشف حالهم ، واتضح فكرهم قالوا فيهم ما يستحقون من النقد والتجريح ، وجعلوهم من الفرق الخارجية النارية ، ومنعوا التعاون معهم ، إذا أبوا قبول النصيحة ..

مراحل متعددة وأحكام منسوخة ..

وقبل الشروع فى بيان ما انتهى إليه الأئمة من الحكم على جماعة الإخوان ينبغي أن يعلم أن من أثنى من الأئمة عليهم فى زمن من الأزمان إنما كان من قبل أن يستبين حالهم وتوضح صورتهم ، أما حين ظهرت مناهجهم ، وانكشفت أفكارهم ، التى كانوا يفتنون فى إخفائها من قبل عن العلماء والأمرء يستور متنوعة من الأقوال والأفعال ، فإنهم لم يختلفوا فى الحكم على أنهم من أهل البدع . وعلماء الجرح والتعديل يقولون : « الجرح المفسر مقدم على التعديل » وارجع إلى علم الرجال لترى كيف كان الأئمة يحدثون عن رجال ثم انقطعوا عنهم ، لما تبين حالهم . وفى المرتبة الخامسة من مراتب الجرح والتعديل يقولون : « فلان تغير بآخره » .

وبسبب عدم اتضاح حقيقة جماعة الإخوان لكثير من العلماء كان المحدث مقبل بن هادى الوادعى (رحمه الله) يذكر الإخوان بالخير حتى بين فى كتابه (المخرج من الفتنة) أنهم مجتهدون فى الدعوة إلى الله تعالى . غير أنه كان ينفى عنهم صفة العلم ، وقال فى نفس الكتاب (ص/ ١٠٧) : « ما الإخوان المسلمون رجال علم ، بل ينفرون عن العلم ويقولون لبعض أبنائنا : إنكم تشغلون أنفسكم بالحديث ورواه فلان وأخرجه فلان وهذا حديث متفق عليه ، فحالهم كما قيل :

أنا أن سهلاً لم جهلاً
علوما ليس يديهم سهل
علوما لو دراها ما قلاها
ولكن الرضا بالجهل سهل . أهـ

ولكن حين انكشف أمرهم جرحهم ، ولم يذكرهم بخير ، وقال فى هامش كتاب (المخرج من الفتنة ص/ ٩٨) : « أعلم أثنى كتبت هذا قبل أن أتم بأحوالهم : لأن هذا الكتاب يحمد الله من أوائل الكتب فى الرد عليهم ، وبعد ذلك كشف الواقع كثيرا من أحوالهم الزائفة » أهـ وقال فى حق من ليس بداعية لضلالة أو رافعا لرؤية منهم : « موقف أهل السنة والجماعة من الإخوان المسلمين أنهم يحكمون على منهجهم بأنه منهج مبتدع ، وعلى أفرادهم بأنه من كان يعلم بالمنهج ويلتزم به فإنه

وكان في مقدمة من تصدر أمر التحذير منهم العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، فقال إنهم من الاثنيتين وسبعين فرقة . وذلك حين سئل عن حديث النبي ﷺ: .. « واستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قلنا : من هم يارسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » . فقال سماحته : من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة دخل في الاثنيتين وسبعين فرقة .. ومن أظهروا ابتداعهم من الاثنيتين وسبعين فرقة .. والفرق فيهم الكافر ، وفيهم العصي وفيهم المتبدع .. السائل : هل هاتان الفرقتان - يعني التبليغ والإخوان - من الاثنيتين وسبعين فرقة ؟ فأجاب سماحته : من الاثنيتين وسبعين فرقة .. والخوارج من اللنتين وسبعين فرقة [أسئلة الطائفت تسجيل سنة ١٤١٩هـ] وقال أيضا : « فكثير من أهل العلم يتقنون على الإخوان المسلمين هذا الأمر ، أي : عدم النشاط في الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له ، وإنكار ما أحدثه الجهال من التعلق بالأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم ، الذي هو الشرك الأكبر ، وكذا ينتقدون عليهم عدم العناية بالسنة » (مجلة " المجلة " ٢٥/٢/١٤١٦هـ) ..

وعلى الرغم من شفاعة العلامة ابن باز في سيد قطب عند عبد الناصر حين حكمت عليه محكمة الشعب بالإعدام في الستينات ، بسبب تنظيم ١٩٦٥م إلا أنه لما تبين له حاله قال عنه : " مسكين ضائع في التفسير .. ينبغي أن يؤدب "

وذلك كما في كتاب (براءة علماء الأمة . ص / ٢٨) وفيه : « ولما قرئ على الشيخ ابن باز قول سيد في (الظلال ص ٢٣٢٨ - ٣٤٠٨) عن الاستواء على العرش : (كتابة عن الهيمنة) . قال : « هذا كله كلام فاسد باطل يدل على أنه مسكين ضائع في التفسير » ، وقال عمن يوصي بقرائة الظلال : « لا .. لا .. غلط ، سنكتب عليه إن شاء الله » أهـ . ومن قرئ عليه سب سيد قطب لمساوية وعمر بن العاص في كتابه (كتب وشخصيات . ص ٢٤٢ - ٢٤٣) قال : « إن سبه لبعض الصحابة أو واحد منهم منكر وفسق يستحق أن يؤدب عليه ، لكن إذا سب الأكثر أو فسقهم يرتد لأنهم حملة الشرع ، فإذا سبهم قدح في الشرع » وقال :

« كل هذا كلام قبيح وكلام منكر » (المصدر السابق. ص / ٣١) وقال عن تلك الكتب التي حوت تلك الطعون : « يجب أن تحرق » (المصدر السابق ص / ٣٢) .

ولما قرئ عليه ما قاله سيد قطب في حق نبي الله موسى (عليه السلام) .. الذي اصطفاه الله تعالى بكلامه وخط له التوراة بيده .. حيث صورته في صورة الزعيم المنذع العصي المزاج ، بقوله : « لتأخذ موسى . إنه نموذج للزعيم المنذع العصي المزاج » (التصوير الفني في القرآن . ص / ٢٠٠) وقال في نفس كتابه ص / ٢٠١ : « ثم لندعه فترة أخرى لترى ماذا سيفعل الزمن في أعصابه » أهـ

قال العلامة ابن باز : « الاستهزاء بالأنبياء ردة مستقلة » (تسجيلات منهاج السنة بالرياض ١٤١٣هـ) .

أقوال الأئمة... في الإخوان

هذه بعض أقوال أئمة السلف وأهل الحديث ، التي تؤكد حقيقة تصنيف حركة الإخوان المسلمين من جملة الفرق المبتدعة ، وهي كالآتي :

١- حكم المحدث الشيخ محمود شاكر

أـ قال : « أنتم تذكرونني بأمرين : صلابة أصحاب العقائد والمحكوم عليهم بالسجن المؤبد من مجرمي ليমান طرة .. رجال العصابات في الصعيد عندنا أولاد الليل لا يعرفون الخوف .. ما رأيتم نظراتكم هذه إلا عند أولاد الليل في الصعيد » (مذكرات عبد العزيز كامل/ ص ٦٦) .

ب- قال : الإخوان ضحالة فكرية وتعصب لا يستند إلى دليل ..

قال الدكتور عبد العزيز كامل : « ناقشوه في أمر الإخوان ، فوجد في أكثرهم ضحالة فوجيء بها ، وتعصبا لا يستند إلى دليل ، وسرعة إلى النتائج دون تثبت. وازداد الجو توترا وبدأ ينفر من بعض تصرفاتهم ، ومن تصرفات الإخوان في الفترة السابقة . واشتد الحوار وارتفعت حرارته . ورأوا فيه عدم احترامهم لقيادتهم واستخفافا بجهودهم وتخطيطهم لمتجههم ، ورأى فيهم صورا من التعصب الضيق والإسراع بالحكم على الناس ولو بالكفر واستباحة الدم . وفي يوم اشتد غضبه وضاق بهم ذرعا وقالها في عنف فاطر : الذي يريد أن يتعلم مني أو يتناقش مني فليترك ما في رأسه مع حذائه الذي يخلعه عند بيتي . وكانت هذه الفاصلة بينهم وبينه » أهـ

ج- قال : الإخوان أسراع بالحكم على بالناس بالكفر واستباحة للدماء .

قال الدكتور / عبد العزيز كامل : « ذهبت إليه بعد ما فوجئته فيه الغضب والحزن .. كانت الدموع في عينيه وهو يحس الخطر المحقق الذي يتهدد إليه الإخوان وخاصة في موضوع الدم .. لقد دافعوا أمامه عن الإخوان فيما نسب إليهم من

حوادث النسف أو القتل واعتبروا هؤلاء معتدين عن الإسلام يستحقون القتل .. هكذا تحكمون على الناس بالكفر ؟ تحكمون . من أنتم ؟ وهل يعطى الإسلام أى مسلم الحق في دم أخيه لأى سبب ؟ وأين ذهب أحاديث رسول الله ﷺ لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما * كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (مذكرات عبد العزيز كامل/ ص ٦٧)

٢- ليسوا من أهل السنة ..

قال العلامة المحدث الإمام محمد ناصر الدين الألباني (رحمه الله) : « ليس صوابا أن يقال إن الإخوان المسلمين هم من أهل السنة لأنهم يحاربون السنة » (تسجيلات منهاج السنة بالرياض).

٣- يسعون إلى التحكم بضراوة .

قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد (حفظه الله) : « وأما أبرز أهداف هذه الفرقة فهو الوصول إلى سدة الحكم في البلاد الإسلامية ، لذلك يبذل قادتها الغالي والنفيس في سبيل هذا الهدف ، ولو وصل الأمر إلى الانحراف عن الصراط المستقيم عقيدة ومنهجها » (الفوائد لأبي عبد الله الأثري) ...

وقال أيضا : « جماعة الإخوان من دخل معهم فهو صاحبهم يوالونه ، ومن لم يكن معهم فإنهم يكونون على خلاف معه ، أما لو كان معهم ولو من أخبث خلق الله ، ولو كان من الرافضة فإنه يكون أخاهم ويكون صاحبهم ؛ بل ما من مناهجهم أنهم يجمعون من هب ودب » (تسجيلات منهاج السنة بالرياض).

٤- متلونون ، لا يحترمون السنة .

قال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :

« أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتنم والخلفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم ، وعدم إظهار حقيقة أمرهم ، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها (تسجيلات منهاج السنة)

٦- ليسوا على أساس .

قال شيخنا الدكتور/ سعد عبد الرحمن ندا (حفظه الله) الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقا : « إن دعوة الإخوان باءت بالفشل ، لأن الأساس الذى بنيت عليه دعوتهم كان هشاً ، فلما ساروا عليه لم يتحمل البناء ، بل انهار شيئا فشيئا ، حتى ذرته الرياح ، وكان شيئا ما كان » أهـ

وقال : « فإن حركة الإخوان المسلمين ظهرت فى مصر فى وقت كانت عقول الهداة فى راحة من إجهاد الفكر ، وأخذت الجماعة تستقطب أجيالا غضة ، لأنفسهم معالى الأمور ، ولا تدرى مغازيبها ، ولا تستوعب ما تنطوى عليه ، واستمرت فى التركيز على كل مرحلة ، وكل مرحلة لها قدرها من الفهم ، مع إغرائهم بما ينشئون به بالجماعة وأنشطتها ، حتى سيطرت على العباد ، ونشرت بينهم الطاعة التامة التى لا تقف أمامها معارضات أو انتقادات - أو ما يسمى بالطاعة العمياء - حتى جرتهم إلى التدريب والكشف . ثم انتهى الأمر بعد الصدام مع الحكومات أن أغلقت مقارها وألغيت أنشطتها ، وزج بأغلب أعضائها فى السجون ، وهرب بعض منهم إلى خارج البلاد ، وحاولوا مرات إلى إعادة تجميع أنفسهم فى دولة بعد دولة فكانوا يتجمعون تارة ويفشلون أخرى ..

ورغم كل هذه المحاولات المتتابة لم يهتد معظمهم إلى تحديد أغراضهم وتعيين أهدافهم التى ييغونها ، ومع ذلك عاشوا يعادون دعاة السلفية والداعين لعقيدة التوحيد ..

وقد قبض الله تعالى أcha سلفى العقيدة ، ونصيراً للسنّة المطهرة ، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أذكرى على الله أحدا ، وهو الشيخ على بن السيد الوصفى ، فالف كتابا قيما بعنوان (الإخوان المسلمون) وأخذ يكشف أسرارهم التى خفيت على كثير من الناس فضلا عن أهل الدين ، وقد استخرج المؤلف كثيرا من أخطاء حركة الإخوان تشير إلى أهميتها فيما بعد ،

ولو أننا أتينا على باقى النقاط لطال القول ، ومن ثم فيغنى عن ذلك أن يركز

القارىء فى هذا الكتاب فيستوعب خلاصة النقاط وباقيها المفصلة تفصيلا جيدا كى يدخر الوقت لهضم ما قرأ . وأعود هنا إلى تلخيص أهم أخطاء الجماعة فيما يأتى :

١- فهم يهربون من النصيحة ولا يجيئون مواجهة المخطئ ، وبذلك ينتشر المرض فى الأمة انتشارا واسعا ، ويتغلغل فى قلوب أبنائها ، وينهار كيانه ... وعلى أى أساس تقوم الخلافة التى يحتمون قيامها قبل كل شيء من أمر الدين ؟

أنقوم على رصيد ضخم من البدع ؟ إذن لا يضمن بقاؤها مع حشد البدع الذى يملأ آفاق الأمة . مع أن الرسول يقول : « الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله ؟ قال لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » . ويبدو أن كراهيتهم لمواجهة المخطئ ونصحه ، هو خوفهم مما يزعمون من تفرق الأمة بالمواجهة ، وبث النصيحة ، حتى يبقوا على حب الناس لهم . ولذا قبلوا المبتدعة ملحقين بالجماعة كمستشارين : فساهموا فى نشر البدع والخرافات فى صفوف الجماعة ، وبدأت الجماعة تنحل ، وتتخلخل قواعدها ، ويعتريها الضمور ..

٢- تقسيم الدين إلى قشور ولباب لمن دعاهم إلى السنّة : وهذا تقسيم مبتدع ، لأن الدين كله لباب ليس فيه قشور ، فاللباب هو الشيء الهام الذى لا يستغنى عنه ، أما القشور فهى الغطاء لهذا اللباب ويمكن أن يستغنى عنه .

٣- التفتية فى أمور الدين ، بمعنى أن يظهر المرء على لسانه خلاف ما يظن ، وهذا ولا شك نفاق يتعامل به المرء إن أراد إخفاء حق يخشى ظهوره - وهذا من أخطر الأمور ، لأن الله تعالى قال : «إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا» [النساء . ١٤٠] .

٤- دعوتهم إلى التقريب بين الشيعة وأهل السنّة : والشيعة يكرهون أهل السنّة كرها شديدا ، ويسبون الصحابة رضى الله عنهم ، ويتنصرون من قدرهم ، كما يسبون أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، ويتهمونها بارتكاب الفاحشة ، وحاشاها ذلك ، فقد برأها الله تعالى من فوق سبع سموات بقرآن يثلى إلى أن تقوم الساعة .. كما أنهم يحرفون قرآننا المجيد ، ويردون جميع الأحاديث الصحيحة التى وردت فى

صحيحى البخارى ومسلم وفى جميع كتب السنة الصحيحة بزعم أن روايتها ليسوا من نسل على بن أبى طالب وزوجته فاطمة رضى الله عنهما - فضلا عن ذلك فإنهم لا يأتون فى صلاتهم بإمام من أهل السنة ويفضلون الصلاة فرادى - والشيعية التى يجهلها الإخوان ويصادقونهم يتمنون القضاء على الدعوة السلفية وأهلها ؛ لأنها تكشف عورهم ، وتبين أساليب مكرهم وخداعهم ، لذلك رأى مؤلف هذا الكتاب أن يكشف حقيقة الصلة بين الإخوان والشيعية ويوضح الخصائص الرئيسية للدعوة السلفية ونظامها وما تحرص عليه ، ما تحبه وما تبغضه كما بين العبادات التى كان عليها السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وحذر من البدع التى انتشرت بشكل خطير بين أولئك الذين يزعمون أنهم حريصون على تطبيق شرع الله سبحانه مهما كانت العقبات والمعوقات .

٥- حرصهم على الزعم بوحدة الكلمة واجتماع الصف فى مقابل إهمال دعوة التوحيد : مع أن دعوة التوحيد هى أساس الدين عند جميع المرسلين ، يقول تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء . ٢٥] ويقول سبحانه : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحيطن عملك ولنكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [الزمر ٦٥- ٦٦] .

وحركة الإخوان لا تقيم وزنا لعقيدة التوحيد، ولا تلقى بالا لأقسام التوحيد التى أكد عليها أهل السنة والجماعة ، وهى توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية الذى يتضمن توحيد العبادة لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وتوحيد الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وتوحيد المتابعة لرسولنا محمد ﷺ - هذا التوحيد الذى لا تصح عبادة الفرد إلا إذا أسست عليه ، والذي جاء به المرسلون جميعا ، والذي من أجله خلق الخلق ، وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وخلق الجنة والنار . هذا التوحيد الذى لا تحب حركة الإخوان الدعوة إليه ولا حتى الإشارة إليه ، بزعم أنه يفرق الأمة ، ويشتت شملها ، ولا يجمعها على كيان واحد ، ولا تسعى حركة الإخوان جاهدة إلا إلى جمع أفراد الأمة مهما كان اعتقادهم ، ولا يهمهم أن يجمع سنى مع شيعى

وصوفى ، وموحد مع مشرك ، وأشعرى مع سنى ، وخارجى مع معتزلى ، وقدرى مع مرجئ ، وملتمز بالنسبة مع راد لها غير مصدق بها ، ومستمسك بالدين الحق مع مخلط فى دينة .. المهم أن يجمع هذا الحشد الجامع مهما كانت عقائدهم واتجاهاتهم .. وهل جاء رسول الله محمد ﷺ واستمر يناضل ويكافح مدة ثلاث وعشرين سنة حتى يجمع هذا الغناء ؟ ويوحد هذا الخليط الذى لا يكون أمة واحدة متجانسة فى بدايتها ومسيرتها ونهايتها . هل كل هذا الجهد والتعب الذى لقيه إمام الهدى محمد ﷺ والمؤمنون معه يكون مصيره هذا الجمع غير المتآلف من الناس المتنافرين فى كل شئ ، وغير المجتمعين على شئ ؟

هل هذا الجمع غير المقبول هو الذى أمر به الله تعالى ورسوله بأن يقوم على بنائه وتكوينه فى قوله تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الأنبياء . ٩٢] .

وهل جميع إمام المرسلين محمد ﷺ لدعوة التوحيد أشتات الناس المتعادين المتحاربين المتخاصمين ، أم فرقهم ؟ ..

لقد كان الفرد قبل الإسلام يخاصم جاره أو من يتعامل معه لأوهى الأسباب ، وتنشب بينهم الحروب وتستمر قرابة المائة عام يهلك فيها الحرث والنسل ويدمر فيها الأخضر واليابس ، وبظهور هذا النبى الكريم انتهت جميع المشاحنات والخصومات والعداوات ، وأصبحوا بنعمة الله تعالى إخوانا متحابين متعاونين ، يؤثر الواحد أخاه على نفسه ولو كان به خصاصة ، نشأ هذا الإيثار الذى لا يوجد فى أى مجتمع فى العالم ، بل إن مجتمعات الناس فى هذا العصر لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تجمع حتى بين اثنين أو ثلاثة على أساس هذا الإيثار الرائع ، الذى لم تعرفه أمة من الأمم فتكونت به أمة محمد ﷺ ، أمة التوحيد ، ولما يسر الله عز وجل لرسولنا النظم (المؤمنين) معه إقامة هذه الدولة أثنى عليهم فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة فقال سبحانه : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران (١١)

٧- خَوارج انقلابيون

قال الشيخ حسن عبد الوهاب مرزوق .. أستاذ العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقا : « فقد طلب مني الابن الشيخ / على بن السيد الوصيفي أن أقدم ليحته بعنوان " الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي . دراسة تحليلية لتاريخ ومذاهب جماعة الإخوان المسلمين .. » والذي جمع فيه الدقة في العلم والبحث ، وجمع المعلومات الصحيحة والاستقصاء والتحليل والاستنتاج ، وهذا والله أعلم ليس إطرأ له ، ولكنه اعتراف بالواقع من خلال قراءتي لأكثر من بحث من بحوثه فضلا عما سمعته من محاضراته ، والتي كان يلقيها في المركز العام لأنصار السنة في القاهرة في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وأسأل الله أن يوفقه وإيانا للمعلم النافع والعمل الصالح والله حسيننا ولا نزكى على الله أحدا .

ثم هلا تسمحوا لي معشر الأخوة والأخوات الذين يوفقون للاطلاع على هذا البحث أن أعرض لكم بعض ما مرى من فترة من حياتي في نفس مجال البحث ، الذي نحن بصده ، فإن الأمر الواقع هو المرجع الأول لصحة المعلومات المطلوبة في كل أمر بعمامة وفي أمور الدين بخاصة حتى يتسنى لأهل الحنفية السمتة أن يزونا الأمور المعروضة بميزان الشرع ويعرضوها بكل أمانة على كل من يتحرى الإنصاف في حكمه ، لأن القاضى العادل لا يحكم على الأمر المعروض دون أن يسمع حجة المدعى والمدعى عليه فيجذب بذلك القسطاس المستقيم . بفضل من الله تعالى عرفنى شقيقى الأكبر فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا بجماعة أنصار السنة المحمدية والتي كان قد انتسب إليها بعد جولات له في الطرق الصوفية والجماعات التي كانت على الساحة كالجهمية الشريعة والإخوان المسلمين ، حيث كانت جماعة أنصار السنة المحمدية غير معروفة لدى الكثيرين لأن منهاجها مخالف لمنهاج غيرها ، والذين لا يذكرون الناس بتوحيد النعباء ، ولا يتكلمون في توحيد الأسماء والصفات إلا بالتأويل والتعطيل والتفويض بما يخالف مذهب أهل السنة والجماعة . الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى .. ثم التقيت ببعض شباب حركة الإخوان المسلمين ، وكنت أراهم يداومون على الصلاة ويظهرون التحمس للإسلام والغيرة عليه بصفة عامة ، وكنت أعرض عليهم منهاج دعوة أهل السنة والجماعة على النحو السابق ، كانوا يعارضونه

ثم أعطى الله تعالى المؤمنين وعدا صادقا إن هم حفظوا له التوحيد بعبادته وحده وعدم الإشراك به فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونى لا يشركون بى شيئا ﴾ [النور. ٥٥] ..

ولما أمرنا به رسولنا الكريم محمد ﷺ : «الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» - توجه نحن السلفين أهل السنة والجماعة أهل التوحيد الخالص والسنة المطهرة توجه النصيح إلى البقية الباقية الطامحين إلى محاولة عودة الإخوان مرة أخرى في أى مكان على سطح الأرض أن يتصرفوا عن هذه المحاولة ، ويلفتوا أنفسهم إلى ما أمر به الله تعالى المرسلين والمؤمنين إلى دعوة التوحيد في قوله : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل. ٣٦] وذلك حتى يكونوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات لحشية ربهم كما قال تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ [البينة ٧، ٨] .

نسأل الله جل وعلا أن يثبت قلوبنا وقلب مؤلف هذا الكتاب وقلوب الموحدين في جميع أنحاء الأرض ، وأن يهدي قلوب المعادين لعقيدة التوحيد إليها ، والتافرين منها ، إلى الالتفات إليها والالتزام بها . كما نضرع إليه سبحانه وتعالى أن يختم لنا بعقيدة التوحيد ختام الإيمان ، إنه سبحانه على ذلك قدير ، وبإجابة ضراعتي إليه جدير . وصلى الله وسلم وبارك على عبده الكريم ورسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا .

محتجين بأن المرشد العام للجماعة يحذرهم من هذا العرض ؛ لأنه يفرق المسلمين ويركزون دعوتهم في ضرورة إقامة الحدود ، ويحكم الشرع عن طريق حكومة إسلامية يتظلمون إليها إن عاجلاً أو آجلاً ، ولو عن طريق العصيان المدني ، ومجاهدة الحكام ، والذين يعتبرونهم كفاراً أو ظالمين وفاسقين متاولين الآية الكريمة : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» ثم شاء الله أن أتوجه مع بعض شبيبة الإخوان لزيارة فضيلة الشيخ حسن البنا المرشد العام للجماعة (رحمه الله) بالمركز العام للجماعة بميدان الحلمية ، ووافق ذلك درس الثلاثاء الأسبوعي عندهم ، فاستمعت إليه في وسط الهتافات والتكبيرات والتحميدات ، وكان له تأثير كبير على الجماعة ، ويعتبرون كلامه ومحاضراته وخطبه كمنهج يسرون عليه ، فلا حظت في كلامه حماساً ، وتطرق إلى أكثر من موضوع وكان يربط بينها وبين الإسلام بالآيات والأحاديث ، وكان خطيباً ومحاضراً لنا يستمر على ذلك ربما لوقت طويل ، ولكنه لم ينطرق إلى الصدع بالمعتقيدة الإسلامية الصحيحة ، فلم يذكر هذه المجموع الزاخرة بتوحيد العبادة ، وتوحيد الأسماء والصفات ، مشيراً أو قاصراً استدلاله على توحيد الربوبية ، فكان كلامه في الإسلام عاماً ، يمكن أن يرضى به كل صوفي أو أشعري أو معتزلي أو شيعي أو خارجي .. ولكن المسلم الذي استوعب عقيدة الفرقه الناجية لا يروى له غليلاً ولا يشقى له غليلاً ..

فالله تعالى جعل لنا فرقاناً وسبب لنا شيوخاً كانت هذه الدراسة هي شغلهم الشاغل ، والذين كانوا ينظرون في خطيبهم ومحاضراتهم إلى كل أمور الشرع . ولكنهم لا يدعون خطبة إلا ومحاضرة إلا ويعرجوا في كلامهم على الدعوة إلى توحيد العبادة مع توحيد الربوبية ونبذ التوسل بالموتى والتعلق بالقبور والتقليد الأعمى للأبناء والشيوخ دون دليل من الكتاب أو السنة ، وكذلك توحيد الأسماء والصفات ، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة المايين لمذاهب الفرق المخالفة لذلك من أشعرية ومعتزلة وشيعية وغيرهم ، والتي يأبى أن يتكلم فيها الإخوان المسلمون حرصاً على جمع الأمة على عقائد مختلفة كما يدعون... فيقدر ما لستنا من حماس فضيلة الشيخ وحماس الأتباع بقدر ما أقلقني عدم التزام الجماعة الكبيرة بمذهب أهل السنة والجماعة في

الأصول ، وكذلك بالنسبة لجريدة " الإخوان المسلمون " ومجلة الجماعة وكنت أقرأها فلم أجد فيها ما كنت أمليه في هذه الجماعة الحركية .

ولقد حدثنا إخوة من المؤنوق بهم عن لقاء تم بين فضيلة الشيخ حسن البنا(رحمه الله) ومعه بعض قادة الإخوان في مقر جماعة أنصار السنة المحمدية (١٠) حارة الرمالشة بعابدين) مع فضيلة الشيخ محمد حامد الفتحي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية (رحمه الله) ومعه بعض إخوانه وعرض عليه الشيخ حسن البنا أمر التعاون في الدعوة فسأله الشيخ حامد الفتحي إلى أى شئ ندعو؟

قال الشيخ حسن البنا : إلى الإسلام بعامه .. قال الشيخ حامد : نبدأ أو نؤسس على التوحيد (عقيدة أهل السنة والجماعة) . فرد عليه الشيخ حسن البنا معترضاً : إذن ينفض عنا الناس .. وأصر كل منهما على موقفه ثم تقابلا أكثر من مرة ولم يتفقا ، واستقل كل منهما بأسلوبه الذي دأب عليه .

هذا وإزاء ما قرأته في هذا السفر الذي ذكرت فيه الوقائع الثابتة بأدلتها الشرعية بالمعايير الدقيقة لعقيدة أهل السنة والجماعة ، والتي اتضح منها أن فضيلة الشيخ حسن البنا لم يصرح بعقيدة أهل السنة والجماعة في دعوته ، ولما صرح به في مؤلفات الجماعة من عقائد أشعرية ومعتزلية وصوفية ، وفي تطبيقه للعقيدة حركياً اتبع أسلوب الحوار ، كما ينضح ذلك في كتب أساطين الإخوان المسلمين مثل سيد قطب وغيره ، فضلاً عن نظراته إلى بقية الجماعات على الساحة وعلى رأسها جماعة أنصار السنة المحمدية ، والتي تدعو إلى عقيدة أهل السنة والجماعة أنها ليست على السبيل السوي وأن جماعته هي الجماعة الرائدة ، والتي يجب أن يسيروا تحت لوائها وإلا سوف يكونون أذلياً بعد أن كان بإمكانهم أن يكونوا رعوساً في حركة الإخوان المسلمين ...

وختاماً : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين ، ويقلب خالص إن شاء الله تعالى أسأل الله أن يرينا الحق ويدلنا على أهله، وأن يوفقنا إلى محبتهم والتعاون معهم على البر والتقوى ، وأن يكون الولاء كله لله

ثم لهم والبراء يكون لكل من خالفهم في الالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة.

أما ما عداها من الأمور الشرعية والتي فيها أكثر من وجه فقد اختلف فيها من هم خير منا عن سبقونا بالإيمان ، وكل يدلي بحجته من الكتاب والسنة ، فيأخذون بالراجح ، وإذا تساوت المسائل فالزم على السنة والأدلة الصحيحة . هذا مع اتفاقهم في الأصول ، وكما كان على ذلك الأئمة الأربعة وغيرهم رحمهم الله . . ولا يظن ظان أننا نفرح لأخطاء المسلمين ونفرقهم ، ولكننا نسعد بتسكهم بالكتاب والسنة على فهم السلف ، ونأسف لغير ذلك ، وموقفنا كذلك مع من سبقنا نبين أخطاءهم ليتقها من بعدهم . . ولا يسمن إلا أن ننبه إلى هذه التلمات والتي وقع فيها بعض السابقين وتدعو لهم بالرحمة والمغفرة محسنين الظن بهم بأنهم رجعوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

مع نصيحتنا للإخوان الحاضرين بالرجوع إلى منهج الفرقة الناجية (عقيدة ومنهاجا) والتعليق على ما كتب من مخالفات المذهب أهل السنة والجماعة في كتب السابقين والحاضرين . وحتى يجتمع الجميع بحول الله وقوته تحت لواء الإسلام إخوة متحابين متعاونين حتى يستخلفنا الله في الأرض كما استخلف الذين من قبلنا ويمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا ويبدلنا بعد خوفنا أمنا ما دمنا بعقيدة صحيحة ولا نشرك بربنا أحدا. ونسأل الله الهداية والتوفيق (اللهم آمين)

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

٧- مفسدون في الأرض ميقضون لأهل الحديث ..

قال فضيلة الشيخ / مجدي بن محمد بن عرفات (حفظه الله) : فإن حركة الإخوان المسلمين (سماهم شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله : الإخوان الفلاسون) وأنا أقول : " الإخوان المفسدون " حقا يستحقون هذا الوصف . أقصدوا العقيدة بتبسيطهم مسائلها ، أقصدوا السنن ببدعهم الكثيرة في الدين ، أقصدوا الدعوة بخروجهم على الحكام ، أقصدوا في التربية والتعليم لأنهم لم يتربوا على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، والتعليم لأنهم لم يتعلموا العلم الشرعي السلفي الصحيح

، فأفهامهم للنصوص بالمرصاد ، وفهم السلف الصالح بالعداء ، موافقين في ذلك أهل البدع ، من الفرق التي حكم عليها سلفنا الصالح بالزنج ، ودربوا شبابهم على هذا المنهج معادين لأهل السنة محذرين منهم واصفين إياهم بكل قبيح ، شأن أهل البدع ، الذين يصفون أهل السنة بالخشوية ، معادين لأهل الحديث في كل زمان ومكان ، واصفين إياهم بعدم الفقه في الدين وعدم الفقه للواقع الأليم - زعموا - وأقول لهم كما قال الأول .

قل لمن عائد الحديث وأضحيا عابئا أهله ومن يدعيه

أبعلم تقول هذا أين لى أم بجهل فالجبل خلق السفية .

أيعاب الذين هم حفظوا الدين من الترهات والتمويه

وإلى قولهم وما قد روه راجع كل عالم وفقسيه .

وقد صح عن النبي ﷺ في شأنهم قوله : نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقير" (رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد ، انظر صحيح الجامع ٦٧٦٣)

قال عنهم الخطيب البغدادي : « وقد جعل الله تعالى أهله يعني أهل الحديث أركان الشريعة وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله من خليقته ، والواسطة بين النبي ﷺ وأمتة ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تنحيز إلى هوى ترجع إليه . مثل الإخوان المفسدين- أو تستحسن رأياً تعكف عليه سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدتهم ، والسنة حججهم ، والرسول (فقتهم ، وإليه نستبهم ولا يعرجون على الأهواء ، ولا يفتنون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رويوا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه والعدول ، حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته...الخ (شرف أصحاب الحديث ص ٨- ٩) .

وذكر حديث النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » (متفق عليه . رواه مسلم كتاب

الإمارة ١٩٢٣) وذكر أن أصحاب الحديث هم هذه الطائفة المتصورة ، وروى ذلك عن البخارى وابن المدينى وابن المبارك وأحمد بن حنبل، وغيرهم ، ومن الناس إلا أولئك؟ ومع ذلك يغيضهم الإخوان المفسدون ويلمزونهم وينزونهم بالألقاب لما هم عليه من الابتداء ، قال أحمد بن سنان : « ليس فى الدنيا مبتدع إلا وهو يغيض أصحاب الحديث ، فإذا ابتدع الرجل نزح حلالة الحديث من قلبه » أهـ

قال الزهرى : لا يطلب الحديث من الرجال إلا ذكرانها ولا يزهد فيه إلا إنائها أهـ .

نعم : أهل الحديث هموا أهل رسول الله وإنهم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا .

أما الإخوان المفسدون فهم يبنون على الحديث وأهله ، يقدمون العقل على النقل ، ويرفضون السنن التى تخالف آراءهم وأهواءهم وطائفتهم ويفهمونها على غير فهم السلف الصالح رضى الله عنهم .. فإذا ذكرتهم تذكرت الصوفية وأصل فرقتهم على التصوف ، وتذكرت الشيعة وأصل فرقتهم يرون التقارب بين السنة والشيعة - فخطرهم على الأمة داهم ، وضررهم على صدرها جائم .. فلذلك انبرى لكشف عوارهم وبيان زيغهم كثير من أهل العلم السابقين واللاحقين ، لأن هذا واجب من واجبات الدين ... أهـ .

الإخوان يطعنون فى الإخوان ...

لم يتفرد أئمة السلف أهل الحديث بتجريح فرقة الإخوان ، وعدها على غير السبيل ، بل شاركهم فى ذلك أساتذة متخصصون ، من أقطار متفرقة ، بل ومن فئات كثيرة من المجتمع ، باختلاف ثقافتهم ، بل ومن أفراد كانوا منهم . ولا أظن قادة الإخوان وشبابهم سيتهمون هؤلاء جميعا بالعمالة ، بسبب ذلك . !

١- سيد قطب ...

أ- السذاجة والضعف النفسي ..

انهم سيد قطب جميع اعلام الإخوان المسلمون بأمرين : والكلام للشيخ يوسف القرضاوى : الأول : السذاجة والبله ، ونحو ذلك مما يتصل بالقصور فى الجانب العقلي والمعرفى .. والثانى : الوهن والضعف النفسي والهزيمة النفسية أمام ضغط الواقع الغربى المعاصر وتأثير الاستشراق الماكر مما يتعلق بالجانب النفسي والخلقى .. والذين يتهممهم بذلك هم اعلام الأمة فى العلم والفقه والدعوة والفكر . وذكر مجموعة أسماء من المشاهير ، منهم : « محمد عبده .. مروا بالشيخ محمد رشيد رضا . الخ وعد من الإخوان : « محمد البهى وحسن البنا ومصطفى السباعى ومصطفى الزرقا ومحمد المبارك وعلى الطنطاوى ومعروف الدواليبى والبهى الخولى ومحمد الغزالى وسيد سابق وغيرهم .. الخ » (أفاق عربية . ٢٩ يوليو ٢٠٠٤م)

ب- ضحالة فكرية ولين فى الدين ..

قال الدكتور / عبد العزيز كامل " عضو مكتب الإرشاد السابق " : « كانت هذه أول تجربة لسيد قطب فى اعتقاله مع الإخوان .. والاعتقال حياة كاملة ، أقرب ما يكون فيها شيها بالأشعة السينية على الإنسان وكثير من مواطننا تبدوا فى الاعتقال على ظواهرنا .. ولا شك فى أن سيد قطب صدم فى كثير مما رأى ، وفى بعض من رأى وبخاصة فى المستويات الإدارية العليا للإخوان .. ورأى الرجل فى بعضهم ضحالة فى الفكر واضطرابا ولينا فى الدين .. كان صدمة له .. ولم يكن يخفى ذلك

عندما تلاقينا..» (مذكرات عبد العزيز كامل ص/ ٢٨، ٨٣)

٢- محمد الغزالي....

١- جماعة مخترة من المساوية العالمية...

قال : « ولقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان ، ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخترق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته » (من معالم الحق ص/ ٢٢٤)

ب- جنبنا في حياة حسن البنا ...

قال : « كان هؤلاء الجبناء في حياة حسن البنا يقولون يده ظهرا ويطنا ، فلما ولى هرعوا إلى القصر الملكي ، يقيدون أسماءهم في سجل التشريفات ، ويهادنون أعضاء الحزب السعدي ، وينظرون إلينا شذرا إذا سألناهم معاتبين أو جادلناهم محاسنين » (من معالم الحق ص/ ٢٢٢)

ت- حقيقيون فاشلون في الإدارة ...

قال : « فإن سبعة أو ثمانية من الحقيقيين الفاشلين كانوا هم الذين يسكون بزمام الجماعة في عدة مجالات حساسة ، وكذلك كان الشأن في بقية أنحاء النشاط الأخرى .. » (من معالم الحق ص/ ٢٢٢)

ث- التنظيم الخاص كان أداة للتخريب والإرهاب .

قال محمد الغزالي : « وقد كان هؤلاء الشباب الأخفياة شرا وببلا على الجماعة فيما بعد فقد قتل بعضهم بعضا ، وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب في يد من لا فقه لهم في الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام » (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث ص/ ٢٢٦) .

ج- القادة يتحللون طرق الأحزاب المنحلة . (!)

قال الشيخ الغزالي : « إن قيادة الإخوان الآن حريصة على الأوضاع الغامضة

والقرارات المريبة الجائرة وهي مسئولة أمام الله ثم أمام الناس عن مشاعر الحيرة والبليلة التي تغمر قلوب الإخوان في كل مكان ، ثم هي مسئولة من قبل ومن بعد عن الخسائر التي أصابت الحركة الإسلامية في هذا العصر وعن التهم الشنيعة التي توجه للإسلام من خصومه المتربصين ، فقد صورته نزوات فرد م كما صورت هيئة الإخوان المسلمين وكأنها حزب من الأحزاب المنحلة تسود سائس وتسيرها الأهواء » (المصدر السابق ص/ ٢٢٠) .

ح- عيون بتطير منها الشر ضد من يقيم الشهادة لله .

قال الغزالي : « وشهدت رجلا يفتي في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فلما قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم وكاد في فورة الحماس أن يرفع العصا في يده ويقول : إن شتمت برهانا فهذا برهاني . وشهدت إخوانا من الشباب - لم يهدمهم علم ولم تصقلهم تجربة - شهدتهم يقفون على رؤوس المعارضين بعيون بتطير منها الشر ويريدون التحرش بكل من يريد أن يدلي بالحق ويقيم الشهادة لله » (المصدر السابق ..)

خ- يأبون الحكم بما أنزل الله على أنفسهم ..

قال الغزالي : « والرجل الذي يأبى الحكم بما أنزل الله في خاصة نفسه وفي حدود إخوانه وأقربائه لا يتصور منه أن يحكم بما أنزل الله بين الناس ، وسيكذبه العالم كله يوم يزعم ذلك .. فاحذروا على كيانتكم أيها الإخوان هذا التطاول الذي - إذا كره طارده العلماء للجهاديين وإذا رضى قرب المداهينين أو القاعديين ثم ادعى بعد ذلك أنه يحكم بما أنزل الله » (من معالم الحق ص/ ٢٣٠)

٢- الهضيبي والقرضاوى ..

جماعة مليئة بالنزاعات والأهواء ..

قال الدكتور القرضاوى دفاعا عن المستشار الهضيبي ، كما في (آفاق عربية . ٩ ديسمبر ٢٠٠٤م) : « إنه لم يسع إلى قيادة الإخوان ، ولكن الإخوان هم الذين سعوا إليه ، وإن من الظلم تحميله أخطاء هيئة كبيرة مليئة بشتى النزاعات والأهواء »

أه... وقد كان هذا هو نفس حكم الهضيبي في جماعة الإخوان قبل أن ينصب مرشدا عاما عليها ، فقد قال عنهم : « إنه لا يستطيع أن يتسلم قيادة دعوة أقرب معاونيه مغفوق القلوب والأهواء ، وضرب لذلك أمثلة لا داعي لذكرها الآن » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٤٧٠)

ب- غلاة في الحب والكره ، غير صادقين في الحكم ..

قال القرضاوى : « وأقول بأسف : لقد كان رجال المباحث أصدق في الحكم علينا من إخواننا الذين عرفناهم وعرفونا وعاشبونا وعاشبناهم » .. « وهذا ما يعاب على كثير من الإخوان : أنهم إذا أحبوا شخصا رفعوه إلى السماء السابعة ، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى » (سيرة ومسيرة . ٢ / ٧٨)

٤- أحمد رائف ...

السذاجة السياسية ..

طعن أحمد رائف في المفهوم السياسي لحركة الإخوان في زمن الملك فاروق ، فقال : « كان جسم الإخوان المسلمين أو البنية الأساسية لهم تعتمد على مدرسى المدارس الإلزامية والصناع بمختلف تخصصاتهم . لهذا كان الإدراك السياسي العام ضعيفا ، مع انعدام القدرة على تكوين الكوادر السياسية وقيادة الشارع المصرى من خلال تبنى مشاكله الرئيسية ..

وبوجه عام لم تمنحهم الأحداث الفرصة الكافية العادلة للتفكير والتخطيط ، وتصوروا خطأ أن طبيعة المرحلة تقتضى الحشد والجمع وحرص الصفوف لجند قد لا يتبينون الخطأ الكلية ، وقادة لا يعرفون غاية هذا الحشد على وجه واضح مبين .. كل هذا ترك أثره على الجماعة عندما دخلت حربا من نوع جديد لم تعهده من قبل ، واستغرقها تفصيلات لم تكن بيالها » (الصفحات.ص/ ٢٣٦)

٥- محمد قطب ... العيب في مواجهة السلطة .

نسب الإخوان المسلمون في سوريا في مقتل ما يقرب من ثمانين إلى مائة

وعشرين ألف مسلم في حماة .. وسحبهم الله تعالى على هذا العيب . وقد اتهم محمد قطب جماعة الإخوان في سوريا بالعيب وعدم التدبر ، فقال : « كل محاولة للصدام مع السلطة للوصول إلى الحكم عيب غير مبنى على بصيرة ولا تدبر وقمته مذنبه "حماة" نموذجاً بارزاً ينبغى أن تتدبره الحركة الإسلامية جيدا » (واقعنا المعاصر.ص/ ٤٣٨، ط. ١٩٩٧م . الشروق) ..

٦- محمود عبد الحليم ...

أ- اقتفاء مبدأ ميكافيلى لمصلحة الدعوة ..

وصف محمود عبد الحليم طريقة رفض الإخوان مذكرة الصلح التى تمت بين كبراء الإخوان وبين عبد الناصر بأنها كانت تسير على مبدأ " ميكافيلى " فقال : « ولكن يبدو أن إخواننا هؤلاء هذه المرة . قد استباحوا القاعدة الميكافيلية التى تقول : إن الغاية تبرر الوسيلة فامام ما اعتقدوا أنهم على الحق وأن طريقهم هو الطريق الأمثل لمصلحة الدعوة وعلى أساس أن التيار المضاد صار من القوة بحيث لا يستطيعون التصدى له بالأساليب المشروعة لجأوا إلى أسلوب وإن كان غير كريم إلا أنه يضمن لهم تحقيق ما يأمون » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤١٩) .

ب - سايحون فى الأهوام ..

وصف محمود عبد الحليم إخوان القاهرة وإخوان الأقاليم على العموم بأنهم كانوا سايحين فى الأهوام ، لا يدرون الأمور على حقيقتها ، قائلا : « لم يكن إخواننا هؤلاء ولا إخوان الأقاليم يتوقعون ما كنا نتوقعه من أهوال تنتصب على رؤوسنا صبا ، لأنهم حببوا أنفسهم من الحقائق ، ورضوا أن يعيشوا سايحين فى الأهوام ، ولم يصدقوا ما أئذرتهم به من أن أسرارنا مكشوفة لهذه الناس .. وأرادوا أن يفرضوا على الواقع ما تخيلوه من أهوام » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٢٥) .

٧- عبد العزيز كامل ..

١- سطحيون يسخرون من العلم والمنهجية ..

قال الدكتور / عبد العزيز كامل : « ولقد كنت دائما أدعو إخواني وأبنائي إلى العناية بالعلم والمنهجية والتخطيط الطويل ، حتى أصبحت هذه - وأسفا أقولها - مثار دعاية ، قد تصل أحيانا إلى شيء يقرب من السخرية الملهذه ، إن كان في السخرية تهذيب !! وأخذت أستعيد الخطب العريضة الزائنة والقوالب المحفوظة التي يستطيع الخطيب أن يحدد أماكن الهتاف والتكبير كأنها تمثيلية معادة ، أخذت أستعيد التبسيط والتسطيح لقضايا الحياة وقضايا الإسلام ، حتى كأن الإخوان يمثلون المفاتيح السحرية لحل قضايا العصر .. قضايا الاقتصاد تحل في كلمات .. قضايا الاجتماع تحل في كلمات .. المشكلات السياسية في كلمات .

الشورى في كلمات . هكذا بكل بساطة يمكن أن تحل قضايا الحياة !! واستطاع هذا التبسيط أن يجتذب الكثير من الشباب « ص / ٦٩ .

ب- يظنون أن الله تعالى تعهد لهم بتصحيح أخطائهم ..

كان الإخوان يظنون من فرط جهلهم أنهم إذا وقعوا في خطأ فلا بد أن يصحح الله خطاهم ويرد ضلالهم - كان بينهم وبين الله عهدا بذلك .. وليس هذا أمرا مضمونا لهم .. فهذا أمر خاص بالأنبياء والمرسلين أن الله تعالى لا يتركهم على خطأ .. ولأمانة بأكملها فلا يجمعها على ضلالة .. قال الدكتور عبد العزيز : « ولقد كان من الأعراف الفكرية عند الإخوان أن يد الله التي ترعاهم - قادرة على أن تحول خطأ تصرفهم إلى صواب ، تسير في خطأ فإذا برحمة الله تداركتنا فتحول إلى صواب ، نقصد أمرا فتوجهنا عناية الله إلى غيره هكذا كنت أسمع وسمعت كثيرين غيبي من الأستاذ البنا - رحمه الله - فإذا كان كل ذلك كذلك فلا داعي لتضيق كثير من الوقت والجهود في قلب القراء والدراسة العميقة للالتباسات ، فإننا إذا أخطأنا تكلفت عنابة الله بإصلاح هذا الخطأ » (المذكرات الشخصية . ص / ٧٠) .

٨- سعيد حوى ..

١- أصحاب الأقاليم المأجورة والألسنة المسعورة ..

عندما ظهرت ثورة الخميني في إيران سارع الإخوان في تأييدها ، وقام التنظيم الدولي للإخوان بزيارة الخميني ، وهنؤوه على الثورة ، التي جعلوها المثل الوحيد للإسلام في العالم ؛ عند ذلك قام الشيخ سعيد حوى (رحمه الله) بتحذيرهم من هذا التأييد ، ولما لم يجد ترجاعا منهم عن نصرة الخميني اتهمهم بأنهم أصحاب ألسنة مسعورة وأقاليم مأجورة . وقال في كتابه (الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف ص / ٥٦ (بدون اسم الدار ، ولكنه ثابت في كتب سعيد حوى ، انظر كتاب هذه تجربتي وهذه شهادتي . ص / ١٥٩ ط . ١٩٨٧ م) :

« ولعلم أصحاب الأقاليم المأجورة والألسنة المسعورة ، الذين لا يزالون يضللون الأمة بما يكتونه وما يقولونه أن الله سيحاسبهم على ما ضلوا وأضلوا ، فليس لهم حجة في أن يتصروا الخمينية ، فنصرة الخمينية خيانة لله والرسول والمؤمنين .. ألم يروا ما فعلته الخمينية وحلفاؤها بأبناء المسلمين حين تمكنوا ، ألم يعلموا بتعالفات الخمينية وأنصارها مع كل عدو للإسلام » أمه

ب- منحرفون في التصوف ..

قال : « إن كثيرين من أبناء دعوة الأستاذ البنا كانوا يستشعرون فراغا وخواء روحيا ، فادى ذلك ببعضهم إلى السلوك على يد شيخ أو شيوخ لم يعرفوا حقيقة الدعوة الإسلامية المعاصرة وضرورتها لحرفوهم أو صرفوهم عن واجبات هي في الذروة من فرائض الله في هذا العصر » (تربيتنا الروحية . ص / ١٣)

٩- سعد الدين صالح ..

عميد كلية الدين بالزقازيق سابقا

لا يسمعون ولا يفقهون .. قال : « إن الإخوان ليسوا على استعداد لإعمال عقولهم وتحكيم ضمائرهم فيما يوجه إليهم من أوامر ، وإذا أقيمت عليهم الحجة على أخطاء الإخوة الكبار فإنهم لا يسمعون ، وإن سمعوا تحت الإلحاح فإنهم لا يعقلون ، وإذا عقلوا واقتنعوا فإنهم لا يتكلمون ، وإن تكلموا فسوف يكون كلامهم نغمة .. سيخبرون قادتهم بأنك تتحدث عن الإخوة الكبار بما يمس هيبتهم وكرامتهم ..

ويضيف قائلا : إن من المؤسف في أمر الإخوان أن القواعد على مستوى عال من العلم والثقافة فمنهم المهندس النابغة والطبيب البارع والمحامي النابه ، ولكن حين يتعلق الأمر بما يسمى بقيادة الجماعة فشعارهم : لا أرى لا أسمع . لا أتكلم « الإخوان المسلمون إلى أين ! نلقا عن صوت الأمة . ٢٠٠٣/٦/١٦ »

١٠- أبو العلا ماضي .

لا يقبلون النصيحة كأنهم معصومون .

قال في جريدة (العربي) ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣ م :

« التيار الإسلامي (الاسم الحركي للإخوان سابقا) مارس النفي والإقصاء والقتل ، ولا بد من نقد أنفسنا قبل أن نقد الآخرين ، ومن هذه الزاوية فإن التيار الإسلامي لم يمارس النقد الذاتي ولا مراجعة تصرفاته ، وهي تصرفات بشر ، ولا رؤاه التي هي فهم بشري للإسلام ، ولا يريد أن يضع نفسه أبدا في موقع أنه أخطأ وكأنه يريد أن يعصم نفسه مثل الأنبياء » أهـ

١١- سيد عبد الستار المليجي .

أ- جماعة يقودها الصرافون وليس الدعاة .. قال الدكتور / المليجي في رسالة غير مسبوقة لمحمد عاكف : « وجماعتنا اليوم تقاد بالصرافين وليس بالعلماء الواعظين » (جريدة الكرامة . العدد ٧٩ . ٢٠٠٧/٥/١)

ب- مذبذبون في فهم أهداف الجماعة ..

قال : « هناك بالفعل تفاوت في فهم الإخوان فيما يتعلق بجماعتهم وأهدافها حتى في القيادة العليا » (إسلام أون لاين . ٢٣/٤/٢٠٠٧ م شيرين نصر)

ت- بعض القادة مشاركون في تلطيخ أعراض إخوانهم .

قال : « بعض القيادات العليا تشارك في تشويه صورة بعض إخوانهم دون تبرير مقبول ، ودونما أي نوع من التحقق في ظنونهم وشكوكهم ، والقيادات الوسطى للأسف الشديد تفهم خطأ المعنى المقصود من السمع والطاعة ، فيطمعون فيما اعتبره معصية ، فالإسلام يأمرنا أن تكون الطاعة مبصرة ، لاسيما عندما تتعلق بكلام من أي واحد في الإخوان . » (إسلام أون لاين . نت . ٢٣/٤/٢٠٠٧ م)

١٢- عصام تليمة ...

عاطفة مجردة من العلمية .

عندما طرح الدكتور النفسي "فكرة حل تنظيم " الإخوان " باعتباره يمثل عبئا على الأمة الإسلامية ، هاج عليه قادة الإخوان ومفكرهم ، وانتهموا بشن التهم المعروفة ، ومن هنا اتهمهم عصام تليمة " أحد دعاة الإخوان " قائلا في :

« المأخذ الثاني : وهو على جماعة الإخوان المسلمين ، فليس كل فكرة مهما كانت غرابتها أن تقابل بهذا السبل من العاطفة المجردة من العلمية الذي بدا من كثير من شباب الإخوان ، كان ينبغي أن يكون الرد علميا ، وأن نقول : لا مانع أن ندرسها ونرى صحتها من خطئها ، إننا نحن الإسلاميين ! للأسف ، لا نعرف كيف ندبر حواراتنا ، وفي أحيان كثيرة نصنع أزمة من فكرة ، هي مجرد فكرة ، ليس خطأ أن تطرح ، ولكن يأتي الخطأ في التعامل مع الطرح ، وهل كان يتوقع الإخوان الذين عاصروا حسن البنا أن يأتي يوم يتبنون فيه القبول بالأحزاب ، ومعلوم كلام حسن البنا في الأحزاب ، لو أن أحد تلامذة البنا قال هذا الكلام في عام ١٩٥٠ ، أو في حياة البنا لقلوب اقتراحه باستهجان واستغراب » (المصر ٦٤ يون . نت . ٢٤ - ٢٠٠٧ م .

معروف بخيت ..

خطاب مضطرب ...

قال الأستاذ معروف البخيت " رئيس الوزراء الأردني " :

« بدايات المقد الحالي شهدت تحولات مختلفة دفعت باتجاه بروز خطاب إخواني جديد اتسم بالاضطراب والمرواحة بين التكفير والهجرة تارة والتساق مع عناصر مشروع الإصلاح الأمريكي الموجه للمنطقة تارة أخرى » (دار الخليج .. ١٤-٥-٢٠٠٧) .

اتهامات سمو الأمير / نايف بن عبد العزيز آل سعود

لم ينتفع الإخوان من أحد قدر انتفاعهم من بلاد الحرمين ودولة الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) فقد سعى الملك سعود إلى إصلاح العلاقة بين عبد الناصر وبين الإخوان عام ١٩٥٤م ، كما أكد على ذلك عاكف في جريدة (الأخبار ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥م) كما سعى الملك فيصل عن طريق مستشاريه إلى عمل مصالحة بين الإخوان وبين الرئيس السادات ، ترتب عليها فتح مجال الدعوة لهم في مصر ، بعد انقطاع دام اثنين وعشرين عاما تقريبا ..

" الإخوان سبب المشاكل في العالم الإسلامي "

قال سمو الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود ، وذلك في لقائه مع جريدة (السياسة الكويتية في ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٢م) : « مشكلتنا كلها جاءت من الإخوان المسلمين . لقد تحملنا الكثير منهم ولسنا وحدنا الذين تحملنا منهم الكثير .إنهم سبب المشاكل في عالمنا العربي وربما في عالمنا الإسلامي ، حزب الإخوان المسلمين دمر العالم العربي .. وقال : « بحكم مسؤوليتي أقول إن الإخوان لما اشتدت عليهم الأمور ، وعلقت لهم الشانق في دولهم ، لجأوا إلى المملكة فتحملتهم وصانعتهم ، وحفظت حياتهم بعد الله ، وحفظت كرامتهم ومحارهم وجعلتهم آمنين ، وإخواننا في الدول العربية الأخرى قبلوا بهذا الوضع ، وقالوا : إنه لا يجب أن يتحركوا من المملكة ، لكن بعد بقائهم سنوات بين ظهرائنا ، وجدنا أنهم يطلبون العمل ، فأوجدنا لهم السبل ، ففهم مدرسون وعمداء ، فتحنا أمامهم أبواب المدارس والجامعات ، لكن للأسف لم ينسوا ارتباطاتهم السابقة ، فأخذوا يجندون الناس ، وينشئون التيارات ، وأصبحوا ضد المملكة . ! » أهـ

الفصل الثاني

الخلل التربوي

في دعوة الإخوان

الإخوان منظممة سرية

معالجات تربوية مؤسفة

بداية التربية في الفكر الإخواني:

الوصول إلى الحكم

١- فكر التحالف وحدوده

٢- تكوين حزب سياسي

٣- الانتخابات والإخوان

٤- المظاهرات

الخلل التربوي في دعوة الإخوان

لم تكن نشأة حسن البنا نشأة سوية على منهاج أهل الحديث، فقد نشأ في أول أمره مع الصوفية، فقد كان أبوه حاصفاً شاذلياً، وله مؤلف في أورد الطريقة الروقية بالمسجد تنوير الأئمة الزكية في أفكار الوظيفة الروقية. طبع عام ١٩٣٣م بحارة الروم بالقاهرة بمصر، والتقى بالشيعية وتنشع بأفكار الأفغاني. وهو على العموم لم يتنصر بأحد منهم: فالصوفية هفوا له في السلام، وتخلوا عنه في زمن المحنة، ومظاهرات نواب صفوى كانت السبب في حل جماعته في زمن الثورة، وحركة الأفغاني أسلمته للسماسة والحكام، ولم تضع له سبيلاً لنقض النزاع معهم.

تأثر حسن البنا بالخصافي الصوفي..

تلقى حسن البنا العلم الصوفي على يد السيد عبد الوهاب الخصافي، شيخ الطريقة الخصافية.. وقد أثرت النظرة الصوفية لحسن البنا في تكوين الجانب الروحي الداعي إلى العزلة والنظر إلى النفس، والاحتجاب عن الأغيار، ورؤية المشاهد والمكاشفات.. والاهتمام بالدق والتجربة على حساب العلم والدراسة.. وقد كان لهذا التصور الجانب الأكبر في السيطرة على أتباعه، حتى كانوا بين يديه كالمتوكلين بين يدي المغسلين.. ومن هنا نشأ الجانب التنظيمي الذي يتعلق بالإمام تعلق الباطنية... طاعة تامة واستجابة فورية.. والنظرة الصوفية تدعم جانب التقية كما يدعمها الاتجاه الشيعي.. ذلك لأنها تعتمد على الجانب الإنشائي في تفسير الدين والحياة.. والجانب الإنشائي لا يخضع لقواعد علمية شرعية.. وهذا سر تصادمها مع الواقع الإسلامي؛ ومن أجل ذلك دعا ابن عربي أتباعه إلى إخفاء كل ما يتعلق بعلم الحقيقة والأسرار عن دارسي علم الشريعة والرسوم.. وقد أثبت حسن البنا مصاحبته للصوفية بقوله: «وصحبت الإخوان الخصافية بدمنهور، وواظبت على الحضرة في مسجد التوبة كل يوم سبت - تلقيت الخصافية عنه -، وأذنت بأورادها ووظائفها» (مذكرات الدعوة والداعية. ص/ ٢٧)

وصحب أيضاً الإخوان الختمية المرغنية، واحتفل بهم وزكاهم عام ١٩٤٨هـ، وذلك في آخر أيامه، مع ما هو معروف عن تلك الطائفة من الوقوع في الشرك، والابتداع في الدين، والغلو في الصالحين، فضلاً عن قولهم بوحدة الوجود.. فقد أنشأ الشيخ المرغني طريقته من عدة طرق صوفية، هي: الجنيدي والقادرية والشاذلية والنقشبندية.. جمعت كل أنواع الضلال. الأمر الذي يدفع أي موحد يعرف دين الأنبياء والمرسلين أن يحذر منهم، لكنه لم يفعل ذلك، وإنما خطب فيهم وزكى قلوبهم، وجعلهم أعلام العرب والجهاد، وأكد أنهم شاركوا في تأسيس دعوته. فقال: «إن دار الإخوان لتسعد وتأنس أعظم الإناس إذ تستقبل هذه القلوب الطاهرة والنفوس الكريمة أعلام الجهاد وأبطال العروبة. ثم قال مبرراً هذه الحفاوة: ولكنه دين قديم منذ نشأت هذه الدعوة بالإسماعيلية، فقد كان أول أنصارها والمجاهدون لتكريزها الإخوان الختمية المرغنية» (في قافلة الإخوان. ص/ ٢٠٢). وكان يمارس رياضات ومجاهدات الصوفية ويعيش أحوالهم، وقال بشأن ذلك:

« وكنا في كثير من أيام الجمع التي يتصادف أن نقضيها في دمنهور، نقترب رحلة لزيارة أحد الأولياء القريبين من دمنهور» (مذكرات الدعوة والداعية. ص/ ٣٣) وتعبد بأوراد مشايخ الطرق باختلاف صورهم.. ونقلها في كتابه «المنجاة».. وأكثر من ذلك فقد نقل من كتاب «نهج البلاغة» المنسوب لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، والذي ألفه الشريف الرضي الرافضي. دعاء الطريقة النجانية، وعلمه أصحابه، ودعاهم أن يرددوه بنفس الهيئة السابقة، وفيه: «اللهم داحي المدحوات وداعم المسوكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والقائم لما اتفق والمعلن الحق بالحق» (المنجاة/ ص/ ٤٤، دار الطباعة والنشر ١٩٩٢م. رقم الإيداع: ٣٢٦٧).

وقال شعراً يومه القول بوحدة الوجود، على طريقة ابن عربي والحلاج، جاء فيه:

الله قل وذو الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كماله
فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمالي.

(حسن البنا بأقلام تلامذته . ص ٧٠-٧١)

وكان يردد أشعار ابن الفارض .. وهو أحد دعاة وحدة الوجود ، التي ينتسب إليها ملاحدة الصوفية ، الحاقدين على الإسلام والمسلمين . قال محمود عبد الحليم : وكان - حسن البنا - كثيرا ما يردد قول ابن الفارض :

ولا تك ممن طيشته طروسه (!) بحيث استقلت عقله واستبدت

فإن وراء العقل علما يجل عن مدارك غايات العقول السليمة

(أحداث صنعت التاريخ . ١٠ / ٢٠٨) .

وقد قصد ابن الفارض بهذا الشعر ذم العلم والشرع ، ليحصر النفس في تلقى المعلوم عنه .. وهذا هو مقصده من الغيب ، الذى أراد به وحد الوجود .. وهو الإيمان بأن الطبيعة هي عين الله .. والكل عنده شيء واحد فلا غيرية ولا فرق .. وكان ابن الفارض يرى نفسه حقيقة الغيب التي تفيض على نفسه وعلى غيره ، ولم ير لله تعالى ملكا ولا سلطانا ولا عفوا وغفرا .. ولم يفرق بين داع ولا مدعو .. ولا بين خالق ولا مخلوق. ويؤكد ذلك البيت الذى يلي هذه الأبيات التى تلاها حسن البنا لصاحبه ، وفيه قال :

ولا تك ممن طيشته دروسه !... بحيث استقلت عقله فاستقبرت

فهم وراء النقل علم يدق عن ... مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته عني ومني أخذته ... ونفسي كانت من عطائي عذتي

إلى أن قال :

ولا تحسن الأمر عني خارجا ... فما ساد إلا داخل في عبودتي

ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن ... شهود ولم تعهد عهد بئمة ..

فدقق النظر فيما قال ابن الفارض .. لتعلم أن حسن البنا كان يردد ما لا يدرك حقيقته ومنتهاه ...

وقد كان هذا التخييل وكانت تلك الصعبة الفاسدة سببا في حرص حسن البنا على استيعاب جميع الطوائف الصوفية إليه ، وعدم الدخول معها في نزاعات عقائدية أو غير عقائدية .. وقد أكد على ذلك بقوله : « ولكن الحق أننى لم أكن متحمسا لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها : أننى لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطرق الأخرى » (مذكرات الدعوة . ص / ٧١ دار الشهاب) .

تأثر حسن البنا بتواب صفي الرافضي وإخوانه ...

كان نواب صفي الشيعي الرافضي من جملة رقاء حسن البنا في دعوته ، و كان محاضرا في المركز العام لجماعة الإخوان في لقاء الثلاثاء .. وكانت دعوته قائمة على التهييج والإثارة .. ومن أبرز الملامح الدالة على ذلك أنه كان يدفع طلبة الجامعة من الإخوان وغيرهم إلى التظاهر والثورة على الأوضاع السياسية .. وقد استمرت جهود صفي مع الإخوان ، إلى ما بعد الثورة المصرية .. قال القرضاوى : « .. ذلك أن طلبة الإخوان في جامعة القاهرة أرادوا الاحتفال بشهداء الجامعة شاهين والمنيسي وغاتم ، ودعوا الزعيم الإيراني المعروف (نواب صفي) أحد المعارضين لطغيان الشاه زعيم حركة (فدائيان إسلام) الشهيرة » (سيرة ومسيرة ٢ / ٣٩) .. وقد أكد الأستاذ / سالم البهنساوي على وحدة المناهج بين الإخوان وبين الشيعة ، قائلا : « منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفي سنة ١٩٤٥م للقاهرة »

وقال في نفس الصفحة : « ولا غرو في ذلك فمنهاج الجماعتين يؤدي إلى هذا التعاون » (السنة المفقرة عليها. ص. ٥٧)

وقد أكد من جهته نواب صفي أن الإخوان والشيعة شيء واحد .. وقال أمام الدكتور مصطفى السباعي ، الذي اشتكى له تصرف بعض شباب الشيعة في

الانضواء تحت لواء الحركات العلمانية والقومية وتركهم الإخوان : « من أراد أن يكون جعفريا حقيقيا فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين » (موقف علماء المسلمين من الشيعة لعز الدين إبراهيم ص/ ١٥ . ط . سبهر ١٤٠٦ هـ) ..

واعترافا بالجمليل كان الإخوان يحتفلون بذكرى وفاة نواب صفوى كل عام .! قال التلمساني : « كان طلبة الإخوان يحتفلون بذكرى نواب صفوي رئيس جمعية قذاتيان إسلام الشيعة في إيران » (ذكريات لا مذكرات . ص ١٣١) ...

ومما يؤكد حقيقة ولاء الإخوان للشيعة أن عبد الرحمن البنا أخى حسن البنا كان شيعيا غالبا في التشيع ، ولم يعاتبه حسن البنا في ذلك ..

قال محمود عبد الحليم : « وأما الأستاذ عبد الرحمن الساعاتي بما كان يغلب عليه من تشيع لأهل البيت رضوان الله عليهم ومن مغالاة في هذا التشيع ، فإنه رأى نفسه واشقاؤه وبعض أهل وعشيرته أحق الناس بمكان أخيه وشقيقه في الدعوة... » (أحداث صنعت التاريخ ٢/ ٤٤٦)

ولم تكن لقاءات حسن البنا لقاءات دعوة ومناظرة ، كمادة أهل السنة مع المخالفين ، إنما كانت لقاءات تقريب وتلبس .. قال التلمساني : « ولم تفتقر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة ، فاتصلوا بأية الله الكاشاني ، واستضافوا في مصر نواب صفوى ، كل هذا فعله الإخوان لا ليحملوا الشيعة على ترك مذهبهم ! ولكنهم فعلوه لغرض نبيل يعدو إليه إسلامهم وهو التقريب بين المذاهب الإسلامية » (مجلة الدعوة عدد ١٠٥ . يوليو ١٩٨٥) ولم يكن صفوى بمفرده الذى كان ينزل ضيفا على الإخوان فقد كان تقى الدين القمى كذلك .

قال التلمساني في كتابه (ذكريات لا مذكرات . ٢٤٩-٢٥٠) : « وفي الأربعينات على ما أذكر كان السيد القمى - وهو شيعي المذهب - ينزل ضيفا على الإخوان في المركز العام ، ووقتها كان الإمام الشهيد يعمل جادا على التقريب بين المذاهب ، حتى لا يتخذ أعداء الإسلام الفرقة بني المذاهب منفذا يعملون من خلاله على تمزيق الوحدة الإسلامية .. » أهـ

وقد أثر هذا المفهوم على فكر التلمساني ، حتى كتب مقالا في مجلة (المختار الإخوانية) بعنوان : (لا سنة ولا شيعة مسلمون أولا) وقد كان هذا عنوانا لمجلة المختار الإسلامى عدد ٣٧ محرم وصفر ١٤٠٦ سبتمبر وأكتوبر ١٩٨٥ م . كأنه كان يظن أن الإسلام يصلح بسب الصحابة (رضى الله عنهم) وإنكار القدر وإنكار الصفات الربانية وإنكار السنة النبوية .. والسنة وحى كالقرآن ، وحاجة القرآن إلى السنة أعظم من حاجة السنة إلى القرآن ، كما قال علماء السلف ؛ وذلك لأن السنة مفسرة ومبينة للقرآن ، وطرح السنة طرح للقرآن وللإسلام بالكلية .. والظمن فى الصحابة ظمن فى الإسلام والشريعة بالضرورة .. فلا تعجب إذن من دفاع الإخوان عن الشيعة الروافض ، فإنهم فى الحقيقة يدافعون عن أنفسهم .. نفس التنظيم ونفس الفكرة ونفس المنهج .. بل ونفس المعتقد .. فالإخوان هم الشيعة ، والذمية هم الإخوان .. فليس بينهما خصومة .. وإذا كان حسن البنا ليس له خصومة مع اليهود - الذين يسبون الله تعالى ويكذبون رسوله محمدا ﷺ - فكيف يكون بينه وبين الشيعة الذين ينكرون صفات الله ، ويقولون بالبداء والرجعة والوصية والعصمة ، ويسبون صحابة رسول الله ﷺ ويكفرونهم خصومة دينية ؟

قال محمد عاكف فى جريدة الوفد المصرية : « الإخوان يتفقون مع الطوائف الرئيسة للشيعة " الجعفرية والإثنا عشرية والزيدية " فى العقيدة ، أما الاختلاف فلا يكون إلا فى الفروع فقط » (إخوان أون لاين نت ٨/ ٢٠٠٦) وقال :

« فاللذاهب السنة والمذاهب الشيعة كلها مذاهب معتبرة تقود إلى الجنة إن شاء الله حينما يحترمها الإنسان » (الجزيرة . نت ٣/ ١٠/ ٢٠٠٤ م) ...

والظاهر أن الأستاذ / عاكف لا يدري شيئا من معتقدات الشيعة .. فطوائف انشيعة عيذاً بأن الله تعالى تدعو إلى النار ولا تدعو إلى الجنة ..

ولا عجب من توجهات الإخوان تجاه الشيعة ومؤمراتهم فى العالم الإسلامى . فالإخوان فى أفغانستان دخلوا كابل بقيادة عبد رب الرسول سياف تحت ستار التيران الأمريكية ، بالتعاون مع قوات التحالف الشمالى الشيعى المدرب فى إيران ...

واشتركوا مع الشيعة في أول مجلس حكم انتقل في العراق تحت قيادة بول برعمر الأمريكي .. ولا يخفى أن الاتجاهات السياسية الشيعية الإيرانية والسورية النصرانية واتجاهات حزب الله الشيعي في لبنان والحوثيين في اليمن .. كل هذا يلتقي مع اتجاهات الإخوان في مصر ، فما يتظاهر به هؤلاء يتظاهر به أولئك .. وإذا كان تصريح محمد حبيب نائب المرشد العام قد قلل من خطر المد الشيعي في العالم الإسلامي .. فإن المرشد العام للإخوان في مصر محمد عاكف قد صرح لجريدة النهار الكويتية في ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨ م أنه لا يمانع من انتشار التشيع في العالم الإسلامي .. قائلا : « وفيما يخص المد الشيعي أرى أنه لا ممانع في ذلك ، فنحننا ٥٦ دولة في منظمة المؤتمر الإسلامي سنينة ، لهذا نخوف من إيران وهي الدولة الوحيدة في العالم الشيعية ، أليس حسن نصر الله شيعيا ، ألم يؤيده الناس في حربه ضد إسرائيل في صيف ٢٠٠٦ » (النهار الكويتية . ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨ عدد ٤٧٠) .

وهذا التصريح يضع مرشد الإخوان بجوار نصير الدين الطوسي وصاحبه محمد بن المؤيد الملقب الذي راسل جنكيزخان ملك التتار وفتح له المجال لاحتلال العراق وقتل أهلها والقضاء على الخلافة العباسية . وهذا يفتح الباب للفرس ليقضوا على العالم العربي والإسلامي .. عامله الله بما يستحق .

وقد ظهر ولاء الإخوان للشيعة في أعلى درجاته عند قيام الثورة الحمينية . قال يوسف القرضاوي : « وفي إيران حيث يكون الشيعة الإثنا عشرية أغلبية الشعب انطلقت حركة (الإمام الحميني) التي تقوم على ولاية الفقيه بدلا من انتظار الإمام الغائب ، ونياية عنه ، فقام طغيان الشاه وفساده ، وأودى في سبيل ذلك ما أودى .. الخ » (أمتنا بين قرنين : ص ٧٢ ط) .

وقد أكد القرضاوي عمق تأثير الحركة الحمينية في إيران وأثرها الفترائية في السودان بفكر الإخوان ، قائلا في كتابه (الإخوان المسلمون ٧٠ عام. ص/ ٢٩٦ : «وتأثير الحركة الإسلامية في هاتين الحكومتين لا ينكر » أه ..

وقال الأستاذ المودودي : « إن ثورة الحميني ثورة إسلامية ، والقائمون عليها

هم جماعة إسلامية ، وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية . وعلى جميع المسلمين عامة ، والحركات الإسلامية خاصة : أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتعاون معها في جميع المجالات » (مجلة الدعوة عدد ٣٩ - ١٩٧٩ م)

وقال الأستاذ فتحي يكن : « وفي التاريخ الإسلامي القريب شاهد على ما نقول ألا وهو تجربة الثورة الإسلامية في إيران ، هذه التجربة التي هبت لمحاربتها وإجهاضها كل قوى الأرض الكافرة ولا تزال ، بسبب أنها إسلامية وأنها لا شرقية ولا غربية » (أجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي . ص/ ١٤٨) .

ومن أجل ذلك « دعا التنظيم الدولي للإخوان المسلمين قيادات الحركة الإسلامية ... إلى اجتماع أسفر عن تكوين وفد توجه إلى طهران على طائرة خاصة وقابل الإمام آية الله الحميني لتأكيد تضامن الحركات الإسلامية الممثلة في الوفد كافة » (مجلة المجتمع الكويتية . ٤٣٤ . ٢٥ / ٢ / ١٩٧٩ م) .

وقد اعترض الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني على الإخوان عامة والتنظيم الدولي خاصة في معاونته الشيعة الروافض في إقامة دولتهم وتقوية ثورتهم ، قائلا : « إن عجيبي لا ينتهي من أناس يدعون أنهم من أهل السنة والجماعة يتعاونون مع الحمينيين في إقامة دولتهم ، والتمكين لهم في أرض المسلمين جاهلين أو متجاهلين عما هم فيه من الكفر والضلال والفساد في الأرض «والله لا يحب الفساد» فإن كان عذرهم جهلهم بعقائدهم ، وزعمهم أن الخلاف بيننا وبينهم إنما هو خلاف في الفروع وليس في الأصول فما عذرهم بعد أن نشروا كتبهم "الحكومة الإسلامية" وطبعوه عدة طبعات .. ونشروهم في العالم الإسلامي وفيه من الكفريات ما جاء .. مما يكفي أن يتعلم الجاهل ويستيقظ الغافل !! (١٤٠٧ / ١٢ / ٢٦ هـ)

وقد شهد جمع كبير من علماء السنة بكفر الحميني وخرجه عن ملة الإسلام بما يدل على أن ثورته لم تكن ثورة إسلامية ، وأن تأييد الإخوان لها كان تأييدا للمجوسية والفارسية ، ولم يكن لله ولا لرسوله ولا للمؤمنين ، كما قرر المؤتمر الإسلامي الثالث لرابطة العالم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة ، كما في مجلة

(التضامن الإسلامي عدد ربيع أول ١٤٠٨هـ) : « لقد تبين للمشاركون في المؤتمر، أن الحميني داعية ضلال، جر على المسلمين من المصائب والفتن، ما مرق الشمّل، وأن منهجه خارج على الإسلام وتعاليمه، وبشكل خطيرة على أمة الإسلام، لذا فإنهم يطلبون الحكام والمنظمات، والشعوب الإسلامية، بمقاطعته على مختلف المستويات، والتصدي لتحرّكاته على الساحة الإسلامية » أهـ

وأخير : فبعد أن كان القرضاوي متأثراً بدعوة التقريب التي أسسها حسن البنا، متادياً بـ : « عدم الاستماع إلى الدعوات التي تمزق الأمة الإسلامية من خلال تسميات متعددة خاصة فرض واقع السنة والشيعية . وتابع قائلاً : « ولذا فإن بعض الخلافات البسيطة لا يجوز أن تفرق الأمة ، التي هي أحوج ما تكون للوحدة في حالات الشدة واجتماع الأعداء علينا وفي ظروف الخطر حيث تواجه معركة عسكرية وسياسية وثقافية » (إسلام أون لاين ١١-٥-٢٠٠٥م)

انقلب على فكر التقريب وحذر من انتشار التشيع في العالم الإسلامي خاصة في فلسطين ، وقال : « لا يمكن أن يحدث تقريب بين من يقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ومن يقول عمر بن الخطاب (لعنه الله) .. أو من يقول عائشة (رضي الله عنها) ، ومن يلعنها ويلصق بها أبشع التهم » .

وقال "التبشير الشيعي هو أمر مبرمج وترصد له ميزانيات وله برامجته العملية " . واستنكر امتداد التبشير الشيعي إلى فلسطين ، معتبراً إياه فتنة أخرى تصاف إلى ما يعانيه الفلسطينيون من محن " (إسلام أون لاين ٣ محرم ١٤٢٧ هـ) .

تأثر حسن البنا بالأفغاني ..

وإذا كان حسن البنا قد تأثر بفكر نواب صفوى الشيعي الرافضي حتى دعاه إلى التجاوز عن الخلافات التي بين أهل السنة وبين الشيعة مع شدتها وقوتها فتأثره بدعوة جمال الدين الأفغاني الإيراني الشيعي البابی الذي دخل مصر في مارس ١٨٧١م في عهد الخديوى إسماعيل .. أشد .. فقد ولد حسن البنا في أجواء دعوة الأفغاني وتلامذته . وقد أثبت محمود عبد الحليم عظم تأثر حسن البنا بدعوة الأفغاني ، فقال : « دعوة الإخوان استوعبت الدعوة توين (دعوة جمال الدين الأفغاني ودعوة السنوسية) وزادت عليها بنظام أشمل ، وقيادة أشد إحكاماً وأبعد نظراً » (أحداث صنعت التاريخ ٣/٦٠٦)

وقد أكد حسن البنا بنفسه تأثره بدعوة جمال الدين الأفغاني ، وذلك بمدحه وثنائه عليه في كتابه "مذكرات الدعوة والداعية" ص/ ١٤١ فقال بعد أن بين أهمية المنهج والزعامة في بناء الأمم : « على هذه القواعد بنى مصطفى كامل وفريد ومن قبلهما جمال الدين والشيخ محمد عبده نهضة مصر ، ولو سارت في طريقها هذا ولم تنحرف عنه لوصلت إلى بغيتها أو على الأقل لتقدمت ولم تنهقر وكسبت ولم تخسر » أهـ

وقد كان الأفغاني أحد عتاة الروافض البابية ، وكان يرى النبوة مكتسبة ، وكان يدعو إلى دمج الأديان .. وقد حكم عليه معاصروه بالإلحاد . قال أحمد أمين في كتابه (زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص/ ١١٠) :

« فاتهموه بالإلحاد لهذا وشنعوا عليه بأنه يقول بأن النبوة صناعة وشنعوا عليه حتى نصبح له بالخروج من الأستانة ، فلما جاء إلى مصر اتهمه العلماء كالشيخ عليش وبعض العامة بالإلحاد » أهـ

وقال الدكتور محمد عمارة في "الأعمال الكاملة" ص/ ٢٣ :

« كتب أبو الهدى الصيادي إلى الشيخ رشيد رضا مهاجماً ترديد المنار لأفكار

الأفغاني قال : « إنى أرى جريدتك طافحة بشقائق المتأفنين جمال الدين الملققة ، وقد ثبت فى دوائر الدولة رسمياً أنه ما زلنا نرى (باي) من أجلاف الشيعة ، وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية » أهـ

قلت : والباية كما فى (الموسوعة الميسرة . ص / ٦٣) حركة باطنية نشأت سنة ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسى واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزى بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الرئيسية . أما معتقداتهم فهي :

- ١- يعتقد البهائيون أن الباب هو الذى خلق كل شيء بكلمته وهو المبدأ الذى ظهرت عنه جميع الأشياء ...
- ٢ - يقولون بالحلول والاتحاد .
- ٣- يقولون بتناسخ الأرواح وخلود الكائنات .. الخ » أهـ .

وقد كان الأفغاني كما حكى المؤرخون عنه متلوناً مع كل مذهب ومع كل معتقد ومع كل جنس ، يلبس ثياب الشيعة إذا عاش معهم ، والعرب إذا جاؤهم ، له ألقاب متعددة . فهو أفغاني وحسيني وطوسى وأسدا بادي .. له أفكار مختلطة ، وله خطط واسعة .. ولا يخفى انتماءه للمحفل الماسوني الفرنسى واختياره رئيساً عاماً له فى مصر عام ١٨٧٨م .

ومع ذلك فقد كان حسن البنا يراه مصلحاً مجدداً ، لو سارت خطته فى طريقها ولم تحرف لوصلت إلى بغيتها .. والبصير بفكر حسن البنا لن يعيا فى الوصول إلى معرفة العلاقة التى جمعت بين حسن البنا وبين الأفغاني .. فهما يشتركان فى تهيج العامة على ولادة الأمور ، والسعى الدءوب فى ذبذبة الواقع ، لتحقيق مكاسب سياسية .. فقد كان الأفغاني بارعاً فى ذلك ..

قال رشيد الذوايدى فى كتابه (رواد الإصلاح . ص ٩٩) : « ويكفى الأفغاني فخراً وشرفاً أنه كان ملهم الثورات ، وداعية سياسي قدير ، لم يشأ أن يذعن لرجالات الحكم العاجزين على تطوير شعوبهم ، بل استنكر تصرفاتهم المخزية وأعلنها حرباً

عليهم .. خطب مرة فى الإسكندرية قبل خلع الخديوي إسماعيل عام ١٨٧٩م فقال : « أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتنتب ما تسد به الرمق وتقيم أود العيال ، فلم لا تشق قلب ظلمك؟

لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك » .. أهـ

وقال أيضاً (ص ٩٦) : « وواصل الأفغاني ثورته على الأوضاع المتعفة فى مصر ، فترصدته الأسماك ؛ وأخيراً لم يعد بإمكان الخديوي توفيق باشا أن يتغاضى عن أقواله ونشاطاته ، فاستدعاه إلى قصر عابدين ليؤنبه قائلاً :

« إنى أحب كل المصريين ، وإن دروسكم وأقوالكم المهيجة ستؤدي بالشعب والبلاد إلى التهلكة . » فاجابه الأفغاني بكل لطف : إن الشعب المصرى فيه الحامل والجاهل والعاقل ، وإذا قبلتم نصحي وأسرعتم لإشراك الأمة فى حكم البلاد فتأمرون بإجراء انتخاب نواب عن الأمة تمن القوانين ، فإن ذلك أثبت لعرشكم وأودم لسلطانكم » أهـ

فقد كانت دعوة الأفغاني دعوة سياسية ، قائمة على استغلال الأوضاع وإبراز الظالم ، والمتاجرة بها ، ومخاطبة الولاة والسلاطين مجاهرة بغير حياء ، وتليب العامة والفلاحين ، والدعوة إلى التهيج والإثارة ، من خلال الجمعيات الأهلية والصحف والمؤتمرات الجماهيرية ..

وقد صادف ذلك هوى فى نفس حسن البنا .. وذلك فى أوائل الأربعينات ، حيث بدأ ينقل دعوته من إطار النظام التربوى الدعوى إلى النظام الحركى ، وبدأ يظهر على الساحة السياسية . وبدأ يهتم بالانتخابات النيابية ، ومخاطبة الملك والوزراء مخاطبة مباشرة ، من خلال رسائله ، التى كان يوجهها إليهم من خلال جريدة الشهاب والإخوان والنذير والدعوة . الخ ...

وبعد أن كان لا يحضر دروس الثلاثاء إلا قلة قليلة لا تزيد عن عدد أصابع اليد ، ابتداء من نشأة جماعته عام ١٩٢٨م حتى عام ١٩٣٦م ، تضاعف المنتسبون إليه ، وبدأ يفترخ بالأعداد الهائلة التى انضمت إليه ، وبدأ يهدد الدولة بها ، قائلاً :

«ونحن الآن وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجه وأن تؤثر ولا تتأثر نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا» (رسالة المؤتمر الخامس . ص / ١٧٨).

وقد تأثر بحركة الأفغانى الثورية حركات كثيرة فى مصر والعالم والعربى ، وكتاب كثيرون وائمة . وكان من آثار تلك الحركات زعزعة الاستقرار وتهيج المجتمع المصري ، حتى دخل الانجليز مصر عام ١٨٨١م ، ولم يستطع أحمد عرابى أن يردهم ، واستمر الإنجليز فى مصر إلى أن خرجوا منها على يد الرئيس عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤م .

الإخوان منظمة سرية...

تعد جماعة الإخوان من أكبر المنظمات السرية فى العالم الإسلامى . ونظام الأسرى فى دعوة الإخوان نظام سرى مجهول لا يعرف أهله ، ولا يأمن المرء فيه على نفسه من الغواية ، فيه تقع الفتن ، ولا يعرف من الذى أوقعها ، فتجد الشاب يتحمل ما لا يعلمه ، ويسأل فيما يجعله .. فهناك أسر تنظيمية ، وأخرى دعوية ، وأسر خاصة بالدعاية والتشجيع ، وأسر خاصة بجمع الأخبار والأسرار والتجسس على العامة والخاصة .. وكل أسرة لا تعرف شيئاً عن الأخرى .. وقد تقترب أسرة من الأسر عملاً فتتكبره الأخرى ، وهى لا تدري أن الأمر قد صدر من المرشد أو النائب إلى تلك الأسرة ، كى تقوم بهذا العمل القبيح ، لمصلحة الدعوة .. وليقع الناس فى الحيرة .. هل هذا مراد للجماعة أم غير مراد ؟. هل هذا يعبر عن رأى الجماعة أم لا يعبر ؟ وبين السطور مقاصد ورسائل لا يدركها إلا من خطط لها .. وأمر المرشد أكبر من تلك العقول ، والواجب السمع والطاعة .

فكرة التنظيم السرى ..

من خلال استقراء المنهج العملى فى المنظمات الشيوعية والتشكيلات الحزبية والحركات الرافضية استطاع حسن البنا أن يستنبط فكرة التنظيم والخلايا السرية ، ويبلورها فى العمل الإسلامى لأول مرة فى تاريخ الإسلام .. وقد شهد بذلك الأستاذ / عصام تليمة ، قائلاً : « .. حسن البنا نفسه .. استفاد من تشكيلات الشيوعيين وغير الإسلاميين فى تشكيلات الإخوان المسلمين ، وهى نظام الأسر فى الإخوان ، والخلايا فى الشيوعيين ، واستفاد من تجربة النظام الخاص (التنظيم السرى) من بقية الأحزاب المصرية فى هذا الوقت » (المصريون . نت . ٢٤٠ - ٢٠٠٧م) .

وقد بين الأستاذ / عبد العزيز كامل أن نظام البيعة فى دعوة الإخوان مقتبس من الهيئات الماسونية .. فقال :

« بل تستطيع القول إن هذا الأسلوب كان أقرب إلى النظام الماسونى أو

الجماعات السرية التي أفرزتها عهود التآمر منها إلى عهود الصفاء والنقاء الإسلامي الأول» (مذكرات عبد العزيز كامل / ص/ ٥٧)

وقال الدكتور / مصطفى غلوش " الأستاذ بالأزهر": « الإخوان لهم تنظيم يشبه التنظيم الشيوعي ، ولهم أهداف براجماتية أو نفعية بحتة ، والإسلام لا يعرف ما يسمى بالتنظيم ، ولو كانت هذه الجماعة تنظيماً إسلامياً لأخذ به الأزهر من ألف عام» (الأخبار ١٢/٣ / ٢٠٠٥م)

وقد سيطر الفكر السري على دعوة الإخوان منذ نشأتها إلى الآن . قال أبو العلا ماضي : « النظام الخاص موجود برجاله المسيطرين على مفاتيح القرار وعلى التشكيل وعلى صياغة العقيدة الجديدة ، لدرجة أنه بدأت الآن تتولد مجموعات من أجيال لاحقة تفكر بنفس الطريقة » (العربي . ٣٠ مايو ٢٠٠٤م)

فالسرية سمة غالبة في جماعة الإخوان أينما كانت .. يريدون أن يقولوا لشباب المسلمين : الأرض مظلمة ، وأنتم مضطهدون ومراقبون ؛ ولا بقاء لكم إلا بالتنظيمات السرية .. وقد أصل حسن البناء لهذا الطريق ، يزعم أن الحكومات ستحاربهم ، والناس سيكفون ضدهم ، ليكونوا دائماً على خوف وحذر .. فقال : « أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميا وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية .. وأهداف قاتلا : سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم ، وستجدون من أصحاب الدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام ، وينكر عليكم جهادكم في سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم ، وأن تضع العراقيل في طريقكم . » (رسالة بين الأسس واليوم . ص/ ١٦٢) .

وقد ساعدهم على اقتفاء هذا الطريق ما قاله سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن ٤ / ٢٠٠٩) في حق أمة الإسلام :

« إن هذا المجتمع الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم » أهـ

أراد من ذلك أن يدفعهم إلى العزلة الشعورية ثم الانقلاب ، يزعم أنهم يعيشون في مجتمع جاهلي ، كما أراد حسن البنا أن يزرع فيهم نوعاً من التميز والاختصاص ، كي يدفعهم إلى الحذر والسرية .. يزعم عدم وجود إمام للمسلمين ، وعدم وجود دولة للإسلام .. فالإجماع متقاربان .. وهم في الحقيقة لا تميز ولا اختصاص .. ففكرهم يلتقي مع فرق شتى ومذاهب متعددة ، وهذا بالضرورة لا يدعو إلى الحذر والريبة بقدر ما يدعو إلى التقريب والاندماج . وليس الأمر بتلك الصورة التي صوروها . فالأمة مسلمة ، والخير باق بفضل الله تعالى ، والشعائر قائمة ، والدعوة موجودة بالطائفة المنصورة على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وليست بحاجة إلى السرية .

متى يلحق الشباب بالتنظيم السري ..؟

بداية التربية الإخوانية ..

تبدأ التربية في حركة الإخوان بصغار السن ، ليسهل ترويضهم والتحكم في رغباتهم ومشاعرهم ، حيث تهرب بهم من الواقع إلى الشواطئ وملعب الكرة ، والمراكز الصيفية والمقابر ، حيث توجهات السرية ، التي لا يستطيعون التصريح بها في وسط العامة ، ثم الأناشيد والمسرحيات والأفلام ، ثم تحديد الخصوم والأعداء والعقبات ، ثم بناء الآمال ، ثم اختبارات ترك الخلاف والأفكار الأخرى .

وفي التشكيل الفكري تضرب الأمثال وتقص المظالم التي تعرض لها الإخوان في سجون شمس بدران ، كي تؤثر في النفوس والمشاعر ، ثم تعرض الكتب الحركية الإخوانية ، لتحديد الاتجاهات والمطلقات والآمال والموائق ..

وكي تيسر المقاصد وتضخم المفاهيم تعرض بعض المسرحيات ، التي يقوم أحد أفرادها بدور مدرس اللغة المتعرج ، الذي يهدر عمره في خلاقات لغوية ، وآخر يقوم بدور الفقيه المجادل الذي يشغل نفسه في قضايا الحيض والنفس ، وآخر يقوم بدور الدرويش الذي لا له ولا عليه .. ومن بين هؤلاء يظهر صاحب الفكر

الراقي المعبر عن الصورة التامة للمسلم الشمولى ، الذى يهتم بأمر المسلمين فى العالم ، ويفرق بين الأصول والفروع ، والأولويات والمتروقات .! يظهر معابنا أو زاجرا لهؤلاء الذين شغلوا أنفسهم فى قضايا فرعية ، وتركوا المسلمين فى العالم يذبحون ويقتلون .. وبالموازنة بين الفريقين لا يجد الشباب الذى لا يعرف شيئا عن دقائق العلوم الإسلامية مهربا دون الوقوع فى تلك تلك المنظمة .. وكيف يتخلى عنها وهى هيئة مثالية كاملة ، لا يعترها نقص ولا يعيبها عيب ، فيها المنافع والمصالح ، فيها الأنشطة وفيها الأصحاب ، وفيها الأموال الكثيرة ، بينما الواقع من حولها يشوبه الفساد والفقر .! وكيف يتركها وهو محاصر بين أفراد لا يتركونه بالليل ولا يفارقونه بالنهار ، يحولون بينه وبين العالم أجمع ، حتى يتم تجنيده .! وكيف لا يجند وقد سمع أن " القافلة تسير والكلاب تنبح " .. " وإن لم تتركب القطار فلن يقف لك " . ثم بعد ذلك يلحق الشاب بحلقة دعوية ، ثم بأسرة سرية مكونة من خمسة أفراد .. قال محمود عبد الحليم : « وتكون الأسرة من خمسة أفراد .. وتكوين الأسرة من هذا العدد القليل يسهل لها الوجود فى أى مكان وفى أى وقت دون التقيد بمكان معين أو زمن معين .. وللأسرة نقيب هو الذى يتصل بالقيادة المحلية ، وللقيادات المحلية نقيب يتلقى من القيادة الأعلى وهكذا حتى يكون التلقي فى أوله من المرشد العام .. وللأسرة صندوق للطوارئ ، وهذه الصناديق كلها فى النهاية هى صندوق الدعوة » (أحداث صنعت التاريخ / ١ / ٢٨٧)

وتتكون الأسر من تنظيمات طبقية - أطباء مع أطباء ، عمال مع عمال . الخ ، وقد استفادوا ذلك أثناء اعتقالات ١٩٥٤م ..

وفى تلك الأسر يتربى الشباب على المفاهيم والأفكار الإخوانية ، ويتلقى التعليمات المنتظمة ، التى تنقله من مرحلة إلى مرحلة - حتى يصير أخا له حقوق الولاء والنصرة - من محب إلى أخ عامل إلى نقيب ، وإذا ابتلى بالسجن والاعتقال ناك تشريفة الأخ المجاهد .. ثم ينتقل فى التريقات من نائب ومدير إدارى إلى عضو شورى أو عضو إرشاد ثم إلى مرشد عام .. قال محمد عاكف :

« الفرد لا يصل إلى مرتبة الأخ العامل إلا عبر مراحل طويلة ، حتى يفهم طبيعة الإخوان ويكون له حق الترشيح والانتخابات ، فتحن جماعة مؤسسية ، كل مؤسسة هي التى تختار .. وحتى تكون أخا من الإخوان المسلمين لابد أن تمر على مراحل من أخ منتسب إلى أن تصل إلى تفهم ما هي جماعة الإخوان » (نافذة مصر . نت ١٤٢٧/٦/٢٠)

تدبر قوله : " وحتى تكون أخا من الإخوان " لتعلم مقدار الإخوة الإسلامية فى دعوة الإخوان ، وأنها قاصرة على من يتسب إليهم .!

والجهد فى نظام الأسر يشغل الفرد بتبع المصائب والأحداث عن طريق الصحف والمجلات ونشرات الأخيار ، ثم تقديم تقارير بذلك إلى القيادة العليا ، بما لا يدع للفرد مجالا لفهم الدين وتلقيه من مصادره الصحيحة ..

والدراسة فى الأسر لا تهتم بأهميات الكتب الشرعية ، ولا تعباً بالحفظ ، ولا تقتنى وسائل الطلب والجلوس للمشايخ والعلماء ، وإنما تقف فى الغالب عند مذاكرة الأصول العشرين وسلسلة الرسائل ، مع قراءة بعض الكتب الحركية ، التى تحدد الإطار التنظيمى والدعوى للجماعة ، والتى ترمى إلى أن يصل الفرد إلى مقام المؤيد لها والمتعلق بشيئها فى المقام الأول ..

ولا يمكن أن يلحق الشباب بالتنظيم السرى إلا بعد اختبار السمع والطاعة والبيعة . وفى هذا الاختبار يؤمر العضو بمقابلة مسئول التنظيم فى مكان محدد ببيئة معينة وفى زمن معين ..

ليتحقق لدى المسئول التنظيمى أن العضو أصبح بين يديه ، يوجهه كيفما يشاء .. فمن سأل عن الحكمة فيما طلب منه . قيل له : حين تأتى تعرف الحكمة .. فإن أصر على معرفة الحكمة استبعد كعضو تنظيمي ، ويكتفى به مجبا ، وإلا طرد وشنع عليه ، واتهم بالمرض النفسى والعمالة .. وإذا سمع وأطاع ترقى إلى مرتبة البيعة ..

وفي زمن حسن البنا كان امتحان الترقى إلى مرتبة الأخ العامل المخلص يتم على الكيفية الآتية : « أن يذهب المرشح للمكان المحدد ، ويتلقى من الشخص المقصود لفافة فيها قطعة حجر ، ويقول له هذا سدس .. خذه وأعطه فلان .. فإذا تبين له أن المرشح قد انزعج وأظهر الخوف فإنه يقول له لا تخف ، لقد نجحت في امتحان طاعة الأوامر ، ثم يصرفه . أما إذا أظهر شجاعة ، ونفذ التعليمات فإنه يكون قد نجح بالفعل ، وحينئذ ينضم إلى الفئة العاملة المخلصة الحافظة على السر » (محمود عساف . مع الإمام الشهيد ص/ ٦٣) .

وقد أشار إلى مثل ذلك عبد العزيز كامل قائلا : « كذلك هناك اختبارات الكفاءة البدنية للأفراد والتوازن النفسي والحماسي للدعوة ، مع القدرة على ضبط النفس . ويعرض عليه أحد أعضاء النظام هذه المبادئ الثلاثة (السمع والطاعة والكتمان) وأن ينفذ ما يلقي إليه دون تردد . فإذا ما اطمأن إليه ومر في بعض الاختبارات التمهيدية تحددت له ليلة البيعة » (مذكرات عبد العزيز كامل . ص/ ٥٧)

وقال الشيخ عبد الرحمن الرصد : « في يوم من الأيام وبعد عودتي من السكة الحديد من محطة ببا بأسبوط ، وجدت ورقة تركها لي أحد الإخوان في البيت ، مكتوب فيها " توجه إلى شعبة عابدين " وعندما وصلت إلى هناك ، وجدت رسالة أخرى أن أتوجه إلى شعبة قلعة الكيش ، وبيني قريب من شعبة قلعة الكيش ، فلم أقل لماذا أذهب إلى عابدين ، إذا كنت ساذبه في النهاية إلى قلعة الكيش ، ولكن أنا لم أتعلم النقد ولكن تعلمت الطاعة ! » (إخوان أون لاين . نت ١٤ رمضان ١٤٢٨هـ) ..

وتعد البيعة الملحق النهائي للانتماء إلى حركة الإخوان .. فإذا بايع العضو في الشرف المظلمة الحق بالنظام السري ، وأصبح عضوا عاملا .. وارتقت مهماته ، عن مهمات العضو الدعوى .. ومن ثم يتم توجيهه حسب قدراته إما في تنظيم الدعاية والإعلان والسياسة أو في التنظيم الخاص بالاستخبارات والتجسس على المخالفين . الخ . (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٢٤٨)

فإذا عقد الشباب الإخواني البيعة لزمه الطاعة التامة ، فلا يناقش ولا يجادل .. وهذا التسليم الكامل يجري تحت بند أن الإخوة الكبار يعرفون مصلحتنا ومصلحة دعوتنا أكثر من معرفتنا بها ، ويرون في الأمور ما لا نراه ، ولهم من التجارب والخبرات ما ليس لنا . ولترك الأمور تسير وفق الحطة المرسومة ، وعلينا الاتباع وكتمان السر ، ومن خالف كان مصيره إلى النار .

قال محمود الصباغ في كتابه (التنظيم الخاص ص/ ١٣٤) : « ثم يقول له فإن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير » أهد

ولا ينبغي له أن يسأل عن علة حكم أو اختيار ، فإذا سأل أو اعترض وجهه بقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ سَوْكُمْ » [المائدة . ١٠١] وتلك هي وصية مرشدهم الأول في (رسالة التعاليم . ص/ ٣٩٧) حيث قال : « أريد بالطاعة التامة امتثال الأمر وإنفاذه توا في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وذلك أن مراحل الدعوة ثلاث ..

ثم بين حكم المرحلة الثانية (مرحلة التكوين) قائلا :

« ونظام الدعوة في هذه المرحلة صوفي بحث من الناحية الروحية وعسكري بحث من الناحية العملية وشعار هاتين الناحيتين دائما أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج » أهد وقال في (رسالة التعاليم . ص/ ٣٩٧) : « ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا كمال الطاعة » أهد

وبناء على ذلك لا يجوز للإخواني إذا بلغ رتبة " الأخ الركيزة " أن يتحرك أو يسكن أو يسافر أو يتزوج إلا بإذن . قال حسن البنا : « وأن تحيط القيادة علما بكل ظروفك ، ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيرا جوهريا إلا بإذن ، وأن تكون دائم الاتصال الروحي والعلمي بها وأن تعتبر نفسك دائما جنديا في الكتكتات تنتظر الأمر... » (الرسائل . ص/ ٤٠٤)

قال محمود الصباغ : « وعلى الفرد ألا يقدم على أي عمل يؤثر في مجرى

حياته كالزواج والطلاق قبل أن يحصل على تصريح به من القيادة عن طريق أمير الجماعة» (التنظيم الخاص. ص/ ١٤٠).

وقد اتخذ النواب تعليمات القائد نصوصاً قاطعة، لا تجاوز ولا تخاف، كما هو الأمر في النظم الكهنوتية والتنظيمات الباطنية.. فالطاعة العمياء جزء من كمال الدين وتمامه.. هكذا فهم الإخوان.. قال أحمد رائف نقلا عن أحد أعضاء التنظيم الخاص: «النظام الخاص تحكمه الطاعة العمياء والإيمان المقدس بأن هذه الطاعة جزء من كمال الدين وتمامه» (صفحات من تاريخ الإخوان. ص/ ٢٢٩)..

هذا هو منهج الإخوان.. ومن أجله كانوا يتبعون كافة الرياضات والمجاهدات مع أتباعهم، ليكونوا طوعاً أيديهم وهرن إشاراتهم.. فإذا خالف العضو التعليمات عوقب بما يناسبه، قال حسن البنا: «كل أخ لا يلتزم هذه المبادئ لنائب الدائرة أن يتخذ معه العقوبة التي تناسب مع مخالفته وتعيده إلى التزام حدود المنهج» (مذكرات الدعوة. ص/ ٢٥٥).

تلك هي الحقيقة التي كان عليها الإخوان، وتلك هي الطاعة التي أوردتهم المهالك، عندما وقعت الفتنة بينهم وبين عبد الناصر عام ١٩٥٤م، كما عبر عن ذلك محمود عبد الحليم، بقوله لعبد القادر عودة: «إن دماء هؤلاء أمانة في أعناقنا نحن الذين اختارونا قادة لهم، يتلقون منا دون مناقشة ولا مراجعة فمن حقهم علينا أن نطلعهم على ما عندنا» (أحداث التاريخ ٣ / ٣٩١)...

وقد حذر الغزالي شباب الإخوان من الوقوع في مغية هذا المنزلق الخطير الذي عده من موروثات الفرق الماسونية والطقوس الكنسية، فقال: «أيها الأخ المسلم. ارفض الغموض في رسالتك واحذر قبول الريبة باسم السمع والطاعة فالطاعة في المعروف. فإن التسليم لأوامر بعض طقوس الماسونية في هذا العصر وبعض طقوس الكنيسة في العصور الوسطى المظلمة، أما الإسلام فبريء من هذه المسالك المحدثة.. ثم قال: إن هذه المناشدة الحارة لم تجد صداها الواجب.. وإن الجمهور المخدوع كان كالجراجات المعبدة إلى نهايتها لا تقبل جديداً ولا مزيداً» (من

معالم الحق في كفاحنا الإسلامي. ص/ ٢٢٠. دار الصوحة. ط ١٩٨٤م)

وهذا النوع من السمع والطاعة هو الذي أغلق مجالات البحث والنظر والفكر في تلك الدعوة. وبانتهائها إلى هذا الحد يقع العضو في مجالات التطرف والتكفير. أو يسقط في مهاوى التقليد والجمود، ليتولد من ذلك جماعات متعددة وأفكار متشعبة، قال الأستاذ فتحي يكن: «إن الثقة بالفكر والثوابت المنهجية التي نحمل ونعتمد يجب أن تدفعنا إلى الافتتاح على من خلفنا، والاستماع إلى الرأي الماكس، سواء كان من صفنا أم من صفوف غيرنا، فإما أن نقتعه بما عندنا، وإما أن نضيف مألديه إلى ما لدينا من غير غضاضة ولا حرج. لو أن ذلك حدث لما كانت هناك المدرسة القطبية والمدرسة الترابية وحزب الوسط وغيرها من المدارس، التي توالدت من رحم الحركة بشكل أو بآخر» (تساؤلات مستقبلية حول الدعوة الإسلامية. ص ٧٣)...

وإذا سقط العضو في برك التقليد كان فريسة لعقول المرشدين..

وما أكثر القوالب المستنسخة والعقول الجامدة في تلك الدعوة. فأكثر الأعضاء في دعوة الإخوان ما هم إلا كالحفام في يدي المرشد، يقلبهم كيفما يشاء، يأمرهم بعبادات معينة، ويكرههم على الالتزام بها، لا من أجل شرعيتها، ولا من أجل أنها دين يتعبد به، ولكن لأجل أن المرشد أمر بها. ويجب على المنتسب أن يخضع لما رآه المرشد دون النظر في مصدره أو حجيته.. وقد بلغ بهم الأمر أن استجابوا للمرشد العام محمد عاكف حين دعاهم ألا يخرجوا من بيوتهم ولو من أجل الصلاة، التزاماً بالاعتصام والعصيان المدني الذي دعت إليه حركة كفاية و" شباب ألقين بوكس" في صيف ٢٠٠٨م.. فالمرشد له الحق أن يخترع عبادات معينة ويلصقها بالدين: كصيام أيام مسعدة، دون تحديد شرعي، والالتزام بقيام ليل في أيام محددة، لاصطياد الشباب، والالتزام بالذكر الجماعي على طريقة جهلة الصوفية وعباد القبور وترديد أورادهم المشتهرة كورد الدرقاوية أو ورد التيجانية. وللمرشد الحق أن ينهائهم عن الصلاة في المساجد جماعة، وله الحق أن يأمرهم بحلق

اللعن ومخالفة هدي النبي ﷺ ..

لماذا يرفض أهل الحديث التنظيمات السرية ؟

ليست السرية غاية في العمل الدعوى ، ولكنها وسيلة ، إذا انقضت ضرورتها انقطع العمل بها ، وقد كانت الحاجة إلى السرية ملحة في أول الدعوة الإسلامية ، حيث استمرت المواجهات واشتدت الفتن بين الرسول ﷺ وبين مشركي قريش ، ولم يكن لأكثر الصحابة (رضى الله عنهم) من يجيرهم من أذى قريش ، كى يبلغوا دعوة الله تعالى ..

واستمرت تلك السرية ثلاث سنين ، ثم بدأت المواجهة بإعلان الحق ، مع الأمر بالصبر وعدم القتال .. وقد دعا النبي ﷺ إلى الله تعالى بالحجة والبرهان ، ولما مكن وصارت له دولة وأعلنت شعائر الإسلام لم يكن هناك حاجة إلى السرية ؛ لأن المجتمع أصبح مسلما ، والجميع مشارك في العمل للإسلام ..

ونحن الآن في مجتمعات إسلامية ظاهرة ، تفتح فيها المساجد لإقامة الشعائر ، ويفسح فيها المجال للدعوة إلى الله تعالى ، وليس في المجتمع من هو بحاجة إلى كتمان إسلامه ، خوفا من العقاب ، ولا من هو مكروه على مشاركة المشركين أعيادهم أو صلواتهم .. ووجود جماعات علنية على الساحة تدعو إلى الله تعالى ينقض مبدأ الإخوان في ضرورة السرية ..

ثم إن الإخوان ليسوا دولة ، فهم حركة داخل دولة ، تلك الحركة قامت على مر السنين والأعوام بمبايعة الملوك والرؤساء مبايعة صريحة أو مشروطة ، تلك البيعة لا تحمل لهم تلك التنظيمات السرية الباردة .. فكيف إذا كان الإسلام لا يعرف أصلا ما يسمى بالتنظيم .. فلم يكن من هدى النبي ﷺ ولا من هدى الصحابة من بعده (رضى الله عنهم) ولا من هدى التابعين ومن تبعهم ..

فقد حذر النبي ﷺ من السرية في دائرة الإسلام ، لما فيها من الفتنة .. فعن نافع عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أوصني . قال : « اعبد الله ولا تشرك به شيئا وأقم الصلاة وآت الزكاة وصم رمضان وحج البيت واعتمر واسمع

وأطع وإياك والسر » (السنن لابن أبي عاصم ٢ / ٥٠٩ . قال الألباني : إسناده جيد.) ونهى أن يتناجى اثنان دون ثالث فقال ﷺ : « لا يتناجى اثنان دون ثالث » (رواه الشيخان عن ابن عمر) والتناجى : هو التخاطب سرا من غير المتخاطبين .. وحكمة النهي عن التناجى لما فيه من إثارة الوسواس والظنون بين المسلمين ، ولما فيه من قلب الحزن والبغض في النفوس .. وهذا ثابت في التنظيمات الإخوانية . ونهى النبي ﷺ عن التفرق في الشعب والأودية ، حتى لا يفتح مجالا للتنازع والتباغض ، فيكون ذلك دافعا إلى ترميق أو أضرار الجماعة . روى أبو داود عن أبي ثعلبة الخشني قال : كان الناس إذا نزل رسول الله (منزلا تفرقوا في الشعب والأودية ، فقال رسول الله ﷺ :

« إن تفرقكم في هذه الشعب والأودية إنما ذلكم من الشيطان » فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال : لو بسط عليهم ثوب لعمهم » (صحيح سنن أبي داود ٢٦٢٨)

وبناء على ذلك حذر أئمة السلف من اقتفاء السرية في العمل الدعوى . قال عبد الله بن المبارك عن الأزاعي قال عمر بن عبد العزيز : « إذا رأيت قوما يتناجون بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة » (أصول الاعتقاد للالكائي ١ / ١٣٥) .

فالعمل السري يثير العداوة والبغضاء والفرقة . وإن لم يكن في نظام الأسر إلا ذلك لكان كافيا في تقهده والتحذير منها ، فكيف وقد جمعت كل بلاء وخالفت سنن المرسلين والأنبياء ! ! يسببها يترى الشباب على الحذر والخوف ، الذي يقيد فكره وحركته وحياته ، ويسببها يبرر الكذب والتلون والامتزاج مع الباطل ، ومن أجلها تحقر السنن وتبدل الشرائع والأحكام ، وتنقلب المشاعر وتفتن القلوب . . وهذه مفسدات أخرى في التنظيمات أنسرية ينمسه كل دارس ويفقهها كل لبيب ، ويدركها كل مجرب ، لا يسع المؤمن الصادق إلا أن يمجها ويحتقرها مهما كان أمرها:

١- أنها تحجب النصيحة عن محتاجيها، للاحتياطات الكبيرة والشكوك الكثيرة التي يستشعرها تجاه المحيطين به... فالإخوان يربون شبابهم على مراعاة الحس الأمنى، حتى يظن الشاب أن كل الناس يتلصصون عليه، وأن الأرقام الصناعية تراقبه.. وقد ينهى الإخواني في العمل التنظيمي عن القيام بالأمر المعروف والنهي عن المنكر، وذلك حتى لا يتكشف التنظيم الذي يعمل فيه. وإذا خالف عوقب. ويعظم العقاب إذا كان الأمر والنهي يؤثر على رابطة الأحلاف المتعقدة مع أصحاب الأيدلوجيات المخالفة.

٢- العمل في نظام الأسر ليس عملاً خيراً، يتعاون فيه الناس على فعل الخيرات، لخدمة المجتمع والمسلمين على السواء، ابتغاء وجه الله تعالى، وإنما ينحصر في محيط الجماعة وما يعود عليها وما يرفع اسمها في المقام الأول..

٣- يقوم الاختيار في العمل السري على مفهوم النظم الاستخباراتية التي تبحث عن الموالين وتقربهم، وإن كانوا جهلاء، وتبعد الأكفاء وإن كانوا من أعبد الناس وأعلمهم..

٤- التنظيم السري هو الطريق الأخطر لخروج جيل لا يخضع للعلم ولا للعلماء، وإنما يخضع لكوادر تنظيمية جاهلة، تأخذ الشبَاب بعيداً عن عامة الناس، ليملأوا عليهم ما لا يستطيعون إملاءه وسط العامة.. وهذا الجيل الذي يتربى على السرية قد يشارك في العنف دون علم غيره، ويأتي الغير ليترأى فيجد الآخر يثبت. ويرجع ذلك إلى أن التنظيم السري يتضمن عدة تنظيمات متنوعة في اتجاهات مختلفة، لا يعرف بعضها شيئاً عن الآخر.. وعندما يقع ضرر عليهم أو على المجتمع من أي من تلك التنظيمات تجدد الآخرين لا يعرفون عن ذلك شيئاً.. وينكرون ما هو في الحقيقة من صميم دعوتهم. وقد بين الدكتور عبد العزيز كامل في مذكراته ص/ ٨٣ أن القاعدة الإخوانية: «هى وقود كل اعتقال يتحملونه بالصبر ويحاسبون على ما لا يعرفون ويحصدون ما لم يزرعوا» أهـ

ولا يخفى على كل بصير بأمر الدعوة عظم ضلوع التنظيمات السرية

للإخوان المسلمين في الاغتيالات السياسية؟ ومفاسد النظام السري مؤثرة بالحقبة والحسرة. إن لم يكن على نفسها فعلى غيرها من الدعوات..

٥- يساهم نظام الأسر في تنمية فكر التعصب والتحزب للأشخاص، فكل أسرة لها رئيس، وكل رئيس ينقل للقيب، والقيب ينقل للناقب، والناقب ينقل لعضو المكتب، وعضو المكتب ينقل للمرشد.. هذا هو الذى يطلقون عليه البناء الهرمى.. وهو سمة عامة من سمات المنظمات السرية..

ولأجل اختصاص كل طبقة بنوع معين من العلوم، وحدود معينة من القضايا فإن شباب الإخوان لا يصدقون ما يقال في شأن جماعتهم من التقدير والتجريح. فالعلوم متدرجة في المحيط التنظيمي عند الإخوان، كما هي متدرجة في إطار الإمام المعصوم عند الباطنية، كما هي متدرجة في إطار الولاية عند الصوفية. وليس للعلماء مساحة في توجيه هؤلاء الشباب. فلا يعرف الفرد الإخواني ولاء إلا للمرشد وللجماعة.. هذا هو الذى له يعمل ومن أجله يثر.. فجماعة الإخوان تنسب إلى حد كبير دعوة الباطنية.. والدعوة الباطنية لها مراتب. تبدأ بالتفرس في حال المدعو قبل عرض الدعوة عليه، هل يقبلها أم لا يقبلها! ثم الدخول إلى كل شخص من الباب الذى يناسبه، حتى تستوعب الدعوة كافة أفراد المجتمع.. ثم أخذ العهد على المدعو ألا يقشي سرا من أسرار الجماعة.. والزعم أثناء ذلك أن أكابر الناس من القضاة والأطباء معهم، ليعتبر قبول الناس لدعوتهم. وهم في نفس الوقت يرفعون كافة العوائق التي تحول دون الانتساب إليهم، ولو أدى ذلك إلى إسقاط السنن وتهوين الفرائض وتأويل العقائد أو تفويضها. وأساس دعوتهم قائم على سحب البساط من تحت أقدام العلماء الربانيين لوضعه في يد الأفراد النظاميين والحزبيين السياسيين.. ليتخذوا أئمة يقتدى بهم في كل فعل.

التربية الحزبية في دعوة الإخوان ..

لا نجد نبذا لأهل العلم والسنة كما هو في جماعة الإخوان ، وذلك لأن العمل في نظام الأسر ينمى فكر التحزب للجماعة في المقام الأول ، ولو أنك انتقدت أحدا منهم اتهمت في دينك وعرضك . فأراؤهم قطعية الثبوت والدلالة ، غير قابلة للنقد ولا للمراجعة ، وأعداؤهم عملاء وخونة ، لا شيء غير ذلك ! وهذا بدوره ينزع من قلب المسلم الولاء والبراء في الله تعالى إلى الولاء والبراء في غيره . ويمنع قبول الحق ، مهما كانت براهينه ومصادره ، إلا إذا جاء عن طريق أئمتهم وأشباههم ، كشأن الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيُكَفِّرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة .. (٩١)]

والحزبية الإخوانية تسعى بكل طريق إلى احتواء الفرد في الجماعة قبل أن تجذبه أفكار أخرى ، وإذا احتوته أحاطته كسوار المعصم ، حتى لا يفكر في شيء آخر . ومن أجل ذلك فهم يعملون على اختراق جميع الهيئات ، أملا في السيطرة عليها ، وبت الفكر الإخواني من خلالها .. تلك الحزبية لا يمكن أن تخضع لمنهج آخر ، طالما أنه جاء من غير مفكرها ومرشديها ، فهناك إسلام خاص اسمه " إسلام الإخوان " . ذا هو الذي أقسموا على التمسك به والجهاد في سبيله . ومن أجل ذلك فإنهم يستخدمون النصوص الشرعية ، ويستغلون العواطف الدينية ، لخدمة الفكر الخاص بالجماعة ؛ وهذا يفسر عزوف شبابهم عن تلقى العلوم الشرعية من أهل الحديث . ويفسر كذلك سعيهم في إفساد دعوتهم بكل سبيل .. وهذا سلوك مخالف لمنهج الإسلام ، ومخالف لقيومات الشخصية السوية والقطرة الصحيحة ، التي ينبغى لها أن تفتح لفهم الحقائق دون جمود وتعصب ..

وغاية المنتهى في سلوكهم أن يجعلوا من وافقهم ووالهم على الحق ، ومن خالفهم وعاداهم على الباطل .. وهذا مما حذر منه أئمة الإسلام ، وذلك أن أهل

الحق يقبلون الحق ويعملون به ، مهما كان بغضهم لقائله ، ومهما كانت مصادره .

قال شيخ الإسلام (رحمه الله) : « وليس للمسلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا مايلقى بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة. ٢] .

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدا بموافقة على كل مايريد وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه .

بل من فعل هذا كان من جنس جنكيزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا واليا ومن خالفهم عدوا باغيا ،

بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله ويدعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله (مجموع الفتاوى ٢٨/١٥)

فالطاعة في الإسلام لا تكون إلا بالعلم والدليل ، ولا تكون إلا في المعروف ، ولا تكون بالقوة إلا من قبل أولياء الأمور ، ولا تكون إلا بقدر الاستطاعة ، قال تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ واسمعوا أطيعوا ﴾ (التغابن. ١٦)

ولا تكون الطاعة تحزبا للهيئات ، ولا تعصيا للأشخاص ، ولا تعظيما للصور ، إنما تكون لله تعالى وحده إخلاصا لدينه وإتباعا لرسوله . (ومن ترك الإخلاص فقد نافق ، ومن ترك التماعية فقد ضل .. والجمع بينهما هو عمل المؤمنين الصادقين .. أما المنهج الإخواني فقد تجاوز عن تلك القواعد ، وقام بإرضاء كافة الطوائف ، من أجل تجمع أكبر عدد من الناس ، إما بالسكوت عن أصل الحق ، أو بالبحث عن الرخص والزلات ، أو باتقاء مبدأ ميكافيلي .

وقد استشر الأديب سيد قطب في دعوة الإخوان سعيها الدهوب في إرضاء الناس على حساب الدين والملة ، كأنهم أوصياء عليه .. فين أن شريعة الله تعالى أغلى من أن يضحي بها من أجل إرضاء أحد من البشر أو من أجل وحدة الصف ،

فقال (رحمه الله) فى كتابه (فى ظلال القرآن ٩٠٣) : « أغلق الله - سبحانه - مداخل الشيطان كلها ؛ وبخاصة ما يبدو منها خيرا وتأليفا للقلوب وتجميعا للصفوف ؛ بالتساهل فى شيء من شريعة الله ؛ فى مقابل إرضاء الجميع أو فى مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف ! إن شريعة الله أبقى وأعلى من أن يضحي بجزء منها فى مقابل شيء قدر الله ألا يكون ! » أهـ

وأهل السنة لا ينكرون اجتماع الناس ووحدهم . إنما ينكرون التحزب للأشخاص والجماعات .. ولكن ما الاجتماع المطلوب ؟

والجواب : أن من أراد الاجتماع باعتبار الالتفاف حول المنهج النبوي فقد أصاب ، وهذا هو ما أمر به الله فى كتابه ، قال تعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران ١٠٣)

كما نهى عن الفرقة والاختلاف فى قوله تعالى : «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» (الأنفال ٤٦)

أما من أراد الاجتماع على حساب المنهج النبوي ، وقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الإسلام ، فهذا سعى فيما يفضى بالله تعالى ..

منهج الصحابة ..

ولو اطلع الإخوان على منهج الصحابة (رضى الله عنهم) وقت المحن لتبين لهم حقيقة ما هم عليه من المفاهيم الشاذة .. فقد كان الصحابة إذا اشتدت بهم المواقف يميزون الصفوف ، فيردون المخلطين ، ويقربون البدرين وأصحاب الشجرة . وما ذلك إلا لعلهم بالفارق بين من يأتى على يديه النصر وبين من هو شؤم أهله .. ونكثنا كل من أراد وحدة الصف وصلاح الأمة ، لا بد أن ينظر فى البطانة أولا ، كما نظر الصحابة ، ليختار أخلص الناس غاية ، وأثبتهم ديناً ، وأكثرهم ورعاً ، وأزهدهم فى الدنيا ، وأحبهم للفقراء ، ثم يبدأ بالإصلاح ..

أما أن يقاتل بصفوف مخلطة ، فهذا كالذى يسبح فى الأرواح ، ويبنى فى الوحل .. قال الإمام ابن كثير : « بعث " أبو بكر الصديق " خالد بن الوليد لقتال

مسيلمة وبني حنيفة وكانوا فى قرب من مائة ألف أو يزيدون ، وكان المسلمون بضعة عشر ألفاً ، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون ؛ فقال المهاجرون والأنصار : " خلصنا يا خالد " فمیزهم عنهم . وكان المهاجرون والأنصار قريباً من ألفين وخمسمائة فصمموا الحملة وجعلوا يندابرون ويقولون : " يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم " فهزمهم بالذن «(البداية والنهاية . ٦ / ٢٦٨)

بهؤلاء الأخيار وبهذا المنهج فتح الصحابة العالم ، ونشروا الإسلام ، ورفعوا راية التوحيد ، ودانت لهم الأرض ، وغير الناس دينهم إلى دين الإسلام ، ولغتهم إلى لغة الإسلام ، وعاداتهم وتقاليدهم إلى عادات وتقاليده المسلمين . هذا هو منهج الصحابة (رضى الله عنهم) .

أما الإخوان فقد اقتفوا منهجاً لا أصل له ، جمعوا فيه بين الغث والسمين ، ليصلوا إلى بغيتهم فى الحكم ، فلم يستقد العالم الإسلامى منهم إلا فى إضعاف الأمة ، وتشويه صورة الإسلام ، وزيادة أعدائه وخصومه ..

مثل الإخوان ..

فمثلهم كمثل فارس دخل حلبه سباق بفرس له أربعة أرجل أحدها : رجل فرس ، والثانية : رجل جمل ، والثالثة : رجل ثعلب ، والرابعة : رجل بقرة ..

ومع تلك التراكيب المتفاوتة ظن الفارس أنه سيكون بفرسه الأعرج فى المقدمة . وهذا بلا شك وهم باطل وظن فاسد ، فلا يمكن أن يكون الفرس بهذا الوصف ويقبل فى السباق ، فضلاً أنه لو قبل لكان فسكلاً فى المؤخرة . ولو جاز أن يقبل هذا الفرس فى حلبه السباق لجاز للدعوة الإخوانية الشمولية (!) أن تسير بمذاهب شتى وعقائد متنوعة ثم تصل إلى غايتها .. أظن أن هذا ممنوع كهذا .

وقد مثل العلامة مقبل بن هادى الوادعى المنتسب لفكر الإخوان كحاطب ليل يجمع ما يقع تحت يده ، وربما تلذغه الحية وهو لا يدري . فقال (رحمه الله) إنه : « مثل المخضرية . والمخضرية : أنه كان رجل فى سوق الملح يصنعاء يبيع الفول ، فمرت بجانبه بغلة ، فذرت فى الفول ، ثم التفت يمينا وشمالاً : هل يراه أحد ؟ فلم يره

أحد، فحرك الفول بيده ثم يدعو الناس : مخضرة ، مخضرة » (فضائح ونصائح ص/ ١٢٦) .

ومثلهم العلامة محمد أمان (رحمه الله) برجل بنى مسجداً في سوق خاصة بالناس ثم وقف بينهم يدعوهم إلى الصلاة ، قالوا : « فليات كل واحد على ما هو عليه ، التوضيء بوضوئه ، والمحدث بحدثه ، والجنب بجنبته ، بل وحتى الحائض والنفساء ، لأننا لا نرد أحداً ، إذ قصدنا خلق مجتمع إسلامي عام شامل وكلنا إخوان مسلمون ، ولا داعي للتشدد لأن التشدد يفرق بين صفوف المسلمين » (مجلة الجامعة الإسلامية ص/ ٢٨٣ عدد : ٥٦ ، ١٤٠٢ هـ) ..

وأعتقد أن تمييز الباطل من الحق لا يحتاج إلى كثير جهد ، فالحق تعالى لا يقبل صلاة محدث حتى يتوضأ ، ولا جنب حتى يتطهر ، ومن أدرك ذلك علم أن الأمة لا تصلح بصفوف مخلطة ولا بعقائد فاسدة . فصراط الله تعالى واحد غير متعدد ، والصراط المستقيم هو الطريق الذي لا التواء فيه ، وهو طريق الفلاح . من استقام عليه في الدنيا اجتاز الصراط المنسوب بين ظهرائي جهنم في الآخرة .. أما صراط الشياطين فهي كثيرة متباينة ، لا تقف على غاية ، ولا تنتهي إلى فلاح .. من سقط فيها فهو مستحق لعذاب الله في الآخرة . وعليه فلا شأن دعوة تزعم أنها دعوة شمولية تجمع أطرافاً متنوعة تحت لواء واحد ثم تنتهي إلى غاية واحدة مقصودة أو تكون في المقدمة فقد أرادوا التجميع الديني من أجل الضغط السياسي ، ففرطوا في الدين ، وأفلسوا في السياسة ، فلا أرضاً قطعوا ولا ظهراً أبقوا .

احتجاج قديم ..

كان دعاة الإخوان قديماً يحتجون على تقديم فكر التجميع ووحدة الصف على كلمة التوحيد بقول نبي الله هارون حين عاتبه نبي الله موسى (عليهما السلام) قالوا : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه ٩٢ ، ٩٣] فقال له هارون : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه آية ٩٠] فيقولون . دعوا الناس على ما هم عليه حتى تتوحد كلمتهم ..

وينصب إمامهم وترد مقدساتهم .. وتعود الدولة الإسلامية .. وهذا بلا شك خطأ تاصيلي ، وذلك لأن الله تعالى بين أن هارون (عليه السلام) لم يتجاوز النزاع القائم بين الموحدين والمشركين ، ولم يهادن أهل الباطل من قومه ، بل إنه أدى ما عليه من الأمر والنهي ، كما أمره الله .. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴾ [طه ٩١ ، ٩٠] وبسبب ذلك كاد أن يقتله سفهاء بني إسرائيل ، وهذا ما دل عليه قوله : ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف ١٥١] .

وقد عاتب موسى هارون على بقاءه مع الذين اتخذوا المعجل ، دون الهجرة إليه بعدما أن رأى منهم من الشرك ما رأى .. ثم إن الله تعالى كتب علي بنى إسرائيل الذلة والمسكنة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأمرهم أن يقتلوا أنفسهم ، إذا أرادوا أن يتوبوا إلى الله تعالى من فعلهم . فلو كانت الغاية مجرد التجميع كما يزعم الإخوان ما كانت تلك هي العاقبة . فليس للإخوان حظ في الآفة ، ولا يجب التهنين من قضايا الأمر والنهي ، لأجل التكوين والتجميع ووحدة الصف ..

متى أسفر حسن البناء عن فكر التجميع ؟ ..

أسفر حسن البناء عن فكر التجميع حين تعرض لنقد من جماعة أنصار السنة المحمدية ، جراء تهانه في محاربة البدع والمنكرات ، والاعتصار على جمع الناس حوله ، باختلاف ألوانهم ، على حساب الدين والمنهج ، اكتفاء بالموافقة على قيادته وببيئته .. فقام يرد على هذا النقد في مجلة (الإخوان المسلمون) في أواسط الثلاثينات ، كما ذكر محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢/ ٣٥٤) : فكتب مقالاً رسم فيه مبرعاً كبيراً كتب على حوافه الأربع من الداخل* لا إله إلا الله محمد رسول الله* ورسم في مركز هذا المربع مبرعاً صغيراً ، وكتب فيه : * إن إخواننا الذين ينتقدوننا يحضرون دعوتهم في حدود المربع الصغير الذي يقع في مركز الدائرة ، وهم بذلك يقصرون على الذين اكتمل فيهم كل ما يرون أنه العقيدة الصحيحة وهذا عدد ضئيل .. أهـ

فيجعل حسن البنا الذين يهتمون بتحقيق الدين ويردون على أهل البدع عاملين للإسلام في حدود المربع الصغير، الذي ليس فيه إلا القلة العديدة،

أما الإخوان فإنهم يعملون مع أصحاب المربع الكبير، الذي يجمع كل من قال " لا إله إلا الله محمد رسول الله ". مهما كانت معتقداتهم ..

هذا هو طريق الإخوان : ترك الحصومة في الله تعالى، لأجل التفاف الناس حولهم، والأستاذ المرشد لا يشغله فساد القدرية، ولا ضلال المعتزلة، ولا يؤرقه تكفير الشيعة الرافض لصحابة رسول الله ﷺ، ولا يعنيه معتقد المعطلين لصفات الله تعالى. ولا خصومة بينه وبين اليهود ! فتصحيح المفاهيم الدينية لا يدخل في جملة اهتماماته ! وهذا بالضرورة طعن في مفهوم الشمولية الذي يغترون به على الجماعات الأخرى ..

وقد سيطر فكر التجميع على دعوة حسن البنا حين تكلم في الصفات الربانية فقدم فكر التفويض والتجهيل على فكر الإثبات والتزنية، وقال عن الخلاف الدائر بين السلف وبين الخلف في تلك القضية إنه : « لا يستحق من السلف ضجة ولا إعتنا » (ص/ ٧٦ من رسالة العقائد) وقال في نفس الصفحة : « أن تأويلات الخلف لا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا » أهد ودعا إلى إهمال النظر في تلك القضايا لحساب وحدة الصف، وقال في (رسالة العقائد ص/ ٧٨): « وأهم ما يجب أن نتوجه إليه هم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة » أهد ودعا إلى ترك الفصل في مسائل النزاع على الموم، وكانت حجته في ذلك عدم وجود الإمام وغياب الدولة (في قافلة الإخوان ص/ ٢٠٨) .. فالإخوان ينتظرون الإمام منذ أن قامت دعوتهم سنة ١٩٢٨م إلى الآن، كما ينتظر الشيعة إمامهم المعلوم من ٢٦٥هـ إلى الآن. فلا تشغلن بالك بمعرفة الحق، إلى أن يخرج الإمام، وتقام الدولة الإخوانية. وحتى ذلك فلتعبد ربك بالطريقة التي تراها .. المهم أن تكون تحت راية حسن البنا .. تسمع وتطيع وتكتم ! ولا تفصيرك الطرد والإبعاد .. وما انتهى إليه من إرجاء الأمر والنهي إلى أن تعود الخلافة خلاف ما أمر الله تعالى في كتابه

من رد النزاع إليه على كل حال دون التقيد بزمان أو مكان أو إمام، قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء ٥٩) .

وقد تبين أن الخلافة انقرضت ..

غير أن الدول الإسلامية باقية، وإن كان كل قطر منفصل عن الآخر. لتعذر اتفاق الناس في جميع الأقطار على أمر الخلافة .. فهذا أمر أقره علماء الأمة .. فلا يعني عدم وجود الخلافة غياب الدولة المسلمة، كما يعتقد الإخوان .

القاعدة الشهيرة ..

ومن أجل الوصول إلى تجميع الناس حوله أطلق حسن البنا قاعدته الشهيرة " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " .. يقولون إنه أخذها من الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) الذي حاول التقريب مع الشيعة، ولكنه فشل في ذلك. ولما تبين له أمرهم عاداهم معاداة شديدة، ولم يتجاوز عن الخلافات التي بين أهل السنة وبينهم، لأجل وحدة الصف، كما فعل حسن البنا .. وقد قدس الإخوان تلك الكلمة التي ضيعت المناهج، وأفسدت المعتدات، وأسقطت الحجة الرسالية، وفتحت الجسور مع أهل الباطل، من أجل إقامة الدولة الإخوانية، قال محمد عاكف : « وحتى الأحزاب العلمانية سيكون بينها وبينها علاقة تحكمها القاعدة المشهورة : نتعاون فيما نتفق فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .. ولا قطعية ولا حرب » (إسلام أون لاين.نت/ ١٥-١-٢٠٠٤).

وقد كانت تلك الكلمة سببا في بقائهم بعيدين عن كثير من أمور الدين العلمية والعملية، بسبب تجميد التناصح السنّي فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى. وهذا هو الذي أخذه الشيخ الألباني على جماعة الإخوان، حيث قال : « الإخوان المسلمون ينطلقون من هذه القاعدة التي وضعها لهم رئيسهم الأول وعلى إطلاعها ولذلك لا تجذب فيهم التناصح المستقي من نصوص كتاب الله وسنة رسول الله . هذه العبارة هي سبب بقاء الإخوان المسلمين نحو سبعين سنة عمليا

بعبدين فكريا عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً وبالتالي بعبدين عن تطبيق الإسلام عملياً لأن فاقد الشيء لا يعطيه» (شريط رقم (٣٥٦) سلسلة الهدى والنور تعليق الفوائد لأبي عبد الله الأثرى)

ولا يجب عليهم إذا أرادوا أن يكونوا في صف أهل السنة أن تبقى هذه الكلمة على حساب المفاهيم الشرعية ، ولا يجب أن تكون مطلقة ، فهي ليست قرآناً يتلى ، وإنما هي كلام بشر يخطئ ويصيب .

وكان من الواجب أن تضبط هذه الكلمة على هذا النحو " نعاون فيما اتفقنا عليه ، وينصح بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه " كما قال المحدث الشيخ مقبل الوداعي (رحمه الله) ، فيما نقله عنه تلميذه الشيخ مجدى عرفات (حفظه الله)

كما يجب على المنصوح أن يخضع للحق عند الاختلاف ، ويجب زجره إذا لم يقبل النصيحة ..

نعم هناك خلاف سائغ ، وهناك مسائل تخضع للاجتهاد والنظر ، وهذه لا يجوز فيها التوبيخ ولا الزجر .. غير أن تلك الكلمة لا يجب أن تكون مطلقة .. والمسألة فيها تفصيل ..

والعجب أن حسن البنا كان متضارباً في هذا المفهوم ، كشأن دعاة الإخوان على العموم !! فقد سبق أن قال أقوالاً تدفع مفهوم التقارب مع أى طائفة تخالف دعوته ، فقال فى الرسائل / ص / ١٩ : « وموقفنا من الدعوات المختلفة – التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار- أن نزنها بميزان دعوتنا . فما وافقها فمرحباً به وما خالفها ففتح براء منه . ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطلة لا تادر جزءاً صالحاً من أية دعوة إلا ألت به وأشار إليه » أهـ

نظرية اللباب والقشور ..

ومن أجل ترسيخ الفكر التجميعي جعل الإخوان كل ما يتعارض مع دعوتهم قشورا تتعارض مع مصلحة الدعوة ، ومن هنا تولدت نظرية " اللباب والقشور " . تلك النظرية التي ردوا بها كثيراً من العلوم الشرعية والسنة النبوية ، وحرّموا شباب الإسلام من التقرب إلى الله تعالى بها ، خاصة في أوقات المحن ، بحجة أن للجماعة في كل فترة أولويات خاصة . والأولويات الآن تنحصر في المطالبة بالحرية والديمقراطية وتكوين حزب سياسي . هذا هو اللباب ، وكل ماعارض ذلك فهو قشور ، لا ينبغي البحث فيها ولا مناقشتها . ولو كانت أموراً دينية، ولتؤجل كل القضايا حتى يعود الإمام وتقام الدولة ..

ولو قدر للإخوان التعايش بفكر حسن البنا في زمن الخلفاء الراشدين لخاصمهم .. فإذا حارب أبو بكر مانع الزكاة لقالوا له : " نعاون فيما اتفقنا عليه .. الخ " وإذا حارب علي بن أبى طالب الخوارج لقالوا له كيف تقتل إخواننا فى الإسلام . لماذا تختلف ؟ يافرحه الأعداء بنا ..!

مرجعية الإخوان ..

ليس لدى الإخوان أى مرجعية علمية للبرهنة على هذا الفكر، ولا سلف لهم فيما يدعون إلا أنهم يقولون لشبابهم : العالم الإسلامى كله يحرّق ، والاستعمار يريد القضاء علينا ، وأنتم تريدون منا الانشغال بتلك القشور ! قال محمود عبد الحليم : « لم يكن ردنا على هؤلاء من خلال هذه الفترة من حياة الدعوة ردا موضوعياً بحيث نناقش فيه تفاصيل العقيدة وتفصيل البدعة ، بل كنا نقول لهم : انظروا إلى العالم الإسلامى بجميع أجزائه ، هل ترون فيه بلداً واحداً حراً طليقاً أم أنه جميعاً مستعبد رازح تحت أثقالة الاستعمار؟. إن مثلنا ومثلكم كمثّل أسرة ورتب بيتنا شبت فيه النيران ، فهل يتجادل الورثة فى كيفية اقتسام البيت وترتيب أساسه ؟. أم يلقون بحقوقهم فى الاقتسام جانباً ويتفرغون متحدين لمقاومة النيران؟. » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ١٥٦) فلم يكن الإخوان فى الرد على مخالفيهم على القدر

الكافي من العلم ، الذى يجعلهم على بصيرة من الأمر ، وإنما كانوا يردون على مخالفتهم بأمور لا علاقة لها بالمسائل المطروحة موضع النزاع !.. فيهربون من حل القضايا جهلا بالدين ، ويكاثفون بالصدارة فى السياسة والإمارة ، بحجة أنهم يتكلمون عن العالم الإسلامى ، وينتغلون بقضاياها ..

وفى هذا المثل تناسى عبد الحليم من أين شئت النيران .

ونحن نعتقد أن النيران لا تشب داخل البيت المسلم إلا من قبل أهل البدع ، الذين هم أضر عليه من الكفار الأصليين .. فإطفاء النار متوقف على إزالة البدع والمكرات التى فى الداخل ، لأن الاستعمار لا يتمكن من بلاد المسلمين إلا بانتشار البدع وتسلط أهلها . فهؤلاء هم وسطاء الاستعمار فى إفساد الأمة .

قال ابن القيم : « فضرر هذه الفرقة - فرقة التأويل - على الإسلام وأهله أعظم من ضرر أعدائه المابدين له . ومثل أولئك كمثل قوم فى حصن حاربيهم عدو لهم فلم يطمع فى فتح حصنهم والدخول عليهم فعمد جماعة من أهل الحصن فتحوه له وسلطوه على الدخول إليه فكان مصاب أهل الحصن من قبلهم» (الصواعق المرسله . ١ / ٣٥٠)

والإخوان من أكبر رءوس أهل البدع ، وهم أسباب رئيسية فى إشعال النار فى بيوت المسلمين . ورؤية النار مشتعلة فى المساجد أهون من رؤية بدع الإخوان وغيرهم بغير إنكار .. ورحم الله أبأ إدريس الخولاني حيث قال :

« لأن أرى فى المسجد نارا لا أستطيع إطفائها أحب إلي من أن أرى فيه بدعة ، لا أستطيع تغييرها» (السنة لابن أبى عاصم ١ / ٣٢) ..

أما قياس الإصلاح الدينى على الموارث الأنصبة .. فهذا مفهوم باطل .. فأنصار السنة وأهل الحديث لا يبحثون عن الأنصبة والموارث ، كما يبحث الإخوان فى أجنحة الحكام والسلاطين ، إنما يبحثون عن مرضات الله تعالى ، بإظهار التوحيد والسنة . وحاجة الناس إلى التوحيد والسنة لا تنتهى ولا تنقطع ، كما أن حرب الكفار وعداوتهم للمسلمين لا تنتهى ، قال تعالى : «ولا يزالون يقاتلونكم حتى

يردوكم عن دينكم إن استطاعوا» (البقرة . ٢١٧) .

وإذا كنا سترجى الإصلاح فى بيوت المسلمين حتى تنتهى تلك الحرب وحتى تحرر الدول المستعمرة فلن يقوم للدين قائمة على طريقة الإخوان إلى يوم القيامة .

وقد تبلورت المفاهيم الفكرية التى أصلت الفكر الإخوانى - القشور واللباب - من خلال فكر المتزلة .. ذلك الفكر الذى أدى إلى تقسيم الدين إلى أصول كلية وفروع جزئية .. وحد التمييز بين الأصول والفروع كما بين شيخ الإسلام لا ضابط له ، فلو قيل هو الفرق بين الاعتقاد والعمل لقليل كل أمر مركب منهما ، فلا يخلو العمل من الاعتقاد ، ولا يستغنى الاعتقاد عن العمل ..

وخطورة هذا الأمر أن حد التمييز بين الأصول والفروع مختلف فيه عند كثير من الفرق المبتدعة .. فالأصول عند بعض الفرق أن تعرف فقط أن الله واحد وأن الله موجود . وغير ذلك من أمور الاعتقاد والعمل كالصلاة وغيرها فروع . ولا شك أن أهل السنة يختلفون مع القائلين بذلك .. ومن الواجب ضبط تلك التقسيمات ، كما يجب رد النزاع إلى الله تعالى عند الاختلاف على الدوام ، مهما كان نوع الخلاف . قال تعالى : «فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول» [النساء . ٥٩]

وما اختلاف الناس فى القضايا يبرر السكوت عنها ، بحجة أن هذه فروع وهذه أصول . فالدين واحد ، ينبغى أن يؤخذ كله بغير تقسيم ولا تميع . قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين» [البقرة ٢٠٨] وقد زجر الله تعالى بنى إسرائيل على أخذ بعض الأحكام دون بعض فقال تعالى ذكره : «ألقنمون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» [البقرة . ٨٥]

تتبع الرخص والزلات ...

ومن أجل هيمنة فكر التجميع على منهج الجماعة دعا مفكرو الإخوان إلى تتبع الرخص ، والخوض فى زلات العلماء وسقطاتهم . وقد ذكر لى أحد المتسبين السابقين لحركة الإخوان ، نقلا عن أحد أعضاء التنظيم الدولى فى مؤتمره الذى عقد فى جنيف منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما أو يزيد قليلا أنهم طرحوا الحلول الواجب اتخاذها تجاه عزوف العامة عن الانسحاب إلى حركة الإخوان ، وغلبة

التيارات الأخرى على حركة الإخوان ..

فطالب أصحاب الفكر التنظيمي بتخفيف حدة المواجهات مع الأنظمة السياسية ، بينما طالب أصحاب التوجه الاجتماعي بتكثيف سبل الاحتكاك بالهيئات الاجتماعية ، كما كان الأمر في نظام الأسر والشعب . ولما جاء الدور على " فقيه العصر " طالب بضرورة الأخذ بالمرجوح وترك الراجح ! ! فأفكر عليه أحد الأعضاء السوريين ، معترضا على تنصيب الدين بتبع الأفكار الشاذة ، كى تتناسب مع أهواء الناس ، لأجل تماسك الحركة ووصلها السياسي . كان تماسك الحركة أعظم من ثوابت الدين . وترتب على ذلك أن ترك هذا العضو الجماعة .

وقد تبين للعلماء هذا المسلك في فكر الشيخ القرضاوى .

قال الشيخ صالح الفوزان : « للأسف نجد بعض مثقفينا وحملة الأعلام منا بدلا من أن يقفوا هذا الموقف المشرف - موقف الدفاع عن دينهم - راحوا يروجون لكثير من هذه الأباطيل الوافدة ويلتمسون لها المسوغات ، ولو على حساب الدين ، فصاروا يحثون عن الأقوال الشاذة وأغلاط المجتهدين ؛ ليقبوا منها مستندا لهم فيما يفعلون . ومن هذا الصنف صاحب كتاب الحلال والحرام - القرضاوي - فقد ضمن كتابه هذا كثيرا من هذا النوع » (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام / ص/ ٧)

وهذا الطريق يعد تليسا كبيرا على الأمة ، وتضييعا للحق الثابت ، الذى أوجب الله تعالى على العلماء الجهاد فى سبيل تبليغه والدعوة إليه . والدين نص إلهي يقبتي ثابت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وليس الدين لعبة يقبله أحد حسب عقله وهواه ، لأجل مصلحة تعود عليه أو تعود على جماعته .. فهناك قواعد ومفاهيم ثابتة ، لا ينبغي تجاوزها من أجل غايات دنيوية أو مطاعم رخيصة .. قال، عبد الله : سمعت أبي يقول : سمعت القطان يقول : « لو أن رجلا عمل بكل رخصة بقرق أهل الكوفة في البيذ وأهل المدينة في السباع وأهل مكة في التمتة لكان فاسقا » (عون المعبود ١٣/ ١٨٧).

وقال سليمان التيمي : « لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر » (سير أعلام النبلاء ١٩٨/ ٦)

وقد سهل الإخوان على أنفسهم الأخذ بزلات العلماء وتبع الرخص بزعم أن قضايا الدين أكثرها قضايا خلافة . فليختر الناس ما يشاءون ، ولا داعى للخلاف أو النزاع .. أو فليترك هذا المختلف فيه إلى المتفق عليه ..

وأحيانا يقولون ليس فى هذه المسألة نص قطعى فلتترك الناس على ما يختارون .. فالنصوص ظنية ..

والحقيقة أنهم متضاربون مع أنفسهم فى ذلك ...

إذ أن القياس وهو أصل من أصول التشريع قائم على الاجتهاد فى فهم النصوص وتنزيلها على الواقع ، والاجتهاد فيه الخطأ وفيه الصواب .. وفيه التحريم وفيه التحليل ، وهذا ليس أمرا قطعيا .. بل هو قائم على غلبة الظن . ومع ذلك يلزمون به أو يلزمون به ، بل ويحاربون ويتهمون مخالفهم فى كثير من المسائل النظرية والعملية بالعمالة والخيانة . وهي مجرد اجتهاد ..

فتلك الجماعة لا يتعامل مفكروها مع النصوص تعامل أهل السنة ، فيقبلون مائت بالدليل البرهاني ، أو ما ثبت بتلقى الأمة له بالقبول ، إنما يردون مالا يتوافق مع أهوائهم من النصوص الثابتة فى البخارى ومسلم ، كما كان يفعل الغزالي بغير دليل ولا برهان . أو يؤولون النصوص الثابتة المتواترة على أصول مدارسهم وعقولهم ، يريدون من ذلك سحب الناس إلى جماعتهم بتلك المقولات ، على حساب البحث والنظر والدراسة ، دون اعتبار لحقيقة الخلاف وأهميته ، أو دون اعتبار لمقام المختلفين . هل هم أهل سنة أم أهل بدعة !

والمتخلف فيه إما حق وإما باطل ، إما حرام وإما حلال ، إما مباح وإما مكروه .. والخلاف فى قضية إيمان وكفر .. حلال وحرام يختلف عن الخلاف فى قضية مكروه ومستحب .. والخلاف بين أهل السنة وبين أهل البدعة يختلف عن الخلاف بين أهل السنة وبعضهم بعضا . والإخوان يضعون الخلاف كله فى سلة واحدة ، لأجل السياسة والتجميع ...

فالأسماء والصفات مختلف فيها بين أهل الإنبيات وبين أهل التحريف ، بين

أهل السنة وبين أهل البدعة. وعلى منهج الإخوان فلترك القضية بأكملها، لأنها على حد زعمهم مختلف فيها، وليأخذ المتفق عليه: أن الله موجود، وأنه واحد. قال القرضاوى: «ليست معرفتنا مع الذين يقولون عن الله ليس له مكان، بل مع الذين يقولون ليس له وجود» (وجود الله. ص ٧)

فالقضية لا تؤثر بشيء.. ولا شك أن أهل البدع إما أن يختلفوا في إثبات الدليل، وإما أن يختلفوا في تأويله..

ولا يمكن أن يكون الحق متضاربا متناقضا.. فالدين واحد والحق واحد لا يمكن أن يضرب بعضه بعضا..

والواجب إلزام أهل الباطل بالدليل الصحيح والفهم الثابت عن الأئمة، أما الهروب من القضايا والأحكام وتغيير المواقف، بأخذ ما يروق للناس ويتناسب مع أهوائهم فهذا تدليس بغيبض، ينتهى إلى تزيف الدين وتضييع إرادة الأمة ووحدةها. ولا حق لهم فى ذلك فليسوا أصحاب وصاية على الدين..

غير أنه لو قدر أن المختلف فيه يقع فى دائرة الخلاف المعتبر كمثل الذى تستوى فيه الأدلة، فلا شك أنه لا يجوز لأحد أن يزجر أحدا فى قضية الناس منها فى سعة أو يفرض أحد على أحد حكما لمجرد أن فهمه واجتهاده يميل إليه..

فقول هؤلاء هذه قضايا خلائية على العموم، دون تحديد، ودون أن يكون لهم سلف فيما يقولون من أهل العلم المعتبرين..

وقولهم "ننقل دائرة الاهتمام من المختلف فيه إلى المتفق عليه"... هذا كله مفهوم خاطئ ينتهى إلى تضييع منهج أهل السنة بالكلية، أو ينتهى إلى إهمال أقوال الفقهاء والعلماء، ومن ثم عدم التعبد لله تعالى بما يرضيه..

وقد ثبت أن أصل هذه الكلمة التى يروج لها كثير من عامة الإخوان على الدوام، والتى تصدر القرضاوى فى نشرها بينهم وهى "ننقل دائرة الاهتمام من المختلف فيه إلى المتفق عليه" يهودي.. فقد كان اليهود يقولون نفس هذا الكلام فى مناظراتهم.. يقولون لا يلزمنا إلا ما اتفقنا عليه.. وكان هذا الأمر شائعا فى بلاد

الأندلس حيث المناظرات والمجادلات فى مختلف العلوم.. وقد أثبت هذا التوجه فى كلام اليهود الإمام ابن حزم الأندلسي فى كتابه (الإحكام فى أصول الأحكام ٣)، فقد كانوا يقولون: «قد اتفقنا على وجوب استعمال الخطاب على بعض ما اقتضاه واختلفنا فى سائر فلا يلزمنا إلا ما اتفقنا عليه».

قال ابن حزم تعليقا على ذلك: «قبل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا اعتراض فاسد من وجوه كثيرة أحدها أنه خلاف النصوص والعقول والإجماع لأن الأمة مجمعة والعقول قاضية والنصوص من القرآن والسنة واردة كل ذلك متفق أن ما قام عليه دليل برهاني فواجب المصير إليه وإن اختلف الناس فيه وواجب ألا تقتصر على ما أجمع عليه دون ما اختلف فيه إلا فى المسائل التى لا دليل عليها إلا الإجماع المجرد المنقول إلى النبي (.. أيضا فقد قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ فامر تعالى عند التنازع بالرد إلى القرآن والسنة ودلائلها فقامت بوجوب حمل الالفاظ على موضوعها فى اللغة... وقال أيضا: فإن هذا من سؤالات اليهود! إذ قالوا: قد وافقتمونا على نبوة موسى وخالفناكم فى نبوة محمد..

وهذا سؤال فاسد لأن الدلائل التى أوجبت تصديق موسى عليه السلام هي التى أوجبت تصديق محمد ﷺ إن لم يجب بها تصديق نبوة محمد ﷺ لم يجب بها تصديق نبوة موسى عليه السلام» أهـ

قلت: وهذا القول ثابت أيضا فى مناظرات النصارى مع المسلمين، قال الإمام الشنقيطي: «ذكر بعض العلماء أن نصرانيا قال لعالم من علماء المسلمين ناظرني فى الإسلام والمسيحية أيهما أفضل؟ فقال العالم للنصراني: هلم إلى المناظرة فى ذلك.. فقال النصراني: المتفق عليه أحق بالاتباع أم المختلف فيه؟ قال العالم: المتفق عليه أحق بالاتباع من المختلف فيه.. فقال النصراني: إذن يلزمكم اتباع عيسى معنا، وترك اتباع محمد ﷺ عليهما الصلاة والسلام».

فقال المسلم : « أنتم الذين تمتنعون من اتباع المتفق عليه ، لأن المتفق عليه الذى هو عيسى قال لكم : ﴿ ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ فلو كنتم متبعين عيسى حقا لا تبعتم محمدا ﷺ ، فظهر أنكم أنتم الذين لم تتبعوا المتفق عليه ولا غيره، فانقطع النصرانى » (تفسير سورة المائدة . الآية ٤٨) (أضواء البيان ١٠٨/٢) .

معالجات تربوية مؤسفة

لم يقف حد التجاوز عن الخلافات فى دعوة الإخوان مع أصحاب الفرق على الشيعة والصوفية والمعتزلة والجمعية والمفوضة وأمثالهم ، فقد كان حسن البنا يرى كذلك عدم وجوب تصحيح المفاهيم والأخطاء الدائرة فى محيطه مرافقيه ، اكتفاء بعرض الفكرة الإخوانية .. ويرجع السر فى ذلك .. إلى نشأة حسن البنا .. لقد بين جمال البنا أن أخاه تربى فى بيت ليبرالى . وقد وصف هذا البيت بأنه : « منزل ليبرالى كل واحد له اتجاه . لا أحد يسأل أحدا عما يفعل » (إيلاف نت . الحوار المتمدن ١٤/١٢/٢٠٠٣) وقد كان لجمال هذا اعتراضات على توجهات الإخوان ، وكان يصرح بها لأخيه ، ولم يكن يرد عليه ، فقال :

« فكننت أدلى للامام الشهيد بخلجات النفس ، ولم يكن هو جاهلا باتجاهاتي أو بتخفظاتي علي بعض المبادئ التي يتمسك بها الإخوان ، وكان يستمع ويتسمع دون أن يوافق أو يخالف » (شفاف الشرق الأوسط . نت . ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥ م)

وكان تاركا للصلاة ، ولم يكن يعتب عليه .. قال جمال البنا : « وعينوني مدير المطبعة فى عام ١٩٣٩ . وأعطوني غرفة بجوار المطبعة والمركز العام .. وأنا وسط هذا العمل أجد معاون الدار الشيخ عبد البديع صقر ، وكان رجلاً مسناً يتنادي على الصلاة ، فكننت أقول له دعني يا أخ عبد البديع ، فيذهب إلى الأستاذ البنا ويقول له إن غرفة جمال وكر لتارك الصلاة ، وكننت أرد عليه بأن العمل عبادة .. فكان الأستاذ البنا يقول له : دعه . لأنه يؤمن أيضا بأن العمل عبادة .. ! » (إيلاف نت . الحوار المتمدن ١٤/١٢/٢٠٠٣ م)

وهذا هو نفس ما كان يتعامل به حسن البنا مع عامة الإخوان ..

قال التلمسانى فى كتابه (ذكريات لا مذكرات) : « وكنت من المدخنين وشكا إخوان المكتب من هذا .. فقلت للإمام الشهيد : إما أن تأمرنى فأقلع وإما أن تسكت فأستمر . فقال : لا أمرك ولا أنهك .. إن فضيلته كان ينهى عن تناول الكيفيات

حتى الشاي والقهوة ، ولكن لعله لمس في طبعي عنادا ، فلم يرد أن يحرجنى أو يضعنى فى ركن فأنتقلت ، أليست هذه تربية ؟! أهـ

٢- صورة أخرى ..

وتلك صورة مشابهة تظهر جليلة فى تعامل حسن البنا مع مقال للأستاذ / سيد قطب ، نشر فى جريدة الأهرام ، دعا فيه إلى الإباحية والعري ..

قال محمود عبد الحليم : « وقد قرأت فى هذا الوقت فى جريدة الأهرام مقالا لسيد قطب يدعو فيه دعوة صريحة إلى العري التام ، وأن يعيش الناس عرايا ، كما ولدتهم أمهاتهم - وكانت هذه البدعة قد انتشرت فى بعض بلاد أوروبا - وقد أثارنى هذا المقال إثارة لم أستطع معها أن أقاوم القلم الذى وجد فى العقل والمنطق والخلق والحياء ألف دليل ودليل يدحض هذه الدعوة ويثبت أنها دعوة تخريبية بهيمية دخيلة .. الخ » (أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢١١)

فكتب محمود عبد الحليم مقالا رد فيه على تلك الدعوة ، ثم ذهب ليعرضه على الأستاذ المرشد ، فقال : « حملت المقال الذى كتبه وذهبت به إلى الأستاذ المرشد - كدأبى فى كل مقال أكتبه فى غير مجلتي - وكنت مزعما نشره فى الأهرام مطالبا إياه بنشره فى نفس المكان الذى نشر فيه المقال المرود عليه .. قرأه الأستاذ المرشد ثم أطرق طويلا .. الخ »

وكان ملخص مقاله ردا على هذا المقال :

- كاتب هذا المقال شاب متأثر بالبيئة التى نشأ فيها ..

- هدف هذا الشاب .. هو محاولة جذب الأنظار إليه ..

- قراء الأهرام عدد محدود بالنسبة لسكان البلاد .

- إذا نشرنا ردا على هذا المقال فى الأهرام كانت لذلك النتائج الآتية:

١- سيثير نشر الرد اهتمام الذين لم يقرأوا المقال الأصلي إلى البحث عنه

٢- نكون - بغير قصد - قد لفتنا الأنظار إلى نوع من الرذائل ربما علقت به

بعض النفوس الضعيفة .

٣- الرد نوع من التحدى - والتحدى يخلق فى نفس المرءود عليه نوعا من العناد وهذا الكاتب شاب وترك الفرصة أمامه للرجوع إلى الخير خير من إجراجه.

الخ

ثم قال : ما رأيك فى هذه المخاطر ؟ قلت : إنها مقنعة تماما ... ومزقت الرد بين يديه .. ولا داعى للإشارة إلى ماكان من أمر هذا الشاب « أهـ

تلك هى دعوة الأستاذ حسن البنا تجاه قضايا الأمر والنهى . لا ترد فى مسائل الدين والشريعة ... أما السياسة فلا يمكن أن تستقر البلاد أو تهدأ ، حتى يعرف رأى الإخوان ، كما قال الهضيبي .. ونحن فى صراع لايتتهى ، كما قال صالح أبو رقيق . ولا بد من تهيج العامة على الحكام ، كما قال عاكف .. فانظر إلى مواضع النزاع لتعلم حقيقة تلك الدعوة .

وأعجب ما فى الأمر أن يضرب محمود عبد الحليم ألف دليل فى إبطال حجج سيد قطب ثم يتراجع عنها لحجج هزيلة أثارها حسن البنا ، فقال : « وقد أثارنى هذا المقال إثارة لم أستطع معها أن أقاوم القلم ، الذى وجد فى العقل والمنطق والخلق والحياء ألف دليل ودليل يدحض هذه الدعوة ، ويثبت أنها دعوة تخريبية بهيمية دخيلة. الخ » أهـ

وهكذا الإخوان إذا تعارض الفهم الصحيح مع أهدافهم التجميعية ..

* وكما أن حسن البنا لم يكن منشغلا بالرد على دعاة الإباحية كذلك كان يرى عدم الرد على دعاة الشيوعية ، وعدم الاهتمام بتنفيذ حججهم ، وتزييف أفكارهم ، غير أنه كان يرى الاكتفاء بتبيين المنهج الإسلامى وعرض الفكرة الصحيحة فقط .. وقد وضح ذلك محمود عبد الحليم بقوله : « كان الأستاذ المرشد يرى أن الوقت الذى نضفيه فى مهاجمة فكرة كاشيوعية نحن أحوج إليه لنشر فكرتنا وتوضيح معالمها وأهدافها . ولقد كنت من أشد الناس اقتناعا بخطة المرشد فى مقاومة الفكرة الهدامة بإغفال ذكرها وعدم التعرض لها أو الهجوم عليها واستغلال كل

الوقت والجهد في توضيح فكرتنا ونشرها على أوسع نطاق» (أحداث صنعت التاريخ ٥٣٨/١) ثم التمس العذر للشيوعيين بزعم أنهم لا يجدون بدلا يقدم لهم من قبل الحكام. فقال: «وهؤلاء الذين عطفوا على الشيوعية واستجابوا لها يلتمس لهم العذر لأنهم رأوا فكرة تضطهد دون أن يروا فكرة بديلة يعرضها عليهم هؤلاء الحكام»..

ولا شك أن هذا الكلام ساقط، وسقوطه يغني عن إسقاطه، سواء ما انتهى إليه من عدم تعيين الباطل بالزجر والتوبيخ، اكتفاء بعرض الفكرة الصحيحة، أو من جهة التماس العذر للشيوعيين، وذلك لأن الشيوعية تصادم مع فطرة التوحيد الضرورية، التي خلق الله تعالى عليها الخلائق..

وهذا الأمر لا يلتبس فيه عذر لغيا ب فكرة، لأن الحججة قائمة.. كما أن عرض الفكرة الصحيحة لا يكفي لمعرفة الحق من جميع أوجهه. ولا شك أن منهجه يتصادم مع حقائق ثابتة في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة..

٢- صورة ثالثة....

يكفي أن تؤمن بما آمن به حسن البنا، وما أعده في باطنه، ثقة فيه، دون أن تستطلع الحجج والبراهين. وقد تقدم شاهدا على ذلك قول حسن البنا لعبد العزيز كامل: «أنا أعلم نوع تفكيرك وتمسكك بالسنة، وستأتي أيام وظروف قد تختلف فيها، وأود في هذه الظروف أن تترك رأيك لرأى.. ألا تظنن لي إلى؟» (مذكرات عبد العزيز كامل. ص/٥٣)

وقد أشار حسن البنا إلى ذلك على الإجمال في رسالة المؤتمر الخامس بقوله: «أيها الإخوان المسلمون.. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفا هذه الحدود التي اقتضت بها كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول؛ أجل قد تكون طريقا طويلة ولكن ليس هناك غيرها.. إلى أن قال:

«على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعملون فلا تغامروا بجهودكم ولا

تغامروا بشعاركم..» أه..

هذا هو الذي كان يملكه حسن البنا: الكلام المجمل العام والعواطف الجياشة، أما تفاصيل القواعد وتحقيق النصوص وتفصيل الشبهات واستنباط الأحكام وبناء الشخصية المستقلة فليس هذا طريقه ولا سبيله.. ومن أجل ذلك كان يفر من الأحداث، ويتعد عن مواقع النزاع، لمعزج التام عن الفصل في الأمور، وليرتك لأصحاب التنظيم الخاص تناول القضايا بطريقتهم الخاصة. حتى إذا هدأت الأمور عاد إلى موقعه وأمسك بزمام الأمور.. فتننت واحدة أو قضية علمية واحدة في جماعة الإخوان كقضية بهدم الصرح على من فيه. نعم قضية علمية أو سؤال واحد كفيل بأن يجتذب جميع الأكابر والمخلصين والدعاة من حول المرشد.

قضية أحمد رفعت..

من تلك القضايا التي مزقت جماعة الإخوان إربا بعد تسع سنين من نشأتها قضية "أحمد رفعت" تلك القضية التي وقعت أحداثها عام ١٩٣٧ م.. فقد عصفت بأناس وصفهم محمود عبد الحليم - غلوا وتعظيما لم يحسب فيه علما عند الله تعالى - بأنهم: «مجموعة بلغت نفوسها في الصفاء درجة الشفافية وسمت أرواحهم حتى حلت مع الملائكة»..

لا اعتقد أنه على وجه الأرض في ذلك الوقت قوم أصفى نفوسا ولا أنقى قلوبا ولا أشد حبا للإسلام ولا أسمح بالنفس والمال في سبيله من هذه المجموعة التي أوقدت نار هذه الفتنة وكانت هي وقودها» (أحداث صنعت التاريخ. ١/ ٢٢٣)

وقد وجدت تلك الفتنة عند كثير منهم أذانا صاغية واستجابة سريعة.. ثم ينمهم علم ولا فهم ولا قرب من الإمام من النوقوع في برائتها، قال محمود عبد الحليم: «والظاهرة العجيبة التي لاحظتها أن دعوة أحمد رفعت كانت تلقى من كثير من الإخوان أذانا صاغية واستجابة سريعة» ص/ ٢٢٥..

وقال ص/ ٢٢٧: «والمعجب الذي لا يزال أذكره أن بعض عقلاء الإخوان

رأيهم يقفون في هذا الاجتماع يتحدثون تأييدا لأحمد رفعت ... وانتهى هذا الاجتماع وقد ازداد عدد مؤيدي أحمد .

وقال ص / ٢٢٩ : « وكان مما أثارني وحملني في التفكير على خطة حاسمة للوقوف في محه هذه الفتنة المتفاقمة أنني رأيت إخوانا كراما من ذوى العقل والسبق الرزاة يحضرون هذه الجلسات في منزل حسن اليد عثمان ، وعلمت أنه كادوا يقعون في حبالهم بدليل نوالى ترددهم على جلساتهم في هذا المنزل ، ومن هؤلاء الإخوان الشيخ أحمد الباقورى .. أه ..

وكان هناك إخوان يلعبون على الحليلين ، ينتظرون إلى أين تدور الدوائر ، كى يفتروا على الكراسي والمواقع .. قال محمود عبد الحليم : « بدأ الذين يلعبون على الحليلين من الإخوان والذين اتخذوها لعبوا ولها يشعرون أن نظام المقاطعة الذى هادتهم في أول الأمر قد اقترب منهم .. الخ » (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٢٣٢) ..

وأعجب ما في ذلك أن هؤلاء الأخيار انضموا إلى أحمد رفعت ، وآزروه في دعوته ، مع كونه ومن كان معه كانوا يوجهون السباب لفضيلة المرشد على الملأ .. قال محمود عبد الحليم : « وانتهى هذا الاجتماع وقد ازداد عدد مؤيدي أحمد ولعل ذلك قد بعث في نفسه شيئا من الغرور فبدأ يتحدى الأستاذ المرشد ويوجه له ألفاظا نابية ويخاطبه بأسلوب لا يليق به ثم ازداد تطورا فصار هو وشيعته يسبون الأستاذ المرشد ويوجهون إليه الشتائم » (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٢٢٧) ..

فما القضية التى عصفت بهؤلاء الأخيار - الذين لا يوجد أحد على وجه الأرض أصفى قلوبا منهم ، كما وصفهم محمود عبد الحليم - وأدت إلى هجران حسن البنا المركز العام شهرا كاملا أو يزيد ، حتى ينتهى النظام الخاص من القضاء عليهم والتخلص منهم .. القضية أن هؤلاء الشباب اعترضوا على عدة أشياء منها : ..

١- اعترضوا على منهج حسن البنا في مهادنة الملك فاروق ، وعدم توضيح الحقيقة التى تريدها الجماعة منه ، والتى يردونها فيما بينهم في الأسر والكتائب ..

٢- اعترضوا على طريقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

٣- اعترضوا على اقتصار جانب الجهاد بفلسطين على الدعاية والإعلان .

أسئلة أحمد رفعت وموقف حسن البنا

قال محمود عبد الحليم : « وعقد الأستاذ المرشد جلسة ضمت صفوة الإخوان وتحدث ماشاء الله له أن يتحدث ، ثم دعا أحمد رفعت ليحدد اعتراضاته على الإخوان ومطالبه التى يريد ، فقام أحمد وحدد اعتراضاته ومطالبه في ثلاثة بنود : الأول : أنه يرى أن الإخوان تجامل الحكومة وتتبع معها سياسة اللف والدوران ، ويجب على الإخوان أن يواجهوا الحكومة بالحقيقة التى قررها القرآن في قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة : ٤٤] .

الثانى : موضوع المرأة والزمانها حدود الإسلام في عدم التبرج والاحتشام مكتفين بدعوة المرأة إلى ذلك بالنصيحة والكلام دون العمل ..

ويرى أحمد .. أن يوزع الإخوان أنفسهم في شوارع القاهرة ومع كل منهم زجاجة حيز ، كلما مرت فتاة أو امرأة متبرجة لى عليها هذا الحيز ، حتى يطلع ملبسها فيكون هذا رادعا لها ...

الثالث : موضوع فلسطين : يرى أحمد أن وقوف الإخوان في مساعدة مجاهدى فلسطين عند حد الدعاية لهم وجذب المال لهم هو تقصير في حق هذه القضية وقعود عن الجهاد وتخلف عن المعركة ، وعلى الإخوان أن يتركوا أعمالهم ويتطوعوا في صفوفهم وإلا كانوا من الخالفين » أه ..

لم يرد حسن البناء على ما أثاره أحمد رفعت وإخوانه .. وكان من الواجب عليه أن يرد . باعتباره القائد العام ، والكلمة الأولى والأخيرة له ، كما قال سيد قطب ، وإنما ترك بعض أتباعه ليرد ، دون استحضار لأدلة أو براهين . فانظر وتأمل في هذا الرد ، لترى حقيقة الدعوة الإخوانية منذ نشأتها إلى الآن .

قال عبد الحليم : « وتصدى بعض الحاضرين للرد على أحمد في الاعتراضين الأولين فقالوا: إن مواجهة الحكومة يجب ألا تكون إلا بعد توفر عاملين :

١- توعية الشعب بالحقائق الإسلامية التي لازال حتى اليوم خالي الذهن منها ولا زال الشعب يجهل علاقة الإسلام بالحكم وعلاقة الإسلام بالتشريع - ونحن لولا اتصاننا بدعوة الإخوان ما فهمنا هذه المعاني.

٢- اكتساب الدعوة قوة شعبية إذا ما أرادت مواجهة الحكومة ، ولا زالت الدعوة حتى اليوم دعوة وليدة في حاجة إلى تثبيت لدعائمه وبسط لروافدها . والمواجهة بغير توفر هذين العاملين لن يكون لا انتصارا لا نتيجة له ولا جدوى من ورائه .

أما موضوع المرأة فكان ردهم عليه هو : أننا لو أخذنا باقتراح الأخ أحمد لكانت النتيجة في اليوم الأول للأخذ بهذا الأسلوب أن يلقى القبض على جميع الإخوان ويجرى معهم التحقيق ويودعوا السجون ... الخ

أما موضوع فلسطين فكان الأستاذ المرشد قد اتصل في شأنه بالسيد أمين الحسيني مفتي فلسطين فرد على الأستاذ بخطاب قرأه علينا في هذا الاجتماع وفيه يقول سماحته : « إن المجهود الذي يبذله الإخوان في الدعاية لقضية فلسطين في مصر هو القدر المطلوب ، والذي نحن في أمس الحاجة إليه ، ولا يستطيعه غيرهم ، ولسنا في حاجة إلى متطوعين » .. وانتهى هذا الاجتماع ، وقد ازداد عدد مؤيدي أحمد .. (أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢٢٧) .

هذا هو محور النزاع .. ولو دققنا النظر لوجدنا أن ليس ثمة خلاف بين الطرفين من الناحية المنهجية ... اللهم إلا في توقيت البدء بالأفعال التي تترجم تلك الأفكار .. فهؤلاء يريدونها في الحال ، وأولئك يرون تأجيلها إلى أجل .. غير أن الذي عصفت بالجماعة في تلك المحنة أن حسن البناء ومن معه لم ينظروا في القضية بتأصيلات السلف أهل الحديث .. فحسن البناء كان يعد الأغلبية والكثرة لمواجهة الحكام ، هذا فقط هو الذي يملكه ، لا يريد شيئا يعرّك عليه قصده .. ولا يريد الجهر بما يريد وما يسر في نفسه ..

وقد كان من الواجب في القضية الأولى أن يبين فقه السلف في معاملة الحكام . وأن مقام الملك الذي يباعه على الولاء التام يقتضي النصح والبيان ولا يقتضي الكثرة والمعدد .

أما القضية الثانية : المتعلقة بالترح والسفور فقد كان من الواجب على حسن البناء أن يبين منهج أهل الحديث في تغيير المنكر ، ثم يبين موقع من لا أهلية له ولا سلطان من الأمر والنهي . لا أن يقف الأمر على ما يتعرض له الإخوان من السجن والاعتقال بسبب اتخاذ العنف طريقا للتغيير ...

وسبحان غير الأحوال فقد عرضت قضية الحجاب في ديسمبر ٢٠٠٦م وانخلع الإخوان منها ، وتصدى لها نواب الحزب الوطني . بينما قال محمد عاكف في حوار مع جريد العربي : « الوزير حرم بما يقول والإخوان لن ينشغلوا بمعركة ضد الرأي ، بل معركتهم ضد الفساد والمحسوبية » أهـ . وقال في اتصال هاتفى مع قناة دريم كما نقله (نافذة مصر نت) : « مصر تعاني من مشاكل وأزمات أكبر وأخطر ألف مرة من الحجاب مثل الاستبداد والفقر. ونفى المرشد أن يكون لنواب كتلة الإخوان دور في تصعيد الموقف داخل مجلس الشعب » أهـ

أما القضية الثالثة : قضية فلسطين .. فقد كان من الواجب على المرشد العام أن يبين أنه فرد من أفراد الرعية .. وأن مسئولية الجهاد والخروج للقتال ليست له ، وإنما هي للإمام . كما بين النبي ﷺ : الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به (رواه

البخارى . كتاب الجهاد (٢٩٩٤) .

قال العيمين في (الشرح الممتع . ٨/٢٥) : « لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر ، لأن المخاطب بالجهاد هم ولاة الأمور » أه ..

لم يفعل حسن البنا شيئا من ذلك ، ولم يقم حجة على المخالفين . ولم يبين حكم معاملة الحكام ، ولم يبين قواعد الأمر والنهي ولا أصول الجهاد في سبيل الله تعالى .. وبسبب ذلك خرج هؤلاء الشباب من تلك الجلسات غير مقتنعين بحجج حسن البنا ولا بحجج أتباعه .. وزاد أتباع أحمد .. فقد تبين أن حسن البنا لا يدخل في ثنايا الموضوع إلا من قبل الألفة والمحبة والمودة ، وكذلك من كان معه ، كما بين محمود عبد الحليم في أحد اللقاءات ، قال : فقلت : « بإعداد كلمة تدور حول جمع الكلمة ونبذ ما يدعو إلى الفرقة وأن الاجتماع على تنف الحق خير من التفرقة على الحق كله . وغثلت في ذلك قول على : « كدر الجماعة خير من صفو الفرد » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٢٥) .

خطة القضاء على أحمد رفعت ومن معه ..

وبناء على هذا العجز العلمي والفشل المنهجي في معاملة هؤلاء الشباب فكر الإخوان في طريقة أخرى للتعامل مع هؤلاء الشباب تنتهي بهم إلى الجنون والصرع والقتل .. وهذا هو المصير الذي يعمده الإخوان لمن يختلف معهم .. يرفعون من ينتسب إليهم في الجانب الشعوري حتى يقدس الصورة ويعشقها .. دون الجانب العقلي أو العلمي .. فالجماعة هي الأمة .. والدعوة هي الحق والإسلام .. والإخوة هي المثال .. والبيعة هي الأمان ... وحسن البنا هو الإمام ولا إمام غيره .. ويجب عليك قبل نومك وقبل دعاك أن تتفقد في مخيلتك صور إخوانك بصورة حسن البنا ... ثم بعد ذلك ينزع هذا كله بغير علم ولا برهان .. ويقال له " إن مت فميتك جاهلية ومصيرك إلى النار ، لأنك فارقت الجماعة وخالفت الإمام " فاعد محمود عبد الحليم خطة للقضاء على تلك المجموعة ، التي أدت إلى ترك حسن البنا الدروس والمركز العام للجماعة لمدة تزيد على الشهر ، حتى يستطيع أتباعه أن

يتخذوا الإجراءات التي لا يجب هو أن يتخذها بنفسه .. قال عبد الحليم : « الدعوة توقفت تماما فترة تزيد على الشهر ، وهي الفترة التي كان لابد من احتجاب الأستاذ المرشد في بيته خلالها .. وقال : « استغرقت هذه الفترة منذ كانت بصيصا تحت الرماد حتى قضي عليها قرابة نصف عام كانت الدعوة في خلاله عرضة للانتهاء والزوال » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣٣) .

وقد قامت خطة محمود عبد الحليم على ثلاثة محاور :

١- دعوة الإخوان الذين تركوا الجماعة للعودة إليها مرة أخرى .

٢- تجديد البيعة لحسن البنا .. بما يدل على خطورة الموقف ..

٣- الدعوة إلى مقاطعة أحمد رفعت وجماعته مقاطعة تامة ...

قال محمود عبد الحليم : « تعهد كل فرد من المجتمعين منذ اليوم بمقاطعة أحمد رفعت ومجموعته مقاطعة تامة بمعنى ألا يلتقي عليهم السلام وألا يرد عليهم السلام إذا ألقوه عليهم ، وألا يتحدث إليهم ، وألا يرد عليهم إذا واجهوا إليه حديثا ، وألا يعيرهم سمعه ، وألا يومي إليهم ولو بإشارة ، حتى إذا شتموه لا يرد عليهم » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣١) .. فطبق الإخوان تلك التعهدات مع أحمد رفعت ورفاقه الأخيار الأبطال ، الذين لا يوجد أحد على وجه الأرض في صفائهم ونقايتهم ، كما وصفهم محمود عبد الحليم .. حتى انتهى الأمر بأحمد رفعت إلى الجنون والقتل . قال محمود عبد الحليم :

« حينئذ وجد أحمد رفعت نفسه حيسا في بيت حسن عثمان ، وليس معه إلا صديق أمين ومحمد عزت .. لا أحد غيرهم يطرُق عليهم البيت بالليل ولا بالنهار ، فأصيب أحمد بما يشبه الجنون .. حتى رق قلبنه لا ولمن معه .. فبعثت إليهم من يعرض الصلح وأن يرجعوا تائبين معلنين توبتهم فاختلقت إجاباتهم » (١ / ٢٣٣)

النهاية ... قال محمود عبد الحليم :

« قرر أحمد السفر إلى فلسطين لينضم إلى المجاهدين في محاربة الإنجليز واليهود .. ولما علمنا بعزمه هذا أرسل إليه الأستاذ المرشد وطلب إليه الحضور ليجهزه بالمال والسلاح ويسلمه إلى مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين الذين كانوا يتصلون بنا حتى يؤمنوا له الطريق لأن المجاهدين يشكون في كل من يرونه في طريقهم - ما داموا لا يعرفونه - ويعدونهم جاسوسا عليهم ويقتلونهم .. فرفض أحمد طلب الأستاذ وأصر على الذهاب وحده وذهب فعلا ولقى مصرعه كما كنا نتوقع على أيدي المجاهدين » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣٣) .

تري من الذى أوصل أحمد رفعت إلى الجنون والصرع ومن الذى قتله ؟

مسائل عجيبة ...

كان من أعجب ما قرأت في تلك القضية أن محمود عبد الحليم قال إن أحمد رفعت زعم أنه كان يتلقى من النبي ﷺ كل ما يدعيه من الأمور في المنام ، بل وأكثر من ذلك زعمه أن النبي ﷺ كان يأتيه بقطعة يأكل معه ويشرب .. قال محمود : « وصل بهم الأمور إلى الحد الذى ادعى فيه أحمد رفعت أنه يتلقى تعليمات وأوامر تلقيا مباشرا عن رسول الله ﷺ وادعى أولا أنه عليه الصلاة والسلام يأتيه في الرؤيا ويوجه إليه أوامره .. وقد وجد من يصدقه في ذلك ومنهم أفراد من أكرم الإخوان وأخلصهم .. وكانت هذه الأوامر والتعليمات كلها منصبة على أن الإخوان قد تخاذلوا عن القيام بدعوتهم وأنهم خانوا الدعوة وأن الرسول ﷺ قد اختار أحمد رفعت للقيام بأعباء الدعوة .. ثم تعظم الغرور فادعى أنه يتلقى من رسول الله ﷺ جهارا نهارا في تمام البقطة ، ثم ادعى أنه ﷺ يحضر معه الغداء ويتناول معه الطعام ويتلقى منه الأوامر والتعليمات .. الخ .. وكما نأيت إخوانا كراما من ذوى العقل والسبق والرزانة يحضرون هذه الجلسات .. وعلمت أنهم كادوا يقعون في حباثتهم بدليل توالى تردهم على جلساتهم في هذا المنزل » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٢٩) .

وهنا نوضح عدة مسائل :

المسألة الأولى : أن الأستاذ محمود أنكر على أحمد رفعت ادعائه أن النبي ﷺ كان يأتيه في البقطة ، وعد ذلك من الخرافات ، وقال إنه انحدر إلى الحضيض - وهو صحيح - غير أنه نسي أن شيخه حسن البنا كان يؤمن بذلك ويعتقده . وكان يردد أبياتا شعرية تتضمن هذا المعتقد في مناسبات المولد النبوى ، التي كان يحتفل بها الإخوان في زمنه ، فقد قال شقيقه عبد الرحمن البنا : « وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول كنا نسير في موكب مسائي كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر نشد القصائد في مدح الرسول ﷺ ، وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة :

صلى الإله على النور الذي ظهر للعالمين ففاق الشمس والقمر

كان هذا البيت تردده المجموعة بينما ينشد أخي وأنشد معه :

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا و سامح الكل في ماقد مضى وجرى وقال :

وما لركب الحمى مالت معافقه لا شك أن حبيب القوم قد حضرا .

(حسن البنا بأقلام تلامذته ص ٧٠-٧١) .

فإذا كان الذى ادعاه أحمد رفعت من التخاريف ، كما قال محمود عبد الحليم .. فالذى علمه ذلك هو المرشد العام الأستاذ حسن البنا ..

المسألة الثانية : أن كثيرا من الإخوان اتفعا مع دعوة أحمد رفعت ، منهم أفراد من ذوى العقل والرزانة ، كما قال محمود عبد الحليم : « وقد وجد من يصدقه في ذلك ومنهم أفراد من أكرم الإخوان وأخلصهم » . وقال : « وكان مما رأيت إخوانا كراما من ذوى العقل والسبق والرزانة يحضرون هذه الجلسات » الخ .

فإذا كان أخلص الناس في القوم وأشدهم عقلا ورزانة قد اختل توازنه وفكره في تلك القضية ، حتى صدق تلك الخرافات . فكيف بالعامه ! .

أليس في هذا دليل على انتشار الجهل والخرافات في دعوة الإخوان ، وأنها

كانت تجمع كل من هب ودب . وأن حسن البناء لم يكن يملك مقومات التربية العلمية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟

المسألة الثالثة : أن محمود عبد الحليم كان في حيرة شديدة كماداته في الرد على المسائل العلمية الدينية .. كيف يرد على زعم أحمد رفعت برؤية الرسول ﷺ في المنام ؟ قال محمود : « لقد شغلتنى تلك القضية وأقلقت مضجعي وظللت دائب البحث عن رد مقنع وإجابة شافية تملأ النفس وتزيل الحرج » أهـ .

حتى اهتدى إلى كتاب الاعتصام للشاطبي في مكتبة أحد شيوخ الأزهر ، فلم يسأل الشيخ ولم يعأ به ، وانصرف إلى الكتاب ، ويحث المسألة ، وخرج منها إلى أنه لا يمكن لأحد أن يرى النبي ﷺ إلا إذا كان قد رآه مسبقاً كالصحابية (رضى الله عنهم) فإنه في مخيلتهم ، أما غير الصحابة فكيف يصح ادعاؤهم رؤية النبي ﷺ؟ فقال : « أما من سوى هؤلاء الصحابة ممن لم يروا النبي ﷺ رأى العين فإنه إذا جاءهم في المنام من يدعى أنه رسول الله ، فكيف يحكمون بصحة ادعائه ، وليس في مخيلتهم صورته ﷺ الحقيقية » (أحداث صنعت التاريخ / ١ / ٢٣٠) هذا هو ما انتهى إليه . وقد نسى أن صورة النبي ﷺ منقولة في كتب السنة بأسانيد صحيحة واضحة كالشمس في رابعة النهار .. فلا علم ولا تحقيق ولا ضبط .. حركة مفتقرة إلى العلماء والمحققين .. إذا وقعت الفتنة اضطرب المضطرب وتزلزل الشاك .. لا يجد أحدهم أحداً يأوى إليه ، لينهل من علمه ومن فقهه . إلى أن يرجع إلى كتاب ليشفى ظمأه . قد يفهم منه فهما صحيحا ، أو يتخطى ويجهل ، فلا يدري ولا يفهم ، ولا يصل إلى نتيجة .

غاية التربية في الفكر الإخواني الوصول إلى الحكم

لا يزال الإخوان يتكلمون عن الإسلام وأعنيهم على الحكم ، فالإسلام عندهم وسيلة للحكم .. هذه حقيقة لا يمكن لأحد منهم إنكارها . وتلك أعظم غايات التربية في الفكر الإخواني ، يؤمن بها وينشأ عليها الفرد الإخواني ويدعو إليها وينشرها في المجتمع منذ أن ينتسب إلى الجماعة إلى أن يموت .. والأدلة علي رغبتهم في الحكم لا تحتاج إلى بيان : فقد سعوا في الانقلاب على الملك فاروق ملك مصر . وقتلوا الإمام يحيى بن حميد الدين إمام اليمن من أجل الحكم ؟ . وشاركوا في الانقلاب الذي تم في السودان بقيادة حسن الترابي من أجل الحكم ؟ . وشاركوا الخميني ثورته الشيعة الرافضية في إيران من أجل الحكم ..؟

قال العلامة المحدث عبد المحسن البدر العباد (حفظه الله) :

« وأما أبرز أهداف هذه الفرقة فهو الوصول إلى سدة الحكم في البلاد الإسلامية ، لذلك يبدل قاداتها العالي والنفس في سبيل هذا الهدف ، ولو وصل الأمر إلى الانحراف عن الصراط المستقيم عقيدة ومنهجاً (تعليق الفوائد لأبي عبد الله الأثري) ...»

وقال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (حفظه الله) : « الغاية من دعوتهم هو الوصول إلى الدولة ، أما أن ينحى الناس من عذاب الله جل وعلا وأن تبعث لهم الرحمة بهدائيتهم إلى ما ينجيهم من عذاب القبر وعذاب النار وما يدخلهم الجنة وما يقربهم إليها فليس في ذلك عندهم كثير أمر ولا كبير شأن ولا يهتمون بذلك (تسجيلات منهاج السنة بالرياض) .

وقد أكد قادة الإخوان سعيهم الدؤوب من أجل الوصول إلى الحكم . قال محمد عاكف : « الإخوان تنظيم ديمقراطي وله شعبية كبرى فلماذا لا يصل إلى السلطة ، طالما أنه سيصل عبر صناديق الانتخابات ومن خلال الناس ، وليس على ظهور الدبابات » (إسلام أون لاين . نت ١٧ / ٤ / ٢٠٠٥ م) ..

لا يخفى الإخوان حرصهم على السلطة غير أنهم يسلكون سبلا مرحلية ، يقصدون بها تهية الشعب للوصول إلى حد المنافسة على السلطة ، بدلا من مجرد المشاركة .. والإخوان لا يجهزون المجتمع عقائديا ولا دينيا ، ولا يعدون كذلك من ينتسب إليهم على نفس الوجهة ، إنما يلعبون على التواحي السياسية ، ويلتفتون حول القوانين الوضعية ، ويستترون بالديمقراطية . هذا هو مجال البحث والمناظرة والكتابة . لا علاقة لهم بالدين ولا بالدعوة .. اللهم إلا أنهم يستخدمون الشعارات الإسلامية التي تمثل بالنسبة لهم " حصان طروادة " ، الذي يختبئون فيه ليصلوا إلى الحكم .. يزعم أنهم فصليل سياسي له الحق في ذلك ، ولا مانع من استغلال قاعدة عمية ، لا تفهم اللعبة السياسية ، غير ظننها أن كل ما تفعله الجماعة إنما يراد به نصر الإسلام وإقامة الدولة ..

مرجعية قديمة ...

وإذا كان الإخوان الآن يطلبون الحكم بمرجعية ديمقراطية وقوانين وضعية .. فقد كانوا في الزمن الماضي يتحلون نهجا آخر متمثلا في غطاء ديني ، يبررون به سعيهم إلى السلطة .. وذلك أنهم اتخذوا من فعل نبي الله يوسف (عليه السلام) في طلب الولاية من عزيز مصر ، بقوله : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : ٥٥] دليلا على جواز طلب الولاية والسعي إليها .. وهذا قياس مع الفارق ، وهو مردود من عدة أوجه :

أولا : إذا قلنا إن شرع من قبلنا شرع لنا فهذا مشروط بعدم مخالفته لشرعنا ، وقد ثبت في شرعنا النهي عن طلب الإمارة ، وعدم تمكين من طلبها ، وذلك لما رواه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها من مسألة وكلت إليها » (انظر البخاري رقم ٦٧٢٨ باب من سئل الإمارة وكل إليها) .

قال الإمام النووي : « في هذا الحديث فوائد :

منها : كراهة سؤال الولاية ، سواء ولاية الإمارة والقضاء والحسبة وغيرها .

ومنها : بيان أن من سأل الولاية لا يكون معه إعانة من الله ، ولا تكون فيه كفاية لذلك العمل ، فينبغي أن لا يولى ، ولهذا قال ﷺ : " لا نولى عملا من طلبه أو حرص عليه " (شرح صحيح مسلم ١١٦/١١) أ هـ .

ثانيا : أن في طلب الإمارة تزكية للنفس ورؤية لها ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : ٣٢] والإخوان يزكون أنفسهم ، كمن يتصدروا نيابة عن الأمة باسم الإسلام ، مع كونهم ليسوا موضع تزكية من علماء الأمة المشهود لهم بالدين والدراية ، فهم في فهم الدين في مصاف العامة ، وفي السياسة لا وزن لهم ، وتاريخهم شاهد على ذلك ..

ولا يجب أن يكون الشعب المصري محلا لتجارب فاشلة .. أما نبي الله يوسف (عليه السلام) فقد زكاه الله تعالى وبرأه من أمراض النفس التي قد تعتري عامة من يتعرض لتلك المسألة . كما أنه (عليه السلام) مأمون من الفتنة عند مباشرة الحكم ، لأنه نبي ، وقد شهد الله تعالى بأنه " حفيظ عليم " وقد حفظ الله به مصر حقا .

ثالثا : أن الإخوان مستمررون في صراع الطلب ، مظهرون الخروج الدائم على الدولة ؛ وهذا بدوره يسبب الاضطراب ، ويسد أبواب النصيحة ، ويشكك في الموعظة ، كما أنهم يشعلون الصراع الأيديولوجي إذا كان متعلقا بنظام الدولة ، أما خارج نطاق الحكم والدولة فهم آخلاء وأصدقاء لكل الأيديولوجيات المناهضة للإسلام .

وهذا يدل على أن الإسلام ليس غاية لهم ، إنما هو وسيلة للوصول إلى الحكم ، وأن ولاءهم وبراءهم لصالح الجماعة .. وأن قضية الأمر والنهي في محيط

الحكم لا تعينهم بشيء بقدر ما يعينهم الحكم نفسه .

رابعا : أن نبي الله يوسف (عليه السلام) طلب الإمارة من الحاكم المسئول ، أما الإخوان فإنهم يطلبون الإمارة ممن لا يملكها ، استعداء وتهيبجا على الساسة والحكام .. كما أن نبي الله يوسف (عليه السلام) طلب الإمارة بعد أن علم أنه ممكن . فقد قال له الملك : ﴿ إنك اليوم مكين أمين ﴾ [يوسف : ٥٤] أما الإخوان فإنهم يطلبون الإمارة استعداء بغير قبول .. وفي الوقت الذي عرضت عليهم الإمارة وعرض عليهم العمل للدين داخل نطاق الدولة من قبل عبد الناصر رفضوا ذلك .. ولو أنهم قبلوا العرض الذي عرض عليهم بغير طلب منهم ، وأقاموا العدل قدر المستطاع ، وحفظوا دماءهم لكان خيرا لهم .

فقد قبل يوسف (عليه السلام) الولاية ولم يكن له أن يفعل كل ما يريد ، أو يبطل كل ما يكره ، وإنما كان يسدد ويقرب ، ويصلح قدر استطاعته ، ويحفظ الجماعة المؤمنة .. قال شيخ الإسلام : « ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد وهو ما يراه من دين الله ، فإن القوم لم يستجيبوا له ، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته مالم يكن يمكن أن يناله بدون ذلك ، وهذا كله داخل في قوله : ﴿ فأتقوا الله ما استطعتم ﴾ [مجموع الفتاوى ٢٠- ٥٦] »

وقد بلغ نبي الله يوسف (عليه السلام) مقصوده في تأمين أهله ، وانتهى إلى الخير ، واتقى الله قدر استطاعته .. فمن استطاع أن يفعل كما فعل فليفعل ، بشرط ألا يطلب الإمارة ، ولا يزكى نفسه على الله ، وبشرط أن يمكن لفعل الخير قدر المستطاع ، وذلك لأن كثيرا ممن يطلب الإمارة يتغير إلى الباطل وهو لا يدري ..

والقضية الأخرى أن الإخوان يسعون إلى الحكم يزعم أن الدولة الإسلامية لا وجود لها ، هذا هو الذي يربون عليه من ينتسب إليهم ، ومن أجل ذلك فإنهم يستخدمون النصوص المتعلقة بالكفار ويسقطونها على المجتمعات الإسلامية .. وإذا كانوا يقولون نحن لا نكفر الدولة ، وإنما نقول بإسلاميتها ، فهل اتهم أحد من

الأئمة بجواز النزاع الدائم مع الحكام من أجل الوصول إلى الحكم ؟ . وهل زكاهم أحد من الأئمة دون غيرهم للتحدث والتصدر باسم المسلمين ؟ .

إن للإخوان أيدولوجيات فكرية لا يوافقهم عليها أصحاب الاتجاهات الإسلامية الأخرى . فضلا عن عامة المسلمين . فهل ممن حق الإخوان أن يرفعوا شعار الإسلام ؛ ليتكلموا من منته باسم شيخهم حسن البنا ، وباسم مرشديهم ، وباسم مفكرهم ؟ .

وهل من حق الإخوان أن يستجدوا أصوات العامة ، الذين لا يعرفون عنهم شيئا ، من أجل أن يعيدوا شعب حسن البنا إلى المجتمع المصري ، لتعود العمليات الإرهابية إليه مرة أخرى ؟ ... يلعبون بالديمقراطية فإذا وصلوا إلى الحكم سحلوا الناس في الشوارع وقتلوه في البيوت والمساجد ، بغير قضاء ولا محاكمة ، كما فعلت حركة حماس الإخوانية في فلسطين ..

القضايا التربوية المعاصرة هي دعوة الإخوان

١- فكر التحالف وحدوده ..

يؤمن الفرد الإخواني بفكرة التحالف مع شتى الأحزاب ، ولو كانت متأثرة بالأنكار الشيوعية والعلمانية ، ولو كان ثمن ذلك ترك الخلافات المتعلقة بمجال الدعوة والاعتقاد قائمة ، دون حجة أو بلاغ .. يتربى على ذلك الفرد الإخواني ويدعو إليه ويعيش من أجله .. يناور ويحاور ويتخصص في هذا المجال كأنه أصل من أصول الإسلام .. قال د/ محمد حبيب : « ولا شك أن الخطوة الأولى التي نهدف إليها هي محاولة تجميع الأحزاب والقوى السياسية والوطنية على آلية واضحة ومحددة من حيث تأكيد القواسم المشتركة بينها ، وطرح الخلافات جانباً ، وإيجاد شكل ينظم الكل في عقد واحد » (آفاق عربية . ١٩ أغسطس ٢٠٠٤) .. وعلى هذا النسق سعى الإخوان إلى التحالف مع الكنيسة الأرثوذكسية بعروض كثيرة ، كان آخرها أن عرض الدكتور العريان على الكنيسة اشتراك نحو ألف نصراني جنباً إلى جنب مع الإخوان في انتخابات المحليات ٢٠٠٦م - ٢٠٠٨م ، قائلاً : « إنه يتحتم على الإخوة الأقباط أن يشاركوا بإيجابية في العمل السياسي ويترشحوا في الانتخابات ، ويتعدوا عن التوقع داخل الكنيسة » (جريدة الميدان ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م) وقال مثل ذلك في (آفاق عربية عدد ٧٤١ . ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م)

وقام الإخوان جراء ذلك بتدعيم بعض المرشحين الأقباط في الانتخابات البرلمانية ، وأفرغوا لهم الدوائر .. كما نقل الأستاذ قطب العربي مراسل إسلام أون لاين نت . في ٢٦ أغسطس ٢٠٠٥م عن المستشار المأمون الهضيبي ..

والإخوان يقصدون من وراء هذا المسلك استخدام التصاري وسيلة ضغط على الدولة المصرية باعتبارها الخصم الأكبر لهم . وقد بدا ذلك واضحاً في تصريحات محمد عبد القدوس ، حيث قال :

« هناك ثلاث فئات تحديداً تعارض أي تقارب أو حوار بين كبرى الجماعات

الإسلامية - الإخوان - وأقباط مصر .. وذكر منها : النظام المستبد الذي يحكمنا وأمن الدولة ... فهم يخشون وحلة أبناء مصر في مواجهة الديكتاتورية والاستبداد السياسي الجاثم على أنفاسنا » (آفاق عربية . ٥ يناير ٢٠٠٦م)

وقد كان الإخوان في الزمن الماضي يرفضون فكر التحالف مع أصحاب الاتجاهات الأيدلوجية المغايرة لهم ، قال حسن البنا : « إن الإخوان يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب » (الرسائل ص/ ٢٠٢)

وعندما وقف التلمساني أمام الرئيس السادات في القنطرة الخيرية نقض فكر التحالف مع الشيوعيين ، قائلاً : « زعماء الحزب الشيوعي الموجودين في مصر أكثر من مرة يدعونني لحضور ندوات عندهم فكتن أرفض في كل مرة لأنني أعلم ما بين الإسلام وما بين الشيوعية من عداً وأن الإثنى لا يمكن أن يجتمعا في ركب واحد أو أن يسيرا في طريق واحد » (انظر موسوعة الإخوان . نت)

وأظن أن الإخوان عندهم اضطراب في إقرار مفهوم التحالف على القواسم المشتركة . غير أن الإقرار أقرب إلى العقلية الإخوانية التي رسم خططها حسن البنا من غيره .

أساس فكر التحالف في الإسلام ...

يظن الإخوان أن التحالف الذي يعقدونه مع الفرق والأحزاب السياسية - ذات الأيدلوجيات الفكرية المتنوعة - نوع من أنواع الأحلاف الجائزة في الإسلام كحلف الفضول ، الذي قال فيه النبي ﷺ : « لقد شهدت مع عمومي في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدهى به في الإسلام لأجبت » (رواه أحمد وغيره ، انظر صحيح الجامع ٣٧١٧)

ومن هذا المنطلق بالغ الإخوان في فكر التحالف والالتقاء على القواسم المشتركة ، وحرصوا على الدعوة إليه ، حتى صار كأنه أصل الأصول في دين الإسلام !. مما ترتب عليه إهدار القيمة الدعوية الدينية التي أنشئت من أجلها الجماعة .

ومثل هذه الأحلاف التي أجازها الشرع الحنيف لا تكون بالحركات الجزئية ،

إنما تكون على مستوى الدول ، بين أصحاب المسؤولية من الملوك والرؤساء باختلاف ألوانهم ، حيث يتفقون على الانتصاف للمظلوم من الظالم ..

أما داخل المجتمعات الإسلامية فليست الأحلاف بنفس الصورة التي يباشرها الإخوان مع غيرهم من الفرق . فلا يجوز اجتماع طائفة من المسلمين للانتصاف من الحاكم المسلم ، ولو كان ظالما ، لما أمر به الرسول ﷺ من الصبر على الحاكم وعدم الخروج عليه ، وذلك لقوله ﷺ : « تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فاسمع وأطع » (متفق عليه.رواه مسلم. كتاب الإمارة ١٨٤٧) ولو حدث أن اجتمعت طائفة للخروج على الحاكم بالقول أو بالفعل وجب على الحاكم المسلم التضييق عليها بشئ السبل ، حتى ينتهى أمرها ويذول خطرهما .. فكيف يكون الأمر إذا تحالف الإخوان مع أصحاب الملل المضادة للإسلام ضد الدولة المسلمة والحاكم المسلم ؟ ومن جهة أخرى فقد ثبت عن النبي ﷺ النهي عن اتخاذ الأحلاف إذا كانت مثيرة للفتن مفرقة للجمع ، بقوله : « لا حلف فى الإسلام » (رواه مسلم وغيره عن جبير بن مطعم) .

وذلك لأن الشرع الإسلامي حقق العدل وجاء بالانتصار للمظلومين ، فلا حاجة حينئذ للحلف .. قال ابن كثير فى شرح هذا الحديث : « ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن فى التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه » (التفسير العظيم ٢ / ٧٧٠) وقال ابن القيم : « الحلف .. إن اقتضى شيئا يخالف الإسلام فهو باطل ، وإن اقتضى ما يقتضيه الإسلام فلا تأثير له ، فلا فائدة فيه » (حاشية ابن القيم على سنن أبى داود ٨ / ١٠١) . والأحلاف عند الإخوان ما هى إلا طريقة مبتدعة لإظهار الخروج بصورة مختلفة .. وهذا أمر منهى عنه ، لأنه يفضى إلى النزاع الطويل ، الذى لا تؤمن حواقيه . وقد أثنى الله تعالى الأمة بدعوة الولاة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا أعلى وأكدر فى بلوغ المقصود من الأحلاف الإخوانية ، التى توغر الصدور وتبتر الفتنة.

الشاهد :

أن الأحلاف فى الإسلام ليست لإثارة المجتمعات الإسلامية .. وليست بترك مواضع النزاع العقيدية والفكرية ، دون بيان وبلاغ ، كما ينتهى عمل الإخوان ، كما لا يصح بناء دولة إسلامية على أكتاف ملل وأديان ومذاهب لاتؤمن بالإسلام .. فلم يتحالف النبي ﷺ مع قبائل العرب ضد كفار قريش ، كى يقيم دولة على قواسم مشتركة ، كما يريد الإخوان .. ولم يقبل ﷺ منهم الحكم حين عرضوه عليه ، وهو أيسر لإقامة الدولة من غيره .. وقد قيل له : « إن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا » فقال لهم : « ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا » أهـ.

أما إذا كان المقصود من الحلف ما تقوم به الجمعيات الخيرية داخل المجتمعات الإسلامية من البر والإحسان ورد المظالم ونصر الضعفاء فهذا خير أقره الإسلام وزاده قوة ... فلا بأس من تدعيمها والعمل على تيسير السبل لها .

٢- تكوين حزب سياسي ..

تدور أولويات العمل والدراسة في جماعة الإخوان حول حقهم في إقامة حزب سياسي يعبر عن فكرهم ودعوتهم .. يعتقدون الاجتماعات من أجله وينظرون في طريقه إنشائه وقانونية وجوده وصورته وموقعه من الجماعة .. هذا هو عملهم ودينتهم الآن ... وقد ورث الإخوان من حسن البنا أنهم دعوة دينية وليسوا حزبا سياسيا .. وقال لهم في رسائله : « أيها الإخوان أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضوعة لأغراض محدودة المقاصد ولكنكم روح جديدة يسرى في قلب هذه الأمة » .

وأكد رأيه بكل وضوح في مفهوم التحزب ، دون تعلق بحال الأحزاب وصورها في زمنه ، فقال : « وبعد هذا كله اعتقد أيها السادة أن الإسلام وهو دين الوحدة في كل شيء ، وهو دين سلامة الصدور ؟ ، ونقاء القلوب ، والإخاء الصحيح والتعاون الصادق بين بني الإنسان جميعا فضلا عن الأمة الواحدة والشعب الواحد لا يقر نظام الحزبية ولا يوافق عليه » (الرسائل ص / ٣٢٠) .

وقد أوضح التلمساني فيما نقل عنه إبراهيم قاعود في كتابه (الإخوان في دائرة الحقيقة الغائبة) حلة رفضه تكوين حزب للإخوان ، قائلا : « نحن رفضنا أن نكون حزبا ، لأن للأحزاب أسلوبا معينا في العمل ، ولأن للحزب برنامجا ونحن ليس لنا برنامج أو منهج ، لأننا ندين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو منهاجنا لهذا المعنى ، ولأننا لا نقر الأساليب التي تتخذها الأحزاب سبيلا للوصول إلى أهدافها ومن بينها الحكم » .

غير أن هذا المنطق أصبح لا يتناسب مع الطرق الحديثة في الوصول إلى الحكم ، ولا بد من التراجع عن هذا الفكر الموق ، ولا بد من وجود حزب تنضوي تحته المقاصد الإخوانية المعاصرة .. فتراجع الإخوان عن وصايا شيخهم .. وانطلقت المظاهرات ، وقالوا نريد حزبا .. أي حزب تريدون ؟ قالوا : لا نريد حزبا دينيا ، إنما

نريد حزبا مدنيا بمرجعية إسلامية . ولا مانع أن ينضم إلينا اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والروافض .. طالما أنهم يؤمنون بالمنهج السياسي للإخوان .. فالحزب كما قال العريان : « لكل أبناء الشعب مسلمين ومسيحيين وحتى يهود أفراد » (قناة الجزيرة ٥ / ٤ / ٢٠٠٥ م) ولا علاقة له بالدعوة الإسلامية ، فقال : الدعوة محلها الجماعة . ولكن مهمة الحزب هي النشاط السياسي » (لقاء مع قناة دريم ١ / ٢٠٠٧ م . نافذة مصر نت)

وعندما شرع الإخوان في عرض برنامجهم الحزبي أكدوا أنه لا علاقة له بأى دين من الأديان .. ونادى جمال حشمت - أحد كوادر الإخوان - بتغيير لغة الخطاب فيه ، وإخراجه من هيمة النص الديني ! قائلا : « كل ما نرجوه في برنامج الحزب الذي طال انتظاره أن يراعى عدة أمور إجمالية وتفصيلية .. أن يصاغ بلغة سياسية بعيدا عن الصيغات التراثية الدينية - رغم مرجعيته الإسلامية- كي يفهمها الجميع ولكي يتجمع عليها كل من يقتنع بها بغض النظر عن مرجعيته أو ديانتة هو! وهي مهمة لاشك في صعوبتها » (نافذة مصر نت ٣ / ٧ / ٢٠٠٧ م)

هل يجيز الإسلام إنشاء حزب إسلامي هي دائرة الدولة المسلمة ؟

والجواب : إذا كان العمل للإسلام ليس حكرا على أحدا فالتكلم باسم الإسلام ليس حكرا على أحدا.. إلا أنه يشترط للحديث باسم الإسلام مكانة مميزة في العلم والدين والديانة .. وإنشاء الأحزاب ليس مرفوضا من جهة التعبير عن معاني العدل والعلم والأمانة ، وبيان الحق الواجب على الأمة والأفراد ، وتمييز المصالح من المفسدات ، وبذلك المنفعة للمجتمع بتقديم دراسات علمية نافعة ، أو تقديم إعانات مباشرة للفقراء والمساكين ... ولكنه مرفوض من باب الولاء والتحزب للأشخاص ومرفوض من باب الأعمال والمقولات والأيدولوجيات الشاذة ، التي تهتم دين المجتمع ومقوماته، ومرفوض كذلك من باب التطاول على الأمراء والسلطين ؛ بما يؤدي إلى تمزيق المجتمع وتشيت جهوده . ومرفوض كذلك من قبل السعي الدؤوب للانقلاب على الدولة والوصول إلى الحكم . ومرفوض من باب عدم الموازنة بين النقد

وبين المسئولية . وهذا كله موجود في الأحزاب . وقد نهى الله تعالى عن التحزب والتفرق قال تعالى : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٤٥] .

وقد عرف الإسلام المدارس الفقهية ، ولكنه لم يعرف المدارس الحزبية .. فالمدارس الفقهية مدارس علمية ، وليست مدارس انقلابية خارجية مناوئة .

وممكن الخطر في تسمية الحزب بالحزب الإسلامي في أمة مسلمة وفي دائرة المسلمين ما يترتب على ذلك من الحكم على من لم ينضم إليه .. فقد كان حسن البناء يعتبر الذين لم ينضموا إليه : "أذنابا لا قيمة لهم .. إما ناروا وإما غاروا . . . فماذا يكون الأمر إذا كان مرشد الإخوان محمد عاكف يفرد نفسه بأحقية الحديث عن الإسلام ، قائلا : « وليس هناك أحق من أن يقول الحق كما أنزل على قلب محمد- صلى الله عليه وسلم- إلا الإخوان المسلمون » (إخوان أون لاين ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٦م) .

وبسبب تلك التمرة الجاهلية رفض الأئمة الأحزاب ولو كانت إسلامية !

قال العلامة الألباني في (السلسلة الصحيحة ١ / ٣٥٣) :

« نحن ننكر تحزب المسلمين في دائرة الإسلام . كان يكون حزب إسلامي يسمى كذا ، وحزب إسلامي يسمى كذا ، هذا التحزب - مع أنهم جميعاً يعملون في دائرة الإسلام وفي صالح الإسلام والله أعلم بما في نفوسهم .. مع ذلك فنحن لانرى أنه يجوز للدولة مسلمة أن تسمح لمثل هذا التكتل وهذا التحزب ، ولو في دائرة الإسلام ، لأن هذا ليس من صنع المسلمين ، بل هو من عادة الكافرين ، ولذلك قال رب العالمين : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْماً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أهـ

٢- الانتخابات والإخوان ..

يعتقد الإخوان أن العمل في المجال السياسي هو الأساس الأول لإصلاح المجتمع ، والوسيلة العظمى والاستراتيجية الكبرى لبناء الأمة وإعادة الخلافة . ومن أجل ذلك يتمرس الفرد الإخواني ويتربى على جميع محاور وأساليب اللعبة الانتخابية .. من حيث التجسس على الأفراد ونشر المنشورات التي تثير البلبلة وتزوير البطاقات الانتخابية ، ورفع المرشحين فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها .. هذا هو الواقع التربوي المعاصر في دعوة الإخوان .

قال محمد عاكف : « في البداية يجب أن تكون من الإصلاح السياسي الذي هو نقطة الانطلاق لإصلاح بقية مجالات الحياة » (آفاق عربية ١١ من مارس ٢٠٠٤) . كما يعتقد المرشد أن المقصد الأول من هداية الناس هو ادخارهم لصناديق الانتخابات (الأخبار . ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥م) ومن أجل ذلك أعلن المرشد أنه سيخوض الانتخابات باختلاف صورها (انظر : إخوان أون لاين ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٦) .

الإخوان والعامة ..

الإخوان لا يريدون العلم ولا العلماء إنما يريدون حكم الشارع ، فقد قال عاكف : « إنما شرعيتي من الشارع كما ينص الدستور » (إسلام أون لاين.نت/ ٨-٥-٢٠٠٥) والشارع يحكم ساعة الانتخاب فقط ، ولا يحكم كله ، وإنما يحكم بالأغلبية ، وقد تزيد الأغلبية بنسبة قليلة جدا عن الأقلية . وكلاهما بالضرورة : الفائز وغير الفائز لا يعبران عن الشارع كله .. وقد تتكون الأغلبية بالهفوات الكاذبة ، والعصبيات الجاهلية ، والتحالفات المتناقضة ، وقد تتحقق بنظرة تكسير الأصوات .. وقد تتكون بشراء ذمم الناخبين .. وقد تتكون بتجمعات وهمية لا وزن لأصحابها في المكان الذي ترشحت فيه ، وهذا كله يفعله الإخوان في الانتخابات .. فالانتخابات في الغالب لا تخضع لقيم ولا لمبادئ . فالشعب كله لا يحكم ، وإن حكم فهي بضع ساعات ، ثم بعد ذلك ينتهي الحكم إلى الأفراد ، حيث لا يمكن أن يؤخذ رأى

الشعب في كل قضية .. ويبقى الحكم والقول للنائب ، وليس هناك نائب يعبر عن ناخبيه في كل قضية من القضايا المروضة أمام البرلمان ، إنما يكفي برأيه الخاص فقط أو رأى الجماعة التى ينتمى إليها .. والإخوان يريدون من الشعب المصري تفويضا عاما، كى يتكلموا باسمه فى جميع القضايا والمعضلات، والناس لا يعرفون عنهم ولا عن جماعتهم شيئا . إلا الشعارات الإسلامية التى يعرفونها ، والتاريخ المجهول الذى يتغنون به .

وهم فى نهاية الأمر يلعبون على مشاعر العامة بأحاسيس فارغة ، وينصون أفرادا لا علم لهم ولا دراية . ويهذين الوجهين تفسد الأمم وتضيع الثقافات وتذبل القيم ويضعف الدين ، ولا يبقى للعلم ولا للمعلماء مقام ولا مكان .

لا يصلح القوم فوضى لا سرة لهم ولا سرة إذا جهلهم سادوا

تهدى الأمور بأهل الرأي ماصلحت فإن تولت فبالأشوار تنقأد

كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر لهم عن الرشد أغلال وأقياد

أعطوا غوراتهم جهلا مقادتهم فكلمهم في حبال الغي متقاد

وهذا مثل واضح يؤكد تلك المحاور الفاسدة . قال فضيلة الشيخ يوسف البدرى : « وجاءت انتخابات ٨٧ ، وفكرت في الترشح ، وطلب مني الدخول ضمن القائمة ، لكنني اصطدمت بالإخوان في دائرة ؟ جنوب ...

وأقول إن شعارهم " الإسلام هو الحل " هو للمتاجرة ، وهذا ما اعترف لي به المستشار مأمون الهضيبي .. وجلسنا معهم ، الإخوان والأحرار ، ووجدت أن اسمي رقم ٣ في القائمة ، وكان يسبقني فراش رشحه الإخوان ؟ قلت لهم : احنا وايحين ننتظف مكان ما أم لانتخابات مجلس الشعب ، احتراما لعلم الذي أحمله ، إما أن أكون الأول أو أنسحب ، وبالفعل اعتذرت عن القائمة ، وخضتها على مقعد الفردي » (المصري اليوم ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦ م) .

٤- المظاهرات

المظاهرات هى اللغة المقلسة التى تواصى بها الإخوان وتربوا عليها منذ أن نشأت دعوتهم إلى الآن .. وفيها يتربى الفرد الإخوانى على كيفية تجميع الأفراد وتنظيم اللقاءات وتحديد الأوقات وحفظ الصياحات . وتعلم طرق الكر والفر .. الخ.

ويدور مقصد المظاهرات حول عدة مقاصد :

١- هز الاستقرار واستعراض القوة ..

قال عبد الحليم : « . وقامت هذه المظاهرات ، وكان قيامها فى يوم واحد ، وبهتافات واحدة فى جميع أنحاء البلاد دليلا على قوة الدعوة ، وهزا لمكانة الحكومة » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ١٩٥٠) .

وهذا اعتراف آخر للأستاذ / أحمد عادل كمال حول غاية الاستعراضات الإخوانية فى زمن الملك فاروق ، قال فيه : « وقد كنا ننتهز الفرص لإجراء هذه الاستعراضات - فرق الجواله - ولم تكن هذه المناسبة مقصودة لذاتها ، وإنما كانت فريضة .. وكان بيت القصيد فيها إظهار قوة الجماعة ومظهرها العسكري » (الإخوان والنظام الخاص ص/ ٥٠) .

ولا تزال العقلية الإخوانية تفكر بنفس المنطق .. وهذا هو سر خروج مليشيات " الكنف فو " الإخوانية فى أواخر عام ٢٠٠٧ م جامعة الأزهر .. قال محمد حبيب : « أراد شباب جامعة الأزهر أن يعطى إحساسا وانطباعا أنهم قادرون على التعامل مع البلطجية .. » (الجزيرة نت ١٥ / ٨ / ٢٠٠٧ م) .

وقد نفى محمد عاكف أن يكون مقصد الإخوان من المظاهرات استعراض القوة، وقال : « استعراض القوة تعبير اعتاد الصحفيون استخدامه وليس له أساس ، ونحن لا نستقوى على أحد » (الأهرام ١٨ أكتوبر ٢٠٠٥ م)

ولتركه ليرد على نفسه .. فقد سئل فى موقع " نافذة مصر " عن سبب تكبر

شباب الإخوان أمام أصحاب الأمام الإسلامية الأخرى . فرد قائلا : « لماذا هذا الشعور موجود؟ لأننا متواجدون بجم كبير ، والذي يأتي لحوارنا يقف وحده ، قد تجد حركة تضم كتابا وخطباء وهن ، ولكن ليس لها زخم كبير مثل الإخوان ، وعندما تحدث مظهرة يكون عددهم نحو المائتين فيما نحن ١٠ آلاف » أهـ

ولو أردت غير هذا الكلام فالإخوان صور وأشكال .. والحقيقة بخلاف ما قال ، فهي قوة مصنطة ، كما شهد في (الشرق الأوسط ١٢ مايو ٢٠٠٥م) بقوله : « وكما رأينا قامت مظهرة في ميدان رمسيس وحضرها أكثر من عشرة آلاف ، رغم أن الإخوان كانوا ثلاثمائة فقط ، وكذلك في ميدان سعد زغلول . قال عبده زينه : تقصد بذلك أن مظاهرات رمسيس لم تكن كلها من الإخوان ؟ »

الجواب : نعم ، لم تكن كلها من الإخوان . فالإخوان كانوا ثلاثمائة فقط . ولكن الشعب انضم إليها فأصبحت آلاف ، وكذلك في السيدة زينب ، وهكذا في ضريح سعد زغلول » أهـ

٢- المظاهرات وسيلة دعائية ..

المظاهرات وسيلة من وسائل الدعاية للمنهج الإخواني ، لجذب الشباب ، عن طريق سيل من الهتافات ، التي تخاطب الجانب النفسي الشعوري أكثر مما تخاطب العقل ، وتنجح إلى الآراء والتجارب أكثر مما تنجح إلى الأدلة والبراهين ، فهي تابعة لبرنامج فكري ، إن لم تقع مبرراتها تصنع لها المبررات .

٣- المظاهرات معيار لوزن شعور المجتمع ..

ويرجع هذا المعيار إلى ما حدده قادة تنظيم ١٩٦٥م من طرق لقياس نبض المجتمع ، وذلك كل ثلاثة عشر عاما ، كما ذكرت زينب الغزالي في كتابها (أيام من حياتي . ص/ ٤٥) فإذا كان شعور المجتمع نحوهم شعورا إيجابيا اتجهوا نحو الدولة ، وإذا كان شعور المجتمع سلبيا عادوا مرة أخرى إلى سراديب التربية ..

حصان طروادة ..

مر الإخوان بمرحلة التعريف والتكوين وإعداد القوة الشعبية ، التي فيها التزلف والبيعة للأمراء والسلاطين والحكام (بشرط أو بغير شرط) فقد بايعوا الرئيس مبارك أربع مرات . وهم الآن يستقبلون المرحلة الثانية التي تسقط فيها شرعية النظام ، مرحلة الصدام والمصيان المدني . قال الأستاذ عبد الله علوان في كتابه (العقبات ٢ / ٣٦٨) : « ونحن يصل المسلمون إلى مرحلة إيجاد القاعدة الشعبية ، وتمتد حركتهم في الجموع الزاخرة من أبناء الأمة الإسلامية ، وتتخلل في الشعوب المؤمنة في كل مكان .. تأتي مرحلة التنفيذ ولحظة الحسم » . أهـ وقد أكد هذا المفهوم محمد عاكف بقوله : « إن جماعته لن تتوانى عن إعلان إضراب عام أو عصيان مدني في مصر ما دام "سيحقق العدل والإنصاف والخيرية للشعب" ، ولكنه قال : " لم تصل بعد إلى هذا " » (إسلام أون لاين/ نت/ ٨-٥-٢٠٠٥) .

والملاحظ في الفكر السياسي المعاصر أن الشعب المصري يمثل الميدان الأول في المنظومة السياسية للإخوان .. أو قل هو حصان طروادة الذي يستخدم لتحقيق الغاية والوصول إلى " سدة الحكم " .. وهذا بخلاف ما كان عليه الإخوان في الزمن الماضي . فقد كان سيد قطب يدعم إلى العزلة الشعورية عن الشعب المصري وغيره من شعوب العالم الإسلامي وعدم الاعتماد عليه اكفاء بترية أفراد النظام .. وكان الشعب المصري لا وزن له ولا كرامة عند الإخوان الآخرين . قال أحمد رائف : « الشعب المصري بما يـحمله من سبعة آلاف سنة حضارة هو شعب مستكين بليد لا يشور ولا يغضب ، ولا يحتج ولا يحرك ساكنا إذا ما ظلم أو اضطهد » (الصفحات . ص/ ٣٢) وهذا هو الذي يؤمن به عاكف حقا .. كما أكد في لقائه مع نبيل عطا في جريدة (الأخبار ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥م) قائلا : « الشعب المصري لا ينبغي ثورة ، ولن يدعو إلى ثورة ، ولا يتحمل وبصر ، وأصبح سلبيا للغاية » أهـ ..

فالإخوان هم القلة المبعدة ، أما الشعب المصري فهو الكثرة المتخلفة أو المتفرجة ، أو هم الكثر غير المدركة . ولا أدري لماذا تعتمد القلة المبعدة على الكثرة المتخلفة إذا كانت تسيّر ضدها في منحيات غير متقابلة ؟ لماذا تريد تلك القلة المبعدة أن تحكم كثرة متخلفة ؟

إن الشعب المصري ليس به من الجنون ولا من السفه ما يدفعه إلى السير وراء الإخوان في حركة شعبية ، ليحرب الإفلاس ويمشي في الوهم ..

فالشعب المصري وإن كانت العاطفة الدينية تدفعه إلى السير خلف من يرفع الشعارات الإسلامية يحسن قصد إلا أنه يعلم أن الإخوان ليس لهم خصومة مع أى أيدولوجية مغايرة لهم في قضايا الدين .. الخصومة الوحيدة مع الحكومات والأنظمة .. ولا يزال الإخوان يريدون من الشعب أن يفيق من غفوته ، ليحقق تلك الرغبة ، ويسلب الحكم ، ويسلمه للإخوان على طبق من ذهب ، ويقول لهم احكموا مصر آسنتين مطمئنين . ولو بالمصيان المدني ووقف الحياة العامة . وافق ذلك الشرع أم لم يوافق .. أضر ذلك بالمجتمع أم لم يضر .. فكل النخب السياسية تطالب بذلك . ولا يلزم موافقة ذلك للشرع والدين .. فيكفي أن يكون لهم أسوة في سيرة الحميني في إيران والمهاتاما غاندي في الهند ومارتن لوتر في أمريكا ..

العصيان والأحلام ..

لا شك أن الاعتماد على العصيان المدني في إقامة دولة لا يحقق شيئا من أحلام الفضلاء فضلا عن غيرهم ، لأنه لو فرض أن الشعب على أهبة الاستعداد للقيام بمثل هذا الأمر لكان ذلك دليلا على تحقق نوع من التغيير المتكامل في العقول والنفوس والمشاعر .. ولو وصل الشعب إلى هذا القدر من النضج لما كان في حاجة إلى ثورة ولا إلى عصيان ، لأنه يستطيع بهذا التغيير المتكامل أن يحقق الإصلاح في نفسه ، دون الحاجة إلى العصيان ، أو الثورة التي يريدها الإخوان . غير أن أصحاب تلك الدعوة من الإخوانيين والقانونيين والسياسيين باختلاف توجهاتهم السياسية يريدون فقط التخلص من خصومهم السياسيين ، بشرط أن يسدد الشعب المصري القانونة بمفرده .. وهم يعلمون أكثر من غيرهم أن الدعوة إلى العصيان المدني لا يحقق للشعب ما يريد .. بل ولا يحقق لهم أنفسهم ما يريدون ..

إنما هي رغبة الانتقام فقط .. والعاقبة مؤلة . ولو كانوا لا يعلمون العاقبة قتلهم مصيبة أكبر .. وتلك هي عادة من يتصدرون للحديث عن الشعب بغير وكالة ، وهم لا يدرون إلى أين يذهبون ..

ولا شك أن قيام جميع الأطياف السياسية بتلك المبادرة .. العصيان المدني ..

سيضعها في إشكالية متعلقة بالهدف والمقصد من جهة ، ومتعلقة بموقع الصدارة والتعبير عن المجموع من جهة أخرى . ماذا يريد هؤلاء . أى أيدولوجية ستحسم السباق ؟ . فالأيدولوجيات متنوعة متباينة .. من الذى سيعبر عن تلك الأطياف .. هل ستكلم جميع الأطياف بلسان واحد ؟ .

أم ستختار من بينها من يتكلم بلسانها جميعا ؟ .

لا شك أن تجارب كثير مطروحة في الواقع تبين استحالة الاتفاق على هدف واحد يجمع أقصى اليمين مع أقصى اليسار . لا في الناحية السياسية ولا في الناحية الدينية .. فدمج الأطياف الدينية للمتعددة في أفغانستان في زمن مجدى وحكمت يار وسياف ويونس خاص لم يحقق دولة قوية ثابتة المبدأ والغاية .. وتنوع الأطياف السياسية في لبنان أوقف عجلة التطور والنمو وأدخل المجتمع اللبناني في الصراع الدائم

أما نظرية القواسم المشتركة فهي نظرية فاشلة لا تقوى على البقاء في ظل الرئاسة، كما قال أحمد شوقي " أصدقاء السياسة أعداء بعد الرئاسة " وسيكون الشعب هو الضحية في جميع الأحوال ... وبهذا العصيان تعود الأمة من حيث بدأت ، وترجع نظرية الإصلاح ، لتفرض نفسها على الواقع من جديد ، بعيدا عن الثورة والانقلاب والعصيان ..

تقنين المظاهرات بالأثار الضعيفة...

لم تكن المظاهرات وسيلة إمام من أئمة المسلمين .. فكم سجن الإمام أحمد في زمن المأمون ، ومع ذلك لم يتظاهر من أجله أحد ، وقد طلب بعض الناس من الإمام أحمد الخروج على الخليفة المأمون في فتنة خلق القرآن فأبى وحذر من عاقبة الخروج .. وكم سجن شيخ الإسلام في زمن بيبرس ، ولم يتظاهر من أجله أحد ، وصبر واحتسب عند الله تعالى .. فدل ذلك على امتناع وجود آثار صحيحة تدعو إلى تلك المظاهرات . ولو وجدت تلك الآثار لما تغافل عنها الأئمة ، وهم أولى الناس بالانتباه ، خاصة مع وجود الحاجة الداعية إليها ..

أما الإخوان فإنهم لا ينظرون في الآثار السلفية ، إنما ينظرون في الروايات الضعيفة والموضوعة .. ويتبعون الزلات والسقطات .. ومن تلك الآثار الضعيفة التي يحتجون بها على مشروعية المظاهرات : ماروي من خروج المسلمين صفيين في زمن النبي ﷺ . صف خلف عمر وآخر خلف حمزة (رضى الله عنهما) ؛ ليغيظوا كفار مكة ، ويلقوا الرعب في قلوبهم . « (رواه أبو نعيم في الحلية ١ / ٤٠) .

هذا الأثر مكذوب ، وفيه أبان بن صالح ليس بالقوى ، وعنه إسحاق بن عبد الله الدمشقي متروك. (ذكره المتقي الهندي في كنز العمال في مناقب عمر رضى الله عنه برقم ٣٥٧٤٢ ، وذكره أبو نعيم في الدلائل) وقد أجمع علماء الجرح والتعديل على ترك حديث إسحاق . قال الإمام النسائي في "الضعفاء والمتروكين" ترجمة (٥٠): "متروك الحديث". قال الإمام البخاري في "الضعفاء الكبير" ترجمة (٢٠): "إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: تركوه". قال الإمام الدارقطني في "الضعفاء والمتروكين" رقم (٩٤): "متروك" أ هـ .

فانيا : لو قدر صحة تلك الرواية فإن هؤلاء الصحابة (رضى الله عنهم) لم يتظاهروا على القائد ، ولم يخرجوا بغير إذنه ، وإذنا خرجوا بإذنه ﷺ .

فأى إذن مع الإخوان للخروج والتظاهر على أولياء الأمور ، فهل أولياء

الأمر في الدول الإسلامية كقار يجب إعلان القوة أمامهم والخروج عليهم ؟ وهل الشعوب المسلمة كافرة حتى يستعرض الإخوان أمامها القوة ؟. والإخوان في الحقيقة يتصالحون مع الكفار الأصليين ويتحالفون معهم فكيف بالمسلمين !.

إن الإخوان لا يقبلون أن تكون المظاهرات هي الوسيلة التي يعترض بها عليهم . ولا يخفى كيف رفض محمد عاكف انتقاد الدكتور المليحي جماعة الإخوان على الملأ ، وقال : « الكلام في الجرائد فهذا أسلوب معيب ولا أقره ، فهو خارج عن المألوف في الجماعة » (الكرامة . ١ / ٥ / ٢٠٠٧م)

فكيف تكون المظاهرات هي الوسيلة التي يتعاملون بها مع السلطان الذي عقدوا له البيعة أربع مرات ؟.

التعبير لى ؟

يسمى الإخوان دوما إلى التكاثر على الأمراء والسلطين بهذا الشباب الناته ، الذى يجندونه في المدارس والجامعات ، قبل أن يعرف شيئا عن الحياة ودقائق الدين وخفايا السياسة ، فضلا عن مذهب الفرق .. والإخوان يهتمون بشباب الجامعات ، لما عندهم من حماسة وثورة ، وقلما يكون لأمثال هؤلاء نظرات موضوعية وأبعاد عميقة في فهم الأمور .. والشباب الإخواني يتحمس ويتحرك بدافع قائم على الأمر ، ولا قدرة له على الاعتراض .. ومثل هؤلاء المقلدون لا حق لهم في المشورة في القضايا العامة ، ولا حق لهم في فرض آرائهم على المجتمع ، وذلك لأن النوازل التي تمر بها الأمة أكبر من عقولهم ، وأكبر من ثقافتهم المحدودة .. وهم بتلك المظاهرات لم يتركوا مساحة للبحث والنظر ، ولم يفتربوا من أصحاب القرار ، ولم تتحقق أمانيتهم التي خرجوا من أجلها ..

والحكم في دقائق الجهاد والنوازل التي تمر بها الأمة من خصائص العلماء المجتهدين ، والأئمة الربانيين والساسة العظام ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبْطِنُ عَنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣) .

والمسلم الحق يعلم أن الله تعالى تعبدنا بالوسائل كما تعبدنا بالغايات ، وقد

أرشدنا النبي ﷺ إلى أعظم الغايات ، كما علمنا أعظم السبل ..

وقد كان النبي ﷺ يلجأ إلى الله تعالى في ساعة العسرة وكان يلجأ في الدعاء وقد تبعه الصحابة (رضى الله عنهم) في ذلك ، حتى إن منهم من كان يقسم على الله تعالى فيير قسمه ، صيانة له من الخنث ، وإكراما له ولتقواه ، لكنهم لم يتظاهروا على الولاة خروجاً عليهم ، ولم يتظاهروا على الكفار استمطافاً لهم . فلم تكن المظاهرات في أزمنتهم من جملة الوسائل المبنية للحق الدافعة للباطل .. وفي زمن الخلفاء كانت النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة .

وكان الدعاة هو المخرج .. والصبر على المحن والشدائد هو الخلق .. والجهاد والنفير هو الطريق الشرعي إلى النصر والتمكين .

أما المظاهرات فهي أمر محدث نقل للأمة الإسلامية من قبل الأعاجم ، مشرباً بأبعاد ثقافية واجتماعية وفلسفية ، بعيدة كل البعد عن المضمون الشرعي ، الذي يعبر عنه ديننا الحنيف ، سواء من جهة الوسائل أو من جهة المقاصد ..

وهؤلاء الذين أصلوا المظاهرات في الدول الغربية ما أرادوها وسيلة للتغيير ، وإنما أرادوها وسيلة لإخراج الطاقات المكتونة ، وكشف المتغيرات المجهولة في المجتمع . . أما التغيير والإصلاح فلم يكن في تلك الدول بالمظاهرات .. فهناك معامل للقرارات ، ومؤسسات للتخطيط ، وفرق للدراسات ، وهيئات لتناوب الآراء والأفكار ، كلها طويلة المدى .. تأخذ أزمنة طويلة وجهوداً كبيرة .. أما المظاهرات فهي دقائق وساعات .

وحقائق الإصلاح المتبررة لا تصلح بالدقائق والساعات ، فالمجتمع الذي انتشر فيه الفساد زمناً طويلاً لا يتغير بين عشية وضحاها ، ولا يتغير بلغة الحوارى والشوارع ، بل لا بد من جهود مستمرة وخطط طويلة وتربية مباشرة وغير مباشرة ، وتوجيه دائم ، ورقابة صارمة ، وإخلاص صادق ، ومحاسبة مستمرة ، تتخلل مواضع الضعف لتسدها ، ومواطن القوة لتدعمها ، وتختار لكل موقع أصلح من يقوم به من علم وورع وقوة في النفس والدين .. فإذا ما ألم بالأمة ملمة رائتها قبل أن تقع ، ووزنتها

قبل أن تشرتب ، وأعدت لها العدة قبل أن تتفاهم . هذه هي الحقائق وتلك هي الثوابت ..

أما الصور فهي أوهام ساقطة وخيالات زائفة ، لا تستشعر الخطر بالبحث والنظر في القواعد والحكم والأدلة والنصوص ، إنما تستشعر الخطر بالآلم والضرب والتهديد والتوبيخ ، فإذا ما ألم بها ملمة أو نازلة من نوازل الدهر صرخت وتظاهرت .. وهي أول من زرعت الفتن ، وهيأت للضلال والبدع ..

إن المظاهرات وسيلة مؤقتة مقطوعة تلهب الحماس ثم تصيب بالفتور والهزال ، لأن صاحبها رآها الأمل المنعقد والجذيل المحك والعذيق المرجب ، وهي غير ذلك . فلا هي تزيل الفساد وتخفف الآلم ، ولا هي تحمي من المواقف .. فهي مرفوضة من جميع الفئات العاقلة في المجتمع . ليست وسيلة من وسائل الإصلاح ، ولكنها وسيلة لضرب استقرار المجتمع وهدم مؤسساته ، وتلك حقيقة يتغافل عنها كل إخواني ، ويدركها كل حريص على أمن المجتمع وسلامته .

الخلل العلمى فى دعوة الإخوان

لم يَقم التطبيق العملى فى جماعة الإخوان سواء فى الجانب الدعوى أم فى الجانب السياسى على العلم والدليل ، بقدر ما قام على العواطف والظروف الطارئة ، التى تدفع كثيرا من مفكرهم إلى صياغة مجموعة من النظريات ، كى تتناسب مع الأحداث التى يمرون بها ، ثم حين يفاجئون بالمصائب ترى عليهم يقومون بترقيع أعمالهم ونظرياتهم مرة أخرى ، كى تصل إلى الحد الأدنى من القبول ، فتنقل الجماعة من مصيبة إلى مصيبة .. كما هو دأبها على الدوام .. ولا شك أن افتقار تلك الجماعة إلى العلماء ، وعدم تمكنهم من تولى زمامها كان السبب الأول فى وقوعهم فى تلك المصائب .. فلم يتول قيادة الإخوان فى زمن من أزمانهم عالم من العلماء .. والعلماء يرون المصائب قبل أن تقع ، أما العامة وما أكثرهم فى تلك الجماعة فإنهم لا يرون المصائب إلا بعد وقوعها واشتداد لهيئها .. ولو أنك صاحبت رجلا من قدامى الإخوان لا تجد عنده علما ولا إفتاء ، فليس فيهم علماء ، ومن وصف منهم بالعلم أو نسب إليه فإنه لم يكتبته منهم ، بل اكتسبه من غيرهم ، أما طريقهم فإنه لا ينشأ عالما ... وإنما تجد عندهم تاريخ البنا وجهاد البنا ، وسجون الإخوان . ومحاكمات ١٩٥٤م ، وتنظيم ١٩٦٥م . تلك هى القضايا التى كانوا يهتمون بها فى المنتديات والصحف ؛ استعطافا لأكثر قدر من العامة .. أما المعاصرون فليهم ونهارهم فى التحالفات والأحزاب والأيدولوجيات والدفاع عن التهم المتعلقة بالأقليات والأقباط وحقوق المرأة والتعددية الحزبية .. بأفكار متقلبة متنوعة .. بالإضافة إلى طمأنة الغرب وأمريكا وجميع الحركات الثورية عن دورهم فى حال وصولهم إلى الحكم .. فالتاس منهم فى سنة .. وقد اتفق المحققون من الدعاة والمفكرين أن النماذج البشرية فى دعوة الإخوان نماذج جامدة مستنسخة ، لا تستطيع الخروج عن القالب الذى وضعت فيه ، وهذا هو الذى جعل دعوة الإخوان دعوة جماهيرية ، تسخر من العلم ، وتتحزب حول شخصية القائد . فهو يرى ما لا يرون ، ويعلم ما لا يعلمون .

رَفَعَ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثالث

الخلل العلمى فى دعوة الإخوان

لا تقرأوا التفاسير !؟

والقول بأن الإخوان ليس فيهم علماء ليس يدعاه من القول فقد قال به العلامة المحدث مقبل الوادعي منذ ما يزيد على ثلاثين سنة ... ولكنهم لم يتبهاوا لذلك ، حتى فضحهم الدكتور المليجي في رسائله الخاصة ... قال الشيخ مقبل في كتابه (المخرج من الفتنة ص / ١٠٠) : « وأكبر برهان على انحطاط دعوة الإخوان المسلمين وأنها أصبحت الآن ليست على شيء نفور العلماء المبرزين منهم ، فلا تكاد تجد في صفوف الإخوان المسلمين عالما ، بل من التحق منهم من متخرجي الجامعات الإسلامية ميموه حتى يصير في منزلة العوام » أهـ

فلم يكن حسن البنّا من العلماء المجتهدين ، بل كان رجلا مدنيا باحثا بنفسه ، وكان يتهرب من مواجهة النزاعات العلمية التفصيلية ، ويوجه السائلين إلى غيره .. وقال ذات مرة ردا على سؤال سائل : « يا أخي إني لست بعالم ، ولكني رجل مدرس مدني أحفظ بعض الآيات وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب ، وأنطوى بتدريسها للناس ، فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أخرجتني ، ومن قال لا أدري فقد أفتى » (مذكرات الدعوة والداعية. ص / ٨٥) .

وإذا كانت هذه طريقة للتخلص ، وأن حسن البنّا كان يريد إغلاق باب الجدل في المسائل الخلافية ! كما يزعم الإخوان ، وأنه يحفظ أكثر من هذا القدر ، كما قال عن نفسه في موضع آخر ، فالحقيقة تدل على أن نكران العلم كان منهجا عاما واستراتيجية ثابتة وضعها حسن البنّا لجماعته : وهو منهج قائم على ترك التثبت في مسائل الخلاف ، والتولي عن دائرة المحققين في دلالات المعاني المرادة من النصوص ، بحجة ترك الجدل ، ورغبة في تجميع الأمة حول فكر الإمام . ومهما أنكر الإخوان ذلك فحقيقة الواقع تدل عليه . سواء في منهج حسن البنّا أو في منهج تلامذته ..

ولو كان عند حسن البنّا قدرات تفصيلية لاستطاع أن يتخلص من المضلات التي كانت تواجهه بتصرف علمي مناسب ، وكلمات معدودة ، بدلا من الهروب من أصل المشكلة وطرحها على الغير .. غير أنه حقا لم يكن عالما ، ولم يكن

يقرب إليه أحدا من أهل العلم ، كمادة الأكابر في هذا الفن ، وإنما كان يقرب العامة من الناس حوله ، كما أكد على ذلك محمد الغزالي في كتابه (من معالم الحق ص / ٢٢٢ . ط ١٩٨٤ م . دار الصحوة) .

وقد أدرك حسن البنّا فشل جماعته في الناحية العلمية، ولكن بعد عشرين سنة من نشأة الجماعة .. وقد شهد بذلك الدكتور القرضاوي - الذي جعل جل الجماعات في زمن الشيخ حسن البنّا مجموعة من العيان - قائلا : « في سنة ١٩٤٧م فكر الأستاذ البنّا في إصدار مجلة علمية شهرية .. وقد برر ذلك بقوله : يبدو أن الإمام البنّا - عليه رحمة الله - شعر بأن الإخوان في حاجة إلى ثقافة إسلامية معمقة ، فملا الفراغ الثقافي لدى الإخوان الذين اكتفى كثير منهم بما قرأه في رسائل الأستاذ ، وفي الصحيفة اليومية والمجلة الأسبوعية... الخ .

وقد علّق القرضاوي على ذلك قائلا : « واعتقد أن الأستاذ البنّا كان صائب الفكرة في ذلك فقد طغى الجانب التكويني العملي السلوكي لدى الإخوان على الجانب العلمي الثقافي ، أقصد الثقافة العميقة والمنهجية .

ثم قال : ومن قرأ العدد الخاص الذي أصدرته جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس دعوة الإخوان ، ولحظ قائمة الإنتاج الثقافي والعلمي لدى الجماعة وجدها متواضعة جدا ، بالنظر إلى جماعة واسعة الانتشار كالإخوان » (سيرة ومسيرة ١ / ٢٩٨) .

هذا هو ما أكدّه الدكتور القرضاوي : أن المحصول العلمي كان متواضعا جدا..

غير أن محمد عاكف المرشد الأخير للجماعة قلب الحقائق ، ورد بغير علم ما أكدّه الأستاذ القرضاوي ، وزعم أن حسن البنّا كان يهتم بالجانب الثقافي والفكري .. حتى إنه كان يقدمه على صحة الدين والعقيدة ، فقال : « يقول البنّا : نريد أن يكون قوى الجسم متن الخلق مقف الفكر .. قبل أن يكون صحيح العقيدة سليم العبادة ! » (نافذة مصر نت ٣٠ / ٣ / ١٤٢٧هـ) .

أما الأستاذ سيد قطب فقد وقف في صف القرضاوى ، وأكد ما أشار إليه حسن البنا آنفاً ، وذهب إلى القول بضعف قادة الجماعة ومفكرها في الجانب المعرفي الثقافي ، وكذلك في الجانب النفسي ، على السواء ، كما شهد بذلك القرضاوى في (آفاق عربية . ٢٩ يوليو ٢٠٠٤م) وأكد عبد العزيز كامل أن سيد قطب وجد في قادة الإخوان عام ١٩٥٤م ضحالة فكرية بارزة ، فقال كما تقدم :

« ورأى الرجل في بعضهم ضحالة في الفكر واضطراباً ولينا في الدين . كان صدمة له » (مذكرات عبد العزيز كامل ص / ٢٨) .

وبعد موت حسن البنا أكد سيد قطب حقيقة الضعف العلمي لمحاضري لقاء الثلاثاء ، قائلا : « في كل ثلاثة يقدم أحد الإخوان الدعاة ليلقي ما يخطر بباله بدون إعداد ولا تحضير ، وإنما هو حديث مرئجل عفو الحاطر ، ومثل هذا لا يليق بجماعة كبيرة مثل الإخوان » (سيرة ومسيرة ٢ / ٥٨)

وقد بين عبد العزيز كامل أن الإخوان كان يسخرون من العلم ، ولا يهتمون به ، قائلا : « ولقد كنت دائما أدعو إخواني وأبنائي إلى العناية بالعلم والمنهجية والتخطيط الطويل ، حتى أصبحت هذه - وأسفاً أقولها - مثار دعاية ، قد تصل أحيانا إلى شيء يقرب من السخرية المهذبة ، إن كان في السخرية تهذيب ! » (مذكرات عبد العزيز كامل ص / ٦٩) .

وفي آخر حياته .. وبعد أن رأى القشل الذريع في التربية التي سلكها مع أتباعه عبر الشيخ حسن البنا للدكتور / عبد العزيز كامل عن وجهة نظره بقالة الاحتفالات والدروس العامة ، التي كان يلقيها في عامة الشعب الإخوانية في ذلك الوقت بأنها " شغل دكاكيني لا قيمة له " ، وأنه كان يتمنى لو أنه ربي من أتباعه مائة فرد تربية دينية صحيحة . قال عبد العزيز كامل في مذكراته : « بأذني سمعت منه في وصف هذه الاحتفالات العامة بأنه " شغل دكاكيني " أي عمل صغير متفرق لا قيمة له » (المذكرات الشخصية . ص / ٥٩ . المكتب المصري . ط . ٢٠٠٦م) .

ومن جانبه لم يترك الأستاذ القرضاوى سيد قطب يظعن بمفرده في قادة

الجماعة ، حتى طعن فيه ، ونفى عنه الاطلاع الصحيح على الفقه الإسلامي ، وذلك في مقال بعنوان " ملاحظات وتعقيبات على آراء سيد قطب " قائلا :

« أحسب أن سيد قطب لو أتيح له دراسة الفقه الإسلامي دراسة صحيحة ، ولو أتيح له العيش في كتبه ومراجعته زمناً ، لغير رأيه ومرثياته . ولكن تخصصه ولون ثقافته لم يتيح له هذه الفرصة ، خاصة أن مراجع الفقه بطريقتها وأسلوبها لا تلائم طبيعته الفكرية ، إذ كان أدبياً وشاعراً ولم يكن فقيهاً على أى حال » (الشعب المصرية . تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٨٦)

ومن صدق من الإخوان مع نفسه قال مثل ذلك... وهذا هو الذى دعا الأستاذ / سعيد حوى في آخر حياته إلى القول بأن الإخوان لا يكفون بمفردهم في إيجاد العالم الرباني ، فقال : « لقد كانت دروس هذه المرحلة كبيرة ، فقد جعلتني مع مثيلاتها أصل إلى قناعات كثيرة حكمتني ولا زالت تحكمني : أولاً : إنه لا الجامعة ولا الإخوان المسلمين ولا حلقات الصوفية قادرة كل منها منفردة (!) أن توجد العالم الرباني المعاصر » (هذه تجربتي . ص / ٤٨) ... هذا هو نفسه الرجل الذى سبق أن قال (في آفاق التعاليم . ص / ٥) : « ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته » أهـ

أما المكانة العلمية في أسر الإخوان المعاصرة ..

فقد أكد الدكتور / سيد عبد الستار الميجي في رسالته التي وجهها للمرشد العام محمد عاكف أن قيادات الإخوان وأسرهم لا يعرفون علما ولا دعوة، وليس فيهم تدين ولا نصيح . فقال : « وجماعتنا اليوم تقاد بالصرافين وليس بالعلماء الواعظين ، وبيننا وبين من يدعي غير ذلك الإحصاء والتحليل لكافة طبقات القيادات الإخوانية العليا والوسطة والطرفية ، ولنتنظر كم تكون نسبة علماء الدين في قيادة جماعة قامت علي أساس الدعوة الدينية » (جريدة الكرامة ١ / ٥ / ٢٠٠٧ م) .

لا تقرأوا التفاسير...!

أراد حسن البنا أن يحصر أتباعه في حدود ضيقة من العلم .. فهذا أقرب للقائد في التحكم في أتباعه بموجب عقد الطاعة ، ذلك العقد الذي لا يبيع لأحد الاعتراض أو التردد في الأمر . وحتى تتسجم الجماعة في هذا المضمار كان حسن البنا يمنع تلامذته من النظر في التفاسير والإطلاع على أقوال الأئمة الربانيين ، اكتفاء ببعض المعاني اللغوية وبعض مشاهد السيرة النبوية . قال محمود عبد الحليم : « سألته مرة - حسن البنا - أي التفاسير تنصحني أن أقرأ ؟ فقال لي : إن كنت تريد نصيحتي فلا داعي لقراءة تفاسير . إن القرآن واضح . حسبك أن تعرف معاني الكلمات الغريبة عليك قليلة هي ثم أقرأ وتدبر معانيه وافتح له قلبك ، وأنت تعرف سيرة النبي ﷺ إذا فعلت فإنك ستضيق لك من معانيه ما لا تظفر به من كتب التفسير » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٠٨) .

وهذا دليل واضح على أن حسن البنا لم تكن عنده مدرسة تفسيرية . بالإضافة إلى أنه ترك أتباعه يجتهدون بأنفسهم في الفهم ، مع كونهم يفتقرون إلى ملكات الدراسة وأصول العلم ..

وفي مجال الفقه سعى سيد قطب في العمل على تجهيل الأمة وصرفها عنه . فقال : « أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام في هذه

الفترة فأحسب - والله أعلم أنه مضیعة للعمر، وللأجر أيضاً » (الظلال ٤ / ٢٠١٢) .

وقد تأكدت تلك الحقيقة بطعنهم البالغ في صحابة رسول الله ﷺ من الناحية العلمية . قال محمود عبد الحليم : « وما كان الصحابة (رضوان الله عليهم) مع علو قدرهم يعرفون من الأحكام الفرعية من الدين عشر ما يعرفه الآن طلاب المراحل الأولى من الدراسة الأزهرية ، ولكن حياتهم مع ذلك كانت ممارسة عملية لما تعلموه من المعلومات الأساسية القليلة من أحكام الدين فكانوا يتحركون للدين ويسكنون للدين » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٩) .

ولم يترك سيد قطب حسن البنا بمفرده في ميدان الاستغناء عن أئمة الإسلام ، فدعا إلى هجران التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم ، وانتقص جهد الأئمة الربانيين ، ودعا إلى عدم الاعتبار بأقوالهم ، وقال في كتابه (التصوير الفني . ص / ٨) : « ودخلت المعاهد العلمية فقرأت تفسير القرآن في كتب التفسير ، وسمعت تفسيره من الأساتذة ، ولكنني لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك القرآن اللذيذ الجميل الذي كنت أجد في الطفولة العذب الميسر المشوق ، وقرآن الشباب العسر المعقد الممزق ؟ أم

قرآن الطفولة العذب الميسر المشوق ، وقرآن الشباب العسر المعقد الممزق ؟ أم إنها جناية الطريق المتبعة في التفسير ؟ » أهـ

فإلى أي نتيجة انتهى سيد قطب ؟ فيجيب قائلا : « وعدت إلى القرآن أقرأه في المصحف لا في كتب التفسير .. وعدت أجد قرآني الجميل الحبيب . الحمد لله . لقد وجدت القرآن ! » أهـ .

فمدارس التفسير الأولى كانت مدارس بدائية لم تستطع أن تكتشف جمال القرآن على حقيقته ، كما أراد .. ذلك أنها حصرت مفاهيم القرآن في اللفظ والمعنى الخاص دون المعنى العام . قال : « وأيا ما كانت تلك الجهود التي بذلت في التفسير وفي مباحث البلاغة والإعجاز فإنها وقفت عند حدود عقلية النقد العربي القديمة تلك العقلية الجزئية التي تتناول كل نص على حدة فتحلله وتبرز الجمال الفني فيه - إلى

الحل الذي تستطيع - دون أن تتجاوز هذا إلى إدراك الخصائص العامة في العمل الفني كله « (التصوير الفني ص / ٣٤) .

وانتهى سيد قطب من خلال دراسته إلى أن القرآن من وجهة نظره مر بثلاث مراحل .. كان هو آخرها ..

أما المرحلة الأولى فلم يكن الصحابة مدركين معناه ، وإن كان قد سحروهم في أعماقهم ، فقال في كتابه (التصوير الفني . ص / ٢٥) : « لقد تلقوه مسحورين يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون ، هؤلاء يسبحون فيؤمنون وهؤلاء يسبحون فيهبون ، ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عما سبهم منه فإذا هو حديث غامض لا يعطيك أكثر من صورة المسحور المبهور الذي لا يعلم موضع السحر فيما يسمع من هذا النظم العجيب وإن كان ليحس منه في أعماقه هذا التأثير الغريب » أهد

وأما المرحلة الثانية .. فهي مرحلة التابعين . فقال : « فلما كان عصر التابعين نما التفسير نموا مطردا ولكنهم كانوا يقتصرون في تفسير الآية على توضيح المعنى اللغوي الذي يفهمه من الآية بأخضر لفظ » (المصدر السابق ص / ٢٧) .

ثم قال : « أما المرحلة الثالثة .. فلم يصلوا إليها أبدا لا في الأدب ولا في القرآن ، وبذلك بقي أهم مزايا القرآن مغفلا خائفا وأصبح لدراسة هذا الكتاب المعجز من منهج للدراسة جديد » (ص / ٣٤)

فما المرحلة الجديدة التي وقف عندها سيد قطب .. وابتدعها في التفسير مخالفا سائر أئمة الإسلام والدين ؟ إنها مرحلة إدراك الخصائص العامة . مرحلة التصوير . تصوير المعنى الذهني في حركة أو هيئة .. وتصوير الحالة النفسية في مشهد تمثيلي أو لوحة مرسومة محسوسة ، بتخليها المرء أثناء تلاوته للقرآن . قال سيد قطب : « التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحوادث المحسوسة والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا

النموذج الإنساني شاخص حتى وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية . فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة فإذا أضف إليها الحوار فقد استوت فيها كل عناصر التخيل » (التصوير الفني . ص / ٣٦) .

ومن خلال اطلاع سيد قطب على كثير من الفنون جعل قصص القرآن ومشاهد يوم القيامة حركات ومشاهد ولوحات معبرة عن مفردات وقواعد التمثيل السينمائي والرسم والعمل المسرحي وفنون الموسيقى ونغماتها ودرجاتها .. وعبر عن ذلك بكلمات تتناسب مع هذا المجال . وصار يعبر عن النص بما يستشعره في ذاته وفي نفسه وفي حياته الأولى من معان ذوقية متعلقة بذلك .. ومن أراد فهم القرآن على هذا النحو فلينظر إليه بهذا التصور ، فقال على سبيل المثال في تفسير قوله تعالى : « كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا » يومئذ يجهنم ... إلى قوله تعالى : « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » في وسط هذا الروح الذي يثبته العرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاه العسكرية المنتظمة الدقات المنبثقة من البناء اللفظي الشديد الأسر وبين العذاب الفذ والوثاق النموذجي يقال لمن آمن « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلي ربك راضية مرضية .. » هكذا في عطف ولطف : ' يا أيها ' وفي روحانية وتكريم « يا أيها النفس .. المطمئنة » في وسط هذا الروح " ارجعي إلى ربك " بما بينك وبينه من صلة وإضافة ..

إلى أن قال : « والموسيقى حول هذا المشهد مطمئنة متموجة رخية في مقابل تلك الموسيقى العسكرية ذلك نموذج للمقابلة النفسية بين المؤمنين والمؤمنين » (التصوير الفني . ص / ٨٧ ، ٩٨ . دار الشروق . ط ٢٠٠٤ م) .

وهكذا تناول سيد قطب الآيات والصور القرآنية . إما موسيقى ، وإما صور وألوان وخطوط ، وإما مسرح وسينما . تلك هي الخصائص العامة التي غفل عنها الجيل الأول ..

* ومن وجه آخر فقد وصف سيد قطب القرآن بالسحر في عدة مواضع.. فقال على سبيل المثال : « كيف استحوذ القرآن على العرب هذا الاستحواذ وكيف اجتمع على الإقرار بسحره المؤمنون والكافرون » (التصوير الفني . ص/ ١٧) وقال : « يجب أن نبحت عن منبع هذا السحر في القرآن .

وقال : « وكان مع ذلك محتويا على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب فقالوا : « إن هذا إلا سحر يؤثر » أهـ

وهذا هو الاتهام الذي قوبل به القرآن من كفار قريش في أول الأمر .. طعنا فيه وردا له ، لا تعظيما وإجلالا ، كما توهم .. أما أن المؤمنين قالوا عن القرآن إنه سحر فهذا ما لا حقيقة له إلا في الخيالات والوساوس ...

* كذلك وصف سيد قطب القرآن بالشعر ، فجعله مساويا له في كل شيء إلا في القوافي والتفاعيل ، فقال : « القرآن الكريم صدق ، إذ لا تتوفر له القافية والتفاعيل ، وإن توفرت له بقية خصائص الشعر الأساسية » أهـ

غير أنه في موضع آخر أثبت أن القرآن أخذ من الشعر القوافي والموازن والإيقاع ، وبهذا يكون القرآن عنده شعرا من جميع جوانبه . وضرب المثل لذلك بسورة النجم ، فقال : « هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية متغمة يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة ..

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْمَؤَيَّةَ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩-٢٠] فلو أنك قلت ومناة الثالثة لاخلت القافية ، ولتأثر الإيقاع ، ولو قلت : ومناة الأخرى فالوزن يختل » أهـ

هذا هو سيد قطب الذي جعل أصحابه أذبه مسوغا لقبول أخطائه ، وهو مع ذلك علم مقدس لا ينال .. هذا هو تفسيره المعاصر .. وهذا هو تصويره الفني ، الذي ناوله الموسيقى الفنان الأستاذ (محمد حسن الشجاعى) كى يتفصل بمراجعتة ، وضبط المصطلحات الفنية الموسيقية عليه ...

* ولم يقف أمر سيد قطب عند الدعوة إلى هجران التفسيرات الإسلامية ، والقول بالذوق التصوري ، والإيقاع والجرس والموسيقى .. الخ وإنما امتد ليفتح باب المدرسة العقلية أساسا لفهم الدين .. فالتزم الأفكار الاعتزالية .. وقدم العقل على جميع الأصول ، وجعله الحاكم الأول على صحة الاعتقاد والدين ، فقال :

« وأنا أجهز بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم » أهـ وقال أيضا : « الدين لا يقف في طريق البحوث الفنية والعلمية التي تتناول مقدساته تناولا تطبيقيا من كل قيد » (التصوير الفني ص/ ٢٥٣).

وفي موضع آخر بين الحيرة التي تملكته وهو يبحث موضوع القصة في القرآن ، وبين أنه على استعداد أن يحاكم القرآن إلى غيره بشرط أن يكون هذا الغير حقيقة يعتمد عليها . فقال : « فلست أنكر أن شبهات اعترضت طريقي وأنا أبحث موضوع القصة في القرآن ومشاهد القيامة في القرآن أهذا كله مسوق على أنه حاصل واقع أم أن بعضه مسوق على أنه صور وأمثال ؟

وقفت طويلا أمام هذه الشبهات ولكني لم أجد بين يدي حقيقة من حقائق التاريخ أو حقائق التفكير فاطمئن إلى يقينيتها وقطعيتها فأحاكم القرآن إليها ، وما كان يجوز لدي أن أحاكم القرآن إلى ظن أو ترجيح » أهـ ..

فهو يحتاج إلى حقيقة تاريخية أو فكرية يحاكم إليها قصص القرآن ومشاهد القيامة هل هي حقيقة واقعة أم صور وأمثال .. ولا شك أن هذا المقام ليس مقام تصديق ويقين بكلام الله ، إنما هو مقام شك وتكذيب .

قال ابن القيم : « ولا يكون الرجل مؤمنا حتى يؤمن بالرسول إيمانا جازما ليس مشروطا بعدم معارض ، فإذا قال أنا تؤمن بخبره مالم يظهر له معارض يدفعه لم يكن مؤمنا به ، كما لو قال أنا أشهد أن لا إله إلا الله إلا أن يكون في العقل دليل يدل على إثبات إله آخر ، أو يقول أنا تؤمن بالمعاد إلا أن يكون في العقل دليل ينفيه ، أو يقول أنا تؤمن بالرسول إلا أن يكون في العقل ما يبطل رسالته ، فهذا وأمثاله ليس بمؤمن جازم بإيمانه ، وأحسن أحواله أن يكون شاكاً » (الصواعق المرسلة ٣ / ٨٧٠) .

وهل هناك مؤمن يتناول الدين تناولا عقليا بحثا ، لا ينظر إلى آية ، ولا إلى معجزة ، ولا إلى رسول مؤيد ، ولا إلى صحابة ، ولا إلى سنة ، ولا إلى فطرة فطر الله الناس عليها .. ؟

تخبط واضح وتذبذب مثير..

* ولم يقف أمر سيد قطب الذى تربى على يديه غالب الحركات الإخوانية على ما تقدم ذكره فقد ورث سيد قطب مذاهب المعطلة والمؤولة من الجهمية والمعتزلة فى الصفات ، ولم يكن يوما على طريقة السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم) .. ومن جمل الخلل الذى وقع فيه فى كتابه الظلال تسمية الله تعالى بعمان ، لا تليق بذاته .. ولا ببره مفهوم أدبي ولا تأويل عقلي ولا غير ذلك من العلل ، التى تبرر للباطل بشئى الصور .. فقد سعى سيد قطب الله تعالى بالريشة المدعة وبالريشة المعجزة ...

وسماه أيضا بالعقل المدبر ، فقال فى وصف ملامح النفوس فى (الظلال .. ٢٠٤) : « هذه اللمسات العجيبة من الريشة المدعة فى رسم ملامح النفوس ، تشير بذاتها بأن مصدر هذا القول المعجز ليس مصدرا بشريا على الإطلاق » أه .

وقال فى خلق الكون : « وتبدأ الريشة المعجزة فى رسم المشاهد الكونية الضخمة . . لمسة فى السماوات ، ولمسة فى الأرضين . ولمسات فى مشاهد الأرض وكوامن الحياة . . » الظلال ص / ٢٠٤٤ .

وقال فى تفسير سورة " عم " : « وجعل الأرض مهادا للحياة - وللحياة الإنسانية بوجه خاص - شاهد لا يمارى فى شهادته بوجود العقل المدبر من وراء هذا الوجود الظاهر . » (الظلال ٣٨٠٤) .

ولا يجوز إطلاق هذا اللفظ - العقل المدبر - على الله تعالى .. فهذا اللفظ لا ينتهى إلى التعظيم والكمال ، إنما ينتهى إلى النقص والتشبيه .

هذا فضلا عن كون الأسماء والصفات توقيفية ، لا يجوز فيها الاختراع .. وقد نزه الله تعالى نفسه عن مشابهة الخلاق ، وقال : « ليس كمثل شئ » وهو السميع

البصير ﴿ [الشورى : ١١] .

ووصف سيد قطب الله تعالى بالانثاف ، فقال : « إن الله العظيم الجبار القهار مالك الملك كله قد تكرم فى عليائه فالنفت إلى هذه الخليفة » (الظلال ٣٩٣٦) ..

والانثاف هو لى العنق يمينا ويسارا . وهذا المعنى لا يليق بالله تعالى . والواجب أن يقدم اللفظ الشرعى ، وهو لفظ النظر ومنه العام والخاص ..

غير أن وصف سيد قطب الله تعالى بهذا الفعل يتناقض مع إنكاره الصفات الفعلية وتعطيله لإياها . كالاستواء والنزول وغيرها . وذلك لأن الانثافات على منهاجه صفة حادثة متحددة ، وهذا ما ينكره فى أصول قواعده .

وعلى طريقة الجهمية تكلم سيد قطب فى نفى الصفات ، مستخدما ألفاظهم فى ذلك كلفظ التحيز والتجسيم ، والمكان . . الخ

فقال عند تفسير قوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها » [البقرة : ١٤٣] : « قسم الوحدة والاتساق بين كل قوى الإنسان فى التوجه إلى الله الذى لا يتحيز فى مكان ، وإن يكن الإنسان يتخذ قبلة له من مكان » أه

وبين بكل وضوح إيمانه بهذا المعتقد قائلا : « وكيف تطيق ذات محدودة فانية أن تتلقى كلام الله الأزلي الأبدى الذى لا حيز له ولا حدود؟ ولا شكل له معهود؟ وكيف؟ وكيف؟ » (٦ / ٣٣٨) وعرف الوحى بأنه : « الصادر من غير مكان ولا زمان ولا حيز ولا حد ولا جهة » أه ...

وهذا هو قول الجهمية المعطلة الذين وصفوا الله تعالى بالعدم ، وقالوا : " لا داخل العالم ولا خارجه ولا عن يمين ولا عن شمال ولا أعلى ولا أسفل ولا فى الإمام ولا فى الخلف " .. وهذا هو معنى نفى التميز الذى ذنب إليه ..

وأظن كذلك أنه كان مضطربا فيه غاية الاضطراب . وذلك لأنه لو أثبت أن الله تعالى محيط بكل شئ فلازم ذلك أن يكون فوقه وأعلاه ، فالهواء محيط بالأرض فهو فوقه بالضرورة ، والسماة محيطة بالأرض فهى فوقها بالضرورة ،

والكرسي محيط بالسماوات فهو فوقها بالضرورة .

وهو مع ذلك جمع بين الضدين ، فقال : « كيف يكون هذا الاتصال بين الذات الأزلية الأبدية التي ليس لها حيز في المكان ولا حيز في الزمان ، المحيطة بكل شيء » (٦ / ٣٣٨) فنفي التحيز في أول الكلام ، وأثبت الإحاطة في عجزه ..

والإنسان متناقضان .. فالذين قالوا بنفى الحيز والمكان أرادوا أنه لا في جهة ، وأنه لا يشار إليه بالعلو ولا بالوقية .. والذين قالوا إن الله محيط بكل شيء .. قصدوا أن المحيط هو الجبار العالی .. وفي هذا إثبات للمكان بمعنى العلو .. إلا أن يريد بالإحاطة الإحاطة العلمية .. فأى شيء أراد ؟ ..

وأهل السنة يثبتون استواء الله تعالى على عرشه ، كما يثبتون علوه على خلقه على ذات وقدر وقهر ... علوا لا يماثل علو المخلوقين .. ولا يلزم من ذلك أن يكون حالا في مكان ولا زمان ، بل هو فوق الزمان وفوق المكان وفوق كل شيء ، بائن من خلقه ، مستو على عرشه . . أما ألفاظ الحد والتحيز فهي ألفاظ مشتركة تحتل الحق والباطل . وأهل السنة يفصلون القول في تلك الأقوال ..

أما القول بالجهة فما يزال السلف يقولون به ، كما أكد ذلك الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وعلى نفس الوجه السابق أنكر سيد قطب عروج الملائكة إلى الله تعالى .. وهذا من باب إنكار العلو كما هو معلوم .. فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ تَجَرَّعَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] : « ولم تكلف أو ندرى طبيعة هذه المهام ، وكيف يصعد الملائكة ولا إلى أين يصعدون » ... أهر

ولا شك أن الضمير في قوله : « إليه » عائذ إلى الله تعالى

وعندما تكلم سيد قطب عن النسخة ، وكلمة " كن " تحير وتردد ، وقال هذه بحوث لا طائل من وراءها فقال في النسخة : « أهذه النسخة هي الكلمة .. الكلمة هي توجه الإرادة ؟ الكلمة " كن " التي قد تكون حقيقة وقد تكون كناية عن

توجه الإرادة والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته .. وكل هذه بحوث لا طائل تحتها ... » (١ / ٣٦٩) .

وهذه الأقوال تدل على أنه كان في قمة التذبذب في أمر الاعتقاد ..

وذلك أن النسخة في آدم غير النسخة في عيسى غير النسخة التي في سائر البشر .. فالنسخة في آدم صفة فعل من الله تعالى .. والمنفوخ مخلوق مربوب باتفاق أهل السنة والجماعة ...

والنسخة في عيسى كانت من جبريل ، والنسخة كذلك فيه مخلوقة مربوبة . وكذلك في سائر البشر ، وهي من الملائكة الموكلة بالأرحام .. وتلك هي الروح التي اختص الله تعالى بعلمها .. وليست النسخة ذات الكلمة .

والمراد بالكلمة " كن " الكلمة الكونية التي خلق الله بها جميع المخلوقات ، وليست هي توجه الإرادة كما زعم ، قاصدا تعطيلها ..

والكلمة ليست مخلوقة كما قالت الجهمية .. ولا هي ذات المسيح ، كما تردد .. فهذا خلاف ما هو معلوم عند أهل الإسلام .. فعيسى جاء بالكلمة وليس هو ذات الكلمة ، كما قالت النصارى .. فليس هناك كلمة تاكل وتشرب وتغشي .

قال شيخ الإسلام فيما نقله عن الإمام أحمد في الرد على الجهمية :

« ساق الإمام أحمد الكلام في القرآن والرؤية وغير ذلك إلى أن قال ثم إن الجهم ادعى أمرا فقال إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على القرآن أنه مخلوق فقلنا أي آية قال قول الله : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةً أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ وعيسى مخلوق ..

فقلنا : إن الله منعك التفهم في القرآن عيسى محمدي عليه أئناظ لا تخبري على القرآن لأنه يسميه مولودا وطفلا وصبييا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري عليه الوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى ، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في

عيسى ولكن المعنى في قول الله : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : " كن " فكان عيسى يكن وليس عيسى هو الكن ، ولكن بالكُن كان ، فالكن من الله قول وليس الكُن مخلوقا . وكذب النصراني والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة ،

وقالت النصراني عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال إن هذه الحفرة من هذا الثوب ..

وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس كان وليس هو الكلمة ، قال وقول الله : ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ يقول من أمره كان الروح فيه كقوله : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ يقول من أمره (الفتاوى ٤ / ٢١٨) .

فقول سيد قطب عن الكلمة : « والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته . كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات » وتحيره وتردده في ذلك يدل على قلة فهمه لكتاب الله - كما قال الإمام أحمد في الجهم - ويدل على أنه لا يقدر على التفريق بين كلام الله المضاف إليه إضافة الصفة إلى الموصوف وبين الأشياء المخلوقة بأمر الله تعالى وبكلامه ...

أما قوله : « وكل هذه بحوث لا طائل تحتها ... » فهذا تسفيه بالغ لقضية اختلف عليها المسلمون والنصارى والجهمية ... وهي قضية من قضايا الاعتقاد والإيمان .. كما أنها قضية من قضايا الصفات ، فكيف يكون تفسيرها وتبيينها أمرا لا طائل من وراءه . ولماذا أنزلها الله في القرآن ، ولماذا فصلها بالقول ..؟

الطائل فقط عنده أن المجتمعات الإسلامية مجتمعات جاهلية ، وكل من حكم في حكومة واحدة بغير ما أنزل الله فهو كافر .. والانقلاب واجب في جميع الأقطار ، كى تسير على منهجه الجهمي المعطل المقوض المستهزء .. فمنهجه الجهمي الذي استباح به الدماء وكفر به المجتمعات الإسلامية هو الحكم الذي أنزل الله ... من حكم به أو دعا إليه فلا غبار عليه ولا عيب فيه ولا كفر فيه .. ومن تعداه فهو مرجيء

.. أما السلف فهم المشبهة والجسمنة والثابتة .. ألا ساء ما يحكمون ..

هذا هو نهج الإخوان في تسفيه قضايا الصفات الربانية ، وانظر ماذا قال القرضاوي وقارن بينه وبين ما قال سيد قطب لتعلم أن المعين واحد .. فقد قال :

« قد يحتاج المفتي في بعض الأحيان إلى ترك الإجابة عن سؤال السائل لعدم أهميته . مثل ذلك : من يسأل عن آيات الصفات ، مثل : ﴿على العرش استوى﴾ الخ » (الفتوى بين الانضباط والنسب . ص / ١٣٩) .

أما العرش والسماء والكرسي فحدث عن حيرة فملك سيد قطب فيهما .. لا أدري كيف تجرأ في أمور لا علم له بها ؟ .. وهو لا يملك ملكات النظر والبحث والدراسة في علم العقيدة .. فليس له في علم الحديث نصيب .. ولا عنده لأهله تقدير ولا تعظيم .. فهو لا ينظر إليهم ولا يعبأ بعقائدهم .

وهذه تفسيرات أخرى تدل دلالة قوية على تعمق سيد قطب في ضلالات المعطلة وخرافات الجهمية .. وتقديمه إياها على كل نص وعلى كل تفسير .. فعطل صفة الاستواء على العرش ، وأول صفة اليد ، وأكر صفة السمح لله تعالى ..

تعطيل صفة الاستواء ..

قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ والاستواء على العرش كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة باللغة التي يفهمها البشر ويتمثلون بها المعاني على طريقة القرآن في التصوير » (في ظلال القرآن ١٧٦٢٣ /) .

ومعلوم أن الهيمنة من لوازم الاستواء ، وليست هي حقيقة الاستواء ومعناه .. وفعل الاستواء إذا عدى بحرف الجر " على " فلا معنى له في لغة العرب إلا العلو .. وقد رد سيد قطب تفسير الإمام مالك لتلك الآيات ، والذي نقاه عن شيخة ربيعة بن عبد الرحمن حين سئل عن الاستواء ، والذي فيه أن :

« الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله تعالى الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق » (اجتماع الجيوش الإسلامية ص / ٧١) .

فقال في كتابه (في ظلال القرآن ٤ / ٣٤٨٠) : « أما الاستواء على العرش فتملك أن تقول : إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق . استنادا إلى ما تعلمه من القرآن عن يقين من أن الله - سبحانه - لا تتغير عليه الأحوال . فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش ، ثم تنبهما حالة استواء . والقول بأننا نؤمن بالاستواء ولا ندرِك كَيْفِيَّتِهِ لا يفسر قوله تعالى : ﴿ ثم استوى ﴾ والأولى أن نقول : إنه كناية عن الهيمنة كما ذكرنا » أهـ

وقد أكد منحى الأشعرية في إنكار الصفات الفعلية بقوله : « فهو - سبحانه - منزّه عن الحدوث وما يتعلق به من الزمان » (في ظلال القرآن ١٦٦٢) .

وسيد قطب هنا يقتضي قواعد الفرق التي ردت عقيدة السلف أهل الحديث كالجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية وغيرها ..

وهي قوله عدة ثلمات :

الأول : أنه ينكر الصفات الفعلية لله تعالى .. والفارق بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية هو أن الصفات الفعلية أزلية النوع متجددة الأحاد متعلقة بمشيئة الله تعالى ، تظهر في وقت دون وقت ، بخلاف الصفات الذاتية فهي دائمة الظهور .. والاستواء على العرش من الصفات الفعلية التي ثبتت بالسمع ، وعلى ذلك فيصح أن يكون الله مستويا على العرش بعد أن لم يكن مستويا عليه ، كما يصح أن يغفر لعبده بعد أن كان غاضبا عليه ، كما يصح أن يكون مع عباده بالمعية العامة والمعية الخاصة بعد أن خلقهم ، كما يصح أن يبعث عباده بعد أن أماتهم ، والبحث مختلف عن الإمامة .. فهذا فعل وهذا فعل .. كما يصح أن ينزل في ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، ويأتي ويبقى للحساب يوم القيامة ، كما يصح أن يكلم عباده جميعا يوم القيامة بعد أن لم يكن متكلمًا إلا مع بعضهم .. ومن الآيات الدالة على إثبات الصفات الفعلية قوله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى ليقتانا وكلمه ربه ﴾ (الأعراف : ١٤٣) فقد ثبت الكلام بعد مجيء موسى عليه السلام .. ولو سرنا على طريقة سيد قطب في إنكار الأفعال المتجددة كالاستواء وغيره لكان كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام

كلما أزيل قبل خلق موسى عليه السلام ، وهذا ترده الآيات القرآنية والعقول السوية ، فقد كلم الله موسى في الطور ولم يكلمه في الأول .. وإن كان الكلام معلوما في علم الله أزلًا ..

ولو كان المقصود بكلام الله تعالى لموسى هو الكلام النفسي الأزلي كما زعم الأشاعرة لعلم موسى جميع علوم الله تعالى عند تكليمه إياه ، ولكنه علم بعض العلوم دون بعض ؛ فدل ذلك على خطأ الأشاعرة البالغ في تعريف صفة الكلام .. والجدير بالذكر أن كلام الله تعالى من الصفات الذاتية الفعلية في آن واحد .. فهو أزلي في نوعه متجدد في آحاده . والله يتكلم إذا شاء . وهو على كل شيء قدير . كما أن الاستواء باعتبار تعلقه بالعرش صفة فعلية ، وباعتبار معناه صفة ذاتية ..

الثاني : أن قوله : " إن الله لا تتغير عليه الأحوال " ، هو القول الذي يرد به أئمة الفرق الصفات الفعلية .. وهذا القول يقتضي أن يخلق الله تعالى الخلق جميعا بفعل واحد ويقول واحد وبمشيئة واحدة .. وهذا غير صحيح .. فالمخلوقات خلقت بترتيب زمني خلقا من بعد خلق ، فلم تخلق في وقت واحد ، كما أن لكل خلق أمرا خاصا وفعلًا خاصا ومشيئة خاصة من الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ (يس : ٨٢) .

وأهل السنة عندما يثبتون الصفات الفعلية يقولون إنها معبرة عن الكمالات الاختيارية ، ولا يقولون بحلول الحوادث المخلوقة في ذات الله تعالى ، ولا يقولون بتغير الأحوال الذي يستلزم النقص على الله تعالى ، كما يقن أهل الأهواء ..

الثالث : أن سيد قطب كان على علم بمذهب السلف ، ولكنه لم يعبأ به . لا كما يقول بعضهم إنه لا يعلم . وشاهد ذلك نقله قول الإمام مالك في إثبات الاستواء بمعنى العلو على العرش ورده له وعدم قبوله به ..

الرابع : أن الهيمنة ثابتة مع الخلق قبل أن تكون ثابتة مع الاستواء ، فما الذي ميز فعل الاستواء عن فعل الخلق إذا كان الاستواء بمعنى الهيمنة ؟ وهذا يرد قوله أن " ثم " في الآية ليست للترتيب الزمني . بل هي للترتيب الزمني كما هو ظاهر .

الخامس : أن سيد قطب لم يلاحظ فائدة تخصيص العرش بالاستواء دون غيره من المخلوقات ..

وقد بين الإمام الأشعري حقيقة هذا التخصيص في كتابه (الإبانة ص/ ١٠٨ قائلا : « وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قول الله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (طه . ٥) أنه استولى وملك وقهر وأن الله تعالى في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ، لأن الله تعالى قادر على كل شيء ، والأرض لله سبحانه » أهـ

تأويل صفة اليد ..

* وقال سيد قطب في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَمِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر : ٦٧] : « وكل ما يرد في القرآن وفي الحديث من هذه الصور والمُشاهد إنما هو تقريب للحقائق ، التي لا يملك البشر إدراكها بغير أن توضع لهم في تعبير يدركونه ، وفي صورة يتصورونها . ومنه هذا التصوير لجانب من حقيقة القدرة المطلقة ، التي لا تنقيد في حيز ، ولا تتحدد بحدود » (الظلال ٤ / ٣٠٦٢ . دار الشروق . الطبعة الثالثة عشر ١٩٨٧م) ..

قلت : قوله هذا يدل على أنه كان على دراية عميقة بمذاهب الفرق الشاذة .. وجوانب الخطورة في قوله تنتهي إلى نفى مدلولات القرآن الظاهرة ، وأن القرآن يدعو الناس إلى اعتقاد ما لا وجود له ، وإنما هو تقريب فقط . كان كلام الله تعالى ألغاز وإشارات ، لا تستقيم اعتقادا ولا تصح ديناً إلا بتفسير المؤولة والمعطلة . . وقد كان الفلاسفة يعتقدون أن الأنبياء خاطبوا الناس بالخيالات وأخفوا عنهم الحقائق .. التي زعم الفلاسفة احتكارهم إيها ، حتى أطلقوا على أنفسهم أهل الحكمة ...

وقد فسر سيد قطب القبض هنا بالقدرة المطلقة . والقبضة في الآية صفة ليد الذات المضافة إلى الله تعالى إضافة الصفة إلى الموصوف ..

والذي قاله سيد قطب رأى عقلي فلسفي نظري ، قائم على مناهج المتكلمين

والنص بخلافه . وقد أمرنا الله تعالى أن نعبد ما قال المرسلون لا بما تفلسف المتكلمون . وقد أثبت النبي ﷺ البدين لله تعالى على ما يليق بجلاله ، وفسر الآية تفسيراً واضحاً ، فقال ﷺ : « يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ابن الجبارون أين المتكبرون ، ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون » (رواه مسلم . صفة القيامة ٢٧٨٨ ، عن عبد الله بن عمر)

وفي هذا الحديث ثبت اليد .. وتلك الثنية لا تجوز في حالة تفسير اليد بمعنى القدرة .. فالقدرة لا تنثنى باتفاق جميع الفرق .. واليد صفة ذات متعلقة بالله تعالى ، وليس في الوجود شيء مستقل يقال عنه " يد الله " ، فدل ذلك على أن اليد صفة من الصفات الذاتية لله تعالى ، وليس في العقل ما يمنع إطلاق ذلك على مايليق بجلال الله تعالى ، وليس في النصوص الشرعية معارض لهذا الإطلاق ، ولو كانت اليد بمعنى القدرة ، كما أولها سيد قطب لاحتج إبليس على الله تعالى بها حين قال له : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ وقال : وأنت يارب خلقتني يديك .

الأمر الآخر : أن سيد قطب وصف القدرة أنها " لا تنحيز في حيز ولا تتحدد بحدود " ... ونفي التحيز قد يمر على كثير من الناس دون أن يدرك مراده .. فنفي التحيز عند الجهمية الذين وافقهم سيد قطب يراد به أن الله تعالى لا يكون داخل العالم ، ولا يكون خارجه .. وهذا أكبر وصف للمعدم ..

قال شيخ الإسلام في (التدمرية ص/ ٢١) : « فالتمحيز يراد به تارة ما هو داخل العالم وتارة ما هو خارج العالم . فإذا قال ليس بتمحيز كان معناه : ليس بداخل العالم ولا خارجه . فهم غيروا العبارة ليوهموها أن لا يفهم حقيقة قولهم أن هذا معنى آخر ، وهو المعنى الذي علم فساده بالضرورة » أهـ

ويتطابق ذلك على صفة القدرة بتفسير سيد قطب يكون نفيًا لوجودها .. ويكون المعنى أن لا قدرة له داخل العالم ، ولا قدرة له خارجه ..

ولا أظن سيد قطب كان يقصد ذلك ..

أما قوله " ولا تتحد بحدود " فقد عني بذلك أنها مطلقة في كل مكان ، في الداخل وفي الخارج ، لا يمتنع مانع .. وما عناه بنفى التحيز يختلف عما عناه بنفى الحدود ، وهذا أثر من آثار النقل عن الجهمية . التضارب في الأقوال والمقاهيم .

تعطيل صفة " السمع لله تعالى " ..

※ أيضاً من جملة الصفات التي عطّلها سيد قطب صفة " السمع " . فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿كَلَّا فَاذْهَبْ بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمْعِنُونَ﴾ [الشعراء : ١٥] .

« ولكن الصحبة المقصودة هنا هي صحبة النصر والتأييد فهو يرسمها في صورة الاستماع الذي هو أشد درجات الحضور والانتباه ، وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة وذلك على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير » أهـ

فلم يثبت السماع بمعنى إدراك الأصوات على حقيقتها ، مهما دقت ومهما بعدت ، وإنما جعل ذلك كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة . وهذا تفسير منحرف ، يلزم منه تعطيل الصفة بالكلية . وقد عطّلها على طريقة الجهمية في إنكار الصفات . باعتبار نفى التجديد من جهة وباعتبار نفى التجسيم من جهة أخرى ... فهو ينكر الصفة من كل الجهات . وعلى طريقة الجهمية والمعتزلة لا يثبت الصفة من جهة الفعل ، لأن إيجابها عنده يقتضي الحدوث . ولا يشتها من جهة الذات ، لأن ذلك يقتضي عنده التجسيم .. والاثنان يقتضيان تشبيه الخالق بالمخلوق .

وقد رد الله تعالى فساد تأويلات الجهمية والمعتلة والمشبّهة بقوله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] .

※ قال : " القرآن مصنوع " ..

وفي القرآن الكريم لم يقل سيد قطب إنه كلام الله تعالى ، انضاف إليه إضافة الصفة إلى الموصوف ، ولم يثبت أنه لفظ ومعنى ، كما أثبتته أئمة السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم) ، ولم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد ، وإنما جعله من صنع الله تعالى ، فعطّل بذلك صفة من صفات الله تعالى .. وذهب إلى هذا التعطيل الذي يتماشى مع قواعد مذهبه الجهمي في أكثر من موضع في تفسيره ، فقال كما في

(الظلال . ص / ١٥) : « إن هذه البشرية - وهي من صنع الله - لا تفتح مغاليل فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده (سبحانه) ! وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق ، وشفاء كل داء : وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .. » [إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم] أهـ وقد قصد بالمنهج هنا القرآن .. وهو مقصوده من الصنع ...

وقال أيضاً (ص / ٢٧١٩) : « الحروف المقطعة التي اخترنا في تفسيرها أنها للتنبية إلى أنها مادة الكتاب الذي أنزله الله على رسوله (مؤلفاً من مثل هذه الحروف ، المألوفة للقول ، المبسرة لهم ليؤلفوا منها ما يشاءون من القول ؛ ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب ؛ لأنه من صنع الله لا من صنع إنسان » أهـ

وقال (ص / ٢٨٠٤) : « والفارق بين القرآن وما يصوغه البشر من هذه الحروف من كلام ، هو كالفارق بين صنعة الله وصنعة البشر في سائر الأشياء . صنعة الله واضحة مميزة ، لا تبلغ إليها صنعة البشر في أصغر الأشياء » أهـ

والملاحظ أن سيد قطب استخدم ألفاظ الجهمية التي يطعنون بها في أهل السنة . كلفظ التحيز والجهة والتجسيم .. الخ ، ولكنه لم يستخدم لفظ مخلوق الذي يستخدمه المعتزلة في إنكار إضافة القرآن إلى الله إضافة الصفة إلى الموصوف ...

ولكنه وإن كان استخدم لفظ " مصنوع " ليغربه السذج الذين يظنون أنه لفظ أدبي لا يعبر عن مدلول المعتزلة في نفى نسبة القرآن إلى الصفات الربانية .. فإنه صرح في مواضع أخرى بما يؤكد اعتقاده في أن القرآن مخلوق - وإن كان لفظ التحيز والتجسيم وحلول الحوادث الذي يقول به يكفى في بيان مراده من القول بخلق القرآن - منها : القول بتوجه الإرادة : فقال في تفسير قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فتوجه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائناً ما يكون ، إنما يقرب الله للبشر الأمور ، ليدركوها بمقاييسهم البشري المحدود (الظلال : ٥ / ٢٩٧٨) وقال : « فتوجه الإرادة إلى خلق كائن ما كقيل وحده بوجود هذا الكائن ، على الصورة المقدرة له » (الظلال .

١ / ٨٠) وقال : « فالبدء كالإعادة أثر لتوجه الإرادة » : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » الظلال ٥ / ١٨١) وقال : « إنما هي الكلمة . هي المشيئة : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (الظلال ٦ / ١٥) .

وقوله " توجه الإرادة لخلق الشيء " كاف " تعطيل واضح لصفة الكلام .. وتأويل باطل .. إذ جعل القول والأمر لغوا لا قيمة له ..

والحقيقة أن الله تعالى يخلق بأمره وفعله وقدرته . قال تعالى : « ألا له الخلق والأمر » [الأعراف : ٥٤] .. وأمر الله تعالى يكون بكلامه الكوني - وقد يراد بالأمر الكلام الشرعي - والخلق هو قدرته على إيجاد الموجودات بقوته وفعله (وقد يراد به المخلوق المكون كما أشار بعض السلف في التفريق بين الأمر والخلق) .

ولكن سيد قطب لم يشر إلى فائدة الكلام الكوني ، لأنه يعده من الحوادث المتجددة المنسوبة لإطلاقها على الله تعالى.. أما الإرادة عنده فهي على طريقة الأشاعرة إرادة واحدة متعلقة بالأزل .. وهذا يلزم منه تخلف الأفعال عنها ، وهذا التفسير معارض لقوله تعالى : « فاعل لما يريد » والحقيقة أن كلمة " توجه الإرادة " عند سيد قطب تلزمه بأن يعد الإرادة من صفات الأفعال . وهذا ما لا يقول به .

وسيد قطب يعد الإرادة خالقة مدبرة ، وقد أشار إلى ذلك في عدة مواضع منها : « إنما تيسر النشأة الإنسانية في هذا الطريق دون سواه من شتى الطرق الممكنة بناء على قصد وتدبير من الإرادة الخالقة المدبرة في هذا الوجود » (الظلال ٥ / ٢٢٦) .

وقال في موضع آخر : « والنظر المجرد إلى السماوات والأرض يوحي بوحدة الإرادة الخالقة المدبرة » (الظلال ٦ / ٢٢٤) .

وتلك النسبة غير صحيحة ، ولا يجوز أن ينسب الخلق إلى الإرادة ولا إلى القدرة .. إنما ينسب الخلق إلى الله تعالى لأنه الخالق ، ثم يرجع السبب إلى الإرادة والأمر والفعل المتعلق بذاته تعالى ، فيقول يخلق الله بإرادته ويخلق بأمره وفعله ويخلق الله بكلامه وتديره .. وقد وقع أكثر مفكرى الإخوان في هذا الغلط . فقد قرأت كثيراً من كتب الإخوان فوجدتهم يقولون « شاء قدر الله ، شاءت إرادة الله » .

قال الغزالي في كتابه (الإسلام المفترى عليه ص/ ١٩٢) : « وكأن القدر شاء أن سرب مثلاً حياً متكرراً » أه وقال القرطبي في الهضيبي : « ولكن هكذا شاءت له الأقدار أن يكون... » (أفاق عربية. عدد ٦٨٦) . وقد سبق هؤلاء حسن البنا فقال : « إن ذلك المغلوب الذى شاء له القدر أن يسعد بالإسلام ويهتدي بهديه . الخ » (الرسائل ص/ ٦١) .

فنسبوا جميعاً المشيئة إلى القدر - كما نسب سيد قطب الخلق إلى الإرادة والمشيئة ... وهذا قصور فاضح في فهم العقيدة .. ذلك لأن القدر لا يتبادى ، ولا ينسب إليه مشيئة ، والمشيئة ليست وصفاً للقدر ، حتى يفعل بها القدر ما يريد ، ولكنها صفة لله تعالى ، وعلى ذلك نقول : شاء الله ، أراد الله .. وهذا القصور في فهم العقيدة يدل على أنهم كانوا كالعامة في فهم التوحيد .. ومثل هؤلاء لا يحق لهم التصدر في مخاطبة الحكام ولا النظر في شئون الأمة ..

قال الإمام العلامة محمد صالح العثيمين : « الأقدار جمع قدر ، والقدر لا مشيئة له ، وإنما الذى يشاء هو الله - عز وجل - نعم لو قال الإنسان : " اقتضى قدر الله كذا وكذا " فلا بأس به . أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار ، لأن المشيئة هي الإرادة ، ولا إرادة للوصف إما الإرادة للموصوف . » (أه) فتاوى أركان الإسلام ص/ ١٩٧) .

٢- إنكار سماع موسى كلام الله تعالى بالأذن .

أيضاً فإن سيد قطب عندما تكلم في تفسير قوله تعالى : « وناديناه من جانب الطور الأيمن » [مريم : ٥٢] تحير وتردد . هل سمع موسى كلام الله بأذنه أم سمعه بكيانه الإنساني كله . ؟ لينكر أنه لفظ وحرف .. فقال : « ونحن لا ندري كيف كان هذا الكلام وكيف أدركه موسى أكان صوتاً تسمعه الأذن أم يتلقاه الكيان الإنساني ؟ ولا تعلم كيف أعد الله كيان موسى البشري لتلقى كلام الله الأزل ، إنما نؤمن أنه كان - وهو على الله هين - أن يصل مخلوقه به بطريقة من الطرق وهو بشر على بشرته وكلام الله علوى على علوئيه ومن قبل كان الإنسان إنساناً بنفخة من روح

الله «أهـ

ولا شك أنه اضطراب واضح في فهم صفة الكلام .. لم يترجح لديه هل هو صوت أم معنى .. ؟ لم يرجع فيه إلى ما قاله أهل السنة .. فلو كان الكلام للكيان الإنساني كما ظن لكان نوعاً من الإلهام .. وهذا يشارك فيه موسى غيره .. أما كلام الله باللفظ والحرف والمعنى والصوت فهو خاص بموسى عليه السلام .. وهذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي ﴾ والحقبة أن الله تعالى تكلم مع موسى بصوت وحرف ، كما أنه يتكلم يوم القيامة مع آدم ، ومع البشر جميعاً بصوت وحرف . وفي الحديث يقول الله تعالى : ﴿ يَأْتِمُرُ بِقَوْلِ لَبِيبٍ وَسَعْدِيكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكِ أَنْ تَبْعَثَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ ﴾ (متفق عليه . البخارى ٢٤ / ٣٤٣) .

وقد أكد الله تعالى صفة الكلام بالمصدر الذى يمنع نزول المجاز ويثبت حقيقة الكلام بجميع مشتقاته لفظاً ومعنى وحرفاً وصوتاً .. فقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ولا يختلف فى ذلك أحد من أئمة اللغة ..

أما التفخمة فى آدم التى قالها فى عجز كلامه ..

فإن أراد الروح فالروح مربوبة مخلوقة ، وليست من ذات الله ، ولا هى صفة له ، فكيف يقرب اتصال الله بآدم فى صفة الكلام بهذا الشيء المخلوق ؟

لقد جمع سيد قطب فى كلام الله تعالى بين معتقدين :

معتقد المعتزلة القائلين بأن كلام الله مخلوق أو مصنوع ..

وبين معتقد الأشاعرة القائلين بالكلام الأزلى - يريدون بذلك معناه النفسى .. والنصحیح أن يقول فى صفة الكلام إنها صفة فعلية ذاتية فى آن وواحد -

ترى أنحاكم سيد قطب على اعتبار أنه معتزلى ينكر الكلام كصفة لله تعالى ؟ أم نحاكمه على اعتبار أنه أشعري يقول بالمعنى النفسى الأزلى .. ؟ فجميع النصوص القطبية المتعلقة بكلام الله تعالى عند سيد قطب تشير إلى أنه مصنوع ..

باستثناء هذا النص الذى الأخير قال فيه بالمعنى الأزلى .. إلا إذا أراد أن نصفه أزلى والنصف الآخر مخلوق .

القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود ..

إن هذا النهج الذى انتهى إليه سيد قطب نهج منحرف ، مخالف لمعتقد السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم) ، وذلك لأن المصنوع هو المخلوق المكون ، أما القرآن فلم يكن مخلوقاً ولا مكوناً ولا مصنوعاً ، بل هو من علم الله تعالى ..

قال تعالى : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ النساء : (١٦٦) وعلم الله تعالى ليس مخلوقاً ولا مصنوعاً ، لأنه فى نفسه ، وشاهد ذلك قول عيسى عليه السلام لربه تعالى ذكره : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : (١١٦)] .

ونفس الله لا يحل فيها مصنوع ولا مخلوق .. فإذا كان القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق فالقرآن غير مخلوق .. وقد أثبت الله تعالى نزول القرآن على جبريل عليه السلام من عنده ، قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [النحل : (١٠٢)] . فاثبت نسبة معلومة مضافة إلى الله ، فدل ذلك أن القرآن قائم بالله تعالى ، وليس قائماً بغيره .. فالقرآن كلام الله تعالى ، وهو بحروفه وألفاظه ومعانيه صفة من صفاته الذاتية الفعلية .. منه بدأ وإليه يعود .

الإمام أحمد يثبت صفة الكلام ...

أثبت الإمام أحمد أن الله تعالى كلاماً يتكلم به ، يخالف به الخرس والبكم ، خلافاً لقول المعتزلة الذين يقولون كلام الله مخلوق ، وخلافاً للجهمية الذين قالوا لا يتكلم وليس له كلام ، فقال : ﴿ إِنْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَلَامٌ هُوَ بِهِ مُتَكَلِّمٌ ، وَذَلِكَ صِفَةٌ لَهُ فِى ذَاتِهِ خَالَفَ بِهَا الْخَرَسَ وَالْبُكْمَ وَالسُّكُوتَ ، وَامْتَدَحَ بِهَا نَفْسَهُ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِى الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلُ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف : (١٤٨)] فاعبهى لما عبدوا إلهاً لا يتكلم ولا كلام له ، فلو كان إلهنا لا يتكلم ولا كلام له رجع العيب عليه ، وسقطت حجته على الذين اتخذوا

العجل من الوجه الذي احتج عليهم به « (اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل (ص/ ٢٩٥) ..

وذبح الإمام أحمد إلى أن كلام الله صوت وحرف ، خلافا لما يقوله الأشاعرة ، الذين يحصرون الكلام في المعنى النفسى الأزلئ - كما قال سيد قطب في الاتجاه الثاني - وينكرون اللفظ والحرف والصوت ، بناء على شبهات مردودة .. عن عبد الله بن أحمد قال : سألت أبي عن قوم يقولون : " لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت " فقال أبي : " بل تكلم تبارك وتعالى بصوت ، وهذه الأحاديث نزويها كما جاءت ، وحديث ابن مسعود : " إذا تكلم الله بالوحي سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان " قال أبي : " والجهمية تنكروه " قال أبي : " وهؤلاء كفار " (العقيدة الأصفانية. ص/ ٥٣) ..

فلم يقل الإمام أحمد إن كلام الله تعالى مخلوق أو مصنوع ، كما قال سيد قطب .. وما قال ما أدرى ما معنى كلام الله كما قال المفوضة .. وما قال نصفه معنى نفسى إلهى ، والنصف الآخر حروف وألفاظ مخلوقة ، وأن المعنى النفسى الأزلئ حل في الحروف الحادثة المخلوقة ، كما قال الأشاعرة - تشبها بقول النصارى بحلول اللاهوت في الناسوت - إنما قال : القرآن كلام الله ، وكلام الله صوت وحرف .. القرآن من علم الله ؛ فهل علم الله مخلوق ؟

بطان احتجاج الأشاعرة ..

أما احتجاج الأشاعرة بقول الله تعالى : «ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول» [المجادلة : ٨] وجعله دليلا على إثبات الكلام النفسى القديم ..! بمعنى أن كلام الله تعالى معنى أزلئ لا صوت ولا لفظ ولا حرف .. فهو احتجاج فى غير موضعه .. لأن معنى الآية : «ويقولون فى أنفسهم» يعنى " ويقولون فيما بينهم". وقد كان اليهود يقولون للنبي ﷺ " السام عليكم " ثم بعد أن ينصرف يقولون «لولا يعذبنا الله بما نقول» قال ابن كثير فى تفسير الآية : « أتى يفعلون هذا ويقولون فى أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له فى الباطن ، لأن الله يعلم ما نسرره ، فلو

كان هذا نبيا حقا لأوشك الله أن يعاجلنا بالمقوية فى الدنيا» أمه .

قال الشعالي فى فقه اللغة فصل الإشباع : والتأكيد ٨٧ فى تفسير قول الله تعالى : «ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول» فاعلم أن ذلك القول باللسان دون كلام النفس أمه

فلا يصح أن يكون القول أو حديث النفس كلاما إلا إذا تكلم به على اللسان ، لقول النبي ﷺ : «إن الله يتجاوز عن أمئى ما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل أو تتكلم» (رواه البخارى . كتاب الطلاق : ٤٩٦٨) ولو كان كلام الله هو المعنى النفسى الأزلئ الذى لا يتبعض ولا يتجزأ كما يقول الأشاعرة ومن نحا نوحهم لكان موسى عالما بجميع معلومات الله تعالى حين كلمه فى الطور...

تخييط القول بين الوجودية والحلولية ..

أيضا ومن جمل الخلل الذى وقع فيه سيد قطب قوله بمفاهيم الوجودية والحلولية .. ففى الحلولية : قال سيد قطب عند تفسير قول الله تعالى : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» (الحديد: ٣) « حقيقة كل شيء مستمدة من الحقيقة الإلهية وصادرة عنها » ثم قال : « وإن استقرار هذه الحقيقة فى قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة ، فاما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار ؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش فى تدبرها وتصور مدلولها ، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد» فى ظلال القرآن: ٣٤٧٩ .

والكلمة المنتدبة فى هذا المقطع هى قوله : « حقيقة كل شيء مستمدة من الحقيقة الإلهية » وقوله : « واستمرار هذه الحقيقة فى القلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة » ... وهذا هو معتقد الحلول الذى دعا إليه الحسين بن منصور الخلاج ، الذى قال « إن من تدرج فى الرياضات واشتغل بالمجاهدات فنتبت بشرته وحلت فيه روح الله ... أما كلامه فى الوجودية ... فأقول ابتداء .. إن من الوجوديين من يفرق فى صفة الوجود ، فيجعله واجبا وممكنا ، حاكما ومحكوما ، كابن عربى وأتباعه من ملاحة الصوفية ، ومنهم من يجعله لا واجبا ولا ممكنا ، لا خالقا ولا مخلوقا ، ولا

حاكما ولا محكوما ، فهو وجود واحد بلا تفریق ، كالصدر القانوني.

والفريقان متفقان على أن وجود الله هو عين وجود الكائنات . وهذا هو عين التعطيل ..

وقد اتفق الوجوديون على أن العبادة يجب أن تتوجه لكل صور الموجودات ، ولا يخص منها شيء دون شيء وإلا فهي باطلة ..

قال ابن عربي :

[عقد البرية في الإله عقائد وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه] .

ولا شك أن قول ابن عربي بالجمع يتناقض مع قول سيد قطب ببتفرد الله تعالى بالحكمة المطلقة .. لكن مع ذلك فقد صدر عن سيد قطب كتابات تثبت أنه توغل في القراءات الوجودية ، وإن كان قال مايفألها في موضع آخر .. وهذا هو الذي شكك الناس في أمره . حتى إن بعضهم أراد التعامل مع تلك النصوص بنفس الطريقة التي يرد بها التشابه إلى المحكم في القرآن الكريم .. وهذا بعيد جدا ، لأن تلك القاعدة متعلقة بالتعامل مع النصوص القرآنية ، وليست متعلقة بالتعامل مع النصوص البشرية ، وذلك لأن الإنسان محاسب على عمله خيرا كان أم شرا ، وقد يتقلب الإنسان في المعتقدات المختلفة أثناء حياته ، وهذا شأن كثير من أهل البدع .. فلا بد من التحذير من ظاهر الأمر ، أما الحكم على الشخص فأمره إلى الله تعالى ..

أما النصوص الدالة على ثبوت فكر وحدة الوجود في كتب سيد قطب فمنها ما قاله في كتابه (في ظلال القرآن. دار الشروق الثالثة عشر ١٩٨٧م) في تفسير (سورة الإخلاص) ص/ ٢٠٠٤ : «إنها أحدية الوجود .. فليس هناك حقيقة إلا حقيقته . وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده . وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية . وهي - من ثم - أحدية الفاعلية . فليس سواء فاعلا لشيء ، أو فاعلا في شيء ، في هذا الوجود أصلا . وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضا...» . أهـ

وفي هذا القول نفى سيد قطب كل الحقائق غير الله ، ونفى كل الأفعال

وجعلها جميعا فعل الله ..

وقد كان ابن عربي يفرق بين الوجود الأزلي والوجود الممكن ، ثم ل الكل هو الله ، وما الوجود الممكن إلا صورة للوجود الواجب ..

أما الصدر القانوني تلميذ ابن عربي فكان لا يفرق بينهما ، وكان يقول الكل هو الله - كما تقدم - (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ..

أما سيد قطب فقد بدأ كلامه بوحدة الوجود ، ثم أنكر حقيقة كل وجود غير وجود الله تعالى ، ثم جعل وجودين بقوله (وكل موجود آخر) ، ثم جعل الموجود الآخر يستمد وجوده من تلك الحقيقة الذاتية . ثم قال بأحدية الفاعلية ، وقال : «فليس سواء فاعلا لشيء ، أو فاعلا في شيء» ..

فقلوه في الوجود هو نفس ما قاله ابن عربي في وحدة الوجود ..

فابن عربي الذي كان يقول بوجود واحد ، كان في نفس الوقت يقسم الوجود الواحد إلى وجودين : وجودا واجبا أزليا ، ووجودا ممكنا ، يقول إنه مجلى ومظهر للوجود الأول .. هذا الوجود الظاهر عنده يجوز فيه التعدد والتنوع ، فيه الحسن وفيه القبح وفيه القوي وفيه الضعيف وفيه العابد وفيه المعبود .. الخ والكل عنده هو الله .. وقد كان ابن تيمية يرد قولهم هذا بقوله كما في (مجموع الفتاوى ٢ / ٣١٩) : «وهم يقولون : إن الكون مظاهر الحق فإن قالوا المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة ، وإن قالوا : المظاهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء في شيء ، ولا تجلى شيء في شيء ، ولا ظهر شيء لشيء ولا تجلى شيء لشيء» أهـ ومن أشعار ابن القيم في بيان هذا التناقض عندهم ما قاله في التونية :

يا أمة معبودها موطؤها أين الإله ونفثرة الطمان .. (١ / ١٣٧)

والنفثرة : هي نفرة النحر التي بين عظام الترقوة ... والمعنى كيف تجعلون الأول الأزلي والقتل المطعون شيئا واحدا ؟

كذلك فإن ما قاله سيد قطب في الفعل هو نفس ما قاله الجهم بن صفوان في

الجبر والتأثير.. فسيد قطب كان ينكر التأثير في الأفعال . والجهنم كذلك . فالفاعل عند كليهما واحد ..

وبناء على هذا النص السابق نسب جمع من أهل العلم المعاصرين المشهود لهم بالدين والدراية سيد قطب إلى مقولة الوجوديين ، منهم الشيخ العلامة محمد صالح العثيمين كما في مجلة (الدعوة السعودية عدد ١٥٩١ في ٩ / ١ / ١٤١٨ .

ومنهم العلامة المحدث ناصر الدين الألباني كما في شريط بعنوان " مفاهيم يجب أن تصحح" وانظر أيضا . مجلة المجتمع الكويتية . عدد . ٥٢٠ . جمادى الأولى ١٤٠١ هـ ، حيث قال : « إن قول سيد قطب في تفسير سورة الإخلاص وأول سورة الحديد هو عين قول القائلين بوحدة الوجود ...» ..

وقال (ص / ٢٣) : « ظاهر كلامه تماما أنه لا وجود إلا وجود الحق ، وهذا هو عين القائلين بوحدة الوجود ، كل ما تراه بعينك فهو الله ، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر مخلوقات ليست شيئا غير الله ، وعلى هذا تأتي بعض الروايات التي تفصل هذه الضلالات الكبرى بما يرى بعض الصوفيين...» أهـ

وأظن والله أعلم أن سيد قطب كان متخطبا .. قرأ جملا وعرف ألفاظا فطعن بعضها في بعض .. ولم يكن يدرك ما تؤول إليه من الحلل .. ولم ينتج ذلك بالضرورة عن علم وفقه ، وإنما نتج من غلبة الأساليب البلاغية والانثائية غير المنضبطة علي الفقه والعلم .. وقد زاد هذا الحلل بسبب مرجعيته البدعية ، التي استقامها من مذاهب فلاسفة الجهمية . ويظهر هذا التناقض عندما جمع بين معتقدين متضادين ..

المعتقد الأول : هو القول بالحلول وهو أكثر صراحة في النسبة إليه ..

المعتقد الثاني : هو معتقد وحدة الوجود .. وهو يوهم الانتساب إليه ..

فالقول بوحدة الوجود ينفي الثنائية بين وجودين ، وليست وجودا واحدا ، والقول بالحلول يثبت وجودين أحدهما يحل في الآخر .. والمعتقدين متناقضان ، ومع ذلك ذكرهما سيد قطب وتكلم بهما...

* فمن قال من العلماء إن ظاهر قوله يدل على أنه قال بوحدة الوجود فهو صادق في قوله ، لأن كلامه يدل على ذلك دلالة صريحة لا يستطيع أحد مهما كان علمه أن ينفيها عنه ، والفاظه هي ألفاظ ابن عربي ..

* ومن حسن به الظن .. فقال : لا نظن أنه يقصد بكلامه وحدة الوجود كما هو عند ملاحدة الصوفية ، خاصة أنه نفى صراحة القول بوحدة الوجود في تفسير سورة البقرة ، بقوله : « النظرية الإسلامية : أن الخلق غير الخالق . وأن الخالق ليس كمثله شيء .. ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة : "وحدة الوجود" على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح - أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة - أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق ، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده..

أو على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس .. والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر: وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة ، ووحدة ناموسه الذي يسير به ، ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربه في عبادة وخشوع » (في ظلال القرآن ١ / ١٠٦)

أو قال إن ما ذكره سيد قطب من ألفاظ في هذا الأمر يمكن أن يقال فيها إن التعبير خاته ، فلم يستطيع أن يعبر عن مقصوده بألفاظ تتناسب مع حقيقة معتقده .. كما هي العادة في التعامل مع أخطائه فقد يقلل من ذلك .

إلا أن هؤلاء لا يمكن أن يدفعوا عنه شبهة القول بالحلول ، فكلامه مستقيم تماما مع معتقد الحلول ، الذي قال به الحسين بن منصور الحلاج .

وذلك لأنه جعل القلب بعد الوصول قطعة من الحقيقة الإلهية ، فقال :

« وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة ، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار ، فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها ، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد. » أهـ

فقوله " قبل وصول القلب " دليل على إثبات الثنائية التي تفرق بين وجودين منفصلين .. وهذا يدل على أنه لا يعتقد وحدة الوجود ..

وقوله " بعد وصول القلب " دليل على قوله بحلول أحدهما في الآخر .. والله تعالى لا يحل في شيء حتى يكون جزءاً منه ، وإنما الذي يحل في القلوب واردات الإيمان والإسلام .. ونحن بذلك لا نحكم على ما انتهى إليه سيد قطب فيما بينه وبين الله تعالى فאלله أعلم بحاله .. غير أنه ينبغي التنبيه والتحذير من هذا الفكر ، لما يجره من الخيبة والخسران في الدنيا والآخرة .

تحقير الجزاء والعقاب ..

أيضاً من جملة ما تخطط فيه سيد قطب تحقيره أمر الجزاء والعقاب والجنة والنار، فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ [محمد . ١٥]: « ولا ينظرون وراء ذلك إلى جنة أو نار ... جاعلاً جزاءهم عند الله على ذلك أن يقول لهم : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ ونقل كلام رابعة العدوية الذي فيه : « ما عبده خوفاً من ناره ، ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء . عبده شوقاً إليه .. »

وهذا بالضرورة يعد تنفيها لمقام الأنبياء والرسل ، الذين عبدوا الله سبحانه خوفاً من ناره وطمعا في جنته ... وقد زكاهم الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء . ٩٠] ابتداء من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي دعا ربه تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء : ٨٥] إلى محمد ﷺ الذي قال لمن قال له : لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ : « كيف تقول في الصلاة ؟ » قال أنشهد وأقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار . فقال النبي ﷺ : « حولها ندندن » (صحيح أبي داود ١ / ١٥٠) ..

والحقيقة أن الجنة تتضمن كافة أنواع النعم ، بما في ذلك رؤية وجه الله تعالى .. فإن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة ... عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » (

متفق عليه . رواه البخاري . باب قوله تعالى : ومن دونهما جنتان . ١٦ / ٢٠٦) فمن سأل الله تعالى الشوق إليه وجد ذلك في الجنة حين يكشف الله تعالى حجاب الكبرياء عن وجهه في جنة عدن ، فكيف لا تكون الجنة مطلوبة لعابد ، وكيف يكون طالبا أجير سوء ؟ ..

تلك هي الحقائق التي غابت عن الأستاذ سيد قطب في بعض تفسيره حين استقل به عن أقوال الأئمة وخالف أهل الحديث ... فكتب ما لا يحسنه ، ووقع فيما يجب عليه أن يحذره ويحذر منه ..

الشاهد :

أن سيد قطب لم يفهم الدين بفهم أهل الحديث ولم يرى أحداً من الإخوان على ما كان عليه النبي وأصحابه ..

ولكنه نقل مذاهب الفلاسفة والجهمية وصاغها بعبارات إسلامية وألفاظ أدبية . غن كغيره أنها أدلة عقلية تحررية .. ولم يستطع أحد منهم أن يدرك الحق خالصا كي يكون قدوة فيه لغيره .. وذلك أنهم حصروا عقولهم في تلك المفاهيم دون غيرها فصاروا أسرى في قالب واحد ونسخة في صورة واحدة .. تلك هي النهاية التي وصل إليها كوادر الإخوان ومفكرهم .. ومع ذلك تجدهم يتناولون على غيرهم بزعم أنهم الأكثر شمولاً والاعمق فهم والأعظم جهادا .. والحقيقة بخلاف ذلك ..

ولا شك أن الصنع بهذه الكيفية من العطاء الخاص الذي لا يثبت إلا بنص .. ولم يكن حسن البناء معبرا عما كان عليه النبي ﷺ، حتى ينال تلك المكانة .. فقد كان يدعو إلى التفويض والتقريب والتهوين من ضلالات الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة .. ولم يتحقق له ولا لجماعته من النصر والتأييد كما تحقق لموسى عليه السلام، ولا كما تحقق لنبينا محمد ﷺ. حيث صنعهما الله تعالى على عينه.

وقال الأستاذ التلمساني : « وكف القلب المعلق بالعرش عن النبض في هذه الحياة لينبض في مقعد صدق عند مليك مقتدر » (حسن البناء بأفلام تلامذته ص / ٤٤) ..

والشهادة لمعين بالجنة بغير دليل رجم بالغيب ..

و قال أحمد أنس حجاج : « إذا ذكرت حسن البناء فاذكروا رجلا عاش معجزا في كل شيء ، حتى أتعب خصومه وصرعهم جميعا ، وبقي حيا مع الزمن ، خالدا مع التاريخ معجزا فوق قمة المعجزات ! » (المصدر السابق ص/ ١١٨)

وهذا مخالف لحقيقة الواقع ونهاية حسن البناء واعترافه بعجزه أمام أصحابه يفسد تلك المقالات ..

وعلى نفس الدرب صار إخوان سوريا في الغلو في حسن البناء ، فقد رفع عمر بهاء الدين الأميري حسن البناء إلى مرتبة جبار السموات والأرض ، الذي لا تخفى عليه خافية ، فقال كما في كتاب جابر رزق السابق ص/ ٩١ :

منكر الذات حكيم السير في وجهته طب أرواح فلا تخفى عليه خافية .. أهـ

ورفعه مصطفى السباعي إلى ما لا يتصور ببال فقال : « فما هو إلا النور المرسل من السماء ؛ ليكشف عن أهل الخلود ظلماتهم ، ثم يظل في السماء دائما وأبدا ، ولن يختلط بتراب الأرض ، إلا كما تقع أشعة الشمس على أعلى القصور وأدناها » (المصدر السابق ص/ ١٠٤) .

المرشد العام لا يخطئ ..

ارتقى الإخوان مرتقى صعبا في النظر إلى مرشديهم ، يجعل النقاش والحوار معهم حول فكر الجماعة أمرا عسيرا ، وليس هذا ببعيد .. فقد كان كثير من شباب الإخوان يعتقدون أن الإيمان بالمرشد العام جزء من الدين ، وأنه لا يخطئ . وقد بين الغزالي حقيقة ذلك ، قائلا : « قال لي ذات يوم واحد من أقرب رجال المرشد إليه : إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة ، ألا ترى أن الله تعالى ضم الإيمان بالرسول (إلى الإيمان بذاته - جل شأنه - ذلك لأن المظهر العملي للطاعة والأسوة هو اتباع القائد اتباعا مطلقا ! ثم استدرك محدثي يقول : لا أعنى بهذا أن أسوى بين المرشد وبين الرسول في حقيقة الطاعة ، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذي يحمل راية الدعوة أنا أضرب مثلا فحسب ! .. وقال أيضا « ولقد رأيت جمعا غفيرا من شباب الإخوان المسلمين ينظرون إلى مرشدكم نظرة يجب أن تدرس وأن تحذر . قال أحدهم في اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية : " إن المرشد لا يخطئ " » في كفاحنا الإسلامي ص / ٢٠٦ - ٢١٣ .

لا منهج إلا منهج الإخوان !

وكما غالى الإخوان في شيخهم غالوا في منهجهم ودعوتهم . وقد تلقف الإخوان ذلك من حسن البناء . الذي قال في رسائله : « على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ولا إنتاج إلا في خطفكم ولا صواب إلا فيما تعملون » (الرسائل ص / ١٨٠)

فإذا كان يقصد الإسلام ، فليس الإسلام بالتجارب ، فالإسلام صدق ويقين ، وعلم ودليل .. وإذا كان يصف دعوة الإخوان ، فالتجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت فشلها الدريع وخذلانها العريض ..

وفي النصين الآتين بين حسن البناء أن الكمال المقصود في الدعوة الإسلامية

هو الكمال الذى تضمن دعوة الإخوان وفهم قائدها ، وأن كل نقص فى عقيدة الإخوان هو فى الحقيقة نقص من الإسلام ، حيث رأى " اعتبار عقيدة الإخوان رمزا لهذا المنهاج " .. ثم قال : « وعلى كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام ، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة » (مذكراته . ص / ٢٥٤ . ط ١٩٩٠م . الزهراء للإعلام العربي) .

وفى موضع آخر أوجب على الشباب أن يفهموا الإسلام ، كما فهمه هو . فقال فى تفسير ركن " الفهم " الذى هو أحد أركان بيعته : « إنما أريد بالفهم : أن توفن بأن فكرتنا إسلامية صحيحة وأن تفهم الإسلام كما نفهمه فى حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاب » (الرسائل . ص / ٣٩٠) ووصف هذا الفهم بالكمال ، فقال : « واذكروا جيدا أيها الإخوان .. أن الله قد من عليكم ، فهتمم الإسلام فهما نقيبا صافيا شاملا كافيا وافيا ، يسائر العصور ويفي بحاجات الأمم » (الرسائل ص / ٣٢٦) .

وفى مقدمة الرسائل طعن حسن البنا فى إيمان عامة الناس ، فقال : « والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا فى الإيمان بهذا البعد أنه عندهم إيمان مخدر نائم فى نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه ، ولا أن يعملون بمقتضاه ، علي حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ فى نفوس الإخوان المسلمين » أهـ

وقد دعا غلو حسن فى جماعته أن يميزهم بشارات عنصرية يعرفون بها عن بقية المسلمين ، فقال فى كتابه (مذكرات الدعوة . ص / ٢٧٤) :

« وقد اقترح الإخوان عمل شارة تميزهم عن بقية الهيئات ، ووافق المكتب على هذا الاقتراح ، وعلى أن تكون الشارة عبارة عن خاتم من الفضة ذى عشرة أضلاع ترمز إلى الآية الكريمة ﴿ قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم ﴾ أهـ ..

وقد صار عامة الإخوان على نفس الدرب ..

وانظر قول المرشد الثانى حسن الهضيبي فى منهج الجماعة : « دعوة الإخوان .. هى لا غيرها الملاءم والإلتزام والخلاص ، وعلى الإخوان أن لا يشركوا بها شيئا » (فى قافلة الإخوان . ص / ٢٩٨) .

وزعم محمود الصباغ أن الله تعالى شهد بصدق الجماعة وصدق أتباعها ، وقال : « ولقد شهد الحق تبارك وتعالى بصدق الإخوان فيما أسروا وما أعلنوا فنصرهم على مدى جيل واحد فى أربع معارك قاصمة » (حقيقة التنظيم الخاص . ص / ١٨) .

وقال محمد عاكف : « وليس هناك أحق من أن يقول الحق كما أنزل على قلب محمد(إلا الإخوان المسلمون » (إخوان أون لاين ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٦م) .

وبعد أن قال سعيد حوى : « والبيت المسلم الكامل هو البيت الملتزم بمبادئ الإخوان المسلمين » (فى آفاق التعاليم ص / ٣٣) جعل نقطة الإنطلاق فى الإسلام قائمة على ما وضعه حسن البنا من نظريات وتجارب فى العمل الإسلامى . فقال : «إننا نملك بفضل الله البداية الصحيحة وهى نقطة الانطلاق من اجتهاد إنسان لا يشك عارفوه أنه من أولياء الله عز وجل وهو الأستاذ حسن البنا رحمه الله وعلينا أن ننطلق بدفعة التجديد فى هذه الأمة مهما كلفنا ذلك » (تربيتنا الروحية ص / ١٤٥) وقال : « ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته » أهـ

وأخيرا : فقد أقسم الإخوان فى عهد البيعة أن من تمسك بدعوتهم فقد تمسك بالإسلام ، ومن جامد فى سبيلها فقد جامد فى سبيل الإسلام . وفى عهد البيعة يقول المباحث : «أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين ، والجهاد فى سبيلها ، والقيام بشرائط عضويتها ، والثقة التامة بقيادتها ، والسمع والطاعة فى النشاط والمكره ، وأقسم بالله العظيم على ذلك ، وأبائع عليه ، والله على

ما أقول وكيـل « (أحداث صنعت التاريخ ٢٤٨٣/٣)

ولا يخفى على اللبيب أن حسن البناء أخذ في تفسير الأسماء والصفات فكر المفوضة ، وهو أضل أنواع الفكر على الإطلاق ..

أما في السياسة والمنهج فهو امتداد للمدرسة الأفغاني ، كما شهد هو بنفسه على ذلك .. وكل ما وضعه من نظريات فهو مستمد من تلك المدرسة .. ومن المعلوم أن نظريات الأفغاني كانت نظريات خارجية ، قائمة على إحداث القتن والقلقل والنزاعات .. ولا علاقة لها بما كان عليه الرسول وأصحابه .. ولا يجب أن تنسب تلك النظريات إلى العمل الإسلامي ، وإنما تنسب إلى أصحابها الذين أصلوا لها وزخرفوها للعامة ، فهي خلاصة تجاريهم .. والإسلام ليس نظريات ولا أفكار ولا تجارب . الإسلام وحى يقيني ثابت .

التمام والكمال ..

لم يعلم في تاريخ الإسلام أن قال عالم من العلماء المشهود له بالدين والدراية عن نفسه وعن منهجه مثل ما قال حسن البناء في فهمه وفي جماعته ، فيكون من حاز علمه حاز الفهم الصحيح ، ومن تركه ترك الإسلام المنزل .. فهذا الإمام الشافعي (رحمه الله) يقول : « رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب » . وروي أن الإمام مالكا (رحمه الله) لما أراده الرشيد على الذهاب معه إلى العراق وأن يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على مصحف واحد . فقال مالك : « أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل إليه ؛ لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم اختلفوا بعد موته في الأمصار فحدثوا . نحننا أهل كل مفسر علم » (انظر نيش القدير ٢١١ / ١) .

وكان الإمام الشافعي يقول إن موطأ مالك من أصح الكتب بعد القرآن .. ومع ذلك لم يفرضه الإمام مالك على الناس . فكيف مع قصور دعوة الإخوان

وتشبعها بمذاهب الفرق الضالة تفرض على المسلمين ؟ . إن الدعوة التي تنسب إلى شخص حري بها أن توجه بقول الإمام مالك : « كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر .. وأشار إلى قبر النبي ﷺ » . ولو كان الإخوان يرون حسن البناء أحسن الناس فهما وأرجح الناس عقلا ، فلسنا ملزمين بقوله ولا بفهمه ولا بمنهجه ، ولا ملزم لنا إلا الكتاب والسنة وفهم أهل الحديث .. قال شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى ٣ / ٣٤٥) : « فأهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، فهذا الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر ، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة ، بل كل الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله . فمن جعل شخصا من الأشخاص غير رسول الله من أجه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة الكلام في الدين وغير ذلك كان من أهل البدع والضلال والفرق . » أهـ

ثانيا : مظاهر الكذب فى دعوة الإخوان ...

الكذب المقصود ...

هذه عدة مواقف تبين كيف كان الإخوان يتكلمون عن خصومهم بما لا حقيقة له . وكيف كانوا يكذبون من أجل الاستحواذ على عقول الناس !... وسأبين لك حقيقة تلك التهمة بالأدلة الثابتة من كتب الإخوان ، ومن شهادة بعضهم على بعض ، لتعلم موقف الإخوان من مبدأ " ميكافيلي " الغاية تبرر الوسيلة ... وقبل أن أسرد تلك الحقائق أحب أن أوضح أن الكذب لم يخرج من جماعة الإخوان خروجاً عفويّاً طارئاً ، بل كان كذباً مقصوداً متعمداً . فقد كان في جماعة الإخوان جهاز خاص ، لترويج الأكاذيب ، ونشر الإشاعات .. ولا يزال هذا الجهاز موجوداً فيهم إلى الآن . وكون بعض الناس يعرف ذلك والبعض الآخر لا يعرفه لا يثنى وجود تلك الأسر المتخصصة في نشر الإشاعات الكاذبة ، فذلك شأن التنظيمات السرية ، حيث إنها تشبه السلاسل العنقودية ، لا يعرف بعضها شيئاً عن الآخر . وقد أكد أحمد رائف حقيقة تفتن الإخوان في نشر الإشاعات ، بقوله : « وكان لا بد من عمل إعلامي مضاد لإعلام الحكومة ، وبدأت الشائعات تخرج من الصفوف الإخوانية ، بعضها عن غير قصد ، والآخر وفق خطة مرسومة ، ولم يعترض الإخوان على شائعة أن حسن الهضيبي هو مرشح الملك حتى إن جهات الأمن تصورت هذا في فترة من الفترات » (صفحات من تاريخ الإخوان/ص/ ٢٤٥).

كما أكد محمود عبد الحليم أن الإخوان كانوا يوزعون المنشورات المثيرة ، التي من شأنها بلبله المجتمع .. فقال : « كما أننا كنا نطبع منشورات بكلام غير ذى هدف معين ، غير أنه كلام يلفت النظر يثير الاستغراب ، وكان إخوان النظام يوزعونها على المنازل والمكاتب والمتاجر والمدارس والملاهي ، بطريقة لا يحس بها أحد مع تخصيص شارع لكل واحد منهم ..

ثم يصبح في اليوم التالي كل في عمله فإذا سمعنا من زملائنا في المصالح

الحكومية وفي غيرها من أماكن التجمع استغرابهم لما جاء في منشور وصل إليهم يقول كذا وكذا علمنا أن التدريب قد نجح » (أحداث صنعت التاريخ / ١ / ٢٩٠).

هذا جزء من تلابيس الإخوان ، وهذا هو تاريخهم المليء بالخرافات . وتلك هي الحقائق التي تبين أن الإخوان لا يصلحون لنقل خبر ، ولا يعتمد عليهم في التأصيل له ، لأنهم مضطربون في النقل ، متضاربون في النظر ..

وهذه هي الأدلة الثابتة الدالة على انتشار الكذب فى حركة الإخوان ، من كتبهم ، كما دونوها بأنفسهم :

١- الهيئة التأسيسية تتفق على الكذب ..

نشر جمع من الخارجين على الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان على رأسهم محمد الغزالي وأحمد عبد العزيز جلال وصالح عشمواى بيانا في جريدة " المصرى " ، جاء فيه أن المرشد العام حسن الهضيبي استقال من منصبه ؛ فترتب على ذلك أن اجتمع أعضاء الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان ، وقرروا فصل هؤلاء الأعضاء ، بتهمة اختلاق الكذب ، وجاء في قرار الفصل: « إنهم اعتصموا في دار المركز العام ، وظهروا الشباب المتعصمين وجروهم على ذلك ، وبذلك خرجوا على القانون ، أنهم ادعوا كذبا أن المرشد العام أعلن استقالته على الملأ ، أنهم أصدروا قرارات لا يخولهم إياها قانون الإخوان الخ » (أحداث صنعت التاريخ / ٣ / ٢٤٨).

وقال محمود عبد الحليم : « وبحقيق النقطة الأولى ثبت أن الأستاذ المرشد العام لم يستقل فالمكتب وهو الجهة المختصة نفي ذلك والمدعى عليهم لم يقدموا دليلا ماديا ولا معنويا على ادعائهم » (أحداث صنعت التاريخ / ٣ / ٢٧١) .

إلا أنه بعد عام من هذا التاريخ تراجع الأساتذة الكبار أعضاء الهيئة التأسيسية ، الذين أقسموا بأغلظ الأيمان أن المرشد لم يستقل ، واعترفوا أنه استقال فعلا .

يحكى ذلك صالح عشمواى فى مجلة (الدعوة الإخوانية عدد ١٥١ الصادرة فى ٢٩ ربيع الآخر ١٣٧١هـ الموافق ٥ يناير ١٩٥٤م ص/ ١٤ . دورية رقم ٢٧٠٨ . ٢٧٠٩ دار الكتاب والوثائق المصرية) :...« ويشاء الله ، بعد مرور عام أو أكثر أن

تظهر الحقيقة ، فقد أصدر المركز العام للإخوان المسلمين نشرة من وضع الأستاذ عابدين السكرتير العام وبموافقة الأستاذ الهضيبي المرشد العام يشرح فيها الأحداث الأخيرة من وجهة نظره تبريرا لموقفه من قرار الفصل المزعوم للإخوان الثلاثة . وقد جاء في هذه النشرة اعتراف صريح باستقالة الأستاذ حسن الهضيبي في الصيف الماضي .. وجاء ذكر هذه الاستقالة في معرض اتهام للأستاذ صالح عشناوى بأنه أذاع سرها ونقلها إلى جريدة المصري .. وهذا هو أول اعتراف رسمي من المسؤولين في الإخوان ، وعلى رأسهم المرشد العام باستقالة الأستاذ الهضيبي ! ولا ندري كيف يواجه الأستاذ عابدين وعطية ومختار عبد المليم الإخوان والصحيحين الذين سمعوا منهم بأغلب الأيمان في الصيف الماضي بأن المرشد لم يستقل ... أهـ .

وقد أكد الأستاذ الدكتور خالد عودة نجل المستشار عبد القادر عودة ، بعد ما يقرب من خمسين عاما من تلك الحادثة أن استقالة المرشد ثابتة ، وأنه لايزال يحتفظ بها إلى الآن بتوقيعه ، فقال : « المسؤول عن الإخوان المسلمين كاملا في هذا الوقت هو كان عبد القادر عودة ، لأن الناس يمكن لا تعرف حاجة غريبة أنه فضيلة المرشد الأستاذ محمد حسن الهضيبي قدم استقالته بالفعل يوم ٢١ أكتوبر وموقعة وموجودة هي عندي الأصل الموجود ، واحتفظت به طوال هذه السنين » (الجزيرة نت ١ / ١ / ٧٠-٢٠م) .

٢- مكر وسذاجة ...

أراد الشيخ محمود أحد معتقلي سجن الطور عام ١٩٤٩م أن يتقدم لخطبة ابنة شيخ مسجد السجن ، فاعترض الإخوان على تلك الخطبة ، بحجة أن المعتقل لا يحق له أن يعدد الزوجات ، ولا يحق له أن يتزوج ، وهو في السجن واتفقوا على إفساد الخطبة .. فانظر كيف استحل حواريو حسن البنا ذلك . يحكى ذلك محمود عساف في كتابه (مع الإمام الشهيد ص/ ١٠٠) قائلا :

« جلسنا تداول الأمر : أنا ، محمد البنا ، شقيق الإمام ، وعبد الباسط البنا الشقيق الثاني للإمام.... وكان معنا الأستاذ أنور الجندى .. قال عبد الباسط البنا : » عندى فكرة لإفساد هذا الزواج ... فلنجلس إلى الطاولة المجاورة لتلك التى اعتاد شيخ المسجد أن يجلس إليها . وسأحكى لكم حكاية فاطمehرو الاندهاش فقط ... ما لبث شيخ المسجد أن حضر ، وجلس إلى طاولته ، وطلب فتجانا من القهوة ... وإذا بعدد الباسط يقول بصوت مسموع للجالسين إلى جوارنا : « حاولنا أن نمنعه ، ولكن جهودنا ذهبت هباء ، فقد كان ممسكا بأذن إبراهيم بأستانه لا يريد فكাকা ، وفي نهاية الأمر ضربته على رأسه فتركها وهى تنزف دم ... » قال الشيخ (إمام المسجد) ما هذا ؟ أى حادثة فى المعتقل ؟

اجاب عبد الباسط : إنه شخص عندنا مريض يأكل الغضاريف الآدمية كالأذن والأنف ... قال الشيخ : " أعوذ باللهه ..."

قال عبد الباسط : لملك تعرفه فهو مطلق لحيته وحائق شاربه ويضع عباءة سوداء. قال الشيخ : أهو محمود ؟ قال عبد الباسط : نعم . فقال الشيخ : ولكنه يزورنى ويتحدث إلى ولم الأحظ عليه شيئا ..

قال عبد الباسط : ألم تلاحظ أنه يميل نحوك كأنه يهمس إليك ؟

قال : " نعم " قال : فاحترس لأنه فى تلك اللحظات التى يتظاهر فيها بالهمس فى أذنك براوده فيها شيطانه أن يقضمها . وهكذا فشلت الزبجة بغير

عشاء) أهـ

وقد وقعت تلك الحادثة في يناير ١٩٤٩م ، كما ذكر محمود عساف والرجل المتقدم إلى خطبة ابنة إمام مسجد السجن كان شيخا من شيوخ أنصار السنة .. وتلك هي طريق الإخوان مع خصومهم .. التلويح والكذب على مذهب ميكافيلي " الغاية تبرر الوسيلة " .. والمنفذ أعلى سلطة في المركز العام ..

٣- تلايس د/ يوسف القرضاوى ...

أ. الخصومة بين الإخوان ..

زعم القرضاوى أن الخصومة التى نشأت بين الهضيبي وبين الشيخ محمد الغزالي وإخوانه كانت بسبب عبد الناصر، وقال فى كتابه (الغزالي كما عرفته ص/ ٣٩) : « وظلت هذه العلاقة حسنة حتى ظهرت على المسرح السياسي ثورة ٢٣ يوليو ، وعجزت عن احتواء الإخوان الذين وقفوا إلى جوارها ، وشدوا أزرها ، وحماوا ظهرها ، فلجأت إلى أسلوب أخبت وأمكر ، وهو : محاولة الإيقاع بين قادة الجماعة ، حتى يسوء ظن بعضهم ببعض ، واستطاع جمال عبد الناصر أن يستغل بعض المواقف للاصطياد في الماء العكر . وهكذا استطاع أن يوقع بين قيادة التنظيم وقيادة الجماعة ، حتى أدى ذلك إلى احتلال مجموعة من الشباب المتحمس المركز العام ، والتمرد على القيادات الميابة ، كما استطاع أن يوغر صدور جماعة من القدامى حتى وقفوا مع هذا الشباب الثائر ضد قيادته » أهـ

قلت : وهذا كله افتراء مجاف للحقيقة .. ويتضح ذلك من عدة أوجه :

١- أن الأستاذ الهضيبي حين عرض عليه رئاسة مكتب الإرشاد قبل الثورة شكى تصرفات هوائية كان يترقبها عن بعض القادة فى ذلك الوقت ، وذلك قبل أن يتقلد عبد الناصر سلطانا على مصر ، وقال :

« إنه لا يستطيع أن يتسلم قيادة دعوة أقرب معاونيه متفرقو القلوب والأهواء . قال محمود عبد الحليم : " وضرب لذلك أمثلة لا داعى لذكرها الآن " (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٤٧٠) .

٢- أن اختيار الهضيبي مرشدا عاما للإخوان فى زمن الملك تم بعد موت حسن البنا بثلاث سنين .. وعندما عرض اسم الهضيبي لرئاسة مكتب الإرشاد سبب ذلك شرخا كبيرا بين أعضاء الهيئة التأسيسية ، قال صالح ع شماوى : « إنما الحقيقة أن هذا القرار - قرار الفصل - كان عرضا لمرض أصاب الدعوة منذ مجيء الأستاذ حسن الهضيبي مرشدا عاما للجماعة » (مجلة الدعوة . عدد ١٥١ . ٥ يناير ١٩٥٤م) .

٣- أثبت الشيخ الغزالي أن الخصومة التى وقعت بين مشاهير الإخوان وبين المرشد العام كانت قبل الثورة ، وكان الخلاف على طريقة الحكم المقترح فى مصر ، فقال : « إن أول ما نشب الخلاف بيننا وبين الأستاذ الهضيبي كان على أسلوب الحكم فى مصر ، هل تكفل الحريات العامة ، ويصان الدستور القائم ، وتنقذ البلاد من استبداد فرد أو أفراد ؟ أم نتجاهل هذا الموضوع كله ، ونطوى حكم الإسلام فيه ، ونشغل جماعة الإخوان بشئون أخرى ؟ كان الرجل شديد الحرص على مرضاة رجال القصر ، قليل الاكتراث بحقوق الأفراد والطوائف ، وقد ألقت كتابي " الإسلام والاستبداد السياسي " استنكارا لهذه السياسة القاصرة ، ودفاعا عن تعاليم الإسلام الصحيحة .. ولعل الأستاذ الهضيبي ومن معه عرفوا الآن الحق الذى خاصمناهم عليه ، وكروهونا من أجله » (من معالم الحق . ص / ٢٠٦ - ٢١٠) .

٤- تسبب قيام الهضيبي بتوسيع اتصالاته مع السعديين شرخا كبيرا فى نفوس كثير من الإخوان ، نقل ذلك صالح ع شماوى فى (مجلة النذير. عدد. ١٥١ . ٥ يناير ١٩٥٤م دار الكتب والوثائق المصرية) قائلا : « وفى اجتماع الهيئة التأسيسية أثيرت المسألة وثار الإخوان لهذه الزيارة ، وطلبوا من الأستاذ المرشد ألا يزور أحدا من السعديين مرة أخرى ولكنه ناز عليهم وقال : سأزور السعديين وسأتصل بإبراهيم عبد الهادى أيضا متحديا بذلك شعور الإخوان وعواطفهم » أهـ

٥- كان الملك فاروق متهما مع السعديين بقتل حسن البنا ، ومع ذلك سارع الأستاذ الهضيبي إلى سجل التشريفات الملكية ، ليهادن الملك - على حد قول الغزالي

— مما أوقع الشقاق داخل الجماعة ، قال الغزالي : « وفوجئنا بالدخلاء على الجماعة يغيرون سيرها ومناهجها . ونظرت فإذا أناس لم يعذبوا في ذات الله يوما ، يتادون طالين بالأمان !! نعم ؛ إن الرجال الذين لم يدخلوا سجننا ، ولم يشقوا في معتقل كانوا أول من رفع راية التسليم ، وقرر أن يحتنى مقبلا اليد التي قتلت حسن البنا .. كان هؤلاء الجبناء في حياة حسن البنا يقبلون يده ظهرا وبطنا ، فلما ولي هرعوا إلى القصر الملكي ، يقيدون أسماءهم في سجل التشريفات ، ويهادنون أعضاء الحزب السعدي ، وينظرون إلينا شذرا إذا سألناهم معاتين أو جادلناهم محاسين .. ثم قال : ومن حقل أن تتساءل : ما الذي عرض جماعة كبيرة كالإخوان المسلمين لهذا الاضطراب الفاجح ؟ ما الذي جعل زمامها يقع في يد هذه القيادة الواهة ؟ » (من معالم الحق . ط . الرابعة : ١٩٨٤ م. دار الصحوة . ص/ ٢٢٢) وبين كذلك (ص/ ٢٢٢ ، ٢٢٣) أن المعركة بين الإخوان وبين الهضيبي كانت قبل أن تقوم الثورة ، قائلا : « كان السيد حسن الهضيبي رجلا ملكي النزعة والوجهة .. فلما خان الملك فاروق الشعب المصري المكافح لإخراج الإنجليز ، وأسقطت الوزارات التي أعلنت عليهم الحرب ، وجاء بالسيد حافظ عفيفي باشا على أنقاض الجهاد المطعون في ظهره .. ذهب السيد الهضيبي إلى القصر الملكي مهتئا ، وصدرت الأوامر إلى الإخوان كلهم أن يلتزموا الهدوء ! وغلبنى السخط على هذا العمل الشاذ ..

ومن ثم نشرت بجريدة المصرية في ٣١ / ١٢ / ١٩٥١م كلمة تحت عنوان لن تبلغ الأمة أهدافها إلا إذا نظمت جبهتها الداخلية .. ماذا في ذلكم البيان يغضب السيد الهضيبي ؟ لقد ثار وضاق وجاءني في بيتي الأستاذ عبد العزيز كامل ، والأستاذ خميس حميدة ، وهما من أعضاء مكتب الإرشاد ليخبراني بأن هذا المسلك الفردي منهته إلى الانسلاخ عن الجماعة .. أهـ ..

هذا هو ما كتبه الغزالي في تلك الطبعة والطبعات التي قبلها ، إلا أنه حذف منها كل ما يتعلق بتلك الحقبة في الطبعات التالية ، وتكلم عن بعض المثالب على وجه العموم ، دون الإشارة إلى الإخوان أو إلى الهضيبي .. وقد أكد هذا الحذف الشيخ القرضاوي في جريدة (آفاق عربية . ٩ ديسمبر ٢٠٠٤م) قائلا : « بعد أن كتب

الغزالي ما كتب من مقالات - في فترة الغضب بعد فصله من الجماعة- رأي أن يطوي بعضها فلا ينشره في كتاب . ونشر بعضها ثم حذفه ، بعد أن هدأت نفسه ، واستجابت لنصح بعض إخوانه . وأبقى بعض الأشياء -علي ما فيها من آثار الحدة والغضب- للتاريخ « أهـ . وبما يؤسف له أن يقوم الغزالي بحذف كل ما يتعلق بالإخوان ، من هذا الكتاب ، بينما يبقى كتبه مثقلة بالانتقاص من علماء السلف وأئمة الحديث (رضى الله عنهم) ولا يكلف نفسه جهدا في حذف أى شيء منها .

٦- أن الخصومة بين الإخوان لو كانت بسبب عبد الناصر . فلماذا انضم القرضاوي لصف المشايخ الخارجين على المرشد العام ووقع في فخ عبد الناصر؟ فقد قال : « وائى كنت - أنا وأخى السماك والدمرداش وآخرون - أقرب إلى صف المشايخ لاعتبارات ذكرتها هناك » (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) .

٧- لم يكن الخارجون على الهضيبي قلة قليلة لا وزن لها في الجماعة ، كما يرميهم البعض ، بل كانوا كثرة مشهود لها بالكفاءة . فقد جمع البهى الخولى توقيعات الهيئة التأسيسية لخلع المرشد ، حين اختفى وهاب عن الساحة .. حيث رأى أنه السبب الرئيس لما آلت إليه الأمور في الجماعة ..

تلك هى الحقيقة كما رواها كتاب الإخوان أنفسهم ، مخالفتين ما قاله القرضاوي ، مكذبتين شهادته السابقة في إصااق التهم بالآخرين بغير وجه حق .. فالحلاف أعمق .. ولكن الإخوان لا يعيدون إذا تكلموا عن خصومهم ..

ب- كذبة الوظائف ..

ومن أجل التزلف إلى الأمراء والسلاطين لحصد الوظائف والمراكز ، خاصة في دول الخليج والمملكة السعودية زعم القرضاوي أن الإخوان كانوا محرومين من الوظائف في زمن عبد الناصر ، قائلا في جريدة (آفاق عربية ١٤ أكتوبر ١٤٢٥هـ) إنه : « الرجل الذى منعنا من حقنا في وظائف الدولة ونحن أولى الناس بها بمقتضى مؤهلاتنا وتقديمتنا في ترتيب الناجحين » أهـ .

غير أنه كذب نفسه في هذا الأمر في كتابه (ابن القرية والكتاب ٢ / ٢٤٨)

قائلا : « عقدت مسابقة لتعيين وعاظ بالأزهر وأئمة وخطباء بالأوقاف وقدمت فيها أنا وعدد من الإخوان .. وبعد نجاحنا كان للشيخ الباقورى - وزير الأوقاف - موقف رجولة وإنسانية لا أنساه ، وهو أنه عارض رجال الأمن ، وقال سأعينهم على مسئوليتي فى أعمال غير الخطابة والتدريس . وفعلنا كانت وظيفتنا الرسمية : الإمامة والخطابة ، ووظيفتنا الفعلية التى انتدبنا لها- نحن العشرة - العمل بقسم النظارة والأوقاف !» أهـ

٦- تلاييس زينب الغزالى ...

لا شك أن التعذيب إذا تعرضت له امرأة فإنه يختلف تماما عما إذا تعرض له رجل ، فإن الإثارة ستكون أكبر ، والمظلمة ستكون أعظم ، والمواطف ستكون أقرب .. ومن أشهر الكتب التى نقلت حوادث التعذيب فى تاريخ الإخوان كتاب زينب الغزالى " أيام من حياتي " فقد ذكرت فيه أمورا مرعبة ، لا أظن امرأة تتعرض لمثل ما تعرضت له زينب الغزالى بتلك الصورة التى ذكرتها ، خاصة أن نساء أخريات كن معها فى نفس القضية ولم يذكرن ما ذكرت .. فقد شهدت زينب الغزالى فى كتابها (أيام من حياتي . ص/ ١٠٧) أنها لقيت حميدة قطب فعرقتها ، بينما لم تعرفها حميدة إلا بعد أن دقت النظر إليها ، فقالت : « رأيت حميدة قطب أمامي !! عرفت ، وهى لم تعرفني .. وسأل شمس بدران الابنة الفاضلة حميدة قطب .. هل هذه زينب الغزالى فدقت حميدة النظر وأجابت : نعم هى . » أهـ .

وهذا يدل على أن حميدة قطب لم يظهر عليها آثار التعذيب ، كى ينتزع منها اعتراف فى تلك القضية .

وفىما ذكرت زينب الغزالى من التعذيب الذى تعرضت له فى زمن المحاكمة والعرض على النيابة والقضاء مبالغات غير مقبولة .. منها :

كيف كانت الكلاب تخمش فى وجهها ؟

قالت : « فالكلاب ناشبة أنيابها فى جسدى .. مرت ساعات وأخرجت من الحجرة . كنت أتصور أن ثيابي البيضاء مغسومة فى الدماء ، كذلك كنت أحس

وأتصور أن الكلاب قد فعلت . لكن يا لدهشتي ، الثياب كأن لم يكن بها شيء ، كأن نابا واحدا لم ينشب فى جسدي » (أيام من حياتي ص/ ٥٦)

ولكنها تحت عنوان " زنزانة الماء " (ص/ ١٠٧) تراجع عن إثبات تلك الكرامة ، وذكرت أن حميدة قطب عندما رأتها لم تعرفها ، وبررت ذلك بسبب نهش الكلاب لجسدها . فقالت : « ومرة أخرى دخلت مكتب شمس بدران ، وكانت المفاجأة !! إذ رأيت حميدة قطب أمامي !! عرفت ، وهى لم تعرفني ، فالسياط والكلاب والإجهاد والجوع والعطش والتمزق فى جسدي .. كل هذا قد غير ملاحي وغير صورتي !! » أهـ وذكرت بعد ذلك أن الكلاب كانت تخمش فى وجهها ، فقالت ص/ ١٦٣ : « تسلى الكلبان ظهري فى ركوعي وسجودي ، وأخذوا يخمشان رأسي ، ووجهي » أهـ ...

ولا أدري كيف كانت الكلاب تخمش فى وجهها ، وبأى شيء كانت تخمش ؟ والحمش لغة هو : القطع واللطم والحشد والضرب .. كيف كانت تنظر من النافذة العالية ؟

قالت زينب إنها دخلت الزنزانة رقم ٣ ، وكان بأعلىها نافذة مطلة على فناء السجن ، زعمت أنها رأت تعذيب الإخوان من خلالها ، فقالت :

« كان بأعلى الزنزانة نافذة تطل على فناء السجن ، وجاءوا بصليب من الخشب على ارتفاع النافذة ، ثم جاءوا بشباب من المؤمنين يصلبونهم الواحد تلو الآخر على هذا الصليب ، وبأخذون فى جلد الصلوبي بالسياط » أهـ .. قلت : لو كانت نافذة الزنزانة مطلة على فناء السجن كما زعمت فهذا لا يسر لها رؤية شيء فى الفناء ، لارتفاعها الكبير ، وهى لا تقدر على الصعود على الحائط ، خاصة أن قدمها كانت مكسورة فى هذا الوقت ، كما ذكرت فى كتابها ..

كيف صبرت ستة أيام ؟

وذكرت (ص/ ٦١) أنها : « أفضيت على هذه الحال ستة أيام على التوالى من مساء الجمعة ٢٠ أغسطس إلى الخميس ٢٦ أغسطس لا يفتح باب الزنزانة ، فلا

أكل ولا شرب ولا دورة مياه ولا صلة بالخارج»

ثم بالفت في التهويل قائلة : « وفي صبيحة اليوم السابع فتح باب الزنانة ودخل الشيطان الأسود ويده ريع رغيف ملوث بقذارة من فضلات الإنسان وقطعة من الجبن الأصفر» أهـ

كيف مكثت عشرة أيام في زنانة الماء النتن ...

زعمت أنها دخلت زنانة ممتلئة بالماء النتن .. (!) وليت فيها عشرة أيام تدخل وتخرج وتبيت .. مع استحالة النوم ، لأنها لو نامت لغرقت في الماء ، كما ذكرت تحت عنوان " زنانة الماء " ، قائلة : « وجلست فصار الماء إلى أسفل ذقتي» .

وسردت رحلتها إلى أن قالت : « وفي صباح اليوم التاسع ، أخرجوني من الماء في وقت مبكر .. وعدت إلى الماء وسوط صفوت لا يكل ولا يضعف .. بعد العصر في اليوم العاشر، فتحت زنانة الماء ، وأخرجني صفوت من الزنانة» أهـ تلك هي مبالغات زينب الغزالي .. الله أعلم بها . غير أن ظاهر الأمر يدل على وجود نوع من التفتن في الإثارة .. وتلك هي عادة الإخوان إذا تحدثوا عن غيرهم ، ولأجل ذلك فكلامهم موضع نظر ، لأنهم خصوم غير عدول ، يعيشون في الوهم ، ويقولون كلاما لا يقبله عقل عاقل . قال القرضاوي « ولا يكون الخصم شاهدا ولا حكما » (الإخوان سبعون عاما، ص/ ٣) .

٧- إعدام سيد قطب وهو ميت ..

لا يخفى أن الإخوان أشبعوا العالم الإسلامي كلاما حول الأديب سيد قطب ، ورسوا حول أفكاره سائرا من القداسة ، حالت زنا كبيرا دون التعرض لها ، ولو كانت مخالفة لمصميم الإسلام . ومن حاول تصحيح تلك الأفكار تعرض لهجمة شرسة أقلها أن يتهم بالخذل والعمالة ، وإلا الجهل عن فهم مدلولات سيد قطب وأفكاره .. ومن جملة ما قالوا إنه أعدم شقا في زمن عبد الناصر بسبب أفكاره ومواقفه الجهادية الداعية إلى الحكم بكتاب الله تعالى ، ولم يكن بسبب التنظيمات

السرية التي أنشأها ، كما أورد القرضاوي في مذكراته .. والحقيقة بخلاف ذلك كما سيتبين .. وقد ظهر مؤخرا بعد أربعين عاما من موته مفاجأة خطيرة ، ذكرها المستشار على جريشة وهي : أن الأستاذ سيد قطب لم يعدم شقا ، وإنما مات وهو يصلى ، ولم يكن لأحد دخل في موته .. وقد شهد بذلك في مقال له بعنوان " سيد قطب. عملاق في زمن الأقزام " (إخوان أون لاين .نت ٧ / ١١ / ٢٠٠٦م) وفيه قال :

« وعلمنا- أخي سيد- أنك طلبت قبل التنفيذ أن تصلي ركعتين ، ودعوت في السجود أن يقبضك الله قبل أن يصلوا إليك ، واستجاب لك ربك ، فقبضت وأنت ساجد ، لكنهم أصروا أن يعلقوا على حبل المشنقة !! ليعطوا النمام إلى (رئيسهم) أنهم نفذوا فيك حكم الإعدام» أهـ

ومع ما في تلك الرواية من تبرة عبد الناصر من قتل سيد قطب إلا أنهم أشاعوا خلاف ذلك ، لتبقى صورة القداسة في سيد قطب لا تشوبها شائبة ، فرجل مات قتيلًا في سبيل فكرته أفضل من رجل مات وهو يصلى .

٨- صياحات محمد مهدي عاكف ..

محمد عاكف إذا التقى بالصحافة اضطرب في عرض الماضي .. فساعة يقول: « رغم ما تعرضنا له من تعذيب على يد عبد الناصر إلا أننا لا نشغل أنفسنا بالانتقام؛ حتى لا نشغل عن تبليغ رسالتنا » (إخوان أون لاين ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤م). إلا أنه بعد أشهر قليلة نفى ما استقر عليه وقال : « إن الإخوان تعرضوا لتعذيب شديد داخل السجون والمعتقلات في جميع العصور، لذلك تطالب منظمات حقوق الإنسان وقوي المجتمع المدني ، بأن يعملوا علي تقديم المسؤولين عن التعذيب للمحاكمة » (المصري اليوم ٨ / ٤ / ٢٠٠٦م) ...

ثم عاد مرة أخرى إلى قوله الأول فقال : « نحن لو تبيننا الأذى الذي أصابنا ومحاولات الانتقام بمن تسبب في ذلك ، فلن يتبقى عندنا وقت كي نقول : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لكن هذه ليست سياستنا ونحتسب عند الله عز وجل كل ما

٢٠٤ ————— الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي
أصابنا! (جريدة الأسبوع ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٦م) .

والأستاذ عاكف لا يذكر مصائب الإخوان التي دخلوا بسببها السجون
والمعنقات .. إنما يتاجر فقط بقضايا التعذيب ، كما يتاجر اليهود بالهولوكوست
كشأن سائر الإخوان .

قال التلمساني في كتابه " قال الناس ولم أقل : « إن ما أصاب الإخوان
المسلمين من التعذيب البشع والتفكيك المريع والتقتيل الذريع لم يصب بمثله أحد في
مصر بل وعلى طول حقب التاريخ » أهـ

والحقيقة أن الإخوان حين يتكلمون عن أنفسهم وما تعرضوا له فإنهم يؤكدون
مالهم بكل قوة . غير أنهم إذا تكلموا عن الإسلام والمسلمين فإنهم يتصاغرون
ويتنازلون ويتسامحون ، كأنهم أوصياء عليه وعليهم ..

فلا يمكن نسيان ما فعله عبد الناصر بهم .. ولكن يمكن نسيان ما فعله
الصليبيون بالمسلمين ، هكذا تكلم عبد النعم أبو الفتوح في كلمة ألقاها في جامعة
أوسلو " فقال : « فتاريخ الحملات الإسلامية على أوروبا وما تركه من مشاعر سلبية
لا سيما حصار فيينا قد دفن مع الماضي ، ونحن أيضا نعتبر أن الحملات الصليبية على
العالم الإسلامي ، وكذلك الحملات الاستعمارية ، وما تركته من أثر مشابه قد دفنت
أيضا مع الماضي » (إخوان أون لاين. ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٧م)

لقد زعم الأستاذ عاكف هو وغيره من المتحدثين باسم الإخوان أن عبد
الناصر سجن من الإخوان عام ١٩٦٥م ما يقرب من ثلاثين ألف في ليلة واحد .
فقال : « ويكفي أن نشير إلى أن سجون مصر امتلأت عن آخرها بما يقرب من ثلاثين
ألفا من الإخوان المسلمين في ليلة واحدة في ستينيات القرن الماضي » (نافذة مصر
٢٣-٨-٢٠٠٧م)

وهذا من الأكاذيب الواضحة التي تنبئ عن عظم تأثير الإخوان بالأحلام
والكوابيس .. فقد أنشأوا في السجون وكالة أطلقوا عليها اسم " وكالة أبشروا "
للأحلام والحرفات .. فالثلاثة آلاف صارت ثلاثين ألفا ، لتنظم المصيبة وتزداد البلية

الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي ————— ٢٠٥

.. وتلدغ المشاعر .. والعامه ضعاف العلم والدين والحقوقيون الفاشلون ، كما
شهد عليهم محمد الغزالي وسيد قطب صاروا علماء وأئمة عند محمد عاكف .
والحقيقة أن الذي دخل السجن عام ١٩٦٥م كانوا ثلاثة آلاف إخواني فقط ، وذلك
بشهاد عباس السيسي في كتابه (في قافلة الإخوان . ص / ٦٧٠) حيث قال :

« وهكذا أنهت نيابة أمن الدولة العليا التحقيق في قضية الإخوان رقم / ١٢
١٩٦٥م مع أكثر من ألف شخص من حوالى ثلاثة آلاف من الإخوان المعتقلين في
نازارين السجن الحربي » أهـ ..

أما الذين قبض عليهم عام ١٩٥٤م فقد كانوا ثمانمائة إخواني فقط ، ولم
يكونوا ثمانمائة ألف .

قال السيسي في كتابه (في قافلة الإخوان . ص / ٥٧٨) : « فقد بلغ عدد
المحكوم عليهم بأحكام مختلفة حوالى (٨٠٠) ثمانمائة من رجال الإخوان أودعوا
جميع السجون » أهـ

فأين مصداقية عاكف فيما يقول ؟ ..

تغافل متعمد ..

تغافل محمد عاكف أن يذكر ما مر به من أحوال ومقامات تدل بالضرورة
أن السجون في ذلك الوقت لم تكن تعذيبا مستمرا بالليل والنهار كي يتاجر بها ..
فقد كان هو نفسه قائدا لفريق الكرة ، وكان ممثلا مسرحيا في السجن . وكان إخوانه
يقيمون معارض للوحات الفنية الزيتية في السجون . فقد وضعهم عبد الناصر في
السجن الحربي ، وسر لهم معسكرا دعويا ، يتدربون فيه أمور الدين والحياة ،
ويتقاربون ويتناظرون ، ويتناصحون ، ويؤلفون .. كما كانوا في سجون الملك قبل
الثورة كذلك .. قال محمد عاكف : « إنه اعتقل عام ٤٨ في سجن جبل الطور والذي
كان بمثابة معسكر تربوي استفاد منه الكثير » (الإخوان أون لاين ٢٣ / ٨ /
٢٠٠٦م) وفي السجن الحربي ألف الأستاذ عبد القادر عوده (رحمه الله) كتابه "
التشريع الجنائي " في السجن عام ١٩٥٤م ..

كما ألف الأستاذ سيد قطب (رحمه الله) كتابه في ظلال القرآن من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٦م في السجن ، واقتبس منه المعالم عام ١٩٦٢م .. وقد كان الإخوان يعدون التيسير الذي حدث لهم السجون من جملة أخطاء عبد الناصر ، كما أشار إلى ذلك أحمد رائف بقوله : « وقد أخطأ عبد الناصر مرتين . الأولى : عندما اعتقل وعذب وكل .. والثانية : عندما تركهم يعيشون سويا في معسكر يفكرون ويناقشون » (الصفحات . ص / ١٢٩)

تروفيه في السجن ..

هذه بعض حقائق التروفيه التي اعترف بها الإخوان في سجون شمس بدران.

١- تكوين التشكيلات الطبقية :

قال محمود عبد الحليم : « وقد رأينا أن نستغل هذه الفترة بما فيها من حرية التنقل داخل السجن في عمل نافع فقمس الإخوان أنفسهم إلى جماعات ، تضم كل جماعة المشتغلين بمهنة واحدة : فهذه جماعة الأطباء وهذه جماعة الصيادلة وهذه جماعة التجار وهذه جماعة العاملين في صناعة الطباعة وهذه جماعة العاملين في الزراعة وهكذا .. وعلى كل جماعة أن تنظم لنفسها اجتماعات دورية تناقش فيها شؤون مهنتها من الوجهة العلمية والعملية » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٨٩)

٢- الأنشطة الرياضية ...

وفي سجن قنا : « سمحت إدارة السجن للإخوان بمباشرة أنواع الرياضة البدنية ، فتحددت مواعيد بعد العصر لمباريات كرة القدم بين فريقين من الإخوان ، وكذا كرة السلة ، وكذا الكرة الطائرة ، أما طابور الجري فيقوم به كل أخ على انفراد .. وكان الإخوان الأستاذ محمد مهدي هانك خريج كلية التربية الرياضية والأخ حسان عبد السميع كابتن فريق السكة الحديد لفريق كرة القدم كانا يشاران الإشراف على التدريب والمسابقات الرياضية ... » (في قافلة الإخوان السيسى . ص / ٧٨٧) .

٣- الأنشطة الفنية والمرحبة ..

قال محمود عبد الحليم : « أقام الإخوان الفنانون مرسما في إحدى حجرات الدور الذي يسكن فيه الإخوان .. وياشروا هوايتهم الفنية في رسم المناظر والمشاهد الفنية على لوح من الخشب أو القماش وبمساحات مختلفة وكانوا يعرضونها للبيع وتكون الحصة لصالح خدمات الإخوان ، كما كانوا يقدمون بعض اللوحات كهدايا لبعض الزوار من قيادات السجون » (في قافلة الإخوان ص / ٧٨٧) ..

وقال محمد عاكف : « ونحن في السجن كنا ندير أمورنا بالشورى والانتخاب، في اختيار الأعمال التي نستهدفها من تربية ومناشط فنية ، فقد مثلت أنا ومجموعة من الإخوان في عام ١٩٥٤م عدة مسلسلات ومسرحيات قالت قيادات السجن إنها تصلح لتكون أعمالا تلفزيونية كبيرة » (الأسرة العربية عدد. ٢٥٤٧ ، ٢٠ فبراير ٢٠٠٦م) .

٩- كذبة التلمساني في حق الملك فاروق ...

زعم التلمساني أن الملك فاروق زار حسن البنا في المستشفى الذي مات فيه ويصق في وجهه وهو نائم .. فدعا عليه أن يمزق الله ملكه ، فقال : « وقيل أن يلفظ النفس الأخير جاء فاروق إلى القصر العيني شامتا ومتشفيا ويصق على الإمام ، ففتح عينيه ، وقال لفاروق : مرق الله ملكك . وكانت أبواب السماء مفتحة فاستجاب الله الدعاء ، وتمزق ملك فاروق إلى الأبد » (ذكريات لا مذكرات . ص / ١٠٥) .. وقد كذب فريد عبد الخالق تلك الأكاذيب التلمسانية ، قائلا : « والله أنا شخصيا استبعد هذا مع احترامي للقاتل » . فعلى أحمد منصور قائلا : « لأنه مش ممكن فاروق يكون من الغباء بحيث أنه هو يجيء ويحدث هذا السيناريو .. » (الجزيرة .. ١٤ / ١ / ٢٠٠٤م) .

وحما يؤكد كذب تلك الرواية التي اخترعها التلمساني في حق الملك فاروق أن الملك أقسم بالله العظيم أنه لم يأمر بقتل حسن البنا ، وذلك أثناء زيارة المستشار الهضيبي له . ولم يرد عليه ، ولم يقل له : بل بصقت في وجه الإمام وهو يموت ..

ولو كان عنده خبر بتلك الرواية لأخبر بها فيما بعد ، ولكنه لم يخبر بها الملك ، ولم يخبر بها مجلة الدعوة الإخوانية ، التي نقلت الحوار الذى دار بينه وبين الملك فى زمن الثورة وبعد موت حسن البنا بأربع سنين .. وبعد خروج الملك من مصر .. وفيه قالت الصحيفة نقلا عن الهضبي قوله : « وعاد الملك يقول : إن الإخوان قد فهموا خطأ أننى أنا الذى أمرت بحلهم واعتقالهم وباحتقال الشيخ حسن البنا ، وهذا والله العظيم خطأ ولم أفعل من هذا شيئا ، والذى فعل ذلك هم السعديون .. والهضبي لا يرد » (مجلة الدعوة . عدد ٨٢ ، ٩ / ٩ / ١٩٥٢ م . دار الكتب والوثائق) وانظر (وعرفت الإخوان . ص / ٦٨) ...

وقد أكد الأستاذ أحمد رائف أن الملك فاروق سمع عن مقتل حسن البنا كما سمع غيره من الناس ، ولم يكن له علاقة به ، وقال : « الملك فاروق لم يكن له أية علاقة لا من قريب ولا من بعيد بمقتل حسن البنا ، وعلمه بالحادث كعلم سائر الناس وكريم ثابت يقول فى مذكراته التى نشرت أخيرا قال هو لا علاقة له بهذا الموضوع ، وسمعه كما يسمعه بقية الناس » (الجزيرة نت ٥ / ٢ / ٢٠٠٦ م) .

٨ - كذابة التلمساني فى حق الملك عبد العزيز آل سعود ..

أراد التلمساني زرع الكراهية فى نفوس المسلمين قبالة علماء السعودية وملوكها ، فزعم أن ملكا من ملوك السعودية حذر الملك فاروق من حسن البنا ، وقال له إن هذا الرجل خطر على عرشك ، وكان هذا التحذير سببا فى مقتله ، ذكر ذلك تعقيا على مصادرة هذا الملك ميكروفونا كان يتكلم فيه حسن البنا فى الحج بغير إذن من الهيئات العلمية ، فقال : « ولم يكتف هذا الملك بذلك ، بل إنه لما زار مصر حذر الملك فاروق من حسن البنا ، وأكد له أن هذا الفتى خطر على عرشه ، وأثمر هذا التحذير نتيجته المشنومة فاضطل فاروق حسن البنا » (أستاذ أنجيل حسن البنا . ص / ٣٩ دار الأنصار) .

والملك المقصود بذلك هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (رحمه الله) وقد وضع التلمساني ذلك فى كتابه " قال الناس ولم أقل فى حكم عبد الناصر "

« وقد علم العالم كله أن المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود عندما لمس قوة الإخوان المسلمين وسريان دعوتهم فى قلوب المسلمين قاطبة عندما أحس بهذا الخطر الزاحف على الملكية المتسلطة المستغلة حذر الملك فاروق من خطورة دعوة حسن البنا ، وانتهى هذا التحذير بعد ذلك باغتيال الإمام الشهيد حسن البنا ، وإقامة الملك فاروق للأفراح فى قصره ، عندما انتهى إليه نبأ الاغتيال » أهـ .

وقد أسفد الدكتور محمود عساف مفاهيم الأستاذ عمر فى حق الملك عبد العزيز ، وأكد أن الملكة العربية السعودية : « استضافت كثيرا من الإخوان ووعتهم ، والفضل فى ذلك يرجع إلى ما كان بين الملك عبد العزيز آل سعود والإمام حسن البنا من روابط وثيقة » (مع الإمام الشهيد . ص / ٥٩) ..

هذا هو الظاهر .. إذ لو كان الملك عبد العزيز (رحمه الله) يحذر منهم أو يلقي لهم بالا لما فتح لهم الملك فيصل بابا للضيافة فى المملكة ، حتى يلج الجمل فى سم الخياط .. إلا أنه مما يقال فى هذا الموضوع أن الملك عبد العزيز رفض طلبا من حسن البنا بفتح مقر للإخوان المسلمين فى المملكة ، وقال له : " كلنا إخوان " .

٩ - تطوير الأزهر بين الباقورى والتلمساني ...

قال التلمساني فى كتابه (قال الناس ولم أقل فى حكم عبد الناصر) :

« إن أكبر إساءة وجهها جمال عبد الناصر إلى الدين الإسلامى هى الجريمة الكبرى التى صرف بها الأزهر عن مهمته الكبرى فى تدريس العلوم الدينية وإتقانها . إنها الجريمة التى سماها عبد الناصر تطوير الأزهر . وما هى فى الحقيقة إلا الرغبة الجامحة فى القضاء لا على الأزهر أصلا بل القضاء على الدين الإسلامى » أهـ .

والحقيقة أن الذى خطط لتطوير الأزهر وأضاف الكليات الثقافية إليه هو الشيخ الباقورى أحد أقطاب الإخوان ، وليس عبد الناصر ..

وقد أكد ذلك محمود عساف بقوله : « واشتغل الباقورى بالوزارة . وأعاد تنظيم الأزهر وأدخل به الكليات التى تخرج العاملين لصالح المجتمع من مهندسين

وأطباء ورجال أعمال ورجال قانون وعلم تطبقي فضلا عن كلية للبنات فيها ذات التخصصات فلا ينبغي أن يقتصر الأزهر وهو أقدم جامعة في العالم لازالت حية على علوم الدين فحسب» أهـ

١٠- الصباغ يشكك في كتابات التلمساني

أكد محمود الصباغ أن بعض قادة الإخوان تكلم في أحاديثه الصحفية بغير علم ولا إحاطة بأعمال التنظيم الخاص، مما اضطره إلى أن يكتب كتابه (حقيقة التنظيم الخاص) ليرد على ذلك، وكان مما قاله: « تعرض عدد من قادة الإخوان المسلمين حاليا للكتابة عن هذا النظام في الجرائد السيارة والمجلات الأسبوعية، بل وفي كتبهم المؤلفة بما لم يحيطوا بعلمه، إلا أنهم باعترا فهمهم، وكما قلت من قبل لم يكونوا في يوم من الأيام في هذا النظام، فأني لهم بالحقيقة» (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٥٧) .

وأشار إلى الشخص المقصود في كلامه، قائلا:

« ولقد كنت أتمنى أن يعينني الله من هذا الحساب العلني الشاق، لو مد الله في عمر فقيدنا الكريم الأستاذ عمر التلمساني، فتلقى خطايب الذي أرسلته إليه عن طريق جريدة الشرق الأوسط باعتبارها أولى الجرائد الكبرى التي نشرت مذكرات فضيلته ومست هذا الموضوع » (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٥٧) .

وقد أكد التلمساني أنه سيعتمد على ذاكرته في سرد تاريخ الإخوان، واعتذر بأنه قد يقول أشياء غير مطابقة للواقع، كما قال لمدوب جريدة " الشرق الأوسط الدولية"، كما كتب في مقدمة كتابه (ذكريات لا مذكرات): « أنني لا أستطيع كتابة مذكرات صحيحة مطابقة للواقع، لأن مرجعي سلب من بين يدي، ولكني إذا كتبت فسأكتب ذكرياتي، أي ما يتعلق بذهني، مما مر بي في حياتي، ومن المقطوع به أن الذاكرة ليست العماد الراسخ في سرد الأحداث، لأنها عرضة للخطأ حيناً وللنسيان أحيانا» أهـ .. ولا شك أن هذا التصرف يشكك العامة والخاصة في تاريخ الإخوان، الذي نالوا به تلك الهالة في العالم الإسلامي .

١١- الأستاذ الدكتور محمد مرسى " عضو مكتب الإرشاد " يكذب عبد المنعم أبو الفتوح، ويتهم آراءه بالشذوذ، ويرد على العريان ويتهم آراءه بالخداع ..

منذ ما يقرب من أربع سنين أو يزيد صرح د/ عبد المنعم أبو الفتوح في جريدة العربي أنه لا مانع لدى الجماعة من ترشيح الزنديق أو المسيحي لرئاسة الدولة، وقال: " لا مانع من ترشيح الزنديق والمسيحي لرئاسة الجمهورية . وهذا رأى الجماعة بأسرها " (العربي : ٥ أكتوبر / ٢٠٠٣م) (آفاق عربية . ١٧ فبراير ٢٠٠٥م) وعندما سئل عن موقع حديثه من الجماعة قال: « وأود تأكيد أن كل ما يصدر عنى من آراء وتصريحات إنما هو رأى المدرسة التي تربيت فيها - مدرسة الإخوان المسلمين - وهو رأى جل الجماعة ومكتب إرشادها » (آفاق عربية . ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م) ..

وقد وافقه على ذلك المرشد العام محمد عاكف قائلا: « وأنا منذ أن انتخبت مرشدا عاما سمحت لجميع قادة الإخوان - بلا استثناء - بالحديث للصحف .. وبالنسبة هذا ما يفعله الجميع بمن فيهم الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح . » (الشرق الأوسط . ٣٠ يونيو ٢٠٠٥) .

وظل عبد المنعم أبو الفتوح يردد هذا الكلام في جميع الصالونات والمنتديات الأدبية لمدة أربع سنوات، ولم يعترض عليه أحد . غير أن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، لتكشف حقيقة التلاعب في دعوة الإخوان، ويظهر برنامج الحزب الجديد رفض الجماعة ترشيح المسيحي لولاية الدولة .. فيهب عبد المنعم أبو الفتوح ليؤكد أن الجماعة عن بكرة أبيها تؤمن بجواز ذلك، وأن مكتب الإرشاد يؤمن بذلك، قائلا: « رفض الترشيح ليس في محله، ويتناقض كلياً وجزئياً مع مضمون البرنامج من الدعوة للتوافق الوطني، وحق المواطنة واحترام الآخر ... كما أنه يخالف كذلك ما تضمنته مبادرة الإصلاح التي أعلنت عنها جماعة الإخوان المسلمين قبل عامين .. وعدم الترشيح يعد مصادرة علي حق حرية الرأي، وبالتالي يبقى مصادرة لآراء الشعب وأنا لست الشعب .

* هل هذا رأي الدكتور أبو الفتوح أم رأي الجماعة ؟

- أنا جزء من الجماعة .

* ماذا تعني بذلك ؟

- أعني أنه رأي الجماعة ، بدليل أننا استغلطنا رأي الدكتور يوسف القرضاوي خلال فترة تواجده بالقاهرة - كما أشرت من قبل - وكنا مجموعة من مكتب الإرشاد وعلى رأسنا فضيلة المرشد مهدي عاكف ، وحين سألنا الدكتور أحمد العسال ، كنا مجموعة أيضا من مكتب الإرشاد، وأقاد كلا العالمين الجليلين بأنه لا مانع من ذلك في حالة أن يترك باب الترشيح مفتوحا للجميع (إيمان عبد المنعم . إسلام أون لاين ٩ أكتوبر ٢٠٠٧م) .

هذا هو كلامه مع إسلام أون لاين ..

ولكن الدكتور/ محمد موسى المسئول الأول عن برنامج حزب الإخوان كذبه فيما قال ، وأكد أن هذا رأى شاذ - وإن كان قائله القرضاوي أو العسال - وأنه ليس رأى الجماعة ، كما يدعى القاتل بذلك ، قائلا : « إن كافة قيادات الجماعة قد أجمعت على رفض ترشيح المرأة وغير المسلم للرئاسة ، وذلك بناء على أدلة شرعية راجحة لدى الجماعة ، نائيا بشدة وجود اتجاه داخل الجماعة لمراجعة رأيها في هذا الشأن ، مؤكدا أن ما بني على أدلة شرعية إسلامية لا يمكن تغييره نزولا على اعتراض أو اجتهاد بشري ، لأن الجماعة هنا تمثل الإسلام » .

وأضاف معلقا على تصريحات لقيادات " الإخوان" قالوا فيها :إن مكتب الإرشاد توصل إلى جواز تولي المرأة وغير المسلم للرئاسة .

- إن "هذا الكلام خاطئ"، منها قائله بالشذوذ عن إجماع قيادات "الإخوان"، وإن عليهم أن يأتوا بالأدلة الشرعية التي تؤيد ما يقولون" (المصريون . ٢٤ - ١٠ - ٢٠٠٧) .

وفي موقع الإخوان نافذة مصر في ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٧م قال الدكتور مرسى:

« نحن نرفض بشكل لارجعة فيه تولي المرأة وغير المسلم لمنصب رئيس الدولة، مشيرا إلى أن من يقول غير ذلك من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين فهو لا يعبر عن رأى الجماعة نهائيا وإنما يعبر فقط عن رأيه الفردى» أهـ

ويزيد على ذلك فيرد على الأستاذ العريان الذى دعا إلى إخفاء وجهة نظر الإخوان فيما يخص تلك المسائل الحساسة ، قائلا : « كان من الأفضل الصمت في هذا الشأن ، مشيرا إلى + أن الصمت وإن فسره البعض كأنه حالة من الغموض أفضل من أن تقدم طرحا لا يجاري رغبات المجتمع ونخبه السياسية .. » (الشرق الأوسط ١٦ أكتوبر ٢٠٠٧م) .

فبين الدكتور مرسى أن هذا الطريق الذى يدعو إليه الدكتور العريان نوع من الخداع .. ولا ينبغي لمن يعرض الثوابت أن يكون مخادعا ، فقال : « أما أن يطالبنا البعض بأن نترك هذا البند دون أن ننص عليه فنحن نقول له : إننا نعرض رؤيتنا على الأمة وليس لدينا أى استعداد لخداعها ولكننا سنعرض مآثره مناسبا من وجهة نظرنا بما يتفق مع ثوابت الدين الإسلامى » (نافذة مصر . ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٧م) .

لقد أكد عبد المنعم أبو الفتوح أن هذا الرأى الذى انتهت إليه القيادات : «يخالف كذلك ما تضمنته مبادرة الإصلاح التي أعلنت عنها جماعة الإخوان المسلمين قبل عامين» . أهـ .

ولعله لا يعرف أن لجماعة الإخوان في كل زمن منهجا ومقالا .. وأنها على استعداد لاستبدال الملابس وخلع جميع المبادئ ..

ترى فى النهاية أبو الفتوح هنا . مخدوع ، أم مخذول ؟..

ألم أن الجماعة تتقى شره ، حتى لا تتكرر مصيبة " حزب الوسط "....؟

لقد سكك المرشد العام ، ولم ينصر عبد المنعم أبو الفتوح ، الذى أكد أنه يتكلم باسم الجماعة ، وما يتفق عليه مكتب الإرشاد!..

لا شك أن هناك حربا داخلية فى تلك الجماعة ، ومن أجل ذلك صرح عبد

المنعم أبو الفتوح في لقائه مع "إسلام أون لاين" : « أن الجماعة تحتاج إلى الإصلاح الداخلي والتغيير، ليحل الشباب محل الشيوخ داخل مجلس الشورى ومكتب الإرشاد » (إسلام أون لاين ٩ أكتوبر ٢٠٠٧م) ..

فهل هذه طعنة سم في ظهر الذين خذلوه أم أنه أراد شيئاً آخر ! .. ربما تكون تلك الكلمة هي السبب في إخراجه من مكتب الإرشاد في الانتخابات التي أجريت في ٢٠١٠م ..!

لعل رأى عصام العريان في السكوت والغموض كان أقرب في الحفاظ على تلك الجماعة من الوضوح والصراحة .

ولكن الدكتور محمد مرسى أبى أن يخدع نفسه ، فأعلن بكل قوة ما يخالف غرغرة أبى الفتوح وخدا العريان ..

١٢- د / توفيق الواعى وتشييعاته .

توفيق الواعى منظر إخوانى مصرى مقيم بالكويت ، وقد برز دوره في تجميع الفكر المعاصر لجماعة الإخوان ، والدفاع عنه بكل شاردة وواردة ، فكتابات في المقام الأول لخدمة جماعة الإخوان ورموزها قبل أن تكون لخدمة الإسلام .. وللاستاذ توفيق الواعى كتاب باسم (الإخوان كبرى الحركات . ط . دار المنار ٢٠٠١م) وفي هذا الكتاب رفع جماعة الإخوان إلى أعلى مقامات الكمال ، وادخر لمخالفى الإخوان جميع أنواع السب والطعن واللمز .. فهم جهلة ومرضى ومأجورون . لم يعتمد الأسلوب العلمى البرهاني بقدر ما اعتمد الاستخفاف والاحتقار ، انظر إلى ما قاله في كتابه السابق ذكره (ص . ٥) : « قد تفاجأ بإنسان لم يقرأ باباً واحداً من العلم ولا درس صفحة واحدة من مسائله قد تعمم وتحذلّق وأطال لحيته وقصر ثوبه وأبرز مساوفاً في صدر جليابه وآخر في فمه ، كأنه يقول لك انتبه : فانا حارس السنة وداعية الشريعة ، ومصدر العلم الإسلامى كله في جيبي والتعاليم والفتاوى في رأسي وآراء السلف والخلف طوع أمرى أنا صيدلية العلم ونظامي الملة ومدينة الفقه ومجمع الفتيا وباب الحلال والحرام ، ومفتاح القبول وطريق الوصول . كل أمر لا يصدر عنى فهو

رد ، وكل حكم لا يخرج من مشكائى فهو مدخول ، وكل عمل غير مجهور برضاى فهو باطل وكل فتوى لا تخرج من لسانى فهى مزورة » . أهـ

وقد اجتهد د/ توفيق الواعى طاعنا في دعوة السلف أهل الحديث ، مستعينا بمقتطفات من كتاب لرجل يدعى / عبد الرازق الشاذلي ، كأنها متون موثقة ، أو وحي منزل ، سماها أصولا ، ولا علاقة لها بالأصول ، وجملها حقائق وهى أوهام وأكاذيب ، فقام الدكتور توفيق يعلق عليها بما لا علاقة ، وينظر فيها بغير نظر ..

* فزعم أن دعاة السلف يكفرون مخالفينهم ، ويلزمون الناس بتكفيرهم ، وقال إنهم يعتقدون أن : « كل من وقع في الكفر فهو كافر وكل من وقع في البدعة فهو مبتدع » (ص ٣٥١ /) ... وهذا وهم مفترى على دعاة السلف ، ولا تكفير لأحد إلا بعد انتفاء الموانع الشرعية والعقالية وإقامة الحججة الرسالية .. قال شيخ الإسلام فى كتابه (الرد على البكرى . ص / ٣٧٦) : « ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه » أهـ

* وزعم د/ توفيق أن دعاة السلف يتكرون العمل الجماعى بقوله : « فقالوا عنه أم الفتن » (ص / ٣٦٨) ... وهذا أيضا ما كان لدعاة السلف أن ينكروه ، فقد حث الله عباده المؤمنين على التعاون على البر والتقوى فقال (تعالى ذكره) : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » [المائدة : ٢] إنما ينكر دعاة السلف الحزبية القبيحة والتعصب المهيمن للفرق والأشياخ على حساب الحق والدين ، كما يتكرون العمل السرى البارد في بلاد تؤمن بالإسلام وتقيم شعائره ..

* وزعم د/ توفيق الواعى أن دعاة السلف يحرمون النظر في شئون الأمة والإطلاح على واقعها وألامها فقال : « النظر فى أحوال الأمة ومعرفة أعدائهم وفكرهم محرم شرعا كالنظر فى التوراة المحرفة » (ص / ٣٩٤) ..

وهذا وهم صريح ..

ويكتفى لبطلان ما قال حقيقة الواقع المشهود ، فكتابات أئمة السلف وفتاواهم

تنتقل إلى جميع أنحاء العالم ، حسب قواعد الشرع والدين ، بينما لا يهتم الإخوان إلا بمن ينتسب إليهم ببيعة أو بولاء ، فيغدقون عليه بالأموال والمناصب . أما الآخرون فلا ولاء لهم ولا محبة ..

وانظر كيف أفنى القرضاوى بجواز اشتراك الجنود المسلمين في الجيش الأمريكى في قتال المسلمين في أفغانستان ، حتى لا يتهموا فى ولائهم للمجتمع الأمريكى. (الأهرام العربى . عدد ٢٠ ٢٣٩ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠١)

* وزعم د/ توفيق الواعى أن دعاة السلف يحرمون نصيح الحكام ، فقال : ومن أصولهم (وجوب السكوت عن انحراف الحكام) (ص / ٤٧٢) وقال ص/ ٤٧٤ : « ومن أصولهم الفاسدة إطلاق لفظ الخارجى على من أنكر منكر الإمام باللسان » . أه ... قلت : سبحان الله . وماذا يقول الإخوان فيمن ينكر منكر المرشد العام أو يعترض عليه جهره ! إنهم يعدونه عدواً أو عميلاً .

والحقيقة أن الأئمة لا يمتنعون نصيح الحكام .. وغير الحكام ، لقول النبی ﷺ : « الدين النصيحة . ثلاثا . قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم . كتاب الإيمان . ٥٥) ولكن الأئمة يقولون : ينكر المنكر على الإطلاق دون تحديد لشخص بعينه ، ويختص الأئمة والعلماء بنصح الحكام ، ولا يكون نصيح الحكام بالتشنيع عليهم على المنابر وفى الصحف ، كما يفعل الإخوان وغيرهم ، وإنما يكون النصيح سرا فيما بين الناصح وبين الحاكم ، وخلاف ذلك نوع من أنواع الخروج . وتوفيق الواعى يتعجب من ذلك ، ويقول ليس فى ذلك خروج ! ويصف هذا الأصل بالفساد . والحقيقة عند الأئمة الربانيين بخلاف ما قال . فقد قيل لأسامة : « ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟ والله ! لقد كلمته فيما بيني وبينه . ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتنه » (متفق عليه ، مسلم كتاب الزهد ٢٩٨٩ ،)

وقال ابن النحاس فى (تنبيه الغافلين . ص / ٦٤) : « ويختار الكلام مع السلطان فى الخلوة على الكلام معه على رءوس الأشهاد ، بل يود لو كلمه سرا

ونصحه خفية من غير ثالث » أه .

ولا ينبغي أن يتعجب الدكتور توفيق الواعى من تلك القواعد فهى قواعد أئمة الإسلام . والإخوان المسلمون يعرفون ذلك ، ولكنهم لا يطبقونها مع الحكام ، إنما يطبقونها مع المرشد العام فقط .. فقد اختلف الدكتور سيد المليجي مع المرشد العام ، فصحه على الملأ ، بعدما ضج من عدم اعتناؤه بشكاواه ، فذكره المرشد العام بثلث القاعدة .. قائلا : « إذا كان لدى المليجي استفسار أو تساؤل فلماذا لم يأت إلينا ، ويجلس معنا ويتناقشنا ... أما الكلام فى الجرائد فهذا أسلوب معيب ولا أقره ، فهو خارج عن المؤلف فى الجماعة » (الكرامة ١ / ٥ / ٢٠٠٧ م . محمد عبد الحفيظ)

* وزعم توفيق أن دعاة السلف يطولون الجهاد فى سبيل الله ، ويقولون : « لا قتال إلا بوجود إمام عام خليفة » (ص / ٤٠٤) .. قلت : والجهاد قسمان : جهاد الطلب . وجهاد الدفع .. أما جهاد الطلب فينكره الغزالي والقرضاوى ، أما جهاد الدفع ، فهو فرض واجب ، خاصة إذا داهم العدو أرضا للمسلمين .. أما الجهاد الذى فيه خروج من مجتمع لمجتمع آخر فإنه لا يكون إلا بإذن الإمام ، سواء كان رئيسا أو ملكا أو خليفة ، ولو كان فاجرا ، لأن فيه سفرا ، والسفر لا يكون إلا بأمر مطاع .. وذلك لأنه قد تخرج طائفة بقصد الجهاد ، وهى فى الحقيقة تريد الخروج على الإمام . ومن هنا منع الأئمة الجهاد بغير إذن الإمام .

قال الإمام أبو جعفر الطحاوى فى (الطحاوية . ص / ٣٢٢) : « والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين ، برهم وفاجرهم ، إلى قيام الساعة ، لا يطلعهما شيء ولا ينقضهما شيء » أه

* وقال د/ توفيق الواعى : « إن دعاة السلف يرون تقديم حرب الدعاة إلى الله ، حرب اليهود والنصارى » (ص / ٤٣٥) . كما يرون : « اعتبار الدعاة أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى واللاذبيين » (ص / ٤٣٤) ... قلت : هذا كلام مقولوب واعتداء آسن .

فهل يصدق أحد أن مسلما يقول : إن حرب الدعاة إلى الله مقدم على

حرب الكفار . هذا كلام باطل لا يقول به عاقل .. بل الصحيح الذى اتفق عليه الأئمة أن مواجهة أهل البدع مقدم على مواجهة الكفار الأصليين .. وأهل البدع ليسوا علماء باتفاق أهل السنة .. أما الذى قال " إن العدو الداخلى قد يكون أنكى من العدو الخارجى " فهو الداعية الإخوانى محمد الغزالى ، وذلك فى كتابه (السنة النبوية . ص / ١٩٣) .

وهناك شبهات كثيرة طرحها توفيق الواعى فى كتابه (كبرى الحركات) ، لعل المطلع على كتابى هذا يجد فى ثناياه الرد الوافى عليها بإذن الله تعالى .. وقد كان من الواجب على الدكتور توفيق أن ينقل النصوص المنتقدة نقلا كاملا ، ثم يذكر حجته فيما قال ، ثم يسرد الأدلة والبراهين ، بعيدا عن العواطف والتلابيس . ثم يترك للقارئ النظر والاختيار . أما ما قام به الدكتور فهو مخالف لأسلوب البحث العلمي، لم يرد منه التحقيق، وإنما أراد نصرة جماعة الإخوان فى المقام الأول ..

ثالثا : مظاهر التلون والتقية

التقية ومفاسدها ..

التقية : خلق ردىء يشبه التفاف ، وهى ركن ركين فى دين الشيعة الروافض .. فقد حكى الشيعة زورا فى كتبهم أن جعفر الصادق (رضى الله عنه) قال : « التقية دينى ودين آبائى » (المنتقى . ٨٦) والتقية مفاسدها كثيرة . ففيها يحدث المرء بما لايعتقد ؛ ويظهر خلاف ما يطن ، فرارا من المسئولية والعقاب وطلباً للمكاسب .. وبها يضع مفهوم الولاء والبراء ، وتذوب الفوارق بين الثقافات ، وبها يعظم الجبن ، ويسقط الأمر والنهى ، ويختلط الحق بالباطل . فمن من العامة يستطيع التمييز بين ما يقال دينا وما يقال تقية ؟ وقد أمرنا الله تعالى أن نقول الحق أينما كنا ، لا نخاف فيه لومة لائم .

الإخوان والتقية ..

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز (حفظه الله) : « أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم ، وعدم إظهار حقيقة أمرهم ، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها » (فتاوى العلماء فى الجماعات . تسجيلات منهاج بالرياض) ..

وقد سلك الإخوان مسلك التقية فى دعوتهم ؛ من أجل احتواء الناس واستيعابهم .. وباستقراء أحوالهم يتبين حقيقة ذلك .. فقد كان حسن البناء مسالما للملك مبايعا له ، وهو فى حقيقة الأمر يعد العدة للانقلاب عليه .. وفى زمن الاشتراكية سايروا الثورة وقالوا الإسلام هو الاشتراكية .. وطالب سيد قطب ضباط الثورة بتطبيق ما يسمى بالديكتاتورية العادلة ، فى نفس الوقت طالب أغلب الإخوان بعودة ضباط الجيش إلى التكتات .. وعندما ألقى الرئيس عبد الناصر الأحزاب وأصدر قانونا بحلها عام ١٩٥٣م كان الإخوان أول من هلل لذلك وفرح به ..

وعلى العكس من ذلك فى زمن الديمقراطية رفع الإخوان راية التعددية الحزبية

والديمقراطية ودافعوا عنها ..

فلا يفتأ محمد عاكف وحبيب والعريان عن الحديث عن الديمقراطية والحرية والأحزاب ، التي كان يحذر منها شيخهم .. وهم الآن أكثر الناس تحالفا مع الشيوعيين في الانتخابات البرلمانية .. وقد ظهر مؤخرا أنهم أكثر الناس سعيا في كسب ودهم .. لتحقيق أغراضهم من الوصول إلى سدة الحكم .. فهم يتلونون بالزمن الذي يعيشون فيه .. وقد كانوا يتقلبون في الأحزاب ثقية ، ليصلوا إلى أغراضهم .. فقد التحق كثير منهم بحزب مصر الفتاة في زمن الملك فاروق ، والتحق كثير منهم بالائتلاف الاشتراكي في زمن عبد الناصر ، كذلك التحق كثير منهم بالحزب الوطني في زمن الرئيس السادات .. وحين وقعت الحوادث الإرهابية في مصر نظر أكثرهم إليها بأسلوب المنفعة العائدة ، قبل أن يذكروا حكم الله فيها ، وكل فريق يتكلم بما ينتهي إلى الخير في شأنهم والشك في فكرهم .. وقد أشار إلى ذلك أبو العلا ماضي في حديثه لجريدة (العربي . ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣ م) بقوله : « إذا تكلمت عن الإخوان فلم يكن دورهم ضد الإرهاب بنفس الدرجة التي كان بعض منا يمتناه ، ففي داخلهم كان هناك من يرى ضرورة رفض العنف بكل أشكاله ، والبعض كان يسكت عنه كما لو أنه يذكره بسلوكيات قديمة ، واعتقد البعض أن الإرهاب يمكن أن يخدم أهدافهم مع الوقت ، فالحقيقة أن الإذانة لم تكن كاملة » أهـ

فقضية توزيع الأدوار بين النفي والإنبات وعدم وضوح المنهج سلوك باطنى تفتنت فيه جماعة الإخوان .. فقد حذر صلاح الصاوي من : « التورط في إذانة الفضائل الإسلامية مهما تورطت فيه من أعمال تبدو متنافية للاعتدال والقصد ... » (الوثائق والمتغيرات . ص / ٢٢٦٤) . ثم انتقل إلى توزيع الأدوار ، فقال : « مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريق من رجاله ببعض الأعمال الجهادية ويظهر عليها التكبر آخرون » (الوثائق والمتغيرات . ص / ٢٦٥) .

غير أن المتفق عليه بعد توزيع الأدوار عزو جميع المصائب إلى فساد الحكم والحكام والبطالة المنتشرة في المجتمع .. وهذا يكون كما قال الصاوي : « بتنسيق

مسبق وتوزيع متبادل للأدوار » (الوثائق والمتغيرات . ص / ٢٦٤) .

هذا هو دأب الإخوان في كثير من القضايا .. فقد ذهب عصام العريان إلى مفهوم غريب في قضية المواطنة وترشيح الزنديق لرئاسة الجمهورية انتهى فيه إلى أن السكوت والغموض في تلك القضايا أولى من التصريح والبيان .. قائلا : « كان من الأفضل الصمت في هذا الشأن ، مشيرا إلى أن الصمت وإن فسره البعض كأنه حالة من الغموض أفضل من أن تقدم طرحا لا يجاري رغبات المجتمع ونخبة السياسية » (الشرق الأوسط ١٦ أكتوبر ٢٠٠٧ م . عبده زينة) .

وهذا يدل على أن التلون ملكة وغريزة تربت عليها شرائع الإخوان من زمن حسن البنا إلى زمن محمد عاكف ..

ولم يلق حد التلون على المستويات المحلية .. فكذلك على المستوى الدولي .. فإخوان العراق مع الأمريكان في مجلس الحكم الانتقالي ... وإخوان مصر لا يعيرون ذلك ولا ينصرونه ... والتنظيم الدولي مع صدام ضد الكويت ، وإخوان الكويت ضد صدام .. وإخوان حماس في فلسطين متحالفون مع النظام في سوريا مع كون النظام السوري يوقع عقوبة الإعدام على من ينتمي للإخوان .. فهو تنظيم واحد - زعموا - ولكنه بأيدولوجيات مختلفة ، وهذا هو الذي جعله متناقض الوسائل والغايات .. ولا مانع عنده من التأخي مع الأعداء ، ولو كان هذا التأخي ضد مصلحة الإخوة والمنهج ..

وأهل مكة أدرى بالشعب .. ولا تقل أستاذية العالم ولا وحدة الفكر والمنهج ... فالقضية متعلقة بالوسائل والأيدولوجيات الفكرية والتكتيكات السياسية ..

وقد أكد حقيقة هذا التلون العلامة مقبل الوادعي ، فقال في (تحفة المحجب . ص / ٢٠٣) : « فهم يأتون السني بالوجه السني إذا احتاجوا إليه ، والبعض بالوجه البعني إذا احتاجوا إليه ، والشيوعي بالوجه الشيوعي .. والشيء بالشيء يذكر فعند أن كنا في الجامعة الإسلامية يصرخون ويقولون الشيوعية احتلت البلاد وأنتم تبغون تدرسون هاهنا .. فهم يستغلون الفرص ويستثيرون الناس ، ولما جاءت الشيوعية

انسدحوا لها ، وأهلا وسهلا بالأخ على سالم البيض ، وقال الأخ على سالم البيض كذا .. وأنكروا على لماذا أقول : إن على سالم البيض كافر : فهو عندهم في أول الأمر شيوعي ، ثم بعد ذلك مسلم ، وفي وقت الحرب كافر .. فهم ليس لهم مبدأ ...» أهـ

التقية في منهج حسن البنا ..

كان للأستاذ حسن البنا ممارسات ضليعة في التقية والمناورة ، خاصة مع الملك فاروق ، فهو ينفي أن تكون الثورة طريقا من طرق التغيير ويرفع إلى الملك أسمى آيات الولاء بينما هو في الحقيقة يخطط بسرية بالغة للانقلاب والثورة ، وأكد الصباغ أن حسن البنا كان يعمل بالخداعة والتقية في البيان الذي أصدره عقب تفجير محكمة الاستئناف ، " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين "

وبين أن المرشد لم يقصد التبرؤ من هؤلاء الشباب في الحقيقة ، إنما كان فقط يريد خداع الدولة ، فقال : « وهو أمر جائز شرعا في الحرب ويعمد من خدعه ، كما أوضحنا عند ذكر سرايا رسول الله (لا غتيال أعداء المسلمين ، ولكن الأخ عبد المجيد أحمد حسن لم ينتبه إلى ذلك ، وتأثر بالبيان تأثرا قاده إلى الاعتراف على إخوانه » (حقيقة التنظيم الخاص.ص/ ٤٥٢)

تدبير المكائيد .. حسن البنا والكشكول الجديد .

هذه صورة من صور التلون والتقية .. قائمة على مبدأ أفعل ما يتفق مع إرادتنا ، فإن ظهرت كان لنا السبق ، وإن فشلت ووقعت في الحرج : « ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين » . وقد وقعت تلك الواقعة بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ م .. على أثر هجمة شرسة تعرض لها حسن البنا وجماعته على صفحات وجرائد الوفديين .. رموا فيها حسن البنا بالشيخ الماجن .. وقالوا له كما حكى محسن محمد . ص / ١٩٤ من كتابه " من قتل حسن البنا " : « أنت تزاوُل نوعا من السياسة هو أرخص وأقدر الأنواع .. هو أقيح سياسي لعب على مسرح السياسة في الجليل الحاضر .. إن العفن والقاذورات والألفاظ النابية بل والجرائم المنكرة مصدرها وكر الإخوان .. أما من الذي أبقظ الفتنة فهو أنت أيها المرشد المفضل . إلى زعيم عصاة الإخوان . الخ » أهـ

كيف فكر حسن البنا في الرد ؟

قال صاف : « فكر الإمام حسن البنا فيما ينبغي فعله لمواجهة شتائم جرائد الوفد والرد على سفالتهم .. وكانت الفكرة جديدة لم تخطر على بال أحد وكلفني بتنفيذها . تلك الفكرة هي إصدار مجلة مستقلة تنزي في الرد على جرائد الوفد بثبات الأسلوب . ! فاستدعاني الإمام إلى مكتبه وشرح لي الفكرة موضعا أنه لا سبيل للرد على شباب الوفد إلا بمثل ! بأسلوب رافع بشرط ألا يحس تاريخ وأدب الإخوان ، وعلى ذلك ينبغي أن تنأى جريدة الإخوان اليومية عن هذا الأسلوب ، فهي جريدة للتاريخ ، وسيتكبد عنها المؤرخون فيما بعد ، ولا يجدر بها أن تنزل عن هذا المستوى الرفيع الذي احتلته في نفوس الناس .. ثم قال : جمعني الإمام مع الأخ الأستاذ أمين إسماعيل وجلسنا سويا نتناول هذا الأمر واخترنا هيئة التحرير من كبار الكتاب الساخرين في هذا الوقت . وذكر أسماءهم » « مع الإمام الشهيد . مكتبة عين شمس)

قلت : ونسى حسن البنا ما ألزم به نفسه في ' رسالة دعوتنا ' في كيفية التعامل مع المتحامل الذي :

« أساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه ، فهو لا يرانا إلا بالمناظر الأسود القاتم . وهذا سنظل نحبه و نرجوا فيه إيتنا و انتعابه بدعوتنا ، و إنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه الصطفى (من قبل :) اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(أهـ .

واستبدل بهذا المبدأ الأسفاف والابتذال .. كما خطط لتلميذه محمود عساف .. وأصدر حسن البنا مجلة الكشكول الجديد .. وأدى محررو الإخوان وأصدقائهم الساخرون دورهم المنوط بهم ، كما أمروا به .. حتى اكتشف أنهم تابعون للإخوان .. وذلك بعد أن نشرت الجريدة صورة لرجل يقبل امرأة .. فوصلت إليهم رسائل كثيرة : كيف تتحدرون إلى هذا الأسلوب المخالف لنهج الإخوان في الرد على دعاة الحزبية .. وهو بيان عظمة الإسلام وعدم الرد على المسىء بالتجريح والسب ، كما علمهم شيخهم من قبل في التعامل مع الشيوعيين .. عجب العامة كيف يقابل الإخوان الإساءة بالإساءة والمثل بالمثل . وعندهم حق في ذلك ، فهم لا يعرفون الخطط السرية التي يتبعها شيخهم ، في التعامل مع المخالفين ..

قال عساف : « وحمل إلينا البريد كثيرا من رسائل أصدقائنا من الإخوان المسلمين يبيون علينا الخروج عن بعض الحدود التي رسمها الإخوان لأشبههم في محاربة الحزبية كما علمنا أن رسائل كثيرة بهذا المعنى أرسلت إلى المركز العام للإخوان المسلمين» (مع الإمام . ص/ ١٩٠)

وبعد أن انتصت بالجماعة تلك التهم الشنيعة . هل سيتحمل المرشد العام حسن البنا نتيجة فكره وخططه ؟؟ ويقول أنا الذي دبرت تلك المكيدة ، وخالفت القواعد التي وضعتها لكم . أم أنه سيبترأ من المخالفين له في الظاهر ، ويقول ' ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين ' . .

الجواب : تصنع المدبرون الاستقالة وقدموها إلى المرشد ، ليتحملوا بمفردهم سوء أعمالهم ، حتى لا تشوه صورة الجماعة ، ولا تشوه صورة المرشد العام .

وقالوا إن منهجنا يخالف منهج الإخوان .. وذلك بعد صدور أربعة أعداد من المجلة . جاء فيها :

« فقد اتتونا إصدار مجلة الكشكول الجديد بروح قد لا تتفق مع أسلوب الدعوة في محاربة الحزبية ، وحتى تتحمل تبعه عملنا وحدثنا أمام الله وأمام أنفسنا وأمام الرأي العام رأينا أن نرفع إلى فضيلتكم استقالتنا من الهيئة وتبعاتها وما يترتب على عضويتها ، وراjin التفضل بقبولها مشكورين » (مع الإمام الشهيد . ص/ ١٨٩ ثم يبينوا في مجلتهم فيما بعد أنهم اختلفوا مع الإخوان في الأسلوب مع اتفاقهم معهم في مواجهة الحزبية ، قائلين : « فالإخوان يرون أن أفضل الوسائل لقتل الحزبية تقوية الأخلاق وبناء شعب جديد على الفضيلة والإسلام ، ولا يريدون أن يشتبكوا مع هذه الأحزاب في حرب ينتصر فيها الحق الواضح وينهزم فيها الباطل الفاشل ، ولا يحبون أن ينزلوا في ميدان التشهير بمخازي هذه الأحزاب ومساوئها حتى تحذرهم الأمة .. ونحن نرى أن هذه الطريقة طويلة وأن موجة الفساد عاتية ، وأنه لا بد أن ينضم إلى هذا الأسلوب الإنشائي البناء الهدم والتعطيم والفضح والكشف للرأي العام عن مثالب هذه الأحزاب ودجلها وتهويلها ... ولما ضقت ذرعا بصبر الإخوان وطول أناةهم لم نجد بدا من أن نصدر هذه المجلة اللاحزبية بهذا الأسلوب الذي يراه القراء ، والذي نعتقد أنه يرضى كل من ضاق ذرعا بمفاسد الأحزاب . الخ ...» المصدر السابق . ص/ ١٩١ .

فنبسوا لأنفسهم الفكرة ، ولم يرجعوا باسم المرشد العام في المسألة .. فالمرشد برىء ، والإخوان أنصع من البياض .. لا يمكن أن يخطئوا ، ولا أن ينزلوا في مهاوى النلون والخذاع .. فقبل المرشد العام الاستقالة .. وقال لهم : « فقد تلقيت استقالتكما من الإخوان المسلمين ، وقرأت ما كتبتم عن ذلك في مجلة الكشكول في عددها ، وعرضتها على الهيئة التأسيسية للإخوان في اجتماعها الماضي ، فوافقت عليها شاكرة لكما جهودكما الصادقة في خدمة الدعوة الكريمة سابقا ، وحسن استعدادكما لخدمتها لاحقا .. وقال لهم : « إني وإن وافقتكما موافقة تامة في وجوب محاربة الحزبية والاستعمار ومقاومة المبادئ الهدامة الفاسدة كائنة ما كانت ، فإني لازلت

أخالفكما في الأسلوب على الصورة التي رأيتهما فسى الكشكول الجديد « مع الإمام الشهيد. ص/ ١٩١-١٩٢).

تبرأ منهم وزعم أنه يخالفهم في الأسلوب .. وهو الذى دير لهم الخطه ، ووجههم إلى مواجهة السباب بالسباب ، والسفالة بالسفالة .. قال عساف : « فكر الإمام حسن البنا فيما ينبغي فعله لمواجهة شائتم جرائد الوفد والرد على سفالهم .. وكانت الفكرة جديدة لم تخطر على بال أحد وكلفتى بتنفيذها .. تلك الفكرة هى إصدار مجلة مستقلة تنبرى في الرد على جرائد الوفد بذات الأسلوب !... » حتى إنه لم يرتض لجريدة الإخوان الرسمية أن تنزل إلى هذا المستوي الوضع في المواجهة ، كما بدا واضحا في قوله : « لا سبيل للرد على سباب الوفد إلا بمثله ! بأسلوب رادع بشرط ألا يمس تاريخ وأدب الإخوان » (مع الإمام الشهيد. ص ١٨٤-١٩٤)

فهو الذى اختار محرري مجلة الكشكول الجديد ، من الكتاب الساخرين .. للقيام بتلك المهمة التى تتناسب مع الفكرة التى وضعها في مقابلة سباب الوفدين له .. ولا يزال الإخوان كذلك إلى الآن على نفس النهج . ما يتخرجون منه لا يكتبونه في صحفهم الخاصة ، إنما يكتبونه في صحف العامة ، حتى إذا انكشف أمرهم كذبوا الصحفى و الصحفية ، أو اتهموه بعدم فهم كلام المرشد .

ولا مانع من التضحية ببعض الأفراد من الإخوان لمصلحة الجماعة .. ولا شك أن هذا النوع من التفكير يفسر حقيقة علاقة حسن البنا بجميع الجرائم التى ارتكبتها الإخوان في زمن حسن البنا والأزمان التى تلته ..

وأوجه النظر إلى أنه على الرغم من هذا التوسع الذى ذكره محمود عساف في تناول حسن البنا لتلك القضية وإيمانه بأنه لا يمكن إيقاف هجمة الوفد إلا بنفس الأسلوب الذى يقومون به ... إلا أن محمود عبد الحليم المؤرخ الإخوانى الكبير لم يشر إلى شيء من ذلك في كتبه ، وإنما قال بأسلوب كله براءة وصفاء :

« ولم يقابل الإخوان هذا الهجوم الغادر بمثله ، بل تذرعو بالبر ، وواصلوا مسيرتهم في هدوء ، وكان الأستاذ المرشد يتمثل بقول الشاعر :

من كان يخلق ما يقول فحيلى فيه قليلة .. (١)

(أحداث صنعت التاريخ ١ / ٥٣١) .

وهذا يدل على أن حسن البنا كان يخفى عن أقرب الناس إليه كثيرا من خططه السرية التى تخالف ظاهر دعوته ... فهو في الخفاء يعد العدة مع محمود عساف مدير مخبراته لمقابلة الإسفاف بالإسفاف ، وفي العلن مع عضو الهيئة التأسيسية محمود عبد الحليم والإخوان يواجه الإسفاف بالصبر والعفة .

التقية فى الأحكام ..

أيضا وعمما يؤكد سلوك التقية في منهج حسن البنا أنه كان يصف الملك فاروق بالوطنى الأول الحريص على الإسلام في الوقت الذى كانت فيه مشاعر الإخوان ضد الملك بالسباب . بما يدل على أن ما كان يسره لأتباعه عن الملك خلاف ما يظهره . ففى أحد رسائله قال للملك : « يا مولاي لقد برهنتم جلالتم في كل موقف على اعتزازكم بتعاليم الإسلام وحرصكم على أن تسود الروح الإسلامى النبيل مظاهر حياة شعبكم المخلص وكنتم في ذلك خير قدوة » التذير. العدد الثانى ٦ ربيع الثانى ١٣٥٧هـ .

وفى رسالة أكتوبر ١٩٤٦م قال له : « إن جلالتم وأنتم الوطنى الأول خير من تتحقق على يديه الآمال ، وتتصلح بسمى حكمته وجميل إرشاده وتوجيهه الأحوال » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤١٩) .

غير أن حقيقة الأمر داخل المجتمع الإخوانى كانت على خلاف ذلك . والذى يؤكد حقيقة مشاعر الإخوان قبالة الملك فاروق - الذى بايعوه على السمع والطاعة ما قالوه عنه بعد الثورة .. فقد وصفوه بالطفل ، الفر الفاسق ، اللئس ، الطاغية .. خلافا لما وصفه حسن البنا أنه المسلم الحريص على الدين ، الوطنى الأول الحريص على شعبه .

فقد قال عنه الضبيى الذى كان يسارع إلى سجل التشريعات الملكية مؤيدا ومحييا : « لقد كنت أشعر وأنا أصافح ذلك الرجل ثم وأنا أجلس معه أنتى أمام طفل

صغير ، لا أشعر نحوه بأى رهبة ولا حتى باحترام» (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٥١٥) ووصفه الغزالي بالغر ، فى كتابه (الإسلام المفترى عليه . ص/ ١٤) قائلا : « فقد طرد ملكها الغر (فاروق) شر طردة ، وهتكت الأستار عن الفضائح المخزية ، التى ظالما ارتكبتها هذا الفاسق وأموأته » أهـ

وجعله فى موضع آخر من أكبر الأصنام : « إن الحملات التى شنناها على الأصنام قد انتهت بتحطيم أكبر الأصنام قدرا » (الإسلام المفترى عليه. ص/ ١٤) ورواه سيد قطب بالسطو ، قائلا : « لم تكن أسرة ملكية بقدر ما كانت عصابة للسطو المنظم وغير المنظم ، عصابة شريرة باغية ، لا تعرف عدلا ولا رحمة ولا خلفا ولا ضميرا » (مجلة الدعوة عدد ٨٣ ، ١٦ ذو الحجة ١٣٧١هـ).

ولقبه عبد الله السمان بالطاغوت الأكبر قائلا : « فمصر التى ظلت قرابة ثلاثة قرون من الزمن من عهد الممالك الطغاة إلى نهاية عهد حفيدهم الطاغية فاروق راکدة لا تتحرك » (مجلة الدعوة عدد ٨٢ ، ٣١ أغسطس ١٩٥٢م) ...

هؤلاء جميعا كانوا يحيونه فى المظاهرات والتهافتات بإذن حسن البنا على هذا النحو . " يعيش الملك .. يحيا الملك " .

قال أحمد رائف : « وكانوا ينظمون المظاهرات تهتف بحياة الملك أثناء ذهابه إلى البرلمان ، وحتى يطمئن الأمن ويسمح للمظاهرة ، ويقس لها الطريق وتقترب من موكب فاروق أكثر ، هنا ترتفع التهافتات الإسلامية الإخوانية » (صفحات من تاريخ الإخوان . ص/ ١٣٠)

وقد ثبت استقبال حسن البنا للملك فاروق .. وذلك عقب انتهاء معسكر الإخوان فى الدخيلة بالإسكندرية . وفيه أمر حسن البنا أتباعه أن يلبسوا زى الجوالاة لمقابلة الملك أمام مسجد السيد جابر . قال محمود عبد الحليم :

«وقد وضح هذا وضوحا تاما حين ذهبنا إلى المسجد واصطففنا أمامه ، وكنا أكثر من مائة جوال يتقدمنا الأستاذ المرشد بملابس الجوالاة وحضر الركب الملكي يتقدمه الملك وحبانیه أحمد ماهر .. فحيناه " هاتفين له وللإسلام " ، فأخذ على ماهر

ييد الأستاذ المرشد وقدمه للملك فلم عليه الأستاذ مصافحا باحترام » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ١٦٣) .

وبهذه الأحداث المتلونة والمفاهيم المقلوبة تأثر قطاع عريض من الشباب والدعاة والقادة الإخوانيين فى زمن حسن البنا بهذا اللون وهذا التذبذب .. فتتغير آراؤهم وأكثارهم فى لحظات ، دون دراية وفيهم ، نتيجة للهزيمة النفسية التى يعيشون فيها ... والواقع الذى هو أكبر من طاقهم الفكرية والعقلية ..

قال الغزالي فى كتابه (من معالم الحق . ص/ ٢١٦) : « وشهدت أخا فاضلا كان ينتقد تصرفات المرشد الحالى انتقادا مرا ، ويصفه فى مجالسه التى يشهد بها لما لم يصفه به محمد الغزالي أو صالح عسماوى .. فإذا هو فى اجتماع الهيئة يدافع عن هذا المرشد نفسه دفاع الأبطال ويحاول فى - عصبية - أن ينفى عنه كل شبهة ويدرا عنه كل نقیصة .. فسألت فى دهشة أتغير المرشد أم تغير الأخ ؟ ..

فقيل لى بل الأخ تغير...

كان غاضبا من قبل لأنهم افتانوا على منصبه فى الدعوة ووضعوا فيه أحد المقررين ثم بدلت الحال غير الحال وأصبح المصطفى المقرب مغضوبا عليه .. فرأى صاحبنا القديم أن الفرصة سنحت وأنه وشيك أن يسترد مكانته إن هو اتحنى واستدار إلى العيوب والأخطاء بعين الرضا لا بعين الإنصاف .. أهـ

فهل كان هذا اللون بعلم حسن البنا ؟ . وهل تأثر الإخوان بطبيعة تكوينه وهزيمته الداخلية ، التى أثبتها سيد قطب ؟ أم أنهم تأثروا بأسلوب إدارته للحوار مع أصحاب المذاهب المتعددة وتقربه إليهم ، كل حسب مذهبه .. من الشيعة الراضى إلى النصراني إلى اليهودي ؟ ..

والجواب : نعم كان حسن البنا يظهر للواقع خلاف ما يظن ، وكان يتعامل بالتيقن التى تعلمها من نواب صفوى الشيعة والكاشاني وتقى الدين القمى .. فقد كان يمدح الملك فى رسائله الشخصية غير أنه كان فى حقيقة الأمر يسبه ويصفه بالطاغية ، وذلك فيما بينه وبين أتباعه .

قال فتحي العسال في كتابه (الإخوان بين عهدين . ص / ١٠٦ . ١٠٧)
 نقلا عن حسن البنا أنه قال في الملك فاروق وأعوانه : « إننا لا نثق بهؤلاء الطغاة ..
 الذين يستمدون سلطانهم من الطاغية الأكبر .. وكان يسيهم المبارقة أى عبيد فاروق
 .. قال العسال : « كان يعلم أن المجد وأن العز وأن الحرية لن تنال بمفرم يتصدق عليه
 به طاغية مجرم مفتون - يريد بذلك الملك فاروق - ثم رماه بالكفر وجعله من أهل
 النار قائلا : لا يسمنا أن نقول لمثل هؤلاء ونوجه إلى كل أتم منهم «نمتع بكفر قليل
 إنك من أصحاب النار» [الزمر ٨] أهـ

التقية ملكة ومنهج ...

كان هذا المنهج ملكة يتعامل بها الإخوان مع مخالفاتهم.. وتلك هى الحقائق:

١- الهضيبي وحل الجماعة ...

كان عبد الناصر على علم بأن مرشد الإخوان حسن الهضيبي يستخدم المناورة في التعامل مع ضباط الثورة ، وهذا هو الذى أبعد المسافة بينهما. والشاهد على ذلك أن عبد الناصر قال في اجتماعه مع وفد الإخوان : « إننى سبق أن تحدثت مع المرشد العام وقلت له إن الواجب يقتضى من الإخوان أن يحلوا تشكيلاتهم التى فى الجيش ويحلوا الجهاز السري حيث لا مبرر لوجودهما الآن بعد أن قامت الثورة ، فكان رد المرشد : إننا ليس لنا تشكيلات فى الجيش ونحن بصدد حل الجهاز السري ، فقلت له : بإفضلية المرشد أنا أعرف أن تشكيلات الإخوان فى الجيش لا زالت موجودة ولكنه أصر على الإنكار»[أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٤٠٥].

فهل كان المرشد حقا يعمل على حل التنظيم السري بعد الثورة ، باعتبار أن الغاية التى أنشأت من أجله قد انتهت - الاحتلال - أم أنه كان يعمل على امتداده وإعادة هيكلته ، لتنفيذ استراتيجية الإخوان المعروفة وإطالة أمد النزاع ؟

والجواب على ذلك : قرر المرشد العام عزل عبد الرحمن السندى من رئاسة التنظيم الخاص بحجة أن الدعوة لاحتاجة بها إلى السرية . قال محمود عبد الحليم : « وكان الهضيبي قد عزله بعد أن أعلن أن لا سرية فى الدعوة »[أحداث صنعت اتاريخ. ٣ / ٤٤] بينما الحقيقة خلاف ذلك ، فقد قرر المرشد توكيل حلمى عبد المجيد للقيام بمهام رئيس التنظيم السري .. قال أحمد رائف :

« قرر المرشد العام عزل عبد الرحمن السندى عن رئاسة التنظيم .. وصار حلمى عبد المجيد رئيسا للنظام الخاص بدلا من السندى ، وكان عليه مسئولية إبلاغ قيادة النظام بهذا التكليف الجديد. وكان حلمى عبد المجيد مناورا فجمع مجلس قيادة

النظام وتلطف في إبلاغهم التكليف الجديد» (الصفحات. ص/ ٢٤٨)

وهذا هو الذى أفقد ثقة عبد الرحمن السندى ورفاقه فى مقام المرشد ، ولذلك انقلبوا عليه .. وكانت تلك المناورات من أهم الأسباب التى أدت إلى حل جماعة الإخوان ، كما جاء فى قرار الحل الذى أصدره مجلس قيادة الثورة ، الذى نقله السيسى فى كتابه (فى قافلة الإخوان . ص/ ٣٧٦) وفيه :

« بعد أن تعين الأستاذ الهضيبي مرشدا للإخوان لم يأمن إلى أفراد الجهاز السري الذى كان موجودا فى وقت الإمام الشهيد حسن البنا برئاسة السيد عبد الرحمن السندى فعمل على إبعاده معلنا أنه لا يوافق على التنظيمات السرية ، لأنه لا سريّة فى الدين ، ولكنه فى نفس الوقت بدأ إعداد تنظيمات سرية جديدة تدعى بالولاء والطاعة له » أهد

٢- الهضيبي والصحافة ..

وإمعانا فى إظهار عدم الاتفاق مع الثورة ، وهروباً من تحمل المسؤولية فى حالة الفشل صرح حسن الهضيبي لندوب جريدة " المصرى " تصريحاً قال فيه :

« ليس هناك صلات سابقة بين الإخوان والجيش . وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش فى حركته الأخيرة أمر غير صحيح » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٣٩) بينما الحقيقة أن للإخوان اتصالات بضيابط الثورة بلغت إلى الحد الذى نسب فيه الهضيبي الثورة إلى الإخوان - وهى ليست كذلك - حتى إنه قال لحلمى عبد المجيد رئيس التنظيم الخاص الذى عينه بدلاً من عبد الرحمن السندى : «بلغ عبد الرؤوف (وأبو المكارم) عبد الحى أن هذه الحركة حركتنا ، ونريد لها النجاح، وعليهما ألا يدخرا وسعاً فى ذلك» (الصفحات. ص/ ٢٥١)

٣- التقيّة عند مصطفى مشهور...

كان الأستاذ مصطفى مشهور عضواً فى التنظيم الخاص ، وقد قبض عليه فى قضية السيارة الجيب ، التى كانت تحتوى على أسرار التنظيم فى زمن الملك . وعندما تولى مسئولية الجماعة قام بمسيرة الواقع السياسى :

وقال لا مانع من التعددية الحزبية ، وطالب بحزب سياسى للإخوان ، وإن ترتب على ذلك وجود حزب نصراني (الإخوان سبعون عاما. ص/ ٢٦٠) .. غير أنه صرح بعد ذلك أن هذا الأمر مجرد تكتيك سياسى تسلكه الجماعة ، وليس استراتيجية عامة لها .. وصرح أن كل ما يدعو إليه الإخوان من النواحي السياسية فى فترة العمل الدعوى التى ليس لهم فيها سلطان ما هى إلا مناورات تفرضها الظروف ، أما الدولة فالأمر فيها بخلاف ذلك .. وقد وضع ذلك فى الندوة التى دعا إليها " مركز الدراسات الحضارية فى القاهرة " وقد نقل عنه فهمى هويدى فى كتابه " الإسلام والديمقراطية . ط . مركز الأهرام . ١٩٩٣ ، ص ٨٤ " قوله : « يحتاج الأمر إلى تفرقة بين مرحلة الدعوة ، حيث هناك أوضاع مفروضة على الإسلاميين ولا خيار للإسلاميين فيها . وبين نموذج الدولة التى يتصورها الإسلاميون .. وأنا لا أرى محلاً فى الواقع الإسلامى لفتح الأبواب أمام المخالفين للإسلام للدعوة لمبادئهم ، سواء كان هؤلاء من العلمانيين أو الشيوعيين ، وهذا من قبيل الرواية التى ينبغى التماسها لتأمين المجتمع والدفاع عن قيمه الإسلامية وعافيته الإيمانية» أهد

قلت : هذا سلوك باطنى . ومن الواجب أن يبين حكم الإسلام الذى زعم هو وجماعته أنهم متخصصون فى العيش من أجله والموت فى سبيله ، لا أن يتلاعب بالواقع ، مهما كان هذا الواقع ، فضلا عن المبادئ والأفكار . فالناس لا يلزمهم تاريخ الجماعة ولا فكرها ولا تجاريلها ولا وجودها .. الناس يلزمهم كتاب الله وستة رسوله ﷺ وإجماع الأمة .

٤- التذبذب فى فكر محمد عاكف

لم يكن من الممكن أن يظهر الإخوان أنفسهم على الساحة السياسية إلا بعهد أمّان .. فلم يكن لهم قوة فى الدين تحمّلهم بند هذا الزمن الطويل الذى عاشوا فيه تحت الأرض أن يظهروا أنفسهم من تلقاء أنفسهم . فهم دون ذلك .

فقد كانوا يخفون تحت اسم " التيار الإسلامى " وكان الرجل منهم يخاف أن ينسب نفسه إلى الإخوان . فكيف بهم يظهرون بهذه الكيفية فى الانتخابات

البرلمانية عام ٢٠٠٥ م. ؟ لابد أن شيئا قد حدث !

وباستقراء الأحداث يتبين أن تصريحات الآتسة كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية في "واشنطن بوست" ٢٦ مارس ٢٠٠٥ أفادت الإخوان كثيرا في هذا الأمر ، فقد أعلنت رايس أنها : « لا تعبر اهتماما لمخاوف من انتصار الإسلاميين المتشددين وحلولهم مكان الأنظمة القمعية » ، لأن جذور التطرف تنشط في «غياب القنوات البديلة للنشاط السياسي» (إسلام أون لاين . نت . ٢٥ / ٣ / ٢٠٠٥ م)

لعل هذا هو السبب الذي من أجله تأسد الإخوان .. وخرجوا في انتخابات ٢٠٠٥ م باسمهم القديم ، وقالوا " نحن الإخوان المسلمون " . وعلقوا الرايات السوداء في جميع أنحاء مصر وعبروا عن أنفسهم بخطوط بيضاء ..

وبدا الأستاذ عاكف يرفع درجة المواجهة ، وبدأ يستخدم ألفاظا سوقية ، في أحاديثه الصحفية ، لتأليق بالدعاة إلى الله تعالى . ومن ذلك ما قاله تعقيبا على قول أحد الصحفيين الليبراليين " أنا لا يحكمنى إلا مصري " فاعترض المرشد - الذى لا يقبل أن يخرج منصب المرشد العام للإخوان من مصر إلى غيرها من الدول - قائلا له : « طظ في مصر وأبو مصر واللي في مصر » أهـ وتلك هى رواية الصحفي . أما الذى اعترف به الأستاذ المرشد . فقد قال كما في موقع (إخوان أون لاين . ١٦ / ٤ / ٢٠٠٦ م : « قلت له : " طظ فيك ، وفي مصر " أهـ .

غير أنه حين قلبت أمريكا الترس ، وقالت على لسان روبرت زوليك نائب وزير الخارجية الأمريكية : « إن الولايات المتحدة تحترم الحظر القانوني الذي تفرضه الحكومة المصرية على الأنشطة السياسية لجماعة الإخوان المسلمين المعارضة ، وتعتقد أنه منطقي » (إسلام أون لاين . نت / ١٥ - ٧ - ٢٠٠٥) .

تغيرت الأمور وبرزت التصريحات واستخدموا لغة النعامة ، وقالوا نحن نتحرم منصب الرئيس ، ونريد أن نجلس معه ، نحن وطيون ، لا نرضى بفرض الإصلاح من الخارج .. الخ ... فهم عند الكثرة العددية والضغط الدولي يحملون الدولة كافة المصائب والمفاسد ، ويخرجون بالمظاهرات ، ويضعون المجتمع على حافة

التفكك والانحيار . وفي وقت الضعف يبايعون ويتزلفون .. ويقولون يجب أن نتعاون مع الحكومة في هذا التوقيت ، بدلا من تفتيت الجهود ، كما قال محمد عاكف في ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤ م في حوار أجرته معه جريدة " الزمان اللندنية " : « إن من يسعى إلى السلطات في مصر هذه الأيام جاهل ؛ لأن السلطات في حاجة إلى من يعينها على ما هي فيه الآن ، وقال : " إن هذا التوقيت يتطلب التعاون مع النظام الحاكم لإنقاذ الشعب مما لحق به وعمّا يعانيه هذه الأيام ، بدلا من تفتيت الجهود " . وقال : « الإخوان لا يسعون للسلطة ، بل يمدون أيديهم للنظام الحاكم للحوار ، مشيرا إلى أنه " ليس هناك عاقل يتشغل هذه الأيام بالسعي للسلطة وسط تردى الأوضاع الداخلية مع تصاعد التحديات الخارجية . قال : " إن هذه التحديات والأوضاع الراهنة تفرض على الجميع ضرورة تكاتف كافة الجهود لتخطي هذه التحديات .. وعن دور الإخوان في السياسة المصرية في الفترة القادمة شدد فضيلته على أن الإخوان سوف يعملون على ترسيخ الاستقرار ومد جسور الحوار ، والتصالح مع السلطة للعمل على نهضة مصر » (إخوان أون لاين ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤ م).

هذا في وقت الضعف ... غير أنه حين تحقق للجماعة بعض المقاعد في مجلس الشعب قلب وجه المنح ، وأظهر القوة الحقيقية للجماعة ، وتطاول على الدولة والمجتمع . وقال في حوار مع محمد عبد القدوس في جريدة (الدستور ١٥ ، يونيو ٢٠٠٥ م) أقوالا لا تتناسب مع أخلاق الإخوان ، التي تنعز بها الجماعة ، منها قوله : « العقول التي تحكم مصر عقول عفة !! لا ترى إلا تحت قدميها ، ولا تبحث إلا عن مصلحتها ، وهم يكذبون على الناس ، ويستخفون بعقولهم » أهـ . وقال في حق الأحزاب التي أتاحت له الظهور السياسي وفتحت له الطريق : « على الجميع أن يحمد ربنا لأننا لم نظهر القوة الحقيقية للجماعة في هذه الانتخابات . فالقوة السياسية للجماعة تمكنها من المنافسة على غالبية مقاعد مجلس الشعب ، لكننا لم نخض الانتخابات بكل قوتنا الانتخابية ، وإنما بعدد متواضع لمنعنى الفرصة للآخرين » (جريدة الغد في ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٥ م) ..

وعندما عاد لهدوئه وثاب إلى رشده دعا إلى المصالحة الوطنية، ليحافظ على المكاسب التي أنفق من أجلها الملايين، قائلا: « فإننا ندعو الجميع - بما فيهم أهل السلطة - إلى مصالحة وطنية تجمع القلوب والعقول والجهود وتصب في وعاء مصلحة الأمة » (إخوان أون لاين - ١١ / ١٢ / ٢٠٠٥)

فكل موقف له صورة خاصة، وكل مكان له حديثه المناسب.. فالصحف القومية والدولية لها تصريحات، والصحف الإخوانية لها تصريحات. والدولة لها خطاب، والأحزاب لهم خطاب، والمجتمع أيضا له خطاب. بل والمجتمع الدولي له كذلك خطاب آخر... وكل زمن له خطاب. ولكل حادث حديث! فالأستاذ عاكف في "آفاق عربية" رجل ثوري لن يهدأ له بال حتى يسقط النظام، « وقد أعلن الإخوان من قبل أنه إذا لم تتوافر إرادة الإصلاح عند النظام فلن يكون هناك إصلاح، وأمام الإخوان وقت طويل للعمل على إسقاط هذا النظام الفاسد » (آفاق عربية ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٥)

وما الكيفية التي سيسقط بها النظام؟

أجاب كما نقل عنه الأستاذ صبحي مجاهد: « لوح المرشد العام للإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف أن جماعته لن تتوانى عن إعلان إضراب عام أو عصيان مدني في مصر ما دام "سيحقق العدل والإنصاف والحرية للشعب"، ولكنه قال: "لم نصل بعد إلى هذا" (إسلام أون لاين.نت/ ٨-٥-٢٠٠٥)...

أما عاكف في الشرق الأوسط الصادرة في ١١ ديسمبر ٢٠٠٥ فهو رجل مسالم ليس مشغولا بإسقاط النظام. قال: « أنا مشغول بكيفية النهوض بمصر، ومن يريد أن ينهض بمصر يتعاون مع الجميع، وليس في ذهني إسقاط فلان أو إعلان، في دهنتنا مصلحة مصر فقط، وحينما نتحاور مع أي حزب أو جهة ونصل إلى شيء فيه المصلحة نحن معه ».

غير أنه بعد عدة أشهر نسي ما رآه في الشرق الأوسط من اتخاذ طريق الإصلاح وترك النزاع، وعاد يتقمص صورة الزعيم المنهزم مرة أخرى، فقال في

لقائه مع الأستاذ ماهر حسن في جريدة العربي الناصري ردا على سؤال: وهل تعتقد أنه في ظل نظام.. كالذي نعيش تحت وطأته أنكم قادرون على زعمته، أو على الأقل كسب أرض في ظله.. الخ؟ فقال: « بالصبر والجلد والثبات نزرع الخلفه كمان. الخ » أه..

ومحمد عاكف في حديثه مع وكالة "الأسوشيتد برس" يطمئن العالم الغربي، ويقول نحن مع معاهدة السلام الموقعة بين مصر وإسرائيل ولن نغيرها. ولن نحارب إسرائيل كما نقل موقع الإخوان. نافذة مصر: « وسعى عاكف لتبديد المخاوف الغربية من الصعود اللافت لجماعته في هذه الانتخابات بالتأكيد على أن الإخوان لن يسعون! لتغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل. وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها » أه.

غير أن عاكف مع جريدة "الموقف العربي المصرية" في ١٧ / ٦ / ٢٠٠٦م أنكر معاهد السلام مع إسرائيل، ورفض وفاء الإخوان بها في حالة وصولهم إلى الحكم، كما نقل عنه موقع "إخوان أون لاين. ١٨ / ٦ / ٢٠٠٦م": « وأضاف عاكف أن الإخوان يحترمون الاتفاقيات والمعاهدات التي توقع، غير أنهم لا يعترفون بهذه الاتفاقيات، كما أنهم لا يحترمونها » أه.

وقد تأثر آخر موقف لعاكف من معاهدة السلام بالمفهوم الديمقراطي، وذلك بعد طول ممارسة في عالم السياسة. إذ علق الموافقة على معاهدة السلام على رأي الشعب. أما أقوال العلماء والأئمة الذين وافقوا على تلك المعاهدة فلا يعبأ بها.. وقد ذهب إلى ذلك، قائلا: « نحن كإخوان نحترم كل الاتفاقيات الدولية التي تمت مع كل الدول الأجنبية، لكن معاهدة كامب ديفيد تحديدا وما تبعها من علاقات سياسية واقتصادية سنقوم بمراجعتها وعرضها على الشعب في استفتاء، فإذا رفضها الشعب ألغيت، ذلك لأن المعاهدة وقع عليها نظام ديكتاتوري لم يأخذ رأي الشعب فيها... » (الكرامة ٢٠٠٧ / ٥ / ١م)

٥- مناورات القرضاوى مع الصحافة ...

بعض الإخوان يتكبرون دور الرئيس السادات فى فتح أبواب الدعوة لهم فى بداية السبعينات ، بعد أن أخرجهم من السجون والمعتقلات .. وقليل منهم من يثبت ذلك .. والشيخ القرضاوى ينكر هذا الدور إذا تكلم فى كتبه ومذكراته ، ويتهم من يثبتها بالتهافت ، أما إذا تكلم فى وسط الصحافيين والمفكرين فإنه يثبت دور السادات ويقدره . أما إنكاره له .. فقد قال فى جريدة (آفاق عربية . ١٦ شعبان ١٤٢٥) : « وهكذا ولدت الصحة ولادة طبيعية .. ومن هنا لا أجد معنى للذين يزعمون إنها نشأت بفعل فاعل ، وصنع صانع ، وإن الذى صنعها هو الرئيس السادات ، الذى أرخى العنان للإسلاميين لضرب بهم الشيوعيين .. »

وقد رددنا على هذا الكلام المتهافت فى كتابنا (الإسلام والعلمانية وجهها لوجه) وبيننا ما فيه من وهن وخلل ، وأنه عار من كل حجة ، وأن صحة الشعوب لا يصنعها غير الشعوب ، ولو كان السادات صانعها لأمكنه أن يلغينا عندما رأى خطرهما عليه .. أه ...

أما ما ورد ضد ذلك .. فقد قال فى لقائه مع مجموعة من الصحافيين فى جريدة (الأهرام ١ أكتوبر ٢٠٠٤م) :

« وكنت أقول دائما وبصراحة أن الصحة الإسلامية المعاصرة بدأت فى مصر وانتقلت منها إلى بلاد عربية وإسلامية شتى ، فقد بدأت أول ما بدأت حينما جاء الرئيس السادات (رحمه الله) وأخرج الناس من المعتقلات وأغلقها وترك للناس الحرية ونادى بسيادة القانون وأصبحت هذه الصحة بعد انطلاقها فى مصر تملأ الآفاق فى المشرق والمغرب » أه .

وتلك المواقف توضح مدى تذبذب القرضاوى ، وضعفه أمام التاريخ ، خاصة إذا تعلق الأمر بالحكام المخاصمين لحركة الإخوان .. وتؤكد عدم الأمانة العلمية فى المسائل الدينية ، تلك التهمة التى اتهم بها الدكتور صالح بن عبد الله الفوزان فى كتابه (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام ص/ ٣٣) تعليقا على نقل

القرضاوى لكلام القاضى ابن العربى فى كتابه « الحلال والحرام » الذى زاد فيه ونقص ، فى فتوى ذبائح أهل الكتاب مبينا : « أن المؤلف تصرف - هداة الله - فيما نقله من كلام ابن العربى فزاد فيه ونقص وغير بعض كلماته - وهذا عمل يتنافى مع الأمانة العلمية والخشية الإلهية » أه

أما قوله : « لو كان السادات صانعها لأمكنه أن يلغينا . الخ »

فهذا يقال فى الخلق .. يعنى لو كان خالقا بنفسه لأفناها بنفسه ، أما المخلوق فهو قاصر عن إدراك شئون نفسه .. فكيف يدرك أمور الخلق ؟! وليس بمجرد الأسباب يدرك المرء ما يشاء .

أما قوله « صحة الشعوب لا يصنعها غير الشعوب » فهو محل نظر .

وهو قول ناتج من كون الإخوان لا يعترفون بدور الحكام فى قيادة الأمم وإيقاظ الهمم .. والأمر كله لله تعالى .. هو الذى صنع ، وهو الذى دبر ..

فهل تحديد القرضاوى لبداية الدعوة فى مصر كان فى زمن السادات حقا أم أنه بدأ بعد هزيمة ١٩٦٧م فى زمن عبد الناصر ؟!

نرجع إلى القرضاوى لنرى كيف تختلط عليه الأمور !

قال القرضاوى : « وهذا ما حدث بعد ٦٧ فقد حدثت بقطة دينية عامة ، وأحس الجميع بقرهمقى إلى الله ، وتنادى الناس بضرورة التوبة إليه والوقوف على بابيه جل وعلا ، وتحلى أثر ذلك فى المساجد وفى البيوت وفى الجامعات وفى الجيش وفى غيرها .. الخ » (آفاق عربية . ١٦ شعبان ١٤٢٥هـ) .

فالدعوة فى زمن عبد الناصر انتشرت بين جميع فئات المجتمع ، حتى طالعت الجيش والسلطة ..

فهل سببت القرضاوى على ما قاله .. أم تستغبر به الأمور . هل السادات هو الذى فتح الباب للصحة .. أم أنه لا علاقة له بها ؟!

هل نكبة يونيو ١٩٦٧م أحدثت بقطة عامة فقط .. أم أنها فتحت باب الحرية

للمحركات الإسلامية في الدعوة إلى الله .. ؟

هذه هي نقليات القرضاوي . ولذا أقول لا بد من مراجعة هذا التاريخ مرة أخرى ، والتثبت مما قاله الإخوان عن تلك الحقبة وما أشاعوه ، وعدم التسليم لهم في دعاواهم .. خاصة أنهم أقاموا دعوتهم على هذا التاريخ ، وزكوا أنفسهم ونالوا به المكانة والوظائف في دول الخليج ..

الجماعة الأم..

يتباهى الإخوان دائماً ويزعمون أنهم الجماعة الأم ، وأنهم الأساس في النهضة الدينية .. وقد أشاعوا ذلك في المملكة السعودية ليتحقق لهم سبق في كل ما يخص الإسلام .. وهذا كذب صريح مخالف لحقيقة الواقع ، ذلك لأن أول جماعة دعوية أنشأت في مصر كانت جماعة أنصار السنة المحمدية التي هي امتداد لدعوة السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم) . وقد أنشأها الشيخ محمد حامد الفقى (رحمه الله) عام ١٩٢٦م ، ثم نشأت بعدها الجمعية الشرعية عام ١٩٢٧ ، ثم أنشأت حركة الإخوان في أواخر عام ١٩٢٨م ..

فليست جماعة الإخوان هي الجماعة الأم ، غير أنه يصح أن تكون كذلك باعتبار تولد جميع المنظمات التكفيرية والانقلابية منها ، فقد كانت كتب أدبياتهم ومفكرتهم المصدر الأول لهذا الفكر في العالم الإسلامي .. أما أنهم كانوا سببا رئيسيا في نشر الدعوة في الجامعات المصرية في فترة السبعينات ، فهذا أيضا غير صحيح ، ويوضح ذلك القرضاوي نفسه ، فيقول في مجلة (آفاق عربية . عدد ٦٧٧) : « إن هذه الجماعات الإسلامية التي ظهرت في الجامعات لم تكن في أول أمرها مرتبطة بأي جماعة ، ولم تنشئها أى جماعة لا الإخوان ولا غيرهم ، لقد كانت نشأة عفوية تلقائية ، من صنع الأحداث ، وبترتيب قدرى إلهي . وسرعان ما أصبح لهذه الجماعات صوت مسموع ، ولواء مرفوع » أهـ .

٦- مناوآرات أبو الفتح ..

يعتبر عبد المنعم أبو الفتح " عضو مكتب الإرشاد سابقا " الوجه الليبرالي المعاصر لحركة الإخوان المسلمين . ومناوآراته لها مجالات متنوعة . فهي لا تنف عند حد التلاعب السياسي ، وإنما تمتد إلى التلاعب الفكرى في ساحة الحوار المفتوح مع الأدياء والمفكرين . ففى لقاءه مع قناة " الجزيرة الفضائية " أكد أن الإخوان لا يسعون إلى إسقاط الأنظمة ، وإنما يسعون إلى إصلاحها ، قائلا : « نحن لا نسعى لإسقاط الأنظمة ، لكن نسعى لإصلاحها ولتغييرها » (الجزيرة نت ١٤ / ٢ / ٢٠٠٥ م) غير أنه فى لقاءه مع جريدة (الكرامة . الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٥ م) يتمنى العصيان المدنى ، والوصول إلى الحكم ، فيقول : « نحن نشارك الآن فى العصيان السياسى ، وقاطعنا الاستفتاء . والعصيان المدنى أمل تمنى أن نصل إليه بوعى شعبى ونضج سياسى ، يستلزم أولا بذل جهد ومظاهرات شعبية واسعة » أهـ .

* أما بشأن التلاعب الفكرى .. فابتداء أقول : منذ ما يقرب من خمسين عاما كتب الأزهر تقريراً حول رواية " أولاد حارتنا " التى ألفها الروائى نجيب محفوظ ، وأصدر توصية للرئيس عبد الناصر بمصادرتها . وقد استجاب لها بالفعل .. وقد ذكر الغزالى ذلك فى مناقب عبد الناصر ، فقال : « لقد ألف الأديب الكبير نجيب محفوظ روايته " أولاد حارتنا " ، وكان ذلك من خمس وثلاثين سنة ، والرواية فيها إزرار على الإلبيه والنبوات وموارث الوحي كلها ، وقد طلب الأزهر مصادرتها ، واستجاب جمال عبد الناصر للطلب » (الحق المرعد ١٤ د - ص / ٢٢)

وقد استجاب نجيب محفوظ لذلك .. وأصر على عدم نشرها فى مصر إلا بعد موافقة الأزهر ، غير أنها كانت تنشر بإذنه فى بلاد أخرى . فماذا يفعل الإخوان الآن وهم يعدون أنفسهم للحكم .. والتكنيك فى مثل هذه الظروف قائم على مسابرة الواقع ، وتجنب الصدام مع أقطاب المجتمع ، اكتفاء بالصدام مع الدولة .. ولا بد من طمأنة أصحاب الفكر والفن والثقافة - ولو تصادم ذلك مع الإسلام أو على الأقل مع مواقف إخوانية سابقة - لأجل أن تكفى ألسنتهم عن نقد الإخوان أو

التعرض لتاريخهم القديم ..

فمن يقوم بهذا الدور؟

دائما ما يزعم عبد المنعم أبو الفتوح أن أقواله تعبر عن الشريحة العظمى لجماعة الإخوان ، كما تقدم .. وبناء على ذلك سعى إلى المشتريات والصالونات ، ومعه حقبة التنازلات والرخص التي يقدمها الإخوان لكافة الخصوم من أجل الوصول السياسي .. وعند زيارته للروائي نجيب محفوظ قام بضرب بلسانه كل معارض لفكره وفكر الإخوان .. ابتداء من علماء التوحيد في المملكة السعودية وعلماء الأزهر في مصر ، وانتهاء بالأديب الأستاذ سيد قطب ، كما طال لسانه أيضا الدكتور/ جابر قميحة ، وهو أحد الأدباء المشاهير في دعوة الإخوان .. فصار يطعن في أديباته ويحتقر شعره .. وفتح المجال لنشر الأعمال الفكرية باختلاف صورها ، حتى ولو كانت تدعو إلى الكفر والإلحاد ، وذلك بحجة حرية الإبداع والفن والثقافة .. فلا حق لأحد أن يصادر فكرا مهما كان هذا الفكر .. ولترك لهذا الفكر التغلغل في الأمة ، وليسمعه الناس باختلاف ألوانهم وثقافتهم ، وليصد عن سبيل الله من يصد ، ومن أراد أن يرد فليرد .. قال أبو الفتوح في تلك الزيارة : « لم يكن لدينا أي موقف ضد الإبداع حتى لو سار في طريق الزندقة والإلحاد: لأن الفكر لا يقاوم إلا بفكر . ونحن ضد صدور قرارات إدارية من أي جهة بما فيها الأزهر بمصادرة قصص وروايات أو أي إبداع فني ، وعلى من لا يعجبه أي إبداع فني من أي جهة أن يكتب ضده أو يؤلف ضده أو يعمل فيلما ضده» (إسلام أون لاين ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٥م)

وعلى الرغم من أن الروائي الأديب نجيب محفوظ رفض نشر روايته " أولاد حارتنا " إلا بعد موافقة الأزهر ، لأنه يعلم أنها الهيئة المنوط بها النظر في مثل هذه الأمور ، حتى ولو رفع الأمر للقضاء ، فإن القضاء بدوره لن يحكم في شيء إلا بعد النظر في رأي الأزهر ، إلا أن عبد المنعم أبو الفتوح داهن نجيب محفوظ ، ودعا إلى نشر تلك الرواية ، دون انتظار لرأي الأزهر ، مع ما فيها من إشارات تنتزل بالضرورة على الأنبياء والرسل .. وما فيها من طعن في الربوبية والإلهية والتاريخ النبوي ، ورفع

للحضارة الغربية على التاريخ الإسلامي .. كما شهد بذلك مشايخ الأزهر فيما نقله عنهم الشيخ الغزالي .

سأل الروائي يوسف القعيد عبد المنعم أبو الفتوح ، قائلا : هل توافق على نشر رواية " أولاد حارتنا ؟! "

قال أبو الفتوح : « بالتأكيد يجب أن ننشر ، بل أرفض موقف الأستاذ نجيب محفوظ الذي يصير على موافقة الأزهر قبل النشر ، أنا أرى أنه ليس هناك داع للحصول على هذه الموافقة ، بل يجب أن نتقدمها .

وأوضح أبو الفتوح أنه قرأ أولاد حارتنا منذ فترة طويلة ، وأضاف : التحدي الحقيقي لنا جميعا هو الفقر وليس الإبداع !» (إسلام أون لاين ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٥م) (العربي . ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥م).

وإمعانا في إرضاء الأدباء بكل سبيل قام أبو الفتوح بحملة تشنيع بالغة على كتابات د/ جابر قميحة وشعره ، الذي تنشره أفاق عربية . حتى جعل كتاباته لم تكن إلا نتيجة لعزوف المثقفين الحقيقيين عن الكتابة في تلك الجرائد.

قال يوسف القعيد : إن هناك جريمتين تنميان إلى جماعة الإخوان هما " آفاق عربية" و" الأسرة العربية " وصفحات الفن والثقافة منهما ليس لهما علاقة بالفن والأدب .. قال أبو الفتوح : « أنا ضد ما يكتبه جابر قميحة من شعر وكتاباته ليس لها علاقة بالفن أو الثقافة ، ولكن وصلت هذه الصفحات إلى ما هي عليه بسبب عزوف بعض المثقفين عن الكتابة والنشر في هذه الجرائد » (إسلام أون لاين ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٥م) (العربي . ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥م)

الوجه الآخر ..

هذا هو ما قاله عبد المنعم أبو الفتوح في وسط المفكرين والأدباء .. أدى دوره المنوط به ، وطمان المفكرين ، كما طمأنهم من قبل سيد قطب في كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية. ص/ ٨٤) ، وقال إن التحدي الحقيقي لجماعة الإخوان هو في الفقر وليس في الفكر والإبداع . ولكنه عندما خرج عن النطاق العملي الذي

أداه في محيط الأدباء والمفكرين انقلب على نفسه وعلى دوره السابق .. فبعد أن كان يقول يجب نشر رواية " أولاد حارتنا " ، قال إنه لا يطالب بنشرها ، وذلك في جريدة الخميس ٥ / ١ / ٢٠٠٦م : « أما عن موضوع أولاد حارتنا فانا اختلف مع الرواية ، وأكدت ذلك لمحفوظ أثناء زيارته ، إلا أنه ليس معنى ذلك أنني أطالب بنشرها»أه...

وأجاب على اعتراض سابق للإخوان على نشر تلك الرواية بأنه متعلق بنشرها وطبعها على نفقة دافعي الضرائب ، كما أصل في اعتراض جمال حشمت على رواية " أعشاب البحر " . وليس على مضمون الرواية من الناحية الدينية ..

وبعد أن أسقط د/ جابر قمحية وضع شعره ، وجعل ظهوره في الجرائد الإخوانية لم يكن إلا بسبب غياب القنوات البديلة . زعم أنه يكن له كل احترام وتقدير ، قائلا : « أما بخصوص جابر قمحية فانا اختلف معه في بعض كلماته الشعرية التي يستخدمها إلا أن ذلك لا ينفي أنه محل تقدير واحترام »(جريدة الخميس ٥ / ١ / ٢٠٠٦م) ..

أبو الفتوح والغزالي..

فقال بشأن رواية " أولاد حارتنا " : انشر ولا تنتظر رأى الأزهر ! وفي موضع آخر قال : لست مع نشرها! . وفي شأن الدكتور جابر قمحية قال إنه ضد كتاباته ! وفي موضع آخر قال إنه ضد بعض كتاباته ، وإنه يكن له كل احترام . فأيها تصدق ! أبو الفتوح «الذي هنا نجيب محفوظ بعيد ميلاده في فرح توب وأعطاه قلما فاخرا هدية ، وقال له : « كم نحن فرحون أن يدلك عادات الكتابة مرة أخرى بعد أن أراد الظالمون أن يسكنوا هذه اليد وهذا الصوت»أه أم " أبو الفتوح " الذي في جريدة الخميس !

أما بشأن رأى محمد الغزالي في رواية " أولاد حارتنا " فقد فوجيء عبد المنعم أبو الفتوح من قبل الأستاذ ماهر حسن " الصحفي بجريدة العربي " بوجهة نظر الغزالي في الرواية . كما فوجيء بالتوصية التي رفعها للأزهر بشأنها ، والتي تنص على رفضها جملة وتفصيلا . حيثند لم يعلق المذكور على ما قاله الغزالي ، وانصرف إلى المعارضين له ، واتهمهم بانتهاج الفكر التكفيري . قال الأستاذ ماهر حسن : «

الكثير من أفكارك الدينية تدلن بها للشيخ الغزالي الذي وصفته بالمعتدل والمستنير ، ولكن الشيخ الغزالي هو الذي رفع توصية بمصادرة " أولاد حارتنا " لتجنب محفوظ ، ثم وجدناك تذهب لمجلس نجيب محفوظ تهته بعيد ميلاده ، ثم لوحقت بعد ذلك بتصريحات إخوانية مفادها أن عبد المنعم أبو الفتوح لا يمثلنا ..

قال أبو الفتوح - التصريح لم يكن إخوانيا ، ولكني لوحقت بتصريحات من عناصر تكفيرية فيما يشبه الزوعية ، وحينما زرت نجيب محفوظ كنت أعبر تعبيرا كاملا عن توجه الإخوان ، وكون هذا لم يعجب أصحاب الفكر الديني المتشدد ، فهذا أمر آخر » (جريدة العربي في ١٥ إبريل ٢٠٠٧م) ..

هذا المذكور لا يريد الحق ولا مرضاة الله تعالى ، إنما يريد فقط أن يتجنب هجمة الأدباء والمفكرين ، التي لا تقوى أمامها بيوت الإخوان العنكبوتية .. لتقف الجماعة على قدميها ، وتعبر الأزمات والمحن دون عوائق ..

أما رأى الغزالي المناهض لفكره فلا نظر ولا تعليق . ولتصحب اللعنات فقط على مخالفته في التوجه السياسي المعاصر ..

وقد استشعر بعض المفكرين المعاصرين هذا التلون في لغة عبد المنعم أبو الفتوح، حتى شككوا في حقيقة دعوة الإخوان ، وماذا يمكن أن يفعلوا إذا وصلوا إلى الحكم ، بينما هم يقدمون التنازلات تلو التنازلات في المرحلة الدعوية التي تمثل مرحلة المبادئ والثوابت .

قال الصحفيان عبده زينة وعبد الحفيظ سعد :

« ولم يلق كلام أبو الفتوح قبولا لدى الدكتور يحيى الجمل " أستاذ القانون الدستوري " ، الذي اعتبر أن ما قدمه أبو الفتوح لا يعدو كونه تكتيكا استراتيجيا جديدا من جانب الجماعة. وقال إنه تبقى هناك شكوك حول ما يمكن أن يقوم به الإخوان في حال وصولهم إلى السلطة ».(الشرق الأوسط. العدد ٩٦٧٥)

ولله در محمد عبد الجليل القدسي حين حذر منهم قائلا :

واحذر من الإخوان حقاً إنهم حزب تعدى شرعة الرحمن
أخذوا التلون والنفاق شعارهم ورضوا بتقليد لذي الطغيان .

بيان الحق، فتعمد إلى رمي الناس بالباطل لأجل أن تحافظ على بقائهم .. فهم يعلمون أن دعوتهم ليست مؤسسة على قواعد عقائدية علمية، بقدر ما هي مؤسسة على العواطف، وقيل أن ينفرط العقد وتذهب الجماعة في السراب بسبب ما يوجه إليها من نقد تقوم بإدراك هذا الانهيار المتوقع بتوجيه أقصى التهم للآخرين، حتى ينتهوا .. كأنهم يقولون لأتباعهم ليس عندنا خلل، الخلل فيمن ينتقدنا .. والجهل وعدم الفهم فيمن يتعرض إلينا .. نحن الدعوة التي تحارب، ولا يحارب إلا أهل الحق .. وهكذا رفعوا منظورهم البشري القاصر إلى موقع القداسة .. لا ينتقد ولا يعترض عليه، كأنه وحى ثابت، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

ونحن بالضرورة نبين أن أمر الإسلام ليس خاصا بهم، والولاء للإسلام ليس مقصورا عليهم، ونبين كذلك أن كلامنا ليس لصالح أعداء الله، ولا لصالح أهل البدع، إنما هو لصالح الإسلام ولحساب الأمة، نبغي بذلك الله تعالى والدار الآخرة..

سر العداوة ..

يظن جمع من شيوخ الإخوان أن الإسلام كان نائما في وسط القرن الرابع عشر الهجري ولم يصح إلا على أيديهم. قال حسن البنا في الرسائل: « والفرق بيننا وبين قوما بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه، ولا أن يعملون بمقتضاه، علي حين أنه إيمان ملتهم مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين » أهـ

أما أهل الحديث فإنهم يرون الأمة ممتدة موصولة غير مقطوعة، لا تزال فيها طائفة قائمة بالحق، لم تغفل ولم تتم، حتى تحتاج إلى صحة الإخوان، تلك الطائفة قائمة على الحق، تعلم الناس التوحيد والسنة، وتغريل مفاهيم الإخوان غربة دقيقة .. وهذا مما يضيق على الإخوان سبلهم .. فهم يريدون شباب الأمة أبواقا تنعق خلفهم .. وأهل الحديث يابون ذلك .. هذا هو الذي أسخط الإخوان عليهم، وجعلهم أخطر أعدائهم. وتلك من أكبر علامات أهل البدع .. بغضهم لأهل الحديث

رابعا : عداوة العلماء والأئمة ..

نعرض أنبياء الله (صلوات الله عليهم) لكثير من التهم الباطلة .. فالنبي محمد ﷺ قال عنه أعداؤه ساحر كذاب، وقالوا مجنون .. فمحاربة أهل الباطل لأهل الحق عادة مستمرة، ومكرهم دائم بالليل والنهار .. ومن الواجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يقولوا الحق، لا يشغلهم حكم أهل البدع . اكتفاء بحكم الله تعالى، فهو أعلى وأجل .. ويحرم عليهم كتمان الحق .. ولو أنهم كتموه رجاء السلامة واتقاء التهم، واجتمع مع ذلك غلبة أهل البدع، لم يمكن للعامة أن يفرقوا بين الضلال والهدى .. قال أحدكم للإمام أحمد: « إنه ينقل على أن أقول فلان كذا وفلان كذا » فقال: إذا سكنت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم ! » (الكفاية في علم الرواية للبغدادى.ص/ ٤٦) وقال الإمام ابن القيم: « ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد بينهما جهل الحق وإضلال الخلق » (الصواعق المرسلة.ص/ ٥٢).

وبداية القول في تلك القضية أن عامة الإخوان يربون شبابهم وأطفالهم في أول الأمر على الخذر من المجتمع عامة، وذلك بالعمالة الشيوعية التي ورثوها من أسياسهم، وكذلك بالخش الأمتى، الذي هو أحد ضرورات الدعوات السرية، حتى إذا وثقوا منهم أطلقوهم على الناس، ليصطادوا منهم من يتلاهم مع منهجهم وسلوكهم .. متفاهرين بأن من يتنمى إليهم هم فقط عليه القوم وأرفعهم في الدرجات .. ليوهموا العامة أنهم على الحق ..

وغالبا ما يشكك دعاة الإخوان في نوايا الناصحين والمنتقدين لهم، فيتهموهم بالعمالة والسقوط والتذبذب، طائون في أنفسهم الوصاية على الدين، وأن غيرهم متطفل عليه .. فإذا انتقدت جماعة الإخوان في أى منتدى وفى أى صحيفة فاعلم أن التهمة المجهزة لك هي العمالة أو حب الظهور .

وهذا الاتهام غالبا ما ينتج من أصحاب الدعوات العاجزة التي لا تقوى على

والسنة .. والوقية فيهم ..

قال أبو حاتم الرازي: « علامة أهل البدع الوقية في أهل الأثر » (شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٣٩) قال أحمد بن سنان : « ليس في الدنيا مبتدع إلا يبيغض أصحاب الحديث » (تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٢١) .

وتلك علامة من علامات إفلاسهم وضعف حججهم .. وأمثال هؤلاء في سخط الله تعالى حتى يتوبوا ، قال رسول الله ﷺ : « من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال ، حتى يخرج مما قال وليس بخارج » رواه أبو داود ، صحيح الجامع برقم ٦١٩٦ ومعنى ردغة الخبال : عصارة أهل النار .

قال الشيخ عبد اللطيف حسن : « من عادة أهل البدع إذا أفلسوا من الحججة ، وضاعت عليهم السبل تروخوا إلى عيب أهل السنة وذمهم ، ومدح أنفسهم » (مجموعة الرسائل ٣ / ١١١) .

وقد ظهر عداء الإخوان لأهل الحديث ودعاة التوحيد في العصر الحديث ظهورا جليا في أفغانستان ، وذلك حين قام إمام دعوة التوحيد الشيخ جميل الرحمن (رحمه الله وأئزله منازل الشهداء) بالدعوة إلى التوحيد الخالص في ولاية " كتر " ودرس كتب أئمة التوحيد ، التي ترفع ذكر الله وحده وتبطل الشرك ؛ فاجتمعت عليه فصائل الضلال ممن سمو أنفسهم بالمجاهدين ، بما فيهم فصائل الإخوان ، فقتلوه حقدا على دعوة التوحيد وعلى أهلها ، والله من ورائهم محيط ، فلم تجتمع لهم كلمة ، ولم يبق لهم دولة ، وصاروا كأمس الذاهب .

قال المحدث مقبل الوادعي في (تحفة المنيب . ص / ٢٠٣) :

« وقد قال قائلهم : لو أن ولينا من الأمر شيئا لبدنا بكم يا أهل السنة قبل الشيوعية .. وشاهد على ذلك ما حصل لأهل كتر في أفغانستان الشيخ جميل الرحمن ومن كان معه (رحمه الله) ، وأبادوا الدعوة وأنفوها في كتر وذبحوا رجالها »

أهـ

وصدق الإمام ابن تيمية إذ يقول : « وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إليها ، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين من ينتسب إلى أهل القبلة ، إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم ، فهم أشد ضررا على الدين وأهله » (الفتاوى ٢٨٠ / ٤٧٩) .

تلك حقيقة تعامل الإخوان مع الجماعات المخالفة لهم ، خاصة مع أهل الحديث أنصار السنة .. إذا كانوا في بداية نشأتهم استخدموا معهم الأسلوب القمعي ، حتى لا تقوم لهم قائمة . وإذا كانوا قلة ولهم جهد في الدعوة إلى الله تصيدوا التمييزين منهم بأساليب خسيسة ، ليزكوا بهم جماعتهم .. وإذا كانوا قوة ظاهرة استخدموا معهم أسلوب التقية ، وقالوا نحن إخوة على طريق واحد ، نجمعنا القاعدة الذهبية : " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " .. وهم من الصنف الذي يظهر المودة والمحبة والسلام والتحية ، تظاهرا أمام من يسعون في كسب ودهم فقط .. وهم في حقيقة الأمر يضيقون الحناق وينشرون الأكاذيب والشائعات .. قال محمد بن سيف العجمي : « يشن الإخوان المسلمون المباحون في كل بلد إسلامي تقريبا حربا لا هوادة فيها على جميع الجماعات الإسلامية ، التي لا تنطوي تحت جماعتهم » (الوقفات . ص / ٧٦) .

وإن ربك لبالمرصاد . والله من ورائهم محيط ..

المتعطلين المتسككين من كبار الملاك ورجال الأموال ومن الموظفين والمستخدمين في الدواوين . الخ » (معركة الإسلام والرأسمالية ص. ٨٤ /)

وقال في نفس كتابه (ص / ٦٣) : « هؤلاء - رجال الدين - أبعد خلق الله عن أن يمثّلوا فكرته ويرسموا صورته لا بثقافتهم ولا بسلوكهم ، ولا حتى بزيمهم وهيتهم . » أه ...

فهل كان علماء الهدى وأئمة الدين متسككين ، يتاجرون بالدين ، عملاء للإقطاع ، حراساً للمظالم ؟

ولم يكن سيد قطب منفردة في هذا الميدان .. فقد شهد محمود عبد الحليم أن الأزهر نشر صورة باهتة عن الإسلام ، فقال : « أما الأزهر .. فإنه كان أداة طيعة في يد المستعمر عن طريق الحكام .. نشر في الناس صورة باهتة مشوهة للإسلام » أحداث صنعت التاريخ ١/٦٠ ،)

وصنفهم محمود عساف في مصاف المضللين . وذلك في كتابه " مع الإمام الشهيد (ص/ ١٦٤ " قائلا : « وبدأت حرب إعلامية تهاجم الإخوان ومبادئهم ، اشترك فيها بعض علماء الأزهر الذين ضلّلتهم وسائل الإعلام » أهـ .

وذكر أحمد رائف أن علماء الأزهر كانوا يصفقون للظلمة والمستبدين ، فقال : « حتى علماء الدين ومشايخ الأزهر كانوا يصفقون ويباركون المستبد وهو يعلّق المشاقق وسلخ الجلود » (الصفحات ص/ ٣٢) .

واتهمهم الغزالي بقصر النظر ، فقال : « يؤسفني أن أقول : إن رسالة الأزهر مشلولة في هذا الجو المكفهر ، وإن علماءه يتحركون في أماكنهم ، ومن ثلاثين سنة تقريباً وندراسة في الأزهر تدوى ، والمنسوى العام يهبط ، وقادته خواتم في أصابع الرؤساء » (مستقبل الإسلام ص/ ٥٤) .

وقد بدّاني هذا الأيام أن لا وزن لمشايخ الأزهر المعاصرين في الجماعة على العموم ، حتى المتسبين منهم إلي جماعة الإخوان !

تطاولات الإخوان على الأئمة والمشايخ ..

١- تطاول الإخوان على مشايخ الأزهر ...

لم يترك الإخوان أحدا خلفهم إلا وتطاولوا عليه . ولم يقف حد التطاول عند طائفة مبيتها فقد طال السلف والخلف على سواء ... فقد سبق لحسن البنا أن سفه حقيقة الخلاف الدائر بين أئمة السلف وبين المظلة في باب الأسماء والصفات ، واتهمهم بالتطرف والغلو .. بقوله : « ولو بحث الأمر لعلمت أن مسافة الخلاف بين الطرفين لا تحتمل شيئاً من هذا لو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو » (ص ٧٤ / رسالة العقائد).

ولا يخفى أن الغاية التي ينتهي إليها هذا التوجه أن تبقى جماعة الإخوان المصدر الوحيد للمجتمع ، والقبلة الأولى للأمة . ولم يكن الأزهر بمشايخه بعيداً عن هذا اللمز . قال محمود عساف : قلت للإمام مرة : شتان ما بين هؤلاء . يقصد (محمد الغزالي ، زكريا الزوكة ، عبد المعز عبد الستار ، الشيخ سيد سابق) وبين باقي رجال الدين الأزهريين . فقال : « إن هؤلاء رجال دعوة ، أما أولئك فهم ليسوا رجال دين ، بل رجال علم الدين !! » (مع الإمام الشهيد ص/ ١٢٨) .

وقد اتهم سيد قطب علماء الدين باختلاف ألوانهم أزهرين وغير أزهرين بالتسكع في الحياة والتجار بالدين ، قائلا : « فليطمن المخلصون من المفكرين ورجال الفنون ومن إليهم أن حكم الإسلام لن يسلمهم إلى المشاقق والسجون ولن يكبت أذكاهم ويحطم أعلامهم وينبذهم من حمايته ورعايته . ولا يأخذوا الصيحات النافهة التي يصيحها اليوم رجال الدين المحترقون في وجه بعض الكتب وبعض الأفكار حيية !! فإنما هذه الصيحات تجارة راحة اليوم وحرفة كاسبة ، لأنهم يعيشون في عهد الإقطاع الذي يقيمهم حراساً لمظله وجرائمه ، ولكي يبرروا وجودهم في أعين الجماهير يطلقون هذه الصيحات الفارغة بين الحين والحين ، فأما حين يكون الحكم للإسلام ، فلن يبقى لهؤلاء عمل ، فسيكونون مجتدين لعمل منتج نافع هم وبقية

قال عبد المنعم أبو الفتوح : « مكتب الإرشاد لا يوجد به سوى عالم أزهري واحد من ضمن ١٦ عضواً ، أما الباقي فاطباء ومهندسون وأساتذة جامعات » (آفاق عربية . ٢٢٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م) .

ولا يخفى أن هناك حساسية وحذر من تولي أحد مشايخ الأزهر أى دور تنظيمي في جماعة الإخوان ، ويرجع ذلك إلى أن مشايخ الأزهر كانوا من أوائل الخارجين على حسن الهضيبي عام ١٩٥٤م ، حيث لم يقبلوا الانضمام تحت مضمار الطاعة العمياء ، التي أراد الهضيبي أن يسيرهم بها في صراعه مع عبد الناصر . كما خرج جمع كبير من مشايخ الأزهر على دعوة الإخوان في التسعينيات من القرن الماضي .

٢- تطاول الإخوان على أهل الحديث

عندما تطاول سيد قطب على بعض صحابة رسول الله ﷺ رد عليه الأديب الشيخ محمود شاكر في عدة مقالات بعنوانين مختلفة منها : حكم بلا بيعة .. السنة المفترين .. لانسبوا أصحابي " وذلك في مجلة المسلمون - العدد الثالث ، سنة ١٣٧١هـ . فلم يعتذر سيد قطب عن مقالاته وطعنوه في أكابر الصحابة ، ولم يتب إلى الله تعالى منها ، وإنما تطاول على الشيخ شاكر بالاستهزاء والسخرية ، فقال : « وما كان لي بعد هذا ؛ وأنا مالك زمام أعصابي ، مطمئن إلى الحق الذي أحاوله ، أن ألقي بالا إلى صخب مفتعل ، وتشنج مضطجع ، وما كان لي إلا أن أدعو الله لصديقنا - شاكر - بالشفاء والعافية والراحة مما يعاني ، والله لطيف بعباده الأشقياء ! » (مجلة الرسالة . ٩٧٧ ٢٤ مارس ١٩٥٢م) .

تطاولات الغزالي ...

لم يترك محمد الغزالي أحداً من أهل الحديث إلا وتطاول عليه ، حتى صارت كتبه مادة للمستشرقين إذا أرادوا الطعن في السنة وأهلها . وقد ظهر هذا جليا في كتابه " السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث " فهو لا يعبأ بالبخاري ومسلم ولا بسفيان الثوري ويحيى بن سعيد القطان .. وانظر كيف بلغ الغاية في سب العلماء الذين لولاهم ما عرفنا عن الإسلام ولا عن نبي الإسلام شيئا .. فقد وصف نافعا بأنه " متورط " في المصائب ، فقال ص/ ١٢٧ : « ورواية نافع عن ابن عمر هذه ليست أول خطأ يتورط فيه » أهـ وفي ص/ ١٢٩ : وصفه بأنه " روائه أهـ " واتهمه بالجهل ، فقال ص/ ٢٠٠ : « ولا أدري لحساب من ينشر بعض الجاهلين أن سيد الدعاة يأخذ الناس على غرة من غير دعوة ولا بلاغ » أهـ وجعل فهم أئمة السلف الذين أجازوا الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة بغير إنذار بالإغارة ، وضربوا المثل لذلك بأن النبي ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غافلون . فهم الأراذل ، قائلا : « لقد رددت الفهم القدر الذي استقر في ذهن بعض الناس لما قرأ هذا الحديث . إننا نحمل السنة من أفهام الأراذل » (هجوم داعية ص/ ١٢٧) والذين قالوا بهذا الفهم هم : الإمام نافع مولى ابن عمر والحسن البصري والثوري والليث وأبو ثور وابن المنذر والجمهور . كما حكى ذلك الإمام النووي في شرح مسلم وصنف رواية حديث قطع الصلاة بالمرأة والكلب والحمار ، من أمثال أنس وأبي هريرة وابن عباس في عداد القاصرين ، فقال ص ١٥٥ / : « إن القاصرين من أهل الحديث يقعون على الأثر لا يعرفون حقيقته ولا أبعاده ، ثم يشغبون على الدين كله دون وعي ، خذ مثلا ما يقطع الصلاة فقد تشبثوا بحديث يقول : إن الصلاة تقطعها المرأة والحمار والكلب الأسود . وجمهرة الفقهاء رفضت هذا الحديث » أهـ

وأوصى الدعاة الذين يذهبون إلي كوري بعدم القول بتحريم لحوم الكلاب ، متغافلا بالحكم الثابت بنجاسة ريقها ، فقال : « وأوصى الدعاة الذين يذهبون إلى

كوريا ألا يفتوا بتحريم لحم الكلاب ، فالقوم يأكلونها ، وليس لدينا نص يفيد الحرمة ، ولا نريد أن نضع عوائق أمام كلمة التوحيد! وأصول الإسلام» (مستقبل الإسلام . ص / ٤١) ..

ورمى جمهور الأئمة الذين أثبتوا عقائد المسلمين بالاختلاق ، فقال : « وما توجد في مصادرتنا الثقافية عقيدة عبرت إلى الاختلاف عن طريق آحاد ، ومن زعم ذلك فهو مختلق » (دستور الوحدة . ص / ٦٩)

ووصف الثبوتين لحديث فقه موسى (عليه السلام) عين ملك الموت بخفة العقل، فقال : «هذا الدفاح كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لا يساغ! ومن وصف منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين» (السنن النبوية . ص / ٣٦)

ووصف البخارى وغيره من رواة أحاديث الصفات بأنهم ليسوا مسلمين حقاً! فقال ص / ١٢٧ : «بعض المرضى بالتجسيم هو الذى يشيع هذه المرويات ، إن المسلم الحق ليستحى أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار» أهـ

ولز اختيار الصحابة (رضى الله عنهم) لأبى بكر (رضى الله عنه) بأنه بنى على شورى ساذجة ، فقال : « ومن السفه استبقاء الشورى فى طورها الساذج أيام سقيفة بنى ساعدة ، واستبقاء العطاء بدا تدفع ويذا تأخذ » أهـ

وكان يرى أئمة السلف المعاصرين من أصحاب الفقه البدوى ، ذكر ذلك فى كتابه (السنن النبوية . ص / ٩١) بقوله : « إن لكم فقها بدويا ضيق النطاق » أهـ

واستخف بالإمام الشنقيطى (رحمه الله) - مدرس الحرم النبوي وإمام التفسير والعربية والفقه والأصول ، فقال :

« وأنشيع الشنقيطى - غفر الله له - حين يخالف أو يوافق ما يقدم ولا يؤخر ، وذكرت قول الشاعر يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند» (هموم داعية ص / ١١٨) .

ورمى الشيخ ابن باز (رحمه الله) بالبعد عن المفهوم العلمى فى فهم الدين ،

فقال : « وعندما تناقلت الصحف أن الشيخ ابن باز أخرج شيطاناً بوزيا من أحد الأعراب ، وأن هذا الشيطان أسلم . كنت أقرب فى وجوه القراء ، وأشعر فى نفوسهم بمدى المسافة بين العلم والدين » (السنة النبوية)

وكذب فى نفس كتابه ما نقله صاحب آكام المرحان القاضى بدر الدين الشبلى عن الإمام أحمد وابن تيمية فى تلك القضية ، وقال : « وما يرويه صاحب آكام المرحان فى أحكام الجان أكثره خرافات وخيالات ، وإن ذكره ابن حنبل وابن تيمية وغيرهما» أهـ ..

وقد كان من الواجب على الأستاذ الغزالى أن يرمى حسن البنا بتلك التهمة .. كما رمى بها العلامة ابن باز .. وكذب فيها الإمام أحمد وابن تيمية . فقد ثبت أن حسن البنا عالج امرأة صرعى من الشيطان ... وتبدأ تلك الواقعة .. على أثر قصة حكاهما حسن البنا .. وفيها أن الإمام أحمد عالج امرأة من الصرع .. ولم يكن حسن البنا على علم بتلك المسألة حتى كاد يتشكك فيها ، حتى قال له أحد إخوان السويس :

« إن زوجتى امرأة صالحة مطيعة ولى منها أبناء صغار ، وقد اعترأها منذ عام مرض يتناهب بين الحين والحين ؛ فنقد فيه رشداه وتتحول إلى وحش كاسر إذا استطاعت الوصول إلى أى منا حاولت قتله وتحطم كل شئ أمامها . وقد عرضتها على الأطباء هنا وفي القاهرة حتى يسوا منها ، وقد اتناهب المرض اليوم .. ولما كنت أعلم بقدموك اليوم أدخلتها غرفة أغلقتها عليها وجئت أنتظرك لأعرض عليك مصيبتى لملك تعينى فيها ..

يقول الأستاذ : قلت له هيا بنا إلى البيت واستأذنت الإخوان ودخلنا البيت ودخلنا الحجرة المعلقة فرأيت امرأة بها ، فقلت له : ادخل وغطها تماماً بملاء بحيث لا يبين منها شئ ، ففعل ثم دخلت الحجرة ووقفت بجانب السرير وأغمضت عيني وأخذت أقرأ القرآن ، وظللت أقرأ حتى سمعت صوتاً منبعثاً من جسم المرأة ، ولكنه صوت رجل يقول : كيف تكون يا بنا إماماً للناس وتنتظر إلى عورات النساء فتفتحت

عني فرأيت جزءاً من ساقى المرأة قد انكشف نتيجة ما يتبناها من حركات عنيفة فأمرت زوجها فغطاها ، ثم واصلت قراءة القرآن حتى سمعنا صوت الرجل المتبعت من جسم المرأة يقول فى نعمة استعطاف : إنك إمام المسلمين وتريد أن تحرقى وأنا مسلم .. قال الأستاذ : إن كنت مسلماً أذيت مسلمة .. قال : وماذا تريد منى ؟ قلت : دع هذه المرأة واخرج .. قال : أمهلنى .. فواصلت القراءة .. فقال بعد قليل : استحلفك بالله إلا أمسكت عن القراءة حتى لا أتحرق وسأخرج .. قلت : إن كنت خارجاً فاخرج من إصبع قدمها ، فأراد أن يساوم فواصلت القراءة فصرخ مستغيثاً وخرج من إصبع قدمها ، فقامت المرأة كأنها حلت من عقاب ، وكان لم تكن أصيبت من قبل » (أحداث صنعت التاريخ / ٢٠٩١)

لقد استخدم محمد الغزالى كل أنواع السباب ضد خصومه من أهل الحديث ، وكان ينبغى عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالدليل والبرهان ، وأن يتخذ الخلق الحسن سبيلاً فى التعامل مع الأئمة . ولكنه أبى إلا أن يكون على غير السبيل ، فطعن فى العلماء وطعن فى السنة ، وانظر ماذا قال فى ثياب أمهات المؤمنين : « ما أكثر القمامات الفكرية بين شبابنا ! لقيت جامعيًا متدينًا يقول : إن فلانا جمع نحو سبعين دليلاً على أن النقاب من الإسلام » (مستقبل الإسلام خارج أرضه . ص / ٧٥) ..

ولم يجد الغزالى رجالاً من الإخوان يتصحه أو يرد طعنه أو يرد سبابه ، ولكنه وجد من يمنعه عن سب الإخوان . حتى حذف غالب ما يتعلق بهم من كتابه " من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى . دار الصحوة . ١٩٨٤م "

ويرجع ذلك إلى أنهم متفوقون على الاستهزاء بالنقاب والسخرية من أهل السنة ، فقد قال عبد المنعم أبو الفتوح :

« فهل يعقل أن نوافق طالبان على أن تلبس النساء خيام بالقوة » (العربى .

٢٠٠٣ / ٩ / ٢٨م)

وقد سبق لعمر التلعسمانى أن شبه النقاب بلباس العفاريت . فقال فى حديثه

لأمانة السعيد :

« الإسلام لم يأمر السيدة بأن تضع الحجاب الذى تتحدث عنه السيدة أمانة السعيد .. لم يقل الإسلام افعلى كذا أو أخرجى عينك مثل العفاريت . لماذا ؟ لأن هذا أضراره أكثر من فوائده . لأنه ثبت أخيراً وقد حدث فى الأنوبيسات أن سيدات يرتدين هذه الملابس وهن فى الحقيقة نساوات ، الإسلام لا يقر هذا الوضع ، الإسلام يرى أن هذا الجزء من الوجه مباح ظهوره » (المصور عدد ٢٩٨٩ - ٢٧ ربيع الأول ١٤٠٢هـ) .

وهذا لا يمكن أن يكون كلام عالم بالدين ، علم أن النقاب لباس نساء النبى ﷺ ونساء صحابته الكرام (رضى الله عنهم) ..

وقد سفه محمد عاكف مؤخراً من موقف بعض الأحزاب فى نصر الحجاب فى مصر ، وقال فى اتصال هاتفى مع قناة دريم كما نقله موقع (نافذة مصر نت) : « مصر تعاني من مشاكل وأزمات أكبر وأخطر ألف مرة من الحجاب مثل الاستبداد والفقر . ونفى المرشد أن يكون لنواب كتلة الإخوان دور فى تصعيد الموقف داخل مجلس الشعب » أهـ

الفكر التكفيرى فى دعوة الإخوان ...

تعد جميع الحركات التكفيرية المعاصرة امتدادا وفيها لفكر الخوارج ، الذين خرجوا على الخليفة الراشد على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ..

وقد نشأ فكر التكفير فى أروقة الكتابات الإخوانية قبل أن ينشأ فى أروقة السجون المصرية ، غير أن تحويل هذا الفكر إلى تنظيم محصور محدد المعالم ، يقوم بتنفيذ مخططاته بعيدا عن الارتباط بالمرشد العام أدى إلى فضح الحقيقة التى طالما سعى الإخوان فى إخفائها حقبة من الزمان حتى يصلوا إلى الحكم .. عندئذ تنفجر جميع القضايا ! فقد تكلم حسن البنا فى غياب الإمام وغياب الدولة ، وجعل الخارجين عليه من جملة الخوارج ، وتكلم سيد قطب على جاهلية الأمة وعدم وجود المجتمع المسلم ، ودعا إلى العزلة الشعبية والاقبال على المجتمعات الإسلامية ، وكفر حسن الهضبي ضباط الثورة فى أول عهدنا ، ووافق على نشر كتاب " معالم على الطريق " ، الذى حوى أصول الفكر التكفيرى ، ونشر مكتب الإرشاد فى زمن الهضبي المنشورات الداعية إلى تكفير ضباط الثورة ، وقال الغزالي بعدم وجود دولة الإسلام ، وقالت زينب الغزالي بجاهلية الأمة الإسلامية وكفر القرضاوى منتقدي حركة الإخوان .. من رحم هذا الانحياز الرسمى والفكرى خرج منهج التكفير ، ومن هذه الحركة الإخوان .. وقد نشأت جماعة التكفير والهجرة تنظيميا فى أروقة السجون الحربية والهجرة .. وقد نشأت جماعة التكفير والهجرة تنظيميا فى أروقة السجون الحربية والهجرة .. وقد نشأت جماعة التكفير والهجرة تنظيميا فى أروقة السجون الحربية والهجرة ..

على يد على إسماعيل شقيق " عبد الفتاح إسماعيل " وأسس فكرها على مبادئ وأصول المعتزلة والخوارج ، ثم سرعان ما عاد على إسماعيل إلى رشده وتاب ، وترك هذا الفكر .. فحمل المنشورية من بعده مصطفى شكرى أحد أعضاء تنظيم ١٩٦٥م الذى أسسه سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف حواش وزينب الغزالي .. وتعد انحرافات التنظيم الخاص للإخوان وأنكار سيد قطب هى الأساس الذى بنيت عليه أفكار جماعة التكفير برئاسة مصطفى شكرى .

الفصل الخامس

الفكر التكفيرى فى دعوة الإخوان
الهضبي أول من أطلق
صيحات التكفير...

سيد قطب والفكر التكفيرى
القرضاوى يره على هنكرى
التكفير فى فكر سيد قطب...
تضارب وتعارض .. القرضاوى
بكفر خصوم الإخوان ويدعو
لبابا الفاتيكان بالرحمة
والثبوتة

قال د/ محمود عساف : « ولقد أدت انحرافات النظام هذه إلى انحرافات فكرية عند شباب الإخوان جعلتهم ينسلخون عن الجماعة. وأسوأ أنفسهم أسماء رنانة لا تنطبق على المسيمات ، مثل .. تنظيم التكفير والهجرة (الذى يكفر المجتمع) . وتنظيم الناجون من النار. وقال : لقد أخذ هؤلاء أنكارهم من الشهيد سيد قطب» (مع الإمام الشهيد ص/ ١٥٩) .. وقد نصب شكرى نفسه إماماً للمسلمين ، وأخذ البيعة من أتباعه بعد أن رسم لهم الخبيج التى تدعو إلى الفكر التكفيرى ، الذى لم يكن له فيه إمام متبع .. فلم يعبأ بإجماع الأمة ولا بعلماء الأمة ، ولا بقول أحد من الصحابة ، وقال " هؤلاء رجال ونحن رجال " . وقد كان فكره وفكر جماعته فكراً قائماً على مفاهيم خاطئة ونصوص مبتورة . فكرت المجتمعات الإسلامية . وكفرت علماء الأمة وحكام المسلمين والعامة ، الذين اتبعوهم فى الوظائف ، وكفر كذلك من لم يكفرهم ، واستحل أموالهم وأعراضهم ودماءهم ، ورفع ولاية الأب عن ولده وابنته ، وجعل الولاية لأمر الجماعة ، فقد كان أمير الجماعة يزوج البنات بموجب عقد البيعة ، باعتباره صاحب السلطان الأوحد ، ولا عبارة عنده بولاية الأب على ابنته ، لأنه كافر ، " ولا ولاية لكافر على مسلم " ومن خرج عليهم أو خالفهم فهو كافر وجعل مساجد المسلمين كمعابد الوثنيين مساجد ضرار ، لا يجوز فيها الصلاة ، ودعا إلى هجران المجتمع واعتزاله . وهذا هو الذى دعا إليه سيد قطب فى الظلال عند تفسير قوله تعالى : ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ وعبد الله تعالى بالخوف ، وهجر نصوص الرجاء والرحمة ، وجعل الناس جميعاً فى دركات النار ، واختص لنفسه وجماعته بدرجات الجنة .. وقد دارت قضايا جماعة التكفير فى أول نشأتها حول مسائل الإيمان والكفر ، ودار الإسلام ودار الحرب ، والمرحلة المكية والمرحلة المدنية ، كما تكلمت زينب الغزالي فى " أيام من حياتي " وكما شهدت بذلك نصوص متعددة فى كتب سيد قطب .. وتكلموا فى العذر بالجهل ومسائل الحاكمية . والحد الأدنى من الإسلام .. وجعلوا ديار المسلمين ديار كفر .

ولم يعبأوا كالمعتزلة بالشعائر ولا بالصلاة ولا بالمآذن ولا بحفظه القرآن ولا بعلماء السنة ، ولا بغلبة المسلمين ولا بظهورهم ..

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي فى (اعتقاد أهل السنة . ص/ ٥١) : « ويرون - بمعنى أهل السنة - أن الدار دار إسلام لا دار كفر ، كما رآه المعتزلة ، ما دام النداء بالصلاة والإقامة بها ظاهرين ، وأهلها ممكنين » أهـ .

وقد كانت كتب شكرى مصطفى " الحجيات " و " الخلافة " و " التوسمات " .. المصدر الأول لهذه الأفكار ... وقد اكتشف هذا التنظيم جلياً بعد مقتل الشيخ / محمد حسين الدهى (رحمه الله) عام ١٩٧٧م .

ولا يخفى على اللبيب ما هى آثار فكر التكفير المدمرة فى المجتمعات الإسلامية ، فهو السبب الأول فى صيغ الشباب بعدة أمور منها :

١- استباحة الدماء والأموال والأعراض والكذب والتقية وسوء الظن فى جميع المخالفين على السواء .. وتفسير الأحداث بنظرية المؤامرة دون المراجعة ونقد الذات ، ورمى المخالفين بالعمالة ، ورفض الاجتهاد السياسي القائم على تقييم المصالح والمفاسد والموازنة بين تقديم خير الخيرين ودفع أكبر الشرين ..

٢- إنشاء المنظمات السرية وانتشار فكر العزلة الشيوعية ورفض المشاركة فى العمل الإصلاحي والتبرؤ من المجتمع وإعلان العداوة له ..

٣- عدم الاعتراف بالجهود والمواقف التى بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول.

٤- بناء العقيدة على الولاء للجماعة ، وعبادة الله بالخوف دون الرجاء ، وتقديم الاعتقاد على الاحتجاج والاستدلال ..

٥- اتباع المشابهة من النصوص وترك المحكم والبحث فى دقائق العلم بغير أدواته.

٦- توريث فكر الانتقام ، وتقديم القتال على الدعوة ، ووضع جميع المخالفات الشرعية فى سلة الشرك والكفر ، وتزليل الآيات الخاصة بالكافرين على المسلمين ، وعدم العذر بالجهل ، وحب العلو والسيادة ...

ثبوت فكر التكفير في جماعة الإخوان ..

تلك هي حقيقة ما يسمى بتنظيم التكفير والهجرة ، الذي نشأ من رحم الإخوان ومن أفكارهم . فالإخوان متورطون في تلك الجريمة .. ولم يكن عندهم جهد علمي معتبر في إبطالها والرد عليها إن لم يكن الفكر الذي يدبونه به يؤججها ، وقد كانت وجهة نظر الظرفاء منهم قائمة على تأجيل القضايا المتعثرة حتى يتحرر العالم الإسلامي من الاستعمار . وكثير منهم يعمل ظهور فكر التكفير في جماعاتهم وفي العالم الإسلامي بسبب ما تعرضوا له من التعذيب في سجون شمس بدران في زمن عبد الناصر ، وذلك بعد القبض عليهم في تنظيم ١٩٦٥م ، الذي أسسه سيد قطب .. وقد نفى بعض المعاصرين أن يكون فكر التكفير المنتشر في العالم الإسلامي خارجا من عباءة الإخوان ، قال عصام العريان : « ليس صحيحا أن الجماعات المتشددة خرجت من عباءة الإخوان ، لأن منهج الإخوان معتدل وسطي مرن ، والمتشددون حين وجدوا أن هذا المنهج لا يتسع لهم هم أنفسهم ابتعدوا عن الإخوان » (محيط نت ٥ إبريل ٢٠٠٦م) .

فهل هذه الادعاءات صحيحة .. ويكون فكر التكفير فكرا طارئا على الجماعة؟ أم أن فكر التكفير كان فكرا " استراتيجيا " نابئا في منهج الجماعة ، ولكنهم كانوا ولا يزالون يعمدون إلى التقية ، فلا يظهرونه إلا بين الرفقاء والأصحاب ، أو في فلتات اللسان ، أو في الكتب والمؤلفات ؟

وللإجابة على ذلك أقول : إن فكر التكفير فكر ثابت في جماعة الإخوان ، له قواعده وأصوله العقائدية ، وله واقعه ، وله مشاعره الخاصة به ، من بداية نشأة الجماعة إلى الآن .. حتى إن الواحد منهم كان يكفر صاحبه إذا اختلف مع الجماعة أو مع المرشد ، وذلك قبل أن تظهر أحداث التعذيب التي وقعت إبان القبض على تنظيم ١٩٦٥م ، وهذه مقدمات شاهدة على ذلك ، منها :

أن حسن البنا أخرج بعض أتباعه من دائرة الإسلام بسبب اشتراكهم في محاولة نسف محكمة الاستئناف ، وقال : " هؤلاء ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين " .

وقد شهد محمود الصباغ أن هذا البيان كان خداعا للدولة ، غير أن المرشد كان مؤمنا بالمعملية التي استهدفت محكمة الاستئناف ، فقال : « وهو أمر جائز شرعا في الحرب ويعد من خدعه » (حقيقة التنظيم الخاص . ص / ٤٥٢) .

ويعد قوله : " وهو أمر جائز شرعا في الحرب ويعد من خدعه " حكما صريحا على الدار. بأنها كانت دار حرب ودار كفر وليست دار إسلام .. وقد كان الصباغ يعبر عن شعور قطاع كبير من جماعة الإخوان .. وقد تجلّى هذا الفكر المكنون في هذا القطاع بكل وضوح عقب إصدار النقراشي باشا " رئيس وزراء مصر " قرار بحل جماعة الإخوان ومصادرة ممتلكاتها ، حينئذ سارع قادة التنظيم السري بتكفير الدولة ووضع أهلها في مصاف الكافرين المحاربين لملة الإسلام . قال الصباغ : « وقف رجال النظام الخاص للحكومة بالرصاص عندما ثبت لهم بما لا يدع للشك أن الحكومة أصبحت بفعلها هذا من المحاربين للإسلام ، وأنه حق على كل مسلم مقاومتها بقوة السلاح كفرض عين فرضه الله على المسلمين كافة تجاه المحاربين من الكفار وأعوانهم لا يحتاج أدائه إلى أمر من قيادة ، لأنه صادر من لدن حكيم خبير ! » (حقيقة التنظيم الخاص . ص / ١٠٩) ..

وفي موضع آخر صرح محمود الصباغ أن الأخ منهم كان يعتقد وهو راسخ الإيمان أن : « كل ما كان منه من مقاومة لهؤلاء الحكام هو الحق وفي سبيل الحق ، فقد رأى بعينه إجرامهم الذي يعجز عن الوصف والبيان ، واطمأن إلى أن صورهم اللامعة أمام الناس لا تخفي وراءها إلا قلوبا متحجرة كفرت بربها وأمنت بالطغوت وجندت نفسها له في ذل مفرط تعبد به دون الله رب العالمين » (حقيقة التنظيم الخاص . ص / ٤٨) .

وقد تقدم أن العلامة محمود شاكر كان ينكر عليهم هذا التطاول في التكفير واستباحة الدماء ، قائلا : « .. هكذا تحكمون على الناس بالكفر ؟ تحكمون .. من أتم ؟ » (مذكرات عبد العزيز كامل . ص / ٦٧) ..

وكان حسن البنا لا يري وجود دولة الإسلام ، وشاهد ذلك بيعة زينب

الغزالي وفيها قالت : « اللهم إني أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام .. فقال : وأنا قبلت البيعة » (أيام من حياتي . ص / ٢٩) .

ولا يخفى ما وراء ذلك من أحكام تتعلق بحكم الدار . هل هى دار إسلام أم دار كفر ؟ . وقد كان هذا السؤال محورا رئيسا فى مكونات جماعات التكفير فيما بعد .

الهضيبي أول من أطلق صيحات التكفير ...

قبل انتهاء عام ١٩٥٤م ، وقبل ظهور علة التعذيب بعشر سنين هرب الهضيبي من موقع الأحداث بالقاهرة إلى الإسكندرية ، إبان اختلافه مع ضباط الثورة ، وأصدر أول البيانات التى نادى بتكفير حركة الجيش ، قال محمود عبد الحليم : « وقبل موعد الاجتماع بنحو ساعة فوجئنا بمشور صادر عن المرشد العام يوزع على هؤلاء الإخوان ، يحرضهم فيه على رجال الثورة ويرميهم بالكفر » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤١٨) وقال : « وقد وجدت أن الإخوان فى المركز العام يغذون إخوان الأقاليم بسيل من المنشورات منها خطابات موجهة إليهم من المرشد العام من مخبئه . ولا حظت وشهد أن المنشورات والخطابات مما يرفع من حرارة الالتئاب فى أعصاب الإخوان ضد الحكومة حتى إن بعض هذه المنشورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧٣) .

وقد خالف عبد الحليم الهضيبي فى تكفير ضباط الثورة ، وقال دفاعا عنهم : « إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة ، ومثل هؤلاء لا ينبغى أن نرميهم بالكفر » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٨٦) .

وشهد أن عبد الناصر تعهد أن يحكم بالقرآن ، قائلا : « حتى إن عبد القادر عودة كان يتصل بجمال ويسأله عن هذه القضية الخطيرة . وجمال ينكر ما قالتة المرشد العام ويقول : إنني قلت : « إننا سنحكم بالقرآن ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك ، ولا بد من تذييل العقوبات ونهية الجول للحكم بالقرآن ، ولا بد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك » (المصدر السابق . ٣ / ١٦٥) ..

وهذا هو نفس ما شهد به فريد عبد الحائق : أن عبد الناصر . أكد تمسكه بالإسلام أساسا للتغيير المنشود ، إلا أنه قال : « إن من المصلحة عدم المجاهرة بذلك فى بادئ الأمر ، ولكن تؤخذ الأمور تدريجيا ، حتى لا يحارب أعداء الإسلام الحركة فى أول عهدها » (الإخوان فى ميزان الحق . ص / ٨٣)

والإخوان يؤمنون بمبدأ التدرج فى تطبيق الشريعة ، بل والتمهيل وعدم التسرع فى تطبيقها ، كما ذهب عبد الناصر . فقد قال التلمسانى للدكتور / رفعت المحجوب فى مجلس الشعب عندما دعى إلى جلسة استماع تطبيق الشريعة الإسلامية : « على مهل .. تدريجيا » وقال : « وكان المحجوب يستشهد برأى هذا » (الدعوة . عدد ١١٢ ١٩٨٦م) .

ولكنهم لم يقبلوا ذلك من عبد الناصر فى أول الثورة ، لأنه أصبح خارجا عليهم ، ومن خرج عليهم لا يقبل منه شيء ، ويخلى سبيله . كما أنه كان عضوا عاديا فى تنظيم الإخوان ، ثم صار رئيسا عليهم وعلى مرشدهم ، مع كونه لم يترق فى درجات العضوية من أخ عامل إلى أخ مجاهد إلى نقيب أو نائب إلى مرشد ، فقد صار رئيسا دون أن يمر بتلك المراحل .. ولا شك أن هذا الأمر سبب شعورا عاما بالقهر داخل جماعة الإخوان دفعهم إلى رفض دولة الثورة .

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد كان فكر التكفير ملكة وسجية يتعامل بها جمهور الإخوان وعامتهم مع الخارجين على الجماعة . فمن ينضم إليهم يصير آخا له حقوق الإخوة ، ومن يخالفهم فمصيروه إلى النار .

فالتكفير عند الإخوان يدور غالبا فى باب الولاء .. وقد عانى من هذا النوع من التكفير جمع من الإخوان منهم الشيخ الغزالي ، والشيخ سيد سابق ، وذلك إبان اختلافهم مع المرشد العام / حسن الهضيبي ، قال القرضاوى : « كنا فى معتقل العامرية وكنت ألتحد مع أحد وعاظ الإخوان المعروفين وجاء ذكر الأخ الشيخ الغزالي فقال لي : الغزالي لم يعد أخا لنا ، لا هو ولا إخوانه المفصولون من الجماعة » (سيرة ومسيرة . ٢ / ٧٧)

وقد اشتكى محمد الغزالي من ذلك قائلا : « كنت أسير مع زميلي الأستاذ سيد سابق قريبا من شعبة النيل ، فمر بنا اثنان من أولئك الشباب المقتونين ، أبيا إلا إسماعنا رأيهم فينا ، وهو أننا من أهل جهنم » وقال : « فمن المضحك المبكى أن يخطب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يؤكد أن الولاء للقيادة يكفر السيئات ، وأن الخروج عن الجماعة يمحى الفضائل ، وأن الذين نابذوا الجماعة عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة. . » ..

ولما وجه النصيح للهضيبي عامله معاملة الكفار . قال الغزالي : « فلما استغربناه وتأيينا عليه ، ورأينا أنفسنا نبصر الحقائق القريبة والرجل لا يحسها ، ونعامله مخطئا ومصيبا غير مفرين هذه الهالة التي أضفاها الأغرار عليه ، مقتنا الرجل أشد المقت ، مقتنا كما يمقت الكفار والفاسق » (من معالم الحق ص / ٢٠٦) ..

ولم يكن الغزالي بمفرده في ذلك فقد تعرض القرضاوي لمثل ما تعرض له من التكفير ، فقال : « ومن الذكريات المؤلمة التي لا أنساها : أن الإخوان كانت لهم نشرة سرية .. وقد أذاعت هذه النشرة نيا قالت فيه : « إن القرضاوي والعسال قد مرقا من الدعوة وانضما إلى ركب الخونة وعلى الإخوان أن يحذروا منهما ، وقد استجاب الإخوان لذلك .. وهذا أمر شائع في الإخوان » (سيرة ومسيرة ٢ / ٧٧)

وقد كان القرضاوي مرصدا للتشيع من قبل أقطاب الجماعة عندما عزي في وفاة عبد الناصر ، قال في (الجزء الثالث من ابن القرية والكتاب) :

« ونقل خبر تمزني في عبد الناصر إلى الإخوة في الكويت وغيرها مجردة عن دواعيها وملابسائها ، فإذا بي أواجه حملة شعواء من الإخوان علي ، أنني عزيت في الطاغية الذي عذب الإخوان ، وعطل دعوتهم وعوق مسيرتهم وفعل بهم الأفاعيل ، وكان بعض الإخوة السطحيين المساكين يتقربون إلى الله تعالى بالتشيع علي ، والنيل من عرضي » اهـ ...

وكذلك تعرض الدكتور عبد العزيز كامل لهذا الاتهام ... حين قبل منصب رئيس شئون الأزهر في زمن عبد الناصر . قال القرضاوي : « ولم يرض ذلك منه

جمهورية الإخوان ، واعتبروه قد خان الدعوة ، التي نشأ فيها ، وسار في ركب أعدائها ، وأنه قد أحبط عمله ، وضيع تاريخه ، وختم حياته خاتمة سوء » (سيرة ومسيرة ٢ / ١٩٦) ..

قال القرضاوي تعليقا على ذلك : وأقول بأسف : « لقد كان رجال المباحث أصدق في الحكم علينا من إخواننا الذين عرفناهم وعرفونا وعاشناهم وعاشناهم . وهذا ما يعاب على كثير من الإخوان : أنهم إذا أحبوا شخصا رفعوه إلى السماء السابعة ، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى » (سيرة ومسيرة ٢ / ٧٨) ...

وعندما تعرض الغزالي للتكفير والتخوين من قبل الإخوان طعن في شريعة كبرى منهم واتهمهم بالعمالة للماسونية العالمية . فقال : « ولقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان .. ولكن لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخترق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته » (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي ص / ٢٢٥ ، ٢٢٦)

فكل من ينتقد الإخوان أو ينصحهم أو يخالفهم أو يخرج على جماعتهم فالتهمة المجهزة له هي العمالة والخيانة .. وفي الوقت المعاصر بين الأستاذ / مختار نوح المحامي في مذكرة رفعها للمرشد العام حقيقة السلوك التكفيري الذي يتخذه قادة الجماعة تجاه المعارضين على بعض القرارات ، فقال مخاطبا المرشد : « ونرفق بك وبإخواننا حين نقول إننا أضعنا في سنواتنا الأخيرة إخوانا لنا ساروا على دربنا ، وحين اختلفنا معهم قطعنا جلودهم تقطعا ومزقنا سيرهم تمزيقا ، وأهلبنا عليهم من نغمتنا وغضبنا ، حتى أصبحت هذه النغمة حديث العامة والخاصة ... فالهندس أبو انعلا ماضي ، الذي كان بالأوس نجما بازغا في سماء الدعوة أصبح اليوم ، كما يقال لنا في أسرتنا وكتابتنا ، مفارقا للجماعة ، وإذا مات على ما هو فيه سيكون قد مات ميتة جاهلية » (الشرق الأوسط ١٩ يونيو ٢٠٠٥) .

وأخيرا فرما يظن بعضهم أن جماعة الإخوان بسبب مالها من صراعات مع

الحكومات أنها خصم صادق يمثل الإسلام .. وهذا غير صحيح .. فالإخوان كانوا مطية للحكومات ، يلعبون بهم كيفما شاءوا ، وهم على كل حال لا يجرؤون على تجاوز خط معين ، فهم يخضعون لنظام ، ومن وزنهيم بأكثر من ذلك فقد أبعد النجعة وأطال المسافة .. والإخوان الذين يتهمون من يتقدمهم بالعمالة والخيانة لهم خبرة كبيرة في التعاملات الأمنية ، التي يكفرون بها مخالفهم .. وقد أكد ذلك التلساني في تعامله مع وزير الداخلية (نبوي إسماعيل) (أيام مع السادات . ط . ١٩٨٤م دار الاعتصام) وفي صعيد مصر في أوائل الثمانينات ، كان الإخوان عيوننا على الجماعات المخالفة لهم ، قال المأمون الهضيبي : « لا بد أن نتعامل مع الواقع الموجود والقائم ، خاصة أن وجود الجماعة يمثل مصلحة للحكومة ، لأنها تلجأ إلينا كثيرا لضبط التيار الديني المتطرف » (الشرق الأوسط . ١١ / ٥ / ١٩٨٧م)

وقد شهد محمود عبد الحليم على جمع من الإخوان بالعمالة لضباط الثورة :

« ولكن الجديد في الأمر أنني اكتشفت أن القوم بكل الوسائل التي أتيت لهم من خزائن الدولة ، ولاء بعض إخوان لهم ، ووسائل التسمع الحديثة استطاعوا أن يعرفوا أسرارنا مما يتصل بهذه القوة » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٩)

وكان القرضاوى من كتبة التقارير في زمن عبد الناصر ، (انظر سيرة ومسيرة . ٢ / ٤٧٠ ، تحت عنوان « مع المقدم أحمد راسخ » وأخير فهذا د/ سيد عبد الستار المليجي يتهم أحد الإخوان بالعمالة قائلا : « واحد إخواننا هؤلاء غفر الله له جمع معلومات مكثفة عن الإخوان في مصر وقدمها هدية سهلة لمباحث أمن الدولة فيما عرف باسم قضية سلسبيل سابقا » (إسلام أون لاين ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٧م) .

وقد بدأ تعامل الإخوان مع القلم السياسي حين علم حسن البنا أن بعض ضباط القلم السياسي يتجسسون على الإخوان في المركز العام في زمن الملك فاروق ؛ فأمره أن يتصل بالدكتور محمود عساف ، ليعرف منه الأخبار الصحيحة ، وليكتب له التقارير الثابتة (انظر مع الإمام الشهيد . ص / ٣١) ..

سيد قطب والفكر التكفيري .

من الملاحظ أن الفكر الإخواني العام في زمن سيد قطب كان يدعم الاتجاه القائل بأن الإسلام لا يزال في المرحلة المكية . وقد ظهر هذا كله قبل قضايا التعذيب التي ظهرت عام ١٩٦٥م . حيث أكدت الدراسات الإخوانية كما قالت زينب الغزالي في كتابها (أيام من حياتي ص / ٤٥) : « وكانت الدراسات كلها تؤكد أن أمة الإسلام ليست قائمة ، وإن كانت الدولة ترفع الشعارات بأنها تقيم شريعة الله » . أهـ

ومن أجل ذلك كان سيد قطب يدعو إلى الانقلاب على جميع الحكومات في جميع الأقطار الإسلامية ، فلم يخص مصر دون غيرها باعتبار تعرضهم للتعذيب فيها . فقال في كتابه (في ظلال القرآن ٣ / ١٤٥١) : « وهذه المهمة .. مهمة إحداث إنقلاب إسلامي عام غير منحصر في قطر دون قطر » . أهـ

وقد شهد فريد عبد الخالق بضلوع سيد قطب في نشر فكر التكفير ، بقوله : « ألعنا فيما سبق إلى أن نشأة فكر التكفير بدأت بين شباب بعض الإخوان في سجن القنطرة في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، وأنهم تأثروا بفكر سيد قطب وكتاباته ، وأخذوا منها أن المجتمع في جاهلية » (في ميزان الحق . ص / ١١٥)

وقال القرضاوى في كتابه (أولويات الحركة ص / ١١٠) : « في هذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب ، التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره ، والتي تنضح بتكفير المجتمع .. يتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير " في ظلال القرآن " في طبعته الثانية ، وفي (معالم في الطريق) ومعظمه مقتبس من الظلال ، وفي (الإسلام ومشكلات الحضارة) وغيرها . كما ظهرت كتب المدعو له بالرحمة والمغفرة الشيخ سعيد حوى ، وهي تبني نفس الفكر ، وتسير في هذا الخط ذاته » أهـ ...

ولم يكن القرضاوى منفردا بالإنكار على ما كتبه سيد قطب في كتابه " معالم على الطريق " وغيره ، فقد سبقه إلى ذلك الشيخ / محمد عبد اللطيف السبكي

حين كلفه شيخ الأزهر بالرد عليه عام ١٩٦٥م ، وجاء الرد في مجلة (الثقافة الإسلامية) عدد ٨٠ . ٢٣ شعبان سنة ١٣٨٥ هـ ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥م) في مقال بعنوان "كتاب معالم في الطريق وهو دستور الإخوان المسلمين" قال :

« لأول نظرة في الكتاب يدرك القارئ أن موضوعه دعوة إلى الإسلام ، ولكن أسلوبه أسلوب استفزازي ، يفاجأ القارئ بما يهيج مشاعره الدينية وخاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء ، الذين يتدفعون في غير روية إلى دعوة الداعي باسم الدين ، ويتقبلون ما يوحى إليهم من أحداث ويحسبون أنها دعوة الحق الخالصة لوجه الله ، وأن الأخذ بها سبيل إلى الجنة » ثم انتهت الوثيقة في الحكم على المؤلف بـ :

١- أنه إنسان مسرف في التشاؤم ، ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود ، ويصورها كما يراها هو ، أو أسوأ مما يراها .

٢- أنه استباح باسم الدين أن يستفز البسطاء إلى ما يباه التدين من مطاردة الحكام ، مهما يكن في ذلك من إراقة الدماء ، والفتك بالأبرياء ، وتخريب العمران ، وترويع المجتمع ، وتصنع الأمن ، وإلهاب الفن في صور من الإفساد لا يعلم مداها غير الله ، وذلك هو معنى الثورة الحاكمية التي ردها في كلامه .. أهـ

عاكف وجريشة يطعنان في القرضاوي ...

لم يقبل محمد عاكف مرشد الإخوان كلام الدكتور القرضاوي في شأن سيد قطب .. ولم يقبل كذلك وثيقة الأزهر التي حملته مسئولة نشر المنهج التكفيري ، واتهم من يقول بهذا القول بعدم الفقه وقلة العلم ، قالوا : « الشهيد سيد قطب - رحمه الله - كان أدبياً وعالمًا فذاً ، وأفكاره لم تكفر مسلماً ، وقال : إن سيد قطب كان مفسراً رائعاً وصاحب أدبيات مبدعة ، إذا قرأها من يمتلك فقهها إسلامياً يزداد إيماناً وقوة ، وإذا قرأها من لا فقه له ولا علم يمكن أن يأولها تأويلاً خطأ ، حيث قد يُخيل إليه أن كتابات الشهيد تكفر الناس » (إخوان أون لاين -نت- ١٧ / ٨ / ٢٠٠٤ م) وقال المستشار / على جريشة المحامي الإخواني في مقال له بعنوان "عملاق في زمن الأقزام" : ... " إنه جهل بأسلوب الشهيد " .. إنه أسلوب أدبي رفيع ، لعل عز على

أولئك القارئ .. ففسروه على غير ما يقصد صاحبه . وإنه خلط بين (الأحكام الفقهية) و(الخواطر الأدبية) التي يسطرها أديب له قدره الكبير « (إخوان أون لاين - نت ٧ / ١١ / ٢٠٠٦) وقال : « التحقيق العلمي يثبت أن الأستاذ سيد قطب ليس مستولاً ؛ لأن ما قاله من عبارات لا يؤخذ بها معنى التكفير ، لكن القارئ العادي أُولمفل (ويدخل في ذلك رجال أمن الدولة طبعاً) ، قد يفهم أن الأستاذ سيد قطب مستول ، وذلك بسبب عباراته الأدبية التي استخدمها » (إخوان أون لاين - ٨ / ٢٩ / ٢٠٠٥) ...

والحقيقة أن قضية سيد قطب في التكفير لم تكن محصورة في لفظ أدبي . وإلا فلماذا نهى عن تعليم الناس مسائل الفقه ، وقال في (الظلال ٢٠١٢ / ٤) : « إن العمل في الحقل الفكري للفقه الإسلامي عمل مريح لأنه لا خطر فيه ، ولكنه ليس عملاً للإسلام ، ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته . وخير للذين يشهدون الراحة والسلامة أن يشتغلوا بالأدب وبالفن أو بالتجارة » أهـ

ولماذا أوصى بدعوة المسلمين إلى اعتناق العقيدة الإسلامية أولاً ! وقال في (الظلال ٢ / ١٠١١) : « كذلك يجب أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الإسلامية ، أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين ، يجب أن يدعوه أولاً إلى اعتناق العقيدة - حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ! وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون » أهـ وقال : « إن هذا المجتمع الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم ، ومن ثم لن يطبق فيه النظام الإسلامي » (الظلال ٤ / ٢٠٠٩)

وكفر البشرية كلها .. حتى الذين يرفعون الأذان على المآذن ، وزعم أنهم " لا يتبعون دين الله أصلاً " ، بقوله : « لقد استدار الزمان كهيبته يوم جاء هذا الدين للبشرية ، وانتكست البشرية بجمليتها إلى الجاهلية .. سيعمها جميعاً لا تنبذ دين الله أصلاً . وعاد هذا القرآن يواجه البشرية كما واجهها أول مرة ، يستهدف منها نفس ما استهدفه في المرة الأولى من إدخالها في الإسلام ابتداء من ناحية العقيدة والتصور . ثم إدخالها في دين الله بعد ذلك من ناحية النظام والواقع » (الظلال ٢ / ١٢٥٦) وقال

: «إن المسلمين الآن لا يجاهدون ، ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون !» (الظلال . ٣ / ١٦٣٤)

وأكد في كتابه العدالة الاجتماعية أن الحياة الإسلامية توقفت إلى الحد الذي يجب أن تستأنف من جديد .! قائلا : « نحن ندعو إلى استئناف الحياة الإسلامية في مجتمع إسلامي تحكمه العقيدة الإسلامية . ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية على هذا النحو قد توقفت . منذ فترة طويلة . في جميع أنحاء الأرض .. وإن وجود الإسلام ذاته من ثم توقف » أهـ

هذا هو ما قاله .. ثم بعد ذلك يقولون إن التكفير لم ينشأ من فكر سيد قطب .. فمن أين إذن نشأ ؟.. وأى تكفير أظهر من القول بأن الإسلام قد توقف والحياة الإسلامية توقفت .؟

ألم ينضج من فكر سيد قطب تعليق الكفر على مجرد مخالفة الأحكام العملية ولو مرة واحدة بصرف النظر عن الجحود وغيره . فقال:

« والإسلام منتهج للحياة كلها من اتبعه كله فهو مؤمن وفي دين الله ، ومن اتبع غيره - ولو في حكم واحد- فقد رفض الإيمان واعتدى على ألوهية الله وخرج من دين الله مهما أعلن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم » (الظلال . ص/ ٩٧٢)

ألا يجرى قوله هذا مع معتقد المعتزلة الذين يرون الإيمان جزءا واحدا ، إذا نقص منه شيء ضاع كله .

وقد قال به في الظلال ٢ / ٧٩٨ عند تفسير قوله تعالى : «إن الذين يكفرون بالله ورسوله» [النساء: ١٥٠]: «إن الإيمان وحدة لا تتجزأ» أهـ

أثم يتجرأ سيد قطب عندما حصر علة ترك أحكام في رفض إنهيته الله تعالى فقط ، ولم يقل بالتفصيل كما قال أئمة السلف ، وقال :

« يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة.. لا لأنها تعتقد بالوحي أحد غير الله ، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير

الله ، ولكنها تدخل في هذا الإطّار لأنها لا تدين بالمعبودية لله وحده في نظام حياتها» (الظلال. ص/ ١٠١) ...

وقال في تفسير قول الله تعالى : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» بهذا الحسم الصارم الجازم وبهذا التعميم الذي تحمله من الشرطية وجملته الجواب بحيث يخرج من حدود الملازمة والزمان والمكان وينطلق حكما عاما على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل ومن أي قبيل ، والعلة هي التي أسلفنا هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله إنما يرفض ألوهية الله» (الظلال ٢ / ٨٩٨) .

ألم يطعن سيد قطب في تفسير ابن عباس وغيره من أئمة السلف الذين أجمعوا على أن الكفر الوارد في هذه الآية ليس هو الكفر المخرج من الملة ، إنما هو " كفر دون كفر " ، وجعل تفسيرهم بذلك من قبيل تحريف الكلم عن مواضعه ..

فقال : «إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة ، والتأويل والتأويل في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد» أهـ .

سيد قطب والأحكام الشرعية :

إن سيد قطب الذي أطلق هذه الأحكام كان يرى أن من حق الجماعة المسلمة أن تشرع من القوانين الوضعية ما ترى فيها مصلحة عائدة عليها .. حتى انتهى به الأمر إلى القول بأن تشريعات الحياة الإسلامية كانت ناقصة من الناحية الاجتماعية ، فقال في (العدالة الاجتماعية . ص/ ٢٦١) : « فكل ما أتمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الإسلام ، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس ، يجب أن لا نحجم عن الانفتاح به عند وضع تشريعاتنا ، ما دام يحقق مصلحة شرعية للمجتمع ، أو يدفع مضرة متوقعة» أهـ وأكد ذلك في كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية . ص/ ٤٤) بقوله : « في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعا ، وتعيد توزيعها على أساس جديد ، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس

التي يعترف بها الإسلام » أهـ

واستدرك على الشريعة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وفي الرقاب ﴾ وبين أن نظام الرق في الشريعة الإسلامية نظام مؤقت ، يعمل به حتى تنتزع البشرية . فقال في كتابه (ظلال القرآن . ١٦٦٩) : « ذلك حين كان الرق نظاما عالميا ، تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم . ولم يكن للإسلام بد من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق » أهـ

وهذا تسفيه صريح للشرع وإتهام واضح له بالقصور .. فمن هو إذن الذي يستحق مسمي التكفير على مقتضى القاعدة التي وضعها : « أن من أطاع بشرا في شريعة من عند نفسه ولو في جزئية صغيرة فإنما هو مشرك إن كان في الأصل مسلما ثم فعلها فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضا .. مهما بقي بعد ذلك يقول : أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه . بينما هو يتلقى من غير الله ، ويعطي غير الله » (في ظلال القرآن . ٣ / ١٣٥) .

ولم يكن سيد قطب بمفرده في هذا المضمار .

فقد أباح القرضايوي الاقتراض الربوي بشرط أن تكون الفائدة أقل من الثلث . وحدد نسبة ١٥٪ مقياسا وسطا للزيادة . فالربا المحرم عنده هو الربا الفاحش . وذلك في برنامج " الشريعة والحياة " بتاريخ ٦ / ١٢ / ١٩٩٨م تحت عنوان " الشركات المساهمة " فقال : « فأكثر العلماء يمتنعون ، وهناك فريق من العلماء أو الفقهاء من أباح بشروط ، وأنا ود/ عبدالستار ، ود/ علي القره داغي من هؤلاء ، وأهم هذه الشروط : ألا يكون التعامل بالربا كثيرا ، والكثرة والقلة هذه عملية نسبية » أهـ

وفي أحد لقاءاته التلفزيونية علق على قول الرسول ﷺ : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » (رواه البخارى .) بقوله : « هذا مقيد بزمن الرسول الذي كان فيه الحكم استبداديا أما الآن فلا » . وقد شاركه في ذلك الأستاذ الغزالي ، فقال : « ولو أن الأمر في فارس شوري وكانت المرأة الحاكمة تشبه جولدا مائير اليهودية التي

حكمت إسرائيل ، واستبقت دفة الشؤون العسكرية في أيدي قادتها لكان هناك تعليق آخر على الأوضاع القائمة » (السنة النبوية . ص/ ٥٧) .

وهذا القول رد لسنة النبي ﷺ ، وتسويغ لمن أراد أن يرد حكم الرسول ﷺ على العموم أن يتعلم بنش العلة التي أوردتها القرضايوي والغزالي .. أن الزمن غير الزمن والناس غير الناس .. أما أن الزمن الماضي كان زمنا استبداديا فهذا زعم مردود .. فالزمن الماضي هو زمن الرسول ﷺ الصحابة والتابعين . فهل كان زمنهم زمنا استبداديا ؟

هذه بعض أقوال الإخوان التي تسوغ للباطل وتبني للخراب .. ومع ذلك لم يكفرهم أحد بتلك الأقوال ... لأنهم لم يقصدوا معنى الكفر فيما قالوا .

وهذا الحكم ليس خاصا بهم دون غيرهم .. فإن قال قائل كانت لهم مقاصد حسنة وما هي إلا تأويلات وأخطاء .. فالآخرون كذلك قد يكون لهم تأويلات ، وقد يقعون في أخطاء وشبهات .

بطلان التكفير المطلق:

فقول سيد قطب في التكفير المطلق قول باطل .. وليس له فيما قال سلف .. وقد كان من الواجب على سيد قطب أن يرضى بتفسير السلف لهذه الآية « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » كما رضى بإجماعهم على تنزيلها .. روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد . ١٠ / ١٨٦) عن الحسن بن خضمر قال سمعت من أبي داود يقول : « أدخل رجل من الخوارج على المؤمن فقال ما حملك على خلافنا ؟

قال : آية في كتاب الله تعالى .. قال : وما هي ؟ ..

قال : قوله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فقال له المؤمن : ألك علم بأنها منزلة ؟ ..

قال : نعم ... قال : وما ذلك ؟ ..

قال : إجماع الأمة ..

قال : فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فافرض بإجماعهم في التأويل ..

قال : صدقت السلام عليك يا أمير المؤمنين « أهـ

وحقيقة الأمر أن في هذه الآية تفصيل ..

فهناك كفر عملي وهناك كفر اعتقادي .. فليس كل من ترك الحكم بما أنزل الله تعالى يكون كافرا كافرا مخرجا من الملة ، بل إن ذلك متعلق بكون الحاكم جاحدا لهذا الحكم أم غير جاحد . فإذا كان جاحدا أو مستكبرا فهو كافر كفرا مخرجا من الملة ، وإذا كان غير جاحد فكفره كفر عملي ، وهذا هو الذى يطلق عليه الأئمة : كفر دون كفر ، وشرك دون شرك .. وعلى هذا القول عامة المفسرين ...

قال الإمام الطبري في (جامع البيان ٦ / ١٦٦) : « وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب ، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات فقيهم نزلت ، وهم المعنيون بها ، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم ، فكونها خيرا عنهم أولى ، فإن قال قائل : فإن الله تعالى قد عم بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله ، فكيف جعلته خاصا ؟! قيل : إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا يحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين ، فأخبر عنهم أنهم يتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرين ، وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به ، هو بالله كافر ، كما قال ابن عباس " . أهـ

وقال الإمام القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٩٠) :

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد رحمه الله :

فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة . وقيل : فيه إضمار ؛ أي ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن ، وجحدا لقول الرسول (فهو كافر ؛ قال ابن عباس ومجاهد ، فالآية عامة على هذا ... » أهـ

وقال الإمام ابن كثير : « وعن ابن عباس قال :

« ليس بالكفر الذي يذهبون إليه » (رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) (التفسير العظيم ٥٨ / ٢) .

وقال إسماعيل بن سعد في (سؤالات ابن هاني ٢ / ١٩٢) : « سألت أحمد : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » قلت : فما هذا الكفر؟ قال : كفر لا يخرج من الملة » أهـ

وقال الإمام المروزي : « كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ونسق دون فسق ... وقد صدق عطاء ؛ قد يسمى الكافر ظلما ، ويسمى العاصي من المسلمين ظلما ، فظلم ينقل عن ملة الإسلام وظلم لا ينقل » (تعظيم قدر الصلاة ٢ / ٥٢٣)

وقال ابن عبد البر في (التمهيد ٥ / ٧٤) : « وأجمع العلماء على أن الجور في الحكم من الكبار لمن تعمد ذلك عالما به ، رويت في ذلك آثار شديدة عن السلف ، وقال الله عز وجل : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » نزلت في أهل الكتاب ، قال حذيفة وابن عباس : وهي عامة فينا ؛ قالوا ليس بكفر ينقل عن الملة إذا فعل ذلك رجل من أهل هذه الأمة حتى يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، روي هذا المعنى عن جماعة من العلماء بتأويل القرآن منهم ابن عباس وطاووس وعطاء » أهـ .

وقال الإمام ابن تيمية : « وإذا كان من قول السلف أن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قولهم أنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذى ينقل عن الملة كما قال ابن عباس وأصحابه فى قوله تعالى :

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » قالوا كفروا كفرا لا ينقل عن الملة ، وقد اتبهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة » (مجموع الفتاوى ٧ / ٣١٢)

وقال ابن القيم فى كتابه (الصلاة وحكم تاركها . ص / ٧٢ / ٧٥) : « أما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً » وقال : « إن الله

سبحانه سمي الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ويسمى جاحدا ما أنزل الله على رسوله كافرا، وليس الكافران على حد سواء -أهـ

وقال على التفصيل في (مدارج السالكين. ١ / ٣٣٦) : «الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصيانا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع يقينه أنه حكم الله تعالى فهذا كفر أكبر وإن جهله وأخطأه : فهذا مخطيء له حكم المخطئين » -أهـ

وقال الإمام الشنقيطي في (أضواء البيان ٢ / ١٠٤) أيضا بالتفصيل : «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مَعَاصِرَةً لِلرَّسْلِ وَإِطْلَافًا لِأَحْكَامِ اللَّهِ فَظْلَمَهُ وَفَسَدَهُ وَكَفَرَهُ كُلُّهَا كَفْرٌ مَخْرُجٌ عَنِ الْمِلَّةِ ، «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا فَاعِلٌ قَبِيحًا فَكَفَرَهُ وَظَلَمَهُ وَفَسَدَهُ غَيْرُ مَخْرُجٍ عَنِ الْمِلَّةِ » -أهـ

وقال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم في الفتاوى (١ / ٨٠) أيضا على التفصيل الذي يقول به أئمة السلف : « من حكم بما أو حاكم إليها معتقدا صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر النازل عن الملة وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملي الذي لا ينقل عن الملة » -أهـ

وعلى هذا التفصيل أئمة السلف المعاصرين .. حيث فرقوا بين الكفر العملي والكفر الاعتقادي ... والاستحلال الفعلي والاستحلال الاعتقادي .. كما فرقوا بين من هو مقر بالحكم ملتزم به ، ومن هو غير مقر ولا ملتزم ..

وفي معرض ذلك لم يفرقوا بين مخالفة الحكم مرة واحدة ، وبين مخالفة الحكم أكثر من مرة ... فكثير الذنوب وقليلها لا ينعدى حكم الكبيرة ...

وذنب يقول صاحبه " هذا هو دين الله " أعظم وأشد من ذنب ينسب المرء إلى نفسه وهواه ، ويقر فيه بالخطأ والضلال ..

قال العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني في تفسير قوله تعالى ..

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» لا بد من الدقة في فهم الآية فإنها قد تعني الكفر العملي ، وهو الخروج بالأعمال عن بعض أحكام الإسلام . ويساعدنا في هذا الفهم حبر الأمانة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) الذي أجمع المسلمون جميعاً - إلا من كان من الفرق الضالة - على أنه إمام فريد في التفسير فكانه طرق سمعه - يومئذ - ما نسمعه اليوم تماماً من أن هناك أناساً يفهمون هذه الآية فهما سطحيًا ، من غير تفصيل ، فقال رضي الله عنه : " ليس الكفر الذي تذهبون إليه " و : " أنه ليس كفرًا ينقل عن الملة " و : " هو كفر دون كفر " ، ولعله يعني : بذلك الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين (علي رضي الله عنه) ثم كان من عواقب ذلك أنهم سفكوا دماء المؤمنين ، وفعلوا فيهم ما لم يفعلوا بالمشركين ، فقال : ليس الأمر كما قالوا ! أو كما ظنوا ! إنما هو : كفر دون كفر " (التحذير من فتنة التكفير. ص/ ٥٦) .

وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (رحمه الله) : « أما مسألة التوصل إلى التكفير والحاكم لا يزال يصلي ويعترف بشعائر الإسلام فينبغي للمسلم أن يبتعد عن هذا ، وقوله سبحانه وتعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » يقول ابن عباس : هو كفر دون كفر ، أو يحمل على ما إذا كان مستحلاً .. » (إجابة السائل على أهم المسائل . ص / ٢٨٥) .

والذي انتهى إليه هؤلاء الأئمة وغيرهم في ذلك هو الحق الثابت . يعرف ذلك من تفتن إلى أطراف الأدلة الواردة في مادة " الكفر " التي تعلق بها الخوارج في قول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وحصرها معناها في الكفر المخرج من الملة ، وتجاوزها عما يخالها من أقوال النبي ﷺ ، كقوله : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وقوله ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وقوله ﷺ : « لا تريخوا عن آياتكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر » إلى آخر الأحاديث التي تلزم بتأويل تلك الكلمة إلى معنى يبعد عن معنى الكفر المخرج من الملة ، إلى الكفر العملي ..

أثر صحيح.

وقد كذب بعض الجبهة أثر ابن عباس الذى قال فيه فى قضية الحكم بأنها " كفر دون كفر " وزعموا أنه ضعيف .. وقد صحح هذا الأثر كثير من أهل العلم وأقروا به .. منهم الحاكم فى المستدرک ووافقه الذهبي والإمام القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن وابن عبد البر فى التمهيد وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ... كما صححه العلامة الألباني فى الصحيحة ٦٠ / ١٠٩ .

وقد رد العلامة العثيمين على من قال بضعف هذا الأثر ، قائلا : « لكن لما كان هذا الأثر لا يرضى هؤلاء المفتونين بالتكفير صاروا يقولون : هذا الأثر غير مقبول ! ولا يصح عن ابن عباس ! فيقال لهم : كيف لا يصح وقد تلقاه من هو أكبر منك وأفضل وأعلم بالحديث !. وتقولون : لا تقبل ... فيكتفينا أن علماء جهابذة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم - وغيرهما - كلهم تلقوه بالقبول ويتكلمون به، وينقلونه ، فالأثر صحيح » (التحذير من فتن التكفير / ص / ٦٨) .

الشاهد : أن تفسير السلف لهذه الآية لم يقيّد الحكم على طائفة دون أخرى ولا واقعة دون غيرها .. حتى ولو كان للحاكم أكثر من واقعة خالف فيها الحكم فهى كما لو كان له أكثر من ذنب .. فلا يكفر الحاكم إلا إذا استحل الحكم بغير ما أنزل الله تعالى أو رضى به ، أو أبى واستكبر ، وقال هذا هو دين الله ، كما بين الإمام ابن العربي : « وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر وإن حكم به هوى ومعضية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة فى الغفران للمذنبين » (أحكام القرآن ٢٠٠ / ٦٢٤) .

وهذا ما انتهى إليه العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) وأكد عليه فى شريط " الدفعة البازية " أن وضع القوانين المخالفة للشرع لا يكون كفرا أكبر بمجرد الوضع إلا أن يكون عن رضا واستحلال ، أو أن واضعها نسبها إلى الشرعية ، وقال هذا هو دين الله ، فقال هى كفر : « أكبر ، إذا نسبها إلى الشرعية ، أما إذا ما نسبها إلى الشرعية ، بس مجرد قانون وضعه ، لا ، مثل الذى يجلد الناس بغير الحكم

الشريعي ، يجلد الناس لهواه أو يقتلهم لهواه ، قد يقتل بعض الناس لهواه وغلبه .. . وقال تعقيبا على رسالة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (رحمه الله) فى مسألة تحكيم القوانين : « أنا عندي فيها توقف ، أنه ما يكفى هذا حتى يعرف أنه استحل ، أما مجرد أنه حكم بغير ما أنزل الله أو أمر بذلك ما يكفر بذلك مثل الذى أمر بالحكم على فلان أو قتل فلان ما يكفر بذلك حتى يستحل ، الحجاج بن يوسف ما يكفر بذلك ، ولو قتل ما قتل حتى يستحل ، لأن لهم شبهة ، وعبد الملك بن مروان ، ومعاوية وغيرهم ، مايكفرون بهذا لعدم الاستحلال ، وقتل النفوس أعظم من الزنا وأعظم من الحكم بالرشوة » أهـ .

وليس فيما قاله الإمام العلامة ابن باز إرجاء ، كما يرجف بعضهم ، فالقاصى والدانى يعلم أن العلامة ابن باز (رحمه الله) وأئمة أهل السنة قاطبة يقولون إن " الإيمان يزيد وينقص " ويقولون : " إن العمل شعبة منه " كما أنهم يرتبون على ترك العمل استحقاق العقوبة فى الآخرة ، بخلاف المرجئة ، الذين يقولون إن العقوبات مجازية ، وإن العمل ليس جزءا من الإيمان ، حتى إنهم يسوون بين أفجر الفجار وأتقى الأتقياء .. وليس فيه كذلك تسويغ للحكم بغير ما أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ ، كما يظن البعض ، فالأمة بلاشك متفقون على وجوب الحكم بما أنزل الله ووجوب دعوة الحكام إلى ذلك ، وأن ترك الحكم بما أنزل الله جريمة فى حق الدين .. وإنما هو بيان حقيقة الفارق بين الكفر الاعتقادي والكفر العملى .. وتحذير من عواقب التكفير بالضرورة من استباحة الدماء ، وإشاعة الفوضى فى العالم الإسلامى ، كما فعلت التنظيمات الإرهابية التى خرجت من عباءة الإخوان .

أما ما نقله العماد ابن كثير (رحمه الله) فى كفر ملوك التتار فذلك لأنهم لما كتبوا إلياسق جسورا فيه تواجد الملل الشريكة الكافرة ، واستباحوا عبادة ضير الله تعالى ... وقالوا هذا هو دين الله .. فقول ابن كثير فيهم بالكفر محمول على اعتبار أنهم كفار فى الأصل ، إضافة إلى ذلك أنهم بدلوا دين الله كله وقالوا فيما وضعوا أنه هذا هو الدين الذى يرضاه الله .

أما في الدول الإسلامية فالمملكة العربية السعودية تحكم بالشريعة ، وهناك نصوص في الدساتير تلزم الحكومات المتعاقبة بجعل الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع ، كما في مصر وغيرها من الدول الإسلامية .. وهذا معناه أن الحاكم والمجتمع ملتزم بالشريعة مقر بها وأنها فوق كل شيء .. وهذا يدفع الحكم المتعلق بعدم الالتزام .. وهذا لم يكن في زمن كنجيكرخان ، الذي جمع في الياسق جميع العبادات الشركية وألزم الناس بها .. مما اقتضى القول بتكفيره وتكفير واضعه .. فالفارق بين واضح بين من بدل الدين كله في عقائده وشرائعه وأركانته ككنجيز خان وأتباعه وبين من أوقف العمل ببعض الحدود ، كما في بعض البلدان . وفارق كبير بين المؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبين ، المقيم للصلاة المقر بشرع الله وعظمته وبين اليهود والنصارى والمتأفكين ومن شابههم ممن يرى أن شرع الله دون شرع البشر أو أنه مساو لشرع البشر أو أن شرع البشر أعظم من شرع الله .. فهذا هو الجاحد الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ..

وعلى ذلك فإذا كان ترك الحكم من جهة العمل ذنب كبقية الذنوب والمعاصي .. ففعل الذنب قل أو كثر تركك الحكم قل أو كثر هو معصية وكبيرة ... إلا إذا كان عن جهود واستخفاف . فلو أن الحاكم جحد حكما واحدا فقد أنكر معلوما من الدين بالضرورة ، ومن أنكر معلوما من الدين بالضرورة كفر .

سيد قطب يتبرأ من معاوية ويكفر بأبي سفيان وبنى أمية ...

وبعيدا عن القول بجاهلية الأمة وكون هذا القول يسقط أو لا يسقط على مراده في التكفير ، فإن تناول سيد قطب لشخصيات من الصحابة بالبراءة منهم والتكفير ، والقول برودة بنى أمية ليعيد دليلا كافيا على إثبات حقيقة السلوك التكفيري في منهج سيد قطب . فقد قال سيد في كتاب (العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ط ١ . دار الكتاب العربي . ص / ٧٤) في بنى أمية :

« فامية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبهم ، وما كان الإسلام لها إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملاسلات » ..

وقال : « فلئن كان إيمان عثمان وورعه ورقته كانت تقف حاجزا أمام أمية ؛ لقد انهار هذا الحاجز ، واتساح ذلك السد ، وارتدت أمية طليقة حرة إلى ورائاتها في الجاهلية والإسلام ، وجاء معاوية تمانوه العصبية التي على شاكلته ، وعلى رأسها عمرو بن العاص ، قوم مجعهم المطامع والمآرب ، وتدفهم المطامع والرغائب ، ولا يحسبهم خلق ولا دين ولا ضمير » ..

وقال في معاوية (رضى الله عنه) : « فمعاوية هو ابن أبي سفيان وابن هند بنت عتبة ، وهو وريث أحد قومه جميعا ، وأشبه شيء بهم في بعد روحه عن حقيقة الإسلام ؛ فلا يأخذ أحد الإسلام بمعاوية أو بني أمية ؛ فهو منه ومنهم بريء » ..

وقال في أبي سفيان (رضى الله عنه) : « أبو سفيان هو ذلك الرجل الذي لقي الإسلام منه والمسلمون ما حفلت به صفحات التاريخ ، والذي لم يسلم إلا وقد تقررت غلبة الإسلام ؛ فهو إسلام الشفة واللسان ، لا إيمان القلب والوجدان ، وما نفذ الإسلام إلى قلب ذلك الرجل » أهـ

هتفضية التكفير واضحة في منهج سيد قطب ..

ولكن الإخوان لا يمكن أن يمسا مقاما رفعا صاحبه إلى مقام القداسة المنزه عن الباطل . والإخوان على العموم لا ينصحون ولا يسمعون ، إنما يفرون من النصيحة فرار الفريسة من النبال ، والحمر من الأسود ، خاصة إذا تعلقت بكبرائهم ، وتزداد البلية مع غربة النصوص والبراهين عن مسامعهم ، وتزداد أكثر إذا كانوا لا يستطيعون التفرقة بين المتغايرات والجمع بين التماثلات .. وهم على كل حال يعادون ويوالون على أساس غير شرعي .. يقول شيخ الإسلام في (الفتاوى ٢٠ / ١٦٣) : « ولهذا نجد قوما كثيرين يحيون قوما ويغضون قوما لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها ، بل يوالون على إطلاقها ، أو يعادون من غير أن تكون متقولة نقلا صحيحا عن النبي ﷺ وسلف الأمة ، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها » أهـ ..

فالقضية ليست في لفظ أدبي .. ولا في شبهات متعلقة بالعلماء .. القضية أن

جماعة الإخوان عن بكرة أبيها كانت غارقة في مفاهيم سيد قطب، المتعلقة بتضليل وتكفير وتغيب المجتمعات الإسلامية. ولينذكر الأستاذ محمد عاكف ما كان يعتقد، عندما كان عضواً في التنظيم السري.. الذي كان أعضاؤه جميعاً يعتقدون كفر الحكام، وكانوا يقولون كما تبين إن لهم قولاً: «متحجرة كفت ربها وأمت بالطاغوت الخ» (حقيقة التنظيم، ص/ ٤٨).

وقد كان هذا هو الأساس الأول في قتل النقراشي باشا...

ولينظر عاكف ماذا كان يقول فتحي يكن لطلاب الإخوان وأسرهم في السبعينيات من القرن الماضي: في كتابه (كيف ندعو إلى الإسلام" ط. الرسالة، ص/ ١١٢): «واليوم يشهد العالم أجمع ردة عن الإيمان بالله وكفراً جماعياً وعالمياً لم يعرف لهما مثيل من قبل» اهـ ..

اعتراضات وردود ..

القرضاوي يرد على منكرى التكفير في فكر سيد قطب...

بعدما أن قال القرضاوي ما قال في منهج سيد قطب التكفيري أخذت أقلام أخرى تدافع عن سيد قطب بغير دراية، فأخبرهم أن هذه هي الحقيقة، وأنه يأخذ سيد قطب بما كتبه ولم يدع عليه شيئاً. فقال: «ومما قاله بعضهم: إن الناس قرءوا (الظلال) ولم يفهموا ما فهمته من فكرة (التكفير).

وهذا الكلام غير صحيح، فقد أثار جدلاً طويلاً داخل الإخوان في السجون، ومن آثاره بحث قضية: هل نحن جماعة المسلمون؟ أم نحن جماعة من المسلمين؟ حتى أن مكتب الإرشاد أرسل إلى سيد الأخ عبد الرؤوف أبو الوفا يسأله عن هذه المسألة، ومن ذلك سؤال الأستاذ عمر التلمساني له وسؤال الحاجة زينب الغزالي له. وقد رأينا تجمعات في أقطار مختلفة يسمون (القطبيين)، يبنون فكرة التكفير، وقد رأيت من آثار ذلك: من سألوني عن الصلاة في البيوت، وترك المساجد باعتبارها معابد الجاهلية، وهو مما فهموه من الظلال في تفسير قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة)، وقد رددت عليهم في الجزء الأول من كتابي (فتاوى معاصرة)

وقال: «والقضية التي نتحدث عنها - قضية تكفير مسلمي اليوم - ليست قضية فقهية بعيدة عن اختصاص سيد كما يتصور أو يصور بعض الإخوة المتحمسين، بل هي قضية فكرية محورية أساسية، أو قل هي: قضية أصولية اعتقادية، هي الصق بعلم العقائد والكلام منها بعلم الفقه والفروع؟

ولأنها قضية فكرية محورية مركزة عند سيد، رأينا يلح عليها، ويكررها ويؤكد بها بأساليبه البيانية الرائقة والرائعة حتى تنضح كالشمس في رابعة النهار..

وقال: «وما أَلَنِي كثيراً دخول بعض الإخوة في هذا الميدان، وبضاعتهم مزجاة من العلم الشرعي، وحتى من المنطق العقلي، وظنوا أن الحماس وحرص الكلام يغني شيئاً في القضايا العلمية الكبيرة. المثلث مقدم على الثاني، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، والذي يحكم على العالم هو قوله لا فعله. لقد جاءه بمن يمكن أن يسموا (شهود النفي) في القضية، ليقولوا: إنهم لقوا سيداً رحمه الله ولم يجدوه يكفر المسلمين، أو سألوه: هل تكفر المسلمين؟ نفى ذلك، وقال من قال: يجب أن نضم أفعال سيد إلى أقواله حتى نكون منصفين معه. ونسي هؤلاء ما قرره علماؤنا من (قواعد علمية) تحكم الأمور وتضبطها، من هذه القواعد: أن المثلث مقدم على الثاني، وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ. فإذا جاء عشرة ثقات وقالوا: لم نسمع فلاناً يشتم فلاناً، وجاء رجل فقه، وقال: إنه سمعه يشتمه، وكان من أهل العدالة والضيظ، أخذ يقول هذا الواحد؛ لأنه علم ما لم يعلموا، فهم حدثوا بما يعلمون وهو حدث بما يعلم، وحفظ ما لم يحفظوا، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

وما ذكره الإخوة من تعارض فعل سيد مع أقواله: قد غفلوا عن أصل مهم، وهو: أن الذي يحكم على إنعائهم ويعبر عن رأيه هو قوله لا فعله؛ لأنه فعل امرئ غير معصوم، فلا غرابة أن يناقض فعله قوله، وسلوكه عمله، ما دام لا عصمة له، وقد قال بعض الأئمة:

اعمل بقولي ولا تركز إلى عملي ينفعك عملي ولا يضرك تقصيري.

وأريد أن أؤكد للمعلقين جميعاً أنني لم أدع على الرجل دعوى من كيسي بل من كيسه هو، وما أخذته إلا بكلامه البين الجلي المفهوم، فإن كان رجع عن مضمون هذا الكلام الجلي في أواخر حياته - رحمه الله - فليقل هذا ولا حرج، إنه تراجع عن هذا الفكر ولم يعد يلتزمه أو يؤمن به.

وحبذا أن يقول ذلك أولى الناس به؛ شقيقه الكاتب الكبير الأستاذ محمد قطب حفظه الله، فليت صديقنا العزيز يفعلها فريخ ويستريح، فيعلم على الأقوال التي نقلتها من الظلال ومن غيره وأمثالها بسطر واحد يضع الأمور في نصابها»

وقال: «كما لاحظت أن الإخوة الذين عقبوا علي كلهم -إلا واحداً- أغفلوا شيئاً مهماً، هو محور القضية، وهو ما نقلته عن سيد رحمه الله من كتبه. فقد تناسوا هذا تماماً، وظلوا يركضون بعيداً: يبحثون عن لقي سيداً، من سأله فأجابه. ومن سمع منه كذا وكذا، وأنا لا دخل لي بهذا كله. أنا أحكم على فكر الرجل من خلال نصوصه المكتوبة. والنص المكتوب هو أدل شيء على فكر الإنسان. بخلاف ما يقوله شفها، مما قد لا ينتقل بنصه تماماً، وما قد ينتقل حسب فهم السامع، وما ينتقل بعيداً عن سياقه وملايساته. كنت أود من الإخوة المعقبين -ما دأوا يحترمون المنطق العلمي، والبحث الموضوعي- أن يتقوا عند النصوص التي نقلتها - وهي ليست كل ما قاله الشهيد رحمه الله- ويبينوا لنا المراد منها نصاً نصاً. لينظر القارئ في تفسيرهم لها؛ أهو مقبول أم مرفوض؟ طبيعي أم متكلف؟ ولكنهم -للأسف- لم يجشموا أنفسهم مشقة هذا الجهد. وعندي رأي في تفسير الموقف العلمي لسيد، وهو ما شهده الناس منه، وسمعوه منه، في الفترة التي خرج فيها من ضيق السجن على باحة المجتمع، فقد واجه الجمهور الأعظم من الناس - التي شهدت نصوصه بأنه لم يدخل في الإسلام بعد، ولم يفهم (لا إله إلا الله) بمذلولها الحقيقي الذي حده - فوجد هذا الجمهور يستقبله في كل مكان بالفرحة والترحاب، ويتعاطف معه، من كان منهم من الإخوان ومن لم يكن، ووجههم في المساجد مقلبين على الله، نالين لكتاب الله، أو مستمعين له، متأثرين به، فلم يكن من السهل عليه أن يحكم على هؤلاء الناس بالكفر. حقيقة الناس في الواقع الذي يراه أوضح وأكبر مما سطره في الكتب.

فلهذا سمعوا منه ما سمعوا، ورأوا منه ما رأوه، وأجابهم حين سئل بما أجاب، مما قد يعتبر تراجعاً عما قرره في كتبه. ولكن ما في الكتب من نصوص، ناصعة البیان، ظاهرة الدلالة، يبقى كما هو، لا تلك أن نغيره، أو نسقط منه حرفاً، أو نزيف دلالة. فالحقيقة لا تقبل هذا، والشهيد سيد قطب نفسه لا يرضى هذا التزييف» (إسلام أون لاين . سبتمبر ٢٠٠٤م).

تضارب وتعارض..

على الرغم من إنكار القرضاوى ما ورد في كتب سيد قطب من التكفير إلا أنه وقع فيما حذر منه، وقال بما أنكره.. فقد أخرج القرضاوى من انتقد الإخوان من مشايخ الأزهر وغيرهم من ملة الإسلام، إبان ظهور تنظيم ١٩٦٥م، فقال:

« كم على صديري، وتقطع كبدي، وأنا أقرأ لبعض هؤلاء الذين يلبسون لبوس علماء الدين، وحمله القرآن، وما لهم من الدين إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ولا من العلم إلا قشوره، فليسوا من الراسخين في العلم، ولكن من الذين في قلوبهم زيغ» (مذكرات القرضاوى . الجزء الثالث . محنة ١٩٦٥م)

وهذا هو نفس المصير الذي لقيه الأستاذ / على عبده عشموى ' عضو تنظيم ١٩٦٥م'، عندما اعترف على إخوانه في التنظيم؛ فأطلق عليه لفظ الخائن، وألقاه في سلة المشركين، وذلك في مذكراته التي نشرت في (آفاق عربية . ١ يوليو ٢٠٠٤م) فقال: « ولكن أجهزة عبد الناصر، أعلنت أنها اكتشفت تنظيمًا سرياً خطيراً جداً، يقوده سيد قطب ومعه مجموعة من الإخوان .. منهم شخص اشتره بالإغراء والتأثير بالوعد والوعيد، والعفو عنه من حبل المشقة -وهو علي عبده عشموى. وهذا الطريق من وقع فيه فقد وقع في حفرة لا ينجو منها إلا إلى حفرة أشد منها عمقا. لأن الذي يبيع نفسه للطاغوت قد خسرها بالمرة. وهذا لون من الشرك بالله، الذي ينحط به الإنسان إلى أسفل الدركات: «ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق» (الحج: ٣١). أهـ ...

تلك هي أدبيات جماعة الإخوان في الحكم على المخالفين .. إما كفار وإما خونة .. أما الكفار الظاهرين الأصليين فلهم التعميم والدرجات العلى من الجنة .. فقد نعى الأستاذ / القرضاوى بابا النصارى الكاثوليك ودعا له بالرحمة والمثوبة فى الآخرة ، وذلك فى لقاءه مع " خديجة بن قنة " على قناة (الجزيرة برنامج الشريعة ٣٠ / ٤ / ٢٠٠٥م) : « وقال ربما يعنى بعض المسلمين يقول إنه لم يعتذر عن الحروب الصليبية وما جرى فيها من مأسى للمسلمين كما اعتذر لليهود ، وبعضهم يأخذ عليه بعض الأشياء ، ولكن مواقف الرجل العامة وإخلاصه فى نشر دينه ونشاطه حتى رغم شيخوخته وكبر سنه ، فقد طاف العالم كله وزار بلاد ومنها بلاد المسلمين نفسها فكان مخلصا لدينه وناشطا من أعظم النشاط فى نشر دعوته والإيمان برسائله. ثم قال : « لا نستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويهيىه بقدر ما ما قدم للإنسانية وما خلف من عمل صالح » (وانظر موقع القرضاوى) ..

ولا شك أن هذا كذب صريح على الأمة ، وقول بغير علم ، ورد للإسلام والشريعة والاعتقاد ، وتكذيب للرسول والصحابة والأئمة ، سيحاسبه عليه أحكم الحاكمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .. قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ۝ ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله

الفصل السادس

الفكر الانقلابي فى دعوة الإخوان

بيعة حسن البنا للملك فاروق ..

حسن البنا يطلب البيعة لنفسه..

تأصيلات فكر الخروج فى دعوة

الإخوان

الخطة الإخوانية فى الانقلاب

والثورة

أشهر الافتيالات السياسية فى

دعوة الإخوان

حرمة القتل السياسي فى الإسلام

القرضاوى بين حصر والعراق فى زمن

الاحتلال

الأيمان قيد الفتك

الفصل السادس

الفكر الانقلابي في دعوة الإخوان

حقيقة الفكر الانقلابي ..

اجتهد قادة الإخوان ومفكروهم كثيرا في إنكار الفكر الثوري واتخاذ العنف سبيلا للتغيير .. قال التلمساني : « الإخوان ما فكروا يوما في القوة كسلاح لتغيير أو إنقلاب أو ثورة » (ذكريات لا مذكرات . ص / ١٨٧) .

وقال ص / ١٩١ : « والعجيب في أفهام الكثيرين تصورهم أن دعوتنا تدعو إلى قلب نظام الأوضاع القائمة ، ونحن بهذه الصورة متأرون ، وليس لهذا ظل من الحقيقة » أهـ وقال محمد عاكف : « لسنا أهل ثورة ، ونحن ندعو للحق والسلام ، والثورة ليست من مفرداتنا » (الشرق الأوسط . ١٢ مايو ٢٠٠٥ م)

وقد كان حسن البنا يؤكد لاتباعه ، أنه لا يؤمن بالثورة ، ولا يعمل لها ، فقال : « وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها وتناجها » (الرسائل ص / ١٩٠) فهل كانت دعوة الإخوان لا تؤمن بالثورة سبيلا للتغيير ، أم أنها كانت دعوة خارجية تؤمن بذلك ؟

منطق الدولة داخل الدولة ...

الإخوان منذ أن نشأت دعوتهم .. تنظيمات سرية ، مظاهرات مثيرة للفتن . خروج دائم على الأمراء والعلماء والحكام ، باختلاف ألوانهم وأشكالهم .. فن الإخوان لانتهى ولا تنقطع ، كلما يخرجون من فتنة يدخلون في أخرى .. فقد ذاقوا فتنة الملكية ، ولا زالوا إلى الآن مع فتنة مع الثورة والجمهورية .. لم يخرجوا من المصائب إلا المحن ، ومن الزهور إلا الشوك .. ويرجع ذلك كله إلى تلك البيعات التي يعطونها لمرشديهم على الدوام ، والتي تخول لهم الخروج الدائم على الدولة والمجتمع .. قد يقول قائل : هذه نظرة سلبية لا أساس لها .

أقول : لا تعجل فالإخوان يؤمنون بالثنية ، ولا يمكن أن تعرف حقيقة

توجهاتهم من أقوالهم .! ثانيا : الإخوان أعطوا بيعة لمرشدهم ، ولا يمكن أن يتروكوا بيعة مرشدهم لبيعة غيره .

ثالثا : أن أكبر مفكرهم مدح قتلة الخليفة الراشد عثمان (رضى الله عنه) ، وجعل الخروج عليه فورة من روح الإسلام ، فماذا يكون القول في غيره ، فقال : « وأخيرا ثارت الثائرة على عثمان . تلك الثورة في عمومها كانت ثورة من روح الإسلام » (سيد قطب . العدالة الاجتماعية . ص / ١٥٩)

بيعة حسن البنا للملك فاروق ..

بايع حسن البنا الملك فاروق ملك مصر ، كما بايع الملك فؤاد ، كلا على السمع والطاعة . وقال في بيعة الملك فؤاد : « إلى سدة صاحب الجلالة الملكية حامى حمى الدين ونصير الإسلام والمسلمين مليك مصر المقدى .. يتقدم أعضاء مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين المجتمعون في مدينة الإسماعيلية بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٥٢ والممثلون خمسة عشر فرعا من فروع جمعية الإخوان المسلمين برفع أصدق آيات الولاء والإخلاص للعرش المقدى ولجلالة المليك وسمو ولى عهده المحبوب » (مذكرات الدعوة والداعية . ص / ١٥٦ دار الشهاب) وفي بيعة الملك فاروق .. رفع حسن البنا باسمه وباسم جماعة الإخوان أسمى آيات الولاء والبيعة للعرش المقدى ، قائلا كما في مجلة (النذير . العدد الثانى ٦ ، ربيع الثانى ١٣٥٧ هـ . دار الكتب والوثائق) : « إلى مقام صاحب الجلالة الملك فاروق الأول : أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو وأمسلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وأرفع إلى السدة العلية ولواء أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في القطر المصرى كله بل ، وفي العالم الإسلامى أجمع وإخلاصهم لعرشكم المقدى ، وتحببهم لادناكم المحبوبة » أهـ

وقال : « يا مولاي لقد برهتكم جلالتم في كل موقف على اعتزازكم بتعاليم الإسلام وحرصكم على أن تسود الروح الإسلامى النبيل مظاهر حياة شعبكم المخلص وكنتم في ذلك خير قدوة » أهـ

كما أشاد بوطنية في رسالته إليه في أكتوبر ١٩٤٦م قائلا : « إن جلالتم

وأتمم الوطني الأول خير من تتحقق على يديه الآمال ، وتنصلح بسامي حكمته
وجميل إرشاده وتوجيهه الأحوال « (أحداث صنعت التاريخ / ١ / ٤١٩) ...

ولو لم يكن لإثبات تلك البيعة إلا أن يصف حسن البنا ملك مصر بأنه ملك
مسلم ، لكان ذلك كافياً للالتزام ببيعته ، التزاماً ببيعة غيره .. فلحكم يتول للمحاكم
باتفاق أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء ، ولا يشترط إجماع الكل . قال الإمام
المازري (رحمه الله) : « يكفي في بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ولا يجب
الاستيعاب ، ولا يلزم أن يحضر عنده ويضع يده في يده ، بل يكفي التزام طاعته
والانقياد له بأن لا يخالفه ولا يشق العصا عليه » (فتح الباري / ٧ / ٤٩٤) وقد كان
حسن البنا دائم الشهادة للملك فاروق بأنه ملك مسلم .. وقال : « وإن لنا في جلالة
الملك المسلم أبده الله آملاً محققاً وفي الشعب المصري الذي صقلته الحوادث ونبهته
التجارب » (مذكرات الدعوة / ص / ١٩١)

حسن البنا يطلب البيعة لنفسه ..

على الرغم من ارتباط حسن البنا ببيعة خاصة مع الملك فاروق إلا أنه كان
يفرض على أتباعه بيعة سرية لنفسه . وقد أثبت ذلك في كتابه (مذكرات الدعوة .
ص / ٩٦) في أول اجتماع له مع هيئة المؤسسين للجماعة .. فقال : « وكانت بيعة ..
وكان قسماً أن نحي إخواننا نعمل للإسلام » .

قال محمود الصباغ : « كانت البيعة تتم في منزل يحيى الصليبية حيث يدعى
العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه ، والأخ عبد الرحمن السندي المسئول
عن تكوين الجيش الإسلامي داخل الجماعة ، وبعد استراحة في حجرة الاستقبال
يدخل ثلاثتهم إلى حجرة البيعة فيجدونها مظفة الأنوار ، ويجلسون على بساط في
مواجهة أخ في الإسلام مغطى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برداء
أبيض ، يخرج من جانبيه يداه ممتلئتان على منضلة منخفضة " طلبية " عليها مصحف
ومسند » (التنظيم الخاص . ص / ١٣٢)

ويحكي محمد حامد أبو النصر " المرشد الرابع " طريقة بيعته لحسن البنا.

وفيهما دعا إلى حمل السلاح ، قائلاً : قلت له : إن المعاني التي ذكرتها فضيلتك
كثيراً ما تجري على السنة الخطباء ، والوعاظ والعلماء .. لكن ليس هذا هو السبيل
للمرجوع بالمسلمين إلى عهدهم ، وأما جدهم السالفة ، قال إذن ماذا ترى . ؟ وكنت
في ذلك الوقت متوشحاً مسدسي الذي لا يفارقتني في مثل استقبال ذلكم الزائر الكريم
الذي أحببته قبل أن أراه ، فقلت له : إن الوسيلة الوحيدة للمرجوع بالأمة إلى أمجادها
السالفة هي هذا . وأشرت إلى مسدسي فانبسخت أسأريه كأنما لقي بغيته ، وعثر على
مطلبه ، وقال لي : ثم ماذا ؟.. تكلم .. فعثت في هذه الكلمات برهة قطعها فضيلته
باستخراج المصحف الشريف من حقيبته ، قائلاً : هل تعطي العهد على هذين مشيراً
إلى المصحف والمسند ؟ فقلت : نعم بدافع قوي أحس به ، ولا أستطيع أن أضفه ،
اللهم إلا الفيض الإلهي الغامر ، والسعادة الأبدية التي أَرادها الله لي في سابق علمه
! . وبعد أن تمت البيعة بهذه الصورة ، قال فضيلته مهتناً : مبارك إنها الأولى في
صعيدكم « (إخوان أون لاين - ١ / ١ - ٢٠٠٣)

وهذا كله كلام باطل يدل على جهل أصحابه ، وبيعة ساقطة لا قيمة ولا
كرامة .. ولا طاعة إلا للإمام المباح المتمكن بالسلطان ، أما غيره فلا طاعة له ولا بيعة
له ، قال شيخ الإسلام : « النبي » أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم
سلطان يقدرون به على سياسة الناس لا بطاعة معدوم ولا مجهول ولا من ليس له
سلطان ولا قدرة على شيء أصلاً » (المنهاج / ١ / ١١٥) وقال : « ما أمر الله به
ورسوله ﷺ من طاعة ولادة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان ، وإن لم
يعادهم عليه وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة » .

بيعة دولة ..

كانت بيعة حسن البنا بيعة دولة . وشاهد ذلك أنه لم يكن يرى للمسلمين
إماماً في زمنه . كما أنه لا يعترف بالولاية الصغرى في غيبة الخلافة ، ولا يعترف
بالدول المتعددة .. ويمكن القول بأن نفى إسلامية الدولة يعد من الأمور المتفق عليها في
دعوة الإخوان . فقد قال به حسن البنا ، وقال به سيد قطب ، وصرح به عباس

السياسي لأحد رفقاءه بقوله : « إن هذا الألم العبقري الذي ورثه لنا هؤلاء الطغاة لن يضيعه إلا إقامة دولة الإسلام ، ووقتها فقط سنقول لهم قول الرسول الكريم : » اذهبوا فأنتم الطلقاء » (آفاق عربية . ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٤م) وقال به الغزالي في كتابه (هموم داعية ص/ ١١) ردا على سؤال سائل في نزاع عقائدي : « كانت هذه الخصومات - ودولة الإسلام ممدودة السلطة - خفيفة الضرر ، وإنكم اليوم تجدونها ودولة الإسلام ضعيفة ، بل لا دولة له » أهـ

والواقع الإخواني من زمن حسن البنا إلى الآن يعبر عن ذلك . فالأمة ميتة ، والمجتمع جاهلي . ويضاف إلى ذلك أن حسن البنا لم يكن يعترف بجواز تعدد الدول ، طالما ليس هناك خلافة عامة وسلطان أعظم ... كشأن عامة الإخوان كتابا ومفكرين .. ولا شك أن عدم الاعتراف بالدول الإسلامية ورفض الولاية الصغرى ، وإضمار الخروج على حكامها ينم عن ضعف بالغ في العلم الشرعي وجهل بالسياسة والتاريخ .. فقد كان على بن أبي طالب إماما على عامة المسلمين في وقت كان الناس في بلاد الشام يطيعون معاوية ويأتقون بأمره .. وكان الناس يأتقون بأمر عبد الملك بن مروان في الشام ، ويأتقون آخرون بأمر عبد الله بن الزبير في مكة وغيرها من البلاد . فقد كان للمسلمين أكثر من ولي أمر يأتقون بأمره في كل قطر ، ولا يلزمون أحدا باتباع أحد في القطر الآخر .. ومن قال بشق العصا على السلطان المتمكن أو أنكروا تلك الدول فقد ولج في سبيل الجهالة والضلالة ..

فالولاية ثابتة في الخلافة العامة وفي الإمامة الصغرى .. وإن كان مقام الخلافة أعظم ، لكنه انقرض وانتهى إلى أن يعود في آخر الزمان .. ومع ذلك لم يقل أحد من العلماء إن الأحكام والفرائض والشرائع لا تسري إلا في وجود الخلافة العامة . قال الإمام الشوكاني رحمه الله في (السبل الجرار . ٤ / ٤٨١-٥١٢) .

« ولا يصح إمامان » .. "وأما بعد انتشار الإسلام ، واتساع رقعته ، وتباعد أطرافه ؛ فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان ، وفي القطر الآخر كذلك ، ولا ينعقد لبعضهم أمر ولا نهى في قطر الآخر وأقطاره التي

رجعت إلى ولايته . فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين ، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيته ، وكذلك صاحب القطر الآخر . فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته ، وبإيعه أهله ، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم ينب . « أهـ

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب : « الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن تغلب على بلد له حكم الإمام في جميع الأشياء ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرفون أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم » (الدرر السنية . ٧ / ٢٣٩) .

وقد وضع حقيقة ذلك العلامة العثيمين قائلا : « والإمام هو ولي الأمر الأعلى في الدولة ، ولا يشترط أن يكون إماما عاما للمسلمين ؛ لأن الإمامة العامة انقرضت من أزمنة متطاولة ، والنبي ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبي » الشرح الممتع . (٨ / ١٢) .

المنهج الانقلابي في فكر حسن البنا ..

الانقلابات غاية تربت عليها شرائع الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن .. والاعتقالات السياسية أمر ثابت في دعوتهم ، سواء من الناحية التكتيكية أو الاستراتيجية ، سواء من الجهة الفكرية أو من الجهة العملية .. وما اعتذر بعضهم عن العمليات الإرهابية التي وقعت منهم إلا من باب مخالفة الخططة الموضوعة ، لا من باب مخالفة المعتقد والمنهج .. وللتأكيد على ذلك فلنتنظر كيف أعد حسن البنا أتباعه إعدادا فكريا ودعويا وعمليا للثورة والانقلاب على دولة الملك - وليس الإنجليز كما قالوا - فقد قال : « سنتنقل من خير دعوة العامة إلى خير دعوة الخاصة ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال .. وستتوجه بدعوتنا إلى المسؤولين من قادة البلد وزعمائه .. فإن أجابوا الدعوة وسلخوا الغاية آزرناهم ، وإن لجئوا إلى المواربة والروغان وتسترأوا بالأعذار الواهية والحجج المردودة فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام » (مذكرات الدعوة الدعوية . ص / ١٨٩) وفي سلسلة الرسائل بين متى لجأ إلى القوة ، قائلا : « إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها » (الرسائل . ص / ١٨٩) وعندما سقط في الانتخابات البرلمانية التي أجريت عام ١٩٤٥م في وزارة أحمد باشا ماهر . في دائرة الإسماعيلية .. اتهم الحكومة بال تزوير واجتمع الإخوان في مظاهرة كبرى أعلنوا فيها التحدي ، حتى طالبهم حسن البنا بساذجة بالغة التأتى وعدم التسرع ، انتظرا لوقت الفصل ، قائلا : « إنني أحسب أن مراجعكم تغلي بالثورة وعلى شفا الانفجار ، ولكن في هذا الموقف لابد من صمام الأمان فاكظموها غيظكم وادخروا دماءكم ليوم الفصل ، وهو أت لا ريب فيه ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » (حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية للسياسي) .

وقال في رسالة التعاليم تحت ركن " العمل " : « ومن حقها (أى الحكومات

الإسلامية) - متى أدت واجبها - : الولاء والطاعة ، والمساعدة بالنفس والأموال . فإذا قصرت : فالنصح والإرشاد ، ثم الخلع والإبعاد » أهد

حقا فقد كان حسن البنا يتعامل بمنطق الدولة داخل الدولة ، وكان يريد الناس جميعا تحت إمرته ، حتى لا يبقى للملك إمارة يتولى شأنها ولا وزارة تطيع أوامره .. فقد نصب نفسه قاضيا وحاكما بغير إذن من الملك في مقتل القاضي الخازندار . وهذا عمل دولة . وأخرج الإخوان إلى حرب اليهود في فلسطين بغير إذن الملك في أول الأمر . وأرسل مصطفى مؤمن موفدا من قبله إلى أمريكا عام ١٩٤٨م ، ليتكلم نيابة عن الشعب في حضرة التفراسي باشا دون إذنه في مجلس الأمن ، كما التقى مع فليب أيرلاند سكرتير السفارة الأمريكية والتقى كذلك مع رجل من رجالات السفارة البريطانية بغير إذن من دولة الملك . وهذه كلها أعمال سيادة لا حق له فيها . وكان ينزل على معارضيه أحكام الخوارج ، وهذا عمل الخلفاء والرؤساء ، وليس عمل رئيس جمعية . وسعى إلى اختراق الجيش عن طريق تنظيم الضباط الأحرار ، بتدبير من الصاغ محمود لبيب .. وفى هذا كله كان يضمن الانقلاب والثورة . ولكنه سينزل أولا ، ثم يقدم على الخطوات التي أعدها بكل عزة ، وسيخوض الحرب ، وسيرضى بالنتائج مهما كانت . وقد كان واقفا تمام الثقة من الوصول إلى الحكم ، سواء عن طريق الثورة ، أو عن طريق الانتخابات البرلمانية ، حتى إنه سئل ذات مرة من أحد صحفى مجلة " آخر ساعة " هل تضمن النجاح ؟ فقال : « أستطيع في انتخابات حرة أن أحصل على أغلبية ساحقة ، هذا لو أنني أردت ذلك ، ولكنني في الواقع لا أريده ، فمكانتنا في صفوف الشعب أكثر منه في صفوف الحكام ، ولهذا لن نتقدم إلا في عدد صغير من الدوائر » (حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية) .

وهذا هو نفس المضمون الذي كان يردده محمد هاشم ، قال : « على الجميع أن يحمد ربنا لأننا لم نظهر القوة الحقيقية للجماعة في هذه الانتخابات . فالقوة السياسية للجماعة تمكنها من المنافسة على غالبية مقاعد مجلس الشعب ، لكننا لم نخض الانتخابات بكل قوتنا الانتخابية ، وإنما بعدد متواضع لنعطى الفرصة للآخرين

« جريدة الغد. ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٥م) وانظر قوله : « لو تم ترشيح أي إخواني من الشباب سيكتسح أي مرشح أمامه » (الشرق الأوسط . ١٢ مايو ٢٠٠٥)

وإن لم يكن الأمر كذلك فالحكم يسعى إليهم .. فقد قال حسن البنا للملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) ، حين لقيه في موسم الحج ردا على سؤال : هل تسعون في نشاطكم هذا للحكم وتريدونه ؟ فرد قائلا : « بل الحكم هو الذي يسعى إلينا » (صفحات من تاريخ الإخوان. ص/ ١٣٠)

تأصيلات فكر الخروج هي دعوة الإخوان ...

لم ندع على الإخوان شيئا مما ذكر ، فهذا هو الذي نضج به كتبهم ، وهذا ما يقولونه في مقام التنظير . ففي تبرير الاغتيالات السياسية التي استحلوا بها الدماء المعصومة .. يقصون على شبابهم ما ورد في قتل كعب بن الأشرف وسلام بن الحقيق ، كما ذكر محمود الصباغ في كتابه (حقيقة التنظيم الخاص) .

وفي الخروج على الحكام يذكرون ما نسب إلى بعض الصحابة زورا أنهم قالوا لعمر : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيفينا » وقال عمر : « الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من يقومه بحد سيفه » كما نقل سيد قطب في (العدالة الاجتماعية ص/ ١٤١) وكانوا يحتجون بخروج سعيد بن جبير على الحجاج بن يوسف الثقفي ، كما في فتنة ابن الأشعث ، و بخروج عبد الله بن الزبير على عبد الملك بن مروان في أمر الخلافة (١) .

فأما الإخوان ثبتت الخروج بجميع أقسامه ، سواء كان خروج قتال ، أو خروج تشنيع وتظاهر وعصيان ..

والحقيقة : أن الخروج بالقتال على الحكام لا يكون عن طريقهم ، فالإخوان لا يمكن أن يغامروا بأنفسهم ، فيقبنهم في النصر دون ذلك ، فقد خرج الإخوان في مظاهرة عابدين بحوالي ثلاثمائة ألف متظاهرا - كما زعموا - في أول عهد الثورة ، منهم ومن غيرهم من العامة ... وقد نظر إليهم عبد الناصر من شرفة قصر عابدين

ضاحكا ، ليقينه أنهم أسراء في خاتم المرشد العام ، أو في خاتم وكيل الجماعة ، لو أمرهم بالانصراف لانصرفوا ، دون حول منهم أو قوة .

إنما يكون الخروج بالقتال عن طريق غيرهم ، وهم وراء ذلك بالتهبيج والإثارة ، وعن طريقهم فقط يتم أسلوب الاغتيالات السرية ، كما صرح القرضاوي ، وكما هو ثابت في تاريخهم ؛ لأنه أسهل في الإنكار من غيره .. ويضاف إلى ذلك أن الإخوان لم يخرجوا على الدولة بسبب مخالفة الشريعة والدين ، إنما خرجوا عندما تعرض بعض قادتهم للقتل بسبب الأعمال التي قام بها التنظيم الخاص ..

وقد كان هذا النوع من الخروج دليلا على الجهل الديني والغباء السياسي ، فإنه لا يقيم دولة ولا يحيى أمة ، ومن هنا فشل الإخوان في زمن الثورة ، حين ظنوا أن القضية مجرد رص جنود ، وقضاء على الخصوم والقضية أكبر من ذلك .

١ - فتنة ابن الأشعث ...

خرج ابن الأشعث على الحجاج الثقفي في زمن عبد الملك بن مروان ، وتلك هي الذريعة التي يحتج بها الإخوان في الخروج على أولياء الأمور . ولا شك أن ثمرتها ونتيجتها تدل على فشلها ، وتدفع إلى عدم جواز الاحتجاج بها ، وهي مخالفة لاعتقاد أهل السنة الراشخ بعدم جواز الخروج على الحكام ..

ففيها كما هو ثابت أن ابن الأشعث خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي لنزاع وقع بينهما ، ثم انضم إليه سعيد بن جبير وغيره ، واستمر النزاع حتى انتهى إلى الخروج على الخليفة عبد الملك بن مروان ، وصار بينهما مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير ، بما فيهم سعيد بن جبير (رحمهم الله جميعا) .

وبعد انتهاء تلك الفتنة اعتذر الأئمة عن مشاركتهم في هذا القتال ، كما نقل ابن كثير في البداية والنهاية ٩ / ١١٥ ، ولما قاتل أهل البصرة أهل الشام خالفهم الحسن البصري ونهاهم عن ذلك . قال ابن كثير : « وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة وبتهاهم أشد النهي »

٢- أمر عبد الله بن الزبير (رضى الله عنه)

بوع لعبد الله بن الزبير بالخلافة في جميع الأقطار الإسلامية ، في نفس الوقت الذي بوع فيه لعبد الملك بن مروان في بلاد الشام . ولم يكن عبد الله متاجزا لعبد الملك بن مروان أو خارجا عليه ، وقد كان الأئمة يرون الحجاج ومن معه خارجين على ابن الزبير . كما حكى الإمام النووي (رحمه الله) في شرح مسلم ١٦ / ٩٩ .. قال الإمام ابن كثير : « لما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريبا استفحل أمر عبد الله بن الزبير جدا وبوع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية ، وبايع له الضحاک بن قيس بدمشق وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم في ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جر السرايا إلى العراق ومات ، وتولى بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها ، ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريبا من سبعة أشهر ، حتى ظفر به في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين» (البداية والنهاية ٨ / ٣٣٩).

وعندما اشتد الصراع بين عبد الله بن الزبير والحجاج نهى أئمة السلف ابن الزبير عن النزاع الطويل على الحكم ، وطالبوه بالتنازل حقنا للدماء ، مع علمهم أنه كان على الحق ، ولكن القوة كانت مع الحجاج وليست معه .. فقد وقف عبد الله بن عمر (رضى الله عنه) على ابن الزبير وهو مصلوب بعد موته قائلا له :

« السلام عليك أبا حبيب السلام - ثلاثا - أما والله لقد كنت أنهك عن هذا . أما والله لقد كنت أنهك عن هذا . أما والله لقد كنت أنهك عن هذا » (رواه مسلم . باب ذكر كذاب قریش ومبيرا . ٢٥٤٥) قال النووي : قوله : « لقد كنت أنهك عن هذا » أي عن المنازعة الطويلة (شرح مسلم ١٦ / ٩٩)

وقد سئل الإمام العلامة الألباني (رحمه الله) عن خروج سعيد ابن جبير في فتنة ابن الأشعث ، وخروج عائشة رضي الله عنها والزبير وطلحة في طلب دم عثمان بعد بيعة على رضى الله عنهم ودون إذنه ..

فأجاب قائلا : « الخروج لا يجوز . وهذه الأدلة هي على من يحتج بها وليست لصالحه إطلاقا . هناك حكمة تروى عن عيسى عليه السلام - ولا يهتنا صحتها بقدر ما يهتنا صحة معناها - أنه وعظ الحوارين يوما ، وأخبرهم بأن هناك نبياً يكون خاتم الأنبياء ، وأنه سيكون بين يديه أنبياء كذبة ، فقالوا له : كيف نميز الصادق من الكاذب؟ فأجاب بالحكمة المشار إليها ، وهي قوله : (من ثمارهم تعرفونهم) . فهذا الخروج وذلك الخروج - ومنه خروج عائشة رضي الله عنها - نحن نحكم على الخروج من الثمرة ، فهل الثمرة كانت مرة أم حلوة ؟ لا شك أن التاريخ الإسلامي الذي حدثنا بهذا الخروج وبذلك : ينشأ بأنه كان شرا ، فقد سفكت دماء المسلمين ، وذبحت هدرا بدون فائدة ، وبخاصة ما يتعلق بخروج السيدة عائشة رضي الله عنها ، فالسيدة عائشة قد نذمت على خروجها ، وهي تبكي بكاء مرا ، حتى يبتل خمارها ، وتتمنى أن لا تكون قد خرجت ذلك الخروج ..

إن الاحتجاج بهذا الخروج .

: أولا : هذا حجة عليهم ؛ لأنه لم يكن منه فائدة .

ثانيا : لماذا تتمسك بخروج سعيد بن جبير ولا تتمسك بعدم خروج كبار الصحابة (رضى الله عنهم) الذين كانوا في عصره كابين عمر وغيره ، ثم تتابع علماء السلف كلهم بعدم الخروج على الحاكم فإذا هناك خروجان :

خروج فكري ، وهو الأخطر .. خروج عملي وهو ثمرة لأول . فلا يجوز مثل هذا الخروج . والأدلة التي ذكرتها آنفا فهي - طبعاً - عليهم وليست لهم « (فتاوى الأئمة في النوازل للحقطناني . ص / ١١٧).

تنظيمات حسن البنا ..

كانت خطة حسن البنا خطة ثورية انقلابية ، ولكنها كانت سرية . فقد كان لحسن البنا تنظيم سري خاص يخضع لأوامره مباشرة ، كما كان له تنظيمان آخران : أحدهما : فى الشرطة بقيادة الأستاذ صلاح شادى ، وكان يطلق عليه " تنظيم الوحدات " ولكنه لم يظهر بدور مميز كما ظهر غيره ، إلا فى قتل النقراشى باشا . والثانى " فى الجيش ، تحت قيادة الصاغ / محمود لبيب ، وكان باسم تنظيم الضباط الأحرار ، تمويها على البوليس السياسي . وكذلك أنشأ فرق الجواله ، التى مارست أنواعا مختلفة من التدريبات .. وقد نفذت آثار التدريبات الإخوانية لفرق الجواله ، تنفيذا جادا ، كما تبادر إلى ذهن عباس السيسى عندما كتب بعض العبارات على حائط ، فتصادف أن رآه جندى من رجال المباحث فقبض على رقبته بكل قوة ، فما كان منه إلا أن ضربه تحت عنقه ، ليرديه على الأرض ، كما ذكر فى كتابه (فى قافلة الإخوان . ص/ ١٠٩) قائلا : « وساقى المخبر إلى اتجاه قسم المنشية - فى هذه اللحظات فكرت فى أن أستخد مع أسلوب الضربة المعجزة التى تعلمناها فى التدريب على المصارعة اليابانية - وفعلنا تشجعت وضربته ضربة شديدة تحت عنقه فوقع على الأرض كالطود وأسرت للهرب .. الخ .

ولم يفلح عباس فى الهرب لأن المخبر الآخر نادى عليه : حرامى حرامى .. فقبض عليه ، وضربه ضربا شديدا » أه .

ومن أجل بلوغ تلك الغاية أنشأ حسن البنا نظام استخبارات خاص به ، يقوم بالتجسس على الوزراء والوزراء ، ومعرفة أخبار المثالات . ليكون على بينة من مواطن الضعف والقوة فى المجتمع .

ولم تكن الدولة فى ذلك الوقت تهتم بالأمن السياسي بالقدر الذى كان يهتم به الإخوان ، وقد أكد ذلك أحمد رائف فى كتابه (الصفحات . ص/ ٢١٦) .

وكان النظام الخاص يجمع الأخبار عن جميع خصوم الإخوان وأصدقائهم على السواء ، ليضعها أمام المرشد العام . قال محمود عساف : « كنا نجمع معلومات عن جميع الزعماء والمشاهير من رجال السياسة والفكر والأدب والفن ، سواء كانوا أعداء للإخوان أو أنصارهم . وهذه المعلومات كانت ترد لى لأحتفظ بها فى أرشيف ، وأعود إليها كلما طلب أحد هؤلاء الأستاذ الإمام أو اجتمع به لاية مناسبة من المناسبات ، وأذكر الإمام بالمعلومات حتى تكون فى خلفيته وهو يتحدث مع ذلك الشخص » (الإمام الشهيد ص/ ١٥٢) .

وهذا أمر باق بينهم إلى الآن ، يتجسسون على خصومهم ويجمعون أخبارهم .. حتى إنهم يتجسسون على بعضهم بعضا ، وينقلون أخبار بعضهم إلى القيادة العليا على هيئة غيمة ، بحجة الحفاظ على الحركة من الاختراق ، فكلهم مرشدون لصالح مرشد واحد .

وبالإضافة إلى ذلك فقد أنشأ حسن البنا جهازا متخصصا فى إطلاق الإشاعات والأكاذيب ، لمعرفة اتجاهات المجتمع ووزن مقوماته ، لأجل تحديد زمن الثوب على الحكم . قال أحمد رائف : « وكان لا بد من عمل إعلامى مضاد لإعلام الحكومة ، وبدأت الشائعات تخرج من الصفوف الإخوانية ، بعضها عن غير قصد ، والآخر وفق خطة مرسومة » (الصفحات . ص/ ٢٤٥) .

وقد تقدم كذلك أنهم كانوا يوزعون المنشورات الكاذبة ، لجذبوا الانتباه إليهم ، قال محمود عبد الحليم : « كنا نطبع منشورات بكلام غير ذى هدف معين غير أنه كلام يلفت النظر ويثير الاستغراب » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٩٠) .

الإخوان والفكر الثورى ..

التزم الإخوان نفس الخط الذي رسمه حسن البنا في الانقلاب بجمع صوره وأشكاله ، فقد كان يخطط بسرية بالغة للثورة والانقلاب على دولة الملك ، وقد شهد أحمد رائف أن حسن البنا أسر بذلك لعزير المصرى والصاغ محمود لبيب ، وأوكل لهما الإعداد لذلك .. وقال فى لقاءه مع قناة " الجزيرة " :

" ومشروع الانقلاب مشروع إخوانى أولا وأخيرا ، كان فى رأس حسن البنا (الجزيرة نت ٥ / ٢ / ٢٠٠٦ م) و أكد التلمساني عظم اهتمام حسن البنا بتدبير ثورة ضد الملك فاروق - خلافا لما قال آنفا - وقال : " إن حسن البنا بصوفيته هو صانع انقلاب ١٩٥٢م ، وإن كانوا يتهمونا بأننا أعداء هذا الانقلاب " (ذكريات لا مذكرات) وقد كانت مشاعر عامة الإخوان جازمة للانقلاب ، كما بين أحمد رائف فى (الصفحات . ص / ٢٤٣) : " ولكن ماذا يفعل حيال جمهور قوى غاضب مسلح ، قد هيا نفسه للنصر والحكم " أهـ وقال الضابط / عبد المنعم عبد الرؤوف حسين حمودة : " إن مصر حالتها لا تسر أسدا . وأن إنقاذ شعب مصر من الاحتلال البريطانى والحكم الملكى الفاسد لن يتأتى إلا بثورة مسلحة ، يتولاها ويدير أمرها المخلصون من الشباب فى الجيش والشعب . قال حسين حمودة : فوافقت على ذلك الرأي " (الإخوان منيا أون لاين . نت) .

ولا عجب من نسبة الفكر الثورى الانقلابي لدعوة الإخوان . سواء من جهة حسن البنا المؤسس الأول أو من جهة غيره . فقد دعا سيد قطب إلى الانقلاب على الملك فاروق قبل أن تشتعل الثورة قائلا : " الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيتها بيدها . إن أحدا لن يقدم لهذه الجماهير عوناً إلا انتفضها ، فعلينا أن نعتن بأسرها ، ولا نتطلع إلى معونة أخرى " (معركة الإسلام والرأسمالية . ص / ١١٣) .

وقد كان هذا منهجا عاما فى فكر سيد قطب ، كما وضح فى كتابه " فى ظلال القرآن ٣ / ١٤٥١ " ، قائلا : " إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامى عن الشروع فى مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعى وراء تغيير نظم الحكم فى بلادهم التى يسكنونها . " أهـ

ولا يزال هذا الفكر قائما إلى الآن .. ولكن بطريقة معاصرة تشبه فتاوى الصابون تبلورت لديهم بسبب الاشتغال بالمفاهيم السياسية المعاصرة .. فمحمد عاكف الذى قال آنفا " لسنا أهل ثورة " لا يزال يبنى نفسه بتبهيج العامة ، قائلا : " إن الإخوان المسلمون يرون أن العصيان المدني قد يحقق الكثير لدفع الحكومة المصرية للتحرك ، مشددا على ضرورة التنسيق مع القوى السياسية الأخرى قبل اتخاذ مثل هذه الخطوة " (إخوان أون لاين نت ٦ / ٧ / ١٤٢٧ هـ) وعلى نفس الدرب حفز العريان الإخوان : " أن يكونوا القوة الأساسية التى تنادي بالإصلاح السياسى والدستوري عبر آليات كثيرة - وما هي هذه الآليات ؟ ك أن تصل بالناس عبر عمل سياسى ذؤوب إلى حالة العصيان المدني " (إسلام أون لاين - ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٢ م) وقال : " إن أكبر دعم يمكن أن تقدمه الشعوب العربية للشعب الفلسطينى ولحماس ، هو أن تساهم فى تغيير الأنظمة الحاكمة فى الدول العربية " (المصرى اليوم) والعصيان المدني ليس تغييرا دستوريا ولا سياسيا ، إنما هو نوع من أنواع الانقلاب ، ولكنهم يسمون الأشياء بغير أسمائها الحقيقية ، كما تسمى الخمر بالمشروبات الروحية ، كى يهربوا من المسئولية والملام ، ولظهروا بالصورة العصرية المقبولة فى العالم ، وهى :

الانقلاب عن طريق النهيخ السياسى والعصيان المدني ، بدلا من الانقلاب عن طريق المدرعات . الذى أصبح عورة يترأ منها الإخوان الآن ، أما فى الزمن الماضى فقد كان جهادا فى سبيل الله .. تلك هى حقيقة الثورة التى ينكرها .

وهذا الطريق هو أصل دعوة الخوارج ، كما بين أئمة الإسلام ، قال العلامة

الغنيمة: « نحن نعلم علم اليقين بمقتضى طبيعة الحال أنه لا يمكن خروج بالسيف إلا وقد سبقه خروج باللسان والقول » (فتاوى العلماء، ص ٩٦) .

الخطة الإخوانية هي الانقلاب والثورة ..

زعم كثير من مفكري الإخوان أن التنظيم الخاص كان موجها فقط ضد الإنجليز . ولم يكن موجها ضد دولة الملك ..والحقيقة أنه كان معدا للثورة على دولة الملك ، وكل ما تقدم من إعدادات كان من أجل ذلك .

أما دور التنظيم ضد الإنجليز فلم يتم إلا بسبعة عشر عملية قتالية ، وذلك منذ إنشاء الجماعة في أواخر عام ١٩٢٨م حتى عام ١٩٥١م . كما بين الصياغ في كتابه (التنظيم الخاص) .. وهذا أحمد رائف يكذب قول من حصر عمل التنظيم الخاص للإخوان في مواجهة الإنجليز ، قائلا : « يخطئ من يظن أنه كان نظاما جهاديا فقط يستهدف طرد الإنجليز والقضاء على تلاميذهم وأعدائهم فقط ، بل كانوا - كما قلنا - هم النواة لدولة جديدة تتدرب على الإدارة والحكم ، وهي أيضا تتناول كافة المشكلات بالعلاج ووضع الحلول . وقد عملوا في هذا المجال دون سابقة من خبرة أو تجربة » (الصفحات / ص ٢١٥) وهذا هو ما أكد عبد الحليم بقوله : « ترى تنظيمات الإخوان أن تحرير مصر من الحكم القائم بها هو مجرد وسيلة لتمكين الحكم الإسلامي من القيام بها » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥٦٥) .

وقد أكد ذلك سعى عبد الرحمن السندي الدوب في قلب نظام الحكم ، قال أحمد رائف : « رجل عاش .. مخفيا عن أعين الشرطة والرقباء ، ويعمل على إسقاط النظام » (الصفحات / ص ٢٣٠)

وأكد القرضاوي أن أمر استخدام القوة كطريق للانقلاب في ذهن حسن البنا كان مبنيا على استغلال القوات المسلحة إذا أمنت بالفكرة الإسلامية - على حد تعبيره - فقال : « هذه القوة التي أشار إليها الإمام ليست هي الاغتيال السياسي ، ولا قتل المدنيين ، ولا تدمير المنشآت ، فهذه لا يصارح بها ، بل تتم في تكتم وسرية (!) ولعل المقصود هنا : أن تقوم القوات المسلحة بذلك ، حين يقتنع رجالها بالفكرة

الإسلامية ، كما حدث أخيرا في السودان ، حيث قامت ثورة الإنقاذ التي لم يرق فيها قطرة دم واحدة ، ولعل البنا كان يريد أن يقوم بما قام به عبد الناصر من بعد » (الإخوان ٧٠ عاما . ص / ١٢١) ..

والحقيقة أن حسن البنا كان يسير بنظام البدائل المتنوعة للوصول إلى الحكم ... إما بالجيش ، وإما بالتنظيمات الإخوانية ، وإما بالشعب . فقد كان ينظر إلى شتى الطرق في الوصول إلى الحكم ، وإن كان قد بين لأتباعه بكل وضوح كيفية الوصول إلى هدفه في غزو المخالفين لدعوته ، وذلك في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان " متى تكون خطواتنا تنفيذية " بقوله : « وفي الوقت الذي يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسيا روحيا بالإيمان والعقيدة ، وفكريا بالعلم والثقافة ، وجسميا بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجح البحار ، وأقتحم بكم عنان السماء . وأغزو بكم كل عتيد جبار ، فإني فاعل إن شاء الله ، وصدق رسول الله القائل : (ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة » أه ..

ولا شك أنه ليس منوطا به القيام بهذا العمل باعتباره كان فردا من أفراد الشعب لا سلطان له ولا قوامة ..

قال العلامة العثماني : « لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر ، لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور ، وليس أفراد الناس ، فأفراد الناس تبع لأهل الحل والعقد » (الشرح الممتع ٨ / ٢٥) .

ومع ما قاله حسن البنا . فقد بلغ الإخوان الملايين ، كما زعم ، ومع ذلك لم يتحقق له في هذا العدد تلك الصفات التي يغزو بها الجبابرة ويفتح بها العالم.

ولم يكن فكر البدائل الانقلابية فكرا خاصة بحسن البنا ، بل هو فكر عام في حركة الإخوان ، وهو قائم على استخدام الغير ، والاختباء وراء الأستار ، للنظر فيما تتمخض عنه الأحداث .. قال محمود عبد الحليم : كان للمرشد العام - الهضيبي - نظرية مقننة ملخصها : « أن الشعوب إذا ابتليت بحاكم ظالم تبذل جهدها في

مقاومة ظلمه بجميع وسائل المقاومة ، حتى إذا فشل كل جهوده لم يبق أمامها من ملجأ تلجأ إليه وملاذ أخير تستغيث به إلا الجيش . فالجيش هو الملجأ الأخير لإنقاذ الشعب » (أحداث صنعت التاريخ ١٠٣ / ٣) .

فالاستمانة بالجيش فكرة إخوانية قديمة للثقل والتغيير .. فى وقت الضعف خدم ، وعندما يتحقق المراد يقولون للجيش " عودوا إلى الكتكتات يا أعداء الإنسانية " نحن العقل وأنتم العضلات .

فإذا بأسوا من الجيش لعبوا بورقة الشعب ، وتآمروا على الجيش ، كأن الشعب قطع من الغنم ، يسوقونه كما يشاءون . والحمد لله : فالشعب المصري ليس من الغنم الذى يجعله كورقة فى مهب الريح ، يلعب بها الإخوان كما يشاء .

جرائم التنظيم السري ...

لا أكون جانبا إذا قلت إن جماعة الإخوان هى النكسة التى ابتليت بها مصر والأمة الإسلامية ، بل والدعوة الإسلامية خاصة ، منذ نشأتهم إلى الآن .. فقد سبقنى إلى ذلك العلامة مقبل الوداعى (رحمه الله) ، حيث قال : « دعوة الإخوان المسلمين نكبة على الدعوات » (تحفة المريب . ص/ ٢٠٣) وكذلك سمو الأمير نايف بن عبد العزيز (حفظه الله) حيث قال فى لقائه مع جريدة (السياسة الكويتية فى ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٢ م) :

« مشكلاتنا كلها جاءت من الإخوان المسلمين . لقد تحملنا الكثير منهم ولسنا وحدنا الذين تحملنا منهم الكثير . إنهم سبب المشاكل فى عالمنا العربي وربما فى عالمنا الاسلامي ، حزب الإخوان المسلمين دمر العالم العربي .. » أه .

فكم أثاروا من الفتن وكم تسببوا فى إرهاب الناس فى أنفسجده . وفى كل مرة يهربون من تحمل تبعات أخطائهم ، ويحملون غيرهم ما حل بالأمة من مصائب ، هم الذين غرسوها بأيديهم ، وسقوا تربتها بجعلهم .. فدائما ما ينكر قادة الإخوان تفنن جماعتهم فى ارتكاب الجرائم والاغتيالات السياسية ، خاصة فى الأربعينات من القرن الماضي .. فقد تبرأ محمد عاكف من تحمل تبعات جميع الجماعات المتطرفة ،

التي نشأت من عباءتهم . وأنكر بغير خجل أن يكون الإخوان واره أحداث العنف فى يوم من الأيام . وقال فى (آفاق عربية ١٠ فبراير ٢٠٠٥ م) : « لا يقول هذا إلا جاهل متعمد أن يسىء إلى الإخوان . الإخوان صحيفتهم بيضاء ، وتاريخهم بىء من كل هذه الأعمال » أه .

وزعم نائب المرشد السابق محمد حبيب أن حوادث العنف التى ارتكبتها التنظيم الخاص فى الزمن الماضي كانت حوادث فردية ، قائلا : « إن حادثى مقتل النقراشى رئيس وزراء مصر والذى قتل على يد عناصر تابعة للنظام الخاص فى جماعة الإخوان المسلمين والقاضى الحازندار وقتنا فى الأربعينات من القرن الماضي قبل ثورة يوليو ٥٢ والذين يستبدل بهما البيض على أعمال عنف ارتكبتها الإخوان بأنهما كانا عملا فرديا مؤكدا أن الإخوان المسلمين ومرشداهم الأول حسن البنا قد استنكروا هاتين الحادثتين فى حينها » (آفاق عربية . عدد . ٦٨٨)

وهذا كله لا أساس له من الصحة ...

وقد استشعر كثير من العاملين فى الوسط الدعوى هذا الإصرار الغريب على الخطأ وعدم الاعتراف به من قبل قادة الإخوان ..

بخلاف ما وقع من قادة الجماعة الإسلامية فى مصر ، فإنهم لم يجدوا غضاضة من الاعتراف بأخطائهم ، حتى عادوا إلى الحق ، واعتذروا لخصوصهم ، إرضاء لله تعالى .. ومنما لسبيل العنف أن تستشري بالباطل فى الأجيال الآتية ، قالوا :

« إنهم لا يعتذرون فقط للمصريين عن هذه الجرائم ، إنما يسعون أيضا لتعويض الضحايا ودفع "ديات" لعائلات من قتلوه من الشرطة أو المدنيين » (المصور ٢٦-٢٧-٢٠٠٢) .

فهل وفق محمد عاكف - عضو التنظيم السري القديم - فى تجهيل مخالفته القائلين بأن الإرهاب المعاصر خرج من عباءة الإخوان ، أم لا ؟ . وهل كان الدكتور/ حبيب دقيقا فى تبرئة جموع الإخوان من تلك الحوادث أم لا ؟ .

والجواب :

الحقيقة دائما بخلاف ما يقولون ، وهذه هي الأدلة التي تثبت تفنن الجهاز السري الخاص للإخوان في الاغتيالات السياسية وارتياب جرائم قتل في القرن الماضي ، ومعها ما يؤكد استقبال جموع الإخوان لتلك الجرائم بالفرح والسرور . وأن القضية ليست قضية احتلال ، كما يهرف بعضهم لما لا يعلم حقيقتهم ..

أما محمد عاكف فقد كان عضوا في التنظيم الخاص . والتنظيم الخاص كان تنظيما انقلابيا يهدف إلى قلب نظام الحكم بالقوة ، وصحيفته لم تكن بيضاء كما زعم ، إنما هي صحيفة ملوثة بالدماء والإرهاب . فقد كان من جملة الأعمال التي قام بها هذا التنظيم عندما كان محمد عاكف عضوا فيه هي قتل المهندس / سيد فايز عبد المطلب ، على أثر اختلاف وقع بينه وبين أعضاء التنظيم ، حيث أرسلت إليه قنبلة في علبة حلويات بمناسبة يوم المولد ، فانفجرت فيه وأودت بحياته ، كما أكد عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٢٢٩) كما أن أفرادا من التنظيم الخاص كانوا يتبعون بمخالفتي الجماعة بالتهديد والتخويف ، كما تتبعوا محمد الغزالي عندما انتقد في كتابه " من معالم الحق " جماعة الإخوان ومرشدتها .

قال القرضاوي : « وما هيح الشيخ أكثر واستأثر غضبه أن بعض المتحمسين من الإخوان تمجده وهدده بالقتل إن تكلم أو كتب » (أفاق عربية. ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) كما تلقت الهيئة التأسيسية للإخوان تهديدا بالسلو المسلح من قبل شباب التنظيم الخاص ، وذكر أن « بعض هؤلاء الشباب قد أعد خطة مسلحة لمهاجمة أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان في حالة صدور قرارات لا تؤيد الجماعات المعارضة للمرشد العام الأستاذ الهضيبي » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٥٠٣) .

وقد كان جل اجتماعات التنظيم الخاص لعنا وسبا في المرشد العام حسن الهضيبي ، قال عساف : « دعيت إلى هذا الاجتماع وسمعت فيه من الأعضاء المستقيين سببا في المرشد العام .. الأمر الذي يتنافى مع أبسط قواعد الأدب وأخذوا يشرحون مواقفهم » (مع الإمام الشهيد . ص/ ١٥٩) .

فأى براءة يسمى إليها عاكف ؟ وأى صفحة بيضاء في هذا التنظيم الذي كان ينتسب إليه ؟ فقد شهد الغزالي أن صفحات هذا التنظيم كانت شرا على الأمة وعلى الجماعة ، وذلك في كتابه - قبل التعديل - (من معالم الحق . ص/ ٢٢٦ ط . الرابعة : ١٩٨٤ م . دار الصحوة) قائلا : « وقد كان هؤلاء الشباب الأخفياء شرا وبلا على الجماعة وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب في يد من لا فقه لهم في الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام » ..

فمرشد الإخوان/ محمد عاكف .. لو ترك غيره ليقول هذا الكلام لكان أهون ، أما أن يتجرأ ويخالف حقيقة ما كان عليه ، فهذا شيء عظيم .. وهو بين أمرين : إما أن يراجع عن اتهام مخالفته بالجهل ، وإما أن يمضي حكمه السابق على بعض قادة الإخوان ، الذين اعترفوا بجنايات هذا التنظيم . وإلا فهو غارق إلى الآن في مفهوم التنظيم الخاص الذي أسسه حسن البنا . قال أبو العلا ماضي : « النظام الخاص موجود برجاله المسيطرين على مفاتيح القرار وعلى التشكيل وعلى صياغة العقيدة الجديدة ، لدرجة أنه بدأت الآن تتولد مجموعات من أجيال لاحقة تفكر بنفس الطريقة وده كان أهم شيء يستطيع أن يفعلوه » (العربي . ٣٠ مايو ٢٠٠٤ م) ..

أيضا : ومهما بذل الدكتور محمد حبيب من جهد فلن يستطيع تبرئة جموع الإخوان من التهم الموجهة إليهم .. ففرحهم بالاغتيالات السياسية أمر ثابت بالوثائق .. فقد حاول الإخوان تبرئة أنفسهم منها فما أفلحوا ، لكثرة الشواهد ، وتوافق الفكرة التي نشئوا عليها مع الجرائم التي ارتكبوها . فقد أنكر حسن البنا اشتراك الإخوان في قتل القاضي الحازندار ، ثم أثبت فيما بعد ، وحقق مع منفذه .. وقام آخرون من الإخوان يدفعون تلك التهم عن الجماعة قائلين : إن الذي قام بتلك الأحداث قلة من الجماعة ، وفعل القلة لا ينسب إلى الأكثرية .. خير أن موافقة الإخوان على الفكر الانقلابي يؤكد تلبسهم بالأعمال الإرهابية التي نسبت إليهم .. وما نشر من إنكار على لسان بعضهم ، إنما ذلك لأجل أن الفعل كان مخالفا للخطة العامة للجماعة ، ولكنه غير مخالف للفكرة . التي أكد حسن البنا أنه سيقدم عليها يوما ما . أو هو من باب توزيع الأدوار كما تقدم ... فالقرضاوي الذي زعم أن الأحداث الإرهابية

الماضية كانت معبرة عن فعل القلة تناقض مع نفسه ، ونقل في مذكراته ما يدل على استقبال عامة الإخوان لتلك الحوادث بالسرور ، حتى جعل قاتل النقراشى باشا إماما من الأئمة ، وجعل النقراشى كلبا من الكلاب . وما ذلك إلا لأن القتل يعبر عن فكرتهم ، ويحقق غاياتهم .. فالجو السياسي فى هذا الزمان كان يستحل قتل المخالفين لهم كما زعم . قال القرضاوى : « وقابل عامة الإخوان اغتيال النقراشى بفرحة مشوبة بالحذر ، فقد رد عبد المجيد حسن لهم كرامتهم ، وأثبت أن لحمهم مسموم لا يؤكل ، وأن من اعتدى عليهم لا بد أن يأخذ جزاءه ! وكان الجو السياسي العام فى مصر يسبغ ذلك «سيرة ومسيرة . ١ / ٣٣٥-٣٣٧) .

وأنشد معظمًا قاتل النقراشى قائلا فى نفس كتابه ١ / ٣٣٧ :

عبد المجيد تحية وسلام أبشر فإنك للشباب إمام
سممت كلبا جاء كلب بعده ولكل كلب عندنا سمام

ونسي القرضاوى أن دين الإسلام لا يبيح ذلك ويأباه .. ذلك إذا كانت مرجعيته دينية إسلامية .. وليس اختلاف الزمن مبررا للقتل المحرم بأى صورة من الصور كما زعم .

أشهر الاغتيالات السياسية فى دعوة الإخوان

١- قتل أحمد ماهر باشا عام ١٩٤٥ م ..

كان عمل التنظيم الخاص فى زمن الملك فاروق يدور حول رصد الشخصيات السياسية ، للتخلص منها بالقتل غدرا ، دون إقامة حجة أو بلاغ أو استأبته ، فبمجرد الاختلاف فى بعض المسائل السياسية يتهم السياسي بالعمالة والخيانة ، ومن ثم يجب قتله والتخلص منه ، وهذا هو الذى شهد به تاريخهم وسجل فى كتبهم . وقد كان مقتل أحمد ماهر باشا " رئيس الوزراء " أول جريمة اغتيال سياسي فكر الإخوان فى تنفيذها . وكان ذلك عام ١٩٤٥ م .. ولكنهم أفلتوا من عاقبتها ! . وأحمد ماهر باشا كما قال محمود عساف : « هو الذى أسقط الأستاذ الإمام فى انتخابات البرلمان عن دائرة الإسماعيلية » (مع الإمام الشهيد . ص/ ١٥١) .

وقد كان أحمد ماهر موضع اعتراض من قبل الإخوان بسبب تفكيره فى التحالف مع قوات الحلفاء والإنجليز ضد قوات المحور (ألمانيا وإيطاليا) وقد قرر الإخوان قتله بمجرد التفكير فى عقد هذا التحالف .. بالتهمة المعهودة وهى الاتهام بالعمالة ! .

وقد كان لأحمد ماهر باشا وجهة نظر بعيدة فى هذا التحالف ، قائمة على الاستفادة من الهدنة والصلح ، الذى سيتحقق بين الطرفين المتقاتلين بعد انتهاء الحرب .. وقد كانت منظمة الأمم المتحدة مشروعا مقترحا من إنجلترا وأمريكا فى ذلك الوقت .. وقد وعد أونتكت من يقف بجوارهم فى تلك الحرب بالاستقلال عن طريق تلك المنظمة . ومن أجل ذلك وقف أحمد ماهر باشا بجوار إنجلترا . وعلى كل حال ففكره السياسي أخطأ فيه أم أصاب اجتهد منه .. ولا يخفى أن مجلس النواب على العموم فى هذا الزمان كان خلف أحمد ماهر ، عندما اختار الوقوف بجوار إنجلترا ضد ألمانيا وإيطاليا . ولا ينبغي أن يقتل إنسان بسبب اجتهد .. ولا أن يقتل على العموم دون

قضاء ومحكمة واستتابة.. فهذا معناه تحكم القوضى في إدارة المجتمع.

والإخوان يمتنون لتلك القوضى أن تستمر في المجتمع ، لأنها الوسط الملائم لنشر دعوتهم .. فقد كانت الحرب ثلث الساحة المفتوحة في دعوة الإخوان - ولا زلت أقول إن الإخوان لا يقدرون على العيش في زمن مستقر ، لأنهم نشأوا في زمن الاحتلال والحروب العالمية والمعارك الحزبية الداخلية .. يريدون هذا الواقع ، لأنه يذكرهم بالمظاهرات والقلاقل والاختلالات ، التي هي ركن ركين من أركان دعوتهم - وقد كان حسن البنا يبرر تلك النظرة .. يزعم أن الحكام والدول المتحاربة إذا انتهت من حروبها ستوجه بعد ذلك لحرب الإخوان .. وقد أشار إلى ذلك محمود عبد الحليم قائلا : « كما أنه - حسن البنا - يري أن اشتغال المستعمر بالحرب ومن ورائه الحكومة المصرية فرصة للعمل دون عائق ، وعلى الإخوان أن يكفوا من جهودهم حتى ينجزوا أكبر قدر من العمل في أصغر قدر من الزمن قبل أن تنتهي الحرب فجأة فيتفرغ هؤلاء للكيد للدعوة . الخ ..

وقال : « أنه في سبيل إنجاز هذا العمل الكبير يجب على الإخوان - في خلال فترة الحرب - أن يفضوا الطرف عن الشئون السياسية فيتجنبوا اتخاذ مواقف سياسية محددة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، مكتفين بالتعرض لما سوى ذلك من الشئون التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، وإذا دهمهم أمر سياسي معين فعليه أن يتفادوه وأن يطوعوه لخدمة هدفهم الكبير » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٤٤) .

تلك هي مفاهيم الإخوان ، وهذا هو طريقهم ..

وتلك هي الخطة التي وضعها حسن البنا للعمل في فترة الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٣٩م حتى عام ١٩٤٤م ...

أما بشأن مقتل أحمد ماهر باشا ..

فقد أخبر الشيخ سيد سابق (رحمه الله) الأستاذ خالد محمد خالد الأديب المعروف بأن الذي قتل أحمد ماهر باشا شاب من شباب التنظيم السري الخاص للإخوان . غير أن الصحف نشرت أن القاتل هو محمود العيسوي المحامي ، وهو من

شباب الحزب الوطني ، وخرج الإخوان من المأزق .. وقد بين الأستاذ / خالد محمد خالد في جريدة الوفد بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٩٢م أن : « التنظيم السري كان بارعا في التنكر ، فهو بعد تدريب أعضائه على كل أفاتين الإرهاب ، يأمر بعضهم بأن يلتحق ببعض الأحزاب والجماعات ، حتى إذا اختير لعمل من أعمال الاغتيال أو الإرهاب ، لم يبد أمام القانون ولا الرأي العام من أعضاء الإخوان .. من هذا النوع كان محمود العيسوي » (مع الإمام الشهيد ص/ ١٥٢) .

والعجب في الأمر أن محمود عساف لم يخبرنا عن رأى حسن البنا فيما كان يفكر فيه التنظيم الخاص باعتباره المرشد الأعلى. وتلك عادة الإخوان. واحد ينقذ ، وآخر يسكت ، وثالث ينكر . والمقصود : إظهار شوكة مؤثرة من قريب أو من بعيد في القرارات السياسية . مع الظفر بالهروب من تحمل التبعات .. وقد أكد الأستاذ عساف أن التنظيم الخاص حقا كان يفكر في قتل أحمد ماهر باشا ووضع الخطة لذلك ولكنه لم يقتله .. لأن أحمد عبد الفتاح الذي كلف بهذا الأمر رفض التنفيذ . . غير أنه ليس بعيدا على رئيس التنظيم أن يأتي بغيره ، لينفذ دون أن يخبر الآخرين ، على العادة في أمر التنظيمات السرية . والإخوان يزعمون أن السندی كان يعمل ، دون انتظار لإن من أحد .

يقول محمود عساف : « دعا عبد الرحمن السندی إلى اجتماع - وكنت حاضرا فيه - وقال إنه ينبغي أن ن فكر في خطة لقتل أحمد ماهر قبل أن يعلن الحرب على المحور ! وقال إنه وضع خطة أولية تقوم على تكليف أحد الإخوان بالمهمة ، فيزود بمدس ويتطلق إلى مزلقان العباسية (مكان نفق العباسية الحالي) وينتظر هناك مرور سيارة أحمد ماهر ، حيث أن السيارات تبطن كثيرا من سرعتها عند المزلقان ثم يطلق الرصاص عليه ، ويكون هناك شخص آخر منتظرا بموتوسيكل يحمله معه ويهربان .. ثم قال عساف : تلك هي الخطة البدائية التي أثارت الاستياء من جميع الحاضرين » (الإمام الشهيد. ص/ ١٥٣) ..

وقد كلف أحمد عبد الفتاح طه بالقيام بالعملية ، ثم اعترز في اليوم الثاني

وانفض الاجتماع الإخواني على عدم الاتفاق ، هكذا قال عساف . ثم قتل أحمد ماهر في اليوم التالي .. قال عساف : « وفي اليوم التالي طالعت صفح الصباح وإذا بخبر الاغتيال يحتل عناوين الصفحة الأولى ، فظننت أن أحمد عبد الفتاح أعاد التفكير في الموضوع ووجد أنه من الكثير عليه أن يجهن وهو الشخص الشجاع كما أعرفه - ثم قرر تنفيذ العملية بمفرده وبخطة من عنده وليكن ما يكون » (المصدر السابق . ص / ١٥٤) . ولم يخبر عساف عن خفايا التحقيقات الإخوانية في هذا الأمر .. هل كان ثمة تحقيقات لا أم . خاصة أن السندی كان مصرا على قتله . أم أن الخبر طوى عليه .. ويشكر على ذلك محمود العيسوي ، الذي لم يزعج باسم الإخوان في تلك الجريمة كما فعل صاحبه عبد المجيد حسن في مقتل النقراشي ..

وفي عام ٢٠٠٩م .. اعترف الأستاذ خليفة عطوة " أحد أعضاء التنظيم السري لجماعة الإخوان " بالاشتراك في قتل أحمد ماهر باشا مع محمود العيسوي الذي تحمل القضية بمفرده .. قائلا كما نقل عنه الأستاذ حسين البربري :

« إن أول ظهور للتنظيم السري للإخوان كان عام ١٩٤٤ ، حيث بدأنا تكوين مجموعة الخلايا العنقودية المسلحة وكل خلية مكونة من زعيم وأربع أفراد، وكل خلية لا تعرف الأخرى ، وبدأنا بالعمل المسلح باغتيال أحمد ماهر باشا عن طريق محمود العيسوي » (المصريون نت ٧ / ٢ / ٢٠٠٩م) .

لا حظ قوله " وكل خلية لا تعرف الأخرى " ليتبين لدينا أن إنكار طائفة للجريمة لا يعني براءة الجماعة منها .. وذلك أنهم يتظاهرون بعدم الاشتراك والتراجع في الظاهر ويوكلون طائفة أخرى بالعمل الذي رفضته الطائفة الأولى .

ولا أدري كيف يقتل مسئول سياسي لمجرد أنه فكر فقط في الأمر ، فقد قال عساف إن الإخوان فكروا في قتله قبل أن يعقد هذا التحالف .. لم يبق فقط إلا أن أحمد ماهر كان عميلا ماسونيا إنجليزيا . وإلهجاه الخاص كان معدا فقط لمواجهة الإنجليز والماسون . هذا هو الذي ينتهي إليه الإخوان إذا بطلت حيلهم . ولا أدري لماذا خصوا الماسون في الأحزاب بالقتل ، ولم يقتلوا الماسون من الإخوان الذين

اختلفوا جماعتهم ، وصاروا فيما بعد في مواقع قيادية بارزة في بشهادة الغزالي وسيد قطب . وقد كانوا معروفين لهم بالاسم ..

٢- مقتل القاضي أحمد الحازندار...

أراد حسن البنا أن يبرئ الإخوان من تهمة قتل القاضي أحمد الحازندار ، فقال ردا على مذكرة عبد الرحمن بك عمار : « وعرضت بعد ذلك إلى حوادث الحازندار بك ، وكل ذنب الإخوان فيه أن أحد المتهمين شاع أنه سكرتير للمرشد العام مع أن هذه الصلة لم تثبت في التحقيق » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٥٦) ولكنه لم يستطع الفرار من الضغوط التي أثبتت تورط الجماعة في تلك الجريمة ؛ فأقام محاكمة صورية لعبد الرحمن السندی قاتل القاضي الحازندار ، ليثبت أن تنظيمات الإخوان ضالعة في القتل والإرهاب ..

وقد قتل المستشار أحمد الحازندار عام ١٩٤٨ م قبل مقتل النقراشي باشا ، بسبب إصداره أحكاما رآها الإخوان قاسية على بعض المتهمين إليهم ... وقد باشر التنظيم الحاصل للإخوان عملية القتل ، بتدبير من رئيس التنظيم وبمشاركة محمود سعيد زينهم وحسن عبد الحافظ . وذلك في ضاحية المعادي ، وقبض على القاتلين في الحال .. وعندما حقق حسن البنا في مقتل القاضي الحازندار لم يقل لعبد الرحمن السندی : إن التنظيم موجه للإنجليز ، وإنما قال له : " لقد قتلت بغير إذن ومثل هذا العمل لا بد فيه من الإذن الصريح " . فنصب نفسه قاضيا وحاكما .. وفي ثنايا التحقيق ظهر جليا عظم الخلل في فتاواه وأقضيته .. يقول الدكتور عساف في كتابه (مع الإمام الشهيد . ص / ١٤٧ ، ١٤٨) : « دخل الأستاذ وهو متجهج وجلس غاضبا ، ثم سأل عبد الرحمن السندی قائلا : أليست عندك تعليمات بالآ تفعل شيئا إلا بإذن صريح مني ؟ قال : بلى .. قال : كيف تسنى لك أن تفعل هذه الفعلة بغير إذن وبغير عرض على مجلس إدارة النظام ؟ فقال عبد الرحمن : لقد طلبت الإذن وصرحت فضيلتكم بذلك .. قال الإمام : كيف ؟ هل أصرح لكم وأنا لا أدري ؟ قال عبد الرحمن : لقد كتبت إلى فضيلتكم أقول : مارأيكم دام فضلكم في حاكم ظالم

يحكم غير ما أنزل الله ويوقع الأذى بالمسلمين وعالء الكفار والمشركين والمجرمين ؟
فقلتم فضيلتكم : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض.. ﴾
فاعتبرت هذا إذنا !!..

قال الإمام : إن طلبك الإذن كان تلاعبا بالألفاظ فلم يكن إلا مسألة عامة
تطلب فيها فتوى عامة ، أما موضوع الخازندار فهو موضوع محدد ، لا بد من الإذن
الصريح فيه .. ثم قال : إن كان قتلك للخازندار قد تم بحسن نية فإن علينا الدية .
ولكن الحكومة دفعت تعويضا كبيرا لأسرة الخازندار فاستقطت الدية عن الإخوان (
حقيقة التنظيم الخاص . ص / ٢٦٤) .

وفي موضع آخر قال حسن البنا للسندی : « لماذا قتل الخازندار ؟ قال
السندی: أنت الذي أمرت بهذا. فرد قائلا : أنا يا عبد الرحمن - قال : نعم أنت . قلت
: لو كان ربنا ريحنا من العالم دى » (صفحات من تاريخ الإخوان ص/ ٤٦٦)
فخرج حسن البنا يحكمه الخاص ، أن القتل كان خطأ ، لأن القاتل ظن أن حسن البنا
كان يريد قتل الخازندار فقتله . ثم تخلص من الدية بكون الحكومة دفعت لها لورثة
الخازندار . فحمل مهام الدولة والقضاء !!

٣- مقتل الإمام يحيى بن حميد ..

كيف خطط حسن البنا للثورة على إمام اليمن ..؟

لم تفتقر عقلية حسن البنا عن التفكير في الانقلاب على الدول الإسلامية في
زمن من الأزمان ، فقد كان مشغولا بذلك إلى درجة كبيرة .. خلاف ما زعم أنه لا
يؤمن بذلك ... ومن جملة ما كان يفكر فيه الثورة والانقلاب على الإمام يحيى بن
حميد إمام اليمن وإقامة حكم إخواني ، معتمدا على استغلال فراغ دستوري ..
ينتحق في حالة موت الإمام . حيث يقوم الإخوان اليمنيون الأحرار بتنفيذ الخطة
الإخوانية التي رسمها لهم حسن البنا في القاهرة .. وذلك في مارس ١٩٤٨م .. وقد
كان بين حسن البنا وبين الإمام يحيى وولده أحمد رسائل مودة وعلاقة متبادلة ، كان

مقصوده منها فتح الباب لصحف الإخوان ومقالاتهم ودعوتهم كي تنتشر في بلاد
اليمن . وكان الإمام يحيى يقدّر حسن البنا ، قال محمود عساف : « وتقديرا له إهداء
عمامة مئينة ، كان الإمام الشهيد يرتديها كثيرا » (الإمام الشهيد . ص / ٨٥)

ومع ذلك لم تمنع تلك الرسائل ولا هذا التقدير حسن البنا من التفكير في
الانقلاب على الإمام يحيى وقتله على فراش المرض ..

فقد أعد مشروعا انقلابيا على الإمام يحيى بن حميد الدين ، وذلك بمنح انتقال
السلطة لأولاده من بعده ، ونقلها لأناس يرى فيهم حسن البنا المكانة العليا لإقامة
الدعوة الإخوانية في اليمن ..

وقد أطلق حسن البنا على الإخوان اليمنيين اسم اليمنييين الأحرار ، وهو نفس
الاسم الذي اختاره في مصر للضباط الأحرار في أوائل الأربعينات .. وبذلك يتضح
أن حسن البنا كان أول من أهل ضباط الثورة فكروا لحرب اليمن عام ١٩٦١م ..
وذلك قبل أن يقوى الذراع الاشتراكي للثورة ..

وقد كان حسن البنا يجتمع في دار الإخوان مع بعض طلبة العلم اليمنييين ،
الذين كانوا يدرسون في الأزهر وفي دار العلوم في القاهرة .. يدفعهم إلى الثورة التي
زعم في رسائله أنه لا يؤمن بها ! ويؤكد لهم أن اليمن مهبة لحكم الإخوان أكثر من
أى بلد آخر .. قال محمود عبد الحليم : « ولكنني أستطيع أن أقرر أن فكرة إعداد
الشعب اليمني للثورة قد نبتت في المركز العام » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤٤٧)
 واجتمع حسن البنا في موسم الحج مع مندوب عبد الله الوزير ، الذي تولى زعامة
الثورة في اليمن عام ١٩٤٨م .. واتفق معه على الخطوط العريضة ، لتدبير الانقلاب
في اليمن .. الذي تبين صورته فيما بعد .. وقد قام محمد محمود الزبيرى أحد
الشباب الذي كان يدرس في كلية دار العلوم بالقاهرة .. والذي كان يجتمع مع حسن
البنا في دار الإخوان . بالتهيب والإعداد لتلك الثورة ، ومن أجل ذلك أنشأ أول حزب
للمعارضة في اليمن ، ذلك الحزب الذي كان يلتقى دعما كبيرا من حسن البنا . وقد
أكد ذلك موقع الإخوان : « وفي عدن بدأت مرحلة جديدة في الكفاح والنضال ،

حيث أسس الزيري مع رفيق كفاحه أحمد محمد نعمان حزب الأحرار سنة ١٩٤٤م ، الذي تحول اسمه إلى " الجمعية اليمنية الكبرى " عام ١٩٤٦م ، وأصدر صحيفة "صوت اليمن" ، وفوضت الجمعية الإمام حسن البنا في أن يتحدث عنها في كل شأن من الشؤون «(إخوان أون لاين ١٦ / ٦ / ٢٠٠٥م) .

فوافق حسن البنا على أن يكون ناطقا رسميا باسم المعارضة اليمنية ، وأرسل موافقته بذلك إلى إبراهيم بن الإمام يحيى .

أما دور مصطفى إبراهيم الشهير بالفضيل الورتلاتي الجزائري .. فقد أرسله حسن البنا مؤفدا من قبله لإعداد تقرير عن حقيقة ما يدور في اليمن . قال القرضاوي : « وكان في بيروت الأستاذ الفضيل الورتلاتي أحد مشاهير علماء الجزائر الذين نفتهم فرنسا من الجزائر ، لخطورتهم ونشاطهم ، وقد بقي في القاهرة مدة من الزمن ، وكان على صلة وثيقة مع الأستاذ البنا ، وقد كلفه الأستاذ البنا بملف (اليمن) والاتصال بأحرارها ورجال الإصلاح فيها ، وكان له دور معروف غير منكور في انقلاب اليمن على الإمام يحيى حميد الدين »(سيرة ومسيرة ٢ / ٤٦٤) .

فرحل الورتلاتي إلى اليمن ودرس القضية كاملة ، وقام بالتنظير والتنظيم والتكوين ... ثم عاد إلى القاهرة واضعا ملف اليمن كاملا أمام حسن البنا ، فأولكه بالاتفاق مع رفاقه اليمنيين على القيام بثورة ضد الإمام يحيى وأولاده من بعده ، أسماها ثورة الدستور ، التي وضع ميثاقها بنفسه ، وكان بمقتضاها الالتقاء مع وجهاء وشخصيات مميزة في اليمن ، أوكل إليها أمر الثورة بعد نجاحها ... فلم يزل أحمد بن الإمام يحيى ... فاعلن بخطة مذبحة موت أبيه ، الذي لم يكن أجله قد حان بعد .. وقبل أن يتحقق الإخوان اليمنيون الأحرار من الخبر أعلنوا في صحفهم بسنابجهم البالغة التي يحسدون عليها خطة الأحرار الدستوريين في الوصول إلى الحكم ، ونشروا الميثاق المقدس الذي أعده حسن البنا ، وذكروا أسماء الوجهاء المرشحين للإمامة والوزارة .. فبان الأمر واتضح دور الإخوان كاملا ..

غير أن الرياح جاءت بما لاشتهى السفن ، وانقلب ظهر المجن ، وتبين أن

الإمام يحيى بن حميد لم يمت . عند ذلك بدا للإخوان أن يقتلوا الإمام يحيى ويستعجلوا الأمر .. فقتلوه على فراش مرضه بخسنة متناهية - كما قتلوا المهندس سيد فايز ' عضو التنظيم الخاص " بعلبة حلويات مفخخة أهدوها له في يوم احتفالهم بالمولد النبوي ، وأقاموا حكومة الدستوريين بقيادة عبد الله الوزير . وكما جاء في موقع (الإخوان أون لاين ١٦ / ٦ / ٢٠٠٥م) : « واستمر الكفاح حتى قيام ثورة ١٩٤٨م ، حيث قتل الإمام يحيى حميد الدين ، ونصب عبدالله الوزير إماما جديدا لحكم دستوري شرعي ، وكان للإخوان المسلمين والفضيل الورتلاتي - يمثل الإمام البنا في اليمن - الدور الرئيسي في هذه الثورة » أه .

وعندما قامت الثورة في اليمن أبدها الإخوان في مصر ، حتى إن حسن البنا أرسل وفدا برئاسة سكريته الخاص عبد الحكيم عابدين ، لهتئة الإخوان اليمنيين بنجاح الثورة .. وقام الوفد الإخواني في نفس الوقت بتعمية أبناء الإمام يحيى .. وهم الذين قتلوه .! قال الأستاذ مصطفى الشكعة " أحد كوادر الإخوان في زمن حسن البنا " في كتابه (مغامرات مصري في مجاهيل اليمن) : « ثم اندلعت ثورة اليمن التي قامت باغتيال الإمام يحيى حميد الدين ، وأرسلت الثورة اليمنية تدعو الأستاذ البنا لكي يزور اليمن ، وكنت إذ ذاك أعمل في اليمن ، وكان القائمون على الثورة تربطهم رابطة المكان للإخوان ؛ حيث كانوا يجتمعون أثناء إقامتهم في القاهرة في مقرهم ، فلما وجه الثوار الدعوة إلى الأستاذ لم يستجب لها ، بل أرسل أحد كبار الإخوان مثلا له في طائره »(إخوان أون لاين ٢٤ / ١١ / ١٤٢٦ هـ) .

ولم تدم ثورة الدستوريين الإخوانيين التي قامت في ٢٨ مارس ١٩٤٨م أكثر من ستة وعشرين يوما .. حيث استطاع أحمد بن الإمام يحيى أن يجمع أئمة القبائل حوله ، لينتقم من قاتلي أبيه ، ويستولي عرش اليمن مرة أخرى .. وتحقق له ما أراد ، وقاتلت معه قبائل اليمن بكل شراسة .. وقبض على من قاموا بالثورة ، وفر الإخوان هارين مغلولين كعادتهم ، إلى جنوب اليمن وإلى كثير من البلاد .. ومات من مات ، وسجن من سجن .. وغادر الزيري والورتلاتي اليمن .. وكان هذا هو الشتات الأول الذي كتبه الله على الإخوان قبل شتات ١٩٥٤م وشتات ١٩٦٥م ..

وبإزاء ذلك وجهت جريدة " الإخوان المسلمون " .. الصادرة في الجمعة أول جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ الموافق ١٢ مارس سنة ١٩٤٨ هـ) نداء إلى الحكومة المصرية بالعمل على إنقاذ الإخوان من قبضة قبائل اليمن الشرسة ، قائلة : « وعلى هذا فإن المصريين الذين في صنعاء الآن من المدرسين والموظفين وغيرهم وزوجاتهم وأطفالهم - وعددهم ليس قليلا - في خطر شديد يتزايد بين دقيقة وأخرى .. ونحن نوجه هذه الكلمة إلى المسؤولين في الحكومة المصرية رجاء العمل بكل سرعة على إنقاذ هؤلاء المصريين بإرسال طائرات حربية لإحضارهم أو بأى وسيلة أخرى » أهـ

قال القرضاوى : « وقد فشل الانقلاب الذي قام به ابن الوزير ، وسيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحيى ، بعد أن نجح أول الأمر ، ولكنه لم يستقر ، وقد فر الأستاذ الورتلاوي من اليمن ، وحاول أن يجد بلدا يؤويه ، فلم يجد » (سيرة ومسيرة .. ٢ / ٤٦٤) .

وهكذا الإخوان ومع كل محاولاتهم المخالفة لمنهج الرسل ودعوة الأنبياء لم يرد الله تعالى لهم دولة ولم يرفع لهم راية ، خذلهم وخيب سعيهم ، فلم ينجوا من التهور إلا الإفلاس ، ومن الأمانى إلا الوهم .. وهم في ذلك كله لا يذكرون خطأ ولا خلا ، إنما يمزجون تلك الخيبة المستمرة إلى مجرد الابتلاء وإلى خطط الدول المعادية للإسلام .. ليفروا بذلك من العتاب والملام .. ونسوا غدرهم بالإمام يحيى وقتلهم له وهو على فراش الموت مع سابق العلاقات الحسنة ، التى كانت بينه وبين شيخهم ، ونسوا كذلك الدعوة التى فتحها لهم في بلاد اليمن ..

ولم يتحقق لحسن البنا ما أراد ، ولكنه جنى استعلاء الحكام والدول ، وفرق المسلمين شيعا وأحرابا . وأزهق الشعب المصرى زمنا طويلا .

فقد كانت آمال حسن البنا أكبر من قدراته - لم يزن الأمور بميزان الشرع ، ولا حتى بميزان المصالح والمفاسد ، كما يفعل علماء الحديث والفقه والتوحيد ، أخذته ثورة الشباب حتى أوقع جماعته في الفشل الذريع ..

حل الجماعة :

لقد كانت ثورة حسن البنا الفاشلة في بلاد اليمن مقدمة من أكبر المقدمات التى أدت إلى حل جماعة الإخوان عام ١٩٤٨م في زمن النقراشى باشا ، وذلك لأن حسن البنا كان يعلن دائما أنه لا يبغى ثورة ولا يؤمن بها ، وما هو يثبت تلونه في العمل السياسي ، بسعيه في تدبير انقلاب في قطر آخر ، بما يعنى أن القطر الذى يعيش فيه سيأتى في المرتبة التالية ، وذلك بعد تحقيق النجاح في الأقطار المجاورة .. قال محمود عبد الحليم : « كان لهذه الثورة آثار على المستوى المصرى وأخرى على المستوى العربى وثالثة على المستوى العالمى .. أما على المستوى المصرى فإنها ألقت في روع القائمين على الحكم في مصر أن هذه الثورة نذير لهم بين يدي عذاب شديد ! فليقللوا بنقلهم أولا لإحباطها ثم ليعدوا العدة في القضاء على مديبرها وهم الإخوان المسلمون الذين بلغوا أشدهم حتى إنهم يقيمون الدول ويسقطونها. الخ » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤٥٣) .

٤- مقتل النقراشى باشا رئيس وزراء مصر ..

دائما ما يرجع الإخوان قرار حل جماعتهم إلى تأثر الدول الكبرى عليهم .. وهم في الحقيقة يتناسون جنائياتهم وخصيائهم الدائم للحكام الذين بايعوهم مرات عديدة ، ورفعوا إليهم أسمى آيات الولاء ، كما بينا من قبل ..

لقد تناسى الإخوان أنهم كونوا مراكز قوى تبغض وجودهم ، وترفض سلوكهم السري والسياسي والديني في المجتمع المصرى .

تناسى الإخوان أنهم سعوا في تفجير محكمة الاستئناف ، وتناسوا أنهم قتلوا الإمام يحيى بن حميد ، وتناسوا قضية السيارة الجيب ، التى كانت تحوى أسرار التنظيم الخاص .

وتناسوا مقتل القاضى الحازندار ، والتنظيمات السرية المتعددة ، التى أنشأها حسن البنا ، بقصد قلب نظام الحكم ، وتناسوا مظاهر التحدى المتعددة في المظاهرات

المتنوعة .. كما تناسوا تعاملاتهم مع المؤسسات الدولية ، دون احترام لمكانة الدولة .. ومثال ذلك نديهم مصطفى مؤمن إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ليتكلم في قاعة مجلس الأمن ، في حضور النقراشي باشا عن قضية مصر ، بغير إذن منه . وقد أشار إلى ذلك محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ / ١ / ٤٣٧) بقوله : « فإن الأستاذ مصطفى مؤمن ما كاد يرى النقراشي باشا يحتل مكانه المعتاد ليلقي بيانه ، حتى خرج من مكان المنفرجين إلى مكان الأعضاء والسكرتيرين فحدثت ضجة بين الأعضاء فطلب الرئيس منه أن يلتزم النظام ثم دعا الحراس لإخراجه من قاعة المجلس . وقد علمت أن الأستاذ مؤمن كان يريد أن يخطب في أعضاء المجلس باسم الشعب المصري وجاء في الكلمة التي استطاع إلقاءها : أتقدم إليكم باسم شعوب الشرق الأوسط وبالنيابة عن الإخوان المسلمين نحن نطالب أن تعامل قضيتنا بالعدالة التي أصبحت جديرة بها ، فإذا لم يحدث ذلك فإن ألوفا من الناس سيبدلون حياتهم رخيصة في الكفاح من أجل حرية بلادهم .. ثم قام يلوح بأوراق معه : « ونحن نطلب الحرية » .. أهـ

ومن الأمثلة الأخرى التي تدل على عدم تقدير حسن البنا واحترامه لدولة الملك أنه التقى مع فيلب أيرلاند " سكرتير السفارة الأمريكية بالقاهرة " سرا ، وذلك للتفاهم معه في بعض الأمور الخاصة بالدعوة ..

وحكى فريد عبد الحالق أن لقاء مثل هذا اللقاء السري لنفس الهدف تم في المركز العام للإخوان بين ممثل الحكومة البريطانية وبين الشيخ حسن البنا ..

ومن أخطر الأمثلة التي تدل على أن حسن البنا كان يتعامل مع دولة الملك بمنطق الدولة داخل الدولة ما كان من مخاطبته لسفير سوريا في القاهرة مخاطبة مباشرة ، حيث عرض عليه إرسال عشرة آلاف جندي كمتطوعين للقتال في سوريا .. جاء في الخطاب : « حضرة صاحب السعادة : وزير سوريا المفوض بالقاهرة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد : فإن " الإخوان المسلمون " في المملكة المصرية يشاركون الحكومة السورية الجاهدة والشعب السوري الباسل الشعور ضد

الاستعمار والعدوان والظلم في هذه الآونة الدقيقة من تاريخ العروبة وهم يتجهزون هذه الفرصة فيعلنون أن عشرة آلاف شاب من شباب الإخوان يرجون قبولهم كمتطوعين في الجيش السوري » (مواقف في الدعوة والتربية للسياسي) ..

وهذه الأعمال تدل بالضرورة على عدم احترام الإخوان لمقام الدولة وسلطانها ، وأنها لا تمثل بالنسبة لهم شيئا .. مع مبايعتهم للملكها ومصالحتهم لرئيس وزرائها .. ولا شك في مخالفة هذا الفكر الهمجي لمنهج السلف وأهل الحديث (رضى الله عنهم) .

يقول قال أبو القاسم رحمه الله: « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » (رواه مسلم) .

ولا تنس أن تسأل عن رأى حسن البنا فى تلك العمليات .. فحسن البنا رجل بىء لا علاقة له بالإرهاب من قريب أو بعيد .. ومن أجل ذلك لم يشر التنظيم فى بيانه إلى أن الإخوان هم الذين دبروا تلك العملية .. يكفى فقط أن يوقن النقراشى باشا وكل من حوله أن يد الإخوان تستطيع أن تطولهم فى أى وقت ، إما بالقنابل الصوتية أو الحارقة أو المتفجرة القاتلة ..

أما فى ظاهر الأمر فالإخوان أبرياء ، ولا يمكن أن يقدموا على أعمال إرهابية من شأنها أن تثير التوتر والخوف فى المجتمع .. ولك أن تتصور آخرى المسلم ما ترسخ فى نفس النقراشى باشا وغيره من السياسيين من بغض وكرهية لجماعة الإخوان بسبب تلك العمليات .

هذا كله هو الذى دفع النقراشى باشا إلى إصدار قراره بحل جماعة الإخوان ، وتصادف ذلك مع خروجهم للقتال فى فلسطين عام ١٩٤٨ م ، بغير إذن فى أول الأمر ، وعدم رضوخهم لقرار الهدنة فى فلسطين بعد أن وافقت عليه الدول العربية جمعة .. وقد تصادف ذلك مع تدبير الإخوان لانقلاب اليمن عام ١٩٤٨ م ، وقتل الإمام يحيى وهو على فراش المرض .. حقا فقد كان هذا العام هو خاتمة المطاف لجماعة الإخوان المسلمين . وإبان قرار الحل الذى أصدره النقراشى فكر الإخوان فى قتله والتخلص منه . وقد كون المهندس سيد فايز عبد المطلب " مسئول التنظيم الخاص عن مدينة القاهرة " - الذى قتله الإخوان فيما بعد بعبلة حلويات متفجرة فى ليلة احتفالهم بالمولد النبوي - مجموعة كاملة تحت قيادته ، للقيام بتلك المهمة .. قال محمود الصباغ : « وقد نظر سيد فايز فى قرار حل الإخوان وفى الظروف التى تحيط بهذا القرار سواء فى الميدان أو فى داخل مصر فشمع أنه محكوم بحكومة تحارب الإسلام والمسلمين وقرر الدخول معها فى حرب عصابات فوق أرض مصر » (التنظيم الخاص ودوره ص/ ٤٥٠)

محاولات وجرائم سابقة ..

كان للإخوان محاولة اغتيال سابقة للنقراشى باشا ، ولكنهم وضعوها تحت بند محاولة إرهاب وتخويف .. وتلك هى طريقة الإخوان فى العمل السياسي .. قال محمود الصباغ : « عمد النظام الخاص إلى إرهاب الحزبين اللذين منحا صدى باشا الأغلبية البرلمانية للسير قدما فى تضييع حقوق مصر دون أن تقع خسائر فى الأرواح ، وذلك بإلقاء قنابل حارقة على سيارات كل من هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين والنقراشى باشا رئيس حزب السعديين فى وقت واحد ... » (التنظيم الخاص ودوره ص/ ٢٧٨) .

وقال : « وقد قمت شخصا بمراقبة خط سير سيارة النقراشى باشا لوضع القنبلة عليها وأنا جالس على متوسكل خلف قائده الأخ على عمران من إخوان السيدة عائشة ، وقد أجهدنا المراقبة دون أن نعر لهذه السيارة على أثر بينما قام الأخ أحمد البساطي من ناحية أخرى بإلقاء قنبلة على سيارة هيكل باشا ويخرج من ركبائها ، وكانت القنبلة حارقة صوتية ، لا يؤذى انفجارها أحدا ممن حولها ، ولكنها لم تنفجر فاضطر الأخ محمد مالك أن يلقي بالقنبلة شديدة الانفجار التى يحملها لتفطية الانسحاب إذا لزم الأمر جهة السيارة بعد أن اطمان إلى ابتعاد الركاب عنها ، وكان توقيتة دقيقا ، فأحدثت القنبلة انفجارها الشديد وخسائرها الكبيرة للسيارة دون أن يصاب أحد من الركاب الذى وصلوا إلى مدخل المنزل آمين .. ولقد تعمدا إذاعة سر هذه العملية وبيان أن المقصود منها كان رئيسي الحزبين لإرهابهما ، بسبب موقفهما المتخاذل فى المطالبة بحقوق مصر دون أن نوضح أى إشارة تشير إلى الجهة التى نفذت العملية ..! ليعلم النقراشى باشا أنه كان مقصودا أيضا ، وأنه لم يحل دون إلقاء قنبلة على سيارته إلا عدم ظهورها فى تلك الليلة ... » (التنظيم الخاص ص/ ٢٨٠) ...

وعليك أخى القارى أن تعلم أن القنبلة كانت صوتية ، وقد أحدث هذا الصوت تلفا كبيرا فى السيارة المصنوعة من الحديد الصلب ..! قال ابن سيرين سمعت أبا هريرة

وقال محمود عساف في كتابه (مع الإمام الشهيد ص/ ١٦٥) : « فقامت مجموعة أحمد فؤاد - (وكان ضابطا بالشرطة ضمن تنظيم الوحدات الذي كان يشرف عليه الصاغ صلاح شادى) وكان يضم مالك يوسف وشفيق أنس وعاطف عطية حلمي وعبد المجيد أحمد حسن ومحمود كامل - برسم خطة قتل النقراشى باشا .

ونجح عبد المجيد أحمد حسن في مهمته بعد أن تنكر في زي ضابط بوليس ، وقتل النقراشى رميا بالرصاص ، وهو على وشك دخول المصعد متجها إلى مكتبه في وزارة الداخلية « أه .

قال أحمد رائف : « تقرر قتل النقراشى ! فرسمت الخطة بعناية .. وأجريت عدة تجارب لكشف الثغرات .. واختير الموعد المناسب جدا . وتم التنفيذ بكفاءة عالية » (الصفحات ص/ ٥١٢) .

مبهرات التنظيم :

ومن هنا قام الجهاز السري بربرمقتل النقراشى باشا ، على طريقة ابن لادن وأيمن الظواهري . قال الصباغ : « إن الإسلام سن أسلوب الاغتيالات في مواجهة الخصوم .. الخ . وذكر في كتابه (حقيقة التنظيم الخاص ص/ ٤٢٩) ثلاثة حجج يوضح فيها مشروعية اغتيال الخصوم السياسيين :

الحجة الأولى : سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف .

الحجة الثانية : سرية عبد الله بن أنيس الجهني لقتل سفيان بن خالد الهذلي .

الحجة الثالثة : سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع عبد الله أو سلام بن أبي الحقيق اليهودي « أه

تلك هى الحجج التى استحل بها التنظيم الخاص قتل النقراشى باشا .

قال الصباغ : « لا يمكن أن يعتبر أن قتل النقراشى باشا من حوادث الاغتيالات السياسية فهو عمل فدائى صرف قام به أبطال الإخوان المسلمين ، لما

ظهرت خيانة النقراشى صارخة في فلسطين .. وحل جماعتهم واعتقل قادتهم وصادروا ممتلكاتهم وحرم أن تقوم دعوة في مصر تدعو إلى هذه المبادئ الفاضلة إلى الأبد .. فكانت خيائنه صارخة لا تستر وراء أى عذر أو مبرر ، مما يوجب قتل هذا الخائن شرعا ، ويكون قتله فرض عين على كل مسلم ومسلمة » (التنظيم الخاص ص/ ٣١٢) .

وفى هذا البيان كما هو واضح رمى الصباغ النقراشى باشا بالخيانة وحكم عليه بالقتل .. بسبب إقراره الهدنة مع اليهود ..

وهذا الحكم لا يصح أن ينسحب على النقراشى باشا بمفرده ، باعتبار أنه فعل ما اتفقت عليه الدول العربية . فلقد توقف ما يقرب من ٥٩ ألف مقاتل عن القتال فى مقابل ستمائه من الإخوان كانوا يأبون قبول قرار الهدنة ، وهم لا ناقة ولا جمل . وهم بالضرورة لن يستمروا فى القتال بمفردهم. قال عساف : « وأعلنت الهدنة الرسمية ، وقبلها العرب جميعا ، إلا الإخوان المسلمين الذين لم يعترفوا بها ، لذلك قامت حكومة النقراشى باعتقال المجاهدين داخل معسكرات فى فلسطين يشرف عليها الجيش المصرى » (الإمام الشهيد ص/ ١٦٣) .

ولكن الإخوان خصوا النقراشى باشا بالقتل باعتبار أنه أدبهم وحل جماعتهم ، بسبب عدم خضوعهم للدولة ، وعدم إذعانتهم لسلطانها .. بالإضافة إلى إثارته للفتن . أما الذى قاله الصباغ في تبرير مقتل النقراشى باشا فهو مردود بكون الإخوان ليسوا لادة أمور ، وليس لهم سلطان على أحد ، وليسوا قضاة كما قال عنهم الهضيبي فى الكتاب الذى نسب إليه " دعاة لا قضاة " فليس من حقهم عقاب أحد ولا الحكم على أحد .. وقول الصباغ مردود كذلك بكون الذين أشار النبى ﷺ بقتلهم كانوا كفارا محاريين فى الأصل ، أما الذين قتلهم التنظيم السري فلم يكونوا كفارا ، وقد قتلهم بغير إذن من ولى الأمر ، وقتلهم بغير حجة واستابتة على مظالمهم من علماء الشريعة وقضاة لللة . وحرمان هؤلاء من ذلك ظلم لهم وهدر حقوقهم .. فكيف بعد ذلك إذا اختلفت آراء الإخوان فى الحكم على النقراشى باشا ؟ ماذا إذن

يقول الإخوان في تلك الدماء التي أهدروها؟ فهذا الذي جعله الصباغ مثالا للخيانة والغدر والعمالة ، واستقبل الإخوان قتله بالفرح والسرور ، وجعله القرضاوى فى كتابه (ابن القرية والكتاب ١ / ٣٣٥) كلبا من الكلاب .. جعله حسن البنا مثالا للوطنية ، وتأسف لفقده تأسفا شديدا ، وقال : « أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقده علما من أعلام نهضتها ، وقائدا من قادة حركتها ، ومثالا طيبا للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل أبنائها ، ولسنا أقل من غبرنا أسفا من أجله وتقديرا لجهاده وخلقه » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٦٣) . وخلافا للقرضاوى الذى جعل عبد المجيد قاتل النقراشى باشا إماما من الأئمة ، فإن حسن البنا جعل قاتل النقراشى شقيقا مفتونا ، ليس من الإخوان وليس من المسلمين ، حتى قال للواء / صالح حرب باشا ، كما نقل عنه محمود عيد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٧٥) : « رأيت هذا المفتون ماذا كان ينوى أن يفعل ؟ والله ما هذا الشقى مسلما ولا من الإخوان .. ولما خطب الشيخ من الجهات الرسمية فى هذا الحادث تبرأ من هذا الشاب واستنكر بكل شدة فعلته وأظهر استمدهاده لأن ينشر بيانا آخر يذيع فيه أن هذا المفتون وأمثاله ليسوا مسلمين » أهـ .

فكيف تلام الدولة بعد ذلك إذا أخذت عامة الإخوان بتلك الجريمة الشنيعة ، وحلت جماعتهم ومزقت تنظيماتهم ، وصادرت أسلحتهم ، حفظا للأمن وصيانة للمجتمع والأمة . فحسن البنا لم يعد له سيطرة على جماعته ولا على تنظيمه الخاص .. الذى هيته لاستخدام القوة وقت اللزوم فى جميع رسائله ومذكراته .. حتى إذا قام بأفعاله تبرأ منها .. ولا يخفى أن حسن البنا أسس التنظيم الخاص لحماية الدعوة ، وها هى الدعوة قد حلها النقراشى ، وهذا بدوره مبرر كاف لقتل النقراشى .. فالمنطقى إذن أن تحل الجماعة ويعاقب دعاة الإزهاب وإلا وقع فى المجتمع ما لا محمد عتبا .. وقضية استخدام القوة لحماية الدعوة أمر متقرر فى فكر الإخوان منذ زمن حسن البنا حيث أنشأ التنظيم الخاص لحماية الدعوة ، وتكون كما قال محمود عبد الحليم : « ذات شوكة لا يسهل اتهامها ، ومن هنا نبنت فكرة " النظام الخاص " للدفاع عن الدعوة » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٨٨) .

موروا بسيد قطب ، الذى أنشأ تنظيم ٦٥م ، وأباح له استخدام القوة لحماية الدعوة ، كما أكد ذلك فى كتابه " ماذا أعدموني " بقوله :

« وفي الوقت نفسه ، ومع المضي فى برنامج تربوي كهذا ، لابد من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج ... وهذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعات مدرية تدريبا فدائيا بعد تمام تربيتها الإسلامية من قاعدة العقيدة ثم الخلق . فإن هذه المجموعات لا تتدخل فى الأحداث الجارية ، ولكنها تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة لرد الاعتداء وضرب القوة المتعدبة بالقدر الذى يسمح للحركة أن تستمر فى طريقها... » أهـ .

حتى الاسكتش الرياضى وألعاب الكنفو فو التى تمت فى جامعة الأزهر كانت لهذا الهدف .. يقول د/ محمد حبيب نائب المرشد السابق : « كان اسكتشا رياضيا يعنى تم عمله بصورة ساذجة نظرا للأعمال الوحشية التى عومل بها الطلاب فى جامعة عين شمس فأراد شباب جامعة الأزهر أن يعطى إحساسا وانطبعا أنهم قادرون على التعامل مع البلطجية » (الجزيرة نت . ١٥ / ٨ / ٢٠٠٧م) .

وعلى ذلك خطط حسن البنا إذا تعرضت دعوته لخطر ، فلا بد من المواجهة لحماية الدعوة . وعلى ذلك فلا أدري لماذا جعل حسن البنا الشاب الذى نفذ خطته فى المواجهة شقيقا مفتونا ، وهو الذى أعده لبلوغ تلك الغاية إعدادا فكريا ومتهجيا صريحا .

محاولات واعتيالات إخوانية أخرى ..

هناك محاولات وجرائم للتنظيم الإخواني الخاص في القتل والإرهاب تشبه إلى حد كبير محاولات تنظيم القاعدة وغيره من التنظيمات الانقلابية المعاصرة .. منها:

إلقاء القنابل في جميع أقسام القاهرة ...

ذكر محمود الصباغ الجرائم التي ارتكبتها النظام الخاص ضد المصريين ، وهي : « تفجير قنابل في جميع أقسام القاهرة في يوم ٣ / ١٢ / ١٩٤٦ بعد العاشرة مساء ، وقد روعي أن تكون القنابل صوتية بقصد التظاهر المسلح فقط دون أن يترتب على إتجارها خسائر في الأرواح ، وقد بلغت دقة العملية أنها تمت بعد العاشرة مساء ، في جميع أقسام البوليس ، ومنها بوليس الموسكى والجمالية والأزبكية ومصر القديمة ونقطة بوليس السلخانة ، ولم يضبط الفاعل في أى من هذه الحوادث .. ثم توالى إلقاء القنابل على أقسام بوليس عابدين والحليقة ومركز إمابة . » (التنظيم الخاص ودوره . ص/ ٢٧٨)

إلقاء القنابل على البوليس في مظاهرة المدرسة الخديوية ...

قال محمود الصباغ : « وقد كان إلقاء القنابل في المظاهرات أمرا عاديا ، كما حدث في مظاهرة طلبة المدرسة الخديوية حيث ألقى الإخوان سيد بدر ولطفي فتح الله قنابل ، لم يكونا يقصدان أحدا من البوليس بعينه ولكنهما كانا يقصدان تخفيف حملة البوليس على المتظاهرين ، وقد حوكم هذين الأخوين على عمليهما وأدينا بعقوبة الحبس عشر سنوات .. » (التنظيم الخاص ودوره . ص/ ٢٧٥)

مستأنفة قتل إبراهيم صيد : «تهادى باشا» رئيس وزراء مصر ..

كانت محاولة قتل إبراهيم عبد الهادى باشا * رئيس الوزراء بعد مقتل النقرائى باشا ومقتل حسن البنا * من أخطر المحاولات التي قام بها التنظيم الخاص للإخوان .. وقد طرح لقتله في أول الأمر فكرة السيارات المتفخخة .

قال الصباغ : « وكان التفكير المبدئي أن يصدم مصطفى كمال عبد المجيد سيارة إبراهيم عبد الهادى بسيارة مجهزة بعويوت ناسفة تندفع من الطريق الجانبى لتصلطم فجأة بسيارة إبراهيم عبد الهادى وتفجر السيارتان بمن فيهما . ولكن الأخ مصطفى عبد المجيد خشى أن يعد متحtera بهذه العملية فيدخل النار وفضل أن يشترك في معركة مسلحة تهاجم الموكب » (التنظيم الخاص . ص/ ٤٥٥)

وقال السيسى : « وحين مات حسن البنا أصبح إبراهيم عبد الهادى هدفا للاغتيال بطبيعة رد الفعل ، ولكن إبراهيم عبد الهادى قد أخذ درسا لا ينسى من حادث اغتيال سلفه النقرائى ، فكانت الحراسة المشددة . لكن شباب الإخوان ظلوا يبحثون عن طرف ملائم لاغتياله . حتى استطاعوا أن يستأجروا شقة تتحكم في طريق موكب إبراهيم عبد الهادى تمهيدا لإطلاق الرصاص على موكبه . وشاء الله أن يمر الموكب المنتظر ويلاحقه الرصاص من كل مكان ، ولكن سرعان ما تبين للإخوان أن هذا الموكب ليس هو موكب رئيس الحكومة ، ولكنه موكب الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب » (قافلة الإخوان . ص/ ٢٢٩)

أوكار الإخوان الإرهابية

وعلى طريقة تنظيم الجهاد المعاصر في قتل رجال الدولة . فقد كان هناك محاولات إخوانية ، لاصطياد رجال الحكومة وقتلهم ..

يقول عباس السيسى : « وعلى هذا فقد انتشر الإخوان يستأجرون الشقق في الأماكن الإستراتيجية التي يستطيعون منها اصطياد رجال الحكومة ، وكل مجموعة من هؤلاء معها سلاحها وموتونها وعدتها . وفي فجر الرابع من إبرایل ١٩٤٩ علم رجال الباحث أن بعض الإخوة يجتمعون في مسكن ما بحى شبرا وأنهم يستعدون لعمليات انتقامية ضد الحكومة .. ويمجد أن طرق رجال البوليس هذه الشقة فاجأهم الأخ أحمد خليل شرف الدين الطالب بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية بإطلاق الرصاص عليهم من مدفع رشاش سريع الطلقات وتبعه زميله جمال الدين عطية بإطلاق الرصاص من مسدسه أيضا فاضطر البوليس إلى التراجع ... الخ » (في قافلة الإخوان . ص/ ٢٢٩)

قتل المهندس سيد فايز..

اعترض المهندس سيد فايز عبد المطلب - المدير الأول لجريمة اغتيال النقراشي باشا (١) - على بعض تصرفات الجهاز السري ، فكان عاقبته القتل بقنبلة تفجرت في وجهه ، يوم احتفال الإخوان بمولد الرسول ﷺ .

يقول محمود عساف : « التقيت بالأخ المهندس السيد فايز بشارع العباسية أمام مكتبة المطيعي وجدهته غاضبا على النظام الخاص وأفكاره تكاد تتطابق مع أفكارى .. فى اليوم التالى - وكان ليلة مولد النبى ﷺ - ذهب شخص ما بصندوق من حلوى المولد ، وطرق باب السيد فايز فى شارع عشرة بالعباسية ، وسلم صندوق الحلوى إلى شقيقته قائلا إنه لا يجب أن يفتحه إلا السيد . بالفعل حضر السيد فايز وتسلم الصندوق وبدأ يفتحه .. وإذا بالصندوق ينفجر ويودى بحياته » (مع الإمام الشهيد . ص / ١٥٧ ، ١٥٨) .

وقد علق محمود عبد الحليم على تلك الجريمة ، قائلا : « تلك جريمة رهيبة لا شك عندى أنها من فعل النظام الخاص ، لجرء أن السيد فايز يعارض وجوده .. سألت الشيخ سيد سابق عن هذه الواقعة فقال إن رئيس النظام هو الذى خططها ونفذها أحد معاونيه . بناء على فتوى نسبت للشيخ سيد سابق وهو برىء منها ، وقال لى إنه يعرف الشخص الذى قام بثلث الفعلة التكرار » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٢٢٩)

هذه بعض جرائم الإخوان .. ليست حوادث فردية ، بل هى فكر تنظيم متهور ، لم يفقه حقيقة المنهج الربانى فى الدعوة إلى الله تعالى ، والصبر على المحن ، كما كان عليه الرسل والأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) ، حتى استحل باسم الدين قتل الأبرياء وترويع الأمن . وصار على درب الخوارج المجرمين .

حرمة القتل السياسي فى الإسلام ...

القرضاوى بين مصر والعراق ...

لم أجد تناقضا فى الأحكام والنظرات والكيل بمكيالين كما وجدت فى دعوة الإخوان ومنظريهم ، وهذا بالضرورة يسلب مصداقيتهم ويسقط هيبتهم ، وبين أن الحكم عندهم متأثر بمدى ارتباطه بالجماعات وتعلقه بخططهم ، لا بقواعد الدين والملة .. وتوضح الأمور جليا عندما نقارن بين زمنين .. زمن كان فيه الوضع السياسي يبيع قتل السياسيين المخالفين - على حد زعم القرضاوى - وزمن لا يبيع القتل .. زمن يبيع قتل المدنيين والأبرياء وزمن لا يبيع .. مع كون القضية من وجهة نظرهم متعلقة بالجهاد .. فقتل المدنيين الأجانب فى زمن الملك فاروق من الجهاد الأكبر ، لا شيء فيه ، ولا عتاب عليه ، أما قتل المدنيين والأبرياء الأجانب فى العراق الآن فهو إرهاب وظلم .. وقتل الساسة فى زمن الملك فاروق بتهمة العمالة واجب مقدس ، وقتلهم الآن ينم عن عدم فقه بالإسلام . إلا إذا كان من قبل حماس فى فلسطين ! فلها الحق أن تقتل مائة وعشرين نفسا من منظمة " فتح " فى غداة واحدة بتهمة العمالة ، بلا تحقيق ولا قضاء ! وكذلك قتلوا دعاة مسجد ابن تيمية فى غزة .

فقد استقبل القرضاوى مقتل النقراشي باشا بالفرح والسرور ، دون مراعاة لحرمة دم ولا استقرار مجتمع .. وزعم أن الحكم على عملية قتل النقراشي باشا لا بد أن يكون مرتبطا بالزمان المصاحب للقتل ، فقال فى كتابه (ابن القرية والكتاب ص / ٣٣٥) : « وكان الجو السياسي العام فى مصر يسغ ذلك - أن من اعتدى عليهم لا بد أن يأخذ جزاءه ! - فلا بد كى نكون متصفين أن نحكم على الأمور فى إطارها الزمنى ولا نحكم عليها بمنطق زمننا ؛ أئذ

أما بشأن العراق فله رأى مخالف لذلك فقد قال :

« إن مثل هذه الجماعات التى تقوم بعمليات الخطف والقتل نصبوا أنفسهم على سلطة الإفتاء والقضاء والتنفيذ وإن مثل هذه الجماعات قد ضلت الطريق ،

ومثلهم مثل الخوارج قديما ، والآفة في سوء فهمهم للإسلام «القرضاوى . نت . ٩ . يوليو ٢٠٠٥ م» .. فالقرضاوى الذى أباح قتل الساسة والأبرياء والمذنبين فى الزمن الماضى صار الآن يتبرأ من قتلهم .. ويجعلهم كمثل الخوارج ، والعلة فى سوء فهمهم الإسلام ... والحقيقة أن الإخوان إذا قتلوا فهم مجاهدون ، ولا يسألون عن الأدلة ، ولا يلزم وجود القضاء .. والأمر مستساغ .. أما إذا قتل غيرهم فهم خوارج ضلال ، ولا بد من أدلة وقضاء .. ومن المعلوم أنه لا يجوز أن يقتل مسلم - سياسيا كان أو غير سياسى - ويتهم بالردة والخيانة ، بغير قضاء ولا استبابة .. ولا يجوز قتل الأجراء ولا المعامدين ولا المأمنين. والقاتل قاتل على كل حال ، سواء كان من الإخوان أم من غيرهم . المهم أنه خالف القواعد الشرعية . ولأجل ذلك فإذا قطع القرضاوى بأن هؤلاء الذين يقتلون الأبرياء والمذنبين فى العراق من الخوارج فقد لزمه تنزيل هذا الحكم على التنظيم الخاص للإخوان ، الذى ارتكب نفس الجرائم فى زمن الملك فاروق .. وإذا أصدر القرضاوى بيانا عقب ما وقع فى الحادى عشر من سبتمبر بمركز التجارة العالمى بأمريكا ، جعل فيه قتلة الأبرياء والمذنبين مستحقين للعقوبة الشرعية كما قال فى (إسلام أون لاين نت . ١٢ / ٩ / ٢٠٠١) فمن الواجب أن ينزل هذا الحكم على الإخوان ، الذين قتلوا الأبرياء فى مصر فى زمن الملك فاروق - ولا يعترض على حل تنظيماتهم وتشريد جماعاتهم ، ولا يعترض كذلك على القصاص منهم - وذلك حين ألقوا القنابل المتفجرة فى جميع أقسام القاهرة ، إرهابا واعتراضا على أغلبية برلمانية تحققت لصدقى باشا من حزبي السعديين والأحرار الدستوريين ، وكذلك حين فجرُوا محلات شيكوبويل والشركة الشرقية للإعلانات وشركة أراضى الدلتا و« نسف بعض المساكن فى حارة اليهود بالقاهرة عن طريق إخوان الوحدات » (التنظيم الخاص ودوره . ص / ٢٨٧) .

وكذلك حين سعى شفيق أنس فى تفجير محكمة الاستئناف ، لنسف أدلة الإثبات الخاصة بالتنظيم السري ، التى عثر عليها فى السيارة الجيب .. حيث وضع شظية بها قنبلة زمنية فى غرفة المحضرين ، وتركها وانصرف .. وقد كان من المتوقع إذا انفجرت تلك القنبلة أن تودى بحياة مئات المدنيين ، لولا أن أراد الله تعالى خلاف

ذلك ، حيث انتبه إليها أحد الموظفين فأخذها وجرى وراء صاحبها ، حتى أمره أن يلقبها ، فألقاها ، فأنفجرت فى الشارع ، بعيدا عن الموظفين .. وقد أكد محمود عبد الحليم أن شفيق أنس أراد نسف المحكمة كاملة ، ولم يرد الأدلة والأحراز فقط .. قائلا : « وقد وقعت هذه المحاولة فى ١٢ / ١ / ١٩٤٩م والمتهم فيها هو شفيق إبراهيم أنس سنة ٢٢ سنة يعمل موظفا فى أرشيف وزارة الزراعة . وقد أراد أن ينسف المحكمة ، انتقاما لما كان يجري بين جدرانها من تزيف وتلفيق وإكراء وتعذيب لإخوانه » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٢١٩) .

لا أظن القرضاوى عنده من الشجاعة أن يحكم على هؤلاء الإرهابيين المتسبين إلى التنظيم الخاص بأنهم من أحفاد الخوارج .. وذلك لأن منطق الإخوان قائم على مفاهيم عنصرية بغضه .. فالقاتل إذا كان من الإخوان فإنه ينال نوط الشجاعة والشرف ، ويصير إماما يقتدى به ، ويرفع إلى مقام الشهداء الأبرار فى جنات الخلد، والجو السياسي يبيع له تخطى القضاء وقتل الخصوم ..

وإذا كان من غير الإخوان فإنه يخرج من ملة الإسلام ، ويكون مصيره جهنم وبئس المصير ، ولا يعتد له بالجو السياسي ولا بغير السياسي ..

والحقيقة الغائبة أن الإخوان صاروا يتبرأون مما كانوا يبيعونه من قبل ، ويحاربون ما كانوا يدعون إليه من قبل ، دون دراية وعلم . ليس تراجعاً .. فلو كان الأمر تراجعاً لحكموا على حوادث الزمن الماضى كما يحكمون على حوادث هذا الزمان ، كتلك التى وقعت من تنظيم القاعدة .

ولكن الحقيقة أنهم يريدون تبيض صورتهم وإظهار أنفسهم فى صف الوسطية والاعتدال ، لينالوا أكبر قدر من المكانة فى صفوف العامة والمفكرين والأدباء والصحفيين فى المجتمعات الإسلامية ، ولتطمئن لهم أندول أنغرية حائل وصولهم إلى الحكم ..

الإيمان قيد الفتك ..

لم يكن علماء الإسلام يبيحون القتل السياسي وأن يؤخذ المسلم الآمن على غرة، فقد كان يعدون ذلك من أكبر الجرائم، التي تخرج صاحبها عن الإيمان بالكلية، خلافا لما زعم القرضاوي أن القتل السياسي كان مباحا في زمن الملك. ومن العلماء الذين تصدوا بشدة لهذا الغدر الإخواني بالساسة المسلمين العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر (رحمه الله) فكتب مقالا بعنوان "الإيمان قَيْدُ الْفَتَكِ" فانظر ماذا قال فيه وقس على ذلك أفعال المجرمين من بعدهم ماذا فعلوا في العالم الإسلامي باسم الإسلام والجهاد. قال فيه: روع العالم الإسلامي والعالم العربي، بل كثير من الأقطار باغتيال الرجل، الرجل بمعنى الكلمة، النقرشي الشهيد غفر الله له، وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين.

وقد سبقت ذلك أحداث، قدم بعضها للقضاء وقال فيها كلمته .. وما أنا الآن بصدد نقد الأحكام، ولكنني كنت أقرأ كما يقرأ غيري الكلام في الجرائم السياسية وأتساءل: أتحن في بلد فيه مسلمون ..؟

وقد رأيت أن واجبا علي أن أبين هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة، حتى لا يكون هناك عذر لعنذر، ولعل الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين؛ فيرجموا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرجوع.

وما ندرني من بعد النقرشي في قائمة هؤلاء الناس ..

إن الله سبحانه تواعد أشد الوعيد على قتل النفس الحرام في غير آية من كتابه ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ وهذا من بديهيات الإسلام التي يعرفها الجاهل قبل العالم، وإنما هذا في القتل العمد الذي يكون بين الناس في الحوادث والسرقات وغيرها (القاتل يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزرا كبيرا..

أما القتل السياسي الذي قرأنا جدالاً طويلاً حوله فذلك شأنه أعظم، وذلك شيء آخر ..

القاتل السياسي يقتل مطمئن النفس، راضي القلب يعتقد أنه يفعل خيراً فإنه يعتقد بما بث فيه من مغالطات أنه يفعل عملاً حلالاً جائزاً، إن لم يعتقد أنه يقوم بواجب إسلامي قصر فيه غيره، فهذا مرتد خارج عن الإسلام يجب أن يعامل معاملة المرتدين، وأن تطبق عليه أحكامهم في الشرائع، وفي القانون، هم الخوارج كالخوارج القدماء الذين كانوا يقتلون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويدعون من اعترف على نفسه بالكفر وكان ظاهرهم كظاهر هؤلاء الخوارج بل خيراً منه وقد وصفهم رسول الله بالوحي قبل أن يراهم فقال لأصحابه: « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية » حديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم ج ١ ص ٢٩٢، ٢٩٣ وقال أيضاً: « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم. يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية، فإذا قيمتهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة» (حديث علي بن أبي طالب. مسلم ج ١ ص ٢٩٣)

والأحداث في هذا المعنى كثيرة متواترة وبديهيات الإسلام تقطع بأن من استحل الدم الإحرام فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، فهذا حكم القتل السياسي، هو أشد من القتل العمد الذي يكون بين الناس، والقاتل قد يعفو الله عنه بفضله، وقد يجعل القصاص منه كفارة لذنبه بفضله ورحمته،

وأما القاتل السياسي فهو مصر على ما فعل إلى آخر لحظة من حياته يفخر به، ويظن أنه فعل الأبطال، وهناك حديث آخر نص في القتل السياسيلا يحتمل تأويلاً، فقد كان بين الزبير بن العوام وبين علي بن أبي طالب ما كان من الخصومة السياسية التي انتهت بوقعة الجمل فجاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال أقتل لك علياً .. ؟

قال: لا .. وكيف تقتله ومعه الجنود؟

قال الحق به فأنتك به. قال :

لا. إن رسول الله ﷺ قال : (إن الإيمان قيد الفتك لايتك مؤمن» حديث الزبير بن العوام رقم ١٤٢٩ من مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيقنا) .
أي : أن الإيمان يُقيد المؤمن عن أن يتردى في هوة الردة، فإن فعل لم يكن مؤمناً..

أما النقراشي فقد أكرمه الله بالشهادة ، له فضل الشهداء عند الله وكرامتهم ،وقد مات ميتة كان يتمناها كثير من أصحاب رسول الله ﷺ ، تمنّاها عمر بن الخطاب حتى نالها فكان له عند الله المقام العظيم والدرجات العلى ..

وإنما الإثم والخزي والعار على هؤلاء الخوارج القتلّة مستحلي الدماء،وعلى من يدافع عنهم ، ويريد أن تتردى بلادنا في الهوة التي تردت فيها أوربة برباحة القتل السياسي،أو تخفيف عقوبته؛فإنهم لا يعلمون ما يفعلون،ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون»(جريدة الأساس ٢ / ١ / ١٩٤٩ م) .

رفع
عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
أشكر الله العزير

الفصل السابع

الإفلاس الجهادي في حركة الإخوان

الجهاد عند الإخوان

الجهاد الأول : التفجير- الجسدية

..الجهاد الثاني: المقاطعة الاقتصادية ..

موقف الإخوان من الاحتلال الإنجليزي لمصر

القضيبي ينكر اشتراك الإخوان في معارك

القتال

جهاد الإخوان في حرب فلسطين ٤٨ هـ

مصام الصيوان وإسرائيل .. بين الاعتراف

والمنافرة..

فئة تنظيم الجهاد في مصر

فئة تنظيم القاعدة

الإفلاس الجهادي في حركة الإخوان

يرى الإخوان أنفسهم الجماعة الإسلامية المجاهدة في ميادين القتال ، أما غيرهم فهم أصحاب فقه ودروشة ، لا يأخذون الإسلام بشموله ولا يفقهون الواقع ، إن لم يتهموهم بالعمالة ، والانشغال بفقه الحيز والنفس .. فالجهاد كان معطلا في أمة محمد ﷺ ولم يظهر إلا في حركة الإخوان .. والأمة كانت ميتة ولم تنبث إلا بجماعة الإخوان !. وقد انتهى التلمساني مرشد الإخوان الثالث إلى القول بأن حركة حسن البنا بلغت مبلغا عظيما من الجهاد والنضال لم تبلغه دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال : « ولئن كان الإمام المجاهد ابن تيمية وتلامذته قد أدوا إلى الفقه الإسلامي وتوضيح مناهج السلف لم يعد غرة في جبين الفقه الإسلامي ، ولئن كانوا قد سجنوا أو عذبوا في سبيل التمسك بأبراهيم الصحيح ، ولئن كانوا قد جاهدوا في سبيل الله بالسيف والمزراق فعلا ، ولئن كانت لهم مدرستهم التي لا تنكر ، ولئن كنا نحن الإخوان المسلمون نعتبرهم أساتذة لنا ، إلا أنني أقرر وأنا كامل الإيمان والصدق أن مدرسة حسن البنا كانت أعمق أثرا وأبعد فاعلية في نفوس شباب المسلمين ، ذلك لأن مدرسة الإمام ابن تيمية أخرجت فقهاء وعلماء حقا ، ولكن مدرسة البنا أخرجت مجاهدين في ميادين القتال ومثلا في مواقف النضال » (بعض ما علمنى الإخوان ص/ ٧ . ط . ٢ . ١٩٨٢ . دار نشر الثقافة)

والأمر بخلاف ما قال التلمساني فقد كان لشيخ الإسلام (رحمه الله) مكانة كبرى في العلم والدين والجهاد ، لا أظن أبدا أنها تقاس بجوار مكانة حسن البنا ، بل القياس بينهما انتقاص من مكانة شيخ الإسلام ، وما هذا إلا كالمثل السائر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره .. إذا قيل إن السيف أمضى من العصا .

فمنافيه آية من آيات الله تعالى في خلقه ، وبما ذكر في مناقبه الجهادية أن التناحر حين أغاروا على بلاد المسلمين ، ذهب إلى الأمراء المصريين ، و جهم على الجهاد في سبيل الله .. وكان من جملة أقواله : « لو قدر أنكم لستم بحكام الشام ولا

ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر فكيف وأنتم حكامه وسلطينه وهم رعائكم وأنتم مسؤولون عنهم .. » وقوى جأشهم وضمن لهم النصر هذه الكرة ، فخرجوا إلى الشام ، فلما تواصلت المعسكر إلى الشام فرح الناس فرحا شديدا ، بعد أن كانوا قد يشعرون من أنفسهم وأهليهم وأموالهم » (البداية والنهاية . ١٤ / ٤٢٢) قال الإمام ابن القيم : « ثم أخبر الناس والأمراء سنة الثنتين وسبعمئة لما تحرك التناحر وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم ، وأن الظفر والنصر للمسلمين ، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا . فيقال له : قل إن شاء الله . فيقول : « إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا » (مدارج السالكين . ٢ / ٤٨٩) .

وكان (رحمه الله) يتأول مثل قوله تعالى : « ذلك ومن عاقب مثل ما عاقب به ثم بنى عليه لينصرته الله » [الحج : ٦٠] فاتنصر المسلمون على عدوهم كما أخبر ، وصدق فيه قول النبي ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » (متفق عليه . رواه البخاري في الصلح ٢٥٥٦ عن أنس) .

هذا هو شيخ الإسلام ... كان قويا في دينه وفي عقيدته (أحسبه كذلك والله حسيه) ، وكان يقول : « لن يخاف الرجل من غير الله إلا لمرض في قلبه . فإن رجلا شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال : لو صححت لم تخف أحدا أبى خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك ... الخ حتى قال عنه القازان ملك التناحر حين لقيه : « فإني لم أر مثله ، ولا أوقع من حديثه في قلبي ، ولا رأيتني أعظم اقتيادا لأحد منه » (غاية الأمانى للأوسى رحمه الله تعالى ٢ / ١٧٠) .

وكانت له فراسة بالغة وكرامات حاضرة . « ولما طلب إلى الديار المصرية وأريد قتله ، بعد ما أنضجت له القدور وقلبت له الأمور ، اجتمع أصحابه لوداعه ، وقالوا : قد توارثت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك . فقال :

والله لا يصلون إلى ذلك أبدا ، قالوا : أفتحسب ؟

قال : نعم ، ويطول حسي ، ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس . سمعته يقول ذلك .. ولما تولى عدوه الملقب بالباشكير الملك أخبروه بذلك ، وقالوا :

الآن بلغ مراده منك فسجد لله شكرا وأطال ، فقيل له : ما سبب هذه السجدة ؟ فقال : هذا بداية ذله ومفارقة عزه من الآن وقرب زوال أمره فقيل له : متى هذا ؟ فقال : لا تربط خيول الجنود على القرب حتى تغلب دولته . فوقع الأمر مثل ما أخبر به سمعت ذلك منه ...» (مدارج السالكين ٢ / ٤٨٩) .

والجاشنكير هو ركن الدين ببيرس ، وقد كان ممثلا لشيخه نصر المنيجي الذي كان يدين بملة ابن عربى الصوفى الملمد ، كما ذكر ذلك ابن كثير فى (البداية والنهاية ١٤ / ٤٩) وقد كان شيخ الإسلام مخاصمه له محاربا لمتقدراته الفاسدة منتصرا للإسلام وأهله ، لم يدمج الحق بالباطل ، ولم يسع لحشد الناس حوله بدعوة التقريب ، ليحقق لنفسه سلطانا على حساب دين الله .

ومع كثرة خصومه وأعدائه إلا أنه كان مشهودا له بالمكانة والعلم والفراسة والسياسة ، فهو صاحب التصانيف المشهورة والمؤلفات الماثورة ، حفظ القرآن والسنن ، حتى قالوا الحديث الذى لا يعرفه ليس بحديث .. كان جامعة تولد منها كليات متعددة . وحين وافته المنية لم يتخلف أحد عن جنازته إلا ثلاثة نفر كانوا من أشد أعدائه . وذهب عامة الناس من الأمراء والعلماء والجنود والرعية إلى القلعة التى كان مسجوناً بها ، والتفوا حولها ينتظرون خروج جنازته .

مظاهر ضعف الإخوان المسلمين ...

لم يشترك حسن البنا فى معركة قتالية ، ولم يحمل سيفا ، كما حمل شيخ الإسلام ، ولم تشتهر له جنازة ، ولم يعرف له قسم على الله تعالى ، كما عرف لشيخ الإسلام .. ولم يربى علماء وفقهاء كما ربى شيخ الإسلام . فقد كان الضعف فى دعوته ظاهرا بينا .. انظر ماذا قال لعبد الرحمن السندى عند التحقيق معه فى مقتل القاضى الحازندار ، قال : « لماذا قتلت الحازندار ؟ قال السندى : أنت الذى أمرت بهذا . فرد قائلا : أنا يا عبد الرحمن - قال : نعم أنت . قلت : لو كان ربنا ريحنا من العالم دى » أهـ . وقد نقل القرضاوى فى كتابه (ابن القريه والكتاب ١ / ٣١٢) حال حسن البنا حين دخل عليه فريد عبد الخالق بعد مقتل القاضى الحازندار : « فوجده أشد ما يكون غضبا وحنقا ، حتى إنه كان يشد شعره من شدة الغضب ، وقال له : أ رأيت ما فعل إخوانك يا فريد » أهـ

أما بالنسبة للعلم فقد شهد حسن البنا على نفسه بأنه ليس بعالم ، وأنه مجرد مدرس مدنى ، يحفظ بعض الآيات والأحاديث .

وقد تقدم اتهام سيد قطب حسن البنا وأقرانه بالساذجة والهزيمة النفسية أمام ضغط الواقع الغربى . فكيف بعد ذلك تكون مدرسة حسن البنا الانهزامية فوق مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية . ذاك الإمام الذى وقف أمام القازان ملك التتار ، فرأى فيه كل هبة وجلال ؛ فطلب منه الدعاء ؛ فدعا له شيخ الإسلام ، قائلا : « اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هى العليا وجاهد فى سبيلك فإن تؤيده وتنصره ، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فإن تفعل به وتضعف ، فكان يدعو عليه وغازان يؤمن على دعائه . قال القاضى أبو العباس : « ونحن نجمع ثيابنا خوفا أن يقتل فيطرس يدمه ، ثم لما خرجنا قلنا له كدت تهلكنا معك » (غاية الأمانى للألويسى ٢ / ١٧٧)

وعلى الرغم من تفتن الإخوان في الاغتيالات السياسية بكل دقة ، والغدر بخصوصهم بغير حجة ولا استتابة ولا قضاء ، كما تبين في مقتل النقراشي باشا ، رئيس وزراء مصر ' ، الذي قتل بتدبير متقن ، إلا أن هؤلاء تركوا شيخهم خائفا وحيدا يتعرض للموت ، ولا يجد أحدا يلتف حوله أو يحرسه ، ولا يدري ماذا يفعل ، ولا كيف يتصرف ؟ قال أحمد رائف : « وكان وحيدا حائرا إلا من بعض الأصدقاء الذين يزورهم بين الحين والآخر على تخوف من إخراجهم لرقابة البوليس الصارمة له » (الصفحات . ص / ٢٢٧) .

وحيث قتل (رحمه الله) ودخل المستشفى ومات فيها لم يلتف أحد حول جنازته ، ولم يخرج في تشييع جنازته إلا بناته ووالده ، ولم يحضر عزاء إلا مكرم عبيد باشا ، وما ذلك إلا لعظم جنبهم وخوفهم من دولة الملك ، انظر (في قافلة الإخوان ص / ٢٢٨) ، أحداث صنعت التاريخ ٢ / ١٤٨ ، ابن القرية والكتاب ١ / ٣٤٦ ، (مع الإمام الشهيد . ١٣٣)

أين كان الإخوان ؟

كـي يرر الإخوان هذا الفرار المخزي من تشييع جنازة شيخهم زعموا أنهم كانوا جميعا في السجون والمعتقلات .. وما صدقوا في زعمهم .. والحقيقة أن الذي كان في السجن في هذا الزمان قبل مقتل حسن البنا مباشرة هم أعضاء مكتب الإرشاد فقط ، أما بقية الإخوان والتنظيم الخاص فقد كانوا مطلقي السراح مخفين عن الأنظار . ويؤكد ذلك شهادة حسن البنا ، كما أوردها محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٨٠) : « كل مجلس الإرشاد معتقل ، ومفיש داعي لهذا الاعتقال » .

الجهاد عند الإخوان ..

يرفع الإخوان دائما هذا الشعار .. (الجهاد سيبلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا) ويزعمون أن ما من بلد تعرض للاحتلال إلا كان الإخوان في صدارة المجاهدين . يقول محمد عاكف : « لذلك بنقول " الجهاد سيبلنا " و " الموت في سبيل الله أسمى أمانينا " لماذا قاتل الإخوان في فلسطين ، ولماذا قاتل الإخوان في العراق ، ولماذا قام الإخوان بواجبهم الذي لا ينسى في الجزائر ، وفي كل البلاد التي كانت محتلة » (إخوان أون لاين نت . ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٦ م) .

فما حقيقة ذلك .. ؟

والجواب : بالنظر في تاريخ الإخوان يتبين أن أغلب جهادهم في الإسلام جهاد خاص بإحداث الفتن .. ولن تهدأ البلاد ولن تستقر حتى يكون للإخوان فيها رأى . وانظر إلى مواقع الفتن تجدد الإخوان وراءها .. وإذا أردت أن تستجمع أطراف الجهاد عند الإخوان فلن تجد جهادا ، وإنما حالهم كما يقول القائل : « أسمع ضجيجا وصوتا ، ولا أرى طحنا ولا عجنا » هذا هو جهادهم الذي تفتنوا فيه .. فقد كانوا يقومون بالمظاهرات الصاخبة . إظهارا للقوة ، ومخزا لمكانة الحكومة ، التي يطلبون منها الدفاع عن فلسطين ..

فما جهاد الإخوان ؟

الجهاد الأول : التفجيرات الجسدية ..

نتيجة لقتل الإخوان في الوصول إلى صورة الجهاد الحقيقية في الإسلام ، ولرغبتهم في تحقيق نوع من الظهور في ميدان الجهاد ، بأى صورة من الصور ، وليشتروا لأتباعهم أنهم لا يزالون مؤثرين على الساحة ، وأن وجودهم هو الأقوى .. اخترع الإخوان فكرة التفجيرات الجسدية لتحقيق غايتهم في الجهاد . فهي بدعة إخوانية نشأت في الخمسينيات من القرن الماضي ..

وقد طرحت فكرة استخدام الحزام الناسف بين الإخوان أثناء الصراع بين عبد الناصر والإخوان قبل حادث المنشية ١٩٥٤م .

قال سعد حجاج : الحزام الناسف كانت فكرة تستخدم عند الهجوم على الجماعة ، فلا بد من رد من جانبنا ، وكنت أنا المرشح لحمل هذا الحزام واحتضان عبد الناصر والموت معه» (الصفحات ص/ ٥٠٩) كما طرحت فكرة السيارات المفخخة أيضا في زمن الملك فاروق من قبل الإخوان لقتل إبراهيم عبد الهادي باشا ، ومن معه من الأبرياء .. قال محمود الصباغ : « وكان التفكير البدئي أن يصدم مصطفى كمال عبد المجيد سيارة إبراهيم عبد الهادي بسيارة مجهزة ببصوات ناسفة تندفع من الطريق الجانبى لتصلطم فجأة بسيارة إبراهيم عبد الهادي وتتفجر السيارتان بسمن فيهما .. » (التنظيم الخاص . ص/ ٤٥٥) ...

وقد اقتبس هؤلاء فكرة الهجمات الانتحارية من الهجمات التى كان يقوم بها الجيش الياباني ضد الأسطول الأمريكى البحرى ، حتى أغرق فى المحيط الهادى ، وذلك فى ديسمبر ١٩٤١م ، وترتب على ذلك أن أسقطت أمريكا قبلتين ذريتين ، إحداهما على هيروشيما والأخرى على نجازاكى ، وقتل فى الأولى مائة وأربعون ألفا من البشر ، وفى الثانية سبعون ألفا .

وقد قاس هؤلاء تلك الفكرة على ما ثبت فى التاريخ الإسلامى من أمر البراء بن مالك فى معركة اليمامة ، حين ارتقى سور حديدة الموت ، ثم انخرط فى جيش مسيلمة سيفقه ، وعرض نفسه للقتل وقتلهم ، وكذلك ما رواه يزيد بن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران فى شأن الرجل الذى حمل على العدو حتى دخل فيهم فى معركة القسطنطينية ، وما ذكر كذلك من شأن فتى أصحاب الأخدود ، حين بين للملك كيف السبيل إلى قتله .

وهذه المقاييس باختلاف ألوانها لا تطابق مع تفجير الرجل نفسه بنفسه ، خاصة إذا كان هذا الفعل لا يترتب عليه إسلام أحد من الكفار - كما أسلم أهل قرية غلام الأخدود - أو إذا ترتب عليه مضرة شديدة بالمسلمين دون عدوهم ، فيقتل

المتحرر رجلا أو أكثر ، ليقتل اليهود من المسلمين أضعاف أضعاف ما قتل منهم .. والواجب على المقاتل فى ميدان القتال أن يحتاط لنفسه وأن يأخذ بأسباب النجاة مع كونه يسعى فى إيقاع المضرة بعدوه ، وإن قتل فله أجر الشهيد. أما المتحرر فإنه لا يأخذ الحيلة ، وإنما يقتل نفسه بنفسه حتما ..

وقد كان القرضاوى وغيره وراء تلك الدعوة .. دعوة التفجير الجسدى .. وملصقات الإخوان بالدعوة إلى التفجير الجسدى فى مصر قد ملئت الجدران والصحف ، وكتب عليها : « قم وأنفجر » وقادة حماس يدفعون أطفال فلسطين إلى تلك العمليات ، لإثارة اليهود على المسلمين ، حيث يقتل المتحرر رجلا أو رجلين أو أكثر ، بينما يتنقم اليهود جراء ذلك من سكان الضفة والقطاع بشراسة بالغة ، فيقتلون المئات ويهدمون المنشآت .. وقد تتم العملية الانتحارية ولا يقتل إلا المتحرر .. فلا مصلحة دينية فى هذا الأمر .. وهم لا ينظرون إليها ابتداء ، إنما يقصدون الظهور السياسى ..

أما علماء السنة فقد أفتوا جميعا بأن تلك العمليات التى أحدثها هؤلاء عمليات انتحارية ، وليست استهادية ، لما فيها من قتل للنفس ، ولما فيها من إثارة للفتنة على المسلمين ، ولما يترتب عليها من قتل وتشريد للمستضعفين ، ولأنها تتم بغير إذن إمام الجهاد ، ولا يحدث بسببها هداية ولا إيمان لأحد من الأعداء . حتى إنهم خشوا أن تكون تلك العمليات قائمة على نية فاسدة ، مدفعها اليأس من الحياة ، وعدم الإخلاص لله تعالى ..

ومن هؤلاء الأئمة الذين أفتوا بعدم جواز تلك العمليات الشيخ الألبانى ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ العثيمين رحمهم الله ، والشيخ عبد العزيز آل أنشيخ حفظه الله ، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله ، وكثير من أئمة العلم .. وخذ فتوى العلامة محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) فى (شرح رياض الصالحين . ١ / ١٠٧ ، ١٠٨) فى النهى عن تلك العمليات والتحذير منها .. قال فى شرح حديث الراهب والساحر والغلام والمالك : « أن الإنسان يجوز أن يغرر بنفسه فى مصلحة

عامة ويهلك به نفسه ، وهو أن يأخذ سهما من كنانته .. الخ قال شيخ الإسلام : « لأن هذا في سبيل الله ، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئا ، لأنه مات وسيمت عاجلا أم آجلا... ».

ثم قال : فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار بحيث يحمل آلات متفجرة ويتقدم بها إلى الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله .. "ومن قتل نفسه فهو خالد مخلد في نار جهنم أبد الأبدن " كما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام " أهـ .

ولم يعرف في الإسلام أن يقتل الإنسان نفسه بنفسه ، بحجة أنه يجاهد في سبيل الله ، في معركة لا تحقق غاية الجهاد الحقيقية ، ولا يتبعها منفعة عائدة على المسلمين ، بقدر ما يتبعها مصائب ومحن. ولذلك صارت في فلسطين كأمس الذاهب، ولكن بعد التحارب والمحن . أما بالعلم بالإخوان لا يتراجعون بالعلم .

الجهاد الثاني : المقاطعة الاقتصادية ..

الطريق إلى فلسطين . المقاطعة سبيلك إلى النصر . قم وانفجر . لا تشرب المياه الغازية .. المصصات التي حملت مفاهيم عقائدية منحرفة ، رفعت الأجساد والأشلاء إلى السماء ، وحددت النزلاء في الجنة ، وعينت شهداء الآخرة ، و : « الله أعلم بمن يكلم في سبيله » (البخارى في الجهاد والسير باب لا يقال فلان شهيد . ٢٦٣٥ ، ٢٦٤٩ ، والنسائي في الجهاد في السير ٣١٢٧) ..

هذا هو جهاد الإخوان الذي تفتنوا فيه .. وقد أفتى القرضاوى بحرمة شراء البضائع الأمريكية واليهودية ، فقال : « لكل مسلم اشترى من البضائع الأمريكية والإسرائيلية ما يبجد بديلا له من دول أخرى فقد ارتكب حراما ، واقرنوا إنما مبينا وباء بالوزر عند الله ، والخزي عند الناس » (إسلام أون لاين . ٢١ / ٣ / ٢٠٠٤م) ولا ينقطع المعجب من فتوى هذا الرجل المطالب بمقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية وزعمه أن عدم المقاطعة يعتبر بابا من أبواب التعاون على الإثم والعدوان ، بينما هو يبيع للجندي الأمريكي المسلم الاشتراك في الحرب الأمريكية على أفغانستان لقتل

فقراء المسلمين .. وقد برر ذلك بزعم الحفاظ على مكاسب الجندي المسلم في المجتمع الأمريكي .. فقتل المسلمين في أفغانستان مباح .. أما شرب المياه الغازية فهي حرام .! والحقيقة أن المقاطعة التي يدعو إليها القرضاوى إنما هي تحويل لقضية دينية إسلامية إلى قضية اقتصادية لا خصومة فيها ولا نزاع .. فهل ثبت أن النبي ﷺ كان يستخدم سلاح المقاطعة ضد يهود بنى قينقاع وبنى النضير ، فضلا عن الرومان ، الذين كانوا يترصبون بالإسلام الدوائر ؟ لقد مات النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي مقابل أرز اشتره منه ، مع ثبوت نقضهم السابق لليهود والمواثيق وحريهم الدعوى للإسلام والمسلمين .. و كان أنباط الشام يدخلون المدينة يبيعون الطعام ، والصحابة يتاعون منهم ، وقد كان قيصر الرومان يعد العدة لقتال الرسول ﷺ والأنباط هم فلاحو المعجم .. قال كعب بن مالك : « فينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام عن قدمي بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان » (متفق عليه . رواه مسلم . ٢٧٦٩) .

وفي رواية عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي أنهم كانوا يتبايعون معهم في الغزو .. قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ الشام فكان يأتينا أنباط من أنباط الشام فنسلهم في البر والزيت سعرا معلوما وأجلا معلوما فليل له من ذلك ؟ قال ما كنا نسألهم » (رواه أبو داود ٣٤٦٦ وقال الشيخ الألباني . صحيح لغيره) .

وقد أفتت اللجنة الدائمة : بجواز البيع والشراء ما لم يكن ولي الأمر قد نهى عن ذلك ، وقالت : « يجوز شراء البضائع المباحة أيا كان مصدرها ، ما لم يأمر ولي الأمر بمقاطعة شيء منها ، لمصلحة الإسلام والمسلمين ، لأن الأصل في البيع والشراء الحل ، كما قال معاني : « وأحل الله أنبيع » وانتي ﷺ اشترى من يهود . » (رقم ٢١٧٧٦ بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٤٢١هـ) .

مواقف الإخوان الجهادية ..

١- موقف الإخوان من الاحتلال الإنجليزي لمصر ...

كان حسن البنا يصول ويجول في الشعب الإخوانية في زمن الملك فاروق ، وكان يخطب في أتباعه ويلهب حماسهم ، في غالب القضايا التي يعرضها عليهم ، وكانوا يصيحبون خلف نداءاته ويقفون مع سكتاته .. ولم يشعر حسن البنا أن تلك الهتافات لن تقدم في الأمر شيئا إلا في آخر حياته ، وذلك عندما وقعت الفتنة عام ١٩٤٨م ، بعد عودته من رحلة الحج ..

أما بشأن الاحتلال فقد طالب حسن البنا في ١٩٤٥م ، ١٩٤٦م في مؤتمرين من مؤتمراته ، بقطع المفاوضات مع الإنجليز وبإبطال معاهدة ١٩٣٦م ، وإخراج القوات الإنجليزية من مصر ، بلا قيد ولا شرط ...

وبين أن المفاوضات مع الإنجليز غير مجدية ، ولا بد من الجهاد ، وإن لم تفعل الحكومة ذلك فهي حكومة عميلة يسقط طاعتها ، كما جاء في كتاب (التربية السياسية عند الإخوان المسلمين / ص ١٥٢-١٥٥) فقال : « الحكومة التي لا تحقق تلك المطالب من قطع المفاوضات وإعداد الأمة للجهاد وغيرها هي أداة استعمارية تسقط طاعتها عن المحكومين » أهـ

غير أنه عام ١٩٤٧م سلك طريقا آخر . ألا وهو نفس الطريق الذي سلكه الساسة ، الذين اتهمهم من قبل بالعمالة والخضوع للاستعمار إذا فعلوا ذلك.. وقد اتضح ذلك جليا حين تقلد النقرشي باشا رئاسة الوزراء في زمن الملك فاروق .. وقد كان بينه وبين الإخوان عداء شديدة ، فقد كانوا يرونه متخاذلا مع الإنجليز . فانظر ما البديل الذي عرضه حسن البنا على النقرشي باشا في حالة عدم قبول الإنجليز لتلك المطالب : هل هو تشييع السائق للمواجهة والجهاد الذي طالب به عامي ١٩٤٥م ، ١٩٤٦م ؟ أم هو نفس الوجهة السياسية التي اختارها النقرشي باشا عام ١٩٤٧م ؟

يوضح ذلك الخطاب الذي وجهه الإخوان إلى النقرشي باشا في أوائل عام ١٩٤٧م .. يقول الأستاذ / فريد عبد الحائق : « وجاءت وزارة النقرشي الثانية ،

وفي مجيئه تحدى لمشاعر الشعب ، ومشاعر الإخوان خاصة ، لمواقفه من الحركات الشعبية ، حين أرادت أن تعلن عن احتجاجها على موقف الحكومة المتخاذل مع الإنجليز ، فإن الإخوان - انقادا لقضية البلاد وتلافيا لضياح الوقت الثمين - تناسوا تاريخ الرجل وسابق فشله وسوء تصرفه وتقدموا إليه بخطة كاملة ونصيحة مخلصه ، فقد بعثوا إليه في ٥ يناير ١٩٤٧م بخطاب يطالبون فيه : بقطع المفاوضات ومطالبة الإنجليز بجلاء قواتهم عن أرض الوادي ، لأن لم يستجيبوا فعليه أن يتقدم بقضية الوطن إلى مجلس الأمن ، وإلى محكمة العدل الدولية ، وإلى كل مجمع دولي نأس فيه ميلا إلى الإنصاف » (الإخوان في ميزان الحق . ص / ٤١) (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٤٣١) .

هذا هو آخر ما تمخضت به جعبة الإخوان .. رفع قضية مصر إلى الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية ..

وظهر أنهم في بعض المواقف يريدون أن يحملوا غيرهم مالم يقدرُوا هم على تحمله ، وإذا اتبع الساسة طريق السياسة ، نظرا للظروف التي تعيشها الأمة وغلبة موازين القوى في صالح الدول المعادية للإسلام ، قالوا هذا خيانة ، وإذا طلب منهم الرأي لم يكن عندهم خيار غير الخيار الذي اختاره الساسة ..

لقد اتهم حسن البنا الحكومة المصرية من قبل أنها إن لم تقم بالجهاد لمواجهة الإنجليز فإنها حكومة عميلة تسقط طاعتها .. وقد تبدل هذا المفهوم في الطرح الإخواني المعاصر ، خاصة في العراق إذا رفض إخوان العراق الاشتراك في مقاومة الاحتلال واستبدلوا بذلك مجلس الحكم الانتقالي تحت رعاية بول برجر ، وصار لهم أعضاء فيه هما محسن عبد الحميد والأستاذ صلاح الدين بهاء ..

وقد سلك الإخوان نفس مسلك حسن البنا الأول في التصريحات العلنية فقالوا إن مساعدة الأمريكان في حربهم ضد العراق خيانة عظمى للأمة ، ولكن حين استقر الأمر للأمريكان تكاثفت الإخوان مع الشيعة في الاستسلام وعدم المقاومة .. وعندما اعترض الناس على الموقف المخزي لإخوان العراق ... كما جاء في جريدة

(اتفاق عربية . ٢٠ شعبان ١٤٢٤هـ) على لسان الأستاذ محمد جمعة : « وقد بدأ للعيان المأزق التي تعيشه الجماعة عندما قرر الحزب الإسلامي العراقي (الواجهة السياسية للإخوان) بقيادة الأستاذ محسن عبد الحميد . المشاركة في مجلس الحكم الانتقالي المعين من قبل الاحتلال ... وقال : « فإن مشاركة الإخوان في هذا المجلس سيجعلهم عملياً ضمن المسئولين تاريخياً عن هذا النهب المنظم لمقدرات الشعب العراقي » أهـ .

ولم يفت طريق الإخوان في العراق عند هذا الحد .. فقد وافقوا على دستور وضع في ظل الاحتلال ينتهي إلى تقسيم العراق ، وينمي النزعة العرقية ، ويقطع عروبة العراق ، ويهدر اعتقادها السني ، ويمنع الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية . وقد أعلنت : « هيئة علماء المسلمين » المرجعية السنية للعراقيين رفضها الكامل للدستور وحشت العراقيين على الالتفات إلى المؤامرات التي تهدف إلى النيل من وحدة العراق » (محيط أون لاين ١٤ / ١٠ / ٢٠٠٥) وقال الأستاذ صالح المظلك الناطق الرسمي باسم مجلس الحوار الوطني السني : « إن الدستور سهم في قلب العراق وهو معد لتمزيق وحدة العراق وكل من يؤمن بحرية بلده عليه أن يذهب ويقول لا للدستور الذي يذبح العراق » أهـ .

وقد ترتب على هذا الموقف المخزي استقالة جمع من أعضاء الحزب الإخواني في العراق من الحزب ، وكانت العلة : « أن الأعضاء المستقيلين يرفضون بشكل قاطع موقف الحزب الذي انشق عن الصف الوطني للقوى المناهضة للاحتلال ، ودعا بقية أعضاء الحزب إلى الاستقالة كذلك... » (محيط أون لاين ١٤ / ١٠ / ٢٠٠٥)

لم يقبل الإخوان في مصر توجيه هذا الاتهام لإخوان العراق ، وقالوا أهلي مكة أعلم بشمايها .. ولو اتخذ أي سياسي في العالم العربي والإسلامي هذا الموقف لكان الاتهام الأول له هو العمالة والخيانة .. فقال محمد عاكف : « نحن حينما نتكلم عن قواعد عامة ومبادئ .. نقول إن الأصل هو مقاومة المحتل : « نحن لا نشك في

إخلاص ودين وإخواننا ، وأنهم يتخذون الموقف الذي يروونه مناسباً بناء على فقه ودراسة وأصول ، ولهذا نقول لك " أهل مكة أدري بشمايها " ورب الدار أعلم بما فيه « (الإسلام اليوم . ١٧ / ٢ / ٢٠٠٤ م) .

هؤلاء هم الإخوان ، وتلك هي شعاراتهم الجهادية .. للإشاد والتظاهر على الحكومات الإسلامية . فقد كانوا يتهمون الحكومات المصرية بالخيانة والعمالة بسبب تعاملها مع الإنجليزي في زمن الملك فاروق .. فقتلوا رئيس الوزراء أحمد ماهر باشا ثم من بعده النقراشي باشا ليتبوأوا لأنفسهم الوطنية .

وها هم الآن في العراق يضرّبون أروع الأمثلة في التعامل مع الاستعمار إلى أن تقسم العراق تطمس هويتها العربية والإسلامية .. بغير عتاب ولا ملام .. الهضيبي ينكر اشتراك الإخوان في معارك القتال ..

دائماً ما يتغنى مرشد الإخوان الحالي محمد عاكف في بعض اللقاءات الصحفية بالمواقف البطولية له في القادة قبالة الاستعمار الإنجليزي عندما كان طالباً في الجامعة .. فهل هذا الزعم صحيح ..؟

والجواب على ذلك أقول : إن المرشد الثاني للإخوان الأستاذ الهضيبي أكد نفس مواقف الإخوان السابقة قبالة الاحتلال الإنجليزي .. ونفى بالكلية ما قاله محمد عاكف .. وذلك عندما قامت حكومة الوفد بإلغاء معاهده ١٩٣٦ في شهر أكتوبر سنة ١٩٥١ ، ذهب الأستاذ الهضيبي إلى القصر الملكي مهتاً ، وداعياً الإخوان أن يلتزموا الهدوء ! وفي لقائه مع جريدة المصري بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥١م نفى الأستاذ الهضيبي تماماً أن يكون للإخوان دور في معارك القتال ، التي تمت في بورسعيد والإسماعيلية ، وبين أنه يسير وراء الحكومة فيما تتخذه من قرارات ، ولا يمكن أن يقدم على عمل طائش ..

قال مندوب صحيفة المصري كما نقل محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٩٧) حوار المرشد معه : « وسألناه عن حملة الصحف الإنجليزية على الإخوان وتحميلها إياهم مسؤولية الحوادث التي وقعت بالقتال ... فقال

المُرشد العام : نحن لا نهتم بما تنشره الصحف الإنجليزية لأنه بعيد عن الحق . وقد عمل الإنجليز دائما على محاربة الإخوان .. وعلى أى حال فإن موقف الإخوان من الحالة الحاضرة مبنٍ في القرارات التى صدرت عن المركز العام ، والتي تلخص فى أننا نؤيد الحكومة فيما أصدرته من مراسيم ... ونحن نتنظر الخطوات التى ستأخذها فى سبل تحقيق الغاية المرجوة .. وما زلنا نتنظر .. أما ما وقع فى الإسماعيلية وبوسعيد فلم يصدر أصلا من الإخوان ، وحسبك أنك لا تجد فى المعركة جريحا واحدا أو حتى ذا ثوب مقطوع من الإخوان .. والإخوان المسلمون تمولوا النظام ، ولا يمكن أن يصدر عنهم حركة طيش أو تسرع » أهـ

فرد عليه الأستاذ خالد محمد خالد بمقال فى جريدة " روزا اليوسف " ، بعنوان " أبشر بطول السلامة ياخواجه جورج " .. وكذلك رد عليه محمد الغزالى ، فقال فى كتابه (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى . ص/ ٢٢٢ ، ٢٢٣) : « كان السيد حسن الهضيبي رجلا ملكى النزعة والوجهة .. فلما خان الملك فاروق الشعب المصرى المكافح لإخراج الإنجليز ، وأسقطت الوزارات التى أعلنت عليهم الحرب ، وجاء بالسيد حافظ عفيفى باشا على أنقاض الجهاد المطعون فى ظهره .. ذهب السيد الهضيبي إلى القصر الملكى مهتبا ، وصدّرت الأوامر إلى الإخوان كلهم أن يلتزموا الهدوء ! وغلبنى السخط على هذا العمل الشاذ » أهـ

الشاهد : أن صياحات الإخوان فى أمر الجهاد فى هذا الزمان كانت أكبر من حجمهم .. وعلى الرغم من أعدادهم الهائلة وشعبهم المتأثرة ومظاهرهم الضاخية فإنهم لم يقوموا بقتال جنود الاحتلال الإنجليزي بأكثر من سبعة عشر عملية قتالية ، منذ نشأة دعوتهم عام ١٩٢٨م - ١٩٢٩م حتى خروج الإنجليز عام ١٩٥٤م ، كما بين محمود الصباغ فى كتابه (حقيقة التنظيم الخاص ص ٢٨٩ / ٣١١) .. مع استثناء المارك الذى شكك فيها الهضيبي آنفا - وهى كالتالى : « حادث القطار الإنجليزي ، مهاجمة دورية مصفحة جنوبى القنطرة ، قذف مئات من السيارات الإنجليزية ، نسف مخازن الذخيرة بأبى سلطان ، تدمير أنابيب المياه وقطع أسلاك التليفون فى القنطرة .. نسف قطار إنجليزى فى القنطرة ، ضرب سيارة مصفحة

بمسكر القرين ، نسف خط سكة حديد أمام قرية الحماد ، تبادل إطلاق النار مع القوة التى جاءت لإصلاحه ، إحراق مخازن البنترول فى السويس ، مهاجمة مطار الديفرسوار ، مهاجمة مطار كسفرى ، محاولة اغتيال البريجيدير اكسهايم الإنجليزي ، نسف جسر على ترعة الإسماعيلية ، كمين لبعض الدوريات البريطانية ، ضرب قافلة جنود قرب كوبرى الرسوة ، نسف القطار الحربي بالكاب « أهـ ..

هذا فقط الذى قام به الإخوان وقدموه للشعب المصرى قبالة الإنجليز .. وهذا هو الذى يتغنون به ويتفاخرون ..

٢ - جهاد الإخوان فى حرب فلسطين ٤٨ هـ

لا تزال تلك الطاقة تسجل فى جبين التاريخ فشلا ذريعا فى فهم السياسة والواقع والدين .. فى الجهاد الذى رموا لأنفسهم اختصاصا به متخبطون ... وفى السياسة التى قالوا إنها أصل من أصول دينهم مفلسون ... وفى الواقع الذى قالوا إنهم أعلم الناس به جاهلون .

ماذا فعل الإخوان فى حرب ١٩٤٨م ؟

ستماثة متطوع إخوانى فى حرب فلسطين ..

بلغ عدد القوات العربية التى اشتركت فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ٥٥٠٠ مقاتل .. أما عدد أفراد الإخوان الذين اشتركوا فى تلك الحرب . فحسب مصادر الإخوان : وبعد خطبة للأستاذ / أحمد حسين رئيس حزب " مصر الفتاة " وجه فيها الملام لجماعة الإخوان ، وأكد فيها أن الإخوان لم يفعلوا شيئا لفلسطين ، كما فعل حزبه الذى أخرج أحد رجاله للقتال فى فلسطين .. اجتمع حسن البنا برجال التنظيم الخاص ، وزين لهم أن دوره فى الدعوة قد تم ، ولم يبق إلا الجهاد .. فخرجت أول دفعة من أعضاء التنظيم الإخوانى الخاص مكونة من مائة فرد ، محملة فى أنوبيسين من متطوعى الدقهلية وبعض متطوعى القاهرة (انظر حقيقة التنظيم الخاص ص/ ٢٣٠) وكان خروج تلك الدفعة دون إذن من الحكومة المصرية فى ذلك الوقت . ثم سافر الفوج الثانى .. ولعله الفوج الذى أنشئ بعد موافقة الحكومة ، وكان

يتدرب في الهايكستب ، وقد خرج بقيادة القائد أحمد عبد العزيز ، وكان قوامه ستمائة متطوع ، كان فيهم ما يقرب من مائتي فرد أو يزيد قليلا من الإخوان . ٢٥٠ تقريبا (انظر الإخوان المسلمون في حرب فلسطين لكامل الشريف . مكتبة المنار . الأردن ، ط / ١٩٨٤ ، ص ٤٥ ، ٧٨) .

ثم سافر الفوج الثالث .. متجهين إلى مدينة قفنا بسوريا ، ومنها إلى فلسطين مكونا من ثلاث فصائل ، والفصيلة تتكون من ٢٤ متطوعا (محمود الصباغ . حقيقة التنظيم الخاص . ص / ٣٤٦) فيكون المجموع ٧٢ فردا ...

ثم سافر الفوج الرابع .. وقد رحلت الكتيبة الأولى منه مكونة من أربع سرايا ، كل سرية من فصيلتين ، وكل فصيلة من ٢٤ متطوعا (المصدر السابق . ص / ٣٤٨)

فيصير المجموع ١٩٢ متطوعا .. ولم يتكلم الصباغ عن غير ذلك .. فيصير المجموع الكلي ٦١٤ فردا تقريبا .

وقد بلغ عدد قتلى الإخوان في حرب فلسطين ٤٣ فردا والجرحى ٦ أفراد .. وهؤلاء جميعا الستمائة فرد الذين خرجوا إلى فلسطين بالنسبة لعدددهم البالغ مليون إخواني في مصر ونصف مليون في الشرق ، وبالنسبة لقناعتهم بعدم ولاية الدولة عليهم ، وعدم اعترافهم بإسلاميتها .. يعتبرون قلة قليلة جدا .. ولو زعم الإخوان أن الهدنة بين الجانبين العربي والإسرائيلي حالت دون إرسال أفراد آخرين من الإخوان كما وعد حسن البنا ، فالرد على ذلك أن الإخوان لم يعترفوا بالهدنة .. ولو قالوا كانت الموانع ستحول دون خروجهم ، فيدفع ذلك : تسلل المجموعة الأولى من الإخوان إلى سيناء وذهابها إلى فلسطين خفية .. بغير إذن الحكومة ، وبغير تجهيز ولا إعداد ، ولا راية إلا راية الحماس والأمانى ، وكانت بعض الجيوش العربية تحت قيادة جلوب باشا القائد الإنجليزي ، وقد قيل إن بعض هذه الجيوش دخلت الحرب بأسلحة فاسدة .. وقد كان للإشاعات التي أطلقها اليهود في تلك الحرب دور كبير في تشييت جهود الجيوش العربية وتقريبها .. يقول القرضاوى : « للأسف دخلت الجيوش العربية وبعضها كان يقوده إنجليزى وبعضها يحارب بأسلحة فاسدة فكان ما كان ... »

(المصور المصرية . عدد ٤٠ ١٣ ص / ٦٩) ..

وقد أوقفت الدول العربية الحرب لأسباب متنوعة ، وأعلنت الهدنة ، وقبلتها مصر والدول العربية .. وقد أراد النقراش باشا بقبول الهدنة تخليص بعض كتائب الجيش المصري من حصار اليهود في سيناء ، غير أن الإخوان لم يعترفوا بها .. قال محمود عساف : « وأعلنت الهدنة الرسمية ، وقبلها العرب جميعا ، إلا الإخوان المسلمون الذين لم يعترفوا بها ، لذلك قامت حكومة النقراش باعتقال المجاهدين داخل معسكرات في فلسطين يشرف عليها الجيش المصرى » (مع الإمام الشهيد . ص / ١٦٣)

وهذا الاعتقال يؤكد بالضرورة أن الإخوان كانوا قلة في حرب فلسطين - كما تبين من حصر الصباغ - ولو كانوا بعشرات الآلاف ، كما يهرف بعضهم لما تمكن الجيش المصري من القبض عليهم ، بل ولا استطاعوا بمفردهم قتال اليهود إذا شاءوا . وبسبب هذا التخبط الإخواني في الإعداد والخروج على ولى الأمر ، وعدم الاعتماد بقراراته لم يكن لمل هذا الجيش أن ينتصر ، أو يحقق الهدف الذى خرج من أجله .. وقد انتهى عباس السيسى أن النقراش باشا والبرلمان يتحملان مسئولية الهزيمة في فلسطين ، فقال : « ولقد كثرت المقالة عمن يتحمل المسؤولية في دخول حرب فلسطين دون استعداد سابق ، وعندنا أن المسئول الأول عن دخولها هو وزارة النقراش والبرلمان القائم حينئذ » (فى قافلة الإخوان . ص / ١٦٩) .. ولو علم السيسى ما أكدّه توفيق اللواعى أن الإخوان دخلوا الحرب في فلسطين رغم أنف الأنظمة لتراجع عن اتهام وزارة النقراش والبرلمان ، فقد قال : « إن للمجاهدين الإسلاميين دخلوا الحرب في فلسطين رغم أنف الأنظمة وعلى خلاف رأيهم » (كبرى الحركات . ص / ٢٣٣) .

إن المثير للعجب أن تكون مصر محتلّة من الإنجليز ، بل الدول الإسلامية كانت كذلك ، كما قال محمود عبد الحليم : « العالم الإسلامى بجميع أجزائه ، هل ترون فيه بلدا واحدا حرا طليقا أم أنه جميعا مستعبد رازح تحت أثقال

ومع ذلك لم يكلف الإخوان أنفسهم بشن تلك المعركة أولاً ضد جنود الاحتلال الإنجليزي في مصر .. خاصة إذا كانت لهم القوة المؤثرة ، كما يدعون ، وأن الشعب المصري عن بكرة أبيه كان معهم ، وأن شعبهم كانت منتشرة في جميع أرجاء الدنيا .. فإذا فرغوا منها انطلقوا إلى فلسطين .. غير أنهم سلكوا سبيل التؤدة والتراخي مع الإنجليز في مصر ، واعتبروا المواجهة نوعاً من الطيش والسفه - بسبب قوة مدافع الرشاشات الإنجليزية في القتال ، كما تبين من كلام الهضيبي السابق- في مقابل التسرع والعجلة في مواجهة مائة وخمسين ألف يهودي مجهزين للقتال في فلسطين ، بغير إعداد ولا عتاد ..

كان من الضروري تنزيل هذا المفهوم عند مواجهة اليهود في فلسطين ، حتى يتسنى إعداد جيش قوى منظم ، تحت إمارة واحدة ورؤية واحدة ، كما هو المعتاد في حروب المسلمين مع أعدائهم .. ولكن تهور الإخوان وحماستهم الفاشل وتبهيجهم البلاد والعباد دعاهم إلى التخلي عن قواعد أهل السنة في الإعداد والمواجهة .. ومن أجل ذلك فشلوا مع من فشل في فلسطين ..

حسن البنا واليهود ..

أرسل حسن البنا خطاباً إلى حاخام اليهود المصريين يستنجد به ، لتحرير فلسطين من اليهود .. ! قال فيه : « لا نرى بداً من أن نصارح سيادتكم وأبناء الطائفة الإسرائيلية من مواطنينا الأعزاء بأن خير حماية وأفضل وقاية أن تقدموا سيادتكم ومعكم وجهاء الطائفة فتعلنوا على رؤوس الأشهاد مشاركتكم لمواطنيكم من أبناء الأمة المصرية مادياً وأدبياً في كفاحهم القومي الذي اتخذوه - مسلمين ومسيحيين - لإنقاذ فلسطين. الخ. » (حسن البنا) . (في قافلة الإخوان . ص / ١٤٧) هذا هو خطابه الذي سيد فيه حاخام اليهود ، وجعله ومن معه مواطنين أعزاء لهم التقدير والاحترام .. وهو يعلم أن الله ضرب عليهم الذل والمسكنة إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاوُؤًا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٦١] .. ثم هو يستجديهم لقتال إخوانهم في فلسطين . وإن جاز لهم قتال بعضهم بعضاً أو مشاركتهم غيرهم في قتال عدو مشترك ، ولكن هذا بعيد إذا كان القتال على حساب أرض اليمام ..

وفي عمق تلك الأزمة ألقى حسن البنا بياناً أمام لجنة من الأمريكان اليهود - جاءت إلى مصر لتحقيق مآرب اليهود ، ولنسف الكتاب البريطاني الأبيض ، الذي وضع حداً لهجرة اليهود إلى فلسطين في ذلك الوقت - زعم فيه أن عداوة المسلمين لليهود ليست عداوة دينية ، ثم حصر خطاب القرآن الكريم فيما يخص اليهود في تقديم من الوجهة الاقتصادية والقانونية ، كأنهم خالصون في التوحيد ، لم يسبوا الله ولم يكذبوا رسله . ثم اتخذ المجلس للضحك بخلاف ما ينبغي فيه من الجد والفصل .. ثم رجب بأن يحشر مع اليهود يوم القيامة في أرض المحشر (أعادنا الله وإياكم من ذلك) ، فقال : « والناحية التي سأحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية ؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي ، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار ؛ فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية ! لأن القرآن الكريم حض

على مصافاتهم ومصادقتهم .. وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية ، فقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿يُظْلَمُ مِنَ الدِّينِ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَبَدَّضُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء : ١٦٠-١٦١] . ثم قال : «ولى كلمة أخيرة من الوجهة الدينية فإن اليهود يقولون عن أرض فلسطين إنها أرض الميعاد .. ونحن لا مانع لدينا من أن يكونوا في يوم القيامة معنا» (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤٥٥-٤٥٦) .

ولا شك أن ما انتهى إليه حسن البنا تدليس فاضح ومخالفة عظيمة للقرآن الكريم ، الذى بين أنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين ، لكونهم سبوا الله ، وكذبوا رسله ، وطعنوا في دينه ، وقتلوا أنبياءه . قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة : ٨٢] . وهذه عداوة ثابتة ، سواء كانوا محاربين أو معاهدين أو مأمنين مسلمين لهم حقوق وذمة .. فهذا شيء والعداوة شيء آخر .. وقد بين الله تعالى عداوة المسلمين لليهود قبل أن يحتلوا أرض فلسطين ، وما ذلك إلا لأن العداوة متعلقة بالدين ، وأن الخصومة الرئيسة في الله تعالى قبل أن تكون في الأرض ، تلك هى الخصومة الحقيقية ، قال تعالى : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج : ١٩] . أما حيث رغب حسن البنا أن يحشر مع اليهود .. أعاذنا الله من ذلك .. فالمرء يحشر مع من أحب .. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم فقال رسول الله ﷺ : «المرء مع من أحب» (متفق عليه . البخارى . باب علامة حب الله عز وجل ٢٠ / ٣٥٢) . يعنى يكون معهم فى أرض لمحشر بعد أنيحت ، وإن اختلفت منزلة كل واحد عن الآخر ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .

صورة رائعة جليلة من صور الولاء والبراء فى الله تعالى ...

خطاب الملك عبد العزيز آل سعود

إلى الرئيس الأمريكى تورمان ...

لو اطلع العادل المتصف على خطاب الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) ردا على رسالة الرئيس الأمريكى تورمان لعلم الفارق الشديد بين دعوة حسن البنا الانهازمية أمام الواقع ، كما وصفها سيد قطب وبين دعوة التوحيد التى أقامها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) بالتعاون مع الإمام محمد بن سعود (رحمه الله) فقد طلب الرئيس الأمريكى تورمان فى ١٠ فبراير سنة ١٩٤٨ م من الملك عبد العزيز استخدام سلطته من خلال الجامعة العربية لرفع العناء عن اليهود فى فلسطين ، وذلك حفاظا على العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، فبين له الملك عبد العزيز الثوابت الدينية والخصومة القرآنية بين المسلمين وبين اليهود .. قائلا : « إلى حضرة صاحب الفخامة الرئيس تورمان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية : تلقيت رسالتكم المؤرخة ١٠ فبراير الجارى ، وأحطت بها علما ، وإني مع شكركي لفخامتكم على ما وجهتم إلي فيها من عبارات المودة والمجاملة ، لا يسعني إلا أن أصارحكم والصراحة من آدابنا المرعية بأنه ما كانت تتلى علي الرسالة

حتى عجبت أشد العجب من أن يبلغ بكم الحرص على إحقاق باطل اليهود إلى حد أن تسيئوا الظن بملك عربي مثلي ، لا تجهلون إخلاصه للعروة والإسلام ، فتطلبوا منه أن يناصر باطل الصهيونيين على حق قومه ...

إلى أن قال : فليت شعري ماذا كان يكون وقع هذا الطلب في نفوسكم ..

يا فخامة الرئيس إنني ما بلغت المكانة المرموقة التي تذكرونها لي عند العرب إلا لما يعرفون من تمسكي الشديد بحقوق العروة والإسلام ، فكيف تطلبون مني ما لا يمكن أن يصدر عن أي عربي مسئول؟

وليست الحرب القائمة في فلسطين حرباً أهلية كما ذكرت، ولكنها حرب بين العرب أصحابها الشرعيين وغزاة الصهيونيين الطائرين عليها من الآفاق على كره من أهلها، وبمساعدة الدول التي تدعي حب السلام العالمي، وهي تلاعب به ..

وما قرار التقسيم الذي كان لحكومتهكم الوزير الأكبر في دفع الدول الى تأييده إلا قرار جائر رفضه دول العرب وشعوبهم من البداية ورفضه معظم الدول التي آثرت أن تؤيد الحق، فليس العرب مسئولين عن النتائج الوخيمة التي قد أنذروا بها الهيئة من قبل .

ثم قال : أما ما ذكرت من المصالح الاقتصادية التي تربط بلدينا فاعلموا أنها أهون في نظرنا من أن نبيع بها شبرا من أرض فلسطين العربية لمجرمي اليهود .. ويشهد الله أنني قادر على أن اعتبر آبار البترول كأن لم تكن ، فهي نعمة اذخرها الله للعرب حتى أظهرها لهم في الزمن الأخير ، فلا والله تكون نقمة عليهم أبدا .. ولقد صرحت للعالم مرارا أنني مستعد أن أسير أنا وأولادي جميعا لنقاتل في سبيل فلسطين حتى تمنع قيام دولة اليهود فيها أو غوث .

كيف يعقل بعد هذا أن يكون المكسب المادي من البترول أزعز من نفسي ونفوس أولادي .. إن القرآن الذي تؤمن به وعليه نحيا وعليه نموت قد لعن اليهود كما لعنتهم التوراة والإنجيل، وهو يوجب علينا أن نمنع اعتداءهم على هذه الأرض المقدسة بأرواحنا وأموالنا ، لا يقبل منا في ذلك صرفا ولا عدلا ، وإذا كانت العقيدة الدينية عند المسيحيين الأمريكيين وغيرهم قد بلغت من الرقة والضعف بحيث تسوغ لهم تمكين اليهود من تدنيس الأرض المقدسة فإن قلوبنا ما تزال عامرة بالإيمان الذي يحول بيننا وبين ذلك ... لقد كان في مآلاتكم السافرة لأعدائنا الصهيونيين وموقف حكومتكم العدائي نحو العرب ما يكفي ليحملنا على قطع انصالات نؤدية بين بلدينا وفسخ عقود الشركات الأمريكية وإلغاء الامتيازات التي خولناها ، ولولا أننا أثرتنا ألا نعلم باتخاذ مثل هذا الإجراء لعل حكومة الولايات المتحدة تراجع نفسها وتصصح موقفها من قضية فلسطين ، فتعدل عن تأييد الباطل الواضح إلى تأييد الحق الواضح

دون ضعف منا أو تهديد بقطع مصالحها الاقتصادية في بلادنا، لأننا معشر العرب نؤثر أن ينتصر الحق بالحق لا كما يفعل أعداؤنا الصهيونيين الذين يحملون الحكومات والهيئات العالمية على تأييد باطلهم بالرشوة وبالضعف الاقتصادي وبالحرمان من أصواتهم في الانتخابات وهلم جرا ..

بيد أننا متى أيقنا أن كرامة الحق ستهدر فلن نتردد في صيانتها بالوسيلة التي لا نؤثر غيرها عليها، ولا سيما إذا قررت ذلك جامعة الدول العربية التي تنقيد بقراراتها في كل ما يحفظ كيان العرب ويصون حقوقهم .. يسرني أن أطمئنتكم بأن الضيوف الأمريكيين النازلين في بلادنا لن يمسهم أي سوء ما داموا في أرضنا ، وقصارى ما يصيبهم إذا جدَّ الجد أن نقصر أمد غربتهم إلى بلادهم فترحلهم إليها سالمين موفوري الكرامة مصوني الحقوق . وفي الختام نذكركم با صاحب الفخامة بأن البضاعة التي قامت عليها صلاتنا من البضائع التي بكثرت طلبها ويقل عارضوها في أسواق العالم . وتفضلوا فخاصتكم بقبول تحياتي وتمنياتي الطيبة .

عبدالمعز آل سعود (ملك المملكة العربية السعودية)

القصر الملكي الرياض ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ

جريدة الجزيرة السعودية . الجمعة ١٢ ربيع الثاني ١٤٢١هـ . عدد ١٠١٥١

حماس وفلسطين ..

نعيش حركة حماس الإخوانية معضلة كبرى في فلسطين لا تدري ماذا تفعل ولا كيف تفعل وماذا تريد .. تقاوم المحتل أم لا تقاوم ؟.. تختار المقاومة والسياسة في آن واحد.. أم تختار أحدهما وتترك الآخر ؟. عندما دخلوا عالم السياسة قالوا: " المقاومة مع السلطة خيار استراتيجي " .. وبذلك صرح خالد مشعل في نقابة الصحفيين بالقاهرة في ٨ / ٢ / ٢٠٠٦ ، قائلا : « حماس لم تبحر مربع المقاومة فالمقاومة خياره الاستراتيجي .. حماس لم تتحول ولم تتبدل ، بل إضافة جديد إلى برنامجها . وسبق أن عجزت إسرائيل عن كسر إرادة حماس في ميدان المقاومة ، وكذلك ستعجز عن كسر إرادة حماس في ميدان السياسة والسلطة ، حماس ستجمع بين السياسة والسلطة والمقاومة » أهـ

فهل تستطيع حركة حماس حقاً أن تجمع بين المقاومة و السياسة ..؟

وأى مقاومة تريد ..؟ وفى أى سياسة نجحت ..؟

فقد تركت حركة حماس ميدان المقاومة الذى كان منحصراً في إطلاق بعض الصواريخ ، التى لا تسمن ولا تغنى من جوع على بعض المستوطنات اليهودية .. وإطلاق النار في الهواء عند تشييع الجنائزات .. ودفع بعض الأطفال إلى القيام بعمليات انتحارية معروفة نتائجها في ظل الاحتياطات الإسرائيلية ، ومعروف ما تجنيه من الدمار عليهم في الضفة والقطاع .. وتبنت نهجاً سياسياً عن طريق الانتخابات البرلمانية ، بغية الوصول إلى سدة الحكم وامتلاك أطراف المعادلة السياسية .. وعندما وصلت حركة حماس إلى بغيتها من السياسة رفضت في أول الأمر مبدأ التعامل مع إسرائيل . كما رفضت جميع الاتفاقات الدولية التى وقعتها منظمة التحرير من قبل مع اليهود .. ورفضت مبادرة السلام العربية .. فلا مفاوضات ولا علاقات دولية .

كانهم سيخترعون شيئاً جديداً ليس في الحسيان في التعامل مع إسرائيل ...

وانتهى الأمر بحماس إلى الاستئثار بالسلطة والاحتكالك بالثأنتج المؤلة التى كان أولها دخول الشعب الفلسطيني الذى يعيش غالب أفراده على المؤونات الدولية والعربية في حصار مبرر ، ورفضت غالب دول العالم التعامل مع حماس .. وبدلاً من أن تكون المعركة مع إسرائيل انتقلت إلى معركة داخلية بين فتح وحماس .. ومع العهود المؤتقة والقسم على المصحف والصلاة في الكعبة والاتفاق على حرمة الدماء الفلسطينية وقمت حماس في الخطأ المربق ، وتعجلت بحسابات قاصرة ، وقامت لتقتص نفسها من طائفة من الطوائف العاملة في المجال الأمنى التابعة لرئيس السلطة الفلسطينية .. وذلك في معركة شرسة ، قتلوا فيها ما يقرب من مائة وثلاثين نفساً ، في أيام معدودة ، بغير قانون ولا محاكمة ، اتهمهم بالعمالة والخيانة والتعاون مع المشروع الصهيونى أمريكى ، والعمل على إيداء الحركة وكوادرها .. ولأول مرة في تاريخ الصراع تفصل غزة عن الضفة في الحكم والإدارة .. وهذا هو نفس ما كان يحذر منه العلامة مقبل بن هادى الوادعى : « أما حركة (حماس) فلن تكون نصراً للإسلام ، فيها الشيعي والإخواني الحزبي ، أما جماعة حماس فهي جماعة حزبية ، لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر ، وتترك على أهل السنة .. ولو حصل لهم نصر لفعلوا كما فعل في أفغانستان بوجه بعضهم إلى بعض المدفع والرشاش ، لأنهم ليسوا على قلب واحد » . انظر تحفة العجيب ..

وقد اعترف خالد مشعل في رسالته للمرشد العام محمد عاكف أن ما ارتكبته حماس من مجازر في فلسطين أمر مؤلم حقاً ، فقال : « إن ما قامت به حماس في قطاع غزة كان مؤلماً لحماس ، كما كان مؤلماً للشعب الفلسطيني كله إلا أنه كان نتيجة حتمية لما قامت به بعض الأطراف من ممارسات جارت على القانون والشرعية في غزة بعد فوز حماس بالانتخابات » (إخوان أون لاين . ١ / ٧ / ٢٠٠٧)

وعلى خلاف ما كان من خالد مشعل من إظهار التوجع على ما حدث فقطاع عريض من حماس أظهر الابتهاج والسرور ، وقال " إن فتح غزة فتحت مكة " وأن هؤلاء عملاء وخونة . وهذا هو الذى حدث من قبل في مقتل القرشى باشا.. طائفة

تجعل النقراشي كلبا من الكلاب .. وطائفة أخرى تجعله وطنيا مخلصا .. والسؤال الذى يطرح نفسه بالضرورة .. إذا كانت تلك المجازر التى وقعت فى فلسطين جرحا مؤلما حقا ومخالفا للشرع والدين ، فلماذا أصدر خالد مشعل الأمر بوقوعها .. ولماذا لم يتبرا منها على الملأ .. دون أن يخص ذلك برسالة للمرشد العام ؟! لقد نسي رئيس المكتب السياسي لحركة حماس - القابع بين سوريا وإيران - أن يقدر وزن الخسائر التى ستعرض لها حركته بعيد هذا الانقلاب .. فقد أخرج هذا الفعل حركة حماس من دائرة العمل السياسي ، وأدخلهم سجننا كبيرا ، لا يستطيعون الخروج منه ، وجعل فلسطين قطعتين ، وشوهت صورة الحركة الإخوانية .. وظهرت فى صف مصاصى الدماء ، الذين يتعاملون بلغة الاستئصال ، ولعبون بالديمقراطية من أجل الوصول إلى الحكم !! يقولون قبل السلطة " تعاون فيما اتفقتنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " .. ويقولون بعد السلطة " يفرم بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ! "ولو أنهم صبروا واحتسبوا عند الله ما يلقاه بعضهم من الأذى لكان خيرا لهم من هذا التسرع وتلك الهمجية .. ولو أنهم قدموا هؤلاء المخالفين للمحاكمة لكان أعظم وأجدر من قتلهم فى البيوت والشوارع ، بغير استئابة ولا ضوابط ولا حقوق .. لقد أوصلتهم تلك المعركة إلى طريق مسدود من الصعب أن نتلمذ فيه الجراح ..

وعندما وصلوا إلى هذا الحد ...

فلنتظر ماذا فعل أصحاب " المقاومة " الذين دأبوا على اتهام كل من يتعامل مع العدو الإسرائيلي سياسيا بالخيانة والعمالة ؟

الجواب : بدأوا يطرحون التنازلات تلو التنازلات .. فقد وافقوا على ما أبرمته منظمة التحرير من اتفاقات دولية سابقة ومن جعلتها اتفاقية " أوسلو " التى كانوا يتهمون مرقعها من قبل بالخيانة ، بحجة أنها لم تعد القضية بشيء .. ووافقوا على قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، كما وافقوا على مبادرة السلام العربية .. وقبلوا أن يتركوا المقاومة ، وقد كانت خيارا استراتيجيا ، وعرضوا هدنة طويلة مع اليهود ، لأجل أن ينعم العالم الإسلامى فى زمن حماس والإخوان فقط بنوع من الاستقرار والهدوء .. كما قبلوا أن يتركوا المنظومة السياسية لمنظمة التحرير لتقوم بها

كاملة ، اكتفاء بالأمور المدنية المتعلقة بالاقتصاد والتجارة والصحة والجمارك والضرائب .. الخ . وفهموا مؤخرا أن إسرائيل لن تقبل التعاون معهم فى الأجندة السياسية .. وقد أكد الأستاذ إسماعيل هنية " رئيس الوزراء الفلسطينى المقال " فى حديث لصحيفة " لوفياغوا الفرنسية " : " عن تأييده إقامة دولة فلسطينية فى غزة والضفة الغربية عاصمتها القدس ، موضحا أن منظمة التحرير الفلسطينية ستظل مكلفة بالمفاوضات بهذا الشأن .. وقال : إننا نتعهد باحترام كافة الاتفاقيات الماضية الواقعة من قبل السلطة الفلسطينية " ، مريبا عن الأمل فى التوصل " إلى هدنة متبادلة وشاملة ومتزامنة مع إسرائيل " (العربية نت . ١٥ يونيو ٢٠٠٧م) وقال محمود الزهار : " إن حماس قادرة على وقف الهجمات الصاروخية المتكررة من قطاع غزة " نافذة مصر نت . ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٧م) .

وكان آخر تلك العروض عرض خالد مشعل على إسرائيل هدنة لمدة خمسين سنة بالتمنا والكمال .. وعاد منطق الهضيبي السابق إلى الوجود مرة أخرى ، الذى رد عليه الأستاذ خالد محمد خالد بقوله : " أبشر بطول سلامة يا خوجة جورج " .

هذا هو حال الإخوان إذا كان الأمر يتعلق ببقائهم فى الحكم !

ينتفخون خارج السلطة ، ويقولون : " لا ... الصلح كفر وخيانة عظمى ... وفى عهد السلطة . يقولون : " نعم .. " هذا هو الإسلام وتلك هى سنة الرسول ﷺ ..

فقل لى بالله ما الذى أغرق هؤلاء فى تلك المتناقضات ؟!

لم يدركوا حسابات المصالح والمفاسد ، وضيعوا جهدهم ، وشغلوا العالم الإسلامى بفرقعات سياسية ، وعمليات قتالية خيالية ، لا فائدة فيها ولا جدوى منها .. وهما هم الآن تركوا مفهوم الأرض مقابل السلام ، الذى عرضته الدول العربية وتبنته المملكة العربية السعودية فى مبادرة السلام العربية . وتركوا المقاومة ، وقالوا الهندنة مقابل الاستقرار والطعام والماء والشراب والكهرباء .. ويعد أن كانت مطالب فلسطين مطالب دولة صارت مطالب طائفة تريد لنفسها البقاء من أجل الطعام

وكان آخر ما وصلت إليه حركة حماس في آخر ٢٠٠٨م أن رفضت تمديد الهدنة مع اليهود ، وخرجت عن نطاق المعادلة السياسية ، فشنت إسرائيل حربا على القطاع حصده ما يقرب من سبعة آلاف قتيل وجريح (نسأل الله أن يجعلهم في عداد الشهداء) وقد حدثنا إخوة فضلاء أن جنود حركة حماس كانوا يضربون الصواريخ تجاه المستوطنين الإسرائيليين في الأرض المحتلة من جوار البيوت في غزة ، ثم يفرون ويختبئون في الخنادق .. وكانت الأقمار الصناعية ترصد المواضع التي تنطلق منها الصواريخ وتقوم بضربها مما أدى إلى تدمير ما يقرب من خمسة وعشرين ألف بيت في القطاع .. وبعدها أن كانت حماس تطلب المقاومة صارت تستجدي وقف العدوان .. وبعدها أن وقف العدوان ادعت أنها انتصرت في الحرب واحتفلت بذلك .. غير أن المنتصر الحقيقي هو الشعب الفلسطيني الذي تعرض لتلك الحرب رغما عنه ، وهو صابر محتسب .

أما حماس فقد خضعت رغما عنها لاتفاقية هدنة مع العدو الإسرائيلي لمدة عام ونصف . كما خضع حزب نصر اللبناني من قبل ، وجاءت قوات اليونيفيل الدولية، لتريح إسرائيل عمقا بقدر أربعين كيلو متر داخل الحدود اللبنانية ..

عصام العريان وإسرائيل ... بين الاعتراف والمناورة

يعد د/ عصام العريان من جملة المتحدثين الرسميين الذين أجاز لهم المرشد التحدث باسم الجماعة في الصحف والمندوبات .. وقد صرح المذكور في لقائه مع جريدة الحياة اللندنية في ١٣ / ١٠ / ٢٠٠٧م أن الإخوان في حال وصولهم إلى الحكم : « سيعترفون بإسرائيل ويحترمون المعاهدات ، لكن اتفاقية كاسب ديفيد ستطرأ عليها تغيرات وفقا لما يناسبنا ، ولا يعني هذا أننا نعلن الحرب ، ولكن ستقوم بمراجعة الاتفاقات والمعاهدات بما يتواءم مع المصلحة المصرية » أهـ

وهذا هو نفس ما قاله محمد عاكف لوكالة اسيسنتدوبرس عقب انتخابات ٢٠٠٥م إلا أنه أنكر الاعتراف بإسرائيل : « الإخوان لن يسعوا ! لتغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل . وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها » أهـ.

فهل حدث تغير في موقف الإخوان بالنسبة لإسرائيل .. أم ماذا في الأمر .. ؟ هل الطريق لحكم مصر يبدأ بإرضاء إسرائيل . ؟

والجواب : من المعلوم أن الإخوان إذا أصدروا نصريحا في الصباح فإنهم يؤولونه في المساء ، ويعتذرون عنه في منتصف الليل ، ويكذبونه في الفجر . يلحظ ذلك المهتمون بالشأن الإخواني ، قال الأستاذ ثروت الخرباوى :

« الإخوان منذ سنوات يصدرن انتصريح ثم يصدرن منه ما نفستو التكتذيب أو التبرير » أهـ

وعلى أثر تصريح العريان بالاعتراف بإسرائيل تعالت صيحات الاستنكار على هذا الانحدار الإخواني . ماذا في جعبة الإخوان . هل سيعتذرون أم سينكرون ،

أم سيكون لهم منظور آخر...؟ خرج عصام العريان وكذب الخبير الذي أراد أن تطلع عليه الدول الغربية فقط ، فإذا هو يتكشف في الدول العربية .. فقال في إسلام أون لاين : « ترى الجماعة أن وجود إسرائيل باطل ، وأن ما بُني على باطل فهو باطل ، ولا يمكن الاعتراف بها » أهـ

هذا هو موقف الجماعة .. فما موقف الحزب الإخواني ...؟

يق العريان في تصريح له مع إسلام أون لاين بين تعامل الحزب الإخواني مع إسرائيل وبين تعامل الجماعة معها . فيبين أن الحزب الإخواني إذا وصل إلى الحكم فإنه سيتعامل مع إسرائيل بواقعية ، أما الجماعة فلها موقف آخر ..

ولن نجتهد كثيرا في تفسير مفهوم الواقعية مع إسرائيل في كلام العريان . فقد بين الأستاذ عاكف بأنهم : « لن يحاربوها ، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها». وله تصريح ضد ذلك إذا لزم الأمر ، قال فيه : « الإخوان مع المقاومة في كل مكان ، ومع عودة كل الحقوق السلبية لكل الأمة العربية والإسلامية» أهـ وأكد العريان ما قاله المرشد ، وذلك في تصريح لإسلام أون لاين ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٧م قال فيه : « حزب الإخوان سيتعامل مع إسرائيل عبر واقعية سياسية ، تتسق مع الواقع القائم ، الذي يرى أن إسرائيل دولة قائمة ، ولها وجود على أرض الواقع وبالتالي سيتعامل مع الواقع السياسي الذي تفرضه هذه الظروف .الخـ

وأكد قصده من الواقعية بأنها تمثل في فتح باب التعامل مع إسرائيل دون الاعتراف بها كدولة ، بقوله : « الحزب السياسي دائما يكون وضعه مختلفا ، ويتعامل مع المعطيات القائمة بواقعية ، بل إنه عادة ما يختلف موقف الحزب نفسه وهو في المعارضة أو خارج السلطة من موقفه وهو في السلطة ، باعتبار أن السياسة هي فن التعامل مع الواقع ؛ لذلك فلا يوجد هناك تباين ، كما أننا نجد اليوم حكومات عربية لا تعترف بإسرائيل ، ومع ذلك تسمح لها بفتح مكاتب تجارية على أراضيها ، وترتبط معها بعلاقات ومصالح تجارية » أهـ ... ويضاف إلى تلك الواقعية احترام الحزب الإخواني لكافة الاتفاقات الموقعة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩م ، فقال : « لن نغير

الصيغة الحالية في الصورة النهائية لبرنامج حزب الإخوان فيما يتعلق بمعاهدات كامب ديفيد ، حيث يحترم الحزب في حال وصوله إلى الحكم في أي وقت الاتفاقيات الدولية بما فيها كامب ديفيد ، مثل كافة الاتفاقيات الدولية الأخرى التي وقعتها مصر مع الأطراف الدولية ؛ لأنه ليس من المعقول أن يتراجع كل حزب يصل إلى السلطة عن الاتفاقيات التي وقعتها الحكومات السابقة » (إسلام أون لاين . ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٧م)

هذا هو مقالته العريان ..

ولا شك أن سقوطا ذريعا في المفهوم الفكري لتلك الجماعة وقصورا في فهم الواقع سيتضح لكل بصير إن دل فإنما يدل على أن الإخوان مغيبون عن الواقع ، الذي طالما زعموا تميزهم فيه عن بقية الطوائف الإسلامية .. فالاستاذ العريان يقول إن الحزب الإخواني سيتعامل بواقعية مع إسرائيل .. وأن السياسة تقتضي ذلك .. وهذا معناه أن المفهوم الفكري لجماعة الإخوان لم يحسب حسابا لتلك الواقعية عندما عرض على شباب الجماعة والمجتمع باختلاف طوائفه ، وذلك منذ نشأة الجماعة إلى الآن ، وهذا بالضرورة خطأ في التصور الإخواني ..

كذلك فإن الإخوان لم يحسبوا حسابا لتلك الواقعية عند تخوينهم واعتراضهم على الدول العربية والإسلامية التي أبرمت اتفاقية سلام مع إسرائيل .. مع كونهم يعلمون أن تلك الدول لها من المبررات المعتبرة التي تدفعها إلى التنازل عن بعض الحقوق المشروعة ولو لفترة من الزمن .. من باب السياسة ..

هذا هو ما تمخضت عنه جعبة الحزب الإخواني ، الذي يتهم الحكومات العربية والإسلامية بالخيانة في التعامل مع إسرائيل .. وهو مع ذلك سيسلك نفس النهج الذي تتعامل به مع إسرائيل ، عند الوصول إلى الحكم .. وعلى حد قوله بواقعية .. على غرار واقعية قطر التي فتحت مكاتب تجارية لإسرائيل على أراضيها بالرغم من عدم اعترافها بها .. فهذا مثل يتحذى به عند عصام العريان .. وعلى إسرائيل ألا تخف من صعود الإخوان إلى الحكم .. ففسدوا الإخوان واسعة قبل اليهود إلى أقصى درجة ،

والقلوب مفتوحة والمودة موجودة.. ودع القطيعة التي أنفق من أجلها الإخوان ملايين الدولارات ، واهجر الفتاوى التي جرم بها القرضاوي من يشتري البضائع الأمريكية والإسرائيلية ، فالمعاهدات التي وقعتها الرئيس السادات مع اليهود واتهم بسببها من قبل الإخوان بالخيانة العظمى ستحترم وسيحافظ عليها .. وسيتم فتح أبواب التعامل التجاري .. وليس من شأن كل حزب إذا وصل إلى الحكم أن ينقض الاتفاقيات التي وقعتها الحكومات السابقة .. فهذا نوع من الجنون ..

كان من الواجب على العريان أن ينصح حكومة حماس بذلك .. خاصة عند إنكارها الاتفاقيات الموقعة من قبل - أوسلو - بين منظمة فتح وبين اليهود ! وقالوا نحن غير ملتزمين بذلك ، وقعدوا على ذلك القواعد. ومن المعلوم أنهم دخلوا الانتخابات على أساسها .. !

الاعتراف بإسرائيل..

أما الفقرة الأخيرة التي أكد فيها العريان عدم اعتراف الجماعة بإسرائيل .. فأعتقد أن موقف الإخوان في ذلك ليس موقفا استراتيجيا عقائديا ، كما هو متوقع ، وكما هو مشاع بين أوساط البذخ ، وإنما هو موقف تكتيكي متقارب تماما مع موقف الأستاذ عبد الحميد الغزالي ، الذي قال فيه : « مسألة الاعتراف سابقة لأوانها بالمرءة » .. فقد قال العريان ردا على سؤال : حول ما إذا كانت الجماعة مستعدة للاعتراف بإسرائيل في حال إذا تم تسوية نهائية لإسرائيلية فلسطينية .. « في حال إقامة دولة فلسطينية وإعادة تهلل للقدس وعودة اللاجئين وتفكيك المستوطنات وهذه مطالب القوى الفلسطينية بما فيها حركتنا حماس والجهاد، فسبكون لكل حادث حديث ؛ لأن ذلك غير ممكن أن يحدث على أرض الواقع في الوقت الراهن ، وإلى أن يتم ذلك لن يكون هناك اعتراف من الجماعة بوجوء إسرائيل » (إسلام أون لاين ١٦ / ١٢ / ٢٠٠٧م) ..

وهذا التصريح بالضرورة يؤكد مصداقية الجريدة التي نقلت عن عصام العريان خبر اعترافه بإسرائيل حال وصول الإخوان إلى الحكم - معاذ الله - كما

أكد التصريح أن العريان يتلاعب بعقول الناس ويستخف بهم ، وذلك لأنه يؤمن في الحقيقة بفكرة الاعتراف. والمؤمن بذلك لا يجد غضاضة في مخاطبة الغرب بما يحب أن يسمعه ، لينال عنده القبول ، دون أن يربط ذلك بعوائد معينة أو مرحلة معينة ..

٢- الإخوان وأفغانستان

يردد الإخوان دائماً على ألسنتهم للامة في كل لقاء هذا القول (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) (حديث ضعيف جداً ، السلسلة الضعيفة للألباني ١ / ٣١٠ ، ٣١٢) ولو تبصر حقيقة الأمر لعدلت هذه الجملة إلى « من لم يهتم بأمر الإخوان المسلمين فليس منهم » ، يعرف ذلك من له أدنى اهتمام بحقيقة الصراعات المعاصرة ، ومواضع الإخوان منها .. فإذا وقعت أحداث مؤلمة في الأمة نظاهاوا ورفعوا بافئات الجهاد وأنشؤوا شعارات البراءة من الحكومات العربية والإسلامية ، التي لا تمكنهم مما يريدون .. وإذا حان وقت الجهاد ، وكان لهم في الأمور مآرب كانوا أكثر الناس خذلاناً للإسلام والمسلمين - فتضارب الإخوان بين النظرية والتطبيق واضح لكل ذى عين بصيرة !

فالإخوان الذين كانوا يلوحون بجهاد الشيوعية في أفغانستان صاروا يتحالفون مع الشيوعيين ضد الحكومات الإسلامية ، وإرضاء لهم قالوا بجواز إنشاء أحزاب شيوعية ، والتفافا حول فكر المواطنة قالوا لمانع من وصولهم إلى الحكم .. وهذا عبد المنعم أبو الفتوح ينفي أن يكون للإخوان دخل في انحسار التيار الشيوعي في فترة السبعينات : « تيار اليسار شهد انحساراً ملفتاً بشكل عام ليس في مصر فقط وإنما في كل الدنيا ، ظاهرة أطالب الأخوة اليساريين بدراستها ، لأننا لم نكن أداة ولا طرفاً فيها » (العربي ١٥ إبريل ٢٠٠٧م).

أما عن حقيقة جهاد الإخوان في أفغانستان يوم أن غزاها الروس فلم يكن لهم فيها دور غير بعض الدعايات والمشاركات ببعض الملابس والأدوية ، أما المشاركة الفعلية فقد بين الأستاذ المرشد / محمد حامد أبو النصر في حديثه للصحف حقيقة ذلك . كما نقله الشيخ محمد بن سيف العجمي مسجلاً في كتابه (وقات مع كتاب للدعاة فقط . ص / ١٠٢-١٠٩) بقوله :

« نشترك بالأدوية ، نشترك بالفلوس حسب ما يرغبوا منا وإذا أرادوا أن

يستوضحونا أمر نشترك بالرأى ، ولكن لا نقمع أنفسنا على المجاهدين . لكن ما أستطيع أن أحارب هنا حكومتى تمنعنى لو أمكن أن أحضر أقاتل معهم فى سبيل استقلالهم» أهـ

والحقيقة أن الحكومة في زمن الرئيس السادات (رحمه الله) فتحت الأبواب للقتال في أفغانستان ، واستقبلت من أسماوا أنفسهم بالمجاهدين الأفغانيين ، وجمعت لهم التبرعات في جميع أنحاء مصر.. كما فتحت المملكة السعودية أبوابها في زمن الملك فهد بن عبد العزيز (رحمه الله) لاستقبال اللاجئين وأقامت المعسكرات لإيوائهم ، وأرسلت أموالاً وفيرة لهم ، وضحي كثير من شبابها من أجل الجهاد في سبيل الله ، ويسرت السبل لكل ذلك ، على مرأى ومسمع من العالم كله .. حتى صار كثير من هؤلاء الشباب وبالا على الأمة الإسلامية وعلى مصر والمملكة خاصة فيما بعد ..

وقد نشأت الدعوة في أفغانستان في ولاية " كتر " برعاية الشيخ جميل الرحمن رئيس جماعة التوحيد والسنّة ، التي تأسست عام ١٩٦٥م . وقد كان الشيخ (رحمه الله) مصراً على تنقية الدعوة وتصفيها من شوائب الشرك والبدعة والتفويض والتعصب المذهبي والصوفية الخرافية وعبادة القبور الشائعة في أفغانستان .. غير أن هذا لم يرق لجماعات الدعوة الحركية ، التي كانت ترى التقريب مع جميع الطوائف المنحرفة ، طالما أنهم يتفقون معهم في الوجهة السياسية ، فقتلوه ومن معه .. قال الشيخ مقبل الوادعي : « وشاهد على ذلك ما حصل لأهل كتر في أفغانستان الشيخ جميل الرحمن ومن كان معه (رحمه الله) ، وأبادوا الدعوة وأفنوها في كتر وذبحوا رجالها » (تحفة الملبج ص / ٢٠٣) ..

ودارت الآيام على تلك الفرق المنحرفة في تحائف ميتة .. مع مجددى نازة حيث ضلالات غلاة الصوفية ووحدة الوجود ، ثم رباني ويونس خالص .. حيث فساد الفكر الاعتقادي والمنهجى والحركى .. إلى حكم طالبان وتسلب ابن لادن ، الذي شابه التهور والإنفلاس ، وانتهى به المقام إلى أن جر دولا غانية في الكفر

والضلال ، لتحارب دولة فقيرة لا حول لها ولا قوة ..

ويعود دور الإخوان ليريز على الساحة الأفغانية مرة أخرى بالاتفاق مع التحالف الشمالي الشيعي المدعم من إيران ضد أهل السنة في أفغانستان .. والذي يعرفه كل بصير في ذلك الوقت أن أمريكا استمرت في قصف أفغانستان زمنا طويلا ، بشتى أنواع القنابل الفتاكة ، ولم ينزل جندى مشاة أمريكي واحد على الأرض ، ليجنى ثمار تلك الحرب ، حتى طالب دونالد راسفيلد " وزير الدفاع الأمريكي " في ٢١ / ١٠ / ٢٠٠١م قوات التحالف الشمالي المعارض (الذي تم تدريبه في إيران على أيدي قادة أمريكيان) تحت مسمى حزب الوحدة الشيعي بزعامة كريم خليلي .. والذي شارك فيه الإخوان المسلمون تحت مسمى الاتحاد الإسلامي بزعامة عديرب الرسول سياف - طالبهم " راسفيلد " باجتياح مناطق طالبان التي قصفتها الطائرات الأمريكية (إسلام أون لاين . نت . مطيع الله تائب في ١٤-١٠-٢٠٠١)

وقد أراد الإخوان من تلك الحرب أن ينالوا نصيبا من الكعكة السياسية ، غير أن الله تعالى خيب ظنهم ، وطار منهم كل شيء ، على أعقاب مؤتمر " يون " في ألمانيا الاتحادية . وعاد الإخوان كالعادة بلا ناقة ولا جمل ..

هتوى القرضاوى المهينة ..

وزداد الكرب على أفغانستان بعد كرب الإخوان وكرب ابن لادن بكرب يوسف القرضاوى الذى أثنى الجنود المسلمين في الجيش الأمريكى المقاتل فى أفغانستان بالاشتراك فى القتال ، حفاظا على ولائهم للمجتمع الأمريكى.

قال القرضاوى فى حديثه لمجلة (الأهرام العربى عدد ٢٣٩ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠١) : « الذى يتجه إليه النظر الفقهى هو أن هذا المسلم إذا أمكنه أن يتخلف عن هذه الحرب بطلب إجازة أو إعفاء من هذه الحرب لأن ضميره لا يوافق عليها فالواجب عليه أن يفعل ذلك ، حتى لا يتورط في مواجهة المسلم بغير حق ، وكذلك إذا استطاع أن يطلب العمل فى الصفوف الخلفية لخدمة الجيش لا فى مباشرة القتال فهذا أخف ، إذا ما لم يترتب على موقفه هذا ضرر بالغ له أو لجماعته الإسلامية، التى

هو جزء منها كأن يصنف هو وإخوانه فى مربع الذين يعيشون فى الوطن ولولاؤهم لغيره ... وقد يكون هذا التصنيف خطرا على الأقلية الإسلامية ومصيرها ووجودها الدينى والدعوى ، وقد يؤدى هذا الموقف بالجهود الدعوية والتربوية الهائلة التى بذلت لعشرات السنين من أجل تقوية الوجود الإسلامى وتثبيته واعتبار المسلمين جزءا لا يتجزأ من مجتمعهم ، يجب أن يندمجوا فيه حضاريا ، ولا يذويوا فيه دينيا ، فلا يجوز أن يتصرفوا تصرفا يجعلهم مشبوهين أو مشكوكا فيهم ، بحيث يعتبرهم المجتمع العام طابورا خامسا ..

وحول سؤال : هل يمكن لهم أن يتخلفوا عن الحرب ؟

الجواب : « لا ينبغي للأفراد أن يريحوا ضمائرهم بالتخلف عن الحرب إذا كان هذا سيضر بالجموعة الإسلامية كلها ، فإن القاعدة الشرعية أن الضرر الأدنى يتحمل لدفع الضرر الأعلى وأن الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام ، وحق الجماعة مقدم على حق الأفراد ... » أهـ

هذا هو فقه القرضاوى .. وهو كما ترى خور بالغ فى مفهوم الولاء والبراء ، وخيانة للأمة المسلمة الفقيرة .. لا تقلق ضميرك أيها الجندى الأمريكى المسلم بترك الحرب فعملك صك دائم بالتعاون مع دولتك للقضاء على المسلمين .. وإذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما .. والضرر الأخف هو قتل المسلمين فى مقابل إبقاء الجندى الأمريكى فى عمله .. حتى لا يفقد وظيفته ولا يتعرض للاؤه للشكيك .. أما دماء المسلمين فلا قيمة لها ولا كرامة إلا ببينة المرشد العام للإخوان ..

فكن فى الصف الأول لصب حمم النار على إخوانك المسلمين فى أفغانستان حفاظا على الجماعة الإسلامية الإخوانية فى أمريكا ..

هذا هو الفقه الإخوانى ، الذى يحرم المياه الغازية على المسلمين ، ويبيع المشاركة فى إسالة دمائهم ، لحساب عدم التشكيك فى ولاء الجنود المسلمين للكفار ، وهو كما ترى فقه ساذج ، ليس فيه ذرة ولاء للإسلام ولا للمسلمين .. لا أظن أحدا من هؤلاء الجنود الذين استفتوه فى تلك الفتوى قد استراحت ضمائرهم من صب

حسم النار على هذا الشعب الفقير المسلم ، وقتل مئات الألوف من النساء والأطفال والشباب والشيوخ ... إن مما ذكر في تلك الحرب أن القادة الأمريكيين كانوا يحقنون الطيارين الأمريكيين في الحرب على أفغانستان بعقارات مخدرة تنزع منهم كل رحمة ، وتجعلهم أكثر شراسة في القتل والتدمير .. فكيف إذا كان ذلك تحت غطاء فتوى فقيه الإخوان المعاصر ؟ حفظ الله الملاك الأمريكي المسلم " محمد علي " وشفاه من كل داء .. الذى رفض المشاركة في قتل الفتنامين الأبرياء .. وقدم السجن على المشاركة في ذلك ، وضرب أروع الأمثلة في التمسك بالمبادئ والقيم ولو أدى ذلك إلى سجنه واعتقاله .. وقد كان رجلاً من عامة المسلمين ، ولكن فطرته الإسلامية أبت أن توقعه في الإجرام والظلم والبيي .. أما يوسف القرضاوي فقد اتخذ الإسلام وأصوله غطاء لقتل المسلمين في أفغانستان بيد الأمريكيين البغاة !! هذا هو موقع الإخوان المسلمين في كل موضع فيه جهاد في سبيل الله أعداء لأهل السنة ، ورفقاء للاحتلال ، ومداهنون للساسة والحكام .. ولا أدري كيف يبرجل كمحمد عاكف مرشد الإخوان يقول على وطنه وأهله وعشيرته " ظف في مصر وإلى في مصر وأبو مصر " ويكون في نصرتها وفي الدفاع عنها ...

فتنة تنظيم الجهاد في مصر ...

تعد فتنة تنظيم الجهاد من أكبر الفتن التى تعرضت لها مصر فى هذا العصر .. وقد اعترف أعضاء تنظيم الجهاد أنهم تسببوا فى إفساد الدين والدنيا وأرهبوا البلاد والعباد ، وقد أقرؤا بذلك فى بيان التراجع عن أعمال العنف الذى وزعه قادة الجماعة على وسائل الإعلام فى أوائل ٢٠٠٧م ، وجاء فيه : « إنه مما لاشك فيه أن حالة الصراع التى مرت بها مصر فى التسعينيات قد أضرت كثيرا بالبلاد على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وحقوق الإنسان » (المصري اليوم ؟؟ مايو ؟؟؟) وقد قامت وجهة تنظيم الجهاد فى مصر على أصول فكر الخوارج الداعية إلى تكفير الحاكم ، واستحلال دمه ودم كل من يلتف حوله ويعاونه من كل الأجهزة ، خاصة الوزراء والشرطة والأمن العام والجيش .. تلك التى يطلقون عليها اسم " الطائفة الممتنعة " . وقد كان هذا العمل محض اختصاص التنظيم السري للإخوان فى زمن الملك فاروق ، كما ظهر فى قضية الأوكار التى قتلوا فيها أبرياء ومدنيين .. يقول عباس السيسى : « وعلى هذا فقد انتشر الإخوان يستأجرون الشقق فى الأماكن الإستراتيجية التى يستطيعون منها اصطيداء رجال الحكومة ، وكل مجموعة من هؤلاء معها سلاحها ومؤناتها وعدتها » (فى قافلة الإخوان . ص / ٢٢٩) ...

وقد أصل سيد قطب لهذا الفكر فى كتابه (فى ظلال القرآن . ص / ٢٠٢٠) عند تفسير قوله تعالى : « كذلك كدنا ليوסף ما كان لياخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله » فقال : « فمن كان فى نظام الله وشرعه فهو فى دين الله ومن كان فى نظام الملك وشرعه فهو فى دين الملك ولا جدال فى ذلك شرعا » أهد

فحمل كل من يعمل فى نظام الملك دين الملك ، وكفر الجميع دون تفصيل فى الأمر ، هل هذا عن اعتقاد ورضى واستحلال ، أم عن خطأ وإكراه وهوى ، هل هذا التعمين فى الحكم جاء بعد إقامة الحجة الرسالية أم بدونها ؟

وقد كان الفكر التكفيرى هو الدافع الأول إلى الانقلاب والثورة على

للمجتمعات الإسلامية ، قال سيد قطب في (الظلال / ٣ / ١٤٥١) : « لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعى وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها. » أهـ

وقد ساهم كتاب " معالم على الطريق " الذي ألفه سيد قطب في وضع أسس الانقلاب على المجتمعات الإسلامية . وقد أكد ذلك أمين الظواهري ، وذلك في جريدة (الشرق الأوسط . ٤ ديسمبر ٢٠٠١م) وبين أن سيد قطب هو الذي وضع الدستور في كتابه "الدبناميت" معالم في الطريق "، وأن فكر سيد هو (وحده) مصدر الإحياء الأصولي .. وأن فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج « أهـ

غير أن الفارق بين نظرية سيد قطب في الفكر الانقلابي وبين نظرية الإخوان أن سيد قطب لا يبيح استخدام الغير للركوب ، لأنه لا يشترك معه في الهدف ، وذلك باعتبار أنه يدعو إلى العزلة ، ويطالب بالانقلاب على من أسماهم خارج نطاق الجماعة المسلمة ، فكيف يتحالف معهم في الوصول إلى الحكم ، وهم ميدان دعوته! أما بقية الإخوان فإنهم يبيحون الركوب على الجيش وجميع فئات الشعب باختلاف ألوانه من أجل الخروج ، ولو بغير المنهج الإسلامي ، ولو بالتحالف مع العلمانيين والشيوعيين والأقباط النصارى والشيعة الروافض ..

وقد نشأ فكر تنظيم الجهاد في مصر بسبب الانشقاقات التي وقعت في صفوف الإخوان والتنظيم الخاص في أوائل الخمسينات ، وبعد القبض على تنظيم ١٩٦٥م .. فهناك علاقة وثيقة بين الإخوان وتنظيم الجهاد ..

تلك هي الحقيقة التي كشفها د/ محمود عساف في كتابه (مع الإمام الشهيد ص/ ١٥٩) ولا يزال الإخوان إلى الآن في كتبهم وفي أدبياتهم يمدحون أفرادا كان لهم دور كبير في قتل رؤساء ومسؤولين ؛ بما يدل على عمق علاقتهم بهم ، ورضاهم عن توجهاتهم الانقلابية الإرهابية ، ومثال ذلك ما صرح به محمود الصباغ في كتابه (حقيقة التنظيم الخاص ودوره . ص/ ٢٩) .

وقد قدم لهذا الكتاب الأستاذ / مصطفى مشهور سنة ١٩٨٩م . وفيه مدح الصباغ قتل الرئيس السادات ، وقال عنه : « فبلغ قمة الاستبداد والتآله علي شعب منحه حبه وضحي معه بدمه عزيزا مهراقا علي أرض المعركة ، وهو ظلم لا يرضي عنه خالق السموات والأرض ، الذي أبدع كل شيء صنعا ، فسلط عليه شبابا من شباب مصر وأظلمهم بظلة فباغته في وضح النهار وفي أوج زينتته وعزه يستعرض قواته المسلحة ولا يرى فيهم إلا عبيدا ، له ينحنون ، ويقفونه وعظمته يشهدون ، وإذا بهم سادة يقذفونه بالنار ويدفعون عن أنفسهم وصمة الذل والعار والشنار.. وعادت لمصر عزتها ، وانتصر الله للمؤمنين في المعركة الرابعة نصرا عزيزا « أهـ

فقد كان هناك علاقة وثيقة بين تنظيم الجهاد وبين جماعة الإخوان . إما علاقة فكرية وإما علاقة استراتيجية ، وإن لم يكونوا تنظيميا في حركة الإخوان . ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الفكر الانتقاصي في مصر خاصة في تنظيم الجهاد ما أشاعه الإخوان بين الشباب من قصص وحكايات عن التعذيب الذي تعرض له بعضهم في سجون شمس بدران بعد القبض على تنظيم ١٩٦٥م .. وكذلك كان للتفسير المتعلق بآيات الحاكمية .. ذلك التفسير القطبي المخالف لمنهج السلف ، والذي كان يرى جاهلية المجتمعات الإسلامية . أثر بالغ في دفعهم إلى الخروج واستباحة الدماء والأموال .

نشأة تنظيم الجهاد الجديد

في أجواء الستينات نشأ تنظيم طلائع الفتح الذي انتهت قيادته في أواسط السبعينات عند الدكتور أيمن الظواهري ، وقد اتفق هذا التنظيم مع تنظيم آخر تحت قيادة عصام القمري على القيام بأعمال إرهابية طالت كثيرا من الأبرياء في صعيد مصر وقد انتهت تلك الأعمال بقتل الرئيس السادات عام ١٩٨١م ..

وفي عام ١٩٧٨م .. قام عبد السلام فرج بدور كبير في صياغة فكر تنظيم الجهاد المسلح .. وذلك بإعداد الكتاب الذي دار حول المفاهيم الجهادية .. التي تأثر بها فيما بعد طارق الزمر ثم عبود الزمر .. وذلك عام ١٩٨٠م . وقد تبنى الدكتور/ عمر عبد الرحمن قضايا تنظيم الجهاد المعاصر بالتوجيه والفتوى ، فدعا إلى الثورة والانقلاب . وقد استحل هذا التنظيم الدماء المسلمة المصومة ، ونقض عهود المجتمع مع أهل الذمة والمؤمنين .. وقتل بعض السياح الأجانب ، الذين دخلوا مصر بمعهد أمان .. وعلى الصعيد السياسي قاموا بمحاولة اغتيال لمسؤولين سياسيين ، كما قتلوا جنودا وضباطا كثر في مديرية أمن أسبوط في جنوب مصر .. ولم يكن في هذا التنظيم من العلم الشرعي ما يؤهله للأمر والنهي ، وهذا هو الذي دفعهم إلى القتل والانتقام ، دون تقدير لحمة دماء المسلمين ، ودون تقدير لمخالفة الأئمة لهم ، ودون النظر في المصالح والمفاسد . مبررين ذلك بكفر الحاكم ، وعدم الالتزام بمعهد الذي عاهد به .. وهم في ذلك آثمون ، لأن الحكم بالعين على أحد بالكفر ليس لهم ، ولا يكون إلا بعد إقامة الحجة الرسالية وانتفاء الموانع الشرعية ورفع الشبهات العارضة .. كما أن هناك حدا يحول دون مواجهة الحكام بالقتال والخروج ، وهو كونهم يؤدون الصلاة المفروضة . ولكنهم لم يعبأوا بهذا العمل ، ولم يشدوا له ثدرا ، حيث نهى النبي ﷺ عن قتالهم بسببه ، بقوله : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة » (رواه مسلم . ٣ / ١٤٨١ . كتاب الإمارة) .

ولقوله ﷺ : « لا ما صلوا » (رواه مسلم (٣ / ١٤٨١) .

كما أنهم لم يعبأوا بالمآذن التي يرفع عليها الأذان . وهذا هو الحد الأدنى الذي يرفع السيف عن رقاب المسلمين ، كما ثبت عن أنس بن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الأذان ، فإن سمع أذانا ، أمسك ؛ وإلا أغار » (رواه مسلم (١ / ٢٨٨) كتاب الصلاة)

قال الإمام النووي : « وفي الحديث دليل على أن الأذان يمنع الإغارة على أهل ذلك الموضع ، فإنه دليل إسلامهم » (شرح مسلم . ٤ / ٨٤)

فلا تكفير لأحد إلا بعد إقامة الحجة .. ولا يستطيع أن يقوم بهذا الدور آحاد الناس ، حيث إنه محض اختصاص العلماء والأئمة .. وهؤلاء الشباب ليسوا علماء ولا أئمة .. ومع ذلك قتلوا الأبرياء بغير حجة ولا برهان .. وإذا قلت لهم : هل أقمتم الحجة على مخالفتكم حتى تستحلوا دماءهم ؟ قالوا : قد أقامها غيرنا .. وهم لا يعرفون بمنهاج غيرهم فكيف يعرفون بحجتهم .. !

تنظيم الجماعة الإسلامية يتراجع ...

من الضروري أن أبين في هذا الموطن تراجع قادة الجماعة الإسلامية في مصر عن اتخاذ العنف وسفك الدماء سبيلا إلى التغيير والإصلاح .. فقد اعتدلوا عن أخطائهم وقالوا أقوالا طيبة يحمدون عليها .. وقد بدأ هذا التراجع أثناء نظر القضية رقم (٢٣٥) الخاصة بمحاكمة قادة الجماعة ، وفيها ألقى أحد القادة بيانا دعا فيه أعضاء الجماعة إلى وقف العنف ضد الحكومة ، ثم بعد ذلك توالى الكتب التى أطلق عليها "سلسلة تصحيح المفاهيم" وهذه الكتب هي : « مبادرة وقف العنف ، حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين ، تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء النصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسين... » وأقاموا الحجج والبراهين على المطالبين بالعنف والاعتبال ، كما نظروا في باب المصالح والمفاسد ، وعلموا أن الجهاد وسيلة وليس غاية ، وأن الجهاد إذا كان لا يحقق الغاية المرجوة منه فهو غير مقبول..

كما أكدوا حرمة قتل المسلم بغير وجه حق ، واعترفوا أنهم دون القدرة على تحمل مسئولية الفتوى والنظر في دقائق الجهاد . وأكدوا أن الناس لا يؤخذون بالظن والتخمين . الخ . وقد اعترف تنظيم الجماعة الإسلامية بكل وضوح بخطئه البالغ في الفتاوى التى أصدرها بقتل الرئيس السادات .. وهذه شهادة الأستاذ / كرم زهدى (أحد أعضاء لجنة قوى تنظيم الجهاد الذى أفتى بقتل الرئيس السادات) للصحافى الأستاذ أنيس الدفدي في كتابه (اعترافات . ص / ٤٥٠) : « أنا أدين عملية اغتيال الرئيس الراحل محمد أنور السادات والتى وقعت عام ١٩٨١م بأيدي عناصر الجماعة بقيادة الملازم أول خالد الإسلامبولي : وأنا أبدي واثق أشقى الشكيد لهذه العملية ، ولو عاد الزمان بى وبالجماعة لما أجزتها أو أفتيت بها ، ولعملت على منعها . وصراحة شديدة أنا أعتبر الرئيس السادات مات شهيد الفتنة ، وكذلك كل من سقط من أعضاء الجماعة أو أفراد الشرطة في المواجهات بينهما وبين أجهزة الأمن » أهـ

وجدير بالذكر أن الدكتور / عمر عبد الرحمن " زعيم تنظيم الجهاد السابق " قد تراجع أيضا عن مبادئه الداعية إلى الانقلاب والثورة ، ووافق على مبادرة وقف العنف (هدانا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه) وقد أكد ذلك الأستاذ / حمدى عبد الرحمن ، قائلا : « جاءنا رد الشيخ عمر عبد الرحمن بتأييد موقفنا ، وقد أعطي رأي الشيخ زخما وقوة لمبادرتنا ، وأعقبها البيان التاريخي الذي صدر عن الاخوة في الخارج ليلة عيد الأضحى المبارك في مارس ٩٩ ، وأعلنوا فيه تأييدهم للمبادرة » (الأهرام المصرية ١٦ / ٢ / ٢٠٠٢م)

وقال في قضية الخروج علي الحاكم . : بعد التحول الفكري والمبادرة أصبح ذلك ممنوعا شرعا. لماذا؟! - لعدة أمور، منها :

- ١ - أن الدولة إسلامية ، والعلماء أجمعوا علي عدم جواز الخروج علي الحاكم لما يترتب علي هذا من مفاسد كبرى وضعف ، وضياح للأموال وانتهاك للحرمت .
- ٢ - التجارب التاريخية أكدت أن الخروج علي الحاكم يؤدي إلي نتائج سيئة علي المسلمين ، وضياح هيبتهم ، ويساعد علي طمع العدو فيهم ، والتاريخ يؤيد عدم الخروج علي الحاكم.

٣ - نحن أعطينا عهدا بعدم الخروج علي الحكومة بالسلاح ، وهذا العهد لا يجوز نقضه لأي من أفراد الجماعة حاليا ولا في المستقبل ، لقول رسولنا الكريم ﷺ : «المسلمون يسمي بذمتهم أدناهم ، فمن غفر ذمة المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» (الأهرام المصرية ١٦ / ٢ / ٢٠٠٢م) .

تراجع تنظيم الجهاد ..

وفي عام ٢٠٠٧م أعلن تنظيم الجهاد بقيادة سيد إمام عبد العزيز وعبود الزمر مراجعته الفقهية متضامنا مع الجماعة الإسلامية في نبد العنف .

قال الأستاذ أحمد الخطيب : « أعلن عبود وطارق الزمر القياديان البارزان في تنظيم الجهاد، من سجنهما، تأييدهما للمراجعات الفقهية لتنظيم الجهاد التي يقودها الدكتور سيد إمام عبدالعزيز مفتي ومؤسس التنظيم الذي تعتبره جميع الحركات الجهادية القتالية وعلى رأسها تنظيم القاعدة صاحب دستور القتال في كتابه الشهير +العمدة في إعداد العدة(، ٩٩ مايو ٩٩٩ المصري اليوم ...)»

غير أنهم تأخروا في إعلان مراجعاتهم السياسية من ١٩٩٧م إلى ٢٠٠٧م لأنهم كانوا يريدون الاندماج في العملية السياسية ..

والعجيب في الأمر أنهم ظهروا متوافقين في مضمون العمل السياسي القائم على استيعاب الأيدلوجيات والأفكار المختلفة ، مع جماعة الإخوان المسلمين .. ويعد هذا نوعا من الانقلاب الأيدلوجي السريع في فكر تنظيم الجهاد .. وقد عبر عن هذا التوافق الأستاذ / طارق الزمر حيث أيد نهج الإخوان في العمل السياسي المعاصر .. كما نقل عنه الأستاذ / عبد الفتاح عبد المنعم في (العربي . ١٩ فبراير ٢٠٠٦م) قائلا : « طارق الزمر فجر مفاجئته الخامسة من خلال تأييده لنهج الإخوان في العمل السياسي مشيرا إلى أن رسالته تؤسس العمل الحزبي والنيابي . » أهـ .

وقد شاركه في ذلك عبود الزمر حيث دعا : « جماعة الإخوان بالتصديق داخل مجلس الشعب للقوانين المقيدة للحريات وستة السبعة، وأن يكون هدف الجماعة داخل البرلمان رفع القيود المفروضة على العمل السياسي والحزبي، مشيرا في طلبه للإخوان على ضرورة احتوائهم للأقليات والطوائف بكل آرائها وتعليقاتها» (العربي . ١٨ ديسمبر ٢٠٠٥م) .

وهذا يدل على أنهم متأثرون بالفكر الإخواني القديم وأنه لا يزال سيطرا على الأذهان ، غير أن الطريقة تغيرت .. استبدلوا الضغط السياسي بالفكر الدموي .. على نفس الدرب السابق ، بغير علم ولا سلف ، ولكن بطريقة إخوانية متخبطة ، لها في كل زمن سبيل ، لا تدري فيه ما تريد .. والواجب عليهم أن ينسوا هذا الأمر ، وأن يعودوا إلى ثكناتهم يعبدون الله على بصيرة ، ويتوبوا إلى الله من جرائمهم التي اقترفوها ، ويتعلموا التوحيد والسنة على أيدي العلماء الربانيين ، بعيدا عن اللعب بالسياسة على طريقة الإخوان . لا أن يتراجعوا سياسة أو مقابل صفقة ، بل يتراجعوا توبة إلى الله تعالى .

أما الإخوان فقد خاضوا غمار السياسة وفشلوا .. وتركوا دعوتهم الأولى . فلا ينبغي لأعضاء تنظيم الجهاد أن يجربوا الفشل لسنوات أخرى ..

فالعقيلة التي تربت على مفهوم التنظيمات السرية والاعتيالات ولم تعتمد على علم شرعي ولا قياس ديني . كيف تخوض العمل السياسي . ومن هو معلمها ؟. ليس أمامهم إلا الإخوان ليتعلموا منهم .. والإخوان بشهادة أساطين السياسة والواقع وتجارب الأمم لا يفقهون شيئا .. فليحذر قادة تنظيم الجهاد من المضى خلف هؤلاء الخائبيين والنشبه بهم ..

أصول الدوافع وراء الإصلاح ...

اتفق أهل العلم والدين والسياسة على أن ما يؤثر في الجبهة الداخلية يؤدي بالضرورة إلى تدخل الدول الكبرى في مقدرات الدول الإسلامية، لتvisير دولا مستعمرة بعد أن كانت دولا حرة، ودولا مهزومة بعد أن كانت دولة منتصرة.. ولا يزال التاريخ يعيد نفسه.. فقد ترجمت كتب الفلاسفة، واستغنى كثير من الناس عن سنة الحبيب ﷺ؛ فكان هذا هو السبيل لتغلب التار على المسلمين. قال قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد: «إنما استولت التار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم وضعف الشريعة» (م ف ٢ / ٢٤٥) فلا بد من وضع الأمور في نصابها والعودة إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ووجب على الدول الإسلامية أن تتدخل في حل قضاياها بما يحقق المصلحة الشرعية العليا للأمة بإخلاص وصدق، وذلك بتوضيح الحقائق جلية، وبسط رداء العفو والسماحة في سلم العلم والمناظرة، وتقديم براهن أهل السنة عن طريق أهلها، كي يعود هذا الشباب إلى سلم العمل الإصلاحي.

وقد استجاب الشباب لتلك الدعوة.. التي قامت بها الداخلية المصرية على مدى سنين عدة.. وقد بين اللواء حبيب العادلي في حواره مع مصطفى بكرى، في جريدة (الأسبوع) ٨ مارس ٢٠٠٤م أن ما حدث من تغير في فكر الجماعة الإسلامية يشبه المعجزة، فقال: «هذا الحوار حقق نتائج هامة وبهرة وأصبحت تجربة هذا الحوار نموذجاً يحتذى به.. لقد نجحنا في تعديل أفكار هذه العناصر إلى الكتاب وصحيح السنة.. وكل ما سجلوه في رؤيتهم الجديدة تم عرضه على مشيخة الأزهر لتبيان مدى مصداقية ما يقررونه دنيا، لأنه سيعرض على الرأي العام وعلى العناصر المنتمة لتلك الجماعة لتعمل من أفكارها.. وماذا كان رأى الأزهر؟

فقد درست الأوراق المقدمة ووافق عليها الأزهر وقال إنها مبنية على أسانيد شرعية فعلاً.. ثم قال: إن هذه المهمة في تقديري تشبه المعجزة في وقت يموج فيه العالم بأفعال وجرائم إرهابية» أهـ

هتنة تنظيم القاعدة ..

لم تبتل الأمة في تاريخها كما ابتليت بفكر حداثا الأستان المتسيين إلى تنظيم القاعدة، الذين يصطنعون الفتنة أينما حلوا ورحلوا.. ويعد هذا التنظيم امتدادا محوريا في أدائه للتنظيم السري الخاص الذي أسسه حسن البنا في بداية الأربعينات من القرن الماضي.. ومن الناحية الفكرية فهو متأثر بالمنهج الانقلابي الذي أسسه سيد قطب في كتبه (المعالم، والظلال، والعدالة الاجتماعية).. وقد خرج هذا التنظيم على علماء المسلمين، واحترق جهدهم وزيف علمهم، ولم يتأثر بهم.. بل إنه كفر الحكومات العربية والإسلامية جميعا بلا استثناء، ولم يبق على وجه الأرض حكومة مسلمة إلا حكومة الملا عمر، ولا دارا مسلمة إلا أفغانستان.. ومع ذلك لم يستطع أمراء هذا التنظيم أن يبقوا أفغانستان بآرائهم وأفكارهم، ولكنهم دمروا بنيانها وشتوا أهلها وضيعوا أميرها.. فسرعان ما تفجرت الأحداث وهاجت الأمم، واختبأ ابن لادن في الكهوف والمغارات، ليصدر البيانات التي تحمل في طياتها ما يجعله مستولا عن العالم الإسلامي، فيقيم أميرا هنا وأميرا هناك.. ثم في خضم الأحداث المتلاحقة والفتن المتعاقبة يعرض على تلك الأمم التي هيجهها هدنة طويلة الأمد، كأنه خليفة مختار من الأئمة، يحدد أوقات الحرب وأوقات السلم، ويعرف مصلحة الأمة.. الخ فيجعل لنفسه سلطانا، وهو في الحقيقة غائب غيبة كبرى، الله أعلم متى تنتهي.. والغائب لا أمر له ولا سلطان.. كإمام الشيعة المدموم الذي قال فيه أئمة السنة:

وكل إمام لا يرى جهرة لايساوى عندنا خردة..

لقد هيج هذا التنظيم المنهوج العالم الأصفر على الإسلام والمسلمين، وقرن الإسلام بالتطرف، واستباح الحرمات وقتل الأبرياء، وأثار الفتنة، وأشغل المسلمين بدفع التهم والشبهات، بدلا من اشتغالهم بالدعوة إلى الله تعالى..

وحصن ابن لادن نفسه في مغارات أفغانستان، وخرج من مواقع القتال

بنفسه وماله ، ليسلم من القتل والقتال ، وترك الصف الأول ، بما فيه من الفقراء الذين يتضورون من شدة الجوع ، تحت لهيب القنابل والمتفجرات . ليقتل شعباً أعزل ، ولتنزع الفتاوى الفارغة على العامة الذين لا يعرفون أمره ، وليعادى العلماء الأكابر ، وليكفر حكام المسلمين ، ليرى الناس فيه الشجاعة النادرة .

فمن الذى أعطاه ولاية على المسلمين ؟

وأين هو من علماء الإسلام الأكابر ؟

أين هو من الفتوى والقضاء والجرح والتعديل والاستنباط والاجتهاد ؟ لقد حصر الله تعالى مسئولية الفتوى فى أهل العلم والذكر . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَكَوَّزُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَبْطِنُوهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء : ٨٣) .

فهل هذا الرجل موصوف بأوصاف أهل العلم والاجتهاد حتى يرجع الناس إليه فى النوازل ؟ هل هذا الرجل ولى من أولياء المسلمين ، ليلتف الناس حوله ؟

فالجهد لا يكون إلا بولى الأمر أو يذنه . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ (النور : ٦٢) وقال النبي ﷺ : « الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيَتَّقَى بِهِ » (رواه البخارى . كتاب الجهاد ٢٩٩٤) .

قال ابن أبى العز الحنفى : « الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر فلا بد من سائس يسوس فيهما ، ويقاوم فيها العدو ، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر » (شرح الطحاوية . ص/ ٣٢٣) .

لم يكن ابن لادن ولياً من أولياء المسلمين ولم تجتمع عليه كلمة العلماء .. فكيف ينصب نفسه بغير ولاية ويرفعها بغير إذن ..

معالم تنظيم القاعدة ...

أولاً : إشارة الفتن ...

أفتى تنظيم القاعدة أثر الحوار والمعتزلة ، فى إيجاب إزالة المنكر ، ولو أدى ذلك إلى خراب الدين والدنيا . لا يفكرون فى العواقب ، ولا ينظرون فى المحن . نصبوا أنفسهم قضاة ، فضللوا قوما وكفروا آخرين ، ثم قاموا بقتالهم ، وقالوا من قتل من المسلمين بغير حق بعت على نيته .. واحتجوا بمسألة الترس لقتل المسلمين ، كأنهم أصحاب ولاية وسلطان .. وهم فى حقيقة الأمر يريدون النجاة بأنفسهم ، ولو كان ثمن ذلك قتل المسلمين جميعاً .. وأخطر ما فى الأمر أنهم يأتون المسلمين من حيث لا يشعرون . يزعم أنهم يدافعون عن الإسلام وينصرون الأمة ، وأن غيرهم جند الباطل وعسكر الشيطان .. وهم فى حقيقة الأمر أشد الناس تدميراً للإسلام وإهداراً لكرامته وتضييعاً لأوطانه وإذلالاً لأهله .. انظر إلى صورة المسلمين من بعدهم ، لترى أى حماية على الدين جنوها ، وأى مصيبة فى الأمة أحدثوها. ويكفى سعى الدول الكبرى الدعوى فى تغيير مناهج المسلمين دليلاً على ذلك .. لم يفلح هذا التنظيم الخارجى بمنهاجه الانقلابى فى رفع كلمة الإسلام ولا فى بيان التوحيد والسنّة ، إنما عطل الدعوة وشوه صورتها ، وأظهر المتدينين فى صورة القتلّة ، الذين لا يراعون حرمة مسلم ولا ذمة كتابى ولا عهد مستمان . ولقد قام هذا التنظيم بنقل عملياته الإرهابية إلى مستوى عالمى ، ليواجه دولاً عظمى فى الضلال والفساد معها البطش والقوة .. وأصبح كل شر يقع فى العالم ينسب إلى الإسلام ، وأصبح الظواهرى وابن لادن لعبة تلك الدول المعادية للإسلام فى توجيه شعوبها حيث شاءت ، تنزور عليها البيانات والصور ، انعزز الاتجاهات والأفكار إلى مايتوافق مع مصالحها ، بينما لا نجد من ينكر أو يثبت نسبة تلك البيانات إليهما بسبب اختفائهما عن الأعين ..

فأين الدين فى قتل معاهد أو مظلوم أو برىء ؟ وأى مصلحة فى قتل بعض

المشركين ليقتل المئات من المسلمين في لحظات ؟ وأى مصلحة في ضرب مدمة بحرية فنهان أمة بأكملها...؟ وأى مصلحة في ضرب برج ، فيشتت العرب والمسلمون ، وتهدد الأقليات المسلمة في بلادها لسنوات طويلة ؟

لقد انتشر الدين الإسلامي انتشارا واسعا في دول أوروبا وأمريكا ، حتى ألقى مضاجع اليهود ، ودفعهم إلى تهيج دول العالم على الإسلام والمسلمين ، بقصد تقويض تلك الدعوة وهدمها ، وعدم التمكين لها ، وقد كان فكر ابن لادن وأمين الظواهري هو الأداة والحجة في ذلك .. لعل تكفير هؤلاء للمجتمعات الإسلامية أوقعهم في الاستهانة بما يحدث للأمة الإسلامية من مصائب جراء أفعالهم غير المسئولة ونظراتهم غير الناقية.. ولعل جهلهم بمفهوم الولاء والبراء وتخطيطهم فيه أوقعهم أيضا في تلك المصائب . فالتصالح والتعاقد إذا وقع بين المسلمين وبين الكفار فهذا عندهم ينقض مفهوم الولاء والبراء ، والأشتراك في قتال عدو مشترك ينقض عندهم مفهوم الولاء والبراء .. ولا شك أن هذا كله لا علاقة له بالمحبة القلبية .. ونحن نعتقد أن الولاية بالمحبة القلبية غير جائزة وصاحبها خارج من الملة . أما الولاية بسبب الخوف بلامحبة ولا تأييد ولا نصرة فهي ضعف في الدين .. ويستثنى من ذلك التقية بالألفاظ دون الأفعال ، لجلب منفعة أو لدفع مضرة ، لقوله تعالى : ﴿لَا يَتَخَذَ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] أما المعاهدات والبيع والشراء والزينة وتقديم الهدايا للكتائين .. فهذا أمر جائز وثابت في الشريعة .. وليس من باب الولاء في شيء . وقد شرع الله تعالى البر والإحسان بأهل الكتاب .. قال تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] وقال تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]

قال الحافظ في (الفتح ٥ / ٢٧٦) : « ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم التجانب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

يؤادون من حاد الله ورسوله﴾ فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل . أهد لو كان لهؤلاء بصيرة بالسنة الربانية والتاريخ الإسلامي وأصول المواجهات في السنة النبوية ما أوصلوا المسلمين إلى تلك المهانة ، وما واجهوا دولا عظمى في الضلال والكفر ، تلك جميع أدوات الفتك والتدمير ، حتى حملوا أنفسهم ما لا طاقة لهم به ، يريدون أن يقاتلوا العالم كله ، وقد قال تعالى : ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا سَمْعَهَا﴾ البقرة : ٢٨٦ . وقال النبي ﷺ : « دعوا الحشمة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » - (رواه النسائي في الجهاد) . ٣١٢٥ وأبو داود في الملاحم . ٧٤٨ ٣ . حسن - انظر صحيح الجامع وقد تحالف النبي ﷺ مع قبائل اليهود ليأمن شهرهم وليسلم من كيدهم ، ومن أجل تبسير سبيل الدعوة وتأمين الناس لمعرفة الحق صالح النبي ﷺ كفار قريش لعشر سنين ، في الخديبية ، بشروط معلومة ، رأى فيها كثير من لصحابة إجحافا لدينهم .. غير أن حكمة الله لا يدركها كثير من الناس ، وقد ثبت آثارها فيما بعد ، ودخل الناس أضغاث مضاعفة في دين الله تعالى ، بسبب تلك المعاهدة وهذا الصلح . وقد سماه الله فتحا مبيتا . ولما آمن النبي ﷺ قريشا تفرغ لليهود فأجلى يهود فداك وفرض الجزية على يهود خيبر وجردهم من السلاح .. تلك هي سيرة النبي ﷺ وسياسته في حال الضعف وفي حال القوة ... وعلى ذلك يجب على القائد أن يحبب أمته المحن ، وأن ينظر في المصلحة البعيدة ويقدمها على غيرها من المصالح المؤقتة قليلة المنفعة .. والقتال على كل حال لا يكون لأجل سفك الدماء ولا لسلب الأموال ، ولا يكون بغير إمارة ، ولا يكون غدا بغير مواجهة ، ولا يكون بقتل الشيخ والأطفال والنساء والذميين والمؤمنين .. ولا يكون إلا لرفع كلمة الله تعالى .

ولا بد أن يراعى حال الأمة في مواجهة أعدائها .. كيف هي وكيف تكون ؟ . وقد تبين للتأسي والدعائي أن الأمة الآن في حالة ضعف ، بالغ ، ولا قدرة لها على الجهاد . ولا يجوز أن تدفع إلى الهلكة .. ولا ينبغي أن تحمل الأمة مالا طاقة لها به . قال العثميين (رحمه الله) : « يجب على المسلمين الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله ، لكن الآن ليس بأيدي المسلمين ما يستطيعون به جهاد الكفار حتى ولا جهاد مدافعة في الواقع » (لقاءات الباب المفتوح . صفر .

١٤١٤هـ) وقال العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله) : « هذا العصر : عصر الرفق والصبر والحكمة ، وليس عصر الشدة . الناس أكثرهم في جهل ، في غفلة وإيثار للدنيا ، فلا بد من الصبر ، ولا بد من الرفق حتى تصل الدعوة ، وحتى يبلغ الناس ، وحتى يعلموا » (مجموع فتاوى ٨ / ٣٧٦) ..

فلا بد من قياس مدى القدرة والمنفعة العائدة عند التفكير في القتال .. سواء كان قتال طلب أو قتال دفع .. ولا شك في وجوب القتال تحت إمرة ولي الأمر ، طالما هناك قوة ، أما إذا تغلب الكفار وبطلت الحيل واستحال قتالهم بالعدد والعناد كان زاد الكفار في العدد عن مثلي عدد المسلمين مع عدم قدرة المسلمين على القتال جازت المسألة والمعاهدة أو الفرار .. ووجبت الهجرة إذا كان المرء عاجزاً عن إقامة دينه ، أما إذا كان قادراً على إقامة دينه فالحجرة حيثئذ مستحبة .. انظر ماذا يكون من أمر الله تعالى لنبيه عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان بالفرار إلى الجبال ، حيث لا قدرة له على قتال عدوه . روى مسلم عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ : « يوحى الله إلى عيسى بن مريم أنى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لك بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور » .

وهذا عام في جميع أنواع القتال . إذا كانت مقصدته أكبر من منفعتها لم يجز . قال شيخ الإسلام : « ومعلوم أن ذلك مشروط بالقدرة والإمكان . فقد تكون المصلحة المشروعة أحيانا هى التآلف بالمال والمسألة والمعاهدة ، كما فعله النبى ﷺ غير مرة . والإمام اذا اعتقد وجود القدرة ولم تكن حاصلة كان الترك فى نفس الأمر أصليح » (مجموع الفتاوى ٤ / ٤٤٢) .

ثانيا - استباحة الأنفس المسلمة

نفتن تنظيم القاعدة فى جميع وسائل القتل والإرهاب .. قتلوا بلا استثناء ، وقالوا لأملاهم على قتل المسلمين إذا كان يعيش بينهم قوم من الكافرين ، لأنهم يعمثون على نياباتهم .. الخ . وليس فيما انتهوا إليه دعوة ولا جهاد ولا علم ولا مصلحة .. هم فى الحقيقة قطاع طرق ، مفسدون فى الأرض ، يحاربون المؤمنين .. بل إنهم يحاربون الله تعالى ورسوله محمد ﷺ .. فكيف بهم إذا لقوا الله تعالى بتلك الأعمال الإجرامية التى ظنوها جهادا فى سبيل الله تعالى ، وهى منكرات ومظالم ، شوهوا بها صورة الدين ، وطعنوا بها فى عهود المؤمنين وذمتهم .. فليس معهم من الدين ما يبرر القتل .. فقد حذر الله تعالى من قتل المؤمن واستباحة دمه .. قال تعالى : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » [النساء . ٩٣] وبين النبى ﷺ حرمة الدماء بقوله : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » (متفق عليه) ويقول ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » (متفق عليه . رواه البخاري . ٦٤٨٠) ويقول ﷺ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ يغير حق ليهريق دمه » (رواه البخاري عن ابن عباس . ٦٤٨٨) . ويقول ﷺ : « ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده ، فليس مني ولست منه » (رواه مسلم . كتاب الإمامة . ١٨٤٨) وهؤلاء خالفوا فى ذلك كله .

ثالثا - استباحة عهود المعاهدين وأمان المستأمنين ..

لم يعبأ هؤلاء المتسرعون في الفتن بعهود أولياء أمور المسلمين مع أهل الذمة المعاهدين ولا مع الأبرياء المأمنين ، فقاموا بفسادهم في الأرض ويقتلون ما لا يجوز قتله. وقد ثبت في السنة النبوية النهي عن قتل المعاهدين . قال النبي ﷺ : « من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن رجعها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » (رواه البخاري . كتاب الديات ٦٥١٦ ، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم ، ورواه أيضا في باب الجزية . باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم) قال الحافظ ابن حجر في (الفتح . ١٢ / ٢٥٩) : «كذا ترجم بالذمي وأورد الخبر في المعاهد وترجم في الجزية (من قتل معاهدا) كما هو ظاهر الخبر ، والمراد به من له عهد مع المسلمين ، سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم» أهـ

كما لا يجوز قتل السفراء ، ولو كانوا من بلاد محاربة ، لما رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن مسعود الأشجعي أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لرسولي مسيلمة : « لولا أن الرسول لا يقتل لضربت أعتاقكما » (انظر صحيح الألباني ٥٣٢٠) وإذا كان هؤلاء الشباب قد دخلوا بلاد الكنائيين بعهود أمان - وثيقة سفر - فلا يجوز لهم أن يفسدوا في أرض العدو غدرا .. ولا يجوز لهم الخيانة ولا نقض العهد .. وعلى هذا جرى عمل السلف الصالح (رضى الله عنهم) ومن أخل بذلك عوتب ومنع .. روى الترمذي وأبو داود عن سليم بن عامر قال : « كان بين معاوية والروم عهد ، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب ، حتى إذا انقضى العهد غزاهم ، فجهاد رجل على فرس أو يردون وهو يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، فنظروا فإذا هو عمرو بن عنبسة ، فأرسل إليه معاوية فسأل فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينيذ إليهم على سواء » فرجع معاوية بالناس. (صحيح أبي داود . ٢٧٥٩) .

قال الإمام الشافعي (رحمه الله) : « إذا دخل قوم من المسلمين بلاد الحرب

بأمان فالعدو منهم آمنون إلى أن يفارقهم ، أو يبلغوا مدة أمانهم ، وليس لهم ظلمهم ، ولا خيانتهم » (الأم ٤ / ٣٥٥)

وقال الإمام ابن قدامة (رحمه الله) : « وإن دخل المسلم دار الحرب رسولا أو تاجرا وقد جرت العادة بدخول تجارنا إليهم صار في أمانهم و صاروا في أمان منه ، لأن الأمان إذا انعقد من أحد الطرفين انعقد من الآخر ، فلا تحل خيانتهم في أموالهم ولا معاملتهم بالريا » (الكافي في فقه الإمام أحمد ٤ / ١٦١) .

وإذا كان هؤلاء الشباب قد فعلوا تلك المظالم في بلاد الكفار ، وارتكبوا تلك الجرائم ، وقتلوا الأبرياء ، باعترف ابن لادن وتسميته لأسمائهم فهذا غدر ، والغدر لا يجوز في الإسلام . فلا يحل أخذ أموال الكفار ولا سفك دمائهم بالأمن غدرا ، فهذا حرام بالاتفاق ، فقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد . قال تعالى :

﴿وَأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً﴾ [الإسراء . ٣٤] .

وقد حذر النبي ﷺ من الغدر ، فمن أنس بن مالك رضى الله عنه :عن النبي ﷺ قال: « لكل غادر لواء يوم القيامة ، قال أحدهما: ينصب ، وقال الآخر: يرى يوم القيامة ، يعرف به » (متفق عليه. البخاري الجزية . ٣٠١٥) .

ولو أن أهل دار الحرب سلبوا أموال المسلمين المقيمين عندهم أو قتلوهم فلا يجوز للمسلمين أن يفعلوا مثل ذلك بالكفار الذين يعيشون بينهم ، طالما آمنوهم ، لأن هذا غدر ، ولا يجوز مقابلة الغدر بالغدر .. روى البخاري في التاريخ والنسائي عن عمرو بن الحمق .. قال النبي ﷺ : « من أمن رجلا على دمه فقتله فانا بريء من القاتل ، وإن كان المقتول كافرا » (رواه أحمد وابن ماجه ، صحيح الجامع للألباني برقم / ٦١٠٣) .

وإذا كان هؤلاء لا يعيئون بعهود أولياء الأمور ، فكيف يهدرون عهود عامة المسلمين ، الذين آمنوا هؤلاء الذميين واستقدموهم إلى بلاد المسلمين ؟

وقد ثبت في الصحيح أن إجارة المؤمن للكتابي إجارة محترمة ، لا يجوز

الاعتداء عليها، فمن أم هانئ قالت: يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته، فلان بن هيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» (متفق عليه. البخاري. الجزية. ٣٠٠٠) ..

قال ابن عبد البر: «ولا خلاف علمته بين العلماء في أن من أمن حربيا بأي كلام لهم به الأمان فقد تم له الأمان، وأكثرهم يجعلون الإشارة بالأمان إذا كانت مفهومة بمنزلة الكلام، وأمان الرفيع والوضيح جائز عند جماعة العلماء، وأمان العبد والمرأة عند الجمهور جائز» (الاستذكار. ٥ / ٣٦) ..

وقد قام هؤلاء الشباب بقتل كثير من السياح الأجانب والعاملين المستأثمين في البلاد الإسلامية، التي دخلوها بم عهد أمان من أهلها .. وهذه جريمة غدر محرمة، سيحاسبهم الله تعالى عليها يوم القيامة .. فمثل هؤلاء الأبرياء الذين لا يشتركون في حرب ولا قتال، ولا علم لهم بحجة ولا برهان، لا يجوز قتلهم .. انظر كيف عاتب الله تعالى موسى (عليه السلام) حين قتل نفسا كافرة بغير نفس، حتى اشتد به الغم والكره؛ وتاب إلى الله تعالى، حتى غفر له، ونجاه من الغم. قال تعالى: «وقتل نفسا فنجيتك من الغم» [طه. ٤٠] ..

وانظر كيف أنكر النبي ﷺ قتل امرأة في الغزو، بكونها لم تشارك في القتال ... يعني لو أنها شاركت لقتلت، فكيف تقتل بدون مواجهة، وبدون مشاركة، وبدون قتال؟ ثم نهى عن قتل النساء والأجراء والذرية .. ويدخل في ذلك كل ما لا حظ له في القتال ولا في المشاركة فيه .. روى ابن ماجه في كتاب الجهاد عن حنظلة الكاتب قال: غزونا مع رسول الله فمررنا على امرأة مقتولة قد اجتمع عليها الناس فأفروا فقال: «ما كانت هذه تقاتل فيمن يقاتل» ثم قال لرجل: «انطلق إلى خائب بن الوليد فقل له إن رسول الله يأمرك بقول لا تقتل ذرية ولا عسيقا» (صحيح الجامع ٢٨٤٢)

والعسيف هو الأجير الذي لا يشارك في الحرب ..

عن زيد بن أبي وهب قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تنقلوا وليدا واتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب» (سنن سعيد بن منصور. ما جاء في قتل النساء ٢ / ٢٣٩) ..

وقد أوجب الله تعالى الدية في قتل المعاهد إذا كان القتل خطأ فكيف إذا كان القتل عمدا؟ قال تعالى: «وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتخفيف ربية مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما» [النساء: ٩٢] ..

مكافحة تنظيم القاعدة ..

كان الاعتداء على حرمت المملكة السعودية ومقدساتها الإسلامية من أكبر الجرائم التي وقع فيها تنظيم القاعدة، وقد استغلت الدول المعادية للإسلام تلك الجرائم في تشويه صورة الإسلام، وانتهى بها الأمر إلى مطالبة الدول العربية بتغيير مناهجها الدينية وثقافتها الاجتماعية .. وقد صرح الأمير نايف تصريحاً واضحاً أكد فيه أن المملكة لا يمكن أن تفرط في ثوابتها الدينية. غير أنه دعا إلى دراسة جذور الإرهاب، ومعرفة العلاقات الخفية للمؤسسات التي تعمل على زعزعة الاستقرار في العالم الإسلامي وتشويه صورة الإسلام، قائلاً: «إن هذه الدعوة الريانية الخالدة هي التي تمثل روح الإسلام الحقيقي دين الحكمة والموعظة الحسنة ولا تمثله الشعارات الزائفة التي يطلقها الخارجون على الإسلام والمسلمين من كهوف الظلام ليتلقفها أعداء الإسلام ويصنعوا منها صورة مشوهة أبعد ما تكون عن الإسلام. إن نبي الإسلام ﷺ هو نبي الرحمة، والإسلام هو دين الرحمة ولا يمكن أن تجتمع الرحمة والإرهاب في عقل واحد أو قلب واحد أو بيت واحد» أهـ ..

ودعا هؤلاء الشباب إلى التوبة إلى الله تعالى وترك منابذة المجتمع والاعتداء على حرماته، وحذر تحذيراً شديداً من الانغلاق حول المفاهيم الحزبية التي تضل الناس وتصرفهم عن العقيدة الصحيحة وتدفعهم إلى الشقاء وتحرمهم من السعادة، فقال: «إن سلامة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة مرهونة بسلامة فكره ومعتقدته ذلك أن الشخص الذي زعزعت عقيدته وانحرف فكره سوف يكون عرضة للتيارات

الفكرية الضالة التي تقوده إلى الهلاك والضياع وتعرض حياته وحياة مجتمعه لمخاطر عديدة» أهـ .

فكم هي الجرائم التي تعرضت لها المملكة من تنظيم القاعدة ؟

فقل لى بالله كيف استهدف هؤلاء المجرمون مكة والمشاعر والمدينة النبوية ؟ ألم يقرأوا قول الله تعالى : ﴿ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] ألم يسمعو قول النبي ﷺ : « المدينة حرم ، من كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها ، ولا يحدث فيها حدث ، من أحدث حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (رواء البخارى) أتهديد الأبرياء والاعتداء على الحرمات ومنازعة الشريعة والخروج على الأمراء من دين الله . ؟ من أجل ذلك حذر علماء الأمة من خطر تلك الطائفة على الإسلام والمسلمين وأمرهم بالتوبة إلى الله تعالى . وإلا فقد وجب التنبيه على خطرهم حتى يزول . وقد شهد الأمة أن تنظيم القاعدة تنظيم خارجى ، داع إلى الفتنة ، مستبج للدماء المعصومة ، ناقض للعهود الموثقة ، مشوه لصورة الإسلام والمسلمين . قال العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله) : « ونضجنى للمسعري والفقهي وابن كاد ومن يسلك سبيلهم أن يدعوا هذا الطريق الوخيم ، وأن يتقوا الله ويحذروا تقمته وغضبه ، وأن يعودوا إلى رشدهم ، وأن يتوبوا إلى الله عما سلف منهم ، والله سبحانه وعد عباده التائبين بقبول توبتهم والإحسان إليهم . (فتاوى ابن باز . ٩ / ١٠٠) .

وقال المحدث مقل الواصي (رحمه الله) : « إني أبرأ إلى الله من ابن لادن فهو شؤم وبلاء على الأمة وأعماله شر » (الرأى العام الكويتية . ١٩ / ١٢ / ١٩٩٨) وقال : « وقد اتصل بى بعض الأخوة من بريطانيا يشكون التضييق عليهم ، ويسألون عما إذا كان يجوز لهم إعلان البراءة من أسامة بن لادن ؟ فقلنا لهم : تبرأنا منه ومن أعماله منذ زمن بعيد ، والواقع يشهد أن المسلمين فى دول الغرب مضيق عليهم بسبب أغفركات أنتى تعديها حركة الإخوان المسلمين أو غيرهم. والله المستعان.. » وقال : « وقد جانا منهم أخوة يعرضون مساعدتهم لنا وإعانتهم حتى يدعو إلى الله ، وبعد ذلك فوجئنا بهم برسولن مالا ويطلبون منا توزيعه على رؤساء القبائل لشراء مدافع ورشاشات ، ولكنى رفضت عرضهم وطلبت منهم ألا يأتوا إلى منزلى ثانية وأوضحت لهم أن عملنا هو دعوى فقط ولن نسمح لطلبتنا بغير

ذلك» أهـ .

الدكتور سيد فضل الله المصري

« منظر تنظيم الجهاد السابق » يتهم أين الظواهري بعدة اتهامات منها :

١- العمالة . قال الدكتور فضل الله : « قال لى الظواهري : «إنه ملتزم أمام السوڤانيين بتنفيذ عشر عمليات فى مصر، وإنه تسلم منهم مائة ألف دولار لهذا الغرض» (المصري اليوم)

٢ - الإسراف فى سفك الدماء . قال : « إن عدد المسلمين الذين تسببت القاعدة فى قتلهم وتشريدهم فى بضع سنين فى كينيا وأفغانستان والعراق والسوڤية والجزائر وباكستان وغيرها يفوق بكثير عدد من قتلتهم إسرائيل أو شردتهم فى فلسطين وما حولها فى سنين ستة » (المصري اليوم .

٣ - حصر التعامل فى خيار واحد ..

قال الدكتور فضل الله : « الظواهري بحصره الخيارات المشروعة للمسلمين مع أعدائهم فى خيار واحد وهو استعمال القوة لا غير، هو كالطبيب الجاهل الذى لا يعرف من العلاجات إلا دواء واحدا يصفه لجميع المرضى دون مراعاة لاختلاف أحوالهم» (المصدر السابق).

٤ - خرب بيته بيده ..

قال الدكتور فضل الله : «عاش الظواهري ثلاثين سنة يدعو لقتال العدو القريب +الحكومة المصرية؛ إلى أن اكتشف عام ١٩٩٢م أن الأهم هو قتال العدو البعيد، وذلك بعدما أفلس عمليا فى مصر وأفلس مالياً، فالتحق بابن لادن فى +الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين واليهود؛ فى فبراير ١٩٩٩م، مع العلم بأن أمريكا لم تصطدم بجماعة الجهاد +جماعة الظواهري؛ قبل هذا التاريخ وإنما بعده، ومع ذلك فقد وضع هذه النظرية المناقضة للشرع تسارعة فى خوى ابن لادن، تنسب بها فى دمار جماعته إذ أخذت أمريكا تتخطف أصحابه ومنهم أخوه من أقطار الأرض » (المصري اليوم . أحمد الخطيب؟؟؟

الإخوان ودولة الثورة فتن الإخوان من (١٩٥٢م إلى عام ١٩٥٤م) كشف الحقائق .. وعدل الإسلام ..

لما كان التوجيه والإرشاد يستلزم علما وفقها لتنهض الجماعة وتتماسك ، وهذا أمر ليس متحققا فيهم على الوجه الصحيح مال الإخوان إلى استمالة العواطف ، واستخدام أسلوب البكاء على ماحدث في سجون شمس بدران ، سبيلا إلى كسب تعاطف الناس ، وتديم وجود الجماعة ، والسيطرة على أتباعها.. فلا بد أن يشعر الجميع أنهم أبرياء مضطهدون .. ويخدع بهم العامة والخاصة فيتبعوهم بلا دراية ، خاصة أن تجاربا على مستوى المسؤولية لم تبين حقيقة أمرهم ، فظهروا بثوب من لائشوية شائبة .. هذا أمر واضح ، فقد شغلوا الناس بقضاياهم شغلا فاق الحدود ، فأكثروا ما عرضوه في السبعينات والثمانينات في المكتبات يعبر عن تاريخهم وصراعاتهم .ليخرج القارئ في النهاية متأثرا برؤية متعلقة بالانتقام من خصوم الإخوان ، أكثر من تعلقه بعقيدة الإسلام .. وهذا هو السر الأول في نشأة تنظيم الجهاد .. ولم أجد لذلك مثلا في تاريخ الإسلام ، أن تعدل السيرة الذاتية لفئة ما عقيدة المسلم ودينه .. فكم قتل من أئمة في الإسلام ، ومع ذلك لم يقم الدين بالنواح عليهم ، وإنما أقيم الدين على أصوله وثوابته .. أما هذا الذي فعله الإخوان من استمالة العواطف بسبب ما تعرضوا له فهو يشبه ما فعله اليهود بذكرهم جرائم يختصروا وأقران هتلر فسبين الحقائق بالعدل ومن كتب القوم التي سطروها بأيديهم .. ولن ندافع عن ظلم أو نصر ظالما .. فكيف نلقى الله تعالى حاملين أوزار غيرنا .. ونحن موقوفون بين يدي الله تعالى ، مسئولون عن أفعالنا ، قال تعالى : «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» [الزلزلة ٧-٨] .

إنما نريد فقط كشف تلك الفتنة العمياء التي أحدثها الإخوان في الأمة ، ونحذر الشباب أن ينقادوا خلفهم ، بسبب تلك المشاعر ، منبهين أن الإخوان لا يسلم

الفصل الثامن

(الإخوان ودولة الثورة) النشأة والتاريخ

الأحداث والنتائج فترة ١٩٥٤م ، تنظيم ١٩٦٥م. الفتن المتابعة حتى

٢٠٠٩م

كشف الحقائق .. وعدل الإسلام

شخصية الهضيبي .. معاملة الوصي أو تهيج البلاد ..

حسن الهضيبي في عيون الإخوان ..

الواجهات المشتعلة من ١٩٥٢م ، ١٩٥٤م ..

خاتمة أحداث ١٩٥٤م .. حادث المنشية ..

الواجهة الثانية ..

أسرار القبض على ثلاثة آلاف إخواني ! عام ١٩٦٥م .

نشأة سيد قطب ودوره مع الثورة ..

لماذا دخل سيد قطب السجن عام ١٩٥٤م ؟ ..

هل حوكم سيد قطب من أجل إعلان الحاكمية ؟ ..

فتنة السبعينيات ..

١- التشيع على الملأ ..

ماذا كان يقصد الرئيس السادات بكلمة : « لا دين في السياسة » ؟ ..

طرق التعامل مع الحكام ...

٢- معاهدة السلام ..

الإمام الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ومعاهدة السلام

العلامة عبد العزيز بن باز ومعاهدة السلام ..

تناقضات الإخوان العملية ..

الفتن المعاصرة في مصر ..

٢- حقيقة اللقاءات السرية بالغرب ..

محاولات قذيفة واتصالات مرمية بين اتصال فرنسا و«بلنت» الإنجليزي

لهم فيما يقولون ، لأنهم لو اتفقوا على تشويه صورة أحد ما بلغ مبلغهم أحد ومهما كان من أمر خصوم الإخوان باختلاف صورهم فهذا لا يمنع أن تظهر حقيقة ما قاله الإخوان في حق خصومهم ، لنعرف من كانت البداية .. وقد أمر الله تعالى بالعدل والإنصاف مع كل البشر ، قال تعالى : «ولا يجرمكم شئنا قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى» [المائدة: ٨] . وقال تعالى : «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون» [الأنعام: ١٥٢] .

قال شيخ الإسلام : « ومعلوم أننا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة ، مثل الملوك المختلفين على الملك ، والعلماء والمشايخ المختلفين في العلم والدين ، وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل لا بجهل وظلم ، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقا ، لا يباح قط بحال » (منهاج السنة النبوية : ٥٠ / ١٢٦) .

ومن شدة حب السلف للعدل أن حكموا به في كل شيء ، ولو على أنفسهم ، فأعطوا كل ذي حق حقه .. حتى إن الرجل منهم كان يسأل عن أبيه فيقول : " أبى ضعيف " .. وآخر يسأل عن ابنه فيقول : " ابني ضعيف . هذا هو الدين " .. وما أكثر ما قيل عنه في كتب الجرح والتعديل " كذاب " .. صيانة للدين والملة .. فقد كانوا يحكمون بالعدل فيما بينهم وبين خصومهم ، حتى ولو كانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. انظر إلى ابن كثير (رحمه الله) وهو يلوم خوارجم شاه في تصرفه مع رسول جنكيزخان ملك التتار ، حين طالبه بمعاقبة نائبه الذي أمر بقتل التجار المؤمنين ، الذين هم عمارة المدن ، وسلب أموالهم ..

قال العماد ابن كثير : « فلما سمع خوارجم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير ، وقد كان خرف وكبرت سنه ، وقد ورد الحديث : « اتركوا الترك ما تركوكم » فلما بلغ ذلك جنكيزخان تجهز لقتاله وأخذ بلاده فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أشنع » (البداية والنهاية . ١٣ / ١١٩) .

هذا هو العدل المطلق في الإسلام ... فبالعدل يفتح الله العقول ، ويشرح الصدور .. فربما رجل أنصفته صار لك صديقا حميما ووليا كريما .. فمقصودنا من العدل وغايتنا فيه بعد إرضاء الله تعالى فتح أبواب الهدى والخير لطائفة من الناس صدمهم عن الخير ما وجدوا في دعوة الإخوان من الخلل والوهن والكذب ، والبعد عن سنة النبي ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم) ..

شخصية الهضيبي...

من الضروري جدا دراسة شخصية المرشد الثاني لجماعة الإخوان حسن الهضيبي فهي سبب نكبة الإخوان في زمن فاروق ، وفي زمن عبد الناصر .. ولم يكن لي السبق في القول بذلك فقد سبق إليه الأستاذ البهي الخولي عندما كان يجمع توقيعات أعضاء 'مكتب الإرشاد ' خلغ المرشد ، ويحمله مسئولية ما وصل إليه الإخوان من نكبات عام ١٩٥٤م ، قائلا : « إن المسئول عن الوصول إلى هذا الحد هو المرشد . وإذا كنا نريد إنقاذ الإخوان بما ينتظرونهم فعلينا أن ننحى المرشد العام لننهج نهجا جديدا » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤٠٠)

وقد اتفق الإخوان على ذلك بعد هروب الهضيبي ، واختفائه عن الأنظار ، حيث قام البهي الخولي : « فجمع التوقيعات خلغ المرشد لما آلت إليه الأمور ، وتفاقمت سببها الأحداث فقال : وتقدم بعض الإخوان بمقترحات كان أهمها وأخطرها اقتراح الأستاذ البهي الخولي بإعلان الإخوان خلغ الأستاذ الهضيبي من منصب المرشد العام ، وقد استغرقت مناقشة هذا الاقتراح أكثر الوقت . وكان الأستاذ البهي الخولي جادا أشد الجد في عرض اقتراحه هذا ، وجمع توقيعات أكبر عدد من إخوان الهيئة التأسيسية بالموافقة عليه . وكانت وجهة نظره تلخص في : « أنه يرى أن الأحداث تتفاقم يوما بعد يوم ، وقد بلغت حدا لم يعد في طاقة الإخوان تحمله ، وأن كيان الدعوة أضحي في خطر لاسيما بعد اختفاء المرشد العام - الذي يعده الأستاذ البهي هروبا من المسئولية ، ودليلا على أن الأحداث قد وصلت في تفاقمها إلى الحد الذي لا يستطيع هو شخصيا (يقصد المرشد) الثبات أمامها » (أحداث صنعت

التاريخ. ٣ / ٤٠٠).

فلم يكن للأستاذ الهضيبي أى خبرة فى التعامل مع الجماعات والمنظمات والهيئات فكيف بالتعامل مع مجلس قيادة الثورة !. قال المستشار المأمون حسن الهضيبي : « ليس له خبرة بإدارة مثل هذا العمل ، فهو قاض تعود على دراسة القضايا ثم الحكم فيها، بل حتى لم يشارك فى إدارة ناد مثلاً... » (المجتمع الكويتية ٥ / ٢٠٠٣م).

ولم تكن شخصية الهضيبي مناسبة لتلك الأحداث ، ويرجع ذلك لكونها تربت على فكر التنظيمات السرية ، والبيعات المستقلة ، والعمل بمنطق الدولة داخل الدولة ، والاعتلال بمنصب المرشد ، الذى لا يحق لأحد مهما كان أمره أن يفعل شيئاً إلا بعد إذنه .

التفاف من مقابلة الملك فاروق ١.

كان الأئمة يحرصون على عدم الوقوف على أبواب السلاطين مخافة الفتنة ، إلا إذا اقتضت النصيحة والمصلحة . إلا أن الهضيبي كان يتأفف من مقابلة الملك فاروق ، لا من باب خشية الفتنة ، ولكن من باب أنه أكبر من ذلك ..

فى ٢١ / ١١ / ١٩٥١م طلب الملك فاروق ملك مصر مقابلة الأستاذ الهضيبي وأرسل إليه مندوبه الخاص " كريم ثابت " ليعرض عليه الأمر :

« فآخبره أنه لا يستطيع أن يوافق على ذلك إلا بعد عرض الأمر على مكتب الإرشاد ووافق مكتب الإرشاد » (وعرفت الإخوان . ص / ٦٧) وحين وافق الهضيبي على لقاء الملك فاروق طلب منه كريم ثابت أن يأتى لأبسا بدلة "ردنجوت" فقال له : « ليس عندى ، فقال كريم ثابت : سأبحث إليك بواحدة .. قال الأستاذ : فلما رجعت إلى المنزل وجدت بدلتين من الردنجوت قد بعثوا بهما لأختار أنسبهما لجسمى .. فلما كان يوم المقابلة قررت ألا ألبس الردنجوت .. وحين جاء الميعاد حضر كريم ليصحبني إلى القصر .. فوجدني يبدلنى العادية .. فسألنى ألم تصلك البدلتان الردنجوت ؟ فقلت : قد وصلتا ، وسلمتهما له ، وقلت له : إننى قررت ألا أقابل

الملك إلا بملايسى العادية هذه .. وإن لم يكن مسموحاً به فأرجو إلغاء المقابلة ، لأننى لم أطلبها حتى تشتتوا على شروطها. » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥١٣)

ترى ما المانع من المقابلة ؟ يقول التلمسانى : « وكان من المتوقع أن يطلب الأستاذ الهضيبي مقابلة فاروق للمشاركة فى إنقاذ الوطن بما كان ينحدر إليه فى جميع نواحيه ، ولكنه رفض خشية أن يقال عنه إنه يسعى لمقابلة ، ولأنه كان يرى أن وضعه كمرشد للإخوان المسلمين فوق ذلك بمراحل واسعة ، وهو أحرص ما يكون على هذه الكرامة التى منته الله بها فى مراحل حياته » (ذكريات لا مذكرات . ص / ١٠٨)

فالهضيبي أكبر من المقابلة بمراحل ٢.

ولكن أين ذهبت تلك المراحل عندما سعى إلى عبد الناصر ؟

قال محمود عبد الحليم : « ولقد سعى الهضيبي للقاء عبد الناصر يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢ فى منزل صالح أبو رقيق ، ليقول له هذه الكلمات ، ويطمئنه أن الإخوان جميعاً من ورائه » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٥٩)

وأين ذهبت تلك المراحل عندما زار السعديين فى أسيوط ، وأعلن استعداده لزيارة إبراهيم باشا عبد الهادى ' رئيس وزراء مصر ' متحدياً إخوانه فى الجماعة ، كما نقل صالح عثمانوى فى (مجلة النذير . عدد ٥١٠١ . ٥ يناير ١٩٥٤م) قائلاً « وفى اجتماع الهيئة التأسيسية أثبتت المسألة وثار الإخوان لهذه الزيارة ، وطلبوا من الأستاذ المرشد ألا يزور أحداً من السعديين مرة أخرى ولكنه ثار عليهم وقال : سأزور السعديين وسأتصل بإبراهيم عبد الهادى أيضاً متحدياً بذلك شعور الإخوان وعواطفهم ». أه .. فأتى شيء طمع فيه الهضيبي حين فكر فى زيارة إبراهيم عبد الهادى بينما كان متأففاً من زيارة الملك فاروق ، وهو يعرض عليه ما يتمناه من العمل للإسلام ؟

لم يكن الهضيبي مقتنيا آثار حسن البناء، فقد كان حريصاً أشد الحرص على لقاء الملك فاروق ، وذلك عقب صدور قرار حل الجماعة ..

قال محمود عساف : « وعندما قررت حكومة النقراشي حل الإخوان

المسلمين . كان الإمام حسن البنا حرصاً على مقابلة الملك فاروق بأي وسيلة ولو في السر « (مع الإمام الشهيد ص / ١٥) وهم يهرولون الآن في طلب مقابلة الرؤساء (انظر نافذة مصر نت . ١٨ / ٤ / ١٤٢٧هـ) .

لقاء الهضيبي مع الملك فاروق ...

تم لقاء المستشار الهضيبي مع الملك فاروق ملك مصر بعد موت حسن البنا بعامين تقريبا ، وفي هذا اللقاء عرض الملك فاروق على الهضيبي رغبته في العمل للإسلام ونسيان الماضي ، وأكد له أن الإنجليز راحلون ، ولكن القضية في الشيوعية لأنها ضد الدين ، كما في (مجلة الدعوة . عدد ٨٢- ١٩ ذى الحجة ١٣٧١ هـ الموافق ٩ / ٩ / ١٩٥٢م) قال الملك : « إن الإنجليز خارجون من البلد حتما ، ولكن الخوف من الشيوعية وهي لا تتفق مع الدين » . وبين له أنه مسلم يحب الإسلام ويحب له الخير . قال محمود جامع في كتابه « وعرفت الإخوان . ص / ٦٨ » : « وحضر الملك إلى مكتب السكرتارية وسلم عليه الهضيبي معتدل القامة شامخا .. وأخذته الملك من يده مصطحبا إياه إلى غرفة مكتبه .. ووجه إليه الحديث قائلا : لا أدرى لماذا يسعى الإخوان المسلمون الظن بي ؟ فلم يرد عليه الهضيبي ؟ وعاد يقول : إني مسلم وأحب الإسلام وأتمنى له الخير ، وقد أمرت بإنشاء مساجد كذا وكذا فلماذا يكرهني الإخوان ؟ . ولم يرد عليه الهضيبي أيضا . الخ » أهـ وأقسم بالله العظيم أنه لم يأمر بقتل حسن البنا . فقال : وعاد الملك يقول : إن الإخوان قد فهموا خطأ أنني أنا الذي أمرت بحلهم واعتقالهم وابتغتيال الشيخ حسن البنا ، وهذا والله العظيم خطأ ولم أفعل من هذا شيئا ، والذي فعل ذلك هم السعديون ، النقراشي وإبراهيم عبد الهادي ، وفي اللحظة التي تمكنت فيها أقلت إبراهيم عبد الهادي ، وأمرت الوزارة التي عينتها بالإنفراج عن الإخوان . والهضيبي لا يرد . واستمر الملك في استعراض تاريخه وما عمله من خير ، ونسب كل عمل سيء لغيره . وبين لحظة وأخرى يقول : لماذا يكرهني الإخوان إذن؟ والهضيبي لا يرد .. الخ . وفي نفس العدد من مجلة الدعوة ، وانظر محمود جامع في كتابه « وعرفت الإخوان » قال الملك : « ما رأيك يا حسن بك في كل ما قلته ، وفي أنني على استعداد أن أعمل للإسلام ؟ فرد عليه الهضيبي قائلا :

سأعرض ذلك على الإخوان .. الخ » ..

وما لم يذكره محمود جامع . مما جاء في مجلة الدعوة : أن الملك كلف وسيطا بينه وبين حسن الهضيبي ، كي ينقل إليه ما يريد أن يبلغه للملك ، بشأن العروض السابقة ، ولكنه لم يسترح لهذا الوسيط ، فتجاهله ولم يكلفه بأي شيء .. وأغلق باب النصيحة والموعظة ..

الهضيبي بعد المقابلة .

لم يستقبل الهضيبي كلام الملك بالفرح والسرور ، كما يستقبله أي داع إلى الخير ولم يرد ولم يتكلم ، وإنما أرجأ الجواب على عرض الملك حتى يعرف رأى مكتب الإرشاد ، فالتكبت أعلى سلطة وأكبر مكانة . وهذا غير صحيح فقد تجاوز عن أمر هيئة المكتب في زيارته للسعديين ! . والحقيقة أن الهضيبي لم يقبل من الملك شيئا ، لأنه كان يراه ضعيفا ، لا يستحق أن يقف بجواره .. وكان ينتظر أن يجهز لإسقاطه ..

وعلى الرغم من أن الملك فاروق قابل مرشد الإخوان مقابلة كريمة ، كما ذكر في نفس المصدر من مجلة الدعوة ، وكما حكى التلمساني بقوله : « وفي هذه المقابلة كان محل احترام الملك وتقديره فعبّر عنها بأنها مقابلة كريمة وهو صادق في قوله ولم يقل : إنها مقابلة بناء أو خلاقة أو حلت الكثير من المشاكل ، ولكن ما دام الملك قد قدره واحترمه فهي مقابلة كريمة » (ذكريات لا مذكرات . ص / ١٠٨) .

وعلى الرغم من أنه اصطحه من يده ، وأجلسه إلى جواره ، وابتدأه بالسلام ، كما نقلت مجلة الدعوة الإخوانية ، كما تقدم : « وأخذته الملك من يده مصطحبا إياه إلى غرفة مكتبه » أهـ . إلا أن الهضيبي عامله بكل صلف ، فوضع ساقا على ساق ، وتركه يتكلم ويسأل ، ولا يرد ، وحكى بعد المقابلة أنه كان في مقابلة طفل صغير .. قال محمود عبد الحليم : وقال لي الأستاذ - الهضيبي - : « والواله يا فلان لقد كنت أشعر وأنا أصفح ذلك الرجل ثم وأنا أجلس معه أنني أمام طفل صغير ، لا أشعر نحوه بأي رهبة ولا حتى باحترام » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥١٥) ..

هذا هو شعور الهضيبي .. فماذا كان جوابه ؟

والجواب يحكيه محمود جامع قائلا : « وبعد المظلة بيوم واحد حضر إلى المركز العام للإخوان المسلمين كريم ثابت باشا ومعه صورة فاخرة للملك فاروق في إطار فاخر (مهدها إلى صاحب العزة حسن إسماعيل الهضيبي بك المرشد العام للإخوان المسلمين) وموقعة بتوقيع الملك فاروق وقدمها كريم ثابت إلى المرشد العام طالبا تعليقها في مكتبه ، وبعد خروجه رفض الهضيبي تعليقها في أى غرفة في المركز العام ولا في منزله ، وكانت ملقاة في غرفة الحمام في منزله ، وقال الهضيبي (هذا هو مكانها) » (وعرفت الإخوان . ص / ٦٨) .

فالهضيبي أمام الملك لا يرد ولا يتكلم ، وأمام الأنظار والصحف يقول " مقابلة كريمة الملك كريم " ، ويبدأ عن الأنظار يقول عن صورة الملك : " هذا هو مكانها في الحمام " ثم بعد ذلك يقول : إنه " طفل صغير " فأين ذهب سجل التبرعات الملكية .. ؟

الجزء من جنس العمل ...

لم يقتصر الهضيبي الفرصة التي أقر فيها الملك برغبته في العمل للإسلام ، وأنه يحب الدين وأهله ، وتعامل معه بكل غرور ، حتى أورثه الله زمنا عسيفا على أنامله ، وعوقب بما تعالى به ، فلم يزل حقا ما هيا له ، فقد كان ينتظر زوال ملكة فاروق ، ليركب على دولة عبد الناصر ، فابتلى بعبد الناصر وأذن له ، فلم يضع ساقا على ساق كما وضعها أمام الملك ، وإنما ضرب كفا على كف ، ولم يجد معه حيلة ولا سبيلا ، حتى قال له كما في رسالته لحسن عشاوى : « قل لعبد الناصر نحن مستعدون أن نسلمه مفتاح المركز العام (أى ننهي وجودنا كجماعة ولا تراق نقطة دم واحدة من أى مصرى » (آفاق عربية . عدد ٦٤٨) وحسب رواية محمود عبد الحليم فال المرشد : « يا جمال عندما تشمر بضيق من الإخوان أبلغنى وأنا أسلمت مفتاح المركز العام ، ونقلها حتى لا تقع فتنة » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١) .

وانتهى الأمر بهروب الهضيبي من إدارة المركز العام للإخوان ، وترك الميدان خاليا ، وترك أصحابه يتخبطون ، لا يدرون ماذا يفعلون ، وليس في يد أحدهم قرار -

وهكذا الإخوان إذا فقدوا مرشدهم - واختفى المرشد في الإسكندرية ، ولم يعد يملك من أمر نفسه شيئا ، ولا من أمر الدعوة كذلك ، وصار يصدر تصريحات نارية ، دعا فيها إلى الانقلاب على الثورة وتكفير الضباط ، الذين اعتبر حركتهم في أول الأمر حركة إصلاحية .. فأى شيء كان يريد بهذا الإعراض ؟ لقد سكت الهضيبي أمام الملك ، ولم يرد على أطروحاته ، ولم يقل له نريد شرع الله وسنة رسوله ﷺ ، وإنما قال سنعرض الأمر على المكتب ، ووضع الفرص المتاحة له في العمل للإسلام ، لأنه لم يقبل قسم الملك في عدم المشاركة في مقتل حسن البنا ، وأن الذى قتل حسن البنا هم السعديون . تلك هى ملامح الدعوة الإخوانية : ظلمات بعضها فوق بعض .. تضيق للفرص .. عدم الموازنة بين المصالح والمفاسد .. عدم الدراية بمكانة الملوك والأمراء .. مقابلة الملك تحط من كرامة المرشد .. لا يقبل لقاء الملك المتعلق في عنقه بيعة له إلا بعد موافقة مكتب الإرشاد . لا يقبل لبس البذلة الرديئة ، لأنه لا يقبل الشروط . لا ينزل ساقا عن الأخرى علوا وكبرا . فهل كان هذا داعيا إلى الله تعالى أم كان داعيا إلى الإخوان ؟ لقد وضع الهضيبي مقتل حسن البنا في كفة والإسلام في الكفة الأخرى ، فاختار حسن البنا ووضع الفرصة المتاحة للإسلام !

معاملة الوصى أو تهيج البلاد ..

كما لم يستطع الهضيبي التعامل مع الملك فاروق بمنهج الرعيل الأول ، وكان فتنة له ، كذلك لم يستطع التعامل مع ضباط الثورة بمنهج أئمة السلف .. وإنما كان يتعامل بمنطق القاضي ، الذى يشغله التجهيز لحيايات الحكم ، قبل أن يشغله أى شيء آخر ، من أمور الدعوة والتعليم والتميز بين المصالح والمفاسد ، فإنه لم يكن يتقن ذلك ، وكان يتعامل بمنطق الوصى على القصر والمحجور عليهم ..

وقد كان هذا من جملة الأسباب التى أدت إلى إنشاء بذور العداوة بين سباط الثورة وحركة الإخوان .. ولم يكن للأستاذ الهضيبي كفاض متميز في القانون الوضعى مكانة علمية متميزة في علوم الشريعة الإسلامية ، ولم يكن له حجة مع ضباط الثورة في المفاهيم السياسية ، حتى يكون مقنعا لهم ، ولم يكن له قوة في

التأثير، ولا علم بالحديث، ولا فصاحة في البيان، وهي أمور لازمة في تلك المواقف، وإنما كان يسكت، كما سكت أمام الملك، وإذا تكلم تكلم في حيز الأنفة، وعدم الإقبال على المدعو. قال القرضاوى: « كانت شخصية الهضيبي شخصية القاضي يستمع كثيرا ويتكلم قليلا، فإذا تكلم كان حكما صارما يجب على الآخرين الإذعان له، وينفذ بكل دقة، ولم تكن لديه مؤهلات الخطابة والمحاضرة والتصنيف » (آفاق عربية ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ).

فهو متأثر بالمدلول اللفظي لكلمة المرشد. تلك الكلمة التي تؤكد مفهوم الوصاية على الغير. وصورته في إيران هي نفس صورتها عند رئيس وزراء فلسطين المقال حيث يرأسه خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس .. كما هي كذلك صورتها عند الإخوان المسلمين ذراع الشيعية في مصر .. فالدولة في إيران لها مرشد روحي، ولها رئيس تنفيذي، والمرشد وصى على الرئيس ووصى على الأمة، وكذلك عند الإخوان .. فقد سئل محمد عاكف من قبل الأستاذ عبد زينة مراسل " الشرق الأوسط " عن موقف الإخوان من الترشح للانتخابات الرئاسية، فقال: « لن أترشح نفسي لأنني في موقع لا يجوز فيه أن أترشح لرئاسة الجمهورية، ولكن هناك من الإخوان من يستطيعون أن يقودوا هذه الأمة إلى الحرية والخير والعدل.

- هل تقصد أن منصب المرشد العام أفضل من منصب رئيس الجمهورية؟ - ليس أفضل، ولكن مسؤوليته أكبر من مسؤوليات رئيس الجمهورية، فأنا أعين على صلاح هذا البلد. كما أن تنظيم الإخوان عالمي ودولي، وأنا خادم للدين الإسلامي والأمة، ولا شأن لي بالرئاسة » (الشرق الأوسط ١٢ مايو ٢٠٠٥).

وفي رسائل الهضيبي لضباط الثورة ما يبرهن على إيمانه بمفهوم الوصاية على الحكماء، فقد ذكر محمود جامع نقلا عن الأستاذ حسين الشافعي أن الهضيبي قال له بعد انتقادات وجهها لرجال الثورة: « ولا بد أن يكون الأمر شورى، وأن يعرض على الإخوان أى قرار أو قانون جديد قبل إصداره كسابق الاتفاق، وقال له بلغ جمال ذلك، وقال له أيضا: (أنتم مش ناعمين) (وعرفت الإخوان. ص/ ١٠٣)

وذكر محمود عبد الحليم أن الهضيبي هرب رسالة من سجنه، ذكر فيها أنه: « من أوجب الواجبات على الإخوان المسلمين أن يذكروكم بأنه لا يمكن أن يبت في شئون البلاد في غيبتهم » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٧) ..

ومن أعجب ما قرأت في أمر الوصاية أن الإخوان عابوا على الشيخ الباقورى قبول منصب وزير الأوقاف، وانهموه بالنفاق وحب الدنيا، بسبب أنه كان متعلقا ببيعة إخوانية؛ وهذا يجعله بالضرورة لا يتصرف ولا يستجيب للداع، ولو كان رئيس الدولة، إلا بعد استئذان المرشد. بل ولا حق لرئيس الدولة أيضا أن يباشر مهامه إلا بعد استئذان المرشد. يقول التلمساني: « إن عبد الناصر أختار الباقورى وزيرا للأوقاف دون أن يخطر المرشد ودون أن يستأذن الباقورى مرشده، رغم ما كانت في عتقه من بيعة » (ذكريات لا مذكرات).

ومع ذلك يزعم الإخوان أن المرشد لم يجعل نفسه وصيا على الدولة. وللعلم فقد كان اختيار الشيخ الباقورى وزيرا للأوقاف في رئاسة محمد نجيب الذى بايعه الإخوان جميعا في مظاهرة عابدين .. وقد أظهر الهضيبي رغبته في الوصاية على الثورة عند اختلافه مع الضباط في العدد الذى يتحدد به الملكية. حيث كان عبد الناصر يرى أن تحدد الملكية بمائتى فدان، بينما كان يرى الهضيبي أن تحدد بخمسمائة فدان. فقال: « إنه لكي تؤيد هيئة الإخوان الثورة أن يعرض عليه أى تصرف للثورة قبل إقراره، فرد عليه البكاشى جمال عبد الناصر: إن هذه الثورة قامت بدون وصاية أحد عليها، وهى لن تقبل بحال أن توضع تحت وصاية أحد، وإن كان هذا لا يمنع القائلين على الثورة من المشاور في السياسة العامة مع كل المخلصين من أهل الرأى دون التقيد بهيئة من الهيئات. ولم يلق هذا الحديث قبولا في نفس المرشد» (في قافلة الإخوان. ص/ ٣٧١).

ولقد كان لتجاهل الهضيبي لمخالفته واستعلائه عليهم، وضعفه البالغ في التودد إليهم، وسكوته في مجالسهم، كان ذلك حائلا دون تحقق الخير للبلاد والعباد، وهذا هو الذى بينه عبد الناصر لأعضاء الهيئة التأسيسية، قائلا: « كنت حريصا منذ

قيام الثورة على أن أتناول مع المرشد العام في الشؤون الهامة للدولة ، ولكننى لا حظت أن المرشد العام لا يهتم بلقاءى وزملائى معه ، بل ينظر إلينا نظرات لا نشعرنا بالتقدير ، حتى إننى عقب كل اجتماع لنا معه كنت أشكو هذا الشعور إلى صلاح سالم ، الذى كان يرافقنى فى أكثر هذه الاجتماعات ، التى كانت تتم عادة فى بيت المرشد ، شعرت بمهانة وعدم مبالاة بى لم أتمودها فى حياتى ، إلى حد أننى قررت أن أقطع اتصالاتى بهذا الرجل .. وقلت لصلاح : إن الاجتماع القادم تذهب إليه وحدك ، لأننى لم أعد أطيق هذه المعاملة. ولكن صلاح رجائى أن أحضر معه الاجتماع القادم على أن تكون هذه آخر مرة إذا حدث فيها ما يحدث عادة فلن أرغمك بعد ذلك .. قال جمال : وذهبت أنا وصلاح إلى منزل المرشد العام ، وجلسنا فى حجرة الصالون حتى دخل علينا وألقى علينا السلام وجلس دون أن يتكلم ، وطال صمتنا .. وصمت الرجل الذى كنا ننتظر أن يتدربنا بالكلام ، كما هو معتاد باعتباره صاحب البيت ونحن ضيوفه ، إلا أن الرجل اعتصم بالصمت حتى تصيب العرق من وجوها خجلا ، لأننا شعرنا كأننا نحن دخلاء اقتحمنا على الرجل بيته دون رغبته ، مع أننا كنا على موعد «(أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤٠٤) .

لغة الخطاب عند الهضيبي .

فى لقائه مع الملك فاروق جلس الهضيبي أمام الملك واضعا ساقا على ساق ، ولم يتراجع عندما انتبه إلى ذلك .. قال : « إننى سهوت عن نفسي وتنبهت فوجدت نفسي فى وضع عجيب !! وجدتني جالسا على القوئل واضعا إحدى رجلي على الأخرى !! ففكرت فى الرجوع إلى الجلسة المناسبة ، ولكننى قررت ألا أغير هذا الوضع وظللت كذلك حتى انتهاء المقابلة ... » (مجلة الدعوة . عدد ٨٢ - ٩ / ١٩٥٢م) (وعرفت الإخوان . ص/ ٦٨) وفى لقائه مع الأستاذ حسين الشافعى " نائب رئيس الجمهورية " أرجأه فى غرفة الانتظار - فى بيته ساعتين كاملتين - دون أن يقبله ، ثم حضر وسلم عليه وجلس كذلك "واضعا ساقا على ساق " - كما وضعها من قبل أمام الملك - والكلام للأستاذ محمود جابع ، فى نفس كتابه (وعرفت الإخوان . ص/ ١٠٣) وفيه كذلك أن السيد حسين الشافعى قال للهضيبي

« لو كان حسن البناء على قيد الحياة ماعاملنى هذه المعاملة»أهـ

هل أنزل الهضيبي ساقه فيما بعد أم بقى على حاله ؟

والجواب يحكيه محمد عبد الحليم حامد فى كتابه (مائة موقف من حياة المرشدين . ص/ ٧٨، ٧٩) قائلا : « كان من عادة الأستاذ الهضيبي أن يجلس فى الزنزانة واضعا رجلا على الأخرى . وفى أحد الأيام دخل عليه صلاح الدسوقي الششتاوي أركان حرب وزارة الداخلية (وكان يومئذ عبد الناصر وزيرا للداخلية) ومحافظ القاهرة فيما بعد.. فبقى الأستاذ الهضيبي كما هو .. ولم يقم ، ولم يغير جلسته (فاشط الششتاوي غضبا) ثم قال : أيعجبك ما أنت فيه يا هضيبي؟ فأجاب المرشد: نعم .. يعجبني ما أنا فيه. قال الششتاوي : هل يعجبك وضع هؤلاء ؟ وأشار إلى الإخوان .. لقد جثت بهم إلى السجن.. وجرت عليهم البلاء والتشريد ، وتسببت فى ألم أهلهم وأسرههم.. فقال المرشد : هل اشتكى أحد منهم لك ؟ عندما يشتكى أحد منهم لك تعال وأخبرني .. اذهب إلى أي أحد منهم واسأله (هو يبلعن مین ؟) فملق المؤلف قائلا : فيمت الششتاوي وأفهم» أهـ

التلمسائى يضع الساق على الساق ..

لم يكن الهضيبي بمفرده الذى كان يضع ساقا على ساق ، بل إن المرشد الثانى عمر التلمسائى كان كذلك أيضا ، وذلك فى أول لقاء تم بعد الثورة بين الضباط والإخوان فى منزل الهضيبي ، قال : « جلست كعادتى على مقربة من الباب . وجاء عبد الناصر وقدم لى تحية . فقبلتها ، وكنت أضع رجلا على رجل .. وكان مقتضى اللياقة والأدب أن أفق أو أن أنزل ساقى عن وضعها ، والرجل يقف أمامى .. وفى ثوان دارت معركة فى خاطري . إن ظللت جالسا فقد خالفت قواعد البروتوكول، وإن وقفت فقد يظن بى البعض أنى أفق لرئيس الوزراء نفاقا لا لياقة . فائتر أن أكون مخالفا لقواعد اللياقة على أن يظن بى أنى منافق وبقيت على حالتي، وما أظن عبد الناصر قد نسى ذلك» (بعض ما علمنى الإخوان . ص/ ٥٧ . مطبعة دار الثقافة) .

قلت : لقد كانت معركة نفسية خائبة ، زرعت بذور العدواة والبغضاء في السياسة بغير حكمة ولا بصيرة ..

بصيرة أئمة السلف ..

لم يكن للإخوان بصيرة في الدعوة إلى الإسلام ، ولم يكن لهم نظر في المصالح والمفاسد . انظر إلى فقه أئمة السلف في التعامل في مثل هذه المواقف ، وقارن بينه وبين فقه هؤلاء ، لتعلم وزن قادة الإخوان في التعامل مع الساسة .

وشتان ما بين الثرى والثريا ..

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة في ترجمة عبد الله بن حذافة : ومن مناقب عبد الله بن حذافة ما أخرجه البيهقي من طريق ضرار بن عمرو عن أبي رافع قال : « وجه عمر جيشا إلى الروم وفيهم عبدا لله بن حذافة فأسروه ، فقال له ملك الروم تنصر أشركك في ملكي فأبى ؛ فأمر به فسلب وأمر برميه بالسهام فلم يجز ، فأنزل وأمر بقدر فصب فيها الماء وأعلى عليه وأمر بإلقاء أسير فيها ، فإذا عظامه تلوح فأمر بإلقائه إن لم ينتصر ، فلما ذهبوا به بكى ، قال : ردوه .. فقال : لم بكيت ؟ قال : غنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله . فعجب .. فقال : قبل رأسي وأنا أخلي عتك . فقال : وعن جميع أسارى المسلمين . قال : نعم .. فقبل رأسه فخلى بينهم ، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه .. »

قال ابن حجر : « وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهدا من حديث ابن عباس موصولا وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري » أهـ

وقد كان الإمام ابن تيمية على بصيرة كبرى في سياسة الملوك والأمراء .. كان ينظر في مصالح المسلمين ولا يوردهم الممالك .. فقد خرج إلى مقابلة الغازان ملك التتار ، ليمتعه من مساعدة ملك الكرج على المسلمين في دمشق ، ليحفظ دماء المسلمين ، وأعرضهم ، لا ليعين عليهم بجهالة ، كما فعل الهضيبي مع الإخوان المسلمين .. قال العلامة محمود شكري الألوسي (رحمه الله) :

« وأخذ الشيخ في الكلام معه في عكس رأيه من تسليط المخذول ملك الكرج

على المسلمين ، وأخبره بحرمة دم المسلمين ، وذكره ووعظه فأجابه إلى ذلك طامعا وحقت بسببه دماء المسلمين وزواربهم وصين حرمهم .. » (غاية الأمانى ٢ / ١٧٠ - ١٧٧) .

حسن الهضيبي في عيون الإخوان ...

تلك المعاملة التي تعامل بها الهضيبي مع مخالفه كانت حجر عثرة أمام الدعوة إلى الله تعالى ، وقد أدرك مخازيها كثير من الإخوان .. من هؤلاء 'الأستاذ أحمد عبد العزيز جلال ، الشيخ محمد الغزالي ، الأستاذ صالح عسماوى ، الشيخ سيد سابق . من الهيئة التأسيسية ..

اتفقوا جميعاً على احتلال المركز العام لجماعة الإخوان ، وأعدوا خطة لاقتحام منزل المرشد العام ، ودفعه إلى الاستقالة ، ونشروا بذلك بيانات في الصحف ، وكانت معركة حامية الوطيس ، ترتب عليها فصل الثلاثة الأول من الهيئة التأسيسية .. وفي حشبات قرار الفصل اتهمهم بالكذب ، وقالوا عنهم : « إنهم اعتصموا في دار المركز العام ، وظاهروا الشباب المعتصمين وجروهم على ذلك ، وبذلك خرجوا على القانون ، أنهم ادعوا كذباً أن المرشد العام أعلن استقالته على الملأ .. الخ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٢٤٨) .

وقد أرجع صالح عسماوى قرار الفصل إلى مرض أصاب الدعوة الإخوانية بسبب الهضيبي ، فقال : « يخطئ من يظن أن الأحداث الأخيرة في محيط الإخوان كانت نتيجة لقرار المكتب القاضى بفصل أربعة من خيرة الإخوان ، من غير توجيه اتهام إليهم أو تحقيق معهم ، وبدون إبداء أسباب ، إنما الحقيقة أن هذا القرار كان عرضاً لمرض أصاب الدعوة منذ مجيء الأستاذ حسن الهضيبي مرشداً عاماً للجماعة ، وتبدو أعراض هذا المرض تارة في تصرفات المرشد العام وأخرى في قدرات مكتب الإرشاد ومرة ثالثة في الهيئة التأسيسية » . (مجلة الدعوة . عدد ١٥١ . ٥ يناير ١٩٥٤م) .

٢ - ومن الذين اعترضوا على وجود الهضيبي وانتقوا على خلعه من رئاسة مكتب الإرشاد أغلب أعضاء الهيئة التأسيسية . وقد اتفقوا على ذلك بعد هروب الهضيبي ، واختفائه عن الأنظار ، حيث قام البهي الحولي : « فجمع التوقيعات لخلع المرشد لما آلت إليه الأمور، وتفاقمت بسببه الأحداث » (أحداث صنعت التاريخ . ٣٠ / ٤٠٠) .

٣ - وكان أفراد النظام الخاص يرون المرشد عامقة عقبة أمام التعامل مع الثورة ولا بد من خلعه من هذا المنصب ، نقل ذلك عنهم محمود عبد الحليم (٣ / ٢٢٥) قائلا : « وحجتهم في ذلك أن الأستاذ الهضيبي رجل دخیل على الدعوة ، وهو عقبة في سبيل التفاهم مع الثورة ، وأن التفاهم مع الثورة أمر ضروري لتحقيق مبادئ الدعوة ، وأن الثورة مستعدة للتفاهم مع الإخوان ، ولكن الهضيبي هو الذي يرفض» أهـ وذكر كذلك أن بعض هؤلاء الشباب أعد خطة مسلحة لمهاجمة أعضاء الهيئة التأسيسية في حالة صدور قرارات لا تؤيد الجماعات المعارضة للمرشد العام (انظر المصدر السابق. ٣ / ٥٠٣)

كما أعدوا خطة خلع المرشد ، وقد تم فصلهم بتهمة العمالة والخروج على النظام ، وهم " أحمد عادل كمال ، محمود الصباغ ، أحمد زكي ، عبد الرحمن السندي " وقد لقي محمد الغزالي نفس الانتهام ..

٤ - وما هو جدير بالذكر أن القرضاوي كان من جملة الخارجين على المرشد، قال : « وأنى كنت - أنا وأخى العسال والدمرداش وآخرون - أقرب إلى صف المشايخ اعتبارات ذكرتها هناك » (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ)

وقد وصف القرضاوي المرشد في نفس العدد من آفاق عربية بأوصاف متعددة ، تتوافق مع هذا الاعتبار ، الذي يحول دون تعاون ضباط الثورة معه، ذكر منها ما يأتي :

١ - « كانت شخصية الهضيبي شخصية القاضى يستمع كثيرا ويتكلم قليلا ، فإذا تكلم كان حكما صارما على الآخرين الإذعان له وينفذ بكل دقة ولم تكن لديه

مؤهلات الخطابة والمحاضرة والتصنيف .. »

٢ - (وكان أقرب الناس إلى حسن الهضيبي من كانوا في مثل طبقته من العلية غالبا ، وإن لم يبعد الآخرين أو يطردهم ، ولكن كما قيل فإن شبيه الشيء يجذب إليه ، وإن الطيور على أشكالها تقع . وربما كون بعضهم لنفسه فكرة غير صحيحة عن المرشد الثانى ، وأنه رجل متكبر أو متعالم أو غيره »

٣ - « وأنه كان يعامل عبد الناصر ورجال الثورة بمزة واستعلاء ، معاملة الند للند والسيد للسيد ، اعتزازا منه بأنه يمثل دعوة الإسلام ، ولعل هذه هى النقطة الأخيرة التى جعلت بعض الإخوان يقولون : « إن موقف الأستاذ الهضيبي من رجال الثورة عامة ، ومن عبد الناصر خاصة هو الذى ولد هذه الفجوة بين الطرفين التى انتهت إلى خصومة وانتهت إلى صراع طويل ... ولكنه نفر منهم ونفروا منه ، وأغلظ عليهم وأغلظوا له ، وساء ظنه بهم ، فساءت ظنونهم بالجماعة... » ثم قال ويرجع ذلك لكونه صاحب شخصية أرستقراطية ، كما صورها القرضاوي بقوله : « وكان حسن الهضيبي بحكم منصبه ودرجته الإدارية والمالية ورتبة البكوية التى يحملها رجالا أرستقراطيا كما يقولون » أهـ .

انقسام الإخوان ..

وبعد الخلاف مع عبد الناصر انقسمت الهيئة التأسيسية لمكتب الإرشاد فى الحكم على عبد الناصر فى زمن الهضيبي ثلاثة أقسام ، كما جاء فى كتاب (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٦٥) :

١ - طائفة تربطهم بجمال وزملائه صداقة شخصية من قبل قيام الثورة . وهؤلاء رأوا أن صداقتهم الشخصية تلزمهم أن يكونوا فى صف جمال وأن يدافعوا عنه دفاعا منيعا من هذه الصداقة .

٢ - وطائفة استبعدوا حدوث مثل هذا وحملوا الحديث على محمل المبالغة ، وطلبوا أن يمنحوا فرصة للتحقق من ذلك (وكان على رأسهم عبد القادر عودة وكيل الإخوان) .

٣- وظائفة صدمتهم هذه الصورة ولكنهم تذكروا أن قلب العبد بين إصبعين من أصابع الرحمن ، وأن للسلطة فتنتها .. حتى إن عبد القادر عودة كان يتصل بجمال ويسأله عن هذه القضية الخطيرة .. وجمال ينكر ما قاله المرشد العام ويقول : إنني قلت : « إنا سنحكم بالقرآن ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك ، ولا بد من تدليل العقبات ونهية الجول للحكم بالقرآن ، ولا بد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك . الخ حتى أصبحت جلسات الهيئة التأسيسية صراعا بين تيارين تباري في الذهاب لجمال ويواجهه بما قاله المرشد ، فينكر جمال ويقول هذا كذب ، وأنا سأحكم بالقرآن ، ولكن حين يأتي الظرف المناسب .. فيعود عبد القادر عودة مدافعا عن جمال عبد الناصر ومطالباً بتأييده تأييدا مطلقا.. وتيار يحذر من مغبة التأييد المطلق وهم طائفة المرشد» أه...

وقد أكد هذا الاختلاف أحمد رائف قائلا : « كان المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي في واد ، وكل الإخوان المسلمين في واد آخر بالنسبة لنظرتهم إلى جمال عبد الناصر والثورة... » (الصفحات /ص/ ٢٥٣) .

فلو كان الإخوان ديمقراطيين كما يقولون لنزلوا على حكم الأغلبية منهم ، فكل الإخوان كانوا مع عبد الناصر ، ولكن ديكتاتورية الهضيبي حملته على استمرار النزاع مع الثورة ، واعتبار كل من يخالفه عدوا . أو عميلا ! . يعامل معاملة الكفار والفساق ، كما عامل محمد الغزالي وسيد سابق ..

ولكن ما شعور الهضيبي عندما تبين له أن الإخوان لا يريدونه ؟

الجواب : عبر عن ذلك أمام محكمة الثورة حين سئل عن سبب اختفائه ، فقال : « أنا كنت رحت عشايا قبل أن الإخوان عاوزين يتفقوا مع الحكومة ، وإن أنا اللي واقف عقبة في سبيل الاتفاق ، فسافرت وقعدت شهرين ونصف ، وعدت فوجدت الحالة متوترة أكثر ، وقيل لي إن الحكومة عاوزة تغتالني .

الأمر الثاني : إنني وجدت الإخوان غير متفقين فأنا إكمالا لخطئي أثنى أبعد عنهم اعترلت» (في قافلة الإخوان . ص/ ٥٢٤).

وقد اعترف الإخوان أن الأسلوب الذي تعامل به الهضيبي مع الرئيس عبد الناصر لم يكن هو الأسلوب المناسب في التعامل مع زعيم دولة له تلك القوة ، وقالوا لو كان حسن البنا في موقف الهضيبي لكان له أمر آخر. قال القرضاوى في (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) نقلا عن هؤلاء : « ويقولون لو كان حسن البنا في موقف حسن الهضيبي لكان له موقف آخر ، ولا استطاع برفقه وتلطفه ولين طبعه أن يجذبهم إلى ساحته ، وأن يأخذهم بالتي هي أحسن » أه

وقد أكد جماعة من قادة الإخوان بعد حادث المنشية ١٩٥٤ - وهم يتعانون على مصيرهم ويتلومون على أخطائهم ، بعد أن دخلوا السجون والمعتقلات - أن عبد الناصر كان ينوي الحكم بالشرعية ، ذكر ذلك السيبي في كتابه (في قافلة الإخوان . ص/ ٥٧٨) قائلا : « فمن قائل لو أننا صبرنا على الحكومة ولم نستعجل مخاصمتها ؟ ومن يقول : إن الحكومة كان في نيتها الحكم بالشرعية ، ولكنها كانت ترى أن هذه خطوة يجب أن تكون متأخرة حتى تستقر الأوضاع ، وأن الإعلان عن الحكم بالشرعية يغلق علينا أبواب دول في الشرق والغرب » أه

وذكر محمود عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٨٦) في مذكرة التصالح التي عرضها على عبد الناصر كثيرا من الفضائل التي قدمتها الثورة للإخوان ، وفيها : « إظهار التأسف على ما حدث من نزاع بين طائفتين من المسلمين أخذ في إشعاله شياطين الإنس والجن . الخ ثم سرد الأعمال الطيبة التي قام بها ضباط الثورة من الإفراج عن الإخوان ، والتحقق في مقتل حسن البنا ، وعزمهم على إقامة السد العالي ، وقال إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة ، ومثل هؤلاء لا ينبغي أن نريهم بالكفر . » أه

وحكى فريد عبد الخالق في لقاء : شاهد على «نصر» أنه لما علم بوفاة عبد الناصر وهو في السجن حزن عليه وإنسابت دموعه على خديه.. كما وصفه قائلا : « إنه حقا كان رجلا شريفا طاهر الذمة » (محمود جامع آفاق عربية عدد ٦٦٠) .

كما حكى القرضاوى في مذكراته التي تنشرها (آفاق عربية ١٤ رمضان

١٤٢٥هـ) : « أن عبد الناصر لم يجلس في حياته على مائدة يشرب فيها الخمر ، ولم تكن له علاقات نسائية محرمة ... أمه .

ويضاف إلى ذلك مناقب أخرى في مجال العمل الإسلامي منها : أنه أنشأ منظمة المؤتمر الإسلامي ، كما أنشأ مدينة البعث الإسلامية ، كما أنشأ في زمنه ١١ ألف مسجد ، كما أنشأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الذي أصدر فتوى تقول بحرمة الفوائد البنكية بأنواعها الثلاثة (أ ، ب ، ج) ، وذلك في أوائل الستينات . كما أنشأ إذاعة القرآن الكريم ، ورفض طلبا من روسيا بإنشاء حزب شيوعي في مصر ، بالرغم مما قام به الروس من أعمال مدنية في مصر ، كبناء السد العالي وغيره .. كما قام بحل حزب البعث الشيوعي في سوريا قبل إبرام الوحدة معها ، ورفض نشر رواية " أولاد حارتنا " لتجيب محفوظ مستجيبا لقرار مشيخة الأزهر في ذلك .. كما أصدر القرار الشهير بحل جميع محافل الطائفة البهائية ووقف أنشطتها وجاء في القرار رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م : مادة ١ : « تحل جميع المحافل البهائية ومراكزها الموجودة بإقليمى الجمهورية ويوقف نشاطها ويحظر على الأفراد والمؤسسات والهيئات القيام بأى نشاط مما كانت تبشره هذه المحافل وهذه المراكز » (نشر بالجريدة الرسمية ١٩ يوليو ١٩٦٠ العدد ١٦١) ...

لم يرقب الإخوان الأمر على بصيرة في التعامل مع عبد الناصر . فهم يرفضون كافة العروض ، ويصرون على الانقلاب ..

قضية خطيرة

وعبد الناصر يصل إليه ما يدور بينهم .

قضية خطيرة نتجت من تصرفات حمقاء أدارها الإخوان ، بغير علم من الدين ، ولا فهم للسياسة مع واحد من أخطر الشخصيات في التاريخ المعاصر . لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره ، لو صاحبه عالم من علماء التوحيد والسنة بالدليل والبرهان ، لا سيما الزهاد منهم ، الذين يرغبون فيما عند الله على ما عند الناس ، الذين يؤثرون مصالح الوطن على المصالح الخاصة ، فأعطاه حقه من السلطان لأعطاه عبد الناصر حقه من العلم والدعوة ، ولكان لعبد الناصر شأن آخر لو أراد الله له ذلك .. ولكن لله في خلقه شئون .. فقد كان السلف ينهون عن النزاع الطويل على الحكم ، ويحثون على اقتناء سبل النصيحة والإصلاح .. ولكن الإخوان أثروا النزاع ، وهو مطلع على خططهم ومؤامراتهم ، التى تنقل إليه منهم .. فماذا تنتظر أن يفعل بهم وهو يعلم أنهم يجهزون له النعوش ؟! لا بد أن ينظر الإخوان فى أنفسهم ، ليعلموا كيف ينفرون القريب ويبغضون البعيد ، ويرفعون درجة المواجهة بغير علم ولا سلطان ، ولا يعملون لمصلحة الإسلام إلا بفهم قاصرة ، تغير القلوب والنفوس وتثير الفتن .. والقلوب أولا وآخرها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء ، وكل إنسان مسئول عن عمله .. ولكن لابد من الاعتراف بحقيقة الأسباب وأثرها فى النتائج ..

تنظيم الضباط الأحرار نشأة وثورة ..

نرجع إلى العلاقة بين تنظيم الضباط الأحرار وجماعة الإخوان .. كيف كانت وكيف انتهت أمرها .. وحسب مصادر الإخوان فقد أنشئ تنظيم الضباط داخل الجيش المصري الملكي في أوائل الأربعينات ، واستمر هذا التنظيم باسم مستعار ، تمويها على البوليس السياسي .. وقد كان المسئول عن هذا التنظيم : الصاغ محمود لبيب والشيخ حسن البنا ، وذلك حفاظا على السرية . قال أحمد رائف : « وكانت فكرة الصاغ محمود لبيب أن يطلق اسم الضباط الأحرار على تنظيم الإخوان المسلمين في الجيش ، وهذا من باب التمويه وخداع البوليس السياسي ، وكان من يعرف سر هذا التنظيم تفصيلا الصاغ محمود لبيب والشيخ حسن البنا ، نظرا لخطورة الأمر ، والحيلة في عدم إفشاء أسرارها » (صفحات من تاريخ الإخوان . ص / ٢٩٥) .

وكان الهدف من هذا التنظيم هو الانقلاب على الملك ، كما أكد أحمد رائف في لقاءه مع « قناة الجزيرة الفضائية » ، قائلا : « ومشروع الانقلاب مشروع إخواني أولا وأخيرا ، كان في رأس حسن البنا ، وتكلم فيه مع عزيز المصري باشا وواقفه عليه ، وكذلك مع محمود لبيب وواقفه عليه ، وترك لهم مهمة الإعداد والترتيب » (الجزيرة نت . ٥ / ٢ / ٢٠٠٦ م)

وقد يابغ عبد الناصر حركة الإخوان : « وكان معه من الذين قدر لهم أن يشتهروا بعد حسين كمال الدين حسين ، حسين الشافعي ، عبد اللطيف بغدادى ، حسن إبراهيم ، خالد محي الدين ، حسين حمودة » (الصفحات . ص / ٢١٠) وحسب رواية عبد الحليم كانت المباشرة عام ١٩٤١م ، ذكر ذلك عن معروف الحضري بقوله : « يابغنا الأستاذ الإمام حسن البنا على المصحف والسلس باعترارنا عسكريين في عام ١٩٤١ ، وكان سنا في البداية جندك عبد الناصر » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٨٤) .

واستمر الصاغ محمود لبيب - وكيل جماعة الإخوان - في قيادة التنظيم ، حتى إذا أدركه مرض الموت ، أعطى جميع أوراق التنظيم لعبد الناصر ، ثقة فيه ، دون

المواجهات المشتعلة من ١٩٥٢م / ١٩٥٤م

كانت الأحداث الآتي ذكرها أسبابا مؤثرة في إشعال المواجهة بين الإخوان وضباط الثورة ، حتى تم مطاردة الإخوان في القطر المصري ، والقبض على ثمانمائة رجل منهم ، والزج بهم في السجون والمعتقلات ، وذلك عام ١٩٥٤م . والأحداث هي :

- ١- رفض الإخوان الإعلان عن تأييد الثورة في أول مهبدا ..
 - ٢- رفض الدخول في هيئة التحرير .
 - ٣- رفض الاشتراك في وزارة محمد نجيب ..
 - ٤- فصل الشيخ أحمد حسن الباقوري عقب اشتراكه في الوزارة ..
 - ٥- المطالبة بعودة ضباط الجيش إلى الكنتات ، حل مجلس قيادة الثورة
 - ٦- إعانة محمد نجيب ونقض بيعه عبد الناصر في مظاهرة مارس ١٩٥٤م
 - ٧- عودة التنظيم السري الخاص لمباشرة أعماله ..
 - ٨- رفض الاتفاقية التي تمت بين كبراء الإخوان وبين عبد الناصر ..
 - ٩- رفض اتفاقية الجلاء ...
- وقد كان لرفض الإخوان اتفاقية الجلاء . التي عقدها عبد الناصر مع الإنجليز وتهديدهم له بالقتل ، وقولهم : « إن الاتفاقية لن تمر » مع كثرة المنشورات السرية التي كان يصدرها الإخوان متهمين عبد الناصر بالاستيلاء على أموال التنظيم البشري ، والدعوة إلى الخروج على حركة الجيش ، وتكفير ضباط الثورة .. الأثر الأكبر في توسيع هوة الخلاف بين ضباط الثورة والإخوان ..

غيره من الإخوان ، وكان ذلك بعد وفاة حسن البنا ١٩ / ٢ / ١٩٤٩ م ..

قال أحمد رائف في كتابه السابق . ص / ٢٢٠ : « كان الصاغ محمود لبيب هو الذى يعرف شخصيا كل عضو فى تنظيم الإخوان من ضباط الجيش ، ثم سلم هذه القائمة لجمال عبد الناصر عندما اشتد به المرض ، وسلمه أيضا الأموال الخاصة بهذا التنظيم » أهـ

إعادة تشكيل تنظيم الضباط الأحرار...

وفى عام ١٩٥٠م قام عبد الناصر بإعادة تشكيل تنظيم الضباط الأحرار مرة أخرى ، وجمع فيه كل وطنى ، بصرف النظر عن اتجاهه الفكرى ، ثم قام بتتحية ضباط الإخوان من التنظيم ، بحجة الدواعى الأمنية ، وليفصح الطريق أمام الضباط الوطنيين .. ووافق الإخوان على ذلك .. قال أحمد رائف : « واتفق على أن يكون مجال عبد الناصر ومن معه من ضباط جدد إلى التنظيم من كافة الاتجاهات ، والذى يجدون فيه تدينا وصلاحا يرسلونه إلى الإخوان ، ويبقى معه أصحاب النزعة الوطنية الذين لا يتقيدون بقواعد الدين . وكان هذا لسلامة الضباط ، وعدم تجريم الإخوان فى اتصاليهم بالجيش ، أو هكذا استطاع أن يقتنعهم ، وكانت هذه النقطة هى بداية انطلاق عبد الناصر فى التحرر من التبعية للتنظيم الإخوانى ، مع الاحتفاظ بتأييده ودعمه لكل خطته » (الصفحات . ص / ٢١٩)

ثم جعل عبد الناصر بينه وبين المرشد العام مجموعة اتصال عن طريق بعض الإخوان ، ولكنها كانت غير تامة .

قال الأستاذ أحمد رائف : « تم فصل تنظيم "ضباط الأحرار" - الذى أنشأه الإخوان - عن الإخوان عام ١٩٥٠ . وتولى عبد الناصر قيادة التنظيم .. وتشكلت لجنة للاتصال بالضباط الأحرار مكونة من منير دلة وصالح أبو رقيق وصالح شادى وعبد القادر حلمى وحسن عشموى » (الصفحات . ص / ٢٤٧) وقد زعم معروف الحضرى أن عبد الناصر طلب منه الانضمام لتنظيم الضباط الأحرار ، ولكنه اعتذر ، فقال : « ثم علمنا أن عبد الناصر أنشأ تنظيما آخر خاصا به لا يتقيد بمقاييس الإخوان ، وحاول استغلال صداقته لى فى جذبى إلى تنظيمه فرفضت ، وحاول إغرائى بكل وسائل الإغراء ولكنه فشل .. وأبدت اعتذارى له بأننى لا أستطيع أن أتخلى عن تنظيمي ولا أستطيع أن أعمل فى تنظيمين معا » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٨٤)

وهذا القول حسب روايات أحمد رائف غير صحيح ، باعتبار أن عبد الناصر أخرج ضباط الإخوان من التنظيم ، فكيف يطلب من الحضري بعد ذلك الانضمام إلى التنظيم وهو من الإخوان ؟

غير أن شهادة معروف الحضري تبين أن تنظيم الضباط الأحرار تنظيم مستقل النشأة ، ولا علاقة للإخوان به ، خاصة بعد حرب ١٩٤٨ م ، وبعد حل جماعتهم على يد النكراشي باشا عام ١٩٤٩ م ، وبعد موت حسن البنا عام ١٩٤٩ م ، وبعد عزل ضباط الإخوان من التنظيم ١٩٥٠ م .. وهذا ما يؤكد ضباط الثورة .

ثم قام عبد الناصر بالتجهيز للثورة بمفرده ، ولم يكن أحد من الإخوان يعرف ذلك ، ولم يكن المرشد العام على اطلاع كامل بما يدور في حركة الإخوان ، ولا بما يدور في تنظيم الضباط الأحرار ، ولا بما يدور في مجموعة الاتصال التي كانت بين عبد الناصر وبين الإخوان .. وكان عبد الناصر يقوم بعمله بسرية بالغة حتى إن بعض الضباط الوطنيين لم يكن على اطلاع بتفصيلات الثورة .. وبالضرورة لم يكن ضباط الإخوان يعرفون شيئاً عن طبيعة عمل التنظيم ..

قال أحمد رائف : « وبطبيعة الحال كانت الأمور تسير دون علم ضباط الإخوان الأصليين بما يدور ، مثل عبد المنعم عبد الرؤوف وأبو المكارم عبد الحى وغيرهم ، الذين فصلوا عن تنظيم الضباط الأحرار ، ليعطوا الفرصة لإحقاق العناصر الوطنية غير الإسلامية للدخول في التنظيم » (الصفحات ٢٥٠) واتفق الضباط الوطنيون على القيام بالثورة ، ولم يكن عبد الناصر يريد اشتراك أحد من ضباط الإخوان فيها .. وفى لقاء غير متوقع قام صلاح نصر - وهو من الضباط الوطنيين - بتبليغ عبد المنعم عبد الرؤوف " وهو من ضباط الإخوان السابقين في تنظيم الضباط الأسرار ، الذين لم يندخلوا لجنة الاتصال " باتتراب موعد الثورة ، و " أن الاستعدادات قد تمت " (المصدر السابق ص/ ٢٥٠) .

ولم يكن صلاح نصر على علم بأن الضباط / عبد المنعم عبد الرؤوف خارج التنظيم .. ولم يكن عبد المنعم على علم بتلك الاستعدادات .. فتوجه عبد الرؤوف

إلى عبد الناصر للاستفسار عن ذلك ، فتدارك عبد الناصر الأمر ، وقام بتحميله مسئولية قيادة كتيبة " قصر التين " ، حتى لا يفقد تأييد الإخوان كجبهة شعبية . قال أحمد رائف : « كان عبد الناصر حريصاً كل الحرص على استخدام الإخوان وعدم الانفصال عنهم فهو على يقين أنهم القوة الشعبية الكبيرة » (الصفحات . ص ٢٣٠) فأخبر عبد المنعم عبد الرؤوف حلمى عبد الجيد " رئيس التنظيم الخاص الجديد للإخوان " بأمر الثورة ، وتوجه الأخير بدوره إلى المرشد في الإسكندرية ، ليستفسر عن رأيه في الثورة والانقلاب ، فقال الهضيبي : « بلغ عبد الرؤوف (أبو المكارم) عبد الحى أن هذه الحركة حركتنا ، ونريد لها النجاح ، وعليهما ألا يدخلا وسعاً في ذلك » (الصفحات . ص/ ٢٥١) فأثبت الهضيبي صلته بالحركة بقوله : « الحركة حركتنا " مع أن علاقته بها كانت منقطعة في غالب أمرها .. قال أحمد رائف : « وانعدام الوحدة والتجانس في صفوف الإخوان جعل شخصية مثل حسن الهضيبي وهو على رأس الجماعة لا يعرف بتفصيل ما يدور بين جماعة الاتصال هذه وتنظيم الضباط الأحرار ، ولا يعرف موعد الانقلاب إلا قبل وقوعه بأيام ، حيث طلبت منه الموافقة عليه ، وضغط عليه في قبولها ، بحجة ضيق الوقت ، رغم ترددده الشديد لتقص المعلومات لديه وأرثابه في إمكانية النجاح » (الصفحات . ص/ ٢٣١) .

ولم يكن للمرشد العام ولا غير المرشد أى اتفاق مع ضباط الثورة . قال أحمد رائف في نفس كتابه (ص/ ٢٣١) : « ولم يكن بينهما أى اتفاق واضح ، غير ثرثرة هنا وهناك ، أغلبها من رياض الصالحين !.. » أهـ

وهذا هو الذى واجه به عبد الناصر قادة الإخوان بعد الثورة بخمسة أيام ، فلم يرد عليه أحد بكلمة ، وسكت المرشد ، قال أحمد رائف :

« النقى المرشد العام ببسالة عبد الناصر في بيت "صلاح أبو رقيق" يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢ وقال له : أنا لم أتفق على شيء مع هؤلاء يا فضيلة المرشد وها هم أمامك . ولم يعلق أحد من الجالسين وكان منهم صلاح شادى وحسن عسماوى وسكت المرشد بقية الجلسة التي استمرت ساعتين » (الصفحات . ص/ ٢٣٣)

وقد أكد المرشد العام كلام عبد الناصر ، قائلا له : « اسمع يا جمال .. ما حصلنا اتفاقا .. وسنعتبركم حركة إصلاحية » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧)

بل إن المرشد كان قد صرح تصريحاً واضحاً لجريدة " المصري " قبل ذلك قال فيه : « ليس هناك صلات سابقة بين الإخوان والجيش .. وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش في حركته الأخيرة أمر غير صحيح » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٣٩) .

والإخوان يعتبرون هذه الجملة من عبد الناصر " أننا لم نأفق على شيء مع هؤلاء " نقضا للعهد ، وتراجعا عن الحكم بالقرآن .

ولم يكن هذا مقصد عبد الناصر - لأنه بين لهم أنه سيحكم بالقرآن بالتمهيد لذلك ، كما نقل لهم عبد القادر عودة " وكيل الإخوان " ، بعد الثورة - وإنما كان المقصد منها هو ما أرسل من أجله عبد الناصر وفد الإخوان للمرشد في الإسكندرية لاستطلاع رأيه في الحكم بعد الثورة ومدى رغبة الإخوان فيه . فطلب المرشد تعيين على ماهر باشا حاكماً على البلاد ، ولم يقل له بيننا وبينكم اتفاق على أن تعودوا إلى الكنايات . قال الهضيبي : « واقترحت أن يتولى الحكم على ماهر باشا ، على أساس أنه غير حزبي ، وكان رئيساً للوزارة وقت وفاة الملك فؤاد ، واستطاع أن يقود البلاد وتطمئن له جميع الجهات » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٦) .

ثم تفتق ذهن الأستاذ الهضيبي متأخراً ، وقال لإخوانه بعد ذلك : " العصر ليس عصر الإخوان " .

قال أحمد رائف : « وجد الإخوان أنفسهم في حرب لم يفهموها ولم يدركوا أبعادها ، وتناولوها تناولاً ساذجاً ، حتى بدت الصورة لبعضهم وبعض أصحاب النظرة الجزئية أن الأمر لا يعدو صراعاً على السلطة في بلد صغير اسمه مصر » (صفحات من تاريخ الإخوان . ص / ٢٣٧)

وقامت الثورة وتأخر بيان الإخوان في تأييدها ، لأنها ليست ثورتهم في الحقيقة ، وهم لا يدرون ماذا يفعل الإنجليز بهم .. ولم يكن للإخوان في هذه الثورة

إلا ما كان من قيادة عبد المنعم عبد الرؤوف الكتبية التي حاصرت قصر التين ، وبعض الإخوان الذين وقفوا على طريق السويس ، وبعض المظاهرات التي قامت لتأييد الثورة ، وبعض المنشآت التي أمروا بحراستها .. أما تكتيكاتها وأسلحتها وكتائبها فكلها تابعة لتنظيم الضباط الأحرار .. ومن أكبر الأدلة على ذلك أن الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف طلب من عبد الرحمن السندی إعداد ألف رجل من التنظيم الخاص الإخواني بملايس الجيش ، ليقوم بالقضاء على مجلس قيادة الثورة في أول عهدها ، لتكون الثورة إخوانية ، فلم يوافق على ذلك ، وهذا يدل على أن الكتبية التي كان يقودها عبد المنعم لم تكن كتبية إخوانية . قال أحمد رائف : « وقد حكى لى المرحوم عبد المنعم عبد الرؤوف .. أنه اقترح على عبد الرحمن السندی أن يمدد بألف من الإخوان يرتدون ملايس الجيش ، ويقوم بالقبض على مجلس الثورة ، ولم يكن يعرفه أحد في هذا الوقت ، ويكون الحكم إخوانياً . ولم يستطع عبد المنعم عبد الرؤوف أن يحقق شيئاً من هذا » (الصفحات . ص / ٢٣٢) .

ولو فعل عبد المنعم ما فكر فيه لدخل في عدة مواجهات ، لن يكون هو أحد المستفيدين منها : مواجهة مع الحرس الحديدي للملك ، ومواجهة مع ضباط الثورة ، ومواجهة مع الإنجليز .. مواجهة مع الأحزاب .

رفض الإعلان عن تأييد الثورة ..

لم يكن عنصر المواجهة الخاص بصيانة المبادئ وتحمل تبعاتها أمراً يعرفه الإخوان في ذلك الوقت ، فهم يريدون مغنماً لا يؤثر على وجودهم كجماعة ، ولذلك فهم يختبئون خلف الأسوار دائماً ، انتظارا لما تتمخض عنه المواجهة بين ضباط الثورة وبين حرس الملك (فالمرشد العام في العصافرة بالإسكندرية ، بعيداً عن مواقع الأحداث) .. فإذا نجحت المواجهة ظهروا ، وقالوا نحن وراء كل ذلك ، وإذا خسرت قالوا نحن براء من ذلك ، وهؤلاء : « ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين » . فهل من الممكن أن يساوم الإخوان بتاريخهم في قضية لا يعلمون نتائجها ؟

فقد رفض الهضيبي الإعلان عن تأييد الثورة في الصحف في أول مهدها ، حتى يتأكد من تنازل الملك عن العرش ، ويضمن على زوال ملكه ، ومن ثم زوال الخطر الذي قد يعترض حركة الإخوان إذا فشلت الثورة ، ويظهرها بمظهر الخائن للبيعة .. قال محمود عبد الحليم : « إن المرشد طلب من وفد الإخوان إبلاغ جمال موافقته وتأييده وحمايته للثورة ، كما طلب إبلاغه أنه ليس من المصلحة أن تظهر للثورة علاقة بالإخوان ، حتى لا يتدخل الإنجليز لتقاومتها » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٣٦) .

وقد كان هذا الرد من أوجه المتاب الذي لقيه المرشد والإخوان من ضباط الثورة ، كما ظهر في البيان الذي أصدره ضباط الثورة ، بمناسبة حل جماعة الإخوان وجاء في البيان كما نقله صاحب (قافلة الإخوان . ص / ٣٧١) :

« في صباح يوم الثورة استدعى الأستاذ حسن العشماوى لسان حال المرشد العام إلى مقر القيادة العامة في كبرى القبة ، وأبلغ إليه أن يطلب من المرشد-العام إصدار بيان لتأييد الثورة ، ولكن المرشد بقى في مصيفه في الإسكندرية لانذا بالصمت ، فلم يحضر إلى القاهرة إلا بعد عزل الملك ، ثم أصدر بيانا مقتضباً» أهـ

فلم يتم إعلان البيان المطلوب بتأييد الثورة جهراً من قبل المرشد . مخافة أن

ينقض الإنجليز على الثورة ، ويتحمل الإخوان التهمة من غير قبل بها ، ولتتحمل ضباط الثورة المواجهة والخسارة بمفردهم ، ولتبقى صورة الإخوان ناصعة البياض لم يشهها شائنة .. وإمعانا في إظهار عدم الاتفاق مع الثورة ، وهروباً من المسؤولية في حالة الفشل صرح الهضيبي لمندوب جريدة " المصري " تصريحاً قال فيه كما تقدم : « وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش في حركته الأخيرة أمر غير صحيح » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٣٩) .

وقد كان عذر الهضيبي في هذا التصريح أنه يريد نجاح الثورة ، وألا ينقض عليها الإنجليز . فالذى قام بالثورة ضباط لا علاقة لهم بالإسلام ، وهذا يضمن الإنجليز .. ويزعم الإخوان أن هذا كان من حرص المرشد على الثورة .. وهذا عذر غير مقبول لمن يريد أن يقيم الخلافة ، أو يحكم الأمة من مشارقتها إلى مغاربتها ، أو يكون وصياً على الثورة ، بينما هو مختبئ وراء الأستار .. وعذر غير مقبول لمن كان يبحث الملك على طرد الإنجليز ، وهو يعلم أن لا قدرة للجيش ولا للملك على ذلك .. ولكنهم يريدون إغراق الملك والبلد بغير حساب ، وعند المواجهة يفرون اتقاء بطش الإنجليز .. والحقيقة التي لا مراء فيها أن الهضيبي رفض الجهر بتأييد الثورة في أول الأمر ، لأنه لم يكن متأكداً من نجاحها ، وهذا بالضرورة يخيفه من تحمل تبعاتها .. تلك هي العلة الحقيقية التي جعلته يتردد في قبولها ، كما بين أحمد رائف : « طليت منه الموافقة عليها ، وضغط عليه في قبولها ، بحجة ضيق الوقت ، رغم تردده الشديد لنقص المعلومات لديه ، وارتبابه في إمكانية النجاح » (صفحات من تاريخ الإخوان . ص / ٢٣١) .

بيانات التأييد بعد رحيل الملك ...

بعد أن استتب الأمر لضباط الثورة وخرج الملك من البلاد قام الإخوان بصيرون بيانات التحيات ، وذلك في ٢ أغسطس / ١٩٥٢م ، قال الهضيبي : « الآن وقد وفق الله جيش مصر العظيم لهذه الحركة المباركة ، وفتح بجهاده المظفر أبواب الأمل في بعث هذه الأمة وإحياء مجدها التليد وإزال عقبة كانت تصد عن سبيل الله والحق وتعمق المصلحين الخ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٤١) .

هذا هو بيان الهضيبي ، وفيه أبد الثورة مع مخالفته لها في الباطن ، واعتراضه على أفرادها في الحقيقة ... وفيه جعل مصر صادا عن سبيل الله ، ناقضا بذلك مسارعاته إلى سجل التشريعات الملكية ، ليؤكد ولاءه له ، وناسيا عرض الملك عليه التعاون من أجل الإسلام ، وناقضا تحايا الإخوان السابقة للملك " يعيش الملك . يحيا الملك " ولم يكن الهضيبي بمفرده الذي يبارك ضباط الثورة ، بل فعل جميع الإخوان ذلك .. ووصفوا ضباط الثورة على العموم بالوسائل ، وذكروا أنهم أبد أمانة .. قال محمد عبد الله السمان : « وفجأة وثب الجيش الباسل ونبته المباركة بعد أن مرق اليأس آمال الأحرار ، ولم يبق لديهم ذرة واحدة من الأمل تداعب نفوسهم ، وهدفت أول ما هدفت إلى تخليص مصر من طاغوتها الأكبر وتسليم الحكم إلى أيد أمانة نظيفة » (مجلة الدعوة . عدد ٨٢ الصادر في ٣١ أغسطس ١٩٥٢م) وأبد صالح العشماوي وزراء الثورة ، وهنأهم على الوزارة ، فقال : « لقد فرحنا بهذه الوزارة وهؤلاء الوزراء (يقصد أول وزارة للثورة) لا لأتنا نعرفهم ، ونريد أن تتغنى بحمادهم ، وننشر صورهم على الناس ، ونصق لهم ، ولكننا فرحنا لأنهم وزراء ثورة أحدثوا وسيدون انقلابا في أفكار الناس وتقديراتهم » . (مجلة الدعوة الصادرة في ١٦ / ٩ / ١٩٥٢م . عدد ٨٣) .

وجعل الغزالي ما فعله ضباط الثورة بالملك آية من آيات الله تعالى وقال : « واليوم تصدر هذه الطيبة وفي الشرق دوي هائل للعمل الضخم الذي حققته عنابة

الله في مصر . فقد طرد ملكها الفر (فاروق) شر طردة ، وهتكت الأستار عن الفضائح المخزية ، التي طالما ارتكبها هذا الفاسق وأعواته . وتحت هذه الآية على يد الجيش ، الذي حسبه الطغاة سندا لهم وأبى الله إلا أن يكون هلاكا عليهم : « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » (الإسلام المفترى عليه . ص / ١٤) .

ويابح الإخوان عبد الناصر هي عدة مواضع بعد الثورة ..

أ - قال محمود عبد الحليم : « ولقد سعى الهضيبي للقاء عبد الناصر يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢ في منزل صالح أبو رقيق ليقول له هذه الكلمات ويطمئنه أن الإخوان جميعا من ورائه » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٥٩) .

ب - وكذلك أكد فريد عبد الخالق لعبد الناصر بيعة الشعب بأكمله له ، قائلا : « إحتا بنصالحك الديمقراطية لا بديل لها ، وأنت يجب أن تكون نقتك في أن الشعب سيمسك بك ، ولن يرضى عنك بديلا ، أما أن تشكك في ذلك فهذا أمر غريب فعلا .. لماذا تشكك ؟ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١) .

ت - وكذلك يابح حسن عشماوي عبد الناصر . بقوله : « الإخوان معك وهم يؤيدونك » - ولكن عبد الناصر لم يكن يثق فيهم ، كما أنهم لم يكونوا يثقون فيه - فرد قائلا : « هذا غير مضمون » (الصفحات ص / ٢٥٦) ...

وبعد هذا البيان قام الإخوان ينسبون الثورة لأنفسهم ويفرضون عليها الوصاية .. وقد قامت بجهد الذين واجهوا المخاطر بمفردهم - مخاطر البوليس السياسي بجبروته وسلطوته ، ومخاطر الحرس الحديدي للملك ، ومخاطر الإنجليز - وأرادوا هم الركوب عليها وجنى ثمارها - ولو أنها فشلت لقالوا نحن أبرياء منها ومن أهلها .. وتصريحات المرشد لجريدة المصري وثائق دالة ومؤكدة لذلك .. ومن اشترك من الإخوان في تلك الثورة فليتحمل المسؤولية بمفرده والجماعة منه بريئة - ولا أظن للإخوان مع عظم تشكيلاتهم ودقة تنظيماتهم وكثرة عددهم - كما يزعمون - القدرة على القيام بثورة ضد الملك مع ضعف دولته ، ولكن عبد الناصر فتح لهم الطريق ،

وسهل عليهم الأمر ، ولأجل ذلك استرخصوه للركوب بالمظاهرات والقتل ، والاتفاق مع محمد نجيب ضده ، على الرغم من زعمهم أن محمد نجيب كان على اتصال بالإنجليز ، ليقوى جهته ضد جبهة عبد الناصر .. ومع ذلك لم يقدروا عليه ، فالوجه السياسي كان أكبر من حجمهم ، وقد اعترفوا بذلك ، ولكن بعد فوات الأوان .. قال أحمد رائف : « إنهم كانوا في مرحلة لا يعرفون من معهم ومن عليهم ، وخططهم غير واضحة ، وخبرتهم السياسية ضعيفة » (الصفحات . ص/ ٢٣٣) .

ولو كان للإخوان علم بالواقع والسياسة ماتركوا تنظيم الضباط الأحرار الذي زعموا أنهم أول من أنشأه ينسحب من تحت أيديهم ، ليخرجوا منه ، يخفى حين ، لا ناقة ولا جمل ، اكتفاء بمجموعة من المتصلين به ، ممن لا دراية لهم . غير أنهم في الحقيقة كانوا قلة في تنظيم الضباط الأحرار ، ولذلك أخرجهم عبد الناصر منه بدون تعب وعناء .

٢- رفض هيئة التحرير ..

في ديسمبر ١٩٥٢ طلب عبد الناصر من الإخوان أن يندمجوا في هيئة التحرير ، وأن يكونوا مسئولين عنها ، كما قال محمود جامع في كتابه (وعرفت الإخوان ص/ ٩٢) .. ولم يكن أمر العداوة قد نشب فيما لا مخرج منه بين عبد الناصر وبين الإخوان ، فقد كان هذا العرض بعد الثورة بأشهر قليلة ..

وما يؤكد انتفاء العداوة بينهما أن عبد الناصر حل جميع الأحزاب السياسية إلا جماعة الإخوان ، وبارك الإخوان القضاء على جميع الأحزاب التي يتحالفون مع أمثالها الآن ، وزار عبد الناصر قبر حسن البنا ، وخطب عليه خطبة حماسية ، وحكم على قتلة حسن البنا بالأشغال الشاقة ، بعد أن كانوا مطلقي السراح ، وأفرج عن جميع المسجونين من الإخوان في جميع قضايا التفجيرات والواوكر في زمن الملك .. من هذا المنطلق عرض عبد الناصر على كبار الإخوان تولي مسئولية هيئة التحرير .. يقول محمود جامع : « وفي ديسمبر ١٩٥٢ أرسل عبد الناصر في طلب صلاح شادى وطلب منه الجلوس مع إبراهيم الطحاوى للتشاور في أمر هام ، وكان

الأمر الهام بعد جلوس صلاح مع الطحاوى هو أن الثورة فكرت في إنشاء تنظيم سياسي شعبى واحد بعد حل جميع الأحزاب ، تذوب فيه كل القوى الوطنية والتي تتمسك بالقيم الإسلامية ، دون الإعلان عن شعاراتها ، وتذوب فيه أيضا جماعة الإخوان المسلمين .. واختاروا له اسم هيئة التحرير ويكون رئيسه من الإخوان وليكن صلاح شادى » (وعرفت الإخوان . ص/ ٩٢) .

وقد رفض الإخوان هيئة التحرير بحجة أن عملهم مقصور على التربية الإسلامية ، كما عبر عن ذلك فريد عبد الخالق لعبد الناصر بقوله : « أما بالنسبة لدخولنا هيئة التحرير فليس هناك تعارض من أن تقود أنت التنظيم السياسي عن طريق هيئة التحرير ، وتبقى نحن دعاة للتربية الإسلامية .. أما رأيك أن تندمج الجماعة مع هيئة التحرير . فهذا شبه بالضبط بمن يضع زيتا وماء ويحاول أن يمزجها ببعض . مثل ممكن أبدا يمتزجان » (أحداث التاريخ . ٣ / ٤٠) . وهذا هو نفس ما احتج به صلاح شادى للطحاوى قائلا له : « هيئة التحرير حزب سياسي ونحن جماعة دينية » أه وفي موضع آخر قالوا له نريد الديمقراطية . قال عبد الناصر : « أنا أقول لكم ادخلوا هيئة التحرير ، وتولوا أنتم أمرها ، وتصبح هى مسرح نشاطكم ، وأنتم ترفضوا ، عايزين إيه أmaal . فرد عليه فريد عبد الخالق قائلا : اسمع يا جمال :

« إحننا بنصارك .. الديمقراطية لا بدليل عنها » ثم ختم حديثه بما لا يذكر بالله ولا باليوم الآخر قائلا له : « الذى سيحكم لك أو عليك هو التاريخ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١) .

فلم يعترضوا على فكر هيئة التحرير في أول الأمر ، ولم يقولوا إنها هيئة شيوعية أو ماركسية ، كما قالوا فيما بعد .. ولو كانت كما زعموا فلماذا قالوا لعبد الناصر : « قد أنت هيئة التحرير » !

والحقيقة أن هيئة التحرير لم تبلور اتجاهاتها الفكرية منذ إنشائها عام ١٩٥٢م - ١٩٥٣م حتى عام ١٩٥٧م . قال الأستاذ عبد الله إمام في كتابه " دراسة في فكر عبد الناصر ص/ ٥١٩ . مطبعة دار الشعب). وفيه قال عبد الناصر : « لو كنت قعدت

معاكم يوم ٢٣ يوليو ما كنتش أعرف الكلام ده ، لأنى ما كنتش مشيت فى تجربة العشر سنين اللى أنا اتوجدت فيها فى العشر سنين اللى فاتت ؟ أه ..

فقد أتاح عبد الناصر للإخوان فرصة العمل المنظم التابع للدولة ، مع التمسك بالقيم الإسلامية كما قالوا فى كتبهم .. ولكنهم رفضوا ، لأنهم أعطوا بيعة للمرشد ، ولا يمكن أن يتركوا بيعة المرشد لبيعة غيره .. وبالإضافة إلى أن اسم " الإخوان " صنم تفوق درجة التمسك به حقيقة المنهج نفسه ! فقد بين فريد عبد الخالق الوجهة الإخوانية الأخرى فى رفض الاندماج مع هيئة التحرير . وهى النضال من أجل الديمقراطية والتاريخ . وليس لكونها هيئة ماركسية .

والسؤال : ألم تكن الديمقراطية موجودة فى زمن الملك فاروق ؟

بلى : كانت موجودة ، فقد كانت الحكومات تصعد وتنزل بالمخططات الحزبية والانتخابات البرلمانية ، وقد شهد كثير من المؤرخين السياسيين أن الانتخابات البرلمانية التى تمت عام ١٩٤٩م - ١٩٥٠م تمثل على حد قولهم نموذجاً راقياً للنزاهة والحياد من قبل الحكومة على وجه لم يتحقق من قبل وقد شارك الإخوان فى تلك الانتخابات بكل قوة ، ومع زعمهم أنهم كانوا أكثر تنظيمياً وأرسخ جذوراً وأكثر عدداً ، إلا أنهم رسبوا جميعاً ولم ينتج منهم أحد ، كما شهد بذلك كثير من السياسيين يقول الأستاذ محمد عبد المنعم فى (آفاق عربية ١٧ ذى الحجة ١٤٢٥هـ) : « نحن الذين كنا محور العالم العربى والإسلامى فى الأربعينات والخمسينات من القرن الماضى .. كانت مصر نموذجاً للحرية الشاملة التامة ، تلك التى تتوارى إزاءها الآن أعرق النظم الأخذة بالحرية والديمقراطية » أه

فإذا كانت الديمقراطية غابتهم ، كما يقولون ... وإذا كانت بهذا التقدم وهذا الرقى فلماذا انقلبوا عليها ؟ ..

كان من الواجب أن يتضمن كلام فريد عبد الخالق نوعاً من المصادقية ، حينما طالب عبد الناصر بالديمقراطية والحرية ، بينما هو يعيش فى وسط جماعة استبدادية لا تعرف إلا الطاعة العمياء ..

والحقيقة أن الأستاذ فريد كان يريد للإخوان دوراً أكبر من هيئة التحرير فى الحكم .. فالديمقراطية التى سألها .. ليست هى العمل الدعوى .. إنه يريد السلطة .. فلم يكن رفض الإخوان دخول هيئة التحرير مبنياً على كونهم مختصين بالتربية الإسلامية فهذا خلاف ما يعتقدون ، فهم الآن يتحالفون مع كافة الأحزاب باختلاف أشكالها وصورها ، ويتخذون مستشارين من النصارى ، وقد تحالفوا ابتداء مع الثورة ، وهى لا تحمل فكرهم ، وجعلوا أنفسهم تحت الخدمة ..

إنما كان رفض هيئة التحرير قائماً على خلفية نفسية أنهم إذا رأوا فى أنفسهم قوة فإنهم لا يقبلون الخضوع والنزول لسلطان أولياء الأمور ، بأى حال من الأحوال ، حتى لو كانوا الصحابة الكرام .. وقد كان تعليق حسن عسماوى " أحد أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان " على هيئة التحرير يدل على عمق تفنن الإخوان فى صناعة أعدائهم ، وعظم تفریطهم فى كسب ضباط الجيش إلى صفهم فى أول الثورة ، حتى صارت دولتهم أعدى دول العالم للإخوان . قال حسن عسماوى لعبد الناصر : « أنت تجمع حفلة الناس فى هذه الهيئة ، ولن يأتى فيها غير بقايا الأحزاب ، ومن لا رأى لهم ، أم تراك تريد شراء البعض ليهتفوا لك ؟ ورد عليه عبد الناصر قائلاً : أبوه .. أنا أشتريهم ليهتفوا لى أحسن ما يشتريهم غيرى ليهتفوا ضدى » (الصفحات ص / ٢٥٦).

لماذا فكر عبد الناصر فى هيئة التحرير ؟

كما تشير كتب الإخوان يتضح أن فكرة هيئة التحرير لم تكن خدعة لهم .. وإنما كانت خدعة للدول الكبرى لعلم عبد الناصر أن تلك الدول لن تقبل بوجود الإخوان فى الصورة السياسية للدولة . ومن أجل ذلك قال عبد الناصر لضباط الثورة كما ذكر الإخوان فى كتبهم : « نستطيع خداع الدول الكبرى لو قبل الإخوان تجييد نشاطهم ، والاندراج فيما يمكن أن نسميه بهيئة التحرير ، ويكفى أن ننزع اللاتفات من فوق شعب الإخوان ، ونضع مكانها لا فتة عليها اسم هيئة التحرير » (الصفحات ص / ٢٣٤) هذا مع الاحتفاظ بالمفهوم الإسلامى أساساً للتغيير المنشود .. كما أشار

فريد عبد الخالق بقوله : إنه : أى : « عبد الناصر أكد تمسكه بالإسلام أساسا للتغيير المنشود ، وأن هدفه الإسلام إلا أنه قال إن من المصلحة عدم المجاهرة بذلك فى بادئ الأمر ، ولكن تؤخذ الأمور تدريجيا ، حتى لا يحارب أعداء الإسلام الحركة فى أول عهدها » (الإخوان فى ميزان الحق . ص / ٨٢) .. وهذا النهج يوضح أن عبد الناصر أراد الإخوان الجانب الشعبى المهتم بالناحية الدينية والأخلاقية فى الثورة .. وهذا هو ما أكد عليه ضباط الثورة ، كما ذكر محمود جامع بقولههم : « الثورة فكرت فى إنشاء تنظيم سياسى شعبى واحد بعد حل جميع الأحزاب تذبذب فيه كل القوى الوطنية والى تتمسك بالقيم الإسلامية دون الإعلان عن شعاراتها » (وعرفت الإخوان . ص / ٩٢) لكن الإخوان كانوا يريدون رأس الضباط أو عودتهم إلى الككنات صاغرين ، ولم يفهموا القضية من الوجهة السياسية ..

مقارنة بين فكر عبد الناصر والهضبي ..

لو قارنا بين موقف الهضبي فى عدم الجهر بتأييد الثورة فى أول عهدها وبين موقف عبد الناصر من إنشاء هيئة التحرير ، لوجدنا التفكير واحدا . فالهضبي أخفى اشتراك الإخوان فى الثورة ، بعدم الجهر بتأييدها ، ليخفى التوجه الإخوانى للثورة عن الإنجليز كما زعم . وعبد الناصر أخفى وجود الإخوان فى هيئة التحرير خداعا للدول الكبرى .. فالهضبي - على حد زعمهم - أراد خداع الإنجليز ، حتى لا يفسدوا الثورة ، وعبد الناصر أراد خداع الدول الكبرى ، حتى يدفع مؤامراتهم ويفسد خططهم ضد الثورة .

فهذا أخفى الإخوان أثناء الثورة ، وهذا أخفى الإخوان بعد الثورة . ولكن كل شىء يقبل إذا قاله الإخوان والمرشد العام ، ولا يقبل إذا قاله غيرهم .

٣- رفض الاشتراك فى وزارة نجيب وفصل الباقورى ..

عرض عبد الناصر على الإخوان الاشتراك فى وزارة محمد نجيب فأبوا ، وقد ذكر ذلك الإخوان ، قالوا : « إن عبد الناصر اتصل بالهضبي لتفويتها وطلب منه ترشيح مجموعة من الإخوان ليكونوا وزراء فى الوزارة الجديدة ، وطلب منه الهضبي

مهلة لكى يعرض الأمر على مكتب الإرشاد ، وأخبره الهضبي بعد ذلك بأن الإخوان رفضوا الاشتراك فى الوزارة ، ورشح له بعض المدنيين المعروفين بالسمة الطيبة والاستقامة » (وعرفت الإخوان . ص / ٩١) .

وأكد هذا الرفض محمود عبد الحليم نقلا عن صلاح شادي ، قائلا :

« وذهبنا إلى المرشد واجتمع مكتب الإرشاد واتخذوا قرارا بعدم المشاركة فى الوزارة بعد مناقشات طويلة .. فقد رأى البعض أن اشتراكنا فى الوزارة سيجعلنا مبصرين بكل الخطوات التى تقوم بها الحكومة ، ولكن المرشد كان له رأى آخر وهو أنه لو حدثت أخطاء من الحكومة فإنها ستلقى على الإخوان ، فضلا عن أن رسالة الإخوان كما كان يرأها المكتب فى تلك الآونة هى عدم الزج بأنفسهم فى الحكم » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٨)

وقد مثل هذا الرفض بالنسبة لضباط الثورة خروجاً على الثورة .. ومما أثار نفوس ضباط الثورة تجاه الإخوان ودفع إلى النظر إليهم كخصم مناوئ أنهم قاموا بفصل الشيخ الباقورى ، إبان اختياره وزيرا للأوقاف . وكان الإخوان يقصدون من هذا الرفض المفاصلة بينهم وبين ضباط الثورة ، كما أشار السبسي ، قائلا : « إلا أن قرار الفصل قد وضع حدا فاصلا وكشف عن مفاصلة صريحة وواضحة بين رجال الجيش وجماعة الإخوان المسلمين » (قائلة الإخوان ص / ٣٠٢) وقد اعترض الباقورى على هذا الفصل . قال عساف : « أصيب الباقورى على أثر ذلك بمرارة شديدة وأبدى استنكاره الشديد لقرار المكتب ، ذلك لأنه لا يجوز أن يفصل أحد من الإخوان مادام الإخوان رجال دعوة ، وليسوا حزبا أو تشكيلا اجتماعيا أو سياسيا » (الإمام الشهيد . ص / ٢٦٥)

وقد كان فصل مكتب الإرشاد للباقورى أحد المبررات التى استند إليها ضباط الثورة لحل جماعة الإخوان ، كما جاء فى قرار الحل ، فيه : « استدعى البكاشى جمال عبد الناصر الأستاذ حسن العشماوى ، وعاتبه على هذا التصرف الذى يظهر الإخوان بمظهر المتنعت عن تأييد وزارة الرئيس محمد نجيب ، وهدد بنشر جميع

التفاصيل التي لازمت تشكيل الوزارة» (في قافلة الإخوان . ٣٧٢) ..

كما كان تأمرهم مع الإرهابي الشيوعي نواب صفوى " زعيم جمعية فدائيان إسلام الإيرانية " في تدبير المظاهرات والاجتماعات المناوئة للدولة أحد الأسباب التي أدت إلى حل جماعة الإخوان .

قال القرضاوي : « أذكر أننا استقبلنا السيد نواب صفوي رئيس جمعية فدائيان إسلام في المركز العام واستقبلناه في جامعة القاهرة في احتفال ضخم كبير ، وكان من الأسباب التي أدت إلى حل الإخوان المسلمين وحدث بينهم وبين رجال الثورة فيما بعد » (الجزيرة الفضائية . ٣ / ١٠ / ٢٠٠٤م)

كما كانت عودة التنظيم السري لجماعة الإخوان إلى ممارسة نشاطه مرة أخرى من جملة الأسباب التي أدت إلى حل الجماعة كما سيتبين ..

الإخوان يرفضون وزارة كاملة ...

كان خافقة المطاف أن عرض عبد الناصر على الإخوان تشكيل وزارة إخوانية كاملة : وزراء ورئيس وزراء.. من جهته أوفد جمال عبد الناصر صلاح سالم - وكان الإخوان يعتبرونه من المقربين إليهم ، ومن أصحاب القلوب الطيبة - إلى قادة الإخوان ، لبحث معهم جوانب الود والوثام ، وفوض تفويضا كاملا فيما يطرحه عليهم من أطروحات سياسية .. يقول محمود عبد الحليم : « أخبرني الأستاذ عبد الحكيم عابدين (السكرتير العام للإخوان) أن الصاغ صلاح سالم اتصل به تليفونيا وسأله عما إذا كان ممكنا أن يجتمع معه الليلة في بيته .. فرحب به - وقابلني الأستاذ عبد الحكيم في صبيحة تلك الليلة وحدثني بما دار في اجتماعهما فقال : إن صلاح سالم أخبره بأنه موافق من قبل جمال ، ومفوض تفويضا كاملا فيما سيرضه من أمور ، وأنه يرجو أن يرى من عبد الحكيم تحابوا وروحا متعاونة ، حتى ترجع روح الوثام بين الإخوان والثورة .. فرد عليه الأستاذ عبد الحكيم مطمئنا من هذه الناحية ، وأكد له أن الإخوان يمتنون ذلك ..

فقال صلاح : إن جمالا - تدليلا على حسن نيته وأنه لا يكن للإخوان إلا كل

خير - فإنه يعرض عليهم أن يؤلفوا حكومة كاملة من الإخوان ، ورئيسها من الإخوان وجميع وزرائها من الإخوان ..

قال لي عبد الحكيم : فتبسمت تبسما أثار دهشة صلاح الذي سألتني لم قابلت كلامه بهذا الإبتسام الذي يوحى بالسخرية ؟ فقال له : ياصلاح ... هذا عرض ماكرو، نحن نرفضه كل الرفض ..

فأثار هذا الرد صلاحا - كأنه رحمه الله - لم يكن يعرف الهدف الحقيقي لجمال من هذا العرض ، فقد كان طيب القلب ، ومن القائلين في مجلس الثورة الذين كانوا يتمنون أن يسود الود والوثام والتعاون علاقة الثورة بالإخوان.. وقال : إذن ماذا تريدون من تنازلات لكم من جمال أكثر من هذا ؟ ستكون الحكومة إخوانية صرفة .

فقال له : هون عليك يا أخى صلاح ..أنت رجل طيب لا تشك في حسن نيتك ، ولكن العرض الذي حملته إلينا عرض خطير يخفى في طياته الدمار الكامل والهلاك للإخوان المسلمين مادام هناك مجلس قيادة الثورة...» (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٢٠١) .

فلم يقبل الإخوان عرض صلاح سالم ، ورأوا فيه الدمار الكامل .. واعتبروه مناورا ، طالما أن مجلس قيادة الثورة باق .. ولا بد من عودة الجيش إلى الشكات صاغرا أو مشكورا .. وإلا فلن تهدأ البلاد ولن تستريح .. حتى لو حكم عبد الناصر بالشريعة . نعم : حتى لو حكم بالشريعة ! فلا بد من تغيير الدستور ، حتى يعود الضباط إلى الشكات ، وإلا فلن يبدأ الإخوان .

قال محمود عبد الحليم : « إذا فرضنا أن جمال عبد الناصر وافق الإخوان وأصدر أمرا بالحكم بالشريعة الإسلامية ، فهل كان الإخوان يكتفون بذلك دون مطالبة بالحكم الدستوري ؟ والإجابة على ذلك هي أن الإخوان كانوا سيطالبونه أيضا بالحكم الدستوري»(أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٢٥) .

وهذا الاختيار له علاقة بالقرآن كدستور للحياة .. فلو طبقت الشريعة فلا حاجة بها إلى الدستور .. وإذا كان الدستور يوضع لتحديد نظام المجتمع وقواعده

الأساسية المتفق عليها . فقد أنزل الله تعالى في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ أصول النظم الكافية لإقامة حياة عادلة آمنة .. وما يشترطه الإخوان لا يصح أن يكون موضع نزاع .. لا من الجهة الشرعية ، بل ولا من الجهة السياسية المتداولة .. فيضع دول العالم ليس فيها دستور ... فبريطانيا ليس فيها دستور ، ودول أخرى في العالم .. ولكل دولة مرجعية عرقية عامة ثابتة .. فلا يشترط لقيام الدولة وجود الدستور .. ولو وجد الدستور فالدستور ليس سيفاً ولا قرناً ، فمن الممكن أن يتبدل أو يتغير بإجماع حكومات العالم : المسلمة وغير مسلمة .. والمعجب في الأمر أن الإخوان الآن يطالبون بتغيير الدستور المصري ، كي يتوافق مع مطالبهم في الوصول إلى سدة الحكم ، ويؤيدون في العراق دستوراً علمانياً يهدر الشريعة ويفتت وحدة العراق ويضع عربيتها ، ويسلمها لقمة سائغة لإيران ، وذلك عن طريق الحزب الإسلامي الإخواني ، الذي يرأسه إثنان من قيادي الإخوان . كما نرى من أعجب المعجب أن الإخوان يقسمون بالله تعالى على حفظ القانون والدستور عندما يدخلون المجالس النيابية . وهم في نفس الوقت يعدون العدة للخروج عليه وتغييره .. كما يزداد الأمر عجباً أن يرفع الإخوان شعار " القرآن دستورنا " ومع ذلك يصرون على النزاع في إنشاء دستور آخر .. كان يجب على الإخوان أن يسلكوا سبل النصح ، وأن يرضوا بمكانتهم وقدراتهم ، وأن يتعاونوا بكل صدق ولكن الإخوان كانوا ضعفاء في الاتفاق والمحاور ، فعداوا خصومهم بغير حجة ، وتكلموا في الدين بغير علم .. فالإخوان يعرفون عبد الناصر من عام ١٩٤١م . وهم لا يتركون المنتسب إليهم بالليل ولا بالنهار ، ويخضعونه لاختبارات دقيقة . فكيف مع ذلك عجزوا عن معرفة تناورات وخبث أفكاره كما أشاعوا عنه ؟ . والحقيقة أن الإخوان كانوا يريدون عبد الناصر مطية لتحقيق أغراضهم ، فاستخفوا به اعتماداً على تنظيماتهم السرية . ولكن شاء الله تعالى أن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، وليتشتوا في البلاد جراء جهلهم بالدين وإفلاسهم في السياسة ..

٤- المطالبة بعودة الجيش إلى التكنات ..

يقول محمود عبد الحليم : « من الطبيعي حين يقوم جيش بانقلاب أو ثورة أن يقوم بتصدر جهاز الحكم فيه فئة من أفراده ، حتى إذا استقرت الأمور وشعر الجيش بتأييد شامل من الشعب كان على الجيش أن يرجع إلى تكناته ويسلم قيادة الأمور إلى الشعب ممثلاً في أفراد منه يرى فيهم الشعب الكفاءة والأمانة يصعدهم إلى مناصب الحكم يحض إرادته المتحررة من كل خوف وبالطرق الديمقراطية السلمية » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٠٣) .

هذا هو العرض الفكري للإخوان في ممارسة الحكم ، وقد بدا فيه بكل وضوح عمق الجهل بأصول الاستخلاف والتمكين في الإسلام ..

فالاستاذ محمود يقول : « من الطبيعي .. أي طبيعي هذا ؟ ومن أي مصدر استقاه ؟ .. ليس هناك شيء يجبر الذين ملكوا القوة ودانت لهم البلاد على العودة إلى التكنات العسكرية . وذلك أن الولاية في الإسلام ولايتان : ولاية بالاختيار من أهل الحل والعقد ولاية بالغلبة .. فمن غلب الناس بقوته وأصبح حاكماً وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، كذلك من اختاره الناس ورضوا به ، هذا هو معتقد أهل السنة . لم يكن للإخوان أدنى علم به .

قال ابن قدامة : « ولو خرج رجل على الإمام فقهره وغلب الناس بسيفه حتى أقروا له وأذعنوا بطاعته صار إماماً يحرم قتاله والخروج عليه » (المغني ٩ / ٥) وقال الإمام الأشعري : « وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وعلى أن كل من ولي شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر ، لا يلزم الخروج عليه بالسيف جار أو عدل » (رسالة لأهل الدفر ص / ٢٩٦)

وأساس الحكم في الإسلام قائم على العلم والعدل في النزاعات ، والقوة في تنفيذ الأحكام ، والأمانة في أداء الحقوق ..

والغاية من الحكم التوحيد والسنة وتحقيق المصلحة للمجتمع .. ويجب على الناس طاعة الإمام على كل حال .. سواء كان هذا المجتمع مجتمع خلافة .. أو مجتمع مملكة أو دولة .. وقد ثبت الحكم لضباط الثورة بالقوة .. ونالوا تأييد الشعب ، وثبتت لهم البيعة ، حتى من الإخوان أنفسهم ، وأصبحوا أولياء أمور وأصحاب كلمة ، وأمثال هؤلاء لا يحق لأحد أن يخرج عليهم إلا بالضوابط الشرعية .. وليس هناك وجهة شرعية تدعوهم إلى العودة إلى الثكنات . بل الثابت خلاف ذلك ، لما رواه مسلم في الإمارة ١٨٥٢ عن عرفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » ، وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: « ثم إذا ببيع خليفتين فاقتلوا الآخر منهما » (رواه مسلم في الإمارة . ١٨٥٣) ..

أما الإخوان فهم ابتداء وقبل أى مخالفة ، وبدون نقض للبيعة من قبل الشعب يريدون من ضباط الثورة العودة إلى الثكنات العسكرية ، ويريدون حل مجلس قيادة الثورة ، ليتسلموا الدولة غنيمة باردة بالنظام الديمقراطي .. فالنظام الديمقراطي أهون من مواجهة الإنجليز ، وأهون من الإعلان عن تأييد الثورة .. فالتشكيلات الإخوانية والتنظيمات السرية جاهزة ، والأموال والشباب المنتهور على أهبة الاستعداد . ولو كانت تلك الثورة ثورة إخوانية لخاف الإخوان على أنفسهم من الديمقراطية ، ولو طولوا بها لقالوا الديمقراطية كفر مبين ، وحيد عن الصراط المستقيم .. ولو وضعوا تحت الضغوط لقالوا نحن في الطريق إليها ، ولن نتحيد عنها بديلا ، ولكن دعونا حتى تهدأ الأمور ، ويثبت الحكم ، وتستقر الدولة . فالعالم كله يحيط بنا ، أتريدون أن يقول العالم إننا متفرون مختلفون ، يقتل بعضنا بعضا . كيف تقبلون هذا ؟

يا فرحة الأعداء بنا ؟

فماذا يكون الأمر إذا رفض الضباط العودة إلى الثكنات . ؟

يقول الهضيبي : « أما إذا اختاروا الاستمرار في كراسي الحكم فعليهم في هذه

الحالة أن يستقيلوا من الجيش ويقطعوا صلتهم به ويصيروا مدنيين ، وفي هذه الحالة يرجع الجيش حارسا لحدود البلاد لا حارسا لهم في مناصب الحكم » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٠٥)

ليست القضية في الديمقراطية ، فالإخوان لم يعرفوا الحرية ولم يزاوولوها .. القضية في ذهن الإخوان تدور حول نزاع سلطات الحاكم وتعمرة وجوده ، ليبقى لهم الأمر . كما دل على ذلك آخر برنامج سياسي للإخوان طالب فيه محمد عاكف بـ : « تمديد سلطات رئيس الجمهورية مما يجعله رمزا لكل المصريين فلا يترأس أى حزب سياسي ، ويكون بعيدا كل البعد عن المسؤولية التنفيذية للحكم » (أفاق عربية . عدد ٦٤٤٨) .

قلت : فإذا كان الأمر كما كان يرى الهضيبي أن لا حق للمصريين في التدخل في شئون المجتمع المدني وسياسة أموره ، فلماذا طالبهم بالخروج من الثكنات ، والتدخل في تغييره ، وهم لا عمل لهم إلا في حراسة حدود البلاد؟ لعل الخروج فقط لا يكون إلا لتمكين الإخوان ، أما خلاف ذلك فلا ! .

الغاية من مظاهرة ٢٨ فبراير ١٩٥٤م ..

لم يكن للإخوان في زمن الملك قدرة على مواجهة دولة الملك بأكثر من الهتافات والشعارات اللطيفة : " يعيش الملك يحيا الملك " مع أن قلوبهم كانت تنفر منه ، فهو طاغوت ، غر ، فاسق ، لص ، كما قال أدباؤهم ، ولكن لما جاءت الثورة تجرأوا وتأسدوا .. وهذا هو التوقع عندما يتقلد الأمر أناس تعرفهم ويعرفونك .. فقد كان الإخوان يهينون أنفسهم للحكم ، ولكنهم لا يعرفون مفتاح الطريق إليه ، فسبqهم الضباط إليه وحرموهم منه .. فبدأوا بالتناول بالمظاهرات المسلحة ..

قال سعد حجاج : « كانت الخطة أن تقوم بمظاهرة مسلحة بحميها بعض المسلحين ، للتعبير عن وجهة نظر الإخوان في الحكم الاستبدادي الذى بدأ ، ثم يذهب كل واحد إلى بيته ويكون بهذا قد أعلننا وجهة نظرنا للعالم كله في الثورة » صفحات من تاريخ الإخوان . ص / ٥١٠ .

وبعد أن أصدر عبد الناصر قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمون في ١٤ يناير ١٩٥٤م أصبح مقصودا بالانقلاب ، فذبر الإخوان مظاهرة عابدين لبيان موقفهم منه . قال جابر رزق : « كان الطاغية قد أصدر قرارا بحل جماعة الإخوان قبل هذا اليوم بشهرين 'يناير' ١٩٥٤ وقبض على عدة مئات من الإخوان في مقدمتهم الإمام الممتحن المرشد حسن الهضيبي، وعشرات من قيادات الإخوان » (إخوان أون لاين ٦ / ١٢ / ٢٠٠٤م) .

فخرج الإخوان في تلك المظاهرة ينقضون بيعة عبد الناصر، ويطالبون بعودة الجيش إلى الثكنات ، ويسألون عن محمد نجيب .. وكانت هتافاتهم كما قال د/ قميحة : « إلى الثكنات إلى الثكنات رجال الجيش "» انتصر الشعب فجاء نجيب ، "الحرية الحرية يا أعداء الإنسانية" « آفاق عربية عدد ٦٤٨ » .

فهل كانت عودة الجيش إلى الثكنات من جملة التعهدات التي اتفق عليها ضباط الثورة مع الإخوان ؟

والجواب : لم يحدث بين ضباط الثورة وبين الإخوان اتفاق على تسليم الحكم إليهم ولا لغيرهم .. خاصة أنهم لم يزاولوا الحكم من قبل ، بالإضافة إلى أن عبد الناصر كان مستقلا بتنظيم الضباط الأحرار عنهم . وقد تقدم قول عبد الناصر للهضيبي :

« أنا لم أتفق على شيء مع هؤلاء يا فضيلة المرشد وها هم أمامك . ولم يعلق أحد من الجالسين» . وقد صدق الهضيبي قول عبد الناصر بقوله :

« اسمع يا جمال .. ما حصلنا اتفاق . وسنعتبركم حركة إصلاحية » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧) .

وقال أحمد رائف في نفس كتابه (ص/ ٢٣١) : « ولم يكن بينهما أي اتفاق واضح ، غير ثروة هنا وهناك ، أغلبها من رياض الصالحين !» أهـ

أيضا : خرج الإخوان في مظاهرة مارس يطالبون بعودة اللواء محمد نجيب للحكم . قال محمود عبد الحليم : « أقال - عبد الناصر - محمد نجيب من مناصبه في

٢٥ فبراير .. وإذا به في أول مارس يواجه مظاهرة ضخمة ، ففي ذلك اليوم توجه جمع غفير من طلبة الجامعة إلى ميدان الجمهورية معهم ألوف من الأهالي يهتفون مطالبين بروجع محمد نجيب ، ولم يرحوا مكانهم إلا بعد أن أطل عليهم محمد نجيب من شرفة قصر عابدين ويحاجبه جمال عبد الناصر يضحك .. وخطب محمد نجيب خطبة طمأنهم فيها على الحكم النيابي » (أحداث صنعت التاريخ / ٣٠٣٣) .

وقد وقع في تلك المظاهرة عدة أمور :

أولا : نقض الإخوان بيعتهم لعبد الناصر ..

ثانيا : بيعة محمد نجيب وهو من الضباط العسكريين ، بينما هم يطالبون الضباط بالعودة إلى الثكنات .

ثالثا : أن الإخوان بايعوا نجيب وهم يعلمون بوجود علاقة بين وبين الإنجليز ! قال أحمد رائف : « في هذا الوقت كان محمد نجيب يتقرب من الإنجليز ويستعين بهم في صراعه مع عبد الناصر » (الصفحات . ص/ ٢٣٩) .

الثالث : أن الإخوان دخلوا في صراع بين الضباط ومحمد نجيب ، لا علاقة لهم به ، ووقفوا في صف محمد نجيب مع اتهام له بعدم إدراك المفاهيم السياسية . قال أحمد رائف : « وكان محمد نجيب بمن لا يفهمون معادلات السياسة في مصر هو الآخر » (الصفحات . ص/ ٢٤٣)

استعداد ضباط الثورة ..

لم يرض الإخوان بقوة الضباط ، فقامت المظاهرات ، وأعلنوا التحدي ، ليركبوا على الدولة عن طريق محمد نجيب . وخرجت المظاهرة عام ١٩٥٤م ، وقتل اثنين من منتظمي الإخوان ، وبدأت الهتافات تنادي " لا جمال ولا صلاح " وأخرى تنادي " دم الشهداء . بدم جمال " ملوحة بمناديل ملوثة بالدماء في سيارة عبد القادر عودة المسئول عن الإخوان في هذا الوقت . قال جابر رزق :

« سيطر الإخوان على الساحة بهتافاتهم ، فجأة شقت صفوف أعظم مظاهرة

شهدتها مصر طوال تاريخها عربية جيب مكشوفة يجلس إلى جوار السائق القاضي الشهيد عبد القادر عودة، يرتدي حلة بنية اللون وطربوش الأحمر على رأسه، حوله ثلاثة أو أربعة من الشباب يلوحون بمناديل ملوثة بالدماء يهتفون: "دم الشهداء بدم جمال". كان الرئيس محمد نجيب يقف في شرفة القصر الجمهوري ومعه آخرون الرئيس نجيب يخطف في المظاهرين يمدحهم بالحكم النيابي، وبعد أن ينتهي من خطابه يطلب من الجميع أن ينصرفوا. لكن لا أحد يتحرك. الهتافات مستمرة "دم الشهداء بدم جمال" (ذكريات عن القاضي الشهيد إخوان أون لاين - ٦ / ١٢ / ٢٠٠٤) .. وكانت تلك الهتافات أول تهديد علني يقتل عبد الناصر .. والإخوان الآن يتكرونها تلويح مظاهري عبد القادر عودة بالمناديل الملطخة بالدماء! وفي تلك المظاهرة قام أحد فتوات الإخوان بإطلاق الأعيرة النارية في الهواء، متحديا ومثيرا لضباط الثورة .. قال محمود عبد الحليم: «كان ميدان الجمهورية وهو من أوسع ميادين القاهرة بحرا متلاطما من أمواج البشر- كانت هذه المظاهرة بقيادة الإخوان المسلمين .. وقد أشارت الصحف إلى بعض شخصيات إخوانية كانت بارزة فيها، ومن هذه الشخصيات إبراهيم كرم، وكان من أشهر فتوات القاهرة، وقد هداه الله وصار من أئقي الإخوان، وكان متمطبا جوادا، ويتقدم المظاهرين، ويطلق أعيرة نارية في الهواء» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٠٤) ..

فاستمرت العداوة بينهما، وعرف عبد الناصر أن الإخوان يضمرون له السوء، بعد أن تعاملوا على نصرته وبيعته!

وعلى الرغم أن الأستاذ / عبد القادر عودة وقف في شرفة قصر عابدين يقول: «إن الإخوان المسلمين يؤيدون محمد نجيب، ويقفون في صف الحرية والديمقراطية».. إلا أنهم لم يستجيبوا له حين أمرهم بالانصراف. وذلك لأنهم في الحقيقة لا يؤمنون بقيادته، وإنما كانوا يريدونه فقط مطية لهم في الركوب على الثورة، ولا إشكال حينئذ أن يكون منهما بالعمالة للإنجليز كما زعموا، ولا أنه لا يفهم المعادلات السياسية، ولا أنه كان قائدا عسكريا، طالما أن الدقة ستكون في يد الإخوان .. يقول د/ جابر قمحية في (أفاق عربية. عدد ٦٤٨): «وكان نجيب قد حاول صرف

المظاهرين فلم يستجب أحد. فرقع الأستاذ عودة يده مشيرا بها قائلا: الآن انصرفوا دون هتاف! ثم يعلق قمحية قائلا: «سبحان الله إنهم جنود ملتزمون وهذا سر نجاح هذه الجماعة المباركة. دقائق تعد على أصابع اليد الواحدة وكان الأرض قد ابتلعت هذه الكتل البشرية...» أهـ

قلت: سبحان الله. لا يستجيبون للرجل الذي أيده وباعوه في شرفة القصر. فهل كان هؤلاء جنودا ملتزمين؟ أليس في عدم الاستجابة لمحمد نجيب تعرية له أمام ضباط الثورة؟ هؤلاء الذين تماطفت معهم أيها الرئيس لم يستجيبوا لك!

فأى شيء! إذن كانوا ينتظرون من عبد الناصر، وهم يطالبون بدمه، ويتظاهرون بالخروج عليه، وهو صاحب القوة، والمقل الفكر للثورة..؟

لقد تحقق أثر هذا الخروج في تلك المظاهرة المسلحة بالحكم على عبد القادر عودة بالإعدام.. ثم توالى الفتن، ولم يستند الإخوان من وزن ولا ثقل.. ولم يفقه عاقبة تصرف عبد القادر عودة في تلك المظاهرة إلا شاب اسمه حسن عبد الغفور، كما ذكر د/ جابر قمحية إذ وجده يبكي. فقال له علام تبكي؟ قال: «أبكي على الأستاذ عبد القادر عودة: لقد حكم على نفسه بالإعدام» (أفاق عربية. عدد ٦٤٨).

فماذا ينتظر من مجلس قيادة الثورة بعد أن رأى رئيس مجلس قيادة الثورة يدعو الناس للانصراف فلا ينصرفون، ثم يدعوهم رجل من عامة الشعب فينصرفوا في دقيقة واحدة؟ إذن هو الذي جمعهم، وهو الذي أثارهم، وهو الخارج عليهم وهو الذي أشار بمناديل الدماء في عرته .. وهو الذي يتوعد بالانتقام ..

شخصية مجهولة..

كان الإخوان يتعاملون مع شخصية مجهولة، لم تيسر لهم معرفتها، إلا ما كان من قول محمود عبد الحليم إذ وصفها بالذاكرة الفولاذية والقدرات التكتيكية .. لقد فوجئوا بطاقاته الهائلة، واستحوذوا على الضباط الأحرار، وسيطرته البالغة عليهم وعلى مقاليد البلاد .. ما عرف الإخوان حقيقة عبد الناصر إلا بعد أن غرقوا في

اليم ، قال محمود عبد الحليم : « إننى أرى أن شخصية جمال عبد الناصر كانت تستحق منا دراسة أكثر وعناية فى التعامل معها أكثر مما كنا نوليها » ٣ / ٨٣ وقال : « عبد الناصر . لا نستطيع أن نذكر أن فيه لمحة عبقرية ، وأن له طموحا يفوق كل تصور » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١٣) .

فهل كان من الممكن أن يترك رجل بتلك الشخصية ، وهو صاحب الثورة والقوة السلطة لمن جبنوا عن تحمل أعبائها ؟ وهل كان من الممكن الاتفاق على شيء فى حالة انعدام الثقة البالغ بينهما؟ هذا أمر بعيد . وهم يريدون الركوب . ولا بد أن يركبنا سينفجر .

٥- عودة التنظيم السري ..

لم يكن عبد الناصر هو المسئول الأوحد عن الدولة فى الفترة من ١٩٥٢م إلى ١٩٥٦م فقد كانت المسئولية ملقاة على مجلس قيادة الثورة ، الذى كان يتخذ القرارات بالإجماع .. غير أن عبد الناصر كان فى ذلك الوقت بمفرده هدفا للإخوان باعتباره العنصر الفعال فى الثورة .. وباعتباره كان محسوبا عليهم ثم خرج من الصف .. ولما كانت التقارير المنقولة إلى المسئولين تنذر بعروض كثيرة لقتل عبد الناصر عام ١٩٥٤م ؛ بدأ البوليس السياسي بجمع خيوط تلك الفكرة ، وذلك باستخدام التسجيلات السرية الدقيقة ، التى من أهمها تسجيل لقاء تم بين محمود عبد الحليم وبين المرشد العام حسن الهضيبي .. طلب فيه الأخير من محمود عبد الحليم تولي قيادة التنظيم الخاص .. وفى اللقاء الذى تم بين الضابطین الطحاوى وطيمية " ممثلان عن مجلس قيادة الثورة " وبين محمود عبد الحليم ممثلا عن نفسه ومن معه من الإخوان ، أظهر له الاثنان حقيقة العرض الذى عرضه الهضيبي عليه ، واستفسرا منه عن سبب امتناعه عن الموافقة عليه ؟ قال الضابطان لمحمود عبد الحليم : « يا فلان لماذا لم تقبل المنصب الفلانى " قيادة التنظيم السري " الذى عرضه عليك الأستاذ الهضيبي يوم كذا عندما اجتمعنا على انفراد بمكتبة المركز العام ؟ » .

وكان هذا أمرا مدهلا : أن تكون أسرار الاتفاقات التى تمت بين قادة الإخوان

فيما بينهم تحت يد عبد الناصر ، وهذا معناه أن الجماعة قد انكشفت فى أدق ما تعتر به من السرية .. ويحكى محمود عبد الحليم خبر هذا المنصب ، قائلا : « طلب إلى الأستاذ المرشد فى هذه الجلسة الثانية طلبا بموضوع يعد فى دعوة الإخوان هو أدق أسرارها ، ذلك أنه طلب إلى أن أتولى قيادة النظام الخاص ، فلم أنوان عن الاعتذار عن إجابة هذا الطلب فقال لى أنت موضع ثقتى ولك صلة قديمة بهذا النظام والعاملون فيه يكونون لك الحب والثقة والاحترام .. الخ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧٧) .

وهذا العرض يؤكد تراجع الهضيبي عن الخط الذى اتخذه من قبل بإلغاء التنظيم الخاص عندما فصل عبد الرحمن السندى ، وقال كلمته المشهورة " لا سرية فى الدعوة " ولا شك أن عودة التنظيم السري لممارسة نشاطه ينذر بمعركة كبرى مع ضباط الثورة ، الذين قبل الإخوان بهم كحركة إصلاحية ! . وقد أثبتت التسجيلات أن المرشد يستعدى فى الخفاء . والضباط على علم بتخطيطاته .

وتقع المفاجأة .. لقد انكشف التنظيم السري القديم وأصبح معروفا للجميع ، خاصة ضباط الثورة . فماذا سيفعل المرشد ؟

هل سيقوم بحل التنظيم أم ماذا يفعل ؟ .

والجواب : قام المرشد بعزل رئيس التنظيم القديم " بحجة أن لا سرية فى الدعوة " وبذلك تصل الرسالة لضباط الجيش بتوقف التنظيم عن العمل . ولكنه قام فى نفس الوقت بتكليف حلمى عبد المجيد بإدارة التنظيم السري الجديد بعد رفض محمود عبد الحليم له ، وانكشاف أمره . قال أحمد رائف : « قرر المرشد العام عزل عبد الرحمن السندى عن رئاسة التنظيم .. وصار حلمى عبد المجيد رئيسا للنظام الخاص بدلا من عبد الرحمن السندى » (الصفحات ٢٤٨) . ص /

ولكن المفاجأة أن التنظيم السري الجديد بجميع تشكيلاته أصبح معلوما بين ضباط الجيش ، والمرشد لم يتراجع عن السرية .. وليس لهذا معنى إلا أن المرشد يدبر للاغتيال ، وهذا ينذر بمواجهة كبرى . الله أعلم بمداهما ..

يقول أحمد رائف : « فكان عبد الناصر على علم بما يدور فى صفوف الإخوان وكانت تصل إليه أخبار الاجتماعات وما يقال فيها ويعرف وجهات النظر المختلفة .. وكان النظام الجديد سرياً بطبيعة الحال أو هكذا ينبغي أن يكون .. ومع هذه السرية ذهب أحد الإخوان الذين يتمتعون إلى النظام القديم ، والمفروض أنه لا يعلم شيئاً عن طبيعة ما يدور فى النظام الجديد ، والتقى بالشيخ محمد فرغلى أحد أعمدة هذا النظام الجديد وسأله :

هل صحيح أنكم كوتمت هيكلاً إدارياً جديداً للنظام ؟

قال له الشيخ فرغلى : ما الذى تريد قوله بالضبط ؟

ورد عليه الأخ بما يفيد معرفته بالكامل بأسماء رؤساء المناطق وكافة الأعضاء المهيمنين فى النظام الجديد . واصفر وجه الشيخ محمد فرغلى (رحمه الله) وسأل هذا الأخ : كل ما قلته صحيح ، فمن أين أتت هذه المعلومات . ورد عليه : عرفتها من أحمد صالح داود. وهذا الاسم لمن لا يعرفه هو أحد أركان المباحث العامة فى ذلك الوقت . كان كل شيء عن الإخوان مكشوفاً أمام الحكومة والمباحث العامة... (صفحات من تاريخ الإخوان / ص/ ٣٠١ ، ٣٠٢).

وهذا التصريح المتناقض " لا سرية فى الدعوة " مع إعادة التنظيم السرى مرة أخرى كان من جملة الأسباب التى أدت إلى حل جماعة الإخوان ، كما بدا من بيان مجلس قيادة الثورة ، وكان أيضاً من جملة الأسباب التى جعلت ضباط الثورة لا يثقون فى الهضيبي .. وقد جاء فى بيان مجلس قيادة الثورة الذى نقله السيسى فى كتابه (فى قافلة الإخوان ص/ ٣٧٦) ما يدل على ذلك ، وفيه : « بعد أن تعين الأستاذ الهضيبي مرشداً للإخوان لم يأمن إلى أفراد الجهاز السرى الذى كان موجوداً فى وقت الإمام الشهيد حسن البنا برئاسة السيد عبد الرحمن السندي فعمل على إبعاده معنا أنه لا يوافق على التنظيمات السرية ، لأنه لا سرية فى أئدين ، ولكنه فى نفس الوقت بدأ إعداد تنظيمات سرية جديدة تدين بالولاء والطاعة له ، بل عمد إلى التفرقة بين أفراد النظام السرى القديم ، ليأخذ منهم إلى صفه أكبر عدد ، لينضم إلى جهازه السرى الجديد» أهـ

٦- رفض اتفاقية الجلاء ...

اعترض الإخوان على عبد الناصر فى اتفاقية الجلاء ، التى خرج بسببها ما يقرب من ثمانين ألف من جنود الاحتلال الإنجليزي من منطقة القناة بغير قتال .. بعد احتلال دام اثنين وسبعين عاماً قال عنه محمود الصباغ : « بريطانيا التى احتلت أرض مصر سبعين سنة متصلة أذقت فيها هذا الشعب من الذل والهوان والاستعمار ما يعجز عنه الوصف » (التنظيم الخاص / ص/ ٢٦٩) .

ولو نظرت فى اعتراضات الإخوان على اتفاقية الجلاء التى هددوا بسببها ضباط الثورة تهديداً مباشراً إذا تم إبرامها ، كما نقل عنهم يوسف القرضاوى أن : « هذه الاتفاقية لن تجزى يعنى : الاتفاقية التى عقدت مع الإنجليز » (سيرة ومسيرة / ٢ / ٧٧) لوجدت أن تلك الاعتراضات ليست إلا زوبعة فى فتنجان ، ما كان ينبغي لها أن تأخذ هذا القدر ، ولا أن تصل إلى هذا الحد من التهديد ، خاصة أن مصر فى ذلك الوقت لم يكن لها قدرة على إخراج الإنجليز بالقوة .. وما ذكر من جبن الإخوان واختبائهم خلف الأستار ، حتى لا تنسب إليهم الثورة دليل أكد على ذلك .. كما أن كل الثورات التى كانت فى مصر فى ذلك الزمان لم تكن قادرة على إخراج الاحتلال بأى صورة .. فالهضيبي كان يرى أن الاتفاقية تعطى لبريطانيا الحق فى العودة إلى تلك القواعد الموجودة فى مصر فى حالة الهجوم على الدول العربية أو تركيا وهذا يربط مصر بالمعسكر الغربى .. كما أنه اعترض على وجود مدنيين أجانب فى تلك القواعد بعد رحيل العسكريين .. وكان من جملة اعتراضاته أن الاتفاقية لم توقع تحت قبة برلمان منتخب . ! وقد أشار ريتشارد.د. ميتشل فى كتابه عن الإخوان المسلمين . ص/ ٢٦١ - ٢٦٨ إلى تلك الاعتراضات بالتفصيل ..

والحقيقة أن أى اتفاق يتم بين دولتين إحداهما ضعيفة والأخرى قوية ينظر إليه من جهة المصالح العائدة على الدولة الضعيفة .. فلو قدر أن كان لدولة الاحتلال مائة ألف جندي فى الدولة المحتلة فخرج منهم سبعون ألفاً فهذه مصلحة بلا شك للدولة الضعيفة .. وإن قدر أنهم لم يلتزموا باتفاقات مسبقة كانتفا ١٩٣٦م واشتروا

للخروج اتفاقاً آخر واجب النفاذ فلا مانع ..

وإن قدر أنهم كانوا سيخرجون في خلال سنة فتأجل الخروج حتى سنتين فلا مانع .. وهذه كلها من أبواب الاجتهادات المتبعة ، نتيجة لضعف تلك الدولة .. أما أن تكون الدولة ضعيفة .. ومع ذلك تريد أن تفرض شروطاً أو تطلب ما لا يمكن لها تحقيقه إلا في الأمان والأحلام والخيالات ، كما يعيش الإخوان في كل مكان ، فهذا ما لا يظن الاعتبار به .. فكيف مع ضعف الدولة يصدر الإخوان المنشورات التي تهدد الدولة والمجتمع إذا ما قبلت هذا الاتفاق ! ثم يقولون نحن لا نقبلها لأنها لم تخرج من تحت قبة برلمان منتخب . فهل كان هذا شرطاً شرعياً لقبول المعهود في الإسلام .. ألم يقل النبي ﷺ : « المسلمون تنكافوا دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ... » (صحيح أبي داود للألباني ٢٧٥١) فكيف مع كون الذي يسعى في تلك الاتفاقية هو المسئول الأول عن الدولة !..

هذا أمر عجيب من الإخوان .. وقد ارتضوا من قبل حكم المنظمات الأجنبية ، التي تلعب لمصالحها الخاصة في مصر ، في ذلك الوقت - كما تبين من رسالة الإخوان للنقراشي باشا حين أشاروا عليه برفع قضية الاحتلال الإنجليزي لمصر إلى الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية - بينما هم لا يرتضون ذمة ضباط الثورة ، الذين حكموا البلاد ووعدهم بالحكم بالقرآن !.. فكيف لو أن محكمة العدل الدولية اتفقت مع البريطانيين على الخروج من مصر بعد عشر سنين .. هل كان لهم حيتل أن يعترضوا عليها ، وقد ارتضوا رفع القضية إليها والتحاكم لموائيقها ؟..

إن من أعجب الأمور في اعتراضات الإخوان احتجاج المرشد العام على عبد الناصر غياب الديمقراطية عند توقيع الاتفاقية .. في الوقت الذي كان يرأس فيه جماعة لا تعرف إلا أنفاً ناعمياً .. فقد سبق أن كانت جماعة الإخوان كاملة في صف عبد الناصر ، بينما كان الهضيبي بمفرده ، ومع ذلك لم يخضع لهذا الجمع الكبير في الجماعة ، كما أكد أحمد رائف من قبل ..

كان ينبغي على الإخوان أن يقبلوا تلك الاتفاقية وأن يكفوا عن منازعة الحكم فيها ، لأن بنودها تحققت بالفعل وخرج الإنجليز من مصر ، بينما لم تتحقق جميع الاتفاقيات والوعود التي كانت من قبل .. كما أكد حسن البنا في رسالته للسير كادوجان ، وفيها قال : « إن احتلال الإنجليز لمصر أمر بيت لبيل منذ سنوات طوال ، واستدرجت إليه مصر بفعل الدساتير البريطانية ، وأن ثلاثة وستين وعداً بالجلالة لا تزال قائمة » (الإصلاح السياسي عند البنا . طارق عبد الرحمن . إخوان أون لاين . نت) .

فكيف بعد ذلك يهدد الإخوان بعدم مرور الاتفاقية ..؟

ففي أيهما كانت المصلحة أن يخرج الإنجليز أم يبقى الإنجليز ..؟

ألم يكن بوسعهم تقدير الفارق بين الاحتلال الكلي والاحتلال الجزئي وعدم الاحتلال بالكلية ..؟

المحطة الأخيرة ...

رفض اتفاقية الصلح التي غت بين عبد الناصر وبين أشراف الإخوان ..

القبض على ثمانمائة إخواني عام ١٩٥٤م

الجو مشتعل والرياح تنذر بالمصائب ..

لم يعرف الشباب المعاصر الذي يلعب به الإخوان في الجماعات والنقابات والانتخابات حقيقة تلك الحقبة التي تخطب فيها الإخوان خطب عشواء ، حتى أفسدوا البلاد والعباد .. ومن خلال تلك العاصفة السابق ذكرها بدا لمحمود عبد الحليم أن عبد الناصر أصبح على اطلاع بأدق أسرارهم ، كما تبين من خلال لقائه بالطحاوي وطعيمة .. وهذا السر لا يعرفه بعد الله تعالى إلا محمود عبد الحليم والمرشد العام .. فكيف اطلع عليه عبد الناصر ؟

فالامر ينذر بخطر ، خاصة أنه قد انكشف أن الإخوان متفقون على التخلص من ضباط الثورة وقتل عبد الناصر .. فالمرشد أعاد التنظيم الخاص ، ثم نادى مؤخرًا

بالمواجهة مع ضباط الثورة ورفع سلاح التكفير، كما شهد محمود عبد الحليم في كتابه السابق (٤١٨ / ٣) بقوله : «المرشد العام مستمر في إصدار النشرات والبيانات من مخبئه لتزيد النار اشتعالا ، ومعلوماته ناقصة عن حقائق الموقف ، وما استجد بعد اختفائه من معلومات تدل على أننا مكشوفون للطرف الآخر دون أن ندري» اهـ ..

وأصبح عامة الإخوان في القطر المصري ينساقون وراء الهيئة التأسيسية في القاهرة، بزعماء المستشار عبد القادر عودة ، ويرفضون أى محاولة للإصلاح مع عبد الناصر ، مبررين ذلك بأن موقفهم أقوى ، وأن ضباط الثورة لابد أن يخضعوا لهم . قال محمود عبد الحليم : « ويبدو أن اتصالا كان قد تم بين هؤلاء (إخوان القاهرة) وبين إخوان الأقاليم التي في روعهم أن مذكرتي ومن يؤيدها ليست في مصلحة الدعوة . وإذا لم يكن قد تم هذا الاتصال فيكفي لإثارة شعورهم حماسهم ضد كل ما فيه معنى تقريب وجهات النظر ما تلقوه صادرا عن الأستاذ المرشد ساعة حضروا إلى المركز العام للاجتماع » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٢) .

فاتفق إخوان الأقاليم مع إخوان القاهرة على مواجهة عبد الناصر وضباط الثورة، ورفضت مذكرة التفاهم ، بناء على التصريحات الأخيرة التي أطلقها المرشد ، وأصبح الكل يضمير الانقلاب على ضباط الثورة .. فلو قالوا المرشد العام كان مستسلما رافضا للمواجهة فيرد ذلك عامة الإخوان ، الذين لا يتقدمون ولا يتأخرون إلا بأوامر المرشد ، الذي كان يهيج للمواجهة .. فقد استباحوا جميعا مواجهة ضباط الثورة ، بناء على منشورات المرشد العام .. ويؤكد ذلك محمود عبد الحليم " كبير مؤرخي الإخوان " قائلا : « لم يكن إخواننا هؤلاء ولا إخوان الأقاليم يتوقعون ما كنا نتوقعه من أهوال منتصب على رؤوسنا صبا ، لأنهم جحوا أنفسهم عن الحقائق ، ورضوا أن يعيشوا سابحين في الأهوام ، ولم يصدقوا ما أنذرهم به من أن أسرارنا مكشوفة لهؤلاء الناس .. وأرادوا أن يفرضوا على الواقع ما تخيلوه من أهوام» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٢٥) .

وهذا الإصرار وتلك المواجهة تنقل إلى عبد الناصر وضباط الثورة ، إما

بالتسجيلات السرية ، وإما عن طريق الإخوان المقربين له .. الخ

قال محمود عبد الحليم : « ولكن الجديد في الأمر أنني اكتشفت أن القوم بكل الوسائل التي أتيت لهم من خزائن الدولة ، ولواء بعض إخوان لهم ، ووسائل التسمع الحديثة استطاعوا أن يعرفوا أسرارنا عما يتصل بهذه القوة ، فلا ينبغي لنا أن نتعamy عن هذه الحقيقة المرة » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٩٠) .

مذكرة التفاهم ..

في أثناء تلك المظاهر الملتهبة يتقدم محمود عبد الحليم بمذكرة إصلاح وتفاهم مع عبد الناصر ، دفعه إليها كما تقدم علمه أن عبد الناصر أصبح على اطلاع بأدق أسرار الإخوان . وفي ملخص تلك المذكرة أظهر عبد الحليم التأسف على ما حدث من نزاع بين طائفتين من المسلمين أخذ في إشعاله شياطين الإنس والجن .. ثم سرد الأعمال الطيبة التي قام بها ضباط الثورة من الإفراج عن الإخوان ، والتحقيق في مقتل حسن البنا ، وعزمهم على إقامة السد العالي ، وقال إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة ، ومثل هؤلاء لا ينبغي أن نرميهم بالكفر . ثم ذكرهم بألا ينسوا فضل الإخوان في التمهيد للثورة ، وألا يستجيبوا لدواعي الغضب ، وألا يستيحيوا للصاق التهم بالإخوان ومعاملتهم معاملة العدو ، واقترح لقاء بين الإخوان في القطر المصري كلقاء بين عبد الناصر ومن يشاء من رجاله . (انظر أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٨٦) ..

وقرأ عبد الناصر مذكرة التفاهم ، ورحب بها ، وتحت يديه أدلة نظر الإخوان في قتله ، ومنشورات المرشد لا تزال تلاحقه ، والاتهامات المختلفة بالتعامل مع الإسرائيليين في الفالوجا حاضرة أمامه ، مع بعض الاتهامات الأخرى التي كانت تؤرقه كاتهامه بالاستيلاء على أموال التنظيم ..

وفي أثناء اللقاء الذي تم بين عبد الناصر وبين محمود عبد الحليم موفدا من بعض الإخوان مع الدكتور خميس حميدة وعمر التلمساني والدكتور عثمان نجاتي والأستاذ محمد حلمي نور الدين والشيخ أحمد شريت ، قال عبد الناصر : « لقد

قرأت مذكرة فلان وأرى فيها روحا طيبة ، ولهذا طلبت أن ألتقى بوفد يمثل الإخوان لمناقشة أسباب الخلاف بيني وبين الإخوان..فقلنا له : أليس من الممكن أن نتجاوز الخلاف ونتجه إلى وسائل الإصلاح .. ؟

فقال : إن هذا ليس بالطريق السليم لمعالجة الخلاف .. لابد أولا من معرفة أسباب الخلاف حتى نبحث بعد ذلك عن تلافى هذه الأسباب ..

فقلنا : إذن ما هي أسباب الخلاف :

فبين عبد الناصر أسباب الخلاف فى النقاط التالية :

١- أن الإخوان اتهموه بالاستيلاء على مبلغ من المال لنفسه ، وقد كان هذا المال معدا لشراء سلاح ، ولم يحصل على أسلحة إلا بجزء يسير منه ...

٢- أنه بالرغم من حرصه على استشارة المرشد العام منذ قيام الثورة إلا أن المرشد كان لا يهتم بلقائه.

٣- طلب من المرشد حل التشكيلات العسكرية التى فى الجيش فنفى وجود التشكيلات العسكرية ، فقال له : « يا فضيلة المرشد أنا أعرف أن تشكيلات الإخوان فى الجيش لا زالت موجودة ولكنه أضمر على الإنكار ... » .

٤- تحدث عن اتفاقية الجلاء ومحاسنها وبين أن معارضة الإخوان لها نوع من التحدى.

٥- نقض مطلب الإخوان بالانتخابات لأجل تأثرها بالتشكيلات العلنية والسرية للإخوان..

٦- حتب عتابا شديدا على مظاهرة مارس ١٩٥٤ ..

٧- تحدث عن تسلط الإخوان على الجامعات ..

وانتهت الجلسة باتخاذ القرارات الآتية :

قال عبد الناصر : كل الذى أستطيع أن أبذله لكم الآن هو أن أعقد معكم

هذنة، فإذا نجحتم فيها كان لكم أن تطلبوا بصلح ..

قلنا : وما شروط الهدنة ؟

قال : هما شرطان :

١- أن توقفوا حملتكم على اتفاقية الجلاء .

٢- أن توقفوا إصدار النشرات ..

قلنا : ولنا شرطان مقابلان هما :

١- أن توقف الاعتقالات والتشريد ..

٢- أن توقف الحملة الصحفية .

قال : أن موافق على شروطكم إذا وافقتم على شروطى ..

قلنا : إننا موافقون ..

قال : إذا نفذتم الشروط فلنا اجتماع آخر بعد اجتماع الهيئة التأسيسية - أما إذا لم تستطيعوا تنفيذ الشروط فلا اجتماع ولا تلومونى بعد ذلك ..

قال محمود عبد الحليم : « وهنا اختتمت الجلسة ، وخرجنا وكلنا أمل فى الوفاء بما اشترط علينا ، لنخرج بالدعوة من هذا المأزق الخطير الذى وضعت فيه » أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٠٣-٤٥٥ .

هذا هو الاتفاق . أراد عبد الناصر مواجهتهم بالأحداث التى وقعت منهم ، وأرادوا هم الفرار ، فأصر على مناقشتهم ثم الاتفاق معهم وإعطائهم المهلة. فمن الذى نقض الاتفاق ؟ ومن الذى سيج فى الأوهام ؟ ومن الذى نسب فى القبض على ثمانمائة منتسب إلى تشكيلات الإخوان فى القطر المصرى (!) ، كما حكى السيسى فى كتابه (فى قافلة الإخوان ص / ٥٧٨) حيث قال : « فقد بلغ عدد المحكوم عليهم بأحكام مختلفة حوالى (٨٠٠) ثمانمائة من رجال لإخوان أودعوا جميع السجن » أهـ

نقض الاتفاقية .. المؤامرة الإخوانية الخسيسة .. دور الأستاذ عبد القادر عودة

عاد محمود عبد الحليم بالاتفاقية ، ليقوم بعرضها على المرشد العام ، ولكنه كان مختبئاً ، وليس هناك من سبيل للقاء معه ، والجميع يرفض الإنفصال عن مكانه . والاتفاقية محددة الشروط ، هما فقط شرطان : (عدم نقض اتفاقية الجلاء ، وقف المنشورات السرية) ، وينتجى النزاع ، ويهدأ الجو ، وتسكن الرياح ..والذين عقدوا الاتفاقية كبراء الإخوان ..

فهل سيوافق أعضاء الهيئة التأسيسية وإخوان الأقاليم على الاتفاقية ؟ أم أنهم سيردونها ، ومن ثم يبدأ الصراع ..

عرضت الاتفاقية على الهيئة التأسيسية فقام المستشار / عبد القادر عودة متصدراً هيئة الرافضين للاتفاقية ، وقام بدفع الأستاذ خميس حميدة " نائب المرشد " الذى وقع على الاتفاقية مع عبد الناصر ، ومنعه من عرض الاتفاقية . أما المؤامرة الخسيسة فهي كالأذى ، كما حكاها محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١٩-٤٢٢) قائلا :

١- « وافتتحت الجلسة حيث صعد الأخ الدكتور محمد خميس حميدة نائب المرشد العام إلى المنصة ليدبر الجلسة .. وما كاد يبدأ حتى رأينا منظراً عجبياً لم نصدق أبصارنا حين رأيناه ، ولا اعتقد أن أحداً كان يتصوره .. رأينا الأخ الأستاذ عبد القادر عودة يصعد هو الآخر إلى المنصة ، وينبئ الأخ الدكتور خميس فى غير رفق ويقول له : أنا أحق منك بإدارة الجلسة » أهـ

٢- وتحت عنوان خطة مديرة وخطوات مدروسة . حدث خلاف فى قراءة المذكرة تقرأ أم لا تقرأ . قال الأستاذ عبد القادر وثاقاً : "حسناً للخلاف نلجأ إلى الهيئة ونأخذ الأصوات هل تقرأ مذكرة فلان أم لا تقرأ " وأخذت الأصوات فكانت الأغلبية فى جانبهم ، وهو ما كانوا واثقين منه ، وإلا لما لجئوا إلى هذا الأسلوب .

٣- حدث تراشق بالالفاظ .. وخلاصة ما كان أن ظلل الاجتماع ما ظلل ، لا

تسمع إلا نهائراً ، هذا يطلب محاولة الإصلاح ، وآخرون يردون عليه بصوت أعلى يرفضون الإصلاح... ثم كان القرار وهو : * تكليف اللجنة التى كان موكلاً إليها الاتصال برئيس الحكومة ، وإخطار الهيئة بنتائج هذا الاتصال فى اجتماع الهيئة التأسيسية القادم " أهـ

هذا هو الذى نقله المؤرخ / محمود عبد الحليم مستاء من تصرفات الأستاذ عبد القادر عودة ، التى فرقت الجمع وشتت الشمل ، وعرضت الإخوان للفتن .. فلم تقرأ مذكرة الصلح التى وقعها عبد الناصر مع وفد الإخوان ، الذى وصفه عبد الحليم بأنه : « كان فوق الشبهات إذ يضم أغرق الإخوان فى الدعوة وأعلامهم ثقافة وأشدهم غيرة وأقدرهم على تقدير الموقف وهم موضع احترام الجميع » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١٧) .

وقد أراد أعضاء الهيئة التأسيسية إما أن يتم الاتفاق مع اللجنة التى كانت موكلة من قبل بالاتصال بالحكومة ، وهى غير لجنة عبد الحليم وإلا فلا اتفاق ولا صلح .. ولكن ما يكون .. ورفضوا اللجنة التى كانت من كبرائهم ، وردوا ذمتها ، وأبطلوا سمعتها بمكر فاضح ، استباحوا فيه مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، كما ذكر محمود عبد الحليم فى نفس كتابه . ولم يوفوا لمحمود عبد الحليم العهد الذى كان بينه وبين عبد الناصر ، كما أنهم لم يوفوا من قبل لخميس حميدة ماكان بينه وبين عبد الناصر من اتفاقات ، كما أشار عبد الحليم فى نفس كتابه ٣ / ٣٨٨ : « فقد سبق أن ذكرت أنه حين كان مفوضاً فى الاتصال بجمال عبد الناصر تعهد لجمال بتعهدات خذله فيها الإخوان » أهـ

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل استمرت المنشورات تهاجم الثورة وتهيج انعماءة وتهدد بأعمال انتقامية فى حانة عدم إلغاء امتثالية الجلاء .. وقد كان الأستاذ سيد قطب وراء تلك المنشورات ..

وترتب على تلك الحيلة أن غادر محمود عبد الحليم المركز العام للإخوان ، مودعاً إياه ، وهو يعلم أنه لن يعود إليه مرة أخرى ، بسبب المرشد الهارب ، وبسبب

منشوراته التي كانت تدعو إلى قلب نظام الحكم، وتكفر حركة الجيش .. وبسبب حماقة أغلب أعضاء الهيئة التأسيسية، الذين لم يراعوا دماء أتباعهم، الذين يخضعون لهم بلا مناقشة ولا مراجعة، حتى تحملوا إثم المسؤولية الكبرى في القبض على ثمانمائة إخواني في القطر المصري. قال محمود عبد الحليم لعبد القادر عودة: «إن دماء هؤلاء أمانة في أعناقنا نحن الذين اختارونا قادة لهم، يتلقون منا دون مناقشة ولا مراجعة فمن حقهم علينا أن نظلمهم على ما عندنا. الخ» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٩١) وقال أيضا في نفس كتابه (٣ / ٤٢٥) : « غادرنا اجتماع الهيئة التأسيسية ونحن نقول : وداعا أيها الدار .. كنا نعرف ما نحن مقبلون عليه .. ولكننا أو أقول عن نفسي بالذات إنني كنت مرتاح الضمير ، لأني بذلت آخر ما في وسعي ، لدفع النكبة عن إخوان لي في القاهرة والأقاليم ، ولكنهم رفضوا فكتنت وإياهم كما قال الشاعر العربي :

أبتنى إصلاح سعدى بجهدى وهى تسعى جهدها فى فسادى » أهـ

واشتعلت النار ، وأراد إخوان القاهرة إطفاءها فيما بعد فلم يستطيعوا ، ووقعت حادثة المنشية ، وقبض على ثمانمائة من الإخوان المسلمين ، وهرب من هرب ، ورحل من رحل ، وتشتوا في البلاد ، يكون على ما مضى ، ويرمون مخالفاتهم بشئ التهم ، ولم ينظروا في أنفسهم ، و لم يهتموا منهجهم ولا طريقهم .. حتى دخلوا السجون والمعتقلات ، ثم بدءوا يفكرون ، ولكن بعد وقوع المصائب وتلاطم الأمواج . وهكذا العامة ، كما قال الحسن البصري : « إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل » أهـ

وذكر السبسي تلاوم الإخوان في السجون قائلا :

« فمن قائل لو أننا صبرنا على الحكومة ولم نستعجل مخاصمتها ؟- ومن يقول : إن الحكومة كان في نيتها الحكم بالشرعية ، ولكنها كانت ترى أن هذه خطوة يجب أن تكون متأخرة حتى تستقر الأوضاع ، وأن الإعلان عن الحكم بالشرعية ينقل علينا أبواب دول في الشرق والغرب» (في قافلة الإخوان . ص / ٥٧٨) .

خاتمة أحداث ١٩٥٤م .. حادث المنشية ..

كانت تلك هي المواجهات التي انتهت بحادثة المنشية .. تلك الحادثة التي قام بها التنظيم الخاص .. وكما هو معلوم فالتنظيم الخاص يتكون من سلاسل عقودية، لا يعرف بعضها شيئا عن الآخر .. يقومون بالجرمة .. ولا يعرف من الذي قام بها .. ولكن الوضع في حادث المنشية أن الجميع متفق على التفكير في قتل عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة .. ولكن كيف يتم ذلك ؟.. هل يضربونه بالنار ؟ أم يفجرون أنفسهم فيه ؟ أم ماذا يفعلون ؟..

في كتابه (سيرة ومسيرة . ٢ / ٨٦) أراد القرضاوى أن يبريء الإخوان من حادث المنشية ، وكانت حجته أن الأستاذ الهضيبي كان ضد الاغتيالات ، وهذا وحده من وجهة نظره كاف لثبوت الجماعة من تلك الحادثة ، ولتحمل هنداوى دوير المسؤولية بمفرده . قال القرضاوى : « من الواضح الجلي ، ومن المؤكد المستيقن : أن قيادة الإخوان لا تتحمل وزر هذا الحادث ، عند كل دارس أو مراقب عنده ذرة من عقل أو إنصاف .. فقد أكدت كل المصادر : أن المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي كان ضد فكرة الاغتيالات بكل قوة ووضوح ، وأعلن هذا بصريح العبارة لرئيس الجهاز السري : « إنه برئ من دم أي شخص كان » وهذا ما شهد به الخاص والعام ، وأن النظام الخاص أو الجهاز السري للجماعة، لم يكن هو المدير لها ولا المسؤول عنها. إنها في رغبة هنداوي دوير (رحمه الله) ، الذي أراد أن يقوم عن الجماعة بتنفيذ ما فرطت فيه في نظره! ومن يدري ربما لو نجحت خطته لأصبح من الأبطال ، وعدّ منتقدا للدعوة » أهـ

غير أن الحقيقة خلاف ما قال الشيخ القرضاوى . فليس ما قاله القرضاوى واضحا جليا ولا مؤكدا متيقنا ، إنما هي أوهام وغرانات . والمرشد كان يذبها عن الأمر .. والقرضاوى يحكى المرحلة الأولى للمرشد التي كان فيها ضد فكر الاغتيال، ويسكت عما انتهى إليه فكره من ضرورة التخلص من عبد الناصر وقته .. وقد يقلل ما يقوله القرضاوى إن لم يكن للإخوان تاريخ بارع في الاغتيالات السياسية

..والجو السياسي يبيع ذلك، فليس بعيدا علي من تمرسوا في تلك الأعمال وإباحوا تلك الجرائم أن يدبروا قتل أى حاكم .. أليس جزء من يخرج من التنظيم القتل .. فقد خرج عبد الناصر من التنظيم الإخواني ! ألم يقل الإخوان في مظاهرة عابدين " دم الشهداء بدم جمال " أم يحل عبد الناصر جماعة الإخوان ؟ ما جزءا من يفعل ذلك ؟ أسألو النقراشي .. غير أن القرصاني أراد فقط أن يفرق هندواي دوير ومحمود عبد اللطيف ، لتبرأ جماعته عما قدمت في حق نفسها وفي حق المجتمع المصري في ذلك الزمان .. فليست كل المصادر معه ، فهناك مصادر كثيرة ضده ، والجميع متفق على القتل كفكرة ، غير أنهم كانوا يتناظرون في آلية التنفيذ ..

فكرة قتل عبد الناصر ..

طبقا لقواعد التنظيم الخاص . لم يكن أمر القضاء على عبد الناصر أو قتله في أول عهد الثورة بحاجة إلى براهين ، فقد ترك التنظيم ، وأصبحت أسرار التنظيم كلها معه ، وهو مع ذلك منهم بنقض العهد وخيانة الأمانة ، وعاقبة من وقع في تلك الجرائم القتل ، مهما طال الزمان ومهما تحصن بالأسباب ، قال الصباغ : «فإن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ، ويكون مأواك جهنم ويش المصير» (التنظيم الخاص . ص/ ١٣٢) .

فقضية قتل عبد الناصر كانت في ذهن الإخوان وهو يقوم بالثورة ، وليست القضية متعلقة بكونه صار رئيسا ..

القضية أنه خرج عن الصف والتنظيم . وقد كانت الخطط المدة لقتل عبد الناصر تنقل إليه بدقة كاملة ، إما من الإخوان أنفسهم ، وإما من غيرهم .. ويكفي أن عبد الناصر قام بحل جماعة الإخوان في يناير ١٩٥٤م ، وقد كان عاقبة النقراشي باشا بسبب هذا القرار القتل . فما عاقبة عبد الناصر .. ؟

ولك أن تتصور ما يجيش في نفس عبد الناصر قبل الإخوان ، وهو يعرف ما يكون له من العداوة ، خاصة بعد أن رفعوا المناويل الملونة بالدماء وقالوا " دم الشهداء بدم جمال " .. وذلك مظاهرة عابدين في سيارة عبد القادر عودة وكيل

الجماعة المسئول عنها وقت هروب المرشد في الإسكندرية.

قال جابر رزق : « سيطر الإخوان على الساحة بهتافتهم ، فجأة شقت صفوف أعظم مظاهرة شهدتها مصر طوال تاريخها عربة جيب مكشوفة يجلس إلى جوار السائق القاضي الشهيد عبد القادر عودة .. حوله ثلاثة أو أربعة من الشباب يلوحون بمناديل ملونة بالدماء يهتفون : " دم الشهداء بدم جمال " (إخوان أون لاين - ٦ / ١٢ / ٢٠٠٤) .

وما يدل على مسئولية عبد القادر عودة عن تلك الهتافات قول ولده الدكتور/ خالد عبد القادر عودة : « المسئول عن الإخوان المسلمين كاملا في هذا الوقت هو كان عبد القادر عودة » (الجزيرة نت ١ / ١ / ٢٠٠٧ م)

وقد كانت هناك أفكار كثيرة لقتل عبد الناصر، منها :

١- فكرة عبد المنعم عبد الرؤوف ..

نشأت فكرة التخلص من عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة في رأس الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف في ليلة الثورة ، وذلك عند توجهه إلى حصار قصر رأس التين .. قال أحمد رائف : « اقترح - عبد المنعم عبد الرؤوف - على عبد الرحمن السندي أن يمدد بالتم من الإخوان يرتدون ملابس الجيش ويقوم بالقبض على مجلس الثورة » (صفحات من تاريخ الإخوان ص/ ٢٣٢) .

٢- فكرة سيد قطب ..

كان سيد قطب من أبرز الناصحين للمرشد العام عام ١٩٥٤م بالتخلص من حركة الجيش، قائلا : « إنني نصحت الأستاذ المرشد أننا جماعة الإخوان يجب أن نقضى على حركة الجيش قبل أن نقضى علينا » (قافلة الإخوان . ص/ ٥٢٢)

٣- محمود عبد الحليم يندم ..

وتحت عنوان "فرصة أضعتها" كتب عبد الحليم في كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٢٢) : «كانت الفكرة التي في رأسي منذ أواخر أيام الاعتقال هي أن

الإجراء الوحيد الذى علينا أن نتخذه فى اليوم التالى لخروجنا هو أن نضع أيدينا على مرافق البلاد ونتخذ لنا وضعاً فى حكومة انتقالية يشل حركة جمال عبد الناصر شللاً تاماً» أه

٤- هندأوى دوير يهتف بقتل عبد الناصر ..

يقول عبد الحليم : « ففى إحدى مرات تردد محمد الجزار الذى كان ضابطاً فى القلم السياسي ، وكانت العلاقة بين الحكومة والإخوان متوترة سمع هندأوى دوير - وكان من الشبان المتهورين - يردد : «لازم نقتل جمال » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٦٦) .

٥- الهجوم الانتحارى والحزام الناسف ..

طرح فكرة الحزام الناسف لأول مرة فى تاريخ الإسلام بين جماعة الإخوان فى أول عهد الثورة . قال أحمد رائف وهو يعدد الطرق التى كان يفكر فيها الإخوان للتخلص من عبد الناصر : « ودخلوا فى مناقشات بيزنطية حول الفتنة ودم عبد الناصر حلال أم حرام ؟ فى الوقت الذى كانت نفوس الإخوان تعباً ضد الثورة ورجالها عبر المنشورات التى كانت سبب أرق عبد الناصر » (الصفحات . ص / ٢٥٦) .

وهذا سؤال وجهه أحمد رائف إلى سعد حجاج أحد أعضاء التنظيم الخاص قائلا له : هل كانت هناك فكرة لاغتيال جمال عبد الناصر ؟

قال : كان هناك كثير من المناقشات حول دور الإخوان فى الرد على الثورة عندما يحاول الضباط القضاء على الإخوان ، وكانت هناك بعض الأفكار تدور فى الأحاديث المختلفة بين الإخوان فى ضرورة المقاومة وعدم التسليم ببساطة ، وتطورت هذه الأفكار إلى ضرورة التخلص من هؤلاء الضباط ، وقتل واغتيال بعض منهم كنوع من الحماية ، ولكن هذه الأفكار وهذه الأحاديث لا تمثل نظر قيادة الإخوان فى هذا الأمر ! ووجهة نظر الإخوان قيادة الإخوان تمثل فى مجموعها رأى الجماعة ، فإن أخذنا بهذا فلم يكن عند الإخوان أدنى فكرة من اغتيال عبد الناصر ..

وما قصة الحزام الناسف والمسندات وسائر هذه الأشياء ؟

- الحزام الناسف كانت فكرة تستخدم عند الهجوم على الجماعة ، فلا بد من رد من جانبنا ، وكنت أنا المرشح لحمل هذا الحزام واحتضان عبد الناصر والموت معه ، ولم يكن هذا كلاماً رسمياً بمعنى أنه لم يأت من قيادة الإخوان للتنفيذ ولكنها أفكار تتبادل الحديث فيها، وقد رفضت هذه الفكرة.. لماذا ؟ لأننى كمسلم أقاتل وأقتل ، وموضوع الانتحار هذا لا أراه شرعياً » (الصفحات . ص / ٥٠٩) .

قال أحمد رائف : وسألت الأخ سعد حجاج : هل جاءكم أوامر حسب التسلسل القيادى الذى ذكرته باغتيال جمال عبد الناصر . الخ ؟ قال سعد حجاج : لو جاءتنا أوامر بقتله لقتلناه ، وكنا نستطيع ذلك . كيف هذا ؟ وفى ابتسامه الوانق قال سعد : كانت عند الإخوان القدرة على قتل عبد الناصر فى أى وقت ، كان لدينا التنظيم الدقيق المسلح الواسع القادر على تنفيذ هذا ، وأسأل التاريخ القريب يخبرك » (الصفحات . ص / ٥١٢) .

انظر إلى قوله : لو جاءتنا أوامر بقتله لقتلناه . ! لتعلم عظم الانقياد الأعمى فى تلك الجماعة ..

وقد بلور سيد قطب هذا المفهوم وتلك الأفكار فى كتابه " لماذا أعدمونى " وفيه قال : « لا بد من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج ... وهذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعات مدربة تدريباً فذاً بعد تمام تربيته الإسلامية من قاعدة العقيدة ثم الخلق . فإن هذه المجموعات لا تتدخل فى الأحداث الجارية ، ولكنها تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة لرد الاعتداء وضرب القوة المتعدية بالقدر الذى يسمح للحركة أن تستمر فى طريقها... » أه

٦- دور المرشد العام ..

كان المرشد فى أول الأمر هادئاً فى مواجهة الضباط . قال أحمد رائف : « كانت خطة الرجل بسيطة وسهلة وهى تجنب الصدام ولو أدى الأمر إلى تسليم مفاتيح المركز العام لجمال عبد الناصر ، مع الفتوى بعدم جواز قتله هو أو

غيره ، ولكن ماذا يفعل حيال جمهور قوى غاضب مسلح ، قد هباً نفسه للناصر والحكم « (الصفحات ص/ ٢٤٣) وقال ص/ ٢٩٩ : « وطرحت أفكار للاغتتيال والتخلص من الضباط ، واستنكرها ونهى عنها المرشد العام » .. ولكن لما ضاقت الأمور بالهضيبي بدأ يلجأ لأعداده بالإعداد لقتل عبد الناصر والتخلص من ضباط الثورة .. وبدأ يحدد تشكيلات التنظيم السري .. وبعد الاختفاء إلى الإسكندرية بدأ في تهيج الواقع الإخواني بالمشورات السرية .. حريصا على أن يكون بعيدا عن تحمل المسؤولية.

• تلميح المرشد الأول بقتل عبد الناصر...

ظهر هذا التلميح بعد فشل محاولة الغزالي وإخوانه في الانقلاب على المرشد العام . يقول السيبي : « ولا زلت أذكر تلميحاً لطيفاً حين ذكر قصة العاص بن وائل ، ذلك الكافر الذي كان رسول الله ﷺ قد أهدر دمه حين دخل مكة منتصرا ، وبعد أن ضاقت به الأرض بما رحبت دخل على رسول الله ﷺ وهو يجلس في حرم الكعبة ، وألقى عليه السلام عساه يغفوه عنه ، ولكن الرسول ﷺ لم يرد عليه السلام إلا في الثالثة ، فلما سأل الصحابة رسول الله ﷺ لماذا صمت في الأولى والثانية؟ قال : لقد انتظرت حتى يقوم أحدهم فيضرب عنقه ، قالوا أو ما أومأت إلينا يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « إنه لا ينبغي لشيء أن تكون له خاتمة الأعين » . (في قافلة الإخوان . ص/ ٣١٥) .

• المنشورات التكفيرية والدعوة للانقلاب...

وعقب انتشار إشاعة لا يعرف من الذي أطلقها بين صفوف الإخوان ، تشير بأن هناك خطة لقتل المرشد انطلق عبد القادر عودة وخنيس حميدة إلى المرشد العام وأخبراه بها ، فما كان من المرشد إلا أن فر هاربا إلى الإسكندرية ، وقد أثبت الهضيبي حقيقة فراره بقوله : « وقيل لي إن الحكومة عازمة تغتالني ... فانا إكمالا لخطتي أثنى أبعد عنهم اعزلت » (في قافلة الإخوان . ص/ ٥٢٤) ومن مخبئه خرجت المنشورات النارية ، التي كانت تنادي بقلب نظام الحكم ، وتكفر الضباط ،

وتحرض عليهم ، قال محمود عبد الحليم واصفا تلك المنشورات : « ثم يذكر هذه النار ويؤججها ما يصدر عن المرشد من مخبئه بين يوم وآخر منشورات لا هبة » (أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٣٨٨) وقال في موضع آخر : « وقد وجدت أن الإخوان في المركز العام يفتنون إخوان الأقاليم بسبل من المنشورات منها خطابات موجهة إليهم من المرشد العام من مخبئه . ولا حظت أن هذه المنشورات والخطابات مما يرفع من حرارة الالتهاج وفي أعصاب الإخوان ضد الحكومة حتى إن بعض هذه المنشورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧٣) .

وقال في موضع آخر في نفس كتابه ٣ / ٤١٨ : « وقبل موعد الاجتماع بنحو ساعة فوجئنا بمنشور صادر عن المرشد العام يؤرخ على هؤلاء الإخوان ، يحرضهم فيه على رجال الثورة ويرميهم بالكفر...أهـ.

وتلك الدعوة الانقلابية التكفيرية متناقضة مع فكر المرشد القديم الذي قال فيه لعبد الناصر : « سنعبركم حركة إصلاحية .. الخ » ..

كما أنها تتنافى مع عزمه أن يسلم عبد الناصر مفتاح المركز العام للإخوان ، انتقاء لوقوع مواجهة بين الفريقين ، كما تقدم .. وتتناقض كذلك مع كتاب "دعاة لا قضاة" الذي كان يحارب فيه الهضيبي الفكر التكفيري ..

هذه هي المنشورات التي كانت تخرج من المركز العام لجماعة الإخوان ، لتوزع في جميع أنحاء الجمهورية ، وتطالب بالقضاء على ضباط الثورة والتخلص منهم . وقد وزعت تلك المنشورات قبل حادث النشبة .. وكان لها الأثر الأكبر في نفس هنداوي دوير حين فكر في قتل عبد الناصر .

وقد كان هذا الاتجاه مسيطرا على ذهن سيد قطب بعد الثورة مباشرة ، كما تقدم ، فقد كان يكذب المنشورات السرية التي كانت تؤجج الصراع ، خاصة بعد عقد اتفاقية الجلاء ، بما يدل على أن فكرة قتل عبد الناصر كان لها تعلق كبير بتلك

الاتفاقية ..

وعلى وفق رواية المصريون نت .. في ٧ / ٢ / ٢٠٠٩م فقد اعترف الأستاذ خليفة عطوة "أحد أعضاء التنظيم الخاص" بضلوع الإخوان في محاولة قتل جمال عبد الناصر في المنشية عام ١٩٥٤م ..

قال الأستاذ حسين البربري : « كشف خليفة عطوة المتهم السادس في محاولة اغتيال الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عن أسرار محاولة اغتيال "الإخوان المسلمين" للرئيس الأسبق في عام ١٩٥٤ فيما تعرف تاريخيا بـ "حادثة المنشية"، بدعم من محمد نجيب ، أول رئيس لمصر بعد الإطاحة بالحكم الملكي، بعد أن تعرض للعزل في ذلك العام بقرار من مجلس قيادة الثورة.. وكشف عن اتصالات سرية تمت بين "الإخوان" ومحمد نجيب ، عندما طلب منهم الأخير أن يساعده في التخلص من عبد الناصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ ومكافئته "الإخوان" الدخول في الحكومة بمشاركة الأحزاب الأخرى...

وتابع عطوة : " إثر ذلك ، صدرت تعليمات بتنفيذ مهمة عاجلة وتم تقديم مجموعة انتحارية تتكون من محمود عبد اللطيف وهنداوي سيد أحمد الدوير ومحمد علي النصيري، حيث كان مخططاً أن يرتدي حزاماً ناسفاً يخترق عبد الناصر وينسفه إذا فشل محمود عبد اللطيف في الضرب ، وأنا وأبور حافظ على المنصة بصفتنا من حراس الثورة، ونقوم بتوجيه محمود عبد اللطيف والإشارة له بتنفيذ خطة اغتيال عبد الناصر.. وأوضح أنه هو من أعطى إشارة البدء لمحمود عبد اللطيف ببدء الهجوم ، عندما كان عبد الناصر يخطب في المنشية بالإسكندرية، في يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٤، لكن المحاولة أخطأت هدفها، حيث مرت أول رصاصة، من تحت إبط عبد الناصر، واحترفت الجاكت العسكرية الواسع الذي كان يرتديه، واصطدمت بقلم حبري في جيبه ونجا منها بمعجزة، بينما مرت الرصاصة الثانية بجواره من بين كتفي جمال سالم وعبد الحكيم عامر، واستقرت في رأس الميرغني حمزة زعيم الطائفة الخفمية بالسودان وأحد ضيوف الحفل ليلقى مصرعه في الحال" أهـ

قادة الإخوان مسئولون بخلاف ما قال القرضاوى . بل ولا أكون جانبا إذا قلت أن سبب صراعات عبد الناصر مع بعض الدول العربية والإسلامية كانت بسبب الإخوان ومفكرهم .. ومن هنا يتبين عدم الأمانة التاريخية فيما ينقله القرضاوى لشباب الإخوان في كتبه ، وأنه يكتب لخدمة جماعته ، لتظهر كالحمل الوديع النقي الطاهر ، وهي بخلاف ذلك . ولو أنه اعتذر هو وجماعته عما تورطوا فيه عند تعاملهم بالكبر مع ضباط الثورة لكان خيرا لهم .

الحقيقة الغائبة:

لم يكن أحد يتصور أن يكون رفض الإخوان لهذين الشرطين اللذين وضعهما عبد الناصر عند لقائه بوفد الإخوان ، وهما : " عدم معارضة اتفاقية الجلاء ، وقف المنشورات السرية " سببا لهذا البلاء الذي وقع فيه الإخوان .! ولقد فصلت هذا التاريخ ليعلم إخواننا أن الإخوان كانوا فتنة كبرى للعالم الإسلامي كله ولمصر المكتوبة بهم ، وكانوا فتنة لعبد الناصر وضباط الثورة ، في استفزازهم والتأثر عليهم . ولو بدأ المرء معهم صالحا فلا يضمن إذا اختلف معهم ماذا ينتهي به السبيل . فهم في الخصومة أشد ، وفي تجهيز الاتهامات أقوى .. ولو اجتمعت كل قوى الشر في الانقراض ممن يخالفهم مابلغوا مبلغ الإخوان ، فقد تأمروا حتى جعلوا القريب بعيدا، والبعيد بغيضا ..

فتنة سيد قطب وتنظيم ١٩٦٥م ...

المواجهة الثانية ...

أسرار القبض على ثلاثة آلاف إخواني ! عام ١٩٦٥م .

د/ جابر قمحية واستخفافه بأئمة السلف .. المنهج قبل الأشخاص ..

نشأة سيد قطب ودوره مع الثورة ..

لماذا دخل سيد قطب السجن عام ١٩٥٤م ؟ ..

كيف اكتشف تنظيم ١٩٦٥م ؟ ..

علاقة سيد قطب بالتنظيم وهدفه .

هل حوكم سيد قطب من أجل إعلان الحاكمية ؟ ..

اتهامات القرضاوى وعلى عبد عشاوى ومثل النيابة لسيد قطب واحدة

أولاً : استخفاف جابر قمحية بعلماء السلف ..

كثير من كتاب الإخوان حين يواجهون ما يتعرض له جماعة الإخوان من نقد ونصيحة فإنهم لا يحسنون تحرير المسائل وتتبع الأصول والقواعد للوصول إلى الحق ، ولا يناقشون خصومهم بالعدل ، إنما يدخلون في قضايا لاعلاقة لها بموضع النقاش ولا بالبحث العلمى الزيه ، ويصرفون الدراسة إلى محور النزاعات الشخصية والعصبية .. متمقنين في قواميس اللغة بحثاً عن أساليب الاستخفاف والاستهزاء ، ليرموا خصومهم بها ، كأنهم يناضلون عن جماعة معصومة .. ومن هؤلاء الذين يسلكون هذا النهج الدكتور / جابر قمحية " أحد منظري الإخوان "

فهو لا يتعرض إلى القضايا موضع النقاش بالتحليل والبرهان ، وإنما يستخف ويستسهزئ ويحتقر ، وينهم بالعمالة ، ليصل في النهاية إلى أن الإخوان هم فقط النور الساطع في جبين الأمة ، وأن غيرهم هم الظلام الدامس .. فقضية الإسلام

عندهم تدور حول خدمة جماعة الإخوان ورفع تاريخها في المقام الأول .

ومن اختلف معهم أو انتقدهم فكأنما اختلف مع الإسلام . ومن أجل ذلك فقط اقترفوا الجرائم والاغتيالات السياسية في القرن الماضي . والرزية كل الرزية أن كثيراً من أفراد جماعة الإخوان عندما يرون الأمر متعلقاً بالكبار فإنهم لا يسمعون ولا يقرءون ولا يفهمون ، كما قال الدكتور سعد الدين صالح ، إنما تلوك السننهم بما لا وزن له في موازين البحث العلمى المحترم .. فيقولون : هذا حسد ، هذا بغض لدعوة الإخوان ، هذا الكلام يصب في مصلحة أمريكا . الخ

قلت : إذا كان الكلام عن مثالب القمم الإخوانية لا يكون إلا لمصلحة أمريكا فالسكوت لمصلحة من ؟ وتزييف الدين لمصلحة من ؟

إن تلك الحملة التي يديرها الإخوان تجاه من ينتقدهم ليست إلا من أجل التستر على مصائبهم المتتالية المؤثر بالسلب على الأمة الإسلامية ، وهذا التستر لا يصب إلا في طريق إبليس .. أما بالنسبة للحسد الذى يتهم به الإخوان مخالفينهم . فلا أدري أين العوالي في حركة الإخوان حتى تكون موضعاً للحسد ! جماعة منذ أن نشأت وهى في السرية لا تظهر إلا إذا أذن لها ، وفى الحذلان لا تنتصر ، لم تصل إلى موقع المسئولية ، حتى تشرب لها الأعناق ، راقت أهل البلع من الشيعة الروافض والجهيمين والاعتزالين والخوارج والتكفيريين وتركت الحجة الرسالية ، ولعبت مع الأحزاب بالنكتيكات والمناورات ، وجعلت قواسم مشتركة ، لأجل الحكم والسلطان .. وقالت : " نعم للمشاركة لا للمغالبة " ، ثم قالت : " احمداوا ربنا فقد كان من الممكن ألا تجدوا لكم مكاناً " .. جماعة تشبعت باللب على العواطف منذ أن نشأت .. ليس فيها علماء ، حتى تطلب فتاواهم ويؤنس بصحبتهم .. فأى ظهور تحقق لهم حتى يكونوا موضع حسد ؟

فهم دائماً مهزومون .. تظولهم سيوف أهل الحديث والسنة بالبراهين المسكتة ، وسيوف السلاطين والأمراء بالقوة المتمكنة ..

فهل رأى هؤلاء أحداً من علماء السلف أهل الحديث نازعهم فى مكانتهم

، حتى يكون نقده حسدا عليهم ؟.

إن أهل الحديث حين يتعرضون لمثالب أقطاب الإخوان فإنهم لا يتعرضون بالافتراء والهوى ، إنما يتعرضون بموجب الدليل والبرهان ، لأن التعرض للأشخاص بالنقد والتجريح مسئولية يحاسب عليها المرء بين يدي الله تعالى .. « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ولقد قرأت كلاما للدكتور/ جابر قمحية تحت عنوان « الإخوان والمحركة » وذلك في جريدة « آفاق عربية » ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٤ م) يعلق فيه على المعارضين على فكر سيد قطب بقوله : « وبعد إعدام سيد قطب عملت الأقلام عملها ، ولا أقصد الأقلام المريضة التي تكتب في الصحف الصفراء الكالحة ، ولكنني أقصد ما شاهدته من كتب مطبوعة طباعة فاخرة ، وتباع بأسعار رمزية ، وكلها مطاعن في الإخوان ودعوتهم وقادتهم ، و نال سيد قطب منها الحديث الأوفى : فهو باطني يدعو إلى عقيدة الحلول ووحدة الوجود وهو يناصر دعوة عبد الله بن سبأ اليهودي وأنه عاش طيلة حياته رقيق الدين ، مستهينا بالعقيدة ، وأنه ... وأنه . ولو صحت هذه الافتراءات التي كتبها علماء «... طوال اللحي - لكن سيد قطب زنديقا مارقا عن الملة والعباد بالله أهـ .

تلك هي كتابات د/ جابر قمحية .. يستهزئ ويسخر . دفاعا ورفعا لمكانة الإخوان على الجميع .. والإخوان ومنهجهم إذا قارنا بغيره أضعف بكثير مما يعتقد فيههم .. والدكتور وجماعته في العمل السياسي يريدون إزالة أفراد لا يختلفون كثيرا عنهم في الوقوف في الخطأ " فكل بنى آدم خطاء " ..

ولكن الخطأ إذا خرج من جماعة الإخوان فإنه لا يلام ولا يعاب ، بل يعظم ويصان ، وإذا كان في غيرهم فهو شرك أكبر ، وصاحبه عميل وخائن ، وهو في الآخرة في قعر النار ، كان الله تعالى خلق النار لحصوم الإخوان ..

وجابر قمحية في هذا النص يلزم علماء أكابر ، لا أظن عاقلا ولا صاحب دين يقلد في دينهم ولا في علمهم ولا في ورعهم ، وهو مع ذلك يشكك في علمهم بعلمامات التمجيد ، ويظن في دينهم بأن كتبهم تباع بأسعار رمزية ليبين أنهم

عملاء ، وليسوا أصحاب دعوة ، ويصفهم بأنهم أصحاب لحى طويلة ، منتقضا قدرهم . وهذه اللحية سنة رسول الله ﷺ ، وقد كانت لحيته تغطي نحره بأمر ربه (تعالى ذكره) .. قال عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) في وصف لحية الرسول ﷺ : « قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره » (قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله ثقات ٨ / ٤٨٦) .

هؤلاء الأئمة الذين يلزمهم جابر قمحية بالانتقاص هم : الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ الألباني والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، ومن مصر الشيخ محمود شاكر من أئمة الحديث والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي من كبار شيوخ الأزهر . الخ

هؤلاء العلماء أثبتوا مثالب الأستاذ سيد قطب من كتبه . لم يفتروا عليه ، ولم يأخذوا كتبه بالظنون ، وإنما أخذوها بالحجة والبرهان ، أرادوا من ذلك حماية الدين والملة ، لأن كتب سيد قطب يقرؤها العالم والجاهل ، ويغتر بها من لا علم له بمداخل المذاهب والفرق .. ولولا ذلك ما تعرض له أحد ، ولا شك أن الحفاظ على الإسلام أولى من الحفاظ على قيم الإخوان وأديانهم .

وقد شارك الشيخ القرضاوي والأستاذ فريد عبد الخالق - وهما من كبار الإخوان - علماء السلف ومشايخ الأزهر في الحملة على فكر سيد قطب .. فهل من الممكن أن يجعل الدكتور جابر قمحية لهؤلاء الإخوانيين نصيبا من تلك التهم التي ألقتها على علماء السلف أهل الحديث ؟

إن هؤلاء العلماء الذين تكلموا في دعوة الإخوان وفكر سيد قطب بالظن وحذروا من كتبه لا نجد أحدا منهم كفر سيد قطب أو قال إنه زنديق ، بل إن أكثرهم كان يتمنى له الرحمة والمغفرة ، عند الترجمة له ، وذلك من باب حسن الظن في إسلامه وبغيرته على الإسلام ، على الرغم من ثبوت تلك التهم التي وجهت إليه ، ذلك لأن هؤلاء الأئمة لا يكفرون أحدا من المسلمين إلا بعد إقامة الحجة الرسالية ، اتباعا لنهج السلف الصالح (رضى الله عنهم) وهؤلاء الأئمة يعلمون أن سيد قطب

حفظ المنهج قبل لأشخاص...

لقد أتعب كثير من الغلاة أنفسهم في الدفاع عن سيد قطب، ابتغاء رفع القلم عن مثالبه وأخطائه، والاستبقاء عليها ولو أضلت العالمين .. ولكن دون جدوى ... حتى إن أخاه محمد قطب رفض رفضاً قاطعاً التعليق على كثير من الفقرات المنتقدة في كتاب الظلال .

ومن المعلوم أن سيد قطب لم يكن له تلاميذ، ولم تشتهر له مجالس، ولم يعرف له شيوخ .. ولم يكن له مواجهة معلومة في أي قضية من قضايا الدين مع أحد من خصومه .. فقد كان مع الثورة بفكرها الاشتراكي، ثم تركها وانصرف عنها حين اختلفت مع الإخوان .. ولم يعرفه الناس إلا عن طريق كتبه - خاصة الظلال والمعاليم - التي ألفها في السجن من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م .. وهذا هو السبب في عدم معرفة كثير من الناس بمقاصده .. خاصة أنها لم تكتب بطريقة شرعية فقهية أصولية، كما يكتب أئمة العلم والدين، إنما كتبها بطريقة أدبية بلاغية نظيرية، خلط فيها بين الحق والباطل .. وقد شهد هو على نفسه بأنه لم يخضع أبحاثه لقواعد دينية، كما بين في كتاب " التصوير الفني " .

ومع ذلك فليست قضيتنا مع شخصه، إنما قضيتنا مع الأتباع المغرورين به، والنصوص التي قد تخفى عليهم، والعامات الذين لا يدركون عواقب النظر في كتبه، أما هو فقد أفضى إلى ربه (تعالى ذكره) ..

فليس مقصدنا الملمة والتجريح، وإنما مقصدنا التحذير وإقامة الحجة .. وذلك لأنه لم يكن عالماً فقيهاً من جهة، ولم يتم عليه الحجة الرسالية . فأمره إلى الله تعالى فيما تأوله .. وأئمة السلف لا يمنعون الإنكار على المخالفين من الأئمة في مسائل الخلاف، ولا في غيرها من المسائل، لأن الغاية العظمى هي حفظ الدين والملة، لمن أراد تعظيم الدين والملة .. أما من أراد الصور والأشخاص فإنه يفزع عند ذكر مثالبهم، لأنه قد بنى دينه على فكرهم ..

لم يكن عالماً من العلماء، ولكنه كان كاتباً مرموقاً وأديباً فاضلاً، وتلك الدرجة تمنح تنزيل الحكم بالعين عليه، حتى إقامة الحجة الرسالية وانتفاء موانع التكفير (الجهل، والخطأ، والإكراه، والنسيان) قال العلامة الشيخ صالح الفوزان تعليقا على تفسير سيد قطب لقول الله تعالى : ﴿ وفي الرقاب ﴾ ذلك حين كان الرق نظاماً عالمياً، تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم . ولم يكن للإسلام بد من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق (في ظلال القرآن ٤) . قال : « هذا كلام باطل وإلحاد .. وهو وأمثاله نمذره بالجهل فلا نقول إنهم كفار، لأنهم جهال أو مقلدون ، وإلا الكلام خطير لو قاله إنسان متعمداً عالماً ارتد عن الإسلام » (برائة علماء الأمة للسنانى ص / ٤٨) .

ولكنه على كل حال يحذر من ضلالاته، حتى لا يقتدى به العامة وضعفاء الدين، ومن قال إن هذا ليس بلزوم فهو من عبدة الأسماء، وعليه أن يرجع ولأه للإسلام .. كان من الواجب على الدكتور قمحية أن ينصر الدين الذي يزعم دعاة الإخوان أنهم يجاهدون في سبيله ويموتون من أجله، بدلاً من الموت لأجل الأسماء والصور .. وأن يشكر هؤلاء العلماء الذين حذروا من مفاسد سيد قطب، بدلاً من انتقاصهم والاستخفاف بهم ؛ لأنهم فعلوا ذلك لأجل الإسلام .. ولهم في ذلك القدوة فيمن سبقهم من الأئمة الربانيين ..

كما كان من الواجب عليه أن يبتعد عن التأثير الشعوري النفسي، والكلام الإنشائي، والجليل القائم على التعصب، وينصر جانب التحليل العلمي، بنقل تلك النصوص التي تناولها هؤلاء العلماء بأمانة لقراء مجلته، وبين مواضع الخلل التي وقع فيها سيد قطب، أو يبين وجهة هؤلاء العلماء في ذلك، ليعرف القاصي والداني ماذا فعل سيد قطب في أذهان شباب المسلمين ..

فمن اعترف أن لسيد قطب أخطاء في العقيدة فقد لزمه أن يحذر من تلك الأخطاء، حتى لا ينزلق فيها العامة .. هذا هو الحق الواجب، أما التفتي بأدبه وبلاغته على حساب الدين والملة فهذا لايفيد الأمة بشيء .. فرغ نقيض الشيء هدم لهذا الشيء، والبدة نقيض الدين .. والمقصود التحذير من أخطائه وليس التفتي بحسناته ، لأن أخطائه تهدم الإسلام ، قال إبراهيم بن ميسرة : « من قرص صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » أه ..

وإذا كان لسيد قطب فضل في الدعوة .. فهو يحمده عليه .. والفضل كله لله تعالى.. وقد سبقه المعتزلة وأئمتهم في ذلك الفضل ، وهي فرقة ضالة كانت تقدم العقل على النقل ، ودخل بسببها كثير من الكفار دين الإسلام .. وقد كان للمعتزلة قدرة بالغة في مناظرة الكفار وإبطال حججهم ، وهذا أمر بالضرورة يحمدون عليه ، إلا أنهم وضعوا تحت سيوف الأئمة بالنقد والتجريح ، بسبب أنهم نقلوا للكفار كل الشبهات الطاعنة في الإسلام فضلوا وأضلوا ..

ولو قدر أن كان المخالف من الأخيار ومن أهل السبق في الدعوة ، فالرد عليه واجب أيضا ، لمن له أهلية في ذلك ، فقد كان الإمام أحمد يرد على الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة ، حفظا للمنهج وصيانة للعامة ..

قال ابن الجوزي في (مناقب الإمام أحمد . ص / ٢٥٣) :

« وقد كان الإمام أبو عبد الله للشدة تمسكه بالسنة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة ، وكلامه محمول على النصيحة للدين » أه

وكذلك الإمام علي بن المديني الذي كان يقال عنه " إنه أعلم الناس بحديث رسول الله (وعلمه " ، كما قال عنه أبو حاتم الرازي كما نقل الحافظ المزي -في) تهذيب الكمال ٢١ / ٩ : « كان على علما في الناس في معرفة الحديث والعمل ، وكان أحمد لا يسميه إنما يكتبه بتجيلا ، وما سمعت أحمد سماه قط » أه

هذا الإمام تكلم فيه الإمام أحمد ، بعد ما ظهر من ضعفه في محنة خلق

القرآن، وجتوحه إلى أحمد بن أبي دؤاد إمام الجهمية ؛ مخافة القتل .

قال الحافظ بن حجر في (تهذيب التهذيب ٣٥٦ / ٧) : « تكلم فيه أحمد ومن تابعه لأجل ما تقدم من إيجابه في المحنة . وقد اعترض الرجل عن ذلك وتاب وأتاب » وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند بعد أن روى عن أبيه عن علي حديثا : لم يحدث - أي : بعد المحنة - عنه بشيء .

وقال ابن أبي حاتم : قال أبو زرة : « لا يرتاب في صدقه .. وترك أبو زرة الرواية عنه من أجل المحنة » أه

وهذا الحسين بن علي الكرابيسي كان مشهورا له بالإمامة في الفقه ، قال أبو عمر بن عبد البر : « كان عالما مصنفنا متقنا وكانت فتوى السلطان تدور عليه وكان نظارا جدليا وكان فيه كبر عظيم » (تهذيب التهذيب ٦١٨) .

غير أنه لما تكلم في مسألة اللفظ وطعن في الإمام أحمد سقط في العلم وترك الناس قوله .. قال الخطيب : « يعز وجود حديثه جدا لأن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ ، وكان هو أيضا يتكلم في أحمد ، فتجنب الناس الأخذ عنه ، ولما بلغ يحيى بن معين أنه يتكلم في أحمد لعنه وقال ما أحوجنا أن يضرب » (تهذيب التهذيب ٦١٨) .

كما كان الإمام أحمد يحذر من بعض العباد أمثال الحارث المحاسبي ، مع علمه بشدة زهده وورعه ، ولكنه كان مأوى للمتكلمة ، وكان يتكلم في دقائق النفوس . وكان يقول : « حذروا الناس من الحارث أشد التحذير ، الحارث أصل البلية . يعني في حوادث كلام جهنم ذاك جالسهم فلان ، وفلان ، وأخرجهم إلى رأى جهنم ، مازال مأوى أصحاب الكلام ، حارث بمنزلة الأسد المرباط ، انظر أى يوم يبس على الناس » (تلييس إيليس ص / ١٦٧) .

فحفظ المنهج أهم من حفظ الأشخاص بالضرورة ..

ولمن لايريد البرهان إلا من سيد قطب فقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى ذلك ، وبين أن تبرة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج ، وأنه يجب تعيين من وصف منهم

بالانحراف والخطأ، مهما كانت منازلهم، حفظا للمنهج .. وقال (رحمه الله) : « إن منهج الله ثابت، وقيمه وموازينه ثابتة، والبشر يعدلون أو يقربون من هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد السلوك. ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوباً على المنهج، ولا مثيراً لقيمه وموازينه الثابتة .. وحين يخطئ البشر في التصور أو السلوك، فإنه يصفهم بالخطأ. وحين يحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف. ولا يتغاضى عن خطئهم وانحرافهم - مهما تكن منازلهم وأقدارهم - ولا ينحرف هو لجاري انحرافهم ! وتعلم نحن من هذا، أن ثبرة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج ! وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطمة، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصف الذي يستحقونه - أيا كانوا- وألا تبرر أخطائهم وانحرافاتهم أبداً، بتحريف المنهج، وتبديل قيمه وموازينه .. فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف. فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص » (في ظلال القرآن . ٥٣٣ ط / ١٤٠٧هـ).

ولم يكن سيد قطب بمفرد الذي قرر هذا المنهج، بل شاركه فيه الشيخ الغزالي، وأكدته في كتابه (من معالم الحق ص/ ١٣٢)، فقال : « لم تخف على علماء المسلمين هذه الحقيقة، فقام علم الجرح والتعديل في صميم الثقافة الإسلامية، يتعرض لأقدار الرجال الذين ينقلون السنن، يصف هذا بالصلاح، وهذا بالفسق، وهذا باليقظة، وذلك بالغفلة .. بل إن تاريخ الأمم قاطبة تناول الحكام والقادة تناول الناقد الممحض، فهاجم ودافع وعظم وحقر .. والقرآن الكريم ذكر الأمم المفرطة، وما أسلفت من سيئات، وكيف هوت بها مصارعها إلى أسفل سافلين . والغرض المنشود إحقاق الحق وإبطال الباطل، بغض النظر عن الأشخاص وشرائعهم الذاتية .. الخ

وعندما انتقد أحد الساسة قيل له : إنك تغتاب المسلمين ..

فرد قائلا : بل أعرف الناس بأقدارهم وأنزلهم حيث يستحقون . ولو قلت

غير ذلك لغششت أمة محمد بن عبد الله ﷺ إن التزييف في التقود جريمة، لأنك تروج التحاس بكونه ذمياً . وأوغل من ذلك في باب الإجماع أن تزور في قيم الناس فتوهم تاجراً ما أن فلانا يصلح شريكاً له، وفلان هذا خائن، أو توهم جماعة ما أن فلانا يصلح نائباً عنهم في أحد المجالس، وفلان هذا أعجز من أن ينوب عن نفسه بل عن غيره... أهـ .

ولن لا يريد الحجة إلا من حسن البناء .. فعلى الرغم من تجاوزه عن هذا المنهج في القضايا الدينية والمقاتلية إلا أنه أشار إلى وجوبه في الرد على المخالفين له فقط ولجماعته، وذلك عندما تعرض لنقد شديد من الوفدين القادمين .. فدعا إلى التحذير منهم ومقابلة إسفافهم بتمثله، وأعاد إصدار مجلة الكشكول الجديد من أجل ذلك وقال لمحربيه بعد مقدمة طويلة : « حاربوا كل هذا واكشفوا عن مخازيه للناس وحذروهم إياه، وقد كان سفيان الثوري يقول لأصحابه إذا اجتمع إليهم : تعالوا ندم ساعة في سبيل الله ..

لا تحالسوا فلانا فإنه كذاب، ولا تأخذوا عن فلان فإنه يجمع الحديث، ولا تنفقا بفلان فإنه متهم في دينه أو رأية أو هكذا » (مع الإمام الشهيد . ص/ ١٩٢)

فعلم الجرح والتعديل علم ثابت في الإسلام، ليس من اختراع أئمة السلف المعاصرين، وهذا ما يفهمه طلاب العلم . بل وكل من ينتقدون هذا العلم يلجأون إليه في مواجهة من ينتقدهم .. فهذا العلم غير مجهول . قال الأستاذ / عبدالقادر شبيب " رئيس تحرير مجلة المصور المصرية " : « يجوز يا زملاء انتقاد الإخوان كفضيل سياسي هكذا تعلمنا، والتعامل معهم بأصل من أصول الإسلام وهو الجرح والتعديل لأفكارهم وفتاواهم، هكذا يحسن إسلامنا، فهل هي جماعة معصومة من الخطأ، أما تشويه الإخوان أو غيرهم فليس طبعنا أو أخلاقنا، ولا مما نلزم به أنفسنا » (جريدة العربي . ١٨ / ١٢ / ٢٠٠٥م).

فالحذر الحذر من التعامل مع أهل البدع أو التهوين أو أمرهم ...

وقد اضطررنا أن نذكر أسماء قوم رحلوا عن دنيانا وصاروا بين يدي الله

تعالى .. الله أعلم بحالهم... وقد يكون في تلك الغيبة مصلحة عظيمة لهم ، فتخفف عنهم الأوزار ؛ وذلك حين يتجاوز أتباعهم عن الأخطاء التي ورثوها منهم .. يحكى أن رجلا جادل يوسف بن أسباط (رحمه الله) في الرد على أصحاب المقالات البدعية ، فقال له : « يا أحمق ؟ أنا خير لهؤلاء من آياتهم وأمهاتهم ! أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا ، فنتبعهم أوزارهم . ومن أطراهم كان أضر عليهم » (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٢/ ٢٤٩) .

وما قصصنا إهانة أحد ، وإنما أردنا حفظ الملة ، والذب عن سنة النبي محمد ﷺ ، وما قسوننا على أحد شمانة ، وإنما قسوننا ليزدجروا ، وأردنا أن نذكرهم أن الغيرة على سمائر الله وحرمانه أعظم من الغيرة على حسن البناء والغزالي وسيد قطب . الخ .

نشأة سيد قطب ودوره مع الثورة المصرية ..

نشأ سيد قطب في كنف الأديب الشهير الأستاذ عباس محمود العقاد ، وتأثر به .. واهتم بالشعر والأدب وعلوم البلاغة ، وتفنن في النقد الأدبي .. واشتغل بالسياسة متتميا لحزب الوفد ، وعمل بالصحافة وكتب في صحف متعددة .. وتعرض للاعتقال على أثر مقال انتقد فيه رئيس الوزراء في زمنه .. إلا أن أحد زملائه استطاع أن يهيئ له فرصة للسفر إلى أمريكا كمبعوث عن وزارة المعارف ، لدراسة مناهج التعليم في أمريكا ، واستمرت بعثته من ١٩٤٨م إلى ١٩٥٠م .. أما بداية ارتباطه بجماعة الإخوان فقد كان ارتباطا عاطفيا ، ولم يكن ارتباطا علميا ، فقد نشأ كرد فعل رآه في المستشفى التي كان يعالج فيها من مرض الدرن والقلب قبالة مقتل حسن البنا ، إذ وجد بعض العلوج يذكرون موته بفرح وسرور . فظن أن ذلك لا يكون إلا إذا كان حسن البنا على الحق . وعندما عاد إلى مصر في أوائل ١٩٥١م انضم لجماعة الإخوان ، وعين مباشرة رئيسا للجنة الدعوة . وعندما آمن سيد قطب بفكر الإخوان لم يكن له شيخ من أئمة السلف ولا من أهل الحديث ، وإنما انتقل بمفرده بفكره القديم من صالونات الأدب المتعالة بالفكر الفلسفي إلى العمل الديني .. ومن الإخوان من ينسب سيد قطب إلى مدرسة الإخوان كحسن الهضيبي ، كما

نقل عنه عباس السبسي أنه قال : « إنه لا يعلم أن للأستاذ سيد قطب فكرا يغير فكر الإخوان المسلمين » (قافلة الإخوان ٢٠٠٣م) ومنهم من يبترا من ذلك ، ويؤكد أنه لم يكن له مع حسن البنا زمالة ولا صحة كمحمود عساف وغيره .. حيث قال : « لم يكن الشهيد سيد قطب من الإخوان القدامى ، ولم يزامن الإمام حسن البنا ، بل كان كاتباً إسلامياً وأديباً فحسب ، ثم عمل رئيساً لتحرير مجلة الإخوان بعد سماح حكومة الثورة باستئناف نشاطهم ، لذلك فإنه لم يشرب فكر حسن البنا » (الإمام الشهيد ص / ١٦٠) .

واعتقد أن الهضيبي في تحديد فكر سيد قطب أقرب ، فقد نادى سيد قطب بالعرلة الشورية التي نادى بها حسن البنا في رسالة التعاليم .. وقال بعدم إسلامية الدولة التي قال بها حسن البنا في مذكرات الدعوة والداعية .

وقد كان سيد قطب يكتب مقالات متعددة في جرائد الاشتراكيين (مصر الفتاة) واللواء الجديدة (الحزب الوطني) والدعوة (الإخوان المسلمين) .

ومن خلال مقالاته في جريدة الاشتراكيين تعرف عليه ضباط الثورة .. حتى إن اللواء محمد نجيب هاتفه ، وقال له ، كما حكى عنه شقيقه الأستاذ / محمد قطب : « نحن تلاميذك ، تلمذنا على كتابك " العدالة الاجتماعية في الإسلام " ، وعلى مقالاتك في مجلة الاشتراكية ، ونريد أن تكون أنت مستشارنا في الأمور الداخلية ، فذهب إليهم فاحتقوا به احتفاء شديدا في ميدا الأمر على أساس أنه أستاذهم الذي وجههم ، وما كان يعرف وما كان التقى بهم أبدا قبل ذلك ، ولكن قالوا له نحن تلمذنا على فكرك الموجود في العدالة الاجتماعية ، وعلى مقالاتك في الاشتراكية . ذهب إليهم وعاش معهم ستة أشهر » (حياة سيد قطب . موقع الإسلام اليوم ١٣ / ٢ / ٢٠٠١م) وقد عهدوا إليه أن يكون مستشاراً للأمور الداخلية ، خاصة المتعلقة بوزارة المعارف ، قال محمد قطب : « فتحوا أمامه كل الملفات الداخلية وطلبوا مشورته في كل الأمور » أه وعين سكرتيراً لهيئة التحرير بعدما أن كان رافضاً لذلك في أول الأمر ، واختلف معهم في بعض أنشطتها ، غير أنه لم يصرح

بماية الاختلاف .. وعندما علم بعض لقاءات أو اتصالات بين الضباط والسفارة الأمريكية بينهم إلى ذلك فقالوا له : " نحن نستعين بهم لطرد الإنجليز ، ولن يكون لهم نفوذ علينا ولا فى بلدنا " أهـ

وعندما وقعت النزاعات بين ضباط الثورة وبين الإخوان حاول سيد قطب التوفيق بينهم ، وكانوا يستجيبون لذلك ، قال محمد قطب :

« وكانوا يستجيبون له حرصا على إبقائه معهم » أهـ

فقد كان متحمسا للثورة تحمسا شديدا ، وكان خطيا لها داعيا إليها ، حتى إنه لقب بـ " ميرابو الثورة " .. فقد أنكر فى صحف الثورة إنكارا شديدا على الدين يريدون عودة الضباط إلى الكنايات العسكرية .. وطالب الضباط بعدم تمكين السياسيين من الوثوب على الثورة ، بأى صورة من الصور ، بسبب كونهم كانوا مخلصين للملك .. وبين أن القوة المتمكنة المتمثلة فى رجال الجيش أقوى فى الوصول إلى المقصود من الجماهير الحمقاء والأحزاب البالية ... وطالب الضباط بإقامة ديكتاتورية عادلة ، ونادى الشعب أن يصبر عليها .. وقد شارك الأستاذ كامل عبد الفتاح الأستاذ محمد قطب فى بيان منهج سيد قطب وتحمسه للثورة المصرية ووقوفه ضد المناوئين لها ، قائلا : « وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م أعلن تأييده لها وتبني أهدافها ودافع عن شرعية وجودها بمقالاته الصحفية . وكانت علاقته وثيقة بالتوار وازدادت توثقا بعد قيام الثورة ، فكان المدني الوحيد الذي يحضر جلسات مجلس قيادتها ؛ بل إن التوار تأثروا بكتابات ومقالاته ، ومنها كتاب " العدالة الاجتماعية فى الإسلام " الذي قرأه معظمهم .. وبسبب شدة تأييده للثورة أطلق عليه لقب " ميرابو الثورة المصرية " تشبيها له بميرابو أشهر خطباء الثورة الفرنسية ؛ لأنه أيد كل مطالب الثورة ، فاعلن تأييده لقانون الإصلاح الزراعي ، وندد بمحاولة الأحزاب احتواء الصورة ، ووقف معاديا بحركة عمال كفر الدوار ، واتهم الشيوعيين بتدبيرها ، وطالب بإلغاء دستور ١٩٢٣م ، كما طالب محمد نجيب بتطبيق ما أسماه دكتاتورية عادلة لمدة ٦ شهور ، حتى تستقر الأمور والأوضاع للتوار ، وتندم سلطاتهم السياسية

ثم اتزنت علاقته برجال الثورة ، فطالب بالإفراج عن المسجونين السياسيين بما فيهم الشيوعيين » (مقال بعنوان . الشهيد سيد قطب فى ذكره الـ ٣٩ . إخوان أون لاين - ٢٩ / ٨ / ٢٠٠٥) .

ثم بعد ذلك وقع صراع بينه وبينهم بسبب الإخوان .. وانفصل عنهم واعتزلهم وانضم لجانب الإخوان .. وذلك أواخر عام ١٩٥٣م

ومن هنا يتبين أن قضية التكفير وتحجيل المجتمعات الإسلامية التى تنهاها سيد قطب بعد دخوله السجن عام ١٩٥٤م لم تكن متبلورة فى ذهنه وقت أن كان أدبيا .. ولم تكن متبلورة فى ذهنه بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥١م فمجرد اشتراكه مع ضباط الثورة ينفى ذلك .. ولكنه حين انضم للإخوان تشبع بفكرهم التكفيرى ، القائم على إنكار وجود الدول الإسلامية .. فأمن به وبلور حيثياته فيما بعد .. فنهى عن التدخل فى مشكلات الواقع الجاهلي ، والعمل على إصلاحه أو تعليمه أمور الدين ، أو حتى إفتائه فى القضايا التى يتعرض لها ، حتى يدخل الدين ويؤمن به أولا .. ومن هنا يتضح أن عرض قضية الحاكمية الإسلامية بمفهومها الصحيح على ضباط الثورة لم يقم به سيد قطب .. ولم يقع بينه وبينهم نزاع فى تلك القضية .. فقد كانت القضية الأولى فى ذهن سيد قطب فى ذلك الوقت هى قضية " العدالة الاجتماعية " بمنظورها الاشتراكي ، حيث دعا إلى نزع الملكيات وإعادة توزيعها ، ولو كانت قائمة على أساس شرعي ، وزعم أن حق المجتمع فى المال حق مطلق ، وأن حق الملكية الفردية لا يقف فى وجه هذا الحق العام .. كما دعا ضباط الثورة وطالب محمد نجيب شخصيا أن يطبق ديكتاتورية عادلة لمدة ستة أشهر ، كما تقدم . فلم تقم به حجة رسالية إسلامية على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما يزعم أصحابه .

تمر" يعني: الاتفاقية التي عقدت مع الإنجليز.. وكان ينسب إلى الأستاذ سيد قطب أنه محرر هذه المنشورات الثورية بقلمه) (سيرة ومسيرة ٢ / ٧٧) .

فحكم عليه بسبب ذلك بالسجن لمدة خمسة عشر عاما ، وذلك بعد عام واحد فقط من ارتباطه بالإخوان .. فعام واحد مع الإخوان غير حياته كلها ونقله تلك النقلة .. مع العلم أنه لم يتعلم من أحد منهم شيئا ، فلم يكن له في الإخوان شيخ ولا إمام .. ولكن هكذا عشرة الإخوان ..

وفي السجن كتب كتابه (في ظلال القرآن) - الذي غلبت عليه النزعة الأدبية - من بين مراجع مكثبات مستشفى السجن الحربي بالتحديد ، وذلك من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م ، حيث صدر عفو صحي عنه بعد مرور عشر سنوات . ومن كتاب " الظلال " كتب سيد قطب " معالم على الطريق " عام ١٩٦٢م .. الذي جعل فيه الأمة الإسلامية في مصاف المجتمعات الجاهلية فالظلال هو المرجع الأول للفكر التكفيري ، ففيه قال (٣ / ١٦٣٤) : « إن المسلمين الآن لا يجاهدون ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون ... إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج » أه ..

وكتاب الظلال كتاب أدبي لا يمكن أن يوفق سيد قطب لكتابه بهذه التعبيرات الأدبية البلاغية وهو تحت تأثير السياط والتعذيب والظروف النفسية السيئة .. ومن لم يعرف ظروف سيد قطب سيقول إنه كان في مكتبة إسلامية مكتظة بكافة أنواع الكتب والمراجع وليس في زنازلة لاتدخلها الشمس ، كما كانوا يدعون بالكذب على علماء المسلمين .. والحقيقة أن سيد قطب قضى أغلب فتراته في مستشفى السجن الحربي من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م .. حيث كان مريضا بعدة أمراض - السكر والتقلب والذئب - يستحيل نبهنا أن يتعرض للتعذيب ، كما يزعم الإخوان ..

لا في الفترة الأولى من ١٩٥٤م حتى ١٩٦٤م ولا في الفترة الثانية من ١٩٦٥م حتى ١٩٦٦م كما زعم عبد الله عزام في كتابه (سيد قطب - عملاق الفكر الإسلامي) قائلا : « وقف الداعية الشهيد سيد قطب يسخر من المحكمة التي تحاكمه وطلب إليه

لماذا سجن سيد قطب من عام ١٩٥٤م. ١٩٦٤م؟

لم يسجن سيد قطب عام ١٩٥٤م بسبب الحاكمية ، وإنما سجن بسبب التصريح بوجوب قتل ضباط الثورة .. والإشراف على المنشورات الإخوانية التي تدعو إلى الانقلاب على الثورة والخروج عليها بسبب اتفاقية الجلاء .

وذلك أن سيد قطب عاد من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ م وكتب مع ضباط الثورة ستة أشهر فقط: ابتداء من يوليو ١٩٥٢م حتى أوائل فبراير ١٩٥٣م ..

ثم ترك ضباط الثورة ، وارتمى بالكليّة في حركة الإخوان . وصار مديرا لقسم الدعوة .. وأصبح محسوبا عليهم .. فانقطعت تصانحه عن ضباط الثورة ، ولم يعد مستشارا في شئون وزارة المعارف ، وإنما صار في خندق لا يعرف إلا لغة الانقلاب والثورة .. فلم يرفع سيد قطب لواء الحاكمية ، إنما رفع لواء الانقلاب والثورة على الضباط ، الذين وضعوه في موقع الصدارة ..

ولا أدري لماذا لم يتعرض سيد قطب للفصل من الإخوان كما تعرض الشيخ الباقرى .. فهل وجوده في الثورة كان بموافقة الإخوان .. أم كان بغير موافقتهم .. أم أن في المسألة كيلا بمكيالين ؟

وفي ١٨ نوفمبر ١٩٥٤م ، بعد عام واحد من ارتباطه بالإخوان وبعد القبض عليه في حادث المنشية صرح في المحكمة أنه نصح المرشد العام بالقضاء على ضباط الثورة ، قائلا : « إنني نصحت الأستاذ المرشد أننا جماعة الإخوان يجب أن نقضى على حركة الجيش قبل أن نقضى علينا " قال ذلك في وجه رئيس محكمة الشعب جمال سالم" (قافلة الإخوان / ص/ ٥٢٢) .

وبعد عقد اتفاقية الجلاء هدد سيد قطب في منشوراته السرية ضباط الثورة بوقف الاتفاقية . قال القرضاوي : « الإخوان كانت لهم نشرة سرية تصدر في هذا الوقت تحت عنوان (الإخوان في المعركة) تهاجم الثورة ورجالها بعنف ، وتتضمن المنشورات الثورية التي تصدر عن قيادة الإخوان مثل منشور عنوانه: " هذه الاتفاقية لن

القاضي الفاجر جمال سالم أن يذكر الحقيقة، فقال الشهيد وقد كشف عن صدره وظهره الممزق بالسياط وأنياب الكلاب البوليسية الثورية: أتريدون الحقيقة. هذه هي الحقيقة. ! فضجت القاعة بالاشمئزاز وأشاح الجمهور بوجهه ؛ ألما وازدراء لما يقع في سجون مصر الثورة « أه

فهذا من أكاذيب الإخوان ..

وقد شهد الدكتور / محمود جامع " في لقائه مع قناة " الجزيرة القطرية " أن سيد قطب كان مريضاً بعدة أمراض ؛ وهذا بالضرورة يبين استحالة تعرضه للتعذيب وهو بتلك الصورة، فقال : « كان سيد قطب مريضاً بالدرن والقلب وبالسكروعدة أمراض قضى معظم وقته في المستشفى، في مستشفى سجن مصر » (الجزيرة نت. ١٠ / ١ / ٢٠٠٥م).

ومن الضروري أن يعلم أن سيد قطب لم يمرض تلك الأمراض في السجن، كما يدعى بعض الإخوان .. فقد كان يعاني منها قبل الثورة، حتى إنه كان يعالج منها في المستشفى الأمريكي، حيث سمع بمقتل حسن البنا ... أما أمره في سجن طرة فقد شهد الأستاذ أحمد عبد المجيد " أحد أعضاء تنظيم ٦٥م " أن سيد قطب كان على علاقة طيبة بضباط سجن طرة، حتى قال : « كانت صلته بالضباط والجنود في السجن صلة طيبة، حتى إن مأمور سجن طرة قال : إن سيداً هو مدير السجن لصلته القوية بالجميع » (إسلام أون لاين. ١٢ / ٧ / ٢٠٠٤).

فلم يؤلف سيد قطب الظلال ولا المعالم تحت تعذيب استمر عشر سنين كما يدعون، إنما كان وجوده دائماً في المستشفى ..

وقد بين سيد قطب أنه لم يكن يخضع دراساته وأفكاره إلا لعقله، ولم تؤثر فيه أي ظروف نفسية، بل ولم تؤثر فيه أي عقيدة، فقال : « وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم » (التصوير الفنى ص/ ٢٥٥) فكيف تكون الظروف النفسية السيئة هي التي أثرت فيه .. لو كان قولهم صحيحاً، كما يدعون فلماذا لم يرفعوا عنه هذه الظروف بعد موته،

ولزموا أخاه محمد قطب بتصحيح مساره، أو بتوضيح المقصد الصحيح من كلامه في نفس كتابه، الذي طبع منه طبعا عديدة، بنفس الفكر، بعد وفاته إلى الآن .. بما يزيد على أربعين سنة.

كذلك لم يؤلف سيد قطب كتاب " الظلال " بعد مجيئه من أمريكا في نوفمبر ١٩٥١م فقد كانت جل اهتماماته في ذلك الوقت متعلقة بالنقد : إما النقد السياسي القائم على المفاهيم الاشتراكية، أو النقد الأدبي .. باعتبار أنه خريج دار علوم .. ثم بعد ذلك عندما جاءت الثورة كان ليله ونهاره مع ضباط الثورة، بشهادة أخيه محمد قطب، لمدة ستة أشهر. وبعد ذلك بعام واحد دخل السجن .. فمتى إذن كان يؤلف الظلال ؟ لم يؤلف سيد قطب كتاب الظلال إلا في مستشفى السجن الحربي في زمن عبد الناصر، وليس في زمن الملك فاروق. ولم يخرج سيد قطب منه إلا عام ١٩٦٤م. وفي عام ١٩٦٥م قبض عليه مرة أخرى بسبب تنظيم ١٩٦٥م .. ولم يقبض عليه بسبب الحاكمية. وإنما قبض عليه بسبب اعتراضه لدى المخابرات العامة على القبض على أخيه محمد..

تنظيم ١٩٦٥م

القبض على ثلاثة آلاف إخواني عام ١٩٦٥م

عندما تقرأ كتابات الإخوان فيما حدث لهم عام ١٩٦٥م تظن أن الشعب المصري كله كان في السجون والمعتقلات، وأن ما يقرب من مائة ألف إخواني كانوا في حيز الاعتقال .. إذ قبض على مائة رجل قالوا قبض على مائة ألف .. وإذا قبض على ثلاثة آلاف قالوا قبض على ثلاثين ألف. والحقيقة خلاف ذلك، فقد قبض فقط على ثلاثة آلاف إخواني في تنظيم ١٩٦٥م، كما شهد السيسى في كتابه (في قافلة الإخوان. ص/ ٦٧٠) حيث قال : « وهكذا أنهت نيابة أمن الدولة علنياً التحقيق في قضية الإخوان رقم ١٢ / ١٩٦٥م مع أكثر من ألف شخص من حوالى ثلاثة آلاف من الإخوان المعتقلين في فزانين السجن الحربي، والذين عاشوا هذه الشهور المريرة تحت أنواع التعذيب الرهيب » أه ... وقد وقع التعذيب فقط أثناء فترة التحقيق، من

٢١ أغسطس ١٩٦٥م حتى ٢١ أغسطس ١٩٦٦م ، وهو يوم النطق بالحكم على المتهمين في التنظيم .. وهذا واضح تماما من قول الأستاذ عباس . وقد حكم على سبعة منهم بالإعدام ، وخفف الحكم على أربعة إلى الأشغال الشاقة .. ونفذ حكم الإعدام فقط في ثلاثة منهم ، وحكم بالأشغال الشاقة على ٢٥ فرد ، وبخمس عشرة سنة على ٧ أفراد ، وبعشر سنين على ٥ أفراد .. وفي الدائرة الثانية إلى السادسة حكم بالمؤبد على ١٦ فرد منهم ٣ غيابه .. وبخمس عشرة سنة على ٤٢ ، وبعشر سنين على ٢٨ ، وبثمان سنين على ١٤ ، وبسبع سنين على ٥ ، وبخمس سنين على ١٣ ، وبثلاث سنين على ٥٥ ، وبأقل من ثلاث سنين على ٥ أفراد... وهذا حصر عباس السيسي ، وقد بين أن بقية الإخوان لم تصدر ضدهم أحكام ، قائلا : « كما أن هناك مئات من الإخوان لم تصدر ضدهم أحكام . وقد أفرج عنهم بعد وفاة عبد الناصر » (انظر " في قافلة الإخوان . ص / ٧٤٥) .

فقد حكم فقط على مائتين وخمسة من أفراد الإخوان بأحكام مختلفة ، وبقى المئات لم يحاكموا ، وصاروا قيد الاعتقال .. من أغسطس ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧١م .. فلم يقبض على مئات الألوف كما يردد الإخوان ..

أول خيوط القبض على تنظيم ١٩٦٥م ..

حسب مصادر الإخوان . كانت أول الخيوط التي قادت إلى اكتشاف هذا التنظيم من الناحية الجنائية هي وجود قنابل لدى عبد اللطيف شاهين ، الذي كان له صعبة مع الأستاذ يوسف القرشي صديق حبيب عثمان " أحد أعضاء تنظيم ١٩٦٥م " وقد حكى ذلك السيسي في كتابه (قافلة الإخوان ص / ٧١١) قائلا : « كان الرقيب أول عبد اللطيف شاهين من رجال قوات الصاعقة ، قد طلب إجازة من الوحدة العسكرية لحضور حفل زفاف إحدى قريباته وجال بخاضره أن يأخذ معه ثلاث قنابل صوتية كهديّة يفجرها في الاحتفال !.. ونزل بلدته وهي قرية أسماها (سننا) مركز ميت غمر دقهلية . وذهب إلى أحد أصدقائه وهو يوسف عطية القرشي وطلب إيداع هذه القنابل عنده لحين يوم الاحتفال .. وانتشر أمر هذه القنابل في القرية

...وبلغ أمرها إلى عمدة القرية فقام بإبلاغ الأمر إلى الشرطة ... التي اتجهت إلى منزل يوسف القرشي ، فلم يجده حيث كان في زيارة أحد أقاربه بالقاهرة .. وعثروا في محله على القنابل ، وأسرعوا إلى القاهرة حيث قبضوا على يوسف القرشي وصديقه حبيب عثمان وهو صاحب ورشة خراطة . (تحت وطأة التعذيب) . بدأ يذكر أول خيوط التنظيم ، وتوالى القبض على العشرات والمئات من جميع المحافظات « أهـ

يلاحظ أن الأستاذ عباس السيسي حرص على التقليل من أمر القنابل . بأنها كانت قنابل صوتية . أراد صاحبها أن يفجرها في الفرح ابتهاجا وسرورا ! . ويرد ذلك حرص عبد اللطيف شاهين على إخفائها عند صديقه يوسف القرشي . في وقت لم يكن أحد يجري على حمل قنابل صوتية أو غير صوتية .

غرياء هي منتصف الليل ..

وفي سياق الحديث عن أسباب كشف هذا التنظيم حكّت زينب الغزالي أمورا بعيدة كل البعد عن أخلاق الإسلام ، لا سلف لها في نساء النبي ﷺ ، ولا في نساء الصحابة (رضى الله عنهم) .. انطلقت غلوا في مصلحة الدعوة ، ولو خالفت شرائع الإسلام .. متأثرة بالأفكار التحررية التي كانت في زمنها .. فقد اشترطت على زوجها ألا يمنعه من استقبال أقطاب الإخوان في بيتها ، لتتدارس معهم الأعمال الفكرية والدعوة لتنظيم ١٩٦٥ م ، الذي أسسه سيد قطب . وتمتد الجلسة حتى الفجر ، بينما كان زوجها يعلق على نفسه غرفته وبنام ، ولا يحضر تلك الاجتماعات - وقد كانت تلك التحركات والاجتماعات كلها مراقبة من قبل وزارة الحربية ووزارة الداخلية في ذلك الوقت - كما أقرت بذلك في كتابها (أيام من حياتي ص / ٤١) حيث قالت " تحت عنوان " وقفه مع زوجي " :

« وكان الزوج المؤمن يسمع طرقات الباب في جوف الليل فيقوم من نومه ويفتح للطارقين ويدخلهم إلي حجرة المكتب ، ويذهب إلي حجرة السيدة التي تدير أعمال البيت فيوقظها ، ويطلب منها أن تعد للزائرين بعض الطعام والشاي ، ثم يأتي إليّ فيوقظني في إشفاق وهو يقول : بعض أولادك في المكتب وعليهم علامات جهد

أو سفر، وأرتدي ملابس وأذهب إليهم ويأخذ هو طريقه إلى مكان نومه وهو يقول لي : إذا صليتم الفجر جماعة فأيقظيني لأصلي معكم إن كان ذلك لا يضر ، فأجيب إن شاء الله. فإن صلينا الفجر أيقظته ليصلي معنا ثم ينصرف «أه
أما من ناحية الفكرة :

فقد اكتشف هذا التنظيم بعد خروج ملازم كتاب معالم على الطريق الذي ألفه سيد قطب وقال فيه بجاهلية الأمة الإسلامية ..

وحسب المصادر السياسية فقد اكتشف ذلك عبد الناصر وقال " إن هذا الكتاب يخفي وراءه تنظيم سرى " وقد اتضح ذلك جليا بعد تكليف المرشد العام حسن الهضيبي سيد قطب بإدارة أمر هذا التنظيم... وقد أكدت ذلك زينب الغزالي في كتابها (أيام من حياتي / ص/ ٤٨) ، بقولها : « فكان الهضيبي قد أوكّل كل المسؤوليات لسيد قطب ، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبي ، وكان علينا أن نرجع إلى المرشد العام نسأله فيمن يتولى المسؤولية بدلا من سيد» أهـ

إلا أن هناك من قال أن المرشد أنكر علمه بهذا التنظيم ، قال فريد عبد الخالق : « فكانت المفاجأة الكبيرة والأليمة أن لا علم للمرشد بهذا الأمر ، وأنه لم يأذن بشيء من ذلك قط ، وأن الأمر بالغ الخطورة على الجماعة كلها لا على التنظيم فحسب » (الإخوان في ميزان الحق / ص/ ١١٣) وعندما التقى فريد عبد الخالق بزينب الغزالي في إنجلترا .. وتناول الإخوان الليبيون هذا الأمر كذب فريد عبد الخالق ما صرحت به زينب الغزالي في كتابها " أيام من حياتي " أن الأستاذ الهضيبي كان على علم بتنظيم ١٩٦٥م ، غير أنها لم تتراجع عن إثبات ذلك ..

قال الأستاذ فريد : « ما ذكرته - يقصد زينب الغزالي - عن أن الذي جرى معها بصحبة عبد الفتاح إسماعيل وأنها أخذت إذن منه - يقصد حسن الهضيبي - بما كانت هي تعدّه مع عبد الفتاح وحصل أمر في تنظيم اللي خرج بينا من محنة ١٩٦٥ هذا للأسف غير صحيح . في إنجلترا . دعينا وتواجهنا والتقينا وهي قالت الكلام ده . فأننا قلت لها بإحاجة زينب مع احترامى . الحقيقة إن المرشد لم يأذن.

وكلفني شخصيا عندما أنهيت إليه أنني علمت بهذا التنظيم قال لي أنا لم أذن به وأكلفك بأنك أنت تقضي عليه » (الجزيرة نت . ٨ / ٣ / ٢٠٠٤م)

وإذا صح مقاله فريد عبد الخالق فإن سيد قطب سيوضع في جملة جين على الجماعة .. ليحتمل وحده مسؤولية ما حدث للإخوان في تلك الحقبة من التاريخ .. غير أن تلك التهمة لم توجه لسيد قطب من قبل المرشد ، وذلك لأن تنظيم ٦٥م كان تابعا في الحقيقة للجماعة ، بل وللمرشد شخصيا ، فلم يكن سيد قطب من النوع الذى ينصرف بغير إذن . فقد سبق أن قال إن : « قانون الإخوان يجعل - الكلمة الرسمية حق المرشد العام » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥٠٤)

وقد كان سيد قطب ملتزما بذلك ، ويكفى فقط أنه أرسل ملازم كتاب " معالم على الطريق " للأستاذ الهضيبي ليأخذ منه الإذن بطبعه ، كما ذكرت زينب الغزالي في كتابها " أيام من حياتي " ، ص/ ٤٣ بقولها : « وعلمت أن المرشد اطلع على ملازم هذا الكتاب ، وصرح للشهيد سيد قطب بطبعه .. وحين سألته قال لي : على بركة الله .. وقالت : فقد كنت عنده لأخذ الإذن بطبعها » أهـ

فإذا كان سيد قطب لا يقدر على طبع كتاب إلا بإذن المرشد فكيف يقم تنظيميا بهذه الدرجة من غير أن يأخذ إذنًا من المرشد ؟

فزينب الغزالي عندها علم زائد بأمر التنظيم ، والمثبت مقدم على النافي ، لأنها كانت المحور الأساسي للتنظيم ، بخلاف فريد عبد الخالق فلم يكن له علم بنشأة التنظيم ..

وقد شهدت زينب الغزالي أن سيد قطب تولى المسؤولية بعلم المرشد ، وكانت هي الواسطة بينهما . وعندما قبض عليه ذهبت إليه ليعين قائدا آخر .

ولكن المرشد كان يستخدم المناورة والثقة ، فثبت لقوم ويكره الآخرين ؟ لتضيق الحقائق وتتداخل المفاهيم وتتوعد المقاصد. وتلك عادة الإخوان مع الأحداث .. القرار من المسؤولية .

اعترافات الإخوان وتلاومهم ...

ذكر فريد عبد الخالق أن أحد أعضاء تنظيم ١٩٦٥م اعترف به اعترافا كاملا، ولعله يشير إلى حبيب عثمان الذي ذكره عباس السيسي آنفا. وقال: « وقد اعترف أحد أفرادهم ضمن قيادة التنظيم للمحققين بكل حقائق التنظيم وقصته وأعضائه .. » (الإخوان في ميزان الحق. ص/ ١١٣) وقال الأستاذ السيسي: « .. وتحت وطأة التعذيب . بدأ يذكر أول خطوط التنظيم ، وتوالى القبض على العشرات والمئات من جميع المحافظات » (في قافلة الإخوان . ص/ ٧١١)

وقد أثبت حقيقة هذا التنظيم وتلاوم الإخوان على تكوينه فريد عبد الخالق ، وبين أنه بدأ نواة صغيرة ثم اتسع .. فقال : « ونبههم الأخ الذي اتصل بهم في أمر هذا التنظيم إلى أن وجود تنظيم ما فضلا عن أن يكون استخدام القوة من وسائله خطأ ينضوى على أضرار بالغة ومفاسد كثيرة ، وضررها مقدم على ما قد يحتملوه له من منافع ، وأن الموضوع كله مخالف لخط الجماعة وتعليمات قائدهم المرشد العام . الخ » (في ميزان الحق . ص/ ١١٣)

ثم ذكر فريد عبد الخالق أن أحد أعضاء التنظيم بين أن منهج سيد قطب كان يعتمد الانقلاب الفكري دون الانقلاب العسكري .. إلا أن الأستاذ فريد شكك في ذلك ، وأكد أن منهج التنظيم منهج انقلابي بقوله : « .. والذي يحمل على الظن بأن استخدام القوة من وسائله وإن أخفى القائمون عليه ذلك . » أهـ

ويؤكد صدق ما قاله ما حكاه سيد قطب في (الظلال ٣ / ١٤٥١) :

« أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها » أهـ ..

وقد اتهم فريد عبد الخالق سيد قطب بكل صراحة بالتآمر على عبد الناصر ، كما ظهر من اعتراض محمود جامع على حديثه في (آفاق عربية ٣ ، يونية ٢٠٠٤م) قائلا : « وتناولت - يا أستاذي الجليل - الشهيد الفاضل والداعية المجتهد المؤمن

الواعي .. سيد قطب شهيد الإسلام العالي بالتقذ والتجريح والانتهاكات الظالمة ووضعت في مرتبة التآمر على عبد الناصر وعلى الدولة بالإرهاب» أهـ

وبين الأستاذ فريد في حديثه لقناة " الجزيرة الفضائية " عن طريق هبة الفيشاوى أحد أعضاء التنظيم أن مواجهة عبد الناصر والقضاء عليه كانت أحد مهمات تنظيم ١٩٦٥م ، فقال : « .. فيه مجموعة يجتمعون ويرتبون لمواجهة عبد الناصر والقضاء عليه وقتله » (الجزيرة نت . الاثنين ٨ / ٣ / ٢٠٠٤م)

وصرح فريد بأنه شهد ندم سيد قطب على ما قدم لنفسه من أعمال انتهت بإعدامه ، قائلا : « إن عينه التقت بعين سيد قطب في السجن وشعر بأنه نادم على أفعاله .. وقال عنه : أحس أنه كان يشعر بالخوف من مصيره المتوقع بالإعدام » (آفاق عربية ٢٠ يونية ٢٠٠٤م . مقال محمود جامع)

وعلى ذلك كانت كل المناقشات والتهم الموجهة إلى الإخوان دائرة في نطاق التدبير لقلب نظام الحكم بالقوة ، وقتل عبد الناصر ، وقد كان تكفير المجتمعات الإسلامية في كتاب " المعالم " هو العلامة الدالة على ذلك . وعندما قرأ شباب الإخوان مؤلفات سيد قطب تبلورت في نفوسهم عمليات القتل والاغتيال ، حتى قالوا سيد وعرضوا عليه الفكرة ، فقال لهم ، كما هو مدون في سجلات محاكمته ، التي نقلها الإخوان في كتبهم . حين سأله الدجوى أثناء محاكمته سنة ٦٥م : ألم يكن من خطتهم اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر؟

قال الأستاذ : « لقد قلت لهم إن اغتيال جمال عبد الناصر مسألة تافهة لا تحتاج لمثل هذا التنظيم . فوجمت المحكمة وساد الجلسة صمت عميق » (قافلة الإخوان . ص/ ٧٠٦)

الاتهامات التي وجهت إلى سيد قطب ...

١- اتهام رئيس النيابة ...

عرض رئيس النيابة الذي باشر التحقيق مع سيد قطب حقيقة مقاله سيد في مفهوم جاهلية الأمة المسلمة، وما تضمنه كتاب (معالم على الطريق) قائلا : « لكن جماعة (الإخوان) .. أثبت إلا أن تفسر الدين حسبما تقتضي أهدافهم فيضع قطبهم (سيد قطب) دستورهم (معالم على الطريق) الذي يدعو حواريه أن ينطوا على أنفسهم وينفصلوا عن مجتمعهم .. بقروله : « إنا اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية ، تصورات الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم .. وأن الإسلام يهدف إلى إزالة الأنظمة والحكومات الجاهلية » (في قافلة الإخوان . ص/ ٧٠١) .

وهذا رد واضح على الأستاذ القرضاوى الذى زعم في مذكراته أن المحكمة لم تكن على دراية بما كتبه سيد قطب باعتبار أنه مفكر ، لا ينبغي أن يحاكم إلا أمام مفكرين .. فممثل النيابة كان على دراية كبيرة بفكر سيد قطب .. وهذا هو نفس ما قاله القرضاوى في سيد قطب . أما منصة القضاء فقد كانت تحاكم على التنظيم ، وليس على الفكر .. حيث لم تدر أى قضية فكرية في المحكمة على الإطلاق ..

٢- اتهام القرضاوى أشد من اتهام رئيس النيابة ..

كان الاتهام الذى وجهه رئيس النيابة لسيد قطب هو نفس الاتهام الذى وجهه الدكتور القرضاوى لسيد قطب ، ونفس المطبد الذى صاغ منه رئيس النيابة الاتهام هو نفس المصدر الذى اعتمد عليه القرضاوى ، وهو كتاب

" معالم على الطريق " ، فقد بين القرضاوى أن كتب سيد قطب امتلئت بفكر التكفير والعزلة الشمورية فقال : « وأخطر ما تحتويه التوجهات الجديدة في هذه المرحلة لسيد قطب، هو ركونه إلى فكرة التكفير والتوسع فيه ، بحيث يفهم قارئه من ظاهر كلامه في مواضيع كثيرة ومتفرقة من الظلال وما أفرغه في كتابه معالم في

الطريق أن المجتمعات كلها قد أصبحت جاهلية. وهو لا يقصد بـ (الجاهلية) جاهلية العمل والسلوك فقط ، بل جاهلية العقيدة .. إنها الشرك والكفر بالله. « آفاق عربية ٨ يوليو ٢٠٠٤ م) ...

وهذا الكلام يدل على توافق مفهوم الدكتورالقرضاوى مع رئيس النيابة ممثل الدولة في الادعاء على سيد قطب ، ومن ثم لم يجز للقرضاوى أن يتهم ممثل النيابة والقضاء بعدم التخصص في فهم مراد سيد قطب ، إذا كان قد شهد على سيد قطب بما شهد به عليه.. ولو كان القرضاوى في قصص الاتهام مع سيد قطب لكان في صف ممثل الدولة ، بل لكان في صف على عبده عشمواوى الذى اتهمه الإخوان جميعا بالخيانة ، ورماء القرضاوى في مستنقع الشرك في العدد ٦٦٤ من آفاق عربية . بسبب اعترافه علي التنظيم . فقد أكد القرضاوى أن أعمال تنظيم ١٩٦٥م أعمال خطيرة . حقيقة الأمر أن سيد قطب كان يعبر عما يعتقد عامة الإخوان في ذلك الوقت ، بل عما كان يعتقد حسن البنا ..

مفهوم الحاكمية ...

هل حوكم سيد قطب بسبب الحاكمية أم بسبب التكفير والانقلاب ؟

سعى الإخوان في تلك القضية إلى تحقيق هالة كبرى حول سيد قطب على حساب علماء السلف وأئمة الحديث ، وزعموا أنه رفع لواء الحاكمية حيث جعلوا لفهم من علماء السلف والحديث فقه الحيز والنفاذ ، وجعلوا لعامة الشعب ومشيغة الأزهر التصفيق للظلمة والمستبدين .

لقد زعم القرضاوى أن سيد قطب حوكم بسبب كتابه (معالم على الطريق) وما حواه من أفكار .. ولم يحاكم بسبب الأعمال الخطيرة التى ارتكبها تنظيم ١٩٦٥م فقال : « الحقيقة أن سيد قطب وتنظيمه لم يحكما من أجل " الأعمال الخطيرة " التى ارتكبها ، ولكن حوكم كلاهما من أجل " الأفكار الخطيرة " التى اعتنقها أو دعا الناس إليها.. ولو أنصفوا وامتلكوا الشجاعة لقالوا : إنا حاكمنا الرجل -بل حكمنا عليه بالإعدام- من أجل أفكاره لا من أجل أعماله.. لقد حوكم

سيد قطب على أخطر كتاب ألّفه ، وهو كتاب "معالم في الطريق" ، فهو الذي تتركز فيه أفكاره الأساسية في التغيير الذي يشهده «(أفاق عربية ٨٠ يوليو ٢٠٠٤م)

والحقيقة أن قضايا الإخوان أمام المحاكم التي أطلق عليها محاكم الشعب عامي ١٩٥٤م ، ١٩٦٥م لم تكن قضايا فكرية كما زعم .. إنما كانت قضايا تشكيلات وتنظيمات وأكوار ، و تصريح بقتل أو دراسة له .. ولم يناقش أمام أى محكمة من محاكم الثورة مسألة الحاكمانية لله تعالى ، كما هو مشاع عن سيد قطب وغيره ، وأنه رفع تلك الولاية في المحاكم ، وأنه قتل بسببها .. فالقضية التي حوكم بسببها سيد قطب كانت قيادة تنظيم ١٩٦٥م الذي أقرت به زنب الغزالي .. أما مفهوم الحاكمانية لله تعالى فلم يدر بشأنه أى نقاش في المحكمة التي حاكمت سيد قطب .. أما كتاب "معالم على الطريق" فقد كان الحيط الدال على وجود تنظيم سري ..

والذي حدث كما أخبر عباس السيسي أن المحكمة سألت الأستاذ سيد قطب عن مقصوده من الحاكمانية ؟ فطلب سيد قطب الراحة ، فرفعت الجلسة ، ثم أعيدت الجلسة مرة أخرى ، ولم يسئل سيد قطب فيما سئل فيه من قبل .. قال عباس السيسي في كتابه (في قافلة الإخوان / ص ٧٠٦) : «وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة قال الدجوي للأستاذ سيد :

نريد أن نعرف تفسيراتك لما جاء في كتاب معالم في الطريق عن مقصودك من معنى الحاكمانية ؟ وهنا انتاب الإخوان السرور .. (١)

ولكن الأستاذ سيد طلب من المحكمة أن تعطيه فرصة استراحة يستأنف بعدها الرد على السؤال وأوقفت الجلسة ودخل أعضاء المحكمة للاستراحة .. واستؤنفت الجلسة ..

ووقف الأستاذ سيد تلثمهم العيون وترفرف حوله الدعوات وانتظرنا أن يعيد رئيس المحكمة عليه السؤال عن الحاكمانية لله ... ولكن ... تغافل الفريق أول عن هذا السؤال وأخذ يلف ويدور حول أسئلة فرعية ... أمه

وعادت المحاكمات تدور حول التنظيم وأعماله وأفراده .. الخ

فلم يحاكم سيد قطب بسبب مسألة الحاكمانية ..

فلم تكن المحاكمة فكرية ، بقدر ما كانت محاكمة تنظيم وانقلاب .. ومن الشواهد الأخرى الدالة على أن سيد قطب لم يحاكم بسبب كتاباته عن الحاكمانية أن كتاب "في ظلال القرآن" الذي ألّفه سيد قطب داخل السجن ، وهو الكتاب المكتظ بالحديث عن قضية الحاكمانية قد وزع في السجن الحربي ، ووضع في مكتبته بعد موت سيد قطب ، كما أكد على ذلك السيسي بقوله : تحت عنوان كتاب في ظلال القرآن : «وصلت إدارة السجن رسالة عبارة عن صندوق من الكتب الخاصة بمكتبة السجن ، وفي حالة تفريغ هذا الصندوق كان من ضمن محتوياته كتاب "في ظلال القرآن" للشهيد سيد قطب - رحمه الله - إنها مفاجأة خطيرة ، إن جميع كتب سيد قطب غير مصرح بتداولها في مصر . فكيف تسمح بتداولها في مؤسساتها ، وخاصة في السجون والمعتقلات التي يعيش فيها أصحاب الدعوة الإسلامية التي ينتمى إليها الشهيد سيد قطب» (في قافلة الإخوان . ص / ٧٨٩)

فلو كان سيد قطب حوكم بسبب الفكر والحاكمانية وقتل بسببها ، كما قال القرضاوي ، فكيف يصرح خصمه بتداول كتبه التي تحمل نفس أفكاره في نفس السجن الذي قتل فيه ..؟

كذلك فإن الأستاذ عبد القادر عودة أتم أيضا كتابه "التشريع الجنائي في الإسلام" في السجن قبل أن يحكم عليه بالإعدام ، وبعد الحكم سلمت إدارة السجن الكتاب لأولاده وورثته من بعده . وقد ذكر ذلك ولده الدكتور خالد عبد القادر عودة ، بقوله إنه : «قد أتمه في السجن بعد ذلك - يقصد كتاب التشريع الجنائي الإسلامي - وتسلمنا الورق من داخل السجن مكتوبا بالقلم الرصاص ، والعجيب أنه أتمه قبل إعدامه ببليّة واحدة فقط (١)» (الإخوان أون لاين . ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٤م)

فلو كان القتل من أجل اعتناق فكر أو معتقد فلا أظن أحدا يصدق إبقاء إدارة السجن على هذا الكتاب ، الذي يحمي هذا الفكر ويؤيده بعد موت صاحبه . ومن أجل ذلك فلو كان سيد قطب اعتذر لعبد الناصر عن أخطاء التنظيم السري

والوقوف وراءه .. وأُنْجى نفسه من حبل المشقة فهذا لا يضر دينه بشيء .. لأنه ليس متعلقاً بمسألة الحكمية ولا بالدين على العموم . فلم تكن المناقشات في محاكم الشعب دائرة على أمر الحكمية لله .. ولم يكن هناك أحد ينقض الحكمية لله (تعالى ذكره)، حتى عبد الناصر لم يكن ينكر ذلك ، كما صرح الإخوان على لسان المستشار عبد القادر عودة ، ولكنه كان يرى تهئية الجو لذلك ، فقد قال :

« إننا سنحكم بالقرآن ، ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك ، ولا بد من تدليل العقبات وتهئية الجو للحكم بالقرآن ، ولا بد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك... » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٦٥) .

وهذا هو نفس المفهوم الذى يقوله الإخوان.. أن " الحدود لا تنطبق إلا فى مجتمع كامل " كما قال السباعي . وأن " الحرية مقدمة على الشريعة " كما قال القضاوي .

عبد الناصر والدماء ...

قام عبد الناصر بتلك الثورة دون أن تراق قطرة دم واحدة من خصومه باختلاف ألوانهم ، وكان هذا مثار دراسة فيما بعد ، خاصة أن مملكة محمد على باشا والتي كانت تحكم مصر فى ذلك الوقت كان لها جذور طويلة فى التاريخ ، وكان لمؤسسها محمد على باشا عداوة شديدة مع علماء السلف وأئمة التوحيد فى بلاد نجد فى الجزيرة العربية ، التى لم تكن تحت إمرة السلطان العثمانى فى ذلك الوقت .. وكان من قوة مملكته أن أرسل جيشا خارج مصر بقيادة ابنه إبراهيم باشا للقضاء على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) وقتل شيوخها وعلمائها الأكابر .. حتى إنه قتل العلامة/ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد . ومع تلك القوة التى كانت لتلك المملكة فى مصر لم يقتل فى مواجهتها إلا جنديان إثنان فقط .. ولم يقتلا قصدا كما قال مؤرخو الثورة .. هذا أثناء الثورة .. أما قبل الثورة فقد اشترك عبد الناصر مع بعض زملائه فى محاولة لقتل اللواء حسين سري عامر ، بسبب بعض الاتهامات التى وجهت إليه بالتعامل مع القصر ، غير أن المحاولة فشلت ، فعدل عبد الناصر بالكلية عن الشروع فى الاغتيالات السياسية ، ورفض رفضا قاطعا الموافقة على قتل الملك فاروق ، ورفض كذلك محاكمته ، بينما كان كثير من الضباط يريد ذلك .. واكتفى فقط بنفيه خارج البلاد .. فرفض مبدأ الانتقام ، ورفض أن تبدأ الثورة بالدماء ، ورفض تمثيلية المحاكمة إذا كانت تنتهى إلى القتل حتما .. وعمل على إغلاق الموضوع وتهدة البلاد .. فذل ذلك على أن عبد الناصر لم يكن يميل إلى القتل والدماء ، ودل أيضا أن ما حدث للإخوان فى السجون والمعتقلات فيما بعد كان لأجل أنهم كانوا حتمى فى التعامل معه ..

فعلى الرغم من أن أحداث ١٩٥٤م كانت فى زمن الثورة الأول إلا أن مسئوليتها كانت موزعة بين ضباط الثورة جميعا ، وذلك باعتبار أن عبد الناصر لم يتولى مسئولية الدولة إلا فى عام ١٩٥٦م . بل إن كثيرا من المؤرخين السياسيين

وكتاب الإخوان بيننا في مذكراتهم أن ما حدث للإخوان في الستينيات من القرن الماضي لم يكن من تدبير عبد الناصر، وإنما كان من تدبير وزارتي الداخلية والحربية، وقد أكد ذلك القرضاوى في (آفاق عربية ٨ يوليو ٢٠٠٤ م) بقوله: «كان المسئول الأول عن دماء الإخوان في المرات السابقة، وعن محتبتهم بصفة عامة وزارة الداخلية المصرية، وأجهزة الأمن فيها.. كانت هي التي تعتقل، وهي التي تنهم، وهي التي تحقق، وإن شاركتها وزارة الحربية ببعض الأشياء، مثل السجن الحربي بزنازينه وزبائناته وقائده المتجبر حمزة البسويوني. أما المسئول الأول عن دماء الإخوان ومحتبتهم في هذه المرة؛ فهو 'وزارة الحربية' ووزيرها: شمس بدران، وإن شاركتها الداخلية بالمساعدة في القبض والاعتقال وغيرها» أهـ.

لومان طره

أما ما وقع في أول يونيو عام ١٩٥٧ في سجن لومان طره. فقد تسبب فيه شاب متهور من شباب الإخوان.. حيث قام بخطف سلاح أحد ضباط السجن الحربي، ثم حبس الضابط معه في الزنزانة، فنسب ذلك في وقوع مواجهة بين الضباط الحربيين وبين الإخوان قتل فيها بعض الإخوان.

قال الأستاذ / إبراهيم قاعود في كتابه (الإخوان الحقيقة الغائبة الباب الرابع : « وحدث أنه في يوم من الأيام دخل أحد الضباط العنبر الذي يوجد به الإخوان وحاول إدخالهم الزنازين في وقت الفسحة فأتززع منه بعض الإخوان مسدسه، وأدخلوه في زنزانة من الزنازين، فثارت ثائرة القائمين على السجن، ووجدوا أنها الفرصة الملائمة، فاستدعوا فرق المتطوعين في الجيش بأسلحتهم، ووقفوا على سطح العنبر، وأخذوا يطلقون النار على من فيه، ثم دخلوا إلى الزنازين، فقتلوا ٢٢ في تلك الجريمة البشعة، وانتهى الأمر بحفظ التحقيق في هذه القضية، وقالوا: إنها ثورة في سجن وانتهت المسألة» أهـ.

فتنة السبعينيات

الإخوان لا يتقيدون بضوابط أهل السنة. ودورهم في الإسلام لن يعدو تهيج العامة على الحكام.. هذا هو جهادهم، الذي عاشوا من أجله.. وبه وقعت المصائب واشترأت الفتن.. وقد كان من الواجب عليهم بعد الفتن التي مروا بها إعادة ترتيب أوراقتهم على منهج السلف الصالح أهل الحديث (رضى الله عنهم). ولكن هيئات هيات. فإنهم لا يتعلمون من التاريخ، ولا يريدون دعوة السلف أهل الحديث. والواقع يثبت ذلك. ففى فترة السبعينيات انتهجوا سبل التشنيع.. واعترضوا على معاهدة السلام بالاتهامات البذنية والأقوال الشنيعة.. وضعوا ما يمكن أن يقال إنها فرص نادرة عرضت عليهم..

١- التشنيع على الملأ..

فتح الرئيس السادات باب الدعوة لجماعة الإخوان في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، وأخرجهم من السجون والمعتقلات، وفتح لهم باب الحرية، وأعطاهم الكلمة.. حتى اتسع نشاطهم وانتشرت دعوتهم، وفتح لهم الهيئات والمساجد والصحف، بعد أن كانوا مصصورين في السجون والمعتقلات. قال التلمسانى: «كان البعض يعاتبني لما قلت له: إنى أفتنى أن يطول عهد حكمك إلى أبعد مدى.. وكان هذا إحساسى نحوه حقاً، لأننا فى مدة حكمه أعدنا إصدار مجلة الدعوة في ثوبها القشيب، وكنا نقيم الاحتفالات الدينية وغيرها، نقول فيها ما نشاء في جراحة ووضوح، لا نخشى فيما نقول إلا الله» (أيام مع السادات ص/ ٣٥).

وقد ظن الرئيس السادات بذلك أنه عالج ما بين الإخوان والدولة من صراع، ولكن هذا لم يحدث، فاتهمهم بممارسة التقية.. بمعنى أنهم يتكلمون بلسان ويضمرون في القلب شيئاً آخر.. وقد بين أن التقية ليست من عمل أهل السنة... كما أشار في خطاب الخامس من سبتمبر ١٩٨١م، وفيه قال:

« جمعية الإخوان المسلمين غير شرعية زى ما قلت للتلمسانى، لكن بروح

العائلة قلت له روح سجل وخذ الإذن ، لكن من هنا لهنالك خلى الدعوة تمشى . ثم قال :... لما جت سنة ٧٠م طلعت الإخوان المسلمين من السجن ، رجعتهم إلى وظائفهم ، صرفوا لهم فرق الهبة التي كانوا معينين عليها .. فانا اعتقدت إن الموضوع خلاص اصفى وانتهى . طلعموا يبيعملوا بالتقية . بس التقية ليست عندنا نحن المسلمين السنة . التقية مش عند السنة أبدا . إن تكلم بلسان وإللى فى قلبك حاجة ثانية . لا ما عندناش كده " أه .

فسرعان ما رأوا أنفسهم كثرة ، فاغثروا وتكاثروا ، وأرغوا فازيدوا ونسوا فضائل الرئيس السادات عليهم بعد الله تعالى ، وبدأوا يشجعون همم الشباب بالهتافات ، ودخلوا فى صدامات مع الرئيس ، على الرغم من وضعه بندا فى الدستور المصري ينص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع . بعد أن كانت المصدر الثانى فى القانون المدنى منذ سنة ١٨٨٣م ، وكذلك فى القانون المدنى الجديد منذ عام ١٩٤٨م . إلا أنهم لم يعبثوا بذلك .

وعلى سابقة غير متوقعة فتح الرئيس باب الحوار العلنى مع شباب الجامعة ؛ ليتصدر شباب من شباب الإخوان للخطاب مع الرئيس ، وباليته ما تقدم .. فليس فى حديثه ما يبين عمق الدين والعلم ولا أدب الخطاب ، ولا تقدير المواقف .. فلم يفتح الطريق ، إنما أغلقه .. ولم يشرح الصدور إنما ضيقها .. إذ وقف بكل استخفاف وجرأة يتكلم مع الرئيس ، فى قضية خاصة بمنع الشيخ الغزالى عن الخطابة ، وليس فى قضية إسلامية عامة ، وقد ظهر بكل بوضوح عدم قدرته على فهم مراد رئيس الدولة ، كما ظهر تناقضا الواضح بين مقدمة كلامه وبين مطالبه ، فقال : " أنا عبد المنعم أبو الفتوح رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة : أنا لم أكن طبعاً فى المسيرة ، ليس بثيراً منها ومن الطلاب اللى طلعموا فيها ، ولكن فيه أمور يجب أن نتضح ..

إذا كان سيادتكم اهتمت الإخوة اللى طلعموا فى المسيرة إنهم شرذمة ، وإنهم كانوا فى منتهى الوقاحة ، وإنهم لهم اتجاه معين وإنهم شيوعيون ، فأننا أؤيد حضرتك فى ذلك تماما .(١) ولكن فى ذات الوقت يحمل سيادتكم المسئولية فى ذلك ، فإذا كان دول شرذمة وفى منتهى الوقاحة سيادتكم تتحمل هذه المسئولية كاملة ،

وأنت وحدك تستأسل عن ذلك أمام الله .. لسبب أنا بأقول إننى دى الوقتى عاوز أسأل حضرتك سؤال ويكون الرد عليه بصراحة ، حضرتك بتقول احنا لازم نكلم بصراحة ..

أنا كشباب مش عارف البلد القيادة السياسية عاوزه تربيني على أيه .. ! شيوعي ولا مسلم ولا زنديق ولا عابد بقر ولا أيه أنا مش فاهم .. الخ أجهزة الإعلام إللى السلطة تقدر تحركها كما تريد ، وإللى يستنكر عليها اتجاهها دى الوقتى مع أنها تمكك القرار إللى توجهها لأى شكل بتريده ، أنا مش عارف الأجهزة دى عاوزه تكون أى فكر فى دماغى كإنسان .

فقال الرئيس السادات : أنا باختصر عليك الكلام يابنى ، أنا باختصر عليك الكلام يابنى ، لأن اخواتك رددوا الكلام ده قبل كده ... شوف يابنى الدولة من سنة ٧١م أنا أعلنتها دولة العلم والإيمان ببساطة ..

فقال أبو الفتوح : متفقين مع سيادتكم .. علشان نكون واقعيين أنا باضرب لسيادتكم مثل علشان نكون واقعيين .. فى الوقت إللى حضرتك بتعلن دولة العلم والإيمان نلاقى الشيخ الغزالى بيتشال من جامع عمرو بقرار مش عارفين ميتين .. نسأل ..د/ عبد العزيز كامل يقول مليش دعوة .. سألت المهندس مرعى .. مش عارف ليه .. طب اشال إزاي .. الناس المصلين ! طلعموا يعبروا عن رأيهم فى مجلس الشعب علشان يقولوا إن إحنا بنستنكر ذلك طلع لها الأمن المركزى ضربهم علاقة سخنة وكويسه وفرقهم ..

أنا مش عارف علم وإيمان وبيتشال الشيخ الغزالى ، وبيتحنط فى وزارة الأوقاف ، لقا مالووش شغله ، طلع ساب البلد ؛ وبالطريقة دى كل علماء مصر المخلفين ما يبقاش فى مصر إلا العلماء إللى بينافقوا السلطة وبينافقوا سيادتكم وبينافقوا بقية الحكام ..

فرد الرئيس السادات قائلا : لأ .. قف ... أنا لا أسمح أبدا ... مفيش حد بينافقنى ولا أقبل النفاق ، ولو كان حد بينافقنى أو بأقبل النفاق كان حاكم الهاردة

كبيل غير كده خالص ، وما كنتوش جيتهم النهاردة قدامى ، وما كانش سمح لكم إنكم تيجوا هنا قدامى أوتناقشوني أو تقولوا آراءكم ... إنما للبلد أمن وإجراءات . إلى عيز يعمل زعامات إما عن طريق استغلال الدين أو المذاهب المختلفة إلى إحنا كلنا بنشتكى إنها مستوردة - واستغلال الدين لاتسمح به الدولة وأقف مكانك - مكانك .

قال الطالب الإخواني : يافندم هل حقق معاه ؟

- اقف مكانك

فرد قائلا : أنا واقف يافندم ..

قال الرئيس : لأنه لا فصل من عمله ولا اعتقال ولا سجن ولا جرد - تعلموا الأدب في مخاطبة الناس .

فرد أبو الفتوح قائلا : يافندم إحنا بنلمس ذلك وحضرتك بتقول نكلم بصراحة . رد الرئيس قائلا : دى مش صراحة ..

رد قائلا : هل حقق معاه يافندم ؟

رد الرئيس قائلا : دا مش شغلك .. مش شغلك ... تقدر تكتب هذا وتبعث بشكوى تحقّق ، إنما دا مش شغلك ... لما واحد يحاول يفرض زعامة عن طريق الدين أو استغلالا للدين واستجداء لعواطف الناس المشبعة بالإيمان والدين ... هذا الرجل لا يجب أن يكون له تأثير في فتنة . تحدث فتنة طائفية داخل البلد ..

متجيش قدامى وتقول لى بيتفقوك بينافقونى .. محدش فى هذا البلد بينافقنى ولا بأبئل نفاق .. الزموا حدود الأدب.. الدين والإسلام يعلم الأدب ..

فرد قائلا : يافندم فيه فرق إن واحد بينافقك سيادتك وإنك تقبل النفاق ..

قال الرئيس السادات : أنا مش مستعد أقبل كلام لأن دا خرج عن حدود الأدب . الزم مكانك .. الزم مكانك وحدودك .. ومن اليوم يا ولادى أنا جايبكم علشان أقول لكم هذا الاحترام للقيم وللمعانى.. الدين ما قالش إنه يقف ويقول هذا

الكلام أمام رئيس البلد .. إلى سمح له بجى علشان يقول رأيهِ بصراحة .. دا مش من الدين إطلاقا .. يتكلم عن فرد لا حوكم ولا اعتقل ولا شرد ولا جرى له شىء إنما يستغل الدين لمحاولة إيجاد فتنة وزعامة « أهـ

وكانت مفاجأة . أن يتكلم المذكور أمام الرئيس بهذه الكيفية ، ويتهم الناس بالنفاق ، مخالفًا حدود الأدب الشرعى فى لغة الخطاب .. وبدأت المعركة ولم يستفد الإخوان من هذا الموقف .. وتلك هى عادتهم فى استجداء المصائب وتضییع المكاسب .

لقد أظهر هذا الحور عدة أخطاء وقع فيها الطالب الإخواني ، ينبغى الوقوف عليها ، منها :

١- لقد بدا واضحا حقيقة التضارب بين مقدمة الطالب التى فسر فيها عدم اشتراكه فى المظاهرة بأنه لايعنى تبرأه منها أو من الطلاب الذين خرجوا فيها .. ثم بعد ذلك أقر الرئيس على حكمه على أصحاب المظاهرة أنهم شرذمة ، وأنهم أصحاب وقاحة ، وأنهم شيوعيون .. ولا يزال هذا المذكور قائما فى التردد والتقلب .. فهو من أكبر رفاق الشيوعيين والليبراليين ، ولا يزال يتقرب إليهم بالطعن فى علماء الإسلام ..

٢- رأى خروج الغزالي من مصر لن يبقّى فيها إلا المناقنين للمجتمع وللرئيس، وزعم أن كلامه واضح . وهذا بلا شك سوء أدب وعدم إنصاف .

٣- عندما قال له الرئيس : قف مكانك .. رد عليه قائلا : " ما أنا واقف يا فندم " .. ولم يفهم أنه أراد بذلك الالتزام بقدره . ففهم الكلام فهما سطحيا ..

أما أصل الموضوع الذى فتح باب الحوار بسببه وهو الشيخ الغزالي وما ذكره الرئيس السادات من سبب توقيفه أنه من مثيىرى الفتن .. فهذه هى الحقيقة التى شهد بها الشيخ الغزالي على نفسه ، قائلا : « والجهود التى بذلناها لتجرى الجماهير على أخذ حقوقها ، وتحقير جلاديهـا ، نجحت فى إغيار الصدور على الباغين وتكثير السواد المتآبٍ ضدهم » (الإسلام المفتري عليه.ص/ ١٤) .

فهل هذا أسلوب خطاب ؟

هذا هو محور عمل الإخوان فى المجتمعات الإسلامية .. المواجهة بكل حق، ونهيج الواقع وإثارة الفتنة ، حتى قتل الرئيس السادات . وصارت دعوتهم كأمس الذاهب .. ثم صفقوا للقتلة وهناؤهم ، وهم بين الناس يترحمون عليه ، ولكن حقيقة الأمر فى كتبهم خلاف ذلك ، فقد بارك الصباح قتل الرئيس السادات فى كتابه (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٢٩) ، الذى قدمه مصطفى مشهور سنة ١٩٨٩م ، وفيه قال : « فسلط عليه شبابا من شباب مصر وأظلم بظلمة قباغته فى وضوح النهار وفى أوج زينتته وعزه يستعرض قواته المسلحة ولا يرى فيهم إلا عبيدا له يتحنون وبقوته وعظمته يشهدون وإذا بهم سادة يقذونونه بالنار ويدفعون عن أنفسهم وصمة الذل والعار والشتار...» أهـ .

وهذا كله افتراء باطل لا أساس له من الصحة .. فلم يكن الرئيس السادات (رحمه الله) يرى نفسه إلها بعيد من دون الله كما ادعى الصباح .. وإنما هى حقيقة الإخوان إذا خالفهم أحد رموه بالعظائم وشنعوا عليه بالأكاذيب . فالرئيس السادات حين قال له عمر التلمسانى: "أنا أشكوك إلى الله " رد عليه موضوع الشكوى، ثم قال له : « إذن لا حق لك فى شكوتى إلى الله، لأنه أنا أخافه أخافه فعلا... » وقال : « لا . اسحب شكوك أمام الله...» أهـ

لقاء الرئيس السادات بالأستاذ التلمسانى ..

فى هذا للقاء لعب الشيخ التلمسانى " مرشد الإخوان الثالث " دور المهزوم المغلوب على أمره ، وسعى إلى كسب تعاطف الناس من حوله على حساب الحقائق، إلى درجة أنه لعب بمرض متوقع ، زعم أنه قد يكون سببا فى وفاته ، بسبب الاتهامات التى وجهت إليه ، وعدم قدرته على تحمل آثارها ، إلى الدرجة التى دفعته إلى أن يشتكى الرئيس إلى الله تعالى ..

وفى نص الحوار .. قال الرئيس السادات : « كان لعمر التلمسانى عهد ولى أيضا عليه عهد ، جماعة الإخوان المسلمين بواسطة محاميه لرئيس الوزراء السابق ممدوح سالم إنذارا أو إعلانا بأنه قرار حل الجمعية بواسطة مجلس قيادة الثورة أنها لا تعترف به وأنه غير قائم ، أنا لم أعلم بهذا أبدا إلا بعد أن استقال ممدوح .. ولو علمت لقلت آسف لا .. القرار قائم وحقيقى . أقولها أمامكم جميعا .. وأصدرت الجمعية الصحيفة التى تصدرها الآن ويكتب افتتاحيتها الأستاذ عمر على أساس أن الجمعية مسجلة فى الشئون الاجتماعية .. نعم مسجلة ، ولكن قرار إلغائها قائم .. ومع ذلك لا أظن أنى أرسلت إليكم ووضعتكم فى المعتقل من أجل هذا.. يزيد الأمر مرارة فى نفسى يوم أن يكتب لشباننا الذى يتحدث لكم عن تكوينه ليقابل هذا التحدى من حولنا ... يخرج عمر وفى صدر المجلة بخطاب وصله أن الحكومة الأمريكية أو المخابرات الأمريكية أرسلته لممدوح سالم رئيس الوزارة بنقله فيه : " خذوا بالكم الجماعات الإسلامية ، لأن دول خطر جدا واضربوهم واخلصوا منهم .. هل هذا يصح ؟ هذا الأسلوب كان لابد أن ينتهى يا عمر فى الماضى .. ليس أبدا على الإنسان .. وأريد أيضا ألا يكون سبيل جبهة الإخوان المسلمين هو السبيل الماضى الذى حدث قبل ٢٣ يوليو ... أنت تعلم والجميع يعلمون والشيخ عبد الرحمن يعلم ... أن يدى كانت فى يد الشيخ البنا الله يرحمه . التنظيم السرى أسمى وبأشخصه وبما كان فيه من أسلحه .

ماذا فعلت أنا برغم كل هذا .. لم يتعرض لكم أحد ، ولم أقتل الجريدة ، وإنما أرسلت لوزير الداخلية لكي يقول لك عيب ..

وقال لك فعلا .. أيضا ياعمر ...

في معركة نقيب من نقيب النقابات المهنية تصادف شيء غريب جدا بأنه الإخوان .. الشيوعيين .. الوفديين القدامى .. الانتهازيين ...

شوفوا المفارقات العجيبة ، جميعا يتكلموا وراء مرشح معين لأنه يشتم في الدولة .. وبعت لعمرك وقلت له ياعمر عيب .. عايز يدافع وله الحق ... لأنه أنا يمكن ركزت عليه شوية ... لكن هو كان طالب وأنا رفضت .. إلى أن قابلته النهارده لكي تنكلم أمام الشعب ، لأن هذا هو أسلوبي ...

فرد الشيخ التلمساني قائلا : « زعماء الحزب الشيوعي الموجودين في مصر أكثر من مرة يدعونني لحضور ندوات عندهم فكنت أرفض في كل مرة لأنني أعلم ما بين الإسلام وما بين الشيوعية من عداوة وأن الاثنين لا يمكن أن يجتمعا في ركب واحد أو أن يسيرا في طريق واحد .. أعلم تماما أنهم أرسلوا إلى لأحضر ندوات لا لأنهم يتعاونون أو يريدون أن يشاركوا في اتجاه ، إنما يريدون أن يرسموا عمر التلمساني جالسا مع زعماء الشيوعيين ويصدر هذا للشعب ، ويقال أن الإخوان والشيوعيين نظاف .. ولن يكون الإخوان والشيوعيون في يوم من الأيام مع بعضهم .. (١) أرسل إلى من الأحزاب التي تحدثت سيادتك عنها للزيارة ...

قلت : إن كانت الزيارة للسلام وللحجة والسؤال عن الأمور العادية أهلا وسهلا .. وإذا كانت الزيارة للكلام في سياسة .. في جهات .. الإخوان المسلمون لن يسيروا في جهة مع أحد أبدا ، لأن طريقهم إسلامي ومحدد ومعروف ..

سيادة الرئيس أرسلت إلى السفارة الإنجليزية بخطاب تخطرنني أن أحد كبار رجال وزارة الخارجية الإنجليزية سيزور مصر وسيزورني في يوم ١٢ / ٦ الساعة ١٢ .. أرسلت الخطاب إلى وزير الداخلية .. وأرسلت الرد وقلت لهم :

" لن أسمح بزيارة إلا إذا استأذنت ثم إن كانت الزيارة لمعالم صحفية أهلا

وسهلا .. إن كانت لسياسة فانا لن ألتحد مع أجنبي في أمر سياسي بيني وبين دولتي .. (١)

سألني أكثر من صحافي أجنبي عن علاقتي بالدولة ..

قلت : هذه أمور تخص المصريين فقط ولا تخص غير المصريين ولا يجوز لمصري أن يتحدث في هذا .. أنا لا أتاثر على الدولة .. سيادتك اهتمتني وأنت رئيس الدولة .. لو أن غيرك اهتمتني كنت أرفع الأمر إليه ، إنما اليوم إلى من أرفع .. أرفع أمري إلى الله .. أنا برىء من كل ما قلت ، أنا ظاهر من كل ما قلت ، أنا نظيف أنا مسلم أنا مخلص غاية الإخلاص ويسمعني الكثيرون (١)

أنني دعوت الله أن يديم حكم السادات إلى أطول عهد ممكن لأننا نستمتع فيه بحريتنا (١) فإن كان هذا هو جزائي عند أنور السادات . الحمد لله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

قال الرئيس السادات : أخشى إنك عايز تطلعني إني استغلتي موقعي ووجهت لك هذا الكلام يا عمر .. لا ! أنت استعناك وزير الداخلية .. كم مرة يا عمر ؟ فقال : في أي شيء ؟ فرد عليه : فيما يخص الانتخابات ما قال لك شيء ؟

فأجاب قائلا : تعلم سيادتك إن في فترة الانتخابات وأبلغ هذا أحد الإخوان أحد كبار الوزراء كنت في السمودية كنت بأحج . ثم قال : وقمعت وسألت أخدمهم . قال لي :

هؤلاء كتبوا أسماءنا بغير إذن ، وهؤلاء كتبوا أسماءنا بغير إذن ، وهذه شئون انتخابية ، ولا دخل لنا مع هؤلاء ولا مع أولئك ، وإذا قال إنسان أنني أمرت أو كلمت أن فلان يؤيد فلان فانا أستحق ما يمكن ..

قال الرئيس السادات : يا عمر علشان نجلو الأمر ، وحتى لا أكون أنا متجنبا : أخبرك وزير الداخلية بهذا ..

أخبرك وزير الداخلية أيضا في شأن المقال .. إذن أنا لم أذكر وقائع تحجيت فيها

عليك ، لم تحدث ، ولم اتخذ إجراء ، ولن اتخذ إجراء ، وإلا كان ما كانت السبيل هو الكلام إلى إحتنا بقوله النهاردة.. إذن لا حق لك فى شكوتى إلى الله ، لأنه أنا أخافه أخافه فعلا .. أنا حكيت ما حدث فعلا أنا أحكيه ، وأقول يا عمر لو أنا هناك نية مسبقة أو رأيا كونته ما تركت مجلكت تسير على أساس غير قانوني ، ولا جمعية الإخوان تقوم على أساس غير قانوني . وهى قائمة إلى اليوم على أساس غير قانوني . لو أننى كونت لاتخذت الإجراءات ولدى . والقانون معى . لا . اسحب شكوك أمام الله..

قال عمر : المدعى الاشتراكى أرسل إلى وحقق معى ومضى على هذا التحقيق مايو يونية أغسطس . ثلاثة أشهر ... ولا أدري ماذا تم . ولو كنت اعتقد أن هناك خطأ أو إساءة ما كان المدعى الاشتراكى يتأخر فى إقامة الدعوة أو اتخاذ الإجراء الذى يتخذه القانون لم يحدث هذا. أنت الآن يا سيادة الرئيس عوفا ستجعلنى ألزم فراشى أشهراً (!) ، لأن هذا الذى وجه إلى أذانى نفسيا وأذانى معنويا ، وأسأل الله أن يطفى بي فى هذه السن ، وألا ألزم الفراش ، وأن أغادر الدنيا فوراً خير لى من أن ألزم الفراش مريضاً ، وأنا إذا شكوت إلى الله فإنما أشكو إلى عادل . إن كنت أنا قد تجنيت فيعلم الله أنا لا أشكو إلى ظالم ، أنا أشكو إلى عادل ، بيده الحكم .. بدلا من أنا أ سحب الشكوى بتاعى .. سيادتك اتخذ طريق تعالج به التعب الذى نالتى ..

قال الرئيس السادات : أنا كان همى كله إنى أنا أضع أمامكم صورة برغم العملية مع عمر هو هدفى منها ماكان إنى عاوز أسوء إلى عمر ولا إلى جماعة الإخوان ، وهم يعلمون إنى فى يوم من الأيام كان يدى فى يد الشيخ البنا ، ونحن نكافح ضد عدو مشترك هو الملك والإنجليز والأحراب ...

أفترح إن فضيلة الإمام الأكبر مع إخواننا منكم ننتهز هذه الفرصة لشكل مجلس إسلامي أعلى يبقى جميع الجمعيات الإسلامية ممثلة فيه ، جميع النشاط الإسلامى ممثل فيه ، ويكون مجلس عائلة لما يجد أى شئ تقعد وتتناش ، ونضع كل شئ بكل الصراحة والأخوة والود ، وكل ما علمه لنا الإسلام من سماحة وصدق

ويقين ، أدعو الله لكم جميعا بالتوفيق ... أهـ

هذا هو الحور الذى دار مع التلمساني .. انظر إلى الاتهامات التى وجهت إليه ، وانظر إلى الإجابات التى أجاب بها ، وقارن لتعلم حقيقة الشخصية الإخوانية فى الهروب وعدم القدرة على مواجهة الحقائق أو الاعتراف بها .! وقد دار حوار الرئيس مع الأستاذ عمر على ثلاثة محاور ..

المحور الأول : التحذير من استخدام الإشاعات سبيلا للوصول أو لنشر الدعوة أو لتجريح الهيئات والأشخاص .. فلم يرد ..! وهو يعلم أن فى حركة الإخوان أجهزة سرية ، خاصة بنشر الإشاعات ، أنشأها حسن البنا فى التنظيم الخاص ، ولا زالت باقية إلى الآن ، وقد أكد على ذلك أحمد رائف قاتلا : « وكان لا بد من عمل إعلامى مضاد لإعلام الحكومة ، وبدأت الشائعات تخرج من الصفوف الإخوانية ، بعضها عن غير قصد ، والآخر وفق خطة مرسومة » (صفحات من تاريخ الإخوان، ص/ ٢٤٥) وقال محمود عبد الحليم : « كنا نطبع منشورات بكلام غير ذى هدف معين ، غير أنه كلام يلفت النظر يثير الاستغراب ، وكان إخوان النظام يوزعونها على المنازل والمكاتب والمتاجر والمدارس والملاهي . الخ » (أحداث صنعت التاريخ / ١ / ٢٩٠).

فلم يخالف الرئيس السادات الحقيقة حين بين أن الإخوان يعتمدون الإشاعات سبيلا من سبل الانتشار ومواجهة الخصوم - والتلمساني لم يرد .

المحور الثانى : العتاب على وضع الأيدى مع الانتهازيين والشيوعيين والوفديين القدامى .. وقد أكد التلمساني أنه فعلا دعى من قبل تلك الطوائف ..

أما اتفاق الإخوان معهم فى مواجهة الدولة فهذا ما لا يحتاج إلى دليل لإثباته .

فإذا كان التلمساني لم يتفق معهم فلا مانع لدى الإخوان أن يتفق غيره باعتبار تنوع الأدوار .. هذا موجود فى دعوة الإخوان .. ومعلوم أمر المرشد السري فى دعوة الإخوان فى فترة السبعينيات .. ولا شك أن إنكار التلمساني هذا الأمر من الناحية الفكرية يعتبر حجة على منظرى الإخوان الآن ، الذين يتحالفون مع جميع

الاطياف السياسية العلمانية والشيعوية للوصول إلى أغراضهم. وقد بين التلمساني أن هذه الإسلامي المعروف يتناقض مع ذلك .

المحور الثالث : العتاب على نشر خطاب في مجلة الدعوة الإخوانية زعم التلمساني أنه وجه إلى رئيس الوزراء من قبل جهاز المخابرات الأمريكية تحذر فيه الحكومة من خطر الجماعات الإسلامية... ولم ينكر التلمساني ذلك . فقد نشرت المجلة الخطاب حقا . ففي أى شيء خالف الرئيس السادات الحقيقة ؟ ولعل التلمساني وهو يعرض هذا الخطاب تناسى دور الرئيس السادات في فتح الأبواب له ولجماعته على هيئة لم تكن من قبل - كما شهد في نفس اللقاء بأنه نال حرته التي تمنى على أثرها أن يطول حكم السادات - فكيف تنتظر الدولة خطابا أو تتأثر به وهي التي أقامت الدعوة وأعدتها برضاها .. ؟

ولكن التلمساني حاد عن عرض الرئيس السادات ، وذكر قضية أخرى لم تكن محورا للنقاش ، إذ بين رفضه اللقاء مع ممثل للسفارة الإنجليزية في القاهرة للحديث معه إلا بعد الاستئذان من وزير الداخلية .. ثم قال أن لا تأمر على الدولة ... والرئيس لم يكلمه في تأمر ، ولم يكلمه في لقاء مع السفارة الإنجليزية .. مع العلم أن الالتقاء مع السفارات الأجنبية أمر ثابت في دعوة الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن .. ثم قام التلمساني يركى نفسه على غير هدى السلف ، قائلا : " أنا مخلص في غاية الإخلاص " ثم رمى الكرة في ملعب الرئيس ، كما يقولون في المفهوم السياسي ، ليحمله جنابة اللقاء معه ..

ليقوم الرئيس بالدفاع عن نفسه أمام الناس ، ويكون هو البريء ، وما قاله الرئيس هو الباطل .. ثم مثل دور الممارض ، ليستعطف الرئيس نحوه ونحو جماعته .. وإمعانا في الاستعطف شكى الرئيس إلى الله تعالى في غير جنابة منه ، وهو ممثل لجماعة متممة في دعوتها وفكرها وتاريخها .. وليس ذلك من العدل والإنصاف .. أن يمثل الجاني دور المجنى عليه .. لكي يحقق لجماعته أكثر المكاسب . تلك هي طريقة الإخوان في التحاور .. لا يبرزون الحقائق ، كما ينبغي لها أن تكون .. إنما يدورون حول القضايا ، دون الدخول فيها والتثبت منها .. ومن الغبن حقا أن يكون المقابل

الذي عرضه الرئيس السادات .. من سعة صدره في تناول القضايا ، وأدبه وحرصه على إظهار خوفه من الله تعالى ، وإفساحه لتلك الجماعة كي تعمل في مجال الدعوة بحسن نية ، بجوار حرصه على اجتماع المهتمين بشأن الدعوة لتناول القضايا الإسلامية ، بعيدا عن النزاعات والإشاعات .. هو إشعال المجتمع ضده من قبل تلك الجماعة وعدم الاستفادة من تلك الروح ، التي كان يتمتع بها في العمل لصالح الإسلام ولصالح المجتمع ، بعيدا عن روح الانتقام التي عاملوه بها ، بسبب أنه كان عضواً في المحكمة التي حكمت على تنظيم ١٩٥٤ م ..

ماذا كان يقصد الرئيس السادات بكلمة : " لا دين في السياسة " ؟

أيضا من جملة ما وقف عليه الإخوان في تهيج الواقع واستثارة المجتمع ما قاله الرئيس السادات في أحد خطبه : « لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين » .

وعلى طريقتهم في فصل الأمور وعدم تفسيرها بحقيقة الوقت الذي قيلت فيه والتفسير الذي ارتبطت به أنهم قالوا إن الرئيس السادات أراد من قوله هذا :

فصل الدين عن السياسة .. وقد ظن كثير من الناس ذلك ..

ولم يكن الرئيس السادات يقصد ذلك .. خاصة أنه وضع بندا في الدستور ، جعل فيه الشريعة الإسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع ..

وكان يقول دائما : « الإسلام دين ودولة » كما يقول كل مسلم . وعندما تناول عليه بعض أقباط نصارى المهجر العلمانيين ، قال لهم : « أنا رئيس مسلم لدولة مسلمة » أهـ .

وعندما كثر لفظ الإخوان حول مقصد الرئيس من تلك الكلمة قام بتوضيح حقيقة قوله هذا في خطابه للأمة بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٨١ م قائلا :

« الإخوان المسلمين عاملين أنفسهم الناس إلى واقفين بعيد وتوحي الدين ويس ساعدا ما نقول " لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة " .. يقولوا : أبدا .. الدين

سياسة والإسلام دين ودولة .. آه . دين ودولة صح ، لكن أن تفرض وصاية على مصر باسم الدين على طريقة الخميني كما يكتبون الآن ... لا .. إنه يقتل في مصر ٩٠٠ (قتل) زى الخميني ما عمل في شهر عشان الثورة الإسلامية .. لا دى ثورة إسلامية ، ولا ده إسلام « أهـ

فقد كان مقصد الرئيس واضحا : وهو عدم استغلال الدين للوصول إلى مآرب سياسية .. لا على طريقة الخميني ولا على طريقة الإخوان . والإخوان كانوا من أعظم خلفاء الخميني ضد العالم الإسلامي كله ، وكانوا يؤيدون ثورته ، التي أشاعوا في العالم أنها ثورة إسلامية ، وأن حكومة الخميني هي الحكومة الإسلامية الوحيدة في العالم كله .

غير أنه ينبغي أن نبين بعيدا عن الروابط السابقة أن تلك التقسيمات :

(حقيقة وشريعة ، وعقل ونقل ، وظاهر وباطن ، ودين وسياسة) تقسيمات غير جائزة في الإسلام .. لأن أفعال الإنسان باختلاف صورها فيها الحق وفيها الباطل، وفيها الخطأ وفيها الصواب ، وفيها الخير وفيها الشر . لا بد أن يخضع ذلك كله لحكم الله تعالى وشرعه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

طرق التعامل مع الحكام

لم تكن الشريعة الإسلامية مرجعية للإخوان فيما يسلكون عند التخاطب مع الملوك والرؤساء ، إنما تكن مرجعيتهم في سيرة شيخهم التي تعلمها من جمال الدين الأفغاني ، فقد كان يخاطب الحكام والملوك مخاطبة جهرية ، من خلال الصحف ؛ حتى يأخذوا برأيه ، وإلا فلن تهدأ البلاد ولن تستقر .

وهكذا عامة المرشدين . حتى محمد عاكف نوه عن ذلك - بأثر ضعيف وفهم مغلوط - قائلا : « وعمر بن الخطاب يقبل جدال الإعرابي له في طول ثوبه الذي زاد عن باقي ما حصل عليه المسلمين من الفتيء ، ويوضح له سبب الزيادة ، من دون أن يتعرض للأعرابي بأذى أو يحاسبه حتى على غلظة أسلوبه !! ومن قبل ذلك محمد ﷺ وقف يتقبل بسعة صدر اتهام أعرابي له بعدم العدل في توزيع الغنائم » (نافذة مصر ٢٦ / ٧ / ٢٠٠٧ م) ..

وليس تلك الأمثلة التي ذكرها أصولا يقتنى آثارها في التعامل مع الحكام في الإسلام ، فليس من آداب وأخلاق الأخيار في التعامل مع الحكام .. ولم يكن أبو خويصرة التميمي الخارجي الذي طعن في عدل النبي ﷺ مثلا للأخيار من أمة محمد ﷺ ... غير أنه يصح أن يكون مثلا للإخوان فهذا هو دربهم ..

فليس مع الإخوان شيء من الإسلام في التطاول على الحكام ، ولا شيء معهم في مناصحتهم جهرا - لو استطاعوا - غير أنهم يلتفتون حول بعض القوانين الوضعية والمفاهيم المتقبسة من الديمقراطية الغربية والأمريكية ، لتكون نبزاسا لهم يهتدون به .. أما حقيقة التعامل مع الرؤساء في الإسلام فهي قائمة في الحقوق على الصبر ، وفي الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة ويجب على الرعية مع الراعي أربعة أمور:

١- الطاعة في المعروف لما أمر به النبي ﷺ بقوله لحذيفة بن اليمان : « تسمع وتطيع للأمر ، وإن ضُربَ ظهرك ، وأخذ مالك ، فاسمع وأطع » (متفق عليه.رواه

مسلم. ١٨٤٧).

٢- المناصرة والتأييد .. فإذا جاء أحد ينازعه في سلطانه فقد وجبت نصرته في ذلك وعدم إسلامه لعدوه لقوله ﷺ : « من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعمه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » (رواه مسلم وغيره ١٤٧٢/٣ من عبد الله بن عمرو).

٣- عدم الإهانة والاحتقار .. فلا يجوز إهانته ولا التطاول عليه ولا تنع عوراته .. فإن في ذلك إهانة لسلطان الله تعالى وتهديدا للمجتمع ..

روى الترمذي عن زياد بن كسب العدوي قال : كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رفاق فقال أبو بلال : انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق . فقال أبو بكرة : اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة » (الترمذي / ص / الألباني في المشكاة ٣٦٩٥)

٤- النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة .. فقد أمر الله تعالى أمر نبيه موسى عليه السلام أن يكون لنا في دعوته لفرعون مصر مع جبروته وطفئانه ، قال تعالى : ﴿ قُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّنَا لَعَلَّ مَلَأَ يَذْكُرَ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه ٤٤] كيف تكون النصيحة بين رجل من عامة المسلمين وبين حكام المسلمين ؟

فلا يخفى أن أخطر أنواع الأمر والنهي ما كان متعلقا بأصحاب المسؤولية ، لما لهم من مكانة مؤثرة في نظام المجتمع .. وأهل السنة لا يمانعون نصيح الحكام ، كما يزعم الإخوان وغيرهم ، بل إنهم حضوا على ذلك ، لقول النبي ﷺ : « الدين النصيحة . ثلاثا . قلنا : لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم. كتاب الإيمان . ٥٥).

قال الإمام البرهاري (رحمه الله) : « ولا يحل أن تكتم النصيحة أحدا من المسلمين برهم وفاجرهم في أمر الدين ، فمن كتم فقد غش المسلمين ، ومن غش

المسلمين فقد غش الدين ، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » (شرح السنة . ص / ٤٣) .

والنصيحة لأئمة المسلمين كما قال القرطبي (رحمه الله) في تفسير الآية . ٩١ من سورة التوبة : « ترك الخروج عليهم ، إرشادهم إلى الحق وتبئهم فيما أغفلوه من أمور المسلمين ، ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم » أهـ

وقد حدد الشرع لتلك النصيحة قواعد محكمة .. تتعلق بالمصلحة العائدة على الأمة .. وليس من المصلحة الشرعية باتفاق الأئمة التشجيع على الحكام على المنابر وفي الصحف ، إنما المصلحة في الرق والسرية .. غير أن الإخوان لا يعبأون بها ، ويزعمون مع ذلك أن الجهر بالإنكار على الحكام في المجالس والهيئات والصحف والمنابر أمر مباح في الشريعة ، ولا يعد خروجا عليها . وهذا غير صحيح .

فالفلسف الصالح أهل الحديث (رضى الله عنهم) لم يعرفوا ما انتحله الإخوان من الإثارة ولم يعملوا بها ، إنما كانوا يكتفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المنابر ، دون الإشارة إلى الولاة والسلاطين ، حفاظا لقوتهم ولسلطانهم وللمجتمعاتهم ، وذلك لأن نصيح الحاكم يختلف عن نصيح غيره ، لما تعلق في عنق قومه من البيعة له ، وقد تؤدي النصيحة الجهرية إلى تمزيق المجتمع .. وقد حث النبي ﷺ أصحابه على اتخاذ السرية سبيلا إلى مناصحة الحكام ، وذلك فيما رواه أحمد عن شريح بن جبيد الحضرمي وغيره وصححه الألباني في " ظلال الجنة " ، قال :

« جلد عياض بن غنم صاحب دار حزن فتحت ، فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب عياض ، ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه ..

ثم قال هشام لمياض ألم تسمع النبي ﷺ يقول : « إن من أشد الناس عذابا أندهم عذابا في الدنيا للناس » قال عياض بن غنم : يا هشام بن حكيم قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت أولم تسمع رسول الله ﷺ يقول : « من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به ، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له » وإناك يا هشام لانت الجريء إذ تجترئ على سلطان الله

فهل خشيت أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله تبارك وتعالى». أهد ..

فقد كان السلف يعلمون أن التشنيع على الولاة قسم من أقسام الخروج ، ولذلك كانوا يحذرون من افتتاح هذا الأمر في الأمة ، والشاهد على ذلك أنه لما وقعت الفتنة في زمن عثمان (رضي الله عنه) ، قيل لأسامة : « ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أنني لا أكلمه إلا أسممكم ؟ والله ! لقد كلمته فيما بيني وبينه . ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه » (متفق عليه ، مسلم كتاب الزهد والرقائق . ٢٩٨٩)

ومثله ما أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٨٢) عن سعيد بن جهمان قال : لقيت عبد الله بن أبي أوفى ، وهو محجوب البصر فسلمت عليه قال لي : من أنت ؟ فقلت : أنا سعيد بن جهمان . قال : فما فعل والدك . قال قلت : قتلته الأزارقة .

قال : لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة حدثنا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار . قال قلت : الأزارقة وهدم أم الخوارج كلها ؟ قال : بلى الخوارج كلها . قال قلت : فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم .

قال : فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة ، ثم قال :

ويحك يا ابن جهمان عليك بالسواد الأعظم عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان يسمع منك فاته في بيته فأخبره بما تعلم فإن بك منق وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه » (أخرجه الحاكم ٣ / ٦٦٠) ، والطبراني (٨٢٢) ، وابن عدي في الكامل ٢ / ٤٤١ ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٠٥) ، (قال الألباني في تخريج كتاب السنة ٢ / ٤٣٨ : إسناده حسن) .

فطرق الاتصال بولي الأمر ليست مسدودة علم الإطلاق ، حتى يضطر إلى الجهر بالنصيحة على الملأ ، خوفا من ضياع أصل الحق ، ولكن الأمر يحتاج إلى الصبر والأناة ، والنصيحة لها أهلها ، ولها وسائلها من الوزراء والعلماء والمستوليين ..

قال الإمام عبد العزيز بن باز في « العلاقة بين الحاكم والمحكوم » : « ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر ، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير » أهد

٢- معاهدة السلام...

لم يعرف في تاريخ الإسلام واقع يجتمع بين التقيضين ، إنما يعرف الثبات ووحدة الهدف .. ولقد مرت أمتنا بزمان لم يتحقق فيه انجاء ثابت في قضايا الحرب والسلام، وهو واقع الاحارب والاسلم .. ذلك الواقع الذي لا يعرفه الفقهاء ولا العلماء ؛ ولهذا الواقع أضرار كثيرة على المجتمعات الإسلامية .. والاتجاه الصحيح الذي يحدد ما يجب على الأمة في مواجهة التوازن يدور بين أمرين :

الأول : إما الحرب التي تقطع القضايا وتفصل الأمور.

الثاني : وإما السلم الذي يتعايش فيه المسلمون مع أعدائهم بهدنة معلومة إلى أجل ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ..

وإذا كان الرئيس السادات قد نادى بالصلح مع اليهود فليس هذا أمرا مبتدعا في الدين ، بل هو أمر ثابت في الدين والشرعية ، وثابت في سنة النبي ﷺ فقد تصالح النبي ﷺ مع كفار قريش في الحديبية إلى زمن معلوم بشروط معلومة ، لم ير فيها كثير من الصحابة إحصافا لهم ولدينهم ، ومع ذلك قبلها النبي ﷺ وهو المنصور المؤيد .. ولم يتطرق النبي ﷺ في بنود الصلح إلى الأرض التي طرد منها ، ولا إلى الممتلكات التي حرم منها، وإنما كان هدف الصلح هو وضع السلاح فقط ، وتأمين الناس على دينهم ، ومن ثم يتيسر للمخالفين المهلة التي تتيح لهم الاطلاع على حقيقة الدين الثابت ، فيكون ذلك عوناً لهم في الإقبال عليه ، دون توجس خوف ولا تدخل شبهة .. والله تعالى ناصر دينه ورافع أوليائه ، ولن يحول حائل دون ذلك ، فعن نعيم الداري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليلعلن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وأهله وذلاً يذل الله به الكفر» (قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٨٠٧: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.) (صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣ / ١).

والاتفاق على عهد صلح بين المسلمين وبين خصومهم أمر ثابت في فهم السلف (رضى الله عنهم) بالإجماع ، أنه يجوز للمسلمين إذا عجزوا عن منازعة عدوهم مصلحته إلى أجل معلوم ، غير دائم ، بعهد مشروط أو غير مشروط ، من الممكن أن يتجدد حسب المصلحة التي يراها الإمام. قال الإمام القرطبي (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» [الأنفال: ٦١] : « دل على جواز صلح المشركين ومهادنتهم دون مال يؤخذ منهم، إذا رأى ذلك الإمام وجها. ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بما لا يذلونه للعدو، لموادعة النبي (عينة بن حصن الفزاري ، والحارث بن عوف المري يوم الأحزاب ، على أن يعطيها ثلث ثمر اللدين، وينصرفا بمن معهم من غطفان ويخذلا قريشا، ويرجعوا بقومهما عنهم» أهـ ..

وهذا هو الذي اتفق عليه الأئمة المعاصرون ..

فلم تقف مشيخة الأزهر ضد معاهدة السلام ، بل إن أئمة الأزهر في زمن الشيخ الإمام جاد الحق على جاد الحق (رحمه الله) أصدروا فتاوى واضحة حددوا فيها موقفهم من معاهدة السلام ، وبينوا شرعيتها ، وحاجة المسلمين إليها في هذا الوقت .. وقد ساق الشيخ الإمام جاد الحق عددا من الأدلة والبراهين المؤكدة لمشروعية تلك المعاهدة ، وبعد أن ساقها قال :

« إذا عرضنا اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل على قواعد الإسلام التي أصلها القرآن وفصلتها السنة وبينها فقهاء المذاهب جميعا على نحو ما أجملتنا الإشارة إليه نجد أنها قد انتظوت تحت لواء أحكام الإسلام ..

فهي قد استخلصت قسماً كبيراً من الأرض التي احتلتها إسرائيل في هزيمة سنة ١٩٦٧ بما فيها وعليها من مواطنين عادت إليهم حريتهم ونروان تسفيد بها بذلاً من أن يستنزفها الخصوم فهل استرداد الأرض والثروة بما يأمر به الإسلام أو ما ينهي عنه ؟

وهل في هذا مصلحة محققة للمسلمين أو شر ما حق لا حق بهم ؟

وهل في عودة المواطنين الذين تحررت أرضهم إلى دولتهم ترمي شئونهم من تعليم وصحة ودعوة وتجارة وكل مسئوليات الدولة نحوهم ؟ وهل هذا ما أمر به الإسلام أو ما نهى عنه ؟ حين نعرض هذه الاضغاث في ضوء مسئوليات الحاكم المسلم نجد أن رئيس مصر قد نصح للأمة وقام بالمسئولية فحافظ على الرعية حفظه على نفسه ، حارب حين وجد ألا مندوحة عم الحرب بعد أن استعد وأعد وفاوض وسالم حين ظهر إلا مفر من السلم وإنه يستطيع الوصول إلى الحق والحصول عليه سلما لا حربا والإسلام يقرر أن الحرب ليست حرفة ولا غاية وإنما هي ضرورة دفاع أو وقاية وكما قال الرسول الأكرم «إن الله يحب الرفق في الأمر كله» أي أن الله سبحانه يحب لين الجانب في الفعل والقول كما يحب الأخذ بالأسهل والأسهل في أمور الدنيا ومعاشرة الناس فإذا استعصت الحرب كوسيلة لاسترداد الحق وتيسر السلم أفلا يكون هو الأول والأولي ؟ أهـ

وقال العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله): «يجوز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومؤقتة ، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك ؛ لقول الله سبحانه : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ إِلَيْهِمْ وَعَوَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ولأن النبي ﷺ فعلهما جميعا ، كما صالح أهل مكة على ترك الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، وصالح كثيرا من قبائل العرب صلحا مطلقا ، لما فتح الله عليه مكة نبيذ إليهم عهدهم ، وأجل من لا عهد له أربعة أشهر ، كما في قول الله سبحانه : ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ الآية . ويحث صلى الله عليه وسلم المتدينين بذلك عام تسع من الهجرة بعد الفتح مع الصديق لما حجج رضي الله عنه ، ولأن الحاجة والمصلحة الإسلامية قد تدعو إلى الهدنة المطلقة ثم قطعها عند زوال الحاجة ، كما فعل ذلك النبي ﷺ ، وقد بسط العلامة ابن القيم - رحمه الله - القول في ذلك في كتابه (أحكام أهل الذمة) ، واختار ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم .. والله ولي التوفيق... أهـ .

ورد على الشيخ يوسف القرضاوي في مجلة (المجتمع الكويتية) ٦ / ١٠ /

١٤١٥ هـ) ، مطلا جميع حججه التي عارض بها معاهدة السلام ، مبينا منهج السلف وأهل الحديث بالأدلة والبراهين ، قائلا : « لا مانع من الصلح معهم إذا اقتضت المصلحة ذلك ؛ ليأمن الفلسطينيون في بلادهم ، ويتمكنوا من إقامة دينهم . وقد رأى فضيلة الشيخ يوسف أن ما كتبه في ذلك مخالف للصواب ؛ لأن اليهود غاصبون فلا يجوز الصلح معهم . إلى آخر ما ذكره فضيلته . ثم قال : ونقول للشيخ يوسف وفقه الله وغيره من أهل العلم : إن قريشا قد أخذت أموال المهاجرين ودورهم ، كما قال الله سبحانه في سورة الحشر : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشا يوم الحديبية سنة ست من الهجرة ، ولم يمنع هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم ، مراعاة للمصلحة العامة التي رآها النبي ﷺ لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم ، ولن يرغب الدخول في الإسلام ..

أقول أيضا : جوابا لفضيلة الشيخ يوسف عن المثال الذي مثل به في مقاله وهو : لو أن إنسانا غصب دار إنسان وأخرجه إلى العراء ثم صاحله على بعضها . أجاب الشيخ يوسف : أن هذا الصلح لا يصح . وهذا غريب جدا ، بل هو خطأ محض ، ولا شك أن المظلوم إذا رضي ببعض حقه ، واصطلح مع الظالم في ذلك فلا حرج ؛ لعجزه عن أخذ حقه كله ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وقال سبحانه : ﴿ والصلح خير ﴾ ولا شك أن رضا المظلوم بحجرة من داره أو حجريته أو أكثر يسكن فيها هو وأهله ، خير من بقاءه في العراء .. أما قوله عز وجل : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾ فهذه الآية فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم وأقدر على أخذ حقه ، فإنه لا يجوز له الضعف ، والدعوة إلى السلم ، وهو أعلى من الظالم وأقدر على أخذ حقه ، أما إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية فلا بأس أن يدعو إلى السلم ، كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره هذه الآية . وقد دعا النبي (إلى السلم يوم الحديبية ؛ لما رأى أن ذلك هو الأفضل للمسلمين والأمنع

لهم ، وأنه أولى من القتال ، وهو عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة في كل ما يأتي ويذر ؛ لقول الله عز وجل : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ الآية . ولما نقضوا العهد وقدر على مقاتلتهم يوم الفتح غزاهم في عقر دارهم ، وفتح الله عليه البلاد ، ومكنه من رقاب أهلها حتى عفا عنهم ، وتم له الفتح والنصر ولله الحمد والمنة .

فأرجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم إعادة النظر في هذا الأمر بناء على الأدلة الشرعية ، لا على العاطفة والاستحسان ، مع الاطلاع على ما كتبه أخيراً من الأجوبة الصادرة في صحيفة (المسلمون) في ١٩ / ٨ / ١٤١٥ هـ ، الموافق ٢٠ / ١ / ١٩٩٥ م ، وقد أوضحت فيها :

« أن الواجب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية ، إن كانوا من أهلها ، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وعند المعجز عن ذلك لا حرج في الصلح على وجه ينفع المسلمين ولا يضرهم ؛ تأسيساً بالنبي ﷺ في حربه وصلحه ، وتمسكاً بالأدلة الشرعية العامة والخاصة ، ووقتاً عندها ، فهذا هو طريق النجاة وطريق السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة . والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين - قادة وشعوباً - لكل ما فيه رضاه » أهـ

تناقضات الإخوان العملية ...

عارض الإخوان اتفاقية الصلح مع اليهود معارضة شديدة ، بغير علم ولا سلف وذلك بالمقالات الشنيعة والمظاهرات الهوجاء ، وعرضوا مصر للفتن زمناً طويلاً ، واتهموا الحكام بخيانة الأمة ، وكانوا سبياً رئيساً في قتل الرئيس السادات من جهة ، وتضييع الفرصة على الفلسطينيين لأخذ جزء كبير من أرضهم من جهة أخرى . قال التلمساني : « لقد عارضه الإخوان المسلمون في أسوأ غلظة أساءت إلى تاريخه وهي معاهدة السلام ، عارضوا مبادرته إلى القدس ، ووثقتي كاسب ديفيد ومعاهدة السلام وعارضوه وحدهم دون غيرهم من الأحزاب والجماعات ، من أول خطوة خطاها في هذا الطريق الضار الخطير » (أيام مع السادات ص / ١٠٨) ..

ويرجع القصور في فهم تلك القضية إلى أن دعاة الإخوان يظنون أن إقرار الصلح مع اليهود يؤدي إلى إعطائهم حقاً ثانياً في بلاد المسلمين . وقد تفاخروا أن المعاهدات التي تتم بين الدول باختلاف توجهاتها لها زمن تنتهي فيه ، وبانتهاؤها يكون المسلمون في حل منها . فكيف إذا كان اليهود من أكثر الناس نقضا للمهود ! وهم على كل حال لن يقبلوا معاهدة أبدية مع المسلمين.. كما أن الصلح مع اليهود لا يقتضي تملكهم الأرض تملكاً أبدياً ، قال الإمام عبد العزيز بن باز : « الصلح بين ولي أمر المسلمين في فلسطين وبين اليهود لا يقتضي تملك اليهود لما تحت أيديهم تملكاً أبدياً ، وإنما يقتضي ذلك تملكهم تملكاً مؤقتاً ، حتى تنتهي الهدنة المؤقتة أو يقرى المسلمون على إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة » (المسلمون ١٩ / ٨ / ١٤١٥ هـ) ...

والذي ينظر إلى واقع الإخوان يعلم تمام العلم أنهم مضطربون في قضية فلسطين .. فقد اتهموا الرئيس السادات بسبب معاهدة السلام بالخيانة ، وهم الآن يصفون من يقوم بنفس العمل من قادة حركة حماس الفلسطينية بالأمانة .

قال محمد عاكف في (العربي ١٨ يناير ٢٠٠٤ م) رداً على سؤال - وحول ما إذا كان الإخوان المسلمون سيحاولون منع حركة المقاومة الإسلامية حماس من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل .. قال عاكف " لا علاقة لنا بالسياسة الداخلية الفلسطينية " أهـ .

وقد عرض أحد قادة حماس على إسرائيل عرضاً تاريخياً بقبول دولتين واحدة فلسطينية وأخرى إسرائيلية جنباً إلى جنب ، مع توقيع هدنة مع إسرائيل لمدة عشر سنين . وأعلن ذلك الشيخ حسن يوسف لوكالة أنباء أسوشيتدبرس ووكالة رويتر ، كما ذكرت ذلك جريدة أفاق عربية للتحدثة باسم الإخوان في مصر في عددها الصادر في (٢٦ شوال ١٤٢٥ هـ - ٦٨٦) ..

وفي (فبراير ٢٠٠٦ م) تكرر هذا العرض من قبل حماس ، حيث عرضت على إسرائيل هدنة طويلة المدى ، وذلك عقب توليها مسؤولية السلطة الفلسطينية

مباشرة بعد سقوط سلطة حركة فتح . وفي يونيو ٢٠٠٦م نشرت جريدة الجمهورية خبراً مفاده .. « أن حركة حماس مستعدة لعقد هدنة مدتها ٥٠ إلى ٦٠ عاماً مع إسرائيل إذا انسحبت إلى حدود ١٩٦٧م على أن يترك التوصل إلى اتفاق سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين إلى الأجيال القادمة بعد أن تثبت رغبة الإسرائيليين في السلام » أهـ

وفي يونيو ٢٠٠٧م ، عقب استيلاء حماس على غزة والانتقال على سلطة الرئيس الفلسطيني صرح إسماعيل هنية " رئيس الوزاء الفلسطيني المقال " في حديث الجمعة لصحيفة " لوفيغارو الفرنسية " عن تأييد مة دولة فلسطينية في غزة والضفة الغربية عاصمتها القدس ، موضحاً أن منظمة التحرير الفلسطينية ستظل مكلفة بالمفاوضات بهذا الشأن .

وقال هنية "إننا نتمهد باحترام كافة الاتفاقيات الماضية الموقعة من قبل السلطة الفلسطينية معرباً عن الأمل في التوصل " إلى هدنة متبادلة وشاملة ومتزامنة مع إسرائيل" (العربية نت . ١٥ يونيو ٢٠٠٧م) .

وفي نفس الشهر .. وبرهاناً على قدرة الحركة على التواصل مع العدو الصهيوني بكل قوة ، وإثباتاً للميل تجاه الخيار السياسي ، وتطميناً لإسرائيل بأن سيطرة الحركة الإخوانية على قطاع غزة لن يضر إسرائيل بشيء صرح الدكتور محمود الزهار " أحد قادة حركة حماس : " بأن حركة " حماس " على استعداد لتترك جميع سبل المقاومة وعدم القيام بأي عمليات عسكرية تجاه إسرائيل ، بقوله :

« إن الحركة تريد الحفاظ على الهدوء في المنطقة ولكنها لن تكون حامية للحدود الصهيونية.. وأوضح الزهار في تصريحات صحفية أن حماس : "حركة مفتوحة إزاء وقف إطلاق النار مع الكيان شرط إن يوقف الجيش الصهيوني عملياته العسكرية في القطاع والضفة الغربية ، وأضاف أن حماس قادرة على وقف الهجمات الصاروخية المتكررة من قطاع غزة » (نافذة مصر نت . ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٧م)

وقد سبق أن أقر الشيخ محمد حامد أبو النصر " مرشد الإخوان السابق "

بجواز إبرام صلح دائم مع اليهود على حدود معلومة . وقال : « ينبغي علينا أن نصر إصراراً لا تفريط فيه ولا مساومة معه على ضرورة اعتراف إسرائيل بحق تقرير المصير للفلسطينيين ؛ حتى يقيموا دولة مستقلة على ترابهم الوطني وعاصمتها القدس » (المجتمع . ٢٤ / ٣ / ١٩٨٧م)

ومع هذا كله نجد القرضاوى وجميع رفقاؤه في الجماعة يسكتون ولا ينطقون اعتراضاً على عروض حركة حماس المتكررة بالهدنة طويلة المدى مع اليهود .. كل ذلك حفاظاً على وحدة الصف الإخواني . أما صفوف علماء المسلمين وأطروحاتهم فلهم العمالة والخيانة وعدم الفهم والفقه ..

الفتن المعاصرة في مصر...

الإخوان يحاسبون كل الحكومات على تاريخها وأخطائها.. قال د/ محمد حبيب : « إن تسليط الضوء على فساد واستبداد الحزب الحاكم ... يجب أن يتم بشكل مستمر حتى لا ينسى الناس ، وحتى لا يخدع البعض في وقت ما بشعارات براقة تزعم أن هناك فكرا جديدا، وأن ثمة خطوات ما على طريق الإصلاح ! » (نافذة مصر ١٢ يونيو ٢٠٠٧م) .. ومع فساد سيلهم لا يريدون أن يحاسبهم أحد على أخطائهم .. وإذا حاسبهم شعنوا عليه بشئ الأكاذيب والتهم .. أقلها أنه يريد شهرة ، وأوسطها أن يتهم بالمرض النفسي ، وأعلاها أن يتهم بالعمالة ، فليس هناك أحد على وجه الأرض ينصحهم لوجه الله ! لا يتورعون من عالم ولا داع ولا ناصح .. والله تعالى سيحاسبهم على ذلك ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وقال ﷺ : « من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال - عصارة أهل النار - حتى يخرج مما قال وليس بخارج » (صحيح الجامع ٦١٩٦) ...

وقد ابتليت الأمة العربية والإسلامية ومصر خاصة بتكبّة الإخوان ، وقد شغلها هذا الابتلاء عن نهضتها وتقدمها زمنا طويلا ، حتى حصرت جهود الدولة في حفظ كيان المجتمع من التدهور والانفلات أكثر من أي شيء آخر من أمور الدين والحياة .. وهي فتنة مزمنة ، قائمة على النزاع الطويل على الحكم ، فالإخوان أحرص الناس على بقاء هذا الصراع ظاهرا في المجتمع ، وكل مكان فيه توتر لابد أن يضع الإخوان فيه أرجلهم . وأعظم الأوساط التي يلعب بها الإخوان لتنهيج العامة هي أوساط طلبة الجامعة ؛ يستغلون حماسهم وقلة خبرتهم بالدين والحياة ، ليظهروا بهم قوتهم في صورة ميليشيات منتمية ، كتلك التي قاموا بها في جامعة الأزهر في أواخر عام ٢٠٠٦م ، تكرارا لاستعراضات فرق الجواله ، التي كانوا يخفون وراءها أعمال التنظيم الخاص ..

وقد ارتبك الإخوان في أمر الاستعراضات الكنفوقية التي أداها طلبة الإخوان

في جامعة الأزهر ارتباكا كبيرا ، لما رأوا من آثارها العكسية في المجتمع .. فقالوا في أول الأمر على لسان محمد عاكف " لا نعرف عنها شيئا ولم نأمر بها .. ولو أردنا استعراضا عسكريا لأعدنا له إعدادا يليق به .. " وعندما تبين أنها منسوبة إليهم قالوا إنها فقرات تمثيلية .. قال الدكتور محمد حبيب : « ما قام به الطلاب كان مجرد عرض لفقرات تمثيلية داخل المدينة الجامعية » (نافذة مصر ٢٢ / ١١ / ١٤٢٧) وقال الطلاب : « إن ممارسة رياضات عنيفة كالكاراتيه والكونغ فو مباحة قانونا في جميع الأندية الرياضية » (المصري اليوم) ..

وعندما بدأوا يفكرون في شدة الصراع قالوا تلاعبا بعقول الناس إن ماحدث في جامعة الأزهر سلوك ديمقراطي .. قال عبد المنعم أبو الفتوح : « ما قام به الطلبة من الاعتصام هو سلوك ديمقراطي تعبيرا عما حدث لزملاتهم ، مطالبا الجهات المسؤولة بتقديم الشكر لهم وليس عقابهم » (المصري اليوم ١٣ / ١٢ / ٢٠٠٦م)

وعندما تعمق تفكيرهم ووجدوا أن الصورة القديمة عادت إلى الأذهان ، وأن القلق بدأ يدخل القلوب ، قاموا بترقيع أقوالهم ، وتركوا طلب الشكر والثناء ، وقالوا لقد اعتذر الطلاب واعترفوا بأخطائهم والحادث شاذ . ولا ينبغي تضخيم الموضوع .. قال الأستاذ عاكف : « أما استعراض طلبة الأزهر .. فهو حادث فريد في تاريخ ناصع استمر أكثر من ثلاثة عقود ، خصوصا إذا نظر إليه بإصناف في إطار ظروفه وملابساته ، ومع ذلك فقد استنكرناه واعتذر عنه فاعلوه » (نافذة مصر ١٦ / ١ / ٢٠٠٧م) وقال الدكتور العريان في حوارهم مع " إسلام أون لاين " المنشور في ١٨ / ١ / ٢٠٠٧م : « حادث الأزهر خطأ اعترف به الطلاب واعتذروا عنه واستنكره الإخوان وهو حادث شاذ في سياق ناصع البياض خلال الثلاث عقود الأخيرة » أهـ

فبعد أن كانت الاستعراضات تمثيلية ديمقراطية يجب أنشكر عليها صارت جريمة يجب الاعتذار عنها ، خاصة أنها خرجت من طلبة سذج ، لا يفهمون ولا يقولون ، وذلك بالنظر إلى زمن خال من الإرهاب . وجاء الدكتور حبيب نائب المرشد بما ينافي قول المرشد " أنه لا يعرف عنها شيئا " وأكد أن الاسكتش كان رسالة للنظام في تعامله مع طلبة الجامعة ، ولكنه كان ساذجا.. فرمى طلاب الإخوان في

الوحد في لحظة ، قائلا : « كان اسكتشا رياضيا يعني تم عمله بصورة ساذجة ، نظرا للأعمال الوحشية التي عومل بها الطلاب في جامعة عين شمس ، فأراد شباب جامعة الأزهر أن يعطي إحساسا وانطباعا أنهم قادرون على التعامل مع البلطجية » (الجزيرة نت . ١٥ / ٨ / ٢٠٠٧م) ..

إذن هي رسالة مقصودة ، كذلك الرسائل التي كان يرسلها التنظيم الخاص للملك فاروق في استعراضات الجواله .. تخطب واضح وفكر مهزوم .. والحقائق عن عامة الشعب غائبة ..

• حقيقة اللقاءات السرية ..

من أعظم الفتن التي تعرضت لها مصر من الإخوان في العصر الحديث هي فتنة الالتقاء بالمنظمات الغربية والأمريكية الرسمية .. لا من أجل نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى ، كما هو المعهد من الهيئات الدينية ، ولكن من أجل ترتيب الدولة الإخوانية ، وعرض وجهة نظر الإخوان في القضايا التي تشغل بال الإعلام الغربي .. ولا منفعة في ذلك .. فإنها تؤدي في النهاية إلى القضاء على وحدة المجتمع وتربطه ، وتؤدي بالضرورة إلى كثرة العروض الاستعمارية في المنطقة العربية .. فهموا ذلك أم لم يفهموا ..

فقد ظهر أن الإخوان هم الأداة التي تلوح بها الدول الغربية لتغيير نظم الحكم في العالم العربي .. وهذا يشير أكثر من علامة استفهام عن سر اختيار أمريكا للإخوان المسلمين خاصة للقيام بهذا الدور ، خاصة في مصر !.

لقد شارك الإخوان من أجل الظهور السياسي في مظاهرات جماهيرية متعددة ومخالفات سياسية متنوعة ، وأظهروا عدة مراجعات فكرية عام ١٩٩٢م تتلائم مع الواقع السياسي المعاصر وتعتمد الانتماء حول الأيديولوجيات والديمقراطيات والقوانين من أجل الوصول إلى سدة الحكم ..

وقد اقتنع كثير من المفكرين المعاصرين أن دولة لن تقوم للإخوان إلا بمغازلة الدول الغربية .. وقد توافق ذلك مع رغبة أوروبية أمريكية تدعو إلى رفع ما أسموه

بالتيارات الإسلامية المعتدلة المتمثلة عندهم في حركة الإخوان المسلمين .. ومن أجل ذلك تعمقت الدراسات الإخوانية في قضايا المرأة والتعددية الحزبية والحرية والديمقراطية ومبدأ المشاركة دون المغالبة وحقوق الأقليات وحد الردة وإسرائيل والأقباط .. الخ تلك القضايا التي يهتم بها الغرب .. ويريد أن يطمئن على رأى الإخوان فيها .. فقامت جماعة الإخوان عن طريق عملاتها المتخصصة في دراسة تلك القضايا بالالتقاء مع الهيئات الغربية والأمريكية في المنتديات والمراكز الأوربية ، لبيان وجهة نظرهم في تلك القضايا الشائكة ، طمئينا للغرب في حالة صعود الإخوان إلى سدة الحكم .. ولأجل حساسية تلك اللقاءات فسترى قادة الإخوان يبررون تلك المواقف إذا ظهرت أسرارها ، قالوا : « إن الذي اشترك في تلك اللقاءات أفراد لا يمثلون الجماعة » ومنهم من يقول : هذه أكاذيب يراد بها تشويه وجه الجماعة ، هذا لم يحدث أبدا ، ليس بيننا وبين أحد اتفاقات ولقاءات ، ولن نجلس مع أحد إلا في حضور وزارة الخارجية المصرية وبموافقة الدولة ..

وقد أنكر مرشد الإخوان محمد عاكف التهم الموجهة إليهم بالتعامل مع جهات أجنبية واتهم الأجهزة التي رصدت تلك التحركات بالكذب ، قائلا :

« أعلننا أننا لن نتحاور مع أي حكومة إلا من خلال وزارة الخارجية المصرية احتراما لها واحتراما لنظامنا واحتراما لدولتنا » أهد

وقال في حوار مع جريدة " الزمان اللندنية " : « إن هذا كذب وافتراء ولا أثر له ؛ فنحن لا نتحاور مع شيطان لا يحترم أي قواعد للقيم والأخلاق وحقوق الإنسان » (إخوان أون لاين ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤م) .

وهذا الكلام معناه أن عاكف لا يقبل الالتقاء مع أى جهة خارجية رسمية سواء بموافقة الدولة والخارجية المصرية أم بعيدا عنها ، لأنها شيطانا لا يجوز التحاور معه ! فهل صدق عاكف في ذلك ، وليس هناك حوار مع جهات رسمية غربية وأمريكية حقا .. أم أنه يتناور ويتقى ؟ وهل قبوله للجلوس مع الأمريكان تحت رعاية الخارجية المصرية يعد تنازلا عن وصف أمريكا بالشيطان الأكبر ، أم أنه خلل في

المقول والموازين ؟

الجواب : من حظ الأستاذ عاكف السبيء أن الإخوان الذين التقوا مع الهيئات الأوربية والأمريكية الرسمية اعترفوا بالقائهم بها مرارا لهذا الغرض السابق .. فضلا عن ذلك فإن الأستاذ عاكف يسمى دائما في تلمين الإدارات الغربية والأمريكية ، ويؤكد أنه لن يغير السياسة المصرية تجاه الغرب وأمريكا وإسرائيل في حالة وصول الإخوان إلى الحكم .. وهذا بالضرورة يضعه في صف المتحاورين مع أمريكا والغرب شاء أم أبى ..

ولا يخفى أن الحوار القائم بين الإخوان وبين المؤسسات الغربية والأمريكية ليس حوارا دينيا شرعيا متعلقا بالدين والدعوة ، إنما هو حوار سياسي متعلق بحدود الخدمات والتنازلات الفكرية والأيدلوجية والعسكرية ، التي سيعطيها الإخوان للغرب وأمريكا في حالة وصولهم إلى الحكم ...

وتعليقا على ما قاله السيناتور الأمريكي " تشيك هيجل " أثناء زيارته لمصر : « الإدارة الأمريكية لا تمنع في إدماج جماعة الإخوان في الحياة السياسية من خلال منحها حزبا سياسيا ، طالما التزمت الجماعة بقواعد اللعبة السياسية ، وقدمت من الضمانات التي تؤكد التزامها بالخط العام للسياسة المصرية الخارجية ، بما في ذلك الاتفاقيات والمعاهدات الدولية » أهـ ..

سعى عاكف لتبديد المخاوف الغربية من الصعود الالاف لجماعته في هذه الانتخابات بالتأكيد على أن الإخوان لن يسعوا في تغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل . وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها ، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها) حوار مع وكالة " الأسوشيتد برس " نافذة مصر . نت) ..

وحول ما إذا كان الإخوان سيحاولون منع حركة المقاومة الإسلامية حماس من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل قال عاكف " لا علاقة لنا بالسياسة الداخلية الفلسطينية " (" إسلام أون لاين.نت/ ٢٩ - ١١ - ٢٠٠٥)

وهذا هو نفس الخط الذي سار عليه المرشد السابق الأستاذ المأمون الهضيبي .. حيث قال : « الحوار الذي دار في هذا اللقاء لم يخرج عن بعض القضايا العامة مثل: موقف الأقباط وحد الردة والمرأة والحريات العامة وتعدد الأحزاب والانتخابات » أهـ

وهذا هو نفس ما رددته عصام العريان ، بشأن اجتماع الإخوان مع هيئات أوربية في النادي السويسري بالقاهرة : « الاجتماع الذي استضافه النادي السويسري لم يخرج عن المناقشات الممهودة ، والتي دارت حول موقف الإخوان من الديمقراطية وحقوق الإنسان » أهـ

أما زعم بعضهم أن الذي يتكلم من الإخوان لا يمر عن الجماعة وليس من قيادي الجماعة . فهذا خلاف الحقيقة . إذا لا يمكن لأى فرد إخوانى أن يتكلم أو ينطق أو يعرض رأيا على أى جهة إلا بعد الاستئذان من المرشد العام وإلا صار خارجا على الجماعة كالمليجي وغيره . ولا يمكن أن يقول إلا ما هو متفق عليه ، فقد قال محمد عاكف : « وأنا منذ أن انتخبت مرشدا عاما سمحت لجميع قادة الإخوان - بلا استثناء - بالحديث للصحف وأجهزة الإعلام وألغيت تماما ما كان يسمى بالتمحدث الرسمي للجماعة » (الشرق الأوسط . ٣٠ يونيو ٢٠٠٥)

فالأمر واضح .. أن الإخوان يوكلون من بينهم من يقوم بتلك الاتصالات مع الدول الأجنبية ، ويجعلون له كافة الصلاحيات ، بشرط عدم الزج باسم الإخوان في الظاهر ، فرارا من المسؤولية التي قد يتعرضون لها من قبل الدولة . أو حرصا على عدم ضياع مصداقيتهم عند الشعب ، خاصة أنهم يعتبرون أنفسهم المدافعين عن الإسلام والمناهضين للسياسة الأمريكية في المنطقة العربية ، بل وفي العالم كله .. فكيف مع ذلك يجلسون مع الأمريكان ؟. فهناك وسائط غير مباشرة للهروب من تلك التبعات .. وقدوتهم في ذلك حسن أبنا ، أنذى انتفى من وراء دولة الملك فاروق الأول ملك مصر مع فيليب إيرلاند سكرتير السفارة الأمريكية ، وذلك لتفاهم معه في بعض الأمور الخاصة بالدعوة ، واتفق معه على أن تتم المعاملة مع الإخوان عن طريق وسطاء دون الدفع باسم الإخوان في الظاهر ، كما ذكر محمود عساف ، قائلا : « فيليب إيرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية أرسل مبعوثا من قبله

للأستاذ الإمام كي يحدد موعدا لمقابلته بدار الإخوان ، وافق الأستاذ على المقابلة ، ولكنه فضل أن تكون في بيت أيرلاند حيث أن المركز العام مراقب من القلم السياسي .. وتم اللقاء وتبادلا الحديث عن الشيوعية ، ثم قال أيرلاند :

« لقد طلبت مقابلتكم حيث خطرت لي فكرة ، وهي لماذا لا يتم التعاون بيننا وبينكم في محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية ؟ أنتم برجالكم ومعلوماتكم ونحن بمعلوماتنا وأموالنا ..

قال حسن البنا : « فكرة التعاون فكرة جيدة ... وحيدا لو فكرتم في إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية ، فحينئذ نستطيع أن نعيركم بعض رجالنا المتخصصين في هذا الأمر على أن يكون ذلك بعيدا عنا بصفة رسمية ، ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائما دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم ولك أن تتصل بمحمود عساف فهو المختص بهذا الأمر إذا وافقتم على هذه الفكرة » (مع الإمام الشهيد . حسن البنا . ص ١٣ / مكتبة عين شمس . ١٩٩٣ م . رقم الإيداع . ٤٤١٥ .

ترقيم دولي (١-١٥٦-٢٠٤-٩٧٧)

وقد حكى فريد عبد الحائق أن لقاء مثل هذا اللقاء السري ولنفس الهدف تم في المركز العام للإخوان بين ممثل الحكومة البريطانية وبين حسن البنا مباشرة ، فقال : « حصل لقاء رسمي بين رجل السفارة باسم الحكومة البريطانية مع حسن البنا في مكتب حسن البنا نفسه ، في المركز العام ، وأنا حضرت اللقاء وقال له : « نحن نشجع كحكومة جلالة الملكة النشاط الذي يقوم به جريدة الإخوان في نشر المفاهيم الدينية، والتعزيز أو الإبعاد بالناس عن الإلحاد، لأن إحنا فعلاً ضد الإلحاد، ولذلك إحنا لينا موقف مع .. مع الاتحاد السوفيتي باعتباره، إنه هو قائم على علمانية إلحادية، وعلى إنه هو يبدرس الإلحاد في مدارس .. آتتم ضد الإلحاد ، وإحنا كمان ضد الإلحاد، وأنتم مع الأديان وإحنا مع الأديان وإحنا حريصين إن النشاط دا يستمر .. وعندكم شيك على بياض نودعه لدعم منا لما فيه مصلحة مشتركة ، المصلحة " هذه " لا غبار عليها ، اللي هي نشر المفاهيم الإسلامية .

قال حسن البنا : أنا أقدر لكم هذا التوجه ، وإحنا كلنا كفاية بيجمعنا الحرس على الدين وعدم الوقوع في الإلحاد، والمروق عن الدين، لأنه دا مش في مصلحة البلد كوضع عام ، ولكن قبولي .. يقول الإخوان لأي دعم مالي يكون ضد تحقيق المصلحة اللي آتتم حريصين عليها » (الجزيرة نت . ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٣ م)

وعلى نفس الطريق صار الإخوان المعاصرون بدفع بعض الشخصيات الإخوانية الشهيرة أمثال عصام العريان للالتقاء مع وفد أوروبي رسمي في النادي السويسري في الجزيرة ، وذلك في يوم الإثنين الموافق ٣١ / ٣ / ٢٠٠٣ م ..

وكان الوساطة في هذا اللقاء هو سعد الدين إبراهيم - رئيس مركز ابن خلدون - الذي اتهمه مشايخ الأزهر بالعمالة والحيانة . وتلك هي الأدلة والشواهد التي تثبت تعامل الإخوان مع الأمريكان والأوروبيين تعاملًا رسميًا ، والتقاتهم بهم في الجزيرة على خفية ، على نفس القواعد التي أصلها حسن البنا في لقاءه مع فليب أيرلاند : « نستطيع أن نعيركم بعض رجالنا المتخصصين في هذا الأمر ، على أن يكون ذلك بعيدا عنا بصفة رسمية » أهد ..

وكما جاء في الموقع الرسمي لجماعة الإخوان على شبكة الإنترنت .. فقد اعترف المستشار المأمون الهسيبي المرشد العام لجماعة الإخوان بتعدد لقاءات أفراد من جماعة الإخوان مع الأمريكان والأوروبيين في القاهرة : « واعتبر المرشد العام للجماعة اللقاء الذي تم بين أعضاء في الإخوان وممثلين لبعض السفارات الغربية، نهاية مارس الماضي بالنادي السويسري "إيمبابه"، حوارا مع أشخاص لا يمثلون سوى أنفسهم، ولا دخل للجماعة بهم.. مشيرا إلى أن هذا اللقاء "لم يحضره قيادي واحد من الجماعة" وأوضح المرشد العام للإخوان أن الحوار الذي دار في هذا اللقاء لم يخرج عن بعض القضايا العامة مثل : موقف الأقباط وحد انزدة وانزرة وأخرى عامة وتعدد الأحزاب والانتخابات، وكلها أمور أعلنت جماعة الإخوان موقفها فيها بكل صراحة ووضوح، علنا أمام الجميع . . وتساءل الهضيبي : لماذا يحاول البعض الزج باسمنا في حوار مع الأمريكان في هذا التوقيت بالذات ؟

وكشف المرشد العام للإخوان عن مفاجأة جديدة عندما أشار إلى أن هذا الحوار لم يبدأ حسبما أشارت المصادر في شهر مارس الماضي ، لكنه "امتد لحوالي ثلاثة أشهر مضت" لكنه نفى في الوقت نفسه نية الجماعة في الاستمرار في عقد لقاءات مع الأمريكيين أو الإنجليز سابقاً أو حالياً، باعتبارهم "غزاة للعراق" (الإخوان أون لاين . ٢٧ / ٣ / ٢٠٠٤ م)

في تلك المحاورات كان المستشار مأمون الهضيبي يبحث عن رضا أمريكا ، كما أكد الأستاذ ثروت الخرباوي ، الذي كان عضواً بارزاً من أعضاء الإخوان المسلمين ، ولكنه انشق عنهم .. في حديثه لمجلة (الأهرام العربي ١٤ يونيو ٢٠٠٣ ص / ٢٥) قائلاً : « وكانت تصريحات المرشد - مأمون الهضيبي - للفرنس برس هي رسالة أخرى ، ولكن لأمريكا وكانت هذه التصريحات من أعجب ما صرح به مرشد للإخوان في تاريخهم ، ووضح من خلال ما قاله أنه يبحث عن رضا أمريكا حتى لو أسخط عليه المسلمين » أهـ

فلم ينكر المستشار المأمون الهضيبي الالتقاء بالأمريكان ، ولكنه صوب فقط تاريخ اللقاء وزمنه ، كما أنه لم ينكر النقاء الإخوان بقيادة أوريين في المركز السويسري في الجزيرة ، غير أنه زعم أن قيادات الإخوان لم تشارك في هذا اللقاء ، إنما هم أفراد عاديون .. فهل صدق المأمون الهضيبي في ذلك ؟

والجواب يحكيه العريان في لقائه مع الأستاذ عبد الرحيم علي - إسلام أون لاين.نت/ ٢٢-٤-٢٠٠٣ .. قال د / عصام العريان القيادي الإخواني البارز : " هذا الحوار لا يخرج عن كونه اتصالاً عادياً، كما يحدث معنا دائماً ، وليس له أي أهمية خاصة " وأضاف العريان في تصريحات لـ " إسلام أون لاين.نت " : « إن د . سعد أجهند مثل أناس كثيرين ، وقام بالاتصال بي وأخبرني أن بعض الأوروبيين يريدون دعوتي على فنجان شاي ، وقد قبلت الدعوة " .. وأشار إلى أن الاجتماع الذي استضافه النادي السويسري لم يخرج عن المناقشات المهوودة ، والتي دارت حول موقف الإخوان من الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحضره مندوبون للسفارتين الإنجليزية والسويسرية .. » أهـ

فقد تم اللقاء مع قيادي بارز وليس مع شخصية عادية ..

وقد اعترف القيادي البارز أن هذه اللقاءات تتم دائماً وبصفة مستمرة - مع هيئات رسمية متمثلة في السفارتين الإنجليزية والسويسرية - خلافاً لما زعم المستشار مأمون الهضيبي أنها تمت في زمن محدود وانتهت . وقد أكد العريان وساطة الدكتور سعد الدين إبراهيم رئيس مركز ابن خلدون الذي شهد على نفسه بالعمالة للغرب وأمريكا ، واعترف بذلك صراحة في جريدة (الدستور . عدد ٢٦ . ١٤ سبتمبر ٢٠٠٥ م) .. فهذا المركز هو الوسيط الظاهر بين الإخوان وبين الأمريكان والإنجليز ، ويؤكد ذلك أن تحليل مادلين أولبرايت للشخصية الإخوانية ينبع من مفاهيم الدراسات التي أعدها رئيس هذا المركز د/ سعد الدين إبراهيم ، وهو أستاذ متخصص في الدراسات الاجتماعية والعرقية والمذهبية .

وقد خرجت مادلين أولبرايت بانطباعها عن الإخوان بأنهم قوم نفعيون ، وذلك بقولها : « الإخوان براجماتيون وهم على استعداد للتعاون مع الأمريكان إذا رأوا أن مصلحتهم الحقيقية تكمن في ذلك » (آفاق عربية . ١٠ فبراير ٢٠٠٥ م)

وهذا يدل على وجود حوار بين هذا المركز وبين الإخوان لمعرفة اتجاهات الإخوان تجاه المطالب الأمريكية والأوروبية في حالة وصولهم إلى الحكم ...

ولقد تباحث الإخوان أيضاً في تلك القضايا مع المفوضية الأوروبية ، وذلك أثناء الالتقاء بوفد تابع للاتحاد الأوربي .. وقد مثل الإخوان في ذلك الدكتور عصام العريان والدكتور محمد مرسي . وجرى خلال اللقاء دراسة موقف الجماعة من القضايا ذات الاهتمام المشترك ..

ومما يؤكد حقيقة ولاء الإخوان للهيئات الدولية ، واستقوائهم بها ، بل وانهم انهم أمامها ، وإعجابهم بها . أنهم دائمو التهديد باللجوء إليها والاحتكام إليها عند وقوع نوع من الخصومة بينهم وبين الدولة .. وعلى سبيل المثال فقد طالب محمد جمال حشمت عقب سقوطه في انتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠٠٥ م بتدخل دولي للانتصاف للإخوان من الدولة والمجتمع والقضاة ، قائلاً : « أنه في حال لم

يسفر هذا التحرك عن نتيجة إيجابية .. فسأصعد الأمر دولياً (إسلام أون لاين . ٢١-١١-٢٠٠٥) وكذلك : « هدد الدكتور ياسر حمود باللجوء إلى المنظمات الدولية .. للدفاع عن حقّه وحق البرلمان » نافذة مصر . نت . ٢٧ / ٥ / ١٤٢٨هـ .

وأعلن أعضاء الكتلة البرلمانية للإخوان « أنهم سيشكلون جميع السبل القانونية لمساندة المرشحين الذين تم منعهم من تقديم أوراق ترشحهم ، وهددوا باللجوء للمنظمات الدولية » (المصريون نت) تلك هي الشخصيات الإخوانية التي قالت إن جماعة الإخوان مرشحة للوقوف أمام الهجمة الأمريكية المعاصرة .. هي نفسها التي شرعت في إذلال الأمة المصرية وتقديمها صاغرة أمام محكمة العدل الدولية ، لتنفذ أحكامها في مصر ومحاصرتها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ..

وهذا يدلك على أن الإخوان في مصر في مرحلة من مراحل صراعهم مع الدولة على استعلاء لأن يقوموا بدور الشيعة الروافض في العراق مع الأمريكان . كى يصلوا إلى السلطة ، ولينفتحوا الأبواب أمام الاستعمار مرة أخرى .. فقد كانت هذه مقدمات قام بها الشيعة في الدول الأوروبية وأمريكا .. يظهرون العورات ويؤججون العداوة والصراع ويدفعون الغرب لاحتلال العراق .. وهذا هو نفس ما قام به الإخوان ونوابهم عندما شاركوا في مؤتمرات في دول أوروبية . وقد كان آخر مؤتمر دولي عقد في العاصمة البريطانية لندن ، حول " حقوق الإنسان في مصر " شارك فيه الدكتور محمد البناجي " الأمين العام للكتلة البرلمانية للإخوان " :

« وتحدث عن الواقع السياسي في مصر في اللحظة الراهنة ، مستعرضاً - عبر أمثلة حية - الأساليب المتبعة لضرب المعارضة السياسية والنشاطات المدنية في مصر » (المصري اليوم . ١ / ٦ / ٢٠٠٧م)

أين ملهم الدعوة ..؟

كان من الواجب على الإخوان المهرولين إلى الهيئات الدولية لتنتصف لهم من الدولة أن يرجعوا إلى ملهم دعوتهم ، ليسمعوا قوله في تلك المسألة . فقد قال حسن البنا رداً على مذكرة النحاس باشا لمجلس الأمن كما جاء في " جريدة الإخوان " تحت عنوان " لا دخل لأحد في شئوننا الداخلية " : « وسواء أكانت حكومة مصر ديمقراطية أو دكتاتورية ، فإن الشعب المصري يعلن على الملأ أمام هيئة الأمم المتحدة أن ذلك أمر يعنيه وحده ولن يسمح لأية دولة أجنبية أو هيئة دولية أن تتدخل في أخص شئونه الداخلية » (جريدة الإخوان المسلمون ، عدد (٣٧٥) الصادرة في ٢٢ يوليو ١٩٤٧م . الإصلاح السياسي عند البنا)

الوجه القبيح ...

عندما استشعر الإخوان نوعاً من القوة ، وظنوا لأنفسهم أنياباً تستطيع أن تفترس رفوعاً برق الحياء ، الذي كانوا يختفون خلفه ويسترون به عند اللقاء مع أحد من السفراء الأجانب بعيداً عن أعين الدولة .. وصاروا يلتقون بالسفراء علانية من أجل مصالح أيدلوجية للجماعة . فمهدي عاكف يطمئن الغرب بأنه لن يحارب إسرائيل وسيلتزم بمعاهدة السلام . وعصام العريان يقدم تطمينات حول قضية المرأة والأقليات والحريات والديمقراطيات والتجارة والمقاطعة .. الخ ولا أظن فعل الإخوان في الاستقواء بالغرب والسعي في طمأنتهم إلا نوعاً من التأمر القبيح على المجتمع المصري قبل أن يكون تأمر على الدولة .. وحتى لا يظن الإخوان أننا ظلمناهم بذلك وطمعنا في مروءتهم وشهامتهم بغير حق . فهذا هو الذي قاله التلمساني عند لقائه مع الرئيس السادات كما تقدم : « سألتني أكثر من صحافي أجنبي عن علاقتي بالدولة قلت هذه أمور تخص المصريين فقط ولا تهم غير المصريين ولا يجوز لمصري أن يتحدث في هذا . أنا لا أتأمر على الدولة » (انظر موسوعة الإخوان . نت)

كيف رتب الإخوان اللقاءات العلنية؟

فى أواخر ٢٠٠٧م استطاع مكتب الإرشاد أن يتوصل إلى طريقة يحقق بها أمانة الإخوان فى اللقاء مع الأمريكان . وأمريكا تريد أن تطمئن على التوجهات السياسية المعاصرة لجماعة الإخوان .. فكيف يمكن الالتقاء مع الأمريكان دون استغلال الحكومة هذا اللقاء فى اتهام الإخوان بالخيانة والعمالة ، ودون أن يفقدوا مصداقيتهم فى المجتمع المصري ؟ .. لقد تفتق ذهن الإخوانى عن خطة خفية نقلتها وكالات الأنباء العالمية وجرائد المعارضة التى يكتب فيها الإخوان . فقد كتب المهندس/خيرت الشاطر مقالا فى الجارديان البريطانية بتاريخ ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٥م أكد فيه للغرب أنهم لا يجب عليهم أن يخافوا من الإخوان خاصة من تلك الجوانب التى يهتم بها الغرب قائلا : « نجاح الإخوان لا يجب أن يخيف أحدا فنحن نحترم حقوق جميع الجماعات السياسية والدينية » (الدستور . ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦م)

فما الطريقة ؟.. الجواب : الطريقة هى أن تلتقى المؤسسات الرسمية الأجنبية بالإخوان علنا عن طريق نواب مجلس الشعب ، حيث يقوم نواب الإخوان ببيان موقف جماعتهم من أجندة العمل السياسي والفكر الديمقراطي ، الذى يدور مع الأهداف الأمريكية .. ليس إلا أن يطلب السفير الأمريكى والبريطانى والكندى والاسترالى .. لقاء نواب الإخوان ... وكى تزول التهمة بطلب السفراء اللقاء مع نواب مجلس الشعب من جميع الاتجاهات .. ومن خلال ذلك يتم توصيل رسائل المرشد العام للأمريكان .. وإذا سئل الإخوان عن ذلك قالوا لقد طلب لقاءنا عن طريق مؤسسة رسمية ، ولم نطلب من أحد شيئا . وهم الذين ديروا ذلك مع الغرب والأمريكان .. وقد أكدت وكالة رويترز فى أوائل ديسمبر ٢٠٠٧م ذلك الأمر .. فى البيان الذى نقلته الأستاذة أميرة فودة الصحفية فى جريدة الدستور : « كشفت مصادر الإخوان المسلمين عن اتجاه بعض قيادات الجماعة بالدخول فى حوارات مع جهات أمريكية رسمية وشعبية ، والتفاوض مع أعضاء بارزين بالسفارة الأمريكية بالقاهرة عبر قنوات معلنة ، من أجل تلافي الانتقادات التى تواجهها الجماعة نتيجة عقد مثل هذه اللقاءات بشكل سري » (الدستور . ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦م) .

وبعد نشر هذا البيان فى ديسمبر ٢٠٠٦م التقى ممثلو الإخوان محمد سعد الكتاتني رئيس الكتلة البرلمانية لـ "الإخوان المسلمين"، والأمين المساعد المهندس سعد الحسيني - سفير أستراليا بالقاهرة وروبرت بوك على حفل غداء الأخير بمنزله أمس الأول ، وبحضور سفيرى كندا فيليب ماك بنون ونيوزيلندا رينيه ويلسون - وذلك فى يناير ٢٠٠٧م .. أى فى خلال شهر واحد من الاتفاق . وكانت تلك هى الطريقة التى ظن الإخوان أنهم خرجوا بها من الملام والعتاب والانتهاك بالخيانة

الإخوان والقرب ..

هل هناك توافق أيولوجي يعطى انطبعا بوجود إسلام إخواني تهواه الدول الغربية؟ كيف تمت تلك الصفقة الفكرية . ؟

كان المتسبون إلى الإخوان فى بلادنا ترعد فرائضهم إذا قيل لأحدهم : أنت إخواني .. غير أنه بعد إطلاق عدة تصريحات من بعض الخبراء الأمريكين لصالح الإخوان تغير الحال وخرجت مظاهرات علنية باسم الإخوان ، وظهرت لافتات انتخابية باسم الإخوان ، وفتحت مقرات علنية وأقيمت حفلات واجتماعات جماهيرية باسم الإخوان .. لعل صفقات خفية كانت وراء ظهور الإخوان على غير عادتهم فى الشارع المصري ..

غير أنه بعد التصريحات الأمريكية التى طالبت بفتح باب الحوار مع الإخوان ، وإظهار عدم الخوف من صعودهم لسدة الحكم استشرع الإخوان أن الدنيا تغيرت لصالحهم وأن القوى العظمى معهم ؛ فركبوا الموجة ، وانطلقت المظاهرات ، وقام قادة الإخوان بسبب النظام . ويشنعون على التاريخ ، ويقولون نحن النور المضيء فى هذا المجتمع المظلم .. ووقع الإخوان فى فخ الدمار والهلاك ..

فدعوة أمريكا لإظهار الإخوان بهذه الدرجة فى عهد جورج بوش على الساحة السياسية ليست إلا مخططا أمريكيا يراد به إظهار الإخوان فى تجربة فاشلة ، تسمن فيها بسرعة .. لا تستمر طويلا حتى تصاب بهزال شديد ومرض عضال .. بالإضافة إلى مقصد أوسع من ذلك وهو إسقاط الدول العربية والإسلامية وهز

استقرارها تعهدا لاستعمارها وتقسيمها .. بالتعاون مع إيران .. والإخوان من أنسب الفرق لمد يد العون لإيران . فهم ذراع الشيعة في مصر .

وقد استعد الإخوان وتجروا بكل قوة لتحقيق أهدافهم بعد تصريحات السفير "ويشارد هاس" مدير قسم التخطيط السياسي (السابق) ، رئيس "معهد تنمية الديمقراطية في العالم العربي" حين قال :

« إن واشنطن لا تعارض الأحزاب الإسلامية، وإن الإدارة الأمريكية تدرك أن تكثيف الديمقراطية في العالم الإسلامي ينطوي على مغامرة بانتخاب قادة لا تفضلهم واشنطن، وإن واشنطن - كما قال - عاقدة العزم على دعم الديمقراطية، حتى وإن أدت إلى تولي أشخاص (لا تحبهم) السلطة في بلادهم . » (إسلام أون لاين / ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٢ م) كما أنهم تأثروا بتصريحات كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية، في مجلة "واشنطن بوست" ٢٦ مارس ٢٠٠٥ حين قالت : إنها : « لا تعير اهتماما لمخاوف من انتصار الإسلاميين المتشددين وحلولهم مكان الأنظمة القمعية » ؛ لأن جذور التطرف تنشط في "غياب القنوات البديلة للنشاط السياسي" (٢٥ / ٣ / ٢٠٠٥ م . إسلام أون لاين) كما أنهم تأثروا من قبل بتصريحات مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة ، حين قالت : « سيكون من الخطأ استبعاد الأحزاب الإسلامية على أساس الافتراض بأنها غير ديمقراطية بصورة متأصلة أو أنها تميل إلى العنف . » وذكرت أن "أفضل طريقة لتهميش المتطرفين الذين يلجئون إلى العنف هو إفساح الطريق لأوسع مدى ممكن من وجهات النظر (الإسلامية) غير العنيفة" (إسلام أون لاين.نت/ ٢٨-١١-٢٠٠٥)

ولو تتبع الباحث في الشؤون السياسية تصريحات كونداليزا رايس الخاصة بالإخوان المسلمين لأثيرت لديه الفنون .. لماذا الإخوان ٢.

فقد سئلت كونداليزا رايس عن المخاطر التي تنتظر سوريا في ظل حكم " الإخوان المسلمين " ! قالت : « إن بلادها قادرة على التناغم معهم ، وأن وصولهم إلى السلطة لا يخيفها "أه

فلماذا لم تعامل أمريكا مع حماس في فلسطين إذا كانت قادرة على التعامل معهم ، كما أكدت بكل ثقة ؟..

وعادت كونداليزا رايس بعد ذلك تؤكد أن أمريكا لن تضع عصاها عن عاتقها ، حتى تحقق ما تريد من فوضى تصب في صالح إسرائيل والصهيونية العالمية ، عن طريق أنبعاثها وأعرانها المنتشرين في البلاد الإسلامية ، وذلك باستخدام لعبة السياسة ، وهذا بالضرورة أهون من الدماء الكثيرة التي خسرتها في العراق .. وهذا هو الذي يسمونه في علم النفس " التعويض " .. ويراد به استبدال الضغط السياسي والتهميش الشعبي والأحزاب العميلة بالآلة العسكرية والتكتيكات الحربية ..

لقد أكدت كونداليزا رايس في المحاضرة التي ألقته بالجامعة الأمريكية في القاهرة أن أمريكا ستستخدم الآلة السياسية عن طريق عملياتها ، سبيلا لتغيير الدول والنظم بقولها : « أقول للشعوب المنطقة .. إن دول العالم الحرة لن تهدأ حتى تنعموا بحريتهم » (إسلام أون لاين.نت/ ٢٠-٦-٢٠٠٥)

تلك هي الهدية التي تقدمها أمريكا لعمالها الليبراليين والإخوان ، كي ترفعهم إلى الكراسي ، باسم الإصلاح والديمقراطية ، كما أكدت على ذلك في نفس لقاءها، بقولها : « في الشرق الأوسط العديد من المواطنين يطالبون بالتحريك ، هؤلاء يجهدونهم في الرياض ورام الله وبيروت وهنا في القاهرة .. وهذا دليل على أن عملية التغيير الديمقراطي بدأت تتجلى في الشرق الأوسط » (المصدر السابق)

حقوق المفكرين الإسلاميين ..

ولأجل ما رآه بعض المفكرين الإسلاميين في مصر من فرح الإخوان بالضغط الأمريكية على مصر والدول العربية واستعدادهم لتقديم تنازلات فكرية تهدف إلى تسهيل ظهورهم على الساحة السياسية حذروهم من الانزلاق في هذا المحرك إذا كان المقصد منه مغازلة الأمريكيان ، وبينوا لهم أن التقدم الذي أحرزوه في الانتخابات لم يكن إلا بسبب عداوة أمريكا للإسلام وللمسلمين ..

وتلك المغازلة ستؤدي بالضرورة إلى فقدان مصداقيتهم وضعف مكانتهم في

وقد دعا ذلك الأستاذ محمد مور رئيس تحرير مجلة " المختار المصرية " الإخوان إلى أن يكفوا عن مغالبة الأمريكان .. بقوله : « ولعل أكبر وأهم العواصم التي ساهمت في صعود الإسلاميين في كل انتخابات تقريبا أجريت بعد إعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب ، هو الشعور الشعبي - في إيران وتركيا والبحرين والآن مصر وغدا جميع الدول- بأن الولايات المتحدة تشن حربا على الإسلام ذاته.. الخ هذا العامل الأهم يتبني على "الإخوان" احترامه بجدية ، وليس بمجرد تصريحات، وأن يكفوا تماما عن مغالبة أمريكا أو ادعاء إمكانية التفاهم معها بدعوى المصلحة .. (إسلام أون لاين ٠٧ / ١٢ / ٢٠٠٥)

محاولات قديمة واتصالات مريبة

بين قنصل فرنسا و"بلنت" الإنجليزي ..

لوقت الإخوان أن الدول الاستعمارية تنظر إليهم باعتبارهم آلة الفتن والإثارة في العالم الإسلامي ، لتبرر تدخلها في شئونهم بحجة الإصلاح ، لملعوا عظم الجناية التي يقرّفونها في حق الأمة والمجتمع جراء خروجهم على الولاة والسلاطين ..

فتلك الدول ترقب أحوال الأمة بكل دقة ، بما عندها من معاهد ومؤسسات ، وبما لديها من خبراء ومتخصصين ، بل وبما لها من عملاء متميزين ، يقومون بالتجسس على الأمة ونقل أسرارها وعوراتها. . انظر كيف فعل ملك الرومان مع الصحابي الجليل كعب بن مالك حين هجره النبي ﷺ وهجره الصحابة (رضى الله عنهم) إبان تأخره عن الخروج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك - فلم يكن متظاهرا ولا خارجا ولا منافقا - إذ أرسل إليه كتابا يدعوه فيه إلى اللحاق به ، فلما قرأه كعب وجد فيه : « أما بعد : فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفأك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيقه ، فالحق بنا نواسك » .. قال كعب : « قلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتيمنت بها التنور فسجرت بها » (متفق عليه)

فقد كان ملك الرومان يرقب أحوال الصحابة (رضى الله عنهم) في مثل أمر الهجران .. فكيف لو كان الأمر متظاهرا وخروجا ماذا كان سيفعل ؟! ولقد قطن السياسة المعاصرون ، وعلموا أن أعداء الإسلام يستغلون الاختلاف والشقاق في الدول الإسلامية للتدخل في شئونهم بحجة فض النزاع.. وقد أشار إلى ذلك الرئيس مبارك في خطابه الموجه للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المتعقد في القاهرة في ١٠ مايو ٢٠٠٣ م ، وفيه طالب بضرورة : « العمل في التغلب على الخلافات التي تضعف من شأن الأمة الإسلامية وتضر بمصالحها وتفتح الباب على مصراعيه لغير المسلمين للتدخل بدعوى فض النزاع وتسوية الخلاف » أهد

ولكن الإخوان إلى الآن لم يستوعبوا أنهم بأفعالهم وإثارتهم الدائمة

للمجتمع سيكونون جزءاً من هذا المخطط الاستعماري .. وقد رأينا بأعيننا كيف وضع ضعاف الدين والأصالة أيديهم مع أعداء الإسلام ، للنظر في شؤون الأمة والتدخل في خصوصياتها، واستغلوا الأحداث العالمية وهددوا أمن الأمة . ولا يزال التاريخ يتكرر.. أن يقوم الاستعمار بتزكية طائفة من المجتمع للخروج على أولياء الأمور بقصد الإصلاح ، وهم في حقيقة الأمر يريدون تأليب المجتمعات الإسلامية وهز استقرارها ، ليتخذ ذلك ذريعة لاستعمارها والقضاء على دينها وتاريخها وثقافتها .. فقد خرج من قبل أحمد عرابي على الحديوي توفيق - متأثراً بدعوة جمال الدين الأفغاني ، القائمة على الثورة والاعتراض على الحكام والتشنيع عليهم ، ببعض الأخطاء التي وقعت منهم أو من عمالهم - معترضاً على تصرفات وزير الحربية في عهد الحديوي توفيق " عثمان رفقي" وقد كان شركسيا ظالماً للضباط المصريين ، مضيقاً لحقوقهم .. فاستجاب الحديوي توفيق لأحمد عرابي ونفذ مطالبه .. غير أن أحمد عرابي رفع درجة المواجهة والتظاهر ضد الحديوي توفيق ..

ومن هنا التقط الفرنسيون والإنجليز هذا التغير المثير في المجتمع ، وقاموا بإصدار البيانات وإرسال الرسائل على طريقة كونداليزا رايس وإبريل كرسبي ومادلين أولبرايت إلى الإخوان وغيرهم ، مؤيدين تلك الطريقة التي ابتدعها أحمد عرابي ، بزعم الإصلاح ، وهم في الحقيقة يريدون تهتية الجو واستغلال ظروف الاضطراب والقلق لاحتلال مصر..

وقد بين محمد عبده في مذكراته عن الثورة العرابية أن قنصل فرنسا أرسل إلى أحمد عرابي وإخوانه يقول لهم : « إنه يسره ما يراه من صلاتهم وعزمهم ، واشتدادهم في المطالبة بالعدل ، فعليه أن يبتنوا في مطالبتهم ولا يضعفهم ما يهددون به » (الأعمال الكاملة لـ محمد عبده : ١ / ٥٢٨ : ٥٣١)

وكذلك فعل الإنجليز عن طريق المدعو " بلنت " ، الذي كان ينتقل في المدن والقرى والبوادي يهيم ويهنيء بثورة عرابي

وقد وضع الأستاذ مصطفى غزال دور " بلنت " في كتابه (دعوة جمال

الدين الأفغاني في ميزان الإسلام . ص ١٢٣) فقال : « كان من أشد الناس تفانياً في مصالح الإنجليز ، رغم أنه يتظاهر بصداقته للشرق المتمثل بالشعوب التابعة لتركيا، وبعدائه للحكومات البريطانية، بل كان أحياناً يتظاهر بالدفاع عن قضايا الشعوب الشرقية ، ويقف بجانبهم ، كما وقف بجانب عرابي ، ودافع عنه بعد أسره ، كان هذا نوعاً من الدهاء والخنكة الإنجليزية» أهـ ... وعندما اشتد خطر أحمد عرابي على الحديوي توفيق لجأ إلى الإنجليز لحماية عرشه .. عند ذلك بدأ الإنجليز احتلال مصر ، وذلك عام ١٨٨٢م ، بزعم الدفاع عن حقوق رعاياها وحقوق الأقليات ، حتى إنهم أخذوا بأنفسهم قلائل ومذابح في الإسكندرية وبروا بها الاحتلال ..

ودخل الإنجليز مصر بسبب التهييج السياسي الذي أحدثه أحمد عرابي في المجتمع المصري ، ولم يستطع عرابي أن يفعل شيئاً ، ومنى بهزيمة فاضحة قبالة قوات الإنجليز ، حتى قبل أن قواته كانت تقيم حلقات ذكر وطبول للصوفية طول الليل ، وعند اللقاء والمناجزة تنام .. واحتلت مصر ، ودام هذا الاحتلال زمناً طويلاً بحجة الحاجة إلى تهدئة الجو وعودة الاستقرار، كما يحدث الآن في العراق ، حتى خرج الإنجليز باتفاقية الجلاء التي أبرمها عبد الناصر معهم عام ١٩٥٤م .. فاستمر احتلال مصر أكثر من سبعين عاماً ، بسبب المظاهرات والانتخابات السياسية . فماذا يريد الإخوان ؟؟

الإخوان والإفلاس السياسي

فقه الواقع ..

قد يغيب عن العلماء بعض الأحداث السياسية .. وهذا ليس قدحا في علمهم ولا فهمهم ، فكثير من الناس كذلك .. فالعالم يعرض فيه يوميا ملايين القضايا والأحداث .. ولا يستطيع أحد أن يدعي الإحاطة بكل ما يعرض فيه .. فليس ذلك إلا لله تعالى .. لكن الفارق بين العلماء وبين غيرهم .. أن العلماء إذا عرفوا الواقع بصورته الصادقة حكموا فيه بحكم الشرع الثابت ، إذ الحكم على الشيء فرع من تصوره ، وهم أولى الناس بجمع أطراف القضايا والأحداث ، كما أنهم أولى الناس بجمع أطراف الأدلة والأحكام ، والتوفيق بينها ومعرفة الحق فيها .. فلا يمكن أن يقول أحدهم لرجل يشرب البرتقال : كيف تشرب الخمر وقد حرمة الله ؟ ولا لرجل أسر سرا لصاحبه : كيف تبيع لصاحبك بيع الخمر وقد حرمة الله ؟ وإنما يقول للأول : ما هذا الشراب ؟ ويقول للثاني : ماذا أسرت لصاحبك ؟ فهم من ناحية التصور لا يتناقلون عن فهم الواقع .. ومن ناحية القضاء يقدرون المصالح والمفاسد بعيد قائم على الحكمة والعدل ، في إطار الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة . تلك هي الواقعية التي ينظر إليها علماء الأمة بعيدا عن التحليلات النظرية والمفايع الفلسفية الخيالية ، أو التجارب الفكرية التي تخطي تارة وتصيب تارة أخرى .. ومع ذلك يظن أصحابها أنهم صاروا من الأئمة والعلماء ، الذين لهم الحق في الصدارة والريادة .. قال العلامة الآلبي : « وأنا لا أخالف في صورة هذا العلم الذي ابتدعوا له هذا الاسم ، ألا وهو « فقه الواقع » ؛ لأن كثيرا من العلماء قد نصوا على أنه ينبغي على من يتولون توجيه الأمة وشرح الأجيال لحل مشاكلهم : أن يكونوا عالمين وعارفين بواقعهم ؛ لذلك كان من مشهور كلماتهم : " الحكم على الشيء فرع عن تصوره " .

ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة (الواقع) المحيط بالمسألة المراد بحثها ؛ وهذا من

الفصل التاسع
الإخوان والإفلاس السياسي
هل الإخوان يفهمون السياسة .. ؟
حقيقة التذبذب السياسي .
الإخوان مطية الأحزاب ..
نهاية العمل السياسي عند حسن البناء .
الفكر الاشتراكي في دعوة الإخوان .
محمد العزالي والاشتراكية .
سيد قطب و تأصيل المفهوم الاشتراكي .
النظرية الثالثة لمعبر الغدافي .
هرجعية عبد الناصر الاقتصادية .
انتقاء عبد الناصر للمفهوم الاشتراكي .
الفكر الديمقراطي في دعوة الإخوان
الممارسات الحزبية والعامة
الإخوان بين الحرية والشريعة
الدول الغربية تطلب الحوار مع الإخوان
الخاتمة

قواعد الفتيا بخاصة ، وأصول العلم بعامة . ففقه الواقع - إذا - هو الوقوف على ما يهم المسلمين مما يتعلق بشؤونهم ، أو كيد أعدائهم ؛ لتحذيرهم ، والنهوض بهم ، واقفياً ، لا كلاماً نظرياً ، أو انشغالاً بأخبار الكفار وأبنائهم . أو إغراقاً بتحليلاتهم وأفكارهم ! » (حول فقه الواقع ص/ ١٤ ، ١٥)

هذه هي ضوابط الأئمة التي يترتب عليها جنى الفوائد والثمار ، وبلوغ الأهداف والمقاصد .. غير أن الإخوان لا يعابون بها ولا بمن قالها .. وهم مع ذلك ينظرون إلى المجتمع برمّة الأخبار المقلوبة والإذاعات المضللة والصحف المثيرة للفتن ، ويرون ذلك هو الواقع الواجب على المسلم أن يحكم على المجتمع والأحداث بمقتضاه . والأدهى من ذلك أنهم صاروا يقدمون تصورات كثير من الشيوعيين والناصرين والليبراليين والأقباط العلمانيين .. ويسجلونها في مواقعهم الإلكترونية ، كأنها ثقافة إسلامية . وصار مدونوهم على الإنترنت يرون هؤلاء نماذج يقتدى بها في العمل السياسي .. وهم لا يفعلون ذلك إلا لأنهم يروون ظاهم في تفعيل المفاهيم الانقلاية . ولو فرض صحة تصوراتهم لواقع فإنهم لا يصلحون للحكم عليه .. وفي تاريخهم ما يقطع الحيرة في ذلك ... فهؤلاء وأولئك ينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ﴾ في طوائف لا تدرك شيئاً ، ولا تقدر حكماً ، ولا تفقه ديناً ولا تعرف سياسة .. وإذا فقها فلا حيلة لهم في جلب منفعة ولا في دفع مضرة .. فالأمر ليس بأيديهم .. والواقع لا يحتاج إلى ما يفكرون فيه ، إنما يحتاج إلى النصيحة والإصلاح ، وهم مع ذلك لا يهتمون به ولا يدهون إليه ، اكتفاء بإثارة قضايا سياسية متعلقة بالتعددية والحزبية والليبرالية وحقوق الإنسان .. قضايا لا يفقهها كثير من الناس .. ولا يدركون مقاصدها ولا يعرفون كنه الهياكل التي تشعلها ، وتسعى في إثارتها في المجتمع ... فهي حقا هيئات متطفلة على أفكاره ، لأكثرها علاقات بدول لها أجنداث خاصة تريد أن تطبقها في العالم الإسلامي . ثم هم يوهمون أنفسهم بالوصول إلى الحكم .. فيقولون ماذا ستفعل إذا وصلنا إلى الحكم . وما خططنا في التعامل مع أمريكا وإسرائيل .. فيرفعون راية في غير ميدان ، ويقيمون جهادا في غير جهاد ، ويصيحون في الناس ، وهم

أحوج الناس إلى تلك الصيحات . ومع هذا الفشل الذريع وهذا الوهن المستمر لا يزالون يرون في أنفسهم النباهة في فقه الواقع ، والتفرد في فهم السياسة ، والتميز في إدراك الأولويات ، مسفيني غيرهم من العلماء والساسة ..

ومن أجل ذلك فإنهم إذا وصلوا إلى الحكم سيتعاملون مع إسرائيل بواقعية تفوق حقيقة المفهوم الفكري الذي تربوا عليه . وإن ترتب على ذلك تهذبة الصراع ، واستبقاء المعاهدات الموقعة ، وفتح المكاتب التجارية .. غير أنهم يرثي عليهم عدم تقدير تلك الواقعية في التعامل مع الحكومات العربية والإسلامية ... فهم معها في صراع دائم لا يفتر ولا ينتهي .. ولو قدر أن سكنت الصراع مع إسرائيل فإنه لن يسكت مع الحكام .. والإخوان عندهم استعداد لإنهاء الصراع مع إسرائيل ، في حالة واحدة فقط ، هي إذا ما وصلوا إلى الحكم .. فإذا حدث ذلك فلإسرائيل أن تطمئن أن الإخوان كما قال محمد عاكف " لن يحاربوها " . تلك هي الواقعية التي يتعالى بها الإخوان على جميع الطوائف .. ولك أن تعيش هذا التصور دائما - إذا كنت تحت راية الإخوان - أن أحدا لم يفقه الواقع في التاريخ كما يفقه الإخوان . هم فقط .. أما غيرهم فهو غارق في جهل مطبق في فهم الواقع وإدراك الأولويات والكيلات .. والإخوان لا يقصدون من الجهل بفقه الواقع الجهل بفقه الأحكام ، فهذا أمر لا يشتغلون به - ولو أنهم سمعوا أحدا يتكلم في أي قضية من قضايا الدين ، لا تتعلق بالواقع من وجهة نظرهم أعرضوا عنه ، وقالوا هؤلاء فقهاء حيض ونفاس ، مسفيني العلوم الشرعية التي هي جزء لا يتجزأ من الدين .

إنما يقصدون من الجهل بفقه الواقع الجهل بالتفاعلات السياسية والمشاركات المدنية في الهيئات والتقابات والأحزاب والأحداث والمظاهرات والتحالفات والائتخابات ، قال العلامة صالح الفوزان : « ليس المقصود بفقه الواقع عند هؤلاء فقه اللغة ، وإنما المراد به عندهم الاشتغال بأمور السياسة والتهييج السياسي وصرف الأوقات والهمم إليه . أما فقه الأحكام فيسمونه فقه الجزئيات وفقه الحيز والنفاذ تهجيناً وتنقيحاً منه ومن الاشتغال به » (الأجوبة المفيدة . ص / ٥)

هذا هو الذي جعل اهتمامات الإخوان بالقضايا السياسية فوق اهتماماتهم

بالمقاسد المتعلقة بالشرع والدين ، إن لم يحفظوها.. فقد قال عبد المنعم أبو الفتوح : « فليس هناك شك في أن الإسلاميين والمتدينين عموما عندهم ارتكابا من بعض المسائل ويضخمونها مثل المخالفات الجنسية ، والإسلام ليس معها بالطبع ، ولكن لماذا نهم بها أكثر من المخالفات السياسية » (العربي ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٣) وقد انتهى د/ عصام العريان إلى القول بأن قضية الحلال والحرام لا علاقة لها بالعمل السياسي في حركة الإخوان ، قائلا : « ونزول الجماعات السياسية التي تستند إلى مرجعية إسلامية إلى الساحة السياسية لا تستند في عملها السياسي على قضية الحرام والحلال ، هي تستند بالفعل على قضية المصالح والخطأ والصواب » (قناة الجزيرة ٥ / ٤ / ٢٠٠٥ م) .

ولا شك أن قضية المصالح والمقاسد والخطأ والصواب الذي ادعاه لا يوزن بموازين دينية صحيحة ولا سياسة شرعية صريحة ، إنما هي تجارب فاشلة مارسها الجماعة زمنا طويلا ، ولم تستطع أن تصوب أخطاءها فيها إلى الآن ، كما أن تلك الآراء في الغالب تملئها مصالح الجماعة لا مصالح المسلمين .. هي في الحقيقة أقرب إلى آراء العلمانيين منها إلى آراء الاسلاميين ، ولكنهم يخرجونها من أوساط تدعى الوسطية ، ويغلفونها بكلمات تقرب إلى الإسلامية .. وما هي من الإسلامية بشيء .. إنما هي هزيمة نفسية مشهورة في دعوة الإخوان ..

ولم يبق تهاون الإخوان عند المحرمات ، بل امتد حتى وصل إلى الشرك .. فليترك الشرك كما هو دون زجر والتوحيد دون أمر ، حتى يصل الإخوان إلى الحكم قال حسن الترابي : « إنهم يهتمون بالأمور العقائدية وشرك القبور ، ولا يهتمون بالشرك السياسي ، فليترك هؤلاء القبوريين يطوفون حول قبورهم حتى تصل إلى قبة البرلمان » (م. الاستقامة ربيع الأول ١٤٠٨ هـ)

وهذا بالضرورة طعن في مفهوم الشمولية الذي يتعاطى به الإخوان على غيرهم من الطوائف والجماعات .. ودليل أكد أن " شعار الإسلام " هو الحل ، الذي يتلاعب به الإخوان مع العامة شعار منزوع من حقيقته ، التي يعرفها كل مسلم ، ليتلائم مع قضايا الإخوان التاريخية التي يعيشون من أجلها .

سيد قطب وفقه الواقع ..

هذا التوجه المعاصر للإخوان يخالف ما كان عليه سيد قطب ، فقد كان يرى عدم جدوى التدخل في الواقع السياسي ، وكان يمتنع الاشتغال به ، وكان ينادى بالعزلة الشمورية الكاملة عن المجتمع ، باعتبار أنه مجتمع جاهلي ، لا يجدي فيه الإصلاح إلى أن يعود إلى الدين من جديد ؛ ومن أجل ذلك كان ينهي عن التدخل في إصلاح أي قضية من قضايا المجتمع الجاهلي ، قائلا :

« ليس من المنطق - كما أنه ليس من الإنصاف - أن تطلب من نظام معين حلولاً لمشكلات لم ينشأها هو وإنما أنشأها نظام آخر مختلف في طبيعته وطريقته عن هذا النظام . والمنطق المعقول ينادي بأن من أراد أن يستغنى نظاما معينا في حل مشكلات الحياة ، فليطبق أولا هذا النظام في واقع الحياة » (دراسات إسلامية . ص/ ٨٦ . دار الشروق ط. ٢٠٠٢ م) وكان يرى عدم جدوى تعليم المجتمع الجاهلي مسائل الفقه ، فقال : « أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام في هذه الفترة فأحسب - والله أعلم - أنه مضية للعمر ، وللأجر أيضا » (الظلال ٤ / ٢٠١٢ م) ..

وهذا المنطق يدل أن شعار " الإسلام هو الحل " الذي يرفعه الإخوان في الانتخابات على مفهوم سيد قطب لا معنى له إلا أن يدخل الناس في دين الله تعالى من جديد ، وذلك لأنهم لو أدروا به مجرد الإصلاح فهذا نوع من أنواع الترفيع . وهذا في المفهوم القطبي مضية للعمر ، واستهلاك للجهود .. ولا تصلح الدعوة في المضمار الإخواني الأول إلا إذا دخل الناس في الإسلام أولا . أو فهموه وتربوا عليه من جديد ، كما قال عاكف : « هدفنا هو تربية الفرد والأسرة والمجتمع حتى نصل للمستوى الذي نضمن من خلاله أن يقف وراءنا جميع الناهجين » (الأخبار ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥ م) ..

فالإخوان المعاصرون والقدامى متفقون على عدم الاهتمام بالعلم ، وكل ما من شأنه أن يصفى أمور العبادة من الدخن ، أو يؤهل المرء للتدبر والوقوف بين يدي الله

تعالى ، طامعا فى جنته هاربا من ناره ، طالما أنهم يعمدون عن كرسى الحكم . ولكنهم يختلفون مع سيد قطب من ناحية التدخل فى الأحداث السياسية ، فالمعاصرون يرون ضرورتها ، أما هو فلم يكن يرى ذلك .

وعلى الرغم من ذلك فإنى أرى سيد قطب كان متناقضا هو الآخر مع نفسه فى تلك القضية أو لعله مر بمراحل متناقضة فى حياته ، ذلك لأنه كان فى وقت من الأوقات ينادى بالعدالة الاجتماعية ، وكان يكافح من أجلها فى صفح القوميين والاشتراكيين والوطنيين . وعندما عوّب فى ذلك من قبل إخوانه فى الجماعة .. رد عليهم ، قائلا : « إن الإسلام يكافح فى ميدان العدالة الاجتماعية الذى يكافح فيه الاشتراكيون ، وفى ميدان العدالة الوطنية والسياسية الذى يكافح فيه الوطنيون ، وهذه الصحف بالنسبة لى ليست إلا ميدانا للكفاح » (دراسات إسلامية/ ص/ ٩٧).

مجالات السياسة ...

السياسة : القيام على الشيء بما يصلحه .. إما فى جلب مصلحة ، أو فى دفع مضرة .. ولا طريق أحق لبولوج تلك الغاية من طريق الإسلام . قال تعالى : « وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ يَوْمَتَهُمْ » [المائدة : ٥٠) ومع ذلك فإن الإسلام لم يضيق مباحث العدل والمصلحة على ما ثبت بالنص ، وذلك أن مجالات السياسة تتسع لما ثبت بالاجتهاد ، سواء فى فهم النص إذا كان محتملا لأكثر من وجه ، أو فى حالة عدم وجود النص .. وأكثر أعمال الساسة واجتهاداتهم تكون عند تعارض مفسدين أو مصلحتين .. فالعامة يميزون الحلال عن الحرام ، لكن تمييز المفاسد واختيار أذناها ، وتمييز المصالح واختيار أعظمها .. هذا أمر لا يحسنه إلا المجتهدون من العلماء والساسة .. ومن أجل ذلك يحدث الخلاف والنزاع بسببه بين العامة ، فينقسمون فيه أقساما متعددة بين مؤيد ومعارض ، وذلك لجهلهم بالواقع ولجهلهم بأدوات الاختيار .. ومثله التشابه الخاص بالعلماء ودقيق العلم فى مسائل الأسماء والصفات لا يفقهه العامة كذلك ، وإنما يدركه خواص العلماء .. وعلى ذلك فكل طريق من طرق السياسة يوصل إلى العدل والمصلحة فهو من الشرع .. سواء وجد له دليل فى الشرع أم لم يوجد .. أما إذا وجد الدليل وثبت النص . فالمصلحة فيما حكم به الشرع والعدل فيما إنتهى إليه . قال القيم : « فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذى قامت به السماوات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات الحق ، وقامت أدلة العقل ، وأسفر صبحه بأي طريق كان ، فذلك من شرع الله ودينه ، ورضاه وأمره » [إعلام الموقعين عن رب العالمين: ٤ / ٣٧٣] .

فالسياسة من هذا الوجه من تدين ، وليست شيئا غريبا عليه ..

ولو لم يكن لإثبات مشروعية السياسة إلا جمع أبى بكر للمصحف ، وتحريق عثمان المصاحف التى فى أيدي الناس ، إبقاء على مصحف واحد متفق عليه لكان ذلك كافيا فى بيان مشروعية السياسة . وذلك مع عدم وجود أدلة شرعية تدل على

تلك الأعمال . إلا المصلحة . ومثل ذلك أيضا : نفى عمر بن الخطاب صبيغ بن عسل التميمي ، ومحريق على بن أبي طالب (رضى الله عنه) للسبابة .. أراد من ذلك التشجيع عليهم - وقد خالفه في ذلك ابن عباس للنص الوارد بالنهي عن التعذيب بالنار - وقد يصل الأمر في السياسة إلى تقييد المباح ، كمنع عمر تزويج المسلم من اليهودية والنصرانية مخافة الفتنة .. وقد يكون من أجل التأديب والتعزير ، كتمرير عمر بين الطلاق ثلاثا بلفظ واحد ثلاث طلاقات ، ولم يكن ذلك في زمن النبي ﷺ ولا في زمن أبي بكر ، وإنما فعله عمر من أجل المصلحة .. وكذلك تقديم أبي بكر وعمر حج الأفراد على حج التمتع مع أفضليته ، حتى لا يهجر الناس البيت وحتى تتمدد السفرات إليه .. وكل ما فعله الأنمة من ذلك فهو اتباع لنهج النبي ﷺ ، والتزام بمقاصد الشريعة ، فقد ترك النبي ﷺ بعض ما فيه مصلحة ثابتة مخافة الوقوع في مفسدة أكبر ، مثل تركه إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم (عليه السلام) ، وفي هذا قال النبي ﷺ لعائشة (رضى الله عنها) : « يا عائشة ! لو أن قومك حديثو عهد بشرك ، لهدمت الكعبة . فالزقنها بالأرض . وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا . وزدت فيها ستة أذرع من الحجر . فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة » (رواه مسلم . كتاب الحج . ١٣٣٣) .

قال الإمام النووي في (شرح مسلم . ٩ / ٨٩) : « وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام :

منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبا ، وذلك لما كانوا يتقدنون من فضل الكعبة ، فيرون تغييرها عظيمًا فتركها ﷺ . ومنها : فكر ولي الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك ..

ومنها : تألف قلوب الرعية وحسن حياتهم ، وأن لا ينفروا ، ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ، ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي كما سبق . « أهـ

وتتعلق مباحث السياسة بالنظر فيما لانص فيه ، كما تقدم ، فيختار الحاكم ما يناسب المجتمع من تشريعات ونظم إدارية تتأتى بالخير والمصلحة .. ويختار من عماله من يؤدى المهام الموكلة إليه حسب مسئولية المرحلة ، وإن دعاه الأمر إلى تقديم المفضل على الفاضل ..

كما تتعلق مباحث السياسية بتسيير أمور الدنيا التى تخضع للتجارب والخبرات باختلاف أشكالها وآلوانها ومصادرها ، فالإسلام يفتح المجال للأخذ بكل ما هو نافع وميسر لسبل الحياة - طالما أنه لا يتعارض مع الدين - وذلك من باب قوله ﷺ : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » وذلك لما رواه مسلم باب وجوب امتثال ما قاله شرعا ، دون ما ذكره من معاش الدنيا ، على سبيل الرأي .. عن عائشة ، وعن ثابت ، عن أنس : أن النبي ﷺ مر بقوم يلحقون . فقال "لو لم تفعلوا لصلح" قال فخرج شيصا والشيص هو البسر الرديء الذي إذا ببس صار حشفاً « فمر بهم فقال " ما لنخلكم ؟ " قالوا : قلت كذا وكذا . قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » (رواه مسلم . ٢٣٦٣)

ومن أبواب السياسة ما يتعلق بأمور الحرب والسلام ابتداء وانتهاء ، فللحاكم عقد معاهدات السلام وتبادل السفراء بين كافة الدول ، وعقد التحالفات والمواثيق ، وفيما إذا خير الإمام في الأسرى بين الاسترقاق وبين المن والغداء أو القتل ، فيراعى مصلحة المسلمين ، ويختار ما فيه إرضاء الله تعالى ، وذلك اتباعا لقوله ﷺ : « وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أنصيب حكم الله فيهم أم لا » (رواه مسلم . كتاب الجهاد والسير . ١٧٣١) .

ومن اجتهاد فأخطأ فله أجر ، ومن اجتهاد فأصاب فله أجران . غير أنه إذا أخطأ المجتهد لم يكن له أن يجعل خطأه دينا يلزم به غيره ، فلا بد أن ينزه شرع الله

تعالى من أخطاء المجتهدين .. قال شيخ الإسلام : « ولهذا كان الصحابة كأبى بكر وعمر وابن مسعود يقولون باجتهادهم ويكونون مصيبين موافقين لستة لكن يقول أحدهم " أقول فى هذا برأى فإن يكن صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه " فإن كل ما خالف سنته فهو شرع منسوخ أو مبدل، لكن المجتهدون وإن قالوا بأرائهم وأخطأوا فلهم أجر وخطوهم مغفور لهم » (مجموع الفتاوى ٢٧ / ٢٩٧)

من السياسي ... ؟

كل شيء له حقيقة وحد وقت . هذه أصول ضرورية لبلوغ الحكمة فى الأقوال والأفعال . والسياسة لا تكون سياسة إلا إذا اقترنت بالحكمة . ولأجل ذلك فلا بد للسياسي أن يعرف مقاصد الشريعة ويدور فى رحاها ، كما لا بد أن يكون صاحب ثقافات واسعة ومفاهيم ثابتة ، وتجارب محترمة ، ورأى راسخ .

كما لا بد أن يكون على دراية بأحوال الفرق والأحزاب المناوئة ومقاصدها وغاياتها . والعمل فى السياسة يحتاج إلى أصحاب القرائح ، والدواهي الفواقير ، وهم قوم لهم خاصية فى :

القراءة والتحليل وبعد النظر . الاطلاع على دقائق الأمور . القدرة على تنزيل الأحكام على الواقع . القدرة على إعداد البرامج والمخطط الملائمة للمرحلة التى تمر بها الأمة . القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة فى الوقت المناسب لها . تقوية القرص على الحصوم .. الخ

هل الإخوان يفتهمون السياسة .. ؟

هل الإخوان يفقهون تجارب الأمم ، ويستخرجون منها العبر؟ هل الإخوان عندهم إدراك سياسي لمخططات الدول ؟

هل الإخوان عندهم بعد سياسي فى التعامل مع تلك المخططات ؟ هل الإخوان على دراية بمنهج الأنبياء فى الدعوة إلى الله تعالى . ؟ هل الإخوان يفقهون الدين فقها صحيحا ، يؤهلهم للحكم على القضايا والأحداث ؟

هل الإخوان يقيسون الأمور بموازين المصالح والمقاسد قياسا صحيحا . ؟ هل الإخوان عندهم صدق فى التعامل وأمانة فى الحكم وقوة فى الخبر وبعد عن المبالغة والتضليل ؟ هل الإخوان عندهم عدالة فى التعامل مع خصومهم .. ؟

هل الإخوان عندهم قوة نفسية ونزاهة عقلية تجعلهم يظهرن المعتقدات ويوضحون المناهج ، أم أنهم متأثرون بهزيمة نفسية قبالة الواقع الفكرى والاستعمار الغربى تجعلهم يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ..

هل الإخوان عندهم قدرة على مخاطبة الجماهير بالحق ، أم أنهم ضعفاء فى خطاب الخاصة ، مراوغون فى خطاب العامة . ؟ هل الإخوان عندهم تجارب ناجحة فى التاريخ ، أم أن تجاربهم جميعا مؤودة بالفشل . ؟ هل الإخوان فى مسائل الإجتهد عندهم بدائل متنوعة وسعة فى تناول الآراء المخالفة لأرائهم أم أنهم يظنون قداسة آرائهم وأنها لا تنال ولانقاش ولا تعاتب ؟

الحامس : قالوا " الإسلام هو الحل " ثم قالوا " الدستور هو الحل " ، ثم قالوا " الإصلاح السياسي هو الحل " ، ثم قالوا " الحرية قبل الشريعة " . وعندما غلبتهم التحالفات الأيدلوجية قالوا " نعم للمشاركة لا للمغالبة " ثم تركوا جميع الشعارات وتحالفوا مع الليبراليين والشيوعيين ، وقالوا " كفاية هي الحل " ..

السادس : كان حسن البنا يحصر الاستفتاء في أهل الحل والعقد ، وكان يحصر أبواب الترشيح للمجالس النيابية فيمن تتوفر فيهم صفات أهل الحل والعقد .. غير أن الإخوان المعاصرين تراجعوا عن هذا وذاك ، وقالوا تعظيما للديمقراطية يجب استفتاء الشعب بجميع طوائفه في كل الأمور ..

السابع : عندما تعمدت أفكارهم السياسية نتيجة لمصاحبتهم أعضاء حركة " كفاية " وأعضاء حزب " الغد " وسمعوا منهم أحاديث تكلم عن المواطنة ؛ قالوا نحن أولى الناس بتحقيق المواطنة من أى فصيل سياسي آخر .. قال عصام العريان : "نؤمن بحق المواطنة وأن للجميع كل الحقوق والواجبات ، وأن المواطنة حق للجميع" (لقاء مع قناة دريم. نافذة مصر.نت) وعلى العكس من ذلك رفض نواب الإخوان في مجلس الشعب مفهوم المواطنة ، كما جاء في جريدة (المصري اليوم) تمسك نواب الإخوان المسلمون في مجلس الشعب برفض مبدأ المواطنة ، وطالبوا بعدم النص على ذلك في الدستور .. قال النائب رجب أبو زيد : « المواطنة مبدأ تم استيراده من الغرب ، ويعني فصل الدين عن الدولة ، والمناخ السياسي في مصر لا يمكنه قبول هذه الكلمة » أهـ وهؤلاء البرلمانيون أيضا متخبطون في أقوالهم متقلبون على أفعالهم .. إذ أنهم أقرّوا من قبل ما يخالف هذا الاتجاه ، وقالوا : « ولو ترشح قبطني للرئاسة واستوفي كل الشروط الدستورية فإن نواب الكتلة سيوافقون علي ترشيحه بل سيدعونه » (المصري اليوم ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦ م) .

الثامن : طالبوا الحكومات بتقنين النظم التي تؤدي إلى اختيار الحاكم من بين عدة مرشحين إيماناً بالنظام الديمقراطي ، بينما هم يختارون مرشديهم بيعة المقابر تارة ، وبكير السن تارة ، وبترشيح مكتب الإرشاد تارة أخرى .. ولا حق للأمر في اختيار المرشد ولا في اختيار أعضاء مكتب الإرشاد ..

حقيقة التذبذب السياسي ..

بقليل من الجهد وبالنظر في تاريخ الإخوان .. يتضح أنهم متخبطون في فكر التغيير والإصلاح ، فما يثبتونه في موضع ينكرونها في غيره .. ودعوتهم من أكثر الدعوات تناقضاً مع فكرها الذي تنشده ، فهي تحرم ما يبيحه فكرها ، وتحارب ما ينشده فكرها ؛ وهذا بالضرورة يثير الشك في مقاصدهم وأهدافهم . هل هم يريدون حقيقة الفكر الذي يدعون إليه . أم أنهم يستترون من خلاله للوصول إلى مقاصدهم ، ثم بعد ذلك يظهر الكفر به ؟

وبالاطلاع على تاريخ الإخوان يتبين لكل بصير حقيقة التذبذب في الفكر السياسي للإخوان ، ويتبين أن الإخوان الذين يعبون على الساسة في كل شيء لو وصلوا إلى الحكم لن يفعلوا أكثر مما يفعل الساسة ، ولكنهم لا ينتظرون إلى الواقع إلا بعين عوراء : المباح عندهم جريمة إذا فعله غيرهم ، والشرك إذا وقع فيه غيرهم لم إذا وقعوا هم فيه ..

وتلك هي الشواهد الدالة على تذبذبهم السياسي واضحة جلية :

الأول : الإخوان يرفضون الحزبية على الإطلاق ثم يقبلونها على الإطلاق .
الثاني من التناقض : حدد حسن البنا متى يلجأ الإخوان إلى استخدام القوة العملية ثم تناقض وقال : « وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها » أهـ

الثالث : قالوا إذا ضاقت بنا الأمور فلا مخرج لنا إلا الجيش وعندما نفذ الجيش ما كانوا يأملون تظاهروا عليه قائلين له : لاحق لك في الحياة المدنية ، ارجع إلى الكتكتات ما عدو الإنسانية ! وهم الآن يريدون الوصول إلى الحكم عن طريق الديمقراطية ، ويعيرون على الإصلاح إذا تم عن طريق الجيش .

الرابع : قالوا " القرآن دستورنا " ثم تنازعوا مع عبد الناصر بعد الثورة لوضع دستور جديد . وأخيراً قالوا للخاصة : « إن شعار الجماعة " القرآن دستورنا " شعار عاطفي وأدبي . الخ » (الشرق الأوسط ٢٥ مايو ٢٠٠٥)

التاسع : جعلوا الشورى ملزمة للحاكم ، وجعلوا المرشدهم الطاعة المطلقة .. فالمرشده فوق الدولة وفوق الرئيس ..

العاشر : قالوا للمسلمين فى الانتخابات البرلمانية..صوتكم أمانه ستحاسبون عليه بين يدى الله ، أعطوه لمرشح الإخوان من أجل الإسلام . وفى دوائر أخرى قالوا لأتباعهم ولعامه المسلمين صوتكم أمانة أعطوه للشيعيين والناصرين والأباط الحادى عشر : قالوا الإسلام هو الاشتراكية ، وأصلوا الحجاج والبراهين لنصرة المذهب الاشتراكى ، ثم تبرأوا من الاشتراكية ، وكفروا دعائها . ثم انقلبوا إلى الديمقراطية فلعبوا بها ، وقالوا نحن نؤمن بها ونؤدود عنها حتى الموت.

الثانى عشر : دعوا إلى مواجهة الشيوعية بالاشترك مع أصحاب الملل والأديان الأخرى .. وكانوا يدعون من قبل حرب الشيوعية فى أفغانستان ، وكان شيخهم الأول يتحالف مع الأمريكان والإنجليز من أجل حرب الشيوعية . ثم انقلبوا على أنفسهم وتحالفوا مع الشيوعيين فى البلاد الإسلامية ونادوا بأحقيتهم فى إقامة أحزاب شيوعية ..

الثالث عشر : اتهموا الدول الإسلامية بالعمالة والخيانة لتعاملها مع أمريكا ، وسكتوا عن الحرب الإخوانى المبرر عنهم فى العراق حين وضع يده مع بول بريمر الحاكم العسكرية الأمريكى فى العراق ، وقالوا : « هم أدرى بشئونهم . وأهل مكة أعلم بشعابها » أهـ

حقيقة الإفلاس ...

قواعد غافلة وكوادرمناورة ...

نحن فى الحقيقة نتهم الإخوان بالإفلاس .. والإفلاس مصطلح يطلق على من فقد الدنانير والدرهم ، ولم يبق معه إلا الفلوس .. والفلوس هى الأموال النافهة التى لا كرامة لها .. والإفلاس الذى نقصده هنا ليس هو الإفلاس المادى ، فالإخوان تفتنوا فى جمع الأموال ، واستخدموها فى عمل شركات لا تقبل إلا من يتنسب إليهم ، ولا ترفع إلا من يبابهم - فقد أظهرت الانتخابات البرلمانية الأخير عظم الأموال التى يكتزها الإخوان للوصول إلى الحكم - إنما نقصد الإفلاس السياسى ، الذى يتعاملون فيه بمنظور من لا يتعلم ولا يفهم إلا إذا نزلت المصائب وحلت الأحران .. ولذا فنحن نتهمهم بالجهل بحقائق الأحداث والأحكام وحدودها ووقتها المناسب . فجوانب الإفلاس السياسى فى تاريخ الإخوان كالمعين الذى لا ينضب . فالإخوان متأثرون بهزيمة نفسية تجاه ضغط الواقع المعاصر ومتطلباته .. تدفعهم إلى التذبذب واللون .. ولقد سعى الإخوان فى السياسة بشئ السبل ، كى يصلوا إلى الحكم ، حتى أتوا بنتائج مخيبة للآمال .. وتاريخ الإخوان سلسلة متصلة من الفشل السياسى .. فقد تعامل الإخوان مع كل الأنظمة والحكومات فتخطوا وفشلوا .. ولم ينجوا من الزهور إلا الشوك ، ومن الثمار إلا الخنظل . يقول محمد بن سيف العجمى فى (الوقفات . ص/ ٨٠) : « فإى معركة سياسية خاضها الإخوان ونجحوا فيها ووصلوا فيها إلى أهدافهم ومقاصدهم .. إلا أن تكون مقاصد الإخوان هى التسبب فى الرجز بالشباب المسلم إلى السجون والمعتقلات والبلاء ثم الرقص على الأشلاء ، والافتخار فقط بتقديم الضحايا والفرايين . فهل للإخوان من مآثر سياسية يقدمونها أكثر من تقديمهم الضحايا والقرايين طيلة " أربعين عاما " اليوم من عمر الدعوة ؟

وهل كان الأستاذ حسن البنا (رحمه الله) إلا ضحية للانقلابات الحزبى ودخول التنظيم السري الإخوانى - الذى لم يستطع الأستاذ البنا نفسه أن يسيطر عليه

- درب الاختيالات السياسية! أهـ

إن الحقيقة تنادى أن الإخوان يلعبون باسم الإسلام على الأمة الإسلامية .. فالقادة متأثرون بهزيمة نفسية تجاه متغيرات العالم المعاصر .. تدعومهم إلى تبني الفكر الليبرالي بنوع من التذبذب والتردد ، وهم مع ذلك يستغلون قاعدة مغيبة ، يستخدمون معها شعارا دينيا " الإسلام هو الحل " غير أنها تمثل بالنسبة لهم حصان طروادة ، الذى يوصلهم إلى الحكم !. وقد شهد عصام المريان بوجود نوع من المفارقات الذهنية والفكرية بين فكر القيادات الإخوانية وبين القاعدة الجاهلة التى يسيطرون عليها : « فالقيادة أكثر تفهما للمتغيرات السياسية ، ولكن القاعدة - كما قلت لك - علاقتها بالسياسة علاقة موصومة » (إسلام أون لاين. ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٢م)

وقد شاركه فى ذلك الأستاذ عصام تليمة ، قائلا : « عندما نلتقي بكوادر كبيرة فى الإخوان نجد تفهما لما نقول ، وما تطرح ، بينما يغيب هذا التفاهم عند الدرجات ، التى تلي مستوى الكبار ، وقد قال بعض الكتاب مرة : إن الإخوان جسد بلا رأس . ويبدو أن الصورة ليست كما قال الكاتب ، فهناك رأس يفكر ويتعقل ويفهم ، ولكن يبدو أن إشارات الرأس أو المخ لا تصل بصورة جيدة لباقي الأطراف » (المصريون ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٧).

ومع هذا فالدكتور عبد الستار المليجي يرى أن القيادة والقواعد فى هذا الفشل على السواء : « هناك بالفعل تفاوتات فى فهم الإخوان فيما يتعلق بجماعتهما وأهدافها حتى فى القيادة العليا » (إسلام أون لاين. ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٧م شيرين نصر)

الإخوان مطية الأحزاب ..

على الرغم من زعم الإخوان أنهم سياسيون إلا أنهم لم يكونوا فى مواجهة ، ولم يباشروا السياسة من مواقعها ، فهم وراء الستار ، يلعبون دائما لمصلحة الغير أو يلعب بهم ، ثم يعودون يخفى حثيثا لاناقة ولا جمل .. فالملك فاروق يترك لهم الساحة ليضرب بهم حزب الوفد .. والوفد يتحالف معهم ليضرب السعديين .. والثورة تستخدمهم مطية للهتافات.. والكنيسة تستخدمهم لرفع مرشحيها فى الانتخابات ، ولتحقيق أهداف أخرى . وأمريكا تستخدمهم لتحقيق أهدافها الاستعمارية فى الدول العربية ، فها هو ذلك لم يفهموا ..

فليسوا إلا مطية توجه شاءوا أم أبوا . ومن أعطاهم أكثر من ذلك فقد أطلال المسافة وأبعد النجعة .. ولم يكن هذا الاتهام الموجه إلى الإخوان - أنهم مطية ، وأنهم مجرد وسيلة تركبها الأحزاب للضغط السياسى - آتيا من فراغ .. فهم الذين يقولون ذلك عن أنفسهم ، وهذا هو الذى يظهره لونه للأحزاب القديمة والمعاصرة .. وتلك هى شهادتهم على ذلك : يقول عباس السيسى فى (قافلة الإخوان . ص ٢٤٥) : « فى الثانى عشر من يناير ١٩٥٠ اكتسح حزب الوفد الانتخابات بأغلبية ساحقة ، وكان الإخوان هم أكبر عون لحزب الوفد فى هذه المعركة ضد الحزب السعدى ، الذى قتل مرشداهم وعذب إخوانهم » أهـ

وقد أكد هذا المضمون أحمد رائف ، قائلا : « وقد تعلموا كثيرا من النظم الديمقراطية ، فهم الذين جاءوا بصديق رئيسا للوزراء وهم الذين أسقطوه ، وكان شعارهم هو حسن الظن إلى أن ثبت العكس .. وهم الذين جاءوا بالقرائش ، وهم الذين دعموه وأيدوه بإرسال العرائض والمكتوبات التى تبين تأييد الشعب له فى مجلس الأمن ضد شعبية الوفد والتحاس باشا بصفة خاصة .. وهم أيضا الذين قتلوه » (صفحات من تاريخ الإخوان ص/ ١٣٠) .

وفى الوقت المعاصر عندما تراجمت أحزاب المعارضة عن التحالف معهم

ضد الحزب الحاكم في وقت من الأوقات . قال الإخوان " نحن أكثر عددا وتنظيما . فلماذا لا تستفيدون منا . ! هذا ما أكدته جريدة آفاق عربية في عددها الصادر في ١٠ ذى الحجة ١٤٢٥هـ (١٩٠٢) قال د/ محمد حبيب : « إنهم باستبعادهم الإخوان يفتقدون الرصيد والزخم الشعبي للإخوان الذي يلعب دورا مهما في الضغط السياسي على النظام الحاكم » أهـ

وقال في نفس العدد : « فاستبعاد فصيل سياسي شعبي تعلمون يقينا أنه الفصيل الأقوى تنظيميا وانتشارا على الساحة يجعلكم تخسرون (وتخسر قضية الإصلاح معكم) رصيда شعبيًا أنتم في مسيس الحاجة إليه » أهـ

وقال عصام العريان : « فأحزاب المعارضة ستجد نفسها مضطرة في النهاية لوضع يدها في يد الجماعة بصفتها السبيل الوحيد للوصول إلى الشعب » (نافذة مصر نت/ ٢٠ مارس ٢٠٠٧م) .

ربما يتكابر أحدهم لأجل اتهامنا الإخوان المسلمين بالإفلاس السياسي ، غير أن المطلع على تاريخ الإخوان لو كان منصفا فلن يخرج بغير هذه النتيجة .. وليعلم الناس أن وصول الإخوان إلى الحكم سيكون على حساب الأمة التي ستسقط في الوحل ، جراء حق الإخوان في فهم المعادلات الدولية والتغيرات السياسية .. وهذه شهادة أحمد رائف .. وقد اتهمهم بالساذجة السياسية ، وقصر النظر في مرحلة الثورة وما بعدها . حيث ظنوا أن الرص والتجميع أمر كاف لإقامة الدول . والقضية أكبر من ذلك ، فقال عنهم في كتابه (صفحات من تاريخ الإخوان . ص/ ٢٣٣) : « إنهم كانوا في مرحلة لا يعرفون من معهم ومن عليهم ، وخططهم غير واضحة ، وخبرتهم السياسية ضعيفة » أهـ

وقال ص/ ٢٣٦ : « كان جسم الإخوان المسلمين أو البنية الأساسية لهم تعتمد على مدرسي المدارس الإلزامية والصناع بمختلف تخصصاتهم .. لهذا كان الإدراك السياسي العام ضميما مع اندام القدرة على تكوين الكوادر السياسية وقيادة الشارع المصري من خلال تبنى مشاكله الرئيسية .. وبوجه عام لم تمنحهم الأحداث

الفرصة الكافية العادلة للتفكير والتخطيط ، وتصوروا خطأ أن طبيعة المرحلة تقتضي الحشد والجمع وحرص الصفوف لحد قد لا يتبينون الخطأ الكلية ، وقادة لا يعرفون غاية هذا الحشد على وجه واضح مبين .. كل هذا ترك أثره على الجماعة عندما دخلت حربا من نوع جديد لم تعدها من قبل ، واستغرتها تفصيلات لم تكن بيالها » أهـ .

وقال ص/ ٢٣٧ : « كانوا عاطفين أكثر مما ينبغي في بساطة المؤمنين وسذاجة الصالحين وغفلة التحمسين » أهـ

وأكد عبد المنعم أبو الفتوح أن الإخوان لا يزالون على هذا الوصف ، قائلا : « ليس في صالح مصر أن يصل الإخوان في هذه المرحلة إلى السلطة .. لكنني أدرك أيضا أن القدرة على الوصول إلى كرسي الحكم ليست المعيار الوحيد لصلاحية الفكرة . ولكن هناك معيارا آخر حاسما يتمثل في مدى قدرتك على قيادة البلاد والخروج بها من أزمتها وتحقيق مصلحة هذا الشعب في مثل تلك الظروف والمعطيات الإقليمية والدولية ، وأزعم أن الإخوان لن يتمكنوا من تحقيق كل هذه الأهداف إن هم وصلوا للسلطة في هذا التوقيت » (إسلام أون لاين . نت . عبد الرحيم على ١٧ / ٤ / ٢٠٠٥م) .

وقد عبر الأستاذ فتحى يكن " المنظر الإخواني المعروف " عن هذا الفشل الذريع في دعوة الإخوان وعدم قدرتهم على الوصول إلى الحكم بعد ما يقرب من سبعين عاما من إنشاء دعوة الإخوان ... وذلك في كتابه " مشكلات الدعوة والدعاة " بقوله : « المراقب لما يجرى في نطاق العمل للإسلام خلال نصف القرن الماضي يبدو له ملامح ظاهرة مخيفة ، وهي أن الأعمال والتجارب التي قامت في هذا النطاق تجريان في دوامة مغلقة من التكامل والتآكل ... المقصود بالتكامل ، والتآكل هو أن التجارب التي قامت لا تكاد عناصرها تتكامل حتى تأخذ بالانفراط قبل أن تحقق الهدف الرئيسي من وجودها بإقامة المجتمع الإسلامي واستئناف الحياة الإسلامية ، وتبدو ملامح هذه الظاهرة بشكل بارز وملحوظ على صعيد (المنطقة العربية) حيث عجزت الحركات الإسلامية عن تحقيق ولو تجربة واحدة في قطر واحد على الأقل » أهـ

نهاية العمل السياسي عند حسن البنا ..

كان حسن البنا يرى أن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا ، فقال :
 «المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا مهتما بها غيرا عليها .. وأن على كل
 جمعية إسلامية أن تضع على رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمته السياسية وإلا
 كانت تحتاج هي نفسها أن تفهم معنى الإسلام » (الرسائل ص/ ٣١٢) .

ودعاة أنصار السنة وأهل الحديث لا يسفهنون قضايا المسلمين ، ولا يقللون من
 مكانتها ، ولا يزعمون أن سياسة المجتمعات والاهتمام بأمور المسلمين ليس من
 الإسلام ، بل هو حق من حقوق الإسلام والمسلمين ، وبالتخصيص من حقوق الولاء
 والبراء ، ومن لوازم الحب في الله والبغض في الله .. ولكنهم يؤكدون أن سلوك
 السياسة ونصح الحكام لا يكون بإثارة الفتن والمظاهرات والاعتصامات ، كما أنهم
 يؤمنون أن الحكم في دقائق النوازل ليس للعامة ولا للسفهاء ، ولكنه حق محض
 لأهل العلم والاجتهاد والدراية من الساسة والعلماء ولا يحق لأحد أن ينازعهم فيه .
 قال الإمام ابن القيم : « العالم يكتب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد
 في أحكام النوازل » (إعلام الموقعين ٤ / ٢١٢) .

ولعظم المسؤولية السياسية كان أنبياء بني إسرائيل يسوسون قومهم ، ثم صار
 هذا الأمر حقا محضا للخلفاء والأئمة والعلماء وأصحاب الاختصاص ، لا يجوز
 للعامة منازعتهم فيه ، وفي الحديث : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما
 هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون » (متفق عليه)

فليس لكل أحد أن يتناول تلك القضايا ، أو يتخذها نكاة لإثارة السفهاء
 والروبيضة ، ليتكلموا في أمر الأمة ، ويحدودوا لها ما يجوز وما لا يجوز ..
 والروبيضة كما عرفهم الرسول ﷺ : « الرجل التافه يتكلم في أمر العامة » (رواه
 أحمد وابن ماجه ، انظر صحيح الجامع برقم ٣٦٥٠) .

هذا هو الذي ينكره أهل السنة على الإخوان المسلمين .. كما ينكرون أن

تكون الحكومة ركنا من أركان الإسلام .. كما زعم حسن البنا .. أو تكون شرطا من
 شروطه ، لا يتم إسلام المسلم إلا به ، كما قال في رسالة المؤتمر الخامس : « وهذا
 الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من أركانه » (مجموعة
 الرسائل ص ٢٧١-٢٧٢) بل الحكومة واجب من واجبات الإسلام

فماذا إذا تعارضت السياسة مع دعوة الإخوان ؟

لو أن أحد الدعاة المصلحين طلب من الإخوان ترك النزاعات السياسية
 والتفرغ للدعوة الخالصة إلى الله تعالى لاتهموه بالجن والعمالة ، فضلا عن اتهامه
 بعدم إدراك المسؤولية الكاملة ، وعدم فهم شمولية الدين ، وعدم فقه الواقع ... لكن
 حين يأتي الأمر من الداخل ، ويكون تعبيرا عن عمق الأخطاء التي ارتكبوها في هذا
 المجال ، فهذا شأن آخر .. فهم أهل النباهة والفطنة والذكاء !

فقد تغيرت الأمور وظهرت الحفايا ، وكثرت الأخطاء ، ولا بد من التراجع
 وترك السياسة لأصحابها ولوللحزب الوطني !

لقد وقعت أحداث جسام ، ولا بد من التعامل مع الأحداث بما يناسبها ، ولو
 أدى ذلك إلى التنازل عن الدور السياسي .. نعم الدور السياسي .. فهل من الممكن
 أن يتنازل حسن البنا عن الدور السياسي لجماعة الإخوان المسلمين ، ويحتمل تلك
 التهم التي كان يلقيها على مخالفيه ، أم ماذا يكون الأمر ؟

في ١١ / ١ / ١٩٤٩م أصدر حسن البنا بيانا للناس نشر في الصحف
 حينها ، وقد كان هذا البيان صفقة بين الحكومة وبين حسن البنا إذ تقوم الحكومة
 بموجبه بالإفراج عن أعضاء " مكتب الإرشاد " ، في مقابل إصدار بيان يستنكر مقتل
 النقراشي باشا .. وجاء في هذا البيان دعوة صريحة من حسن البنا إلى الإخوان أن
 ينصرفوا إلى أعمالهم ، ولا يكدرُوا الأمن ، وليلتموا أن الدولة والمملك والحكومة
 تقوم بدورها المنوط بها في إخلاص ودأب .. وبين أن من يخالف هذا البيان يعد عونا
 لأعداء الوطن في بليلة البلاء .. وفيه قال : « ولما كانت بلادنا تحتجز الآن مرحلة من
 أدق مراحل حياتها مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار -

وكان جلالة الملك المعظم (حفظه الله) قد تفضل فوجه الحكومة القائمة - وفيها الخلاصة من رجالات مصر - هذه الوجهة الصالحة وجهة العمل على جمع كلمة الأمة وضم صفوفها وتوجيه جهودها وكفائتها مجتمعة لا موزعة إلى ما فيه خيرها وصالح أمرها في الداخل والخارج ، وقد أخذت الحكومة من أول لحظة تعمل على تحقيق هذا التوجيه الكريم في إخلاص ودأب وصدق .. وكل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد ونستغذ كل وسع في أن نعين الحكومة في مهمتها ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها والنهوض بعينها الثقيل ، ولا يتسنى ذلك لها بحق إلا إذا وثقت تماما من استتباب الأمن واستقرار النظام ، والعمل على استتباب الأمن واستقرار النظام واجب في الظروف العادية ، فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التي لا يستفيد فيها من بلبلة الحواطير وتصادم القوى وتشعب الجهود إلا خصوم الوطن وأعداء نهضته .. لهذا أناشد إخواني لله وللمصلحة العامة أن يكون كل منهم عوناً على تحقيق هذا المعنى وأن ينصرفوا إلى أعمالهم ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة حتى يؤديوا بذلك حق الله والوطن عنهم .. والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم بعين رعايته ويسد خطى البلاد حكومة وشعباً في عهده الموفق إلى ما فيه الخير والفلاح آمين (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٦٤) .

لقد نظر حسن البنا للأحداث ووجد أنها دائمة .. وتبين له أن ثمار عمله باءت بالفشل ، فبدأ يقيم دعوته ، ويراجع خطته ، وينظر في منهجه ، حتى خلص إلى أن المظاهرات الصاخبة والمقاتلات اللاسعة ، و الزيارات التي كان يقوم بها للشعب الإخوانية ، والصيحات التي كان يسمعها من أتباعه لا تربي ولا تثمر شيئاً في أمر الدين ، وأنه لو قام بتربية مائة شاب على الدعوة الصحيحة والمنهج السليم لكان خيراً له من هذا الهباء المتثور . وقد بلور الدكتور / عبد العزيز كامل حقيقة المشاعر التي كانت تحيى في نفس حسن البنا ، قائلاً : « ولكن الرجل عاد - من رحلة الحج - ليجد حوادث القنابل والانفجارات في القاهرة .. سلسلة تواتت حلقاتها : انفجار ممر شيكوريل ، شركة الإعلانات الشرقية ، حارة اليهود .. وإلى جوار الانفجارات

مصرع المستشار الخازندار من رجال القضاء ، ومصرع سليم زكي من رجال الأمن .. ملامح الصورة يرسمها المسدس والقنبلة والديناميت .. وكانت ملامح القلق بداية على وجهه ، حتى المحاضرات وزيارات الأقاليم زهد فيها . بأذنى سمعت منه في وصف هذه الاحتفالات العامة بأنه " شغل ذكائني " أى عمل صغير متفرق لا قيمة له . ويأتى مصرع النقراشي باشا رئيس الحكومة ليضع الأستاذ في أشد المواقف حرجاً ..

كان كل أملة - كما سمعت منه بنفسه - أن يخلص باسم الإخوان المسلمين ومائة شاب أربهم ينتشرون في الأرض داعين إلى الإسلام ، ويجادلون الله عنى يوم القيامة حين يسألنى أقول يا رب ربيت هؤلاء ونشرتهم في الأرض يدعون إلى دينك ... " حصاد العمر الطويل : آلاف الشعب وآلاف المسكرات ، وآلاف الخلافات والجرائد والمجلات والمنشورات ، تتركز عنده في مائة شاب يلقى الله بهم ") مذكرات . عبد العزيز كامل . ص/ ٥٩ .

وأكد حسن البنا حقيقة تلك المشاعر ، وبين أنه على استعداد أن يساير الدولة في توجهاتها ، أو يتنازل بالكلية عن دوره في المجتمع ، سواء كان دوراً سياسياً أو غير سياسي ، قائلاً : « إنى خيرت المسؤولين في واحدة من ثلاث هي : إما أن يطلقوا سراح كبار الإخوان ، لنعمل معاً جادين مخلصين حسب توجيه الحكومة ، حتى تطمئن ويؤول ما في النفوس وتهتد الحواطير ، وإما أن يختاروا قرية أجلاً إليها ولو كانت مكاناً قفراً ، وإما أن يسمحوا لي بمغادرة القطر إلى أى بلد عربى أو إسلامى ، فلم يستجيبوا إلى أى واحدة من الثلاث » أهـ

تلك هي نهاية الرحلة السياسية لحسن البنا . قال القرضاوى (سيرة ومسيره . ٢ / ٧٦ ، ٧٧) : « وقد حاول الإمام أن شهيد حسن البنا بعد حل الإخوان عام ١٩٤٨م أن يسلك كل السبل ليجنب الإخوان الصدام الدائم مع الحكومة ، ولو تنازل عن بعض الأشياء في سبيل هذا الهدف ، حتى إنه قبل أن يترك السياسة في تلك الفترة ويتفرغ للتربية » أهـ وأكد على ذلك محمود عبد الحليم ، نقلاً عن الأستاذ فتحي رضوان قال : « في شتاء ١٩٤٨م كنت دائم الاتصال بالمرحوم الأستاذ البنا ، وقد

أسفر هذا الاتصال عن تفكيره رحمه الله جدياً أن يكل نشاط الإخوان المسلمين السياسي إلى الحزب الوطنى ، وأن يقتصر عمله هو ودعوته على الناحية الدينية » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ١٢٩) .

وعلق محمود عبد الحليم على هذا التصرف قائلاً : « تفكير الأستاذ المرشد العام فى أن يكل نشاط الإخوان السياسي إلى الحزب الوطنى أمر لم يكن لى به علم سابق حيث ، كنت فى ذلك الوقت فى القاهرة . ولكنى لا أستعبده ، فالأستاذ (رحمه الله) كان ليبياً مرناً ، واسع الحيلة ألعيا » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ١٣٠) فالشيخ حسن البنا إذا قال بالسياسة فهو الملى لبيب ، ومن خالفه فهو ناقص للإسلام ! . وإذا قال بترك السياسة فلا رجل مثله ، ومن خالفه فهو غبى ! .

وقد سبق لحسن البنا أن تنازل عن خوض العمل السياسي فى صورة الانتخابات البرلمانية ، ليفسح الطريق للدعوة ، وذلك فى أوائل الأربعينات ... ويعد هذا أيضاً من حكمته البالغة .. كما صورها عباس السيسى فى كتابه (مواقف فى الدعوة والتربية) قال : « وفى مارس سنة ١٩٤٢م تقدم الأستاذ المرشد ورشح نفسه فى دائرة الإسماعيلية ، واكتفى الإخوان بترشيح المرشد فقط عملاً بسنة التدرج فى الخطوات » أه ..

غير أن النحاس باشا مراعاة لحال البلاد طلب منه التنازل عن الترشيح فى مقابل أن يفتح له باب الدعوة . فوافق على التنازل عن العمل السياسي وخضع لإملاءات النحاس باشا .. قال حسن البنا : « ولقد جئت اليوم لأضع أمام الإخوان هذه التطورات الجديدة ، فقد دعاني مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة إلى مكتبه وطلب مني ضرورة أن أتنازل عن ترشيح نفسي عن دائرة الإسماعيلية ، فلما سألته عن الأسباب البررة لهذا الطلب ، قال لي : البلد في حالة سرب ، ومصطنعة البلد أن تتنازل .. وقال : إنه في حالة قبول التنازل ، لا مانع عندي من أن يكون لك حرية الدعوة في كل مكان .. وأمام هذا التصريح وافقت على أن أتنازل عن ترشيح نفسي » أه ..

وتحقق له من عام ١٩٤٢م حتى عام ١٩٤٨م فى مجال الدعوة ما لم يتحقق له فى السياسة .. قال عباس السيسى : « فكانت الفترة الزمنية ما بين عام ١٩٤٢م إلى نهاية عام ١٩٤٨م من أكثر فترات الدعوة بركة وإنجاحها فى تاريخ الدعوة ، حيث أتيح للإمام أن يسابق الزمن فى الوصول بالدعوة الإسلامية إلى مضمونها الكامل فى كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية » أه

وقبل ذلك بثلاثة أعوام خطط حسن البنا لترك العمل السياسي وعدم التدخل فى الأحداث الجارية واتخاذ مواقف سياسية معينة ، وذلك مع بدء اندلاع الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م .. مكتفياً بالعمل التربوى والاجتماعي ، ليقطع شوطاً كبيراً فى الدعوة ، يسهم فيه انشغال المستعمر والحكومة بالحرب . قال محمود عبد الحليم : « وكان المرشد يرى أن الحرب العالمية تغير وجه العالم وتفعّل فى سنواتها ما لا يمتنع فعله من تغيير فى مئات السنين .. فهى تختصر الزمن .. وعلى العقلاء الانتفاع بهذه الميزة قبل فواتها .. الخ

ومن هنا كان يرى : « أنه فى سبيل إنجاز هذا العمل الكبير يجب على الإخوان - فى خلال فترة الحرب - أن يغضوا الطرف عن الشئون السياسية فينتجبوا اتخاذ مواقف سياسية محددة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، مكتفين بالتعرض لما سوى ذلك من الشئون التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، وإذا دهمهم أمر سياسي معين فليعلم أن يتفادوه وأن يطوعوه لخدمة هدفهم الكبير .. ثم قال : إذا سلك الإخوان هذا المسلك فإنهم سيفاجئون العالم بعد انتهاء الحرب بأقوى هيئة قادرة على المواجهة وقادرة على النهوض بأثقل التبعات ويستحيل على أية قوة أن تقضي عليها لأنها تكون قد تركزت فى النفوس واختلطت بالمنهج وضربت بجذور الأعماق » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٤٤) .

ولم يكن حسن البنا بمفردة الذى انتهى إلى ترك العمل السياسي وإسناده إلى الساسة المخالفين له فى الرأى والمنهج ، المتهمين من وجهة نظره بالتذبذب والانشغال بالمصالح الشخصية على حساب مصالح الأمة ، بل شاركه فى ذلك حسن الهضيبي فيما بعد .. وذلك بقوله لحسن ع شماوى : « قل لعبد الناصر نحن مستعدون أن

نسلمه مفتاح المركز العام (أى نهى وجودنا كجماعة ولا تراق نقطة دم واحدة من أى مصرى) (آفاق عربية عدد ٦٤٨ مقال د/ جابر قميحة) وذهب سيد قطب إلى : «عدم إضاعة الجهد بالتدخل في الأحداث السياسية المحلية الجارية» (لماذا أعدموني) ..

وفى مؤتمر ملتقى الفكر الإسلامى الذى انعقد فى الجزائر فى الثمانينات : «وقف الدكتور سعيد رمضان البوطى يتحدث عن ضرورة اشتغال الدعاة بالترقية الروحية ، وترك السياسة لأربابها ، ويكفى الحكام أو الساسة ما يعانون من متاعب الحكم وأفات السياسة» (الشيخ الغزالي كما عرفته. ص/ ٢٨٠)

كذلك لم يستطع الإخوان المعاصرون الصمود أمام الضغوط الفكرية الذى تعرضوا لها فى الآونة الأخيرة ، خاصة بعد حصولهم على بعض الكراسى فى المجالس النيابية. فقاموا بعرض مرحلة جديدة فى حياة الجماعة تقوم على فصل العمل الدعوى عن العمل السياسي ، وذلك بتأهيل مجموعة من الشباب للخطاب السياسي وأخرى للعمل الدعوى . ولعلاقة لهؤلاء بأولئك .. أرادوا طمأنة جميع الأطياف السياسية فى حالة وصولهم إلى الحكم ، والتأكيد على أن الخطاب الدينى لن يؤثر بشكل مباشر فى توجهاتهم السياسية ، وأنهم يبقون كل الاتجاهات الفكرية ، ولو فى صورة حزب محافظ يتكلم فقط عن الآداب والأخلاق ، بعيدا عن القضايا الشرعية والدينية الخاصة ..

وقد كشف حقيقة هذا التوجه الدكتور/ عصام العريان ، كما نقل عنه الأستاذ حمدي الحسيني مراسل إسلام أون لاين.نت فى ٢٦-١٢-٢٠٠٥ حيث قال : «صرح القيادي البارز بجماعة الإخوان المسلمين الدكتور عصام العريان أن الجماعة مستعدة للفصل بين النشاط الدعوى والنشاط الحزبي السياسي، شريطة أن يسمح المناخ السياسي في مصر بذلك.. وحول دوافع عملية الفصل بين النشاط الدعوى والحزبي قال د/ العريان : « نريد طمأنة الجميع ، وتحميلهم المسؤولية معنا ، خاصة الشعب الذي غاب عن المشاركة السياسية الفعالة» أهـ .

.. وعندما شرع الإخوان فى عرض مشروعه السياسي أكدوا أنه لا علاقة له بأى دين من الأديان .. ونادى جمال حشمت بتغيير لغة الخطاب فيه ، وإخراجه من هيمة النص الديني ، حتى يتلائم مع الجميع ، قائلا : « كل ما نرجوه فى برنامج الحزب الذى طال انتظاره أن يراعى عدة أمور إجمالية وتفصيلية .. أن يصاغ بلغة سياسية بعيدا عن الصيغات التراثية الدينية - رغم مرجعيته الإسلامية- كى يفهمها الجميع ولكى يتجمع عليها كل من يقتنع بها بغض النظر عن مرجعيته أو ديانته هو ! وهى مهمة لاشك فى صمومتها» (نافذة مصر.نت ٣٠ / ٧ / ٢٠٠٧م)

تلك هى دعوة الإخوان تتناقض مع مبادئها وتهمل نوابتها .. وتنزل منبטה مهزومة ، تاركة الصيغة الشرعية الدينية ، التى أنشأت الجماعة من أجلها ، لتلبي احتياجات جميع الأطياف والأيدولوجيات . ولأشك أن العمل المستمسك بالمبادئ والقواعد التى تعبر عن حقيقة المعتقدات والأصول التى بنيت عليها الجماعة .. أى جماعة .. غير العمل التأثير بالاتجاهات والتغير بالعوامض ، القائم على الوصول إلى الحكم ، كغاية عظمى فى المقام الأول .

كانت هذه تجربة خاصة خاضها حسن البنا لما وصل بها إلى غايته الكبرى ، ولم يكن يدرك عظم المصائب التى ستمر بها جماعته ، كما كان يراها العلماء فى زمنه .. حتى انتهى إلى التنازل عن العمل السياسي ، والاستراحة من شروبه وفتنه إلى الحزب الوطني ، ونقض ما كان يدعو إليه حين قال : بأن «المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا» !! لحل الإخوان يستوعبون النصيحة النبوية . التى أشار إليها حديث العرياض بن سارية وفيه قال النبى ﷺ : «إنه من بعث منكم فسيرى اختلافا كثيرا فليعلمك بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإيماهم وسعدائهم الأئمة فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح)

الفكر الاشتراكي في دعوة الإخوان

في الزمن الماضي لم يكن عند الإخوان مانع من أن يعيشوا في ظل أى فكر ، سواء كان فكرا اشتراكيا أو فكرا رأسماليا . فقد كان الشيوعيون يوجهون الأسئلة للإخوان قائلين لهم : لنا برنامج اقتصادى فهل لكم برنامج ؟ فقام محمود صراف يسأل حسن البنا عن ذلك فقال : « إن برنامجنا الاقتصادى هو ما يقضى به الإسلام وهو العدل . والعدل يمكن أن يتحقق في الشيوعية وفي الرأسمالية على السواء .. لذلك فإن المذاهب السياسية لا تعنينا ، ويمكن أن يطبق الإسلام في ظل نظام اشتراكى يقوم على العدل ، كما يمكن أن يطبق في ظل نظام رأسمالى يتوخى العدل ، ونحن لا نسبق الظروف ، ونحنما يحين الوقت الملائم الذى لا بد أن نقدم فيه برنامجنا فسنفعل هناك مثلا : الملكية الزراعية التى ينبغى تحديدها . الخ » (الإمام الشهيد ص/ ٢٢) .

وفي زمن الثورة ..كان الإخوان من أكبر دعاة الاشتراكية .. والاشتراكية هي المرحلة الاقتصادية في الفكر الشيوعي ، ومنها برز فكر التأميم والتضييق على الممتلكات الخاصة ، وفيها يأخذ العامل ما يكفيه لا ما يستحقه .. والواقع يشهد أنه ما من دولة سلكت هذا السبيل إلا افقرت وأقلست ، كما افقرت الاتحاد السوفيتى وتفككت ، أو تحولت عنه إلى اقتصاديات السوق الرأسمالى ، كما تحولت الصين في المجال العملى التطبيقى .. فالاشتراكية فضلا عن كونها نظام اقتصادى فاشل ، لم يثبت نجاحها بالتجربة والبرهان .. فإنها مخالفة لفطرة الله التى فطر الناس عليها .. فقد خلق الله تعالى الناس درجات متفاوتة ، وقسم بينهم أرزاقهم ، كما قسم بينهم إغلاظهم ، قال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ سَخِرَاءَ وَرَحْمَةً وَرَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإيمان بالقضاء والقدر ليعيش المرء في

كنف الرضا بما قسم الله تعالى .. والواجب على المؤمن أن يقنع بما أعطاه الله ، ولا يطمع فيما في أيدي الغير ، وأن يؤدى ما عليه من حقوق لمجتمعه المسلم ، ولا يفتن في الاعتداء على عباد الله ، لتمييزهم عليه بشئ من المال أو الولد والجاه ، فهذا اعتراض على قدر الله ، ومشاركة لإبليس في حسده على عباد الله . والاشتراكية كذلك . سنط على الأرزاق .. واعتراض على القدر .

وقد أسس الأستاذ / محمد الغزالي للنظرية الاشتراكية في مصر في زمن الثورة ، فهو أستاذ سيد قطب في هذا الفكر . ومن جملة ما قال في هذا الباب : « وأرى أن بلوغ هذه الأهداف يستلزم أن نقبض من التفاصيل التي وضعتها الاشتراكية الحديثة مثلما اقتبسنا صوراً لا تزال مقتضية - من الديمقراطية الحديثة - ما دام ذلك في نطاق ما يعرف من عقائد وقواعد ، وفي مقدمة ما نرى الإسراع بتطبيقه في هذه الميادين تنقيح الملكيات الكبرى وتأميم المرافق العامة » (الإسلام المقتضى عليه . ص ٧٠) وقال في نفس الكتاب . ص/ ٧٩ : « إن أبا ذر استقى نزعة الاشتراكية من الرسول صلوات الله وسلامه عليه . » أهـ وقال ص/ ٨٤ : « عمر أعظم فقيه اشتراكي تولى الحكم . » أهـ ووضع الخطط الكاملة والبرامج المتنوعة للنظام الاشتراكي على مستوى الدولة ، في كتابه (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ، فقال : « وخطط الإصلاح التى رسمناها توجب علينا - دينا ودنيا - أن تشكل أوضاعنا الاقتصادية على نحو جديد ؛ إن كنا جادين في دفع غوائل القوضى والفساد في بلادنا .. وأمانتنا صور حية وبرامج مدروسة وأنظمة مطبقة في كثير من أقطار الأرض يجب أن نقبض منها ما نقيم به العوج ، ونحسم به الداء ، وننتصر على سبيل المثال لا الحصر الحلول الآتية لإنهاء بعض مشاكلنا السياسية والاجتماعية والأخلاقية .. وذكر منها :

١- تأميم المرافق العامة وجعل الدولة هي المالكة الأولى لموارد الاستغلال ... وإلغاء الشركات المتحركة لخيرات الوطن أجنبية أم غير أجنبية ..

٢ - تحديد الملكيات الزراعية الكبرى ... الخ

٣- فرض ضرائب على رؤوس الأموال الكبرى يقصد بها تحديد الملكيات

الغير زراعية. الخ

٤- نفرض ضريبة تصاعدية على التركات .. الخ (الإسلام والأوضاع الاقتصادية . ص/ ١٨٢ . ط. دار القلم ٢٠٠٠م)

وقد كان لسيد قطب الدور الأكبر بعد الغزالي فى تأصيل المفهوم الاشتراكى القائم على نزع الملكيات ، ولو كانت آتية بطريق شرعى ، لضباط الثورة المصرية ، وذلك قبل الثورة .. ثم قدمه لضباط الثورة على أساس أن هذا من صميم الدين والإسلام ، فقال فى كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية. ص/ ٤٣ ، ٤٤) : « وفى يد الدولة أن تنزع الملكيات وتأخذ من الثروات - بنسب معينة - كل ما تجده ضروريا لتعديل أوضاع المجتمع أو لمواجهة تفقأت إضافية ضرورية لحماية المجتمع من الآفات آفات الجهل ، وآفات المرض وآفات الحرمان .. إلى أن قال : بل فى يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعا وتعيد توزيعها على أساس جديد ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التى يعترف بها الإسلام وتمت بالوسائل التى يبررها - لأن دفع الضرر عن المجتمع كله أو اتقاء الأضرار المتوقعة أولى بالرعاية من حقوق الأفراد » أهـ

وعندما طبق عبد الناصر قانون الإصلاح الزراعى فى مصر عام ١٩٥٩م بارك مصطفى السباعى " المرشد العام للإخوان فى سوريا" خطواته . وقال فى. كتابه (اشتراكية الإسلام . ص/ ١٠٦ سلسلة اخترنا لك . عدد ١٠٨ . الدار القومية للطباعة والنشر . دار الكتب والوثائق - ي : ٣١٩٣٠ ، ٣١٩٣١) : « ولهذا كله نرى أن تحديد الملكية الزراعية بقانون كقانون الإصلاح الزراعى ، الذى صدر فى مصر أولا ثم فى إقليمنا الشمالى ثانيا أمر تحييز مبادئ التشريع فى الإسلام والواقع التاريخى لنحكم الإسلامى » . أهـ

ولم يكن هذا هو الكتاب الوحيد الذى اعتمد عليه فى الترويج للنظرية الاشتراكية فقد سبقه إلى ذلك كتاب " العدالة الاجتماعية لسيد قطب " .. الذى تأثر به قادة الثورة .. وقد أكد ذلك اللواء محمد نجيب أول رئيس لمجلس قيادة الثورة ..

وشهد بذلك الأستاذ محمد قطب الشقيق الأصغر لسيد قطب ، قائلا : قال محمد نجيب لسيد قطب تلفونيا : « نحن تلاميذك ، تاملنا على كتابك " العدالة الاجتماعية فى الإسلام " ، وعلى مقالاتك فى مجلة الاشتراكية ، ونريد أن تكون أنت مستشارنا فى الأمور الداخلية . » (محمد قطب . تسجيل . ترجمة حياة سيد قطب . موقع الإسلام اليوم . ١٣ / ٢ / ٢٠٠١م) .

ولم يكن الموقف من الاشتراكية ومشروع الإصلاح الزراعى ، الذى أصدره عبد الناصر موقفا خاصا بمفكرى الإخوان فقط ، بل هو موقف عامة الإخوان ، كما أكد على ذلك محمود عبد الحليم ، قائلا : « ومشروع الإصلاح الزراعى من المشاريع التى دار الحديث عنها قبل الثورة .. ولما قامت الثورة وجهت جل اهتمامها لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ . ولما طلب رأى الإخوان فى المشروع وأبدوا رأيهم فيه تبين أن هناك نقطة معينة يختلف الإخوان مع الحكومة حولها ، وهى مقدار الحد الأعلى للملكية ، فالحكومة تراه مائتي فدان والإخوان يرونه خمسمائة فدان » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٠٧) .

النظرية الثالثة لمعمر القذافي ...

لم يكن عبد الناصر بمفردة الذى تأثر بالفكر الاشتراكي ، الذى دعا إليه مفكرو الإخوان ، فقد زعم الإخوان أن المعبد معمر القذافي " قائد الثورة الليبية " اقتبس فكرة النظرية الثالثة من كتبهم وأقوال مفكرهم ..

وقد أكد ذلك الشيخ الغزالي فى كتابه (قذائف الحق.ص/ ١٢٣ منشورات المكتبة العصرية . بيروت) وفيه قال أحد قدامى الإخوان لمحمد الغزالي : « إننى فى حيرة ، وما أحسبني كنت وأهما عندما عدته من الجماعة ، إنه ليس فقيها إسلاميا ، ولا مفكرا إنسانيا يكن وصفه بأنه أتى من عند نفسه بما أتى به ، إنه يردد كل ما كتبه الإخوان من نظرات اقتصادية وحماسة للشرعية الإسلامية .. وأنت خير بأن ما نشر فى أرجاء العالم الإسلامي والعربي من هذه الكتابات لمؤلفي الإخوان أو لأصدقائهم العاملين معهم فى هذا الحقل والمتعرضين معهم للاضطهاد والبلاء .. لقد تبناه القذافي بما فيه من خطأ أو صواب ..

قلت (الغزالي) : أى خطأ ؟

قال : إنك أصدرت فى أوائل الأربعينات عدة كتب فى هذا الموضوع ، ثم نشر الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى أواخر الأربعينات كتاب العدالة الاجتماعية ، ثم نشر الأستاذ مصطفى السباعي كتابه اشتراكية الإسلام فى أوائل الخمسينات ، وفى هذه الغضون تمت ترجمة رسائل الأستاذ أبى الأعلى المودودي ، وقد خلطهم الإسلام بالاشتراكية على نحو لا يرضى أعدادا من المسلمين ..

قلت : إننا أربنا الأجيال الناشئة من ديننا ما يغنى عن استيراد الفلسفات الأجنبية الشاردة ، وأنا شخصيا قد أكون تجاوزت فى بعض العبارات ، لكن جوهر الموضوع إنصاف رافع لديننا الخفيف . قال : على أى حال فعن هذه الكتابات كلها نقل " القذافي " ما أسماه بالنظرية الثالثة...أهـ

مرجعية عبد الناصر الاقتصادية ...

تكونت بنيت أفكار عبد الناصر فى الوجهة الاقتصادية أو توافقت مع فكر سيد قطب ومحمد الغزالي ، فقد قال الغزالي : " عمر أكبر فقيه اشتراكي " وكذلك قال عبد الناصر .. وقال سيد قطب " لقد طبق عمر الاشتراكية فى سواد العراق ووزع الأرض على العامة .. " وكذلك قال عبد الناصر ..

وقال محمد نجيب لسيد قطب نحن نتلمذنا على كتابك العدالة الاجتماعية .. فقد كان عبد الناصر يسعى إلى تطبيق الاشتراكية - بمرجعية دينية - غنا منه أنها السبيل للأحد لدفع الاستغلال .. وكان يحتج ببعض النصوص الواردة فى كتاب " العدالة الاجتماعية " لسيد قطب .. وكتاب " اشتراكية الإسلام " للسباعي وكتاب " أوضاعنا الاقتصادية " للغزالي .. وكان يرى أن للاشتراكية مرجعية دينية. وتلك هى الشواهد الدالة على ذلك : حدث ذات مرة خلاف بين عبد الناصر وبين كمال الدين حسين فى ٤ مارس ١٩٦٤م بشأن الاشتراكية .

قال كمال : « إن ما وردى فى الدين كاف لرفع الاستغلال » فحاول عبد الناصر أن يقنعه بأن الاشتراكية العلمية التى وردت فى الميثاق ليست ضد الإسلام .. وأن النبي محمد عليه الصلاة والسلام كان يقول : « الناس شركاء فى ثلاث.. الماء والنار والكلأ » وهى العناصر الرئيسية للحياة فى ذلك الوقت .. وذكره بأن عدد المساجد قد زاد فى عهد الثورة حتى كاد يتضاعف إلى ١١ ألف مسجد إلى ٢١ ألف مسجد » (قصة ثورة ٢٣ يوليو لحمروش. مذبولى)

وقال فى يوم الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢م : « الدين الإسلامى ضد الظلم الاجتماعى وضد الاستعمار بكل معانيه ، إن الدين الإسلامى كان أول ثورة وضعت المبادئ الاشتراكية التى هى خاصة بالعدالة والمساواة » (عبد الله إمام .دراسة فى فكر عبد الناصر ص/ ٣٦٥) .

وحين التقى مع هيئة كبار العلماء فى اليمن . صنعاء ١٩٦٤م قال : « الإسلام

لم يكن ديناً فقط .. ولكنه كان ديناً ينظم العدالة على الأرض وينظم المساواة وينظم تكافؤ الفرص .. وهذا كله عبرنا عنه لكم في كلمة واحدة هي الاشتراكية .. الاشتراكية التي سنها محمد ﷺ .. الاشتراكية التي سنها عمر بن الخطاب ، الذي كان يخبط في الناس ويقول لهم من رأى منكم في عوجاجا فليقومه ، وكانوا يقولون له بكل جراءة لو رأينا فيك عوجاجا لقمناه أهـ

وفى لقائه مع أعضاء اللجنة التنفيذية يومى ٧، ٨ مارس ١٩٦٨ م قال : « أما النقطة الخاصة بعدم وضوح الرؤية وعلاقة الاشتراكية بالدين ، فقد تكلمت في مؤتمر قوى الشعب العاملة بكل وضوح وصراحة وفي التلفزيون وفي الراديو ، وأوضحته الفرق بين الشيوعية وبين اشتراكتنا وعددت أسباب ذلك .. وسبق أن تكلمت في بورسعيد ، ولا ينقصني إلا الصعود لمذنة القلعة وأن أقسم على ذلك ، ورغم هذا سنبعد من يشكك ولا يصدق ، إذن يوجد أناس لا يريدون التصديق أبداً .. هل حجبنا على الدين ؟ لا . هل منعت الصلاة ؟ لا .. بل العكس .. جعلنا تدريس الدين إجبارياً في المدارس ، وجعلناه مادة أساسية يترتب عليها الرسوب أو النجاح في الامتحان ، وكذلك نبي الكثير من المساجد ، زاد اهتمامنا بالجامعة الأزهرية .. أنا مثلاً عندما تكلمت عن الاشتراكية والإسلام ضربت أمثلة حتى يعلم الناس أنه في وقت ظهور الإسلام طبقت الاشتراكية والعدالة الاجتماعية في موضوعات كثيرة .. فعندما دخل الإسلام العراق طبقت الاشتراكية بالنسبة للأرض وكذلك في الأندلس » (دراسة في فكر عبد الناصر ص/ ٣٧٠ - ٣٧١)

ونفى أن يكون له علاقة بالماركسية ، قائلاً : « اشتراكتنا اشتراكية علمية ، قائمة على العلم ، وليست قائمة على الفوضى ... مقلناش اشتراكتنا اشتراكية مادية

ومقلناش إن احنا اشتراكتنا اشتراكية ماركسية ، ومقلناش إن احنا خرجنا على الدين ... بل قلنا إن الدين بتاعنا أول دين اشتراكي ، وأن الإسلام في القرون الوسطى حقق أول اشتراكية في العالم ... » (لقاء الرئيس مع أعضاء المكاتب التنفيذية ٨-٧ مارس ١٩٦٨ عبد الله إمام ص/ ٣٦٩ . دراسة في فكر عبد الناصر) فهذه

النصوص تؤكد ربط عبد الناصر الاشتراكية بالإسلام من خلال تلك المناهج التي عرضها الإخوان .. وقد كان من الممكن أن تعالج قضية الفقراء على أسس شرعية ، وأن يفتح الباب للأغنياء لاستثمار أموالهم ، وأرض مصر واسعة الأرجاء وطرق التملك في الإسلام كثيرة ، غير أن سيد قطب ومحمد الغزالي نسوا ذلك ، وفتحوا الأبواب لسلب الأموال والممتلكات ، ولو كانت ناشئة من طرق معترف بها في الإسلام .. وقد خلط سيد قطب والغزالي بين الغنائم التي كانت تجمعها الجيوش الإسلامية في الحروب والفنوحات ، وبين الأموال التي في حيازة أهلها .. فغنائم الحروب يجوز لولي الأمر أن يوزعها في المصالح الشرعية العامة ، كما وزع النبي ﷺ أموال حنين على سائر العرب وقرش ثألياً لقلوبهم ، وكما وزع عمر الأرض في سواد العراق على أهلها . الخ أما الأموال التي في حيازة أصحابها فلا يجوز الاعتداء عليها .. غير أن هاذين الرجلين أجازا سلبها وانتزاعها من أصحابها عنوة بغير رضا ، وقالوا هذه تعامل معاملة تلك ، على غير هدى من السلف الصالح (رضى الله عنهم) ولو أنهم سلكوا طريق النبي ﷺ في حفظ الأموال العامة ، وضيقوا السبل على الأموال المحرمة بمعرفة مصادرها لكان هذا أعظم للمجتمع وللأمة من التضييق على الأموال الحرة العفيفة ...

انتقاد عبد الناصر للمفهوم الاشتراكي ...

لم يكن عبد الناصر في أول أمر الثورة مندفعاً في اتجاهاته الوطنية من خلال المفاهيم الاشتراكية ، إنما كان متأثراً بمعاناة الفقراء . وعلى الرغم من أن سيد قطب ومحمد الغزالي قدما الشبهات للنساسة والمفكرين في تعزيز المفهوم الاشتراكي فإن عبد الناصر لم يكن قانعاً بهذا الفكر ، ولذلك انتقد المفهوم الاشتراكي أمام الجماهير في مناقشات المؤتمر الوطني عام ١٩٦٢م فقال : « إن الفكر الثوري قد وقع في الخطأ حين توهم أن الطبقة المحتركة التي كان لا بد أن تسلبها الثورة امتيازاتها الاستثنائية يمكن لها أن تقبل الوحدة الوطنية . »

ويفسر عبد الناصر ذلك فيما بعد فيقول في يوم السد العالي ١٥ يناير عام ١٩٦٧م : « الأساس الذي بنى عليه الاتحاد القومي لم يكن بالأساس السليم ، شئء

ضد العقل .. وضد الطبيعة ، واحنا كنا طبيين جدا ، وعاوزين نلم الاقطاعى الى أخذنا منه ألف فدان مع الفلاح الى وزعنا عليه خمسة أفدنة ، وكنا بنعتبر أنه حينسى ويقول إن احنا بنمشى فى المجتمع الجديد" (قصة ثورة ٢٣٣ يوليو لحمروش . مطبعة مديولى . ص/ ١٨٨)

عودة الحقوق إلى أصحابها ...

المحافظة على الملكية الفردية محافظة على الدولة ، وذلك لأن الدولة تمثل مجموع الأفراد . وإهدار الملكية الفردية إهدار للدولة ، وتضييع لمكائنها وذهاب لهيئتها ؛ لأن ذهاب الجزء يقضى بالضرورة على الكل .. والذى يعيش فى مصر يعلم أن قضية العقود والإيجارات المؤبدة من أعقد القضايا التى وقعت فى مصر ، لما نسبته من النزاعات والأحقاد بين الناس.. وإصلاح هذا الأمر يحتاج إلى أزمنة طويلة ومع ذلك فقد تم علاجها بفضل الله تعالى ، وهذا من أعظم الأمور التى محمد للرئيس مبارك ، إذ رد الأملاك الزراعية إلى أهلها الأصليين ، وغير صيغ العقود العامة ، بما يتوافق مع النظام الإسلامى ، الذى يجعل للفرد حرية التصرف فى أملاكه عند تأجيرها إلى أجل ، لا يمنعه أن يستردها إذا شاء ، كما هو الحال فى المملكة العربية السعودية .. وقد اعترض الاشتراكيون على تلك القرارات اعتراضا شديدا .. وأظن من تراجع الرئيس عبد الناصر عن المفهوم الاشتراكى وبيانه لفساده فى آخر حياته لو طال به العمر لانتهى إلى نفس ما انتهى إليه الرئيس مبارك .. فبعد الناصر لم يكن يطبق الاشتراكية فى مصر تطبيقا كاملا ، فهناك شركات ومؤسسات لم تكن تخضع للمفهوم الاشتراكى كشركات البترول .. وبينما كان عبد الناصر يملك الأرض للفلاحين كان لا يملك المصانع للعمال . وهذا اتجاه متناقض مع المفهوم الاشتراكى .

ثمبند الناصر لم تكن تشغله المشاعيم الاشتراكية بقدر ما كان يشغله انفقراء ، ولذاكان يقول " ليس فى الاشتراكية باباوات " ، ولكنه أخطأ عندما تصادم مع حقوق الأغنياء ، كما أنه أخطأ عندما لم يفرق بين العدالة والمساواة .

وقد اعترف بذلك فى خطابهاته الأخيرة . وأظن أن هذا يدفع تمسك بعض

الاشتراكيين المقلدين للمفاهيم الموروثة مهما كان فيها من ظلم .. ويؤكد أن رد الأمور إلى العلم والشرع والدين أولى من التعصب للأشخاص والأفراد ، وأن الاعتراف بالخطأ أعظم من التمدادى فى الباطل . وأن النظر فى المصالح العامة لا يكون على حساب المصالح الخاصة..

الفكر الديمقراطي في دعوة الإخوان

الإسلام والممارسات الفكرية المعاصرة ..

الديمقراطية لها صور وأشكال حسب موقعها : فهي في المفهوم السياسي يطلق عليها نفس الاسم " الديمقراطية " ، وفي المفهوم الاقتصادي يطلق عليها الرأسمالية ، وفي المفهوم الفكري الثقافي يطلق عليها العلمانية .. وهي في جميع المجالات تدور حول مفهوم الحرية المطلقة .. التي يروج للبعض أن يسميها بالليبرالية .. وهي كلمة لاتينية مشتقة من " لير " يعنى " الحر " وخلفها ينسبر العلمانيون المعاصرون .

والإسلام لا يرد الأفكار لكونها مستوردة من بلاد كافرة ، فالأفكار المستوردة فيها الحق وفيها الباطل ، فهي لا تقبل على الإطلاق ولا ترد على الإطلاق ، بل لا بد من التفصيل ، فما كان منها حق قبلناه ، وما كان منها باطل رددناه .. وقد كان الإسلام أسبق في بيان ماينفع الخلائق وما يضرهم .. ففي الإسلام الشورى قبل أن يعرف الغرب الديمقراطية التي يحلو للبعض أن يجعلها مرادفة لمفهوم الشورى .. وفي الإسلام الحرية المنضبطة قبل أن يعرف الغرب الحرية الإباحية ، فقد فتح الإسلام مجال الفكرة العلمية ، التي تميز بين الحق والباطل ، كما فتح مجال الفكرة التي تفرق بين النافع والضرار . قال تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ﴾ [سبأ : ٤٦] فإذا انتضبت الفكرة وانتهى مراد السالكين إلى عبادة قوامها الحب والخوف والرجاء كذف الله تعالى في قلوبهم نورا يضيء سبلهم وسعادة خالصة يحسدكم عليها أهل الأرض باختلاف مللهم .. وإن حرّموا ذلك غرقوا في بحور الجنون والسفاهة .. قال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [آل عمران : ١٣٠] ..

أما بالنسبة لأمر الدنيا وتجارب الحياة فلم يصادر الإسلام اختراعا .. ولم يرد رأيا ثابتا له قواعده وأصوله - سواء في أمور الدين التي ترجع إلى الاجتهاد في فهم النصوص وتنزيلها على الواقع ، أو في أمور الدنيا التي تعتمد على التجربة

والبرهان .

بينما كان الغرب مغلولاً في ظلمات الطغيان والاستبداد ، وذلك بنسب كنهة الكنائس على جميع فئات المجتمع ، فلا يستطيع عالم أن يناقش فكراً ، ولا أن يظهر اختراعا ، إلا إذا وافق عليه الكهنة والقساوسة .. وكذلك في المعتقدات الدينية ، فلم يكن لأحد أن يناقش مفهومها دينياً على سبيل الدراسة والطلب ، بل عليه أن يؤمن به جبراً ، دون دليل من النقل الثابت أو العقل الصريح .. وهذا هو السبب في بغض الغرب لمفهوم الدولة الدينية .

أما في مجال الحقوق . فقد أوصى الإسلام بأهل الذمة خيراً ، واستطاع المجتمع المسلم أن يتعايش معهم بضوابط آمنة ، وضمن لهم أداء عبادتهم ، وحفظ كنائسهم ، ومنع إكراههم في الدين ، قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ورفض الإساءة إليهم ، طالما أنهم موفون بالعهد الذي بينهم وبين الحاكم المسلم ، قال ﷺ : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة » (رواه البخاري في الجزية والمواصلة ٣١٦٦) وقال ﷺ : « لا إن من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » (رواه أبو داود والبيهقي عن صفوان بن سليم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦٥٥) ولولى الأمر أن يدافع عنهم إذا تعرضوا للمظلمة ، ولعامة المسلمين أن لا يخفروا ذمة محمد ﷺ معهم .. فقد حكى ابن حزم في مراتب الإجماع : « أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا بقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرع والسلاح ونموت دون ذلك ، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة ، وحكى في ذلك إجماع الأمة » (الموسوعة الفقهية ٢ / ٥٣٥٢) .

كما أن لهم كافة حقوق التقاضي بالعدل ، ولهم البر والإحسان والصدقة والزيارة والمراسلة والهدية والملاطفة في القول والفعل ، والتعزية عند حلول المصائب ... وللمسلمين أن يتزوجوا من نسايتهم ، وأن يأكلوا من طعامهم ، وأن يقولوا هداياهم ، وأن يستعينوا بهم في صد العدوان ، وأن يردوا عليهم السلام « وعليكم »

.. وإذا ارتضوا التناظر في حقيقة المعتقدات بالإسلام يفتح باب التناظر ، بضوابط معلومة وقواعد ثابتة ..

قال القرطبي المالكي في (أنوار البروق في أنواع الفروق للقرطبي المالكي . الفرق ١١٩) : « وأما ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية فالفرق بضعيفهم ، وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم ، وإكساء عاريهم ، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة ، لا على سبيل الخوف والذلة ، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منا بهم لا خوفاً وتعظيماً ، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم ، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم ، وصون أموالهم وديارهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم ، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم ، وإصالحهم لجميع حقوقهم ، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله ومن العدو أن يفعله مع عدوه فإن ذلك من مكارم الأخلاق » أه .. وقد أقر الإسلام تلك المبادئ، بينما كان قسطنطين ملك الرومان لا يمكن المخالفين لمذهبه النصراني من الاحتفال بأعيادهم وإقامة صلواتهم .. أما بالنسبة للملكيات الخاصة فقد كان الإسلام أسبق وأحرص على الملكيات الخاصة من النظم الأوروبية القديمة والمعاصرة على السواء ، وفي الإسلام تشريعات ونظم تعاقب من اعتدى على الملكيات الخاصة عقاباً شديداً ، وما ذلك إلا لأجل كرامتها ومكانتها.

وفي النظام الاقتصادي ضبط الإسلام قواعد التصرف في الأموال العامة والخاصة وحرر الضعفاء والفقراء ، فلم يجعلهم عبداً للدولة ، كما في النظام الاشتراكي ، ولا عبداً للمعاملات الربوية وتوابعها ، كما في النظام الرأسمالي ، وإنما ضمن لهم الحقوق كاملة من خلال منظومة شرعية متكاملة متعلقة بالاعتقاد ، تقوم على الرحمة والعدل والتكافل . وتحترم العقول وتمنع الظلم والبغي والغش والاحتكار والاستغلال، وتبيح البيع ، وتحرم الربا بجميع صوره .

أما في مجال الحرية الذي يطلقون عليه العلمانية . أو علمانية الفكر .. فليست حرية كل إنسان فوق الشريعة .. ولا مقدمة عليها .. ولا فوق كل شيء كما يقولون

.. هذا من أبطل الباطل .. فلا بد من قواعد تضبط حركة الإنسان في الحياة .. ليس بشهادة علماء المسلمين بمفردهم ، بل بشهادة الفلاسفة الذين قالوا إن العدل فوق الحرية .. فلم تكن الحرية مطلقة في أي أمة من الأمم ، وإلا كيف اتفقت الأمم في الرجوع إلى ضوابط تضبط حركة الإنسان .. إما ضوابط شرعية منزلة من قبل الله تعالى على الأنبياء والرسل على أعلى الضوابط وأرقاها .. وإما ضوابط يتفقون عليها فيما بينهم .. والإنسان على مر التاريخ يفقد حريته المطلقة عند الوقوف أمام نظام المجتمع الذي يعيش فيه .. وما ذلك إلا لأن العدل أعلى القيم ، فهو أسمى من تلك الحرية التي تبيح للإنسان أن يفعل ما يشاء في ماله وعرضه ونفسه وعقله ودينه وأرضه . ولو لم تكن الضوابط أعلى من الممارسات لفسد الناس ولفسدت الحياة . ولو لم يكن لإثبات علو الضوابط على الممارسات إلا ما يستشعره كل إنسان من وازع وإرادة في النفس متمثلة في الجوانب المتعلقة بالشاعر ، وكذلك الجوانب المتعلقة بالعقل تتمتع من الوقوع في المحرمات والخطايا الظاهرة والباطنة لكان ذلك كافياً في الدلالة على أن سلطان القانون أعلى من سلطان الممارسات العامة ، وأعلى من قيم الحرية المطلقة - التي يعمل الإخوان على فتح المجال لها في أيديولوجياتهم المعاصرة ، كي تنتهك كل مقدس وتضلع كل كرامة - كيف وقد أنزل الله تعالى شريعة محكمة شاملة ضابطة للممارسات العامة ، داعية إلى حفظ الدين والدماء والعقول والأنفس والأعراض والأموال، ثم يجعلها العلمانيون دون الحرية التي هي على مفهومهم أن يفعل الإنسان ما يشاء ؟.

الشاهد : أن الإنسان لا بد أن يكون عبداً في جميع أحواله ، إما أن يكون عبداً لله تعالى أو عبداً لغير الله . وهو في جميع أموره يخضع لمعايير خاصة في مسائل الحب والخوف والرجاء .. إما أن تكون من عند الله تعالى فيكون عبداً له فيها .. أو تكون من عند غير الله فيكون عبداً لمن وضعها ..

فكيف يستبيح العلمانيون تنفير الناس من عبادة الله الواحد القهار وترك شرائعه وعصيان رسله وأنبيائه ليعبدوا غير الله ويتبعوا أنفسهم وأهواءهم ؟..

✽ أما بالنسبة لنظام الحكم فقد ضمن الإسلام نظاما مستقرا آمنا قائم على البيعة لولى الأمر ، سواء كان ملكا أو رئيسا .. ونظام البيعة لا يستغرق وقت المجتمع فى صراعات دائمة ترهق العقول ، وتشتت الذعر ، وتضيع الأموال فى الدعايات والمؤتمرات ، وتهدر المبادئ وتضيع القيم والأخلاق ، كما فى النظم المعاصرة.

الديمقراطية مفهوم وضعى ...

الديمقراطية كمفهوم وضعى لا تهتم بحقوق الله تعالى ، الذى خلق وأبدع ، والذى ضمن لمن اهتدى بهداه ، واتبع أنبياءه ورسله السعادة فى الدنيا والآخرة .. ولا تهتم بالحقوف من الله تعالى ولا بالرجاء منه ولا بالحب فيه .. ولا تهتم بالسبل الموصلة إلى ذلك ولا تراعيه .. إنما تدور المفاهيم الديمقراطية حول حقوق البشر خاصة ، وتدور بمفهوم قاصر لا يضمن الصلاح ولا يحقق السعادة ..

فلم يثبت بالضرورة التلازم بين حرية الاختيار فى التشريع القائم على المفهوم البشرى فى النظام الديمقراطي مع تحقيق المصلحة والسعادة للمجتمع جنبا إلى جنب ، بل على العكس من ذلك فالديمقراطية فى صراع دائم بين الأقلية وبين الأغلبية ، صراع بين جميع فئات المجتمع وبين من يمثلهم . صراع حول تحقيق الذات .. بما يحول دون تحقيق المصلحة والسعادة للجميع أغلبية كانت أو أقلية . والتفكك الأسرى والانهايار الأخلاقى والخلل الدينى والشقاء الروحى والجرائم المتنوعة فى بلاد الغرب دليل أكد على ذلك.

والديمقراطية مفهوم بشرى متفاوت الصور ، نظرا لتفاوت الطبقات وتفاوت المعايير وتفاوت الملل .. ومن أجل ذلك فحكمها حكم الممكن ، الذى يتعثر ويتخطى ويحول .. فالشعب الذى أقر الاشتراكية فى كثير من بلاد العالم وجعل لها أصولا وينودا فى الدساتير ، هو نفس الشعب الذى انقلب عليها باسم الديمقراطية ، وغير من أجلها الدساتير ، وذلك فى عقود متقاربة ..

والنواب الديمقراطيون الذين أقسموا على حفظ القانون والدستور هم نفس النواب الذين يعملون بالليل والنهار على تغيير القانون والدستور . وهم فى نفس

الوقت يستغلون تفويضا عاما من الشعب فى أن يقولوا ما يشاءون دون الرجوع إلى الشعب كى يحدد لهم وجهته ومراده .. ولا يستطيع الشعب أن يتخلص من هذا التفويض إلا فى نهاية الدورة الانتخابية المقررة .. كما أن الشعوب مذبذبة فى الاختيار والحكم . فالشعب الألماني الذى اختار الحزب النازى بالطريقة الديمقراطية هو نفسه الشعب الذى أسقطه باسم الديمقراطية .

ويضاف إلى ذلك أن المفهوم الديمقراطى يفتح الباب للملايين التشريعات والاجتهادات التى يقف دون احتوائها أذهان عامة البشر ، لكثرتها وتغيرها المستمر . فورا كل قانون قانون وخلف كل دستور دستور . وليس هناك مجال للتربية ! ومن أجل ذلك فلا يمكن للديمقراطية أن تكون مرجعا ثابتا أو سبيلا معصوما ..

والديمقراطية بمفهوم أصحابها لا يمكن أن تتناوب الآراء وتخضع لها إذا اختلفت الملل والعقائد والأجناس والدول .. فكل دولة لها رأى ، وكل مجتمع له عاداته ، وكل أمة لها فلسفتها الخاصة فى الحياة .. وأعطى الدول ديمقراطية فى العالم تجعل لنفسها فى مجلس الأمن حق النقض الفتوى ضد دول العالم .. لو اجتمعت على شىء ، فيقدرتها أن تلغيه بمفردها ، من منطلق القوة والسيادة .. فأمريكا حين احتلت العراق لم تعبأ بمجلس الأمن ولا بالأمم المتحدة ، وداست على كل المفاهيم الديمقراطية .. واجتازتها من قبل احتلت نصف العالم وفعلت جميع الجرائم والقبائح واركتبت جميع المظالم ، تحت ستار الديمقراطية .

وما ذلك إلا لأنها تخضع لقواعد ونظم وثقافات خاصة ، هى بالضرورة أكبر من المفهوم الديمقراطي .. تلك القواعد نابعة من عاداتها وعقائدها وجنسها ، وبجوارها تهدر آراء الدول والشعوب ، مهما كانت مكانتها .

وهذا يدل على أن الاتفاق على المفهوم الديمقراطى بين الأمم من المستحيلات .. فهؤلاء فى الحقيقة ينظرون للحياة البشرية والأجناس المختلفة معهم والملل المعارضة بمنظور محدود قاصر .. فالعدل الذى يشندون ليس عدلا مطلقا من حق جميع الدول أن تنعم به ، إنما هو عدل قاصر على ملهم ومذاهبهم وأجتاسهم ..

والأخلاق التي يدعون إنما هي أخلاق تدور في دائرتهم ، أما خارج نطاقهم فجميع أنواع التلون والانحطاط من نصب من يتعاون معهم .. وتبادل الآراء وتناوبها إنما هو أمر خاص بهم ، أما الدول الأخرى فلها الدكتاتورية والاستبداد . وحقوق الإنسان التي يتشدقون إنما هي حقوق الإنسان الأصفر أو الأحمر الذي تجري في عروقه الدماء الزرقاء ، أما العرب والسودان والهنود والترك فهؤلاء هم لأقيمة لهم ولاكرامة . فكل القوانين التي يفرضون وكل التشريعات التي يلزمون والديمقراطية التي يلهثون إنما هي لهم فقط .

فهم يعذبون السجون عرابا في أبي غريب بالعراق وجوانتانامو في بنما ، أما إذا قطع زرار أحد العملاء المتممين إليهم في دول العالم العربي انتفضوا وهاجوا وماجوا . فهم يكيلون بمكيالين ويوزنون بميزانين كشأن المناققين في كل زمان ..

ديمقراطية الإخوان هي نطاق الممارسات الحزبية ..

كان حسن البنا ضد الأحزاب ، وكان يراها سيئة الوطن ، وكان يدعو إلى اعتزال : « المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي ، والأندية والصحف والجماعات والمدارس ، والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية ! مقاطعة تامة » (الرسائل.ص/ ٤٠٣) وكان يرفض الائتلاف بين الأحزاب ، وقال :

« إن الإخوان يعتقدون عمق فكرة الائتلاف بين الأحزاب ويعتقدون أنها مسكن لا علاج ، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض ، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت قبل الائتلاف » (الرسائل ص/ ٢٠٢) .

وقد أكد على ضرورة حلها ، قائلا : « ولا مناص بعد الآن من أن تحمل هذه الأحزاب جميعا وتجتمع قوت الأمة في حزب واحد » (الرسائل.ص/ ٢٤٥) وكان يؤكد أن جماعته جماعة دعوة ، وليست حزبا من الأحزاب . وقد سأله محتود عساف ، قائلا : لماذا لا تكون حزبا سياسيا كباقي الأحزاب وتدخل الانتخابات ببرامج مثلهم ؟ فقال : « نحن دعوة . ولسنا جمعية ولا هيئة ولا حزبا » . (مع الإمام الشهيد. ص/ ١٩) .. وقد أكد حسن البنا كما تقدم رفضه بكل وضوح للأحزاب ،

دون تعلق بحالها في زمنه ، باعتبار أنها تتنافى مع الوحدة التي يريدها الإسلام) سلسلة الرسائل . ص/ ٣٢٠ .

وقد وضع التلمساني فيما نقل إبراهيم قاعدو في كتابه (الإخوان في دائرة الحقيقة الغائبة) علة رفضه تكوين حزب للإخوان باعتبار أن لها : « أسلوبا معينا في العمل » ، ولأن للحزب برنامجا ونحن ليس لنا برنامج أو متهاج ، لأننا ندين بكتاب الله وسنة رسوله (وهو منهاجنا لهذا المعنى ، ولأننا لا نفر الأساليب التي تتخذها الأحزاب سبيلا للوصول إلى أهدافها ومن بينها الحكم . » أهـ

وكان حسن البنا يرى الدعوات المخالفة لدعوة الإخوان دعوات متذبذبة مصيرها الزوال والانقراض ، طالما لم تنضم إلى جماعته ، وتؤمن بفكرته . فقال في (الرسائل . ص/ ١٩) : « موقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحبا به وما خالفها فنحن براء منه » أهـ .

وقال ص/ ١٨١ تحت عنوان « إلى الشباب » : « أيها الشباب : على هذه القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعا . فإن آمنتم بفكرتنا ، واتبعتم خطواتنا ، وسلكت معنا سبيل الإسلام الخفيف ، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك ، ووقفتم لعقيدتنا كل جهودكم فهو الخير لكم في الدنيا والآخرة ..

وإن أبيتُم إلا التذبذب والاضطراب ، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقله ولا بكثرة : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] . » أهـ

وكان يرى خصومه غناء لا قيمة لهم ، فقال : « فليس لنا ولله الحمد في الداخل خصوم ، وإن كانوا ففناء كغناء السيل إما ثاروا وإما غاروا » (في قافلة الإخوان.ص/ ١٤٦)

« أما بالنسبة للفكر الديمقراطي في نطاق الممارسات العامة .. فقد كان حسن البنا يرفض الترشيح للمجالس النيابية لم يكن متصفا بصفات أهل الحل والعقد ،

فقال : «والإسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد .. وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة» (رسائله . ص / ٢٤٦)

وكان يحصر الاستفتاء فى القضايا العامة بين أهل الحل والعقد ، وقال فى (الرسائل . ص / ٢٤٦) : «الإسلام لم يشترط استبانة رأى أفرادها جميعا فى كل نازلة وهو المعبر عنه فى الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام ، ولكنه اكتفى فى الأحوال العادية بأهل الحل والعقد » أهـ

وهذا مما يعده المعاصرون من الإخوان تطرفا وانغلاقا عن النظام الديمقراطي ، الذى يفتح الباب لجميع الطوائف والأيدلوجيات ، للمشاركة فى الحياة السياسية .

أما بالنسبة لأخطر التعبير فى الممارسات الداخلية فى الجماعة ..

فلم يعرف الإخوان طيلة حياتهم إلا رأى المنبثق من المرشد . وكان حسن البنا لا يقرب إليه إلا ضعاف الناس اكتفاء بولائهم له ، مما يشير إلى موقفه من رأى والرأى المخالف له فى المجال العملى التطبيقي .. كما قال محمد الغزالي آنفا .

وكان يفرض علي أتباعه الطاعة المطلقة ، كما فسر ذلك بقوله :

« وأريد بالطاعة التامة امتثال الأمر وإنفاذه توا فى العسر واليسر والمنشط والمكره » (رسالة التعاليم . ص / ٣٩٧) ...

فإذا بلغ العضو منهم درجة الأخ الركيزة فإنه لا يستطيع الإقدام على أداء فريضة الحج أو التفكير فى الزواج أو الطلاق إلا بعد أخذ الإذن على ذلك من القائد المسئول عن تكوينه . كما قال الصباغ فى كتابه (التنظيم الخاص . ص / ١٤٠) وقد بلغ حد استخدام السلطة المطلقة فى زمن حسن البنا أن أصدر فرمانا فى جريدة الإخوان الرسمية أمر فيه أتباعه بعدم إطلاق التسمية إلا بعد أن يؤذن له بذلك من المرشد العام . وكان بعضهم يستجيب لذلك لظنه أن المرشد لا يخطئ ولا يجرى على قوله الاحتمال . كما تقدم بيانه . وقد كتب الغزالي كتابه " فى كفاحنا الإسلامى " واعترض على هذا المفهوم ، فسحبوه من الأسواق ، وهددوه بالقتل ، لأجل أن يصير المجتمع جاهلا بأمورهم ، قال القرضاوى : « وما هيح الشيخ أكثر واستثار

غضبه أن بعض المتحمسين من الإخوان تحمده وهدده بالقتل إن تكلم أو كتب » (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) وقد أكد الدكتور عبد العزيز كامل تلك النظرة فى دعوة الفى دعوة الإخوان ، قائلا : « كان هناك اتجاه محافظ يرمى إلى المحافظة على ماضى الجماعة كأنه تراث مقدس لا يمس .. وكان دم الأستاذ البنا وكفاحه الطويل وما له من مكانة فى قلوب الإخوان حائلا دون القدرة على النقد والتقييم ، وكيف يقيمون وفى هذا اختلاف للآراء ، فى وقت هم أحوج ما يكونون فيه إلى الوحدة ؟. هكذا قالوا » (مذكرات عبد العزيز كامل . ص / ٦٣)

ولا يزال هذا هو المنظور المعاصر الذى يتعامل به الإخوان مع ناصحيهم .. فالنقد عندهم سباب ، والنصح عميل .. والواجب الكتمان ، حتى لا يعرف الناس عنا شيئا ، وتبقى صورتنا مقدسة فى نظر الناس ، لا تشوبها شائبة .. ويوضح تلك الحقيقة للمهندس أبو العلا ماضى " أحد منظرى الإخوان السابقين " قائلا : « المشكلة أن الإخوان اعتبروا النقد شتيمة .. وعندما عاتبوني على هذا النقد .. قلت لهم : وهل أنا أخطأت .. فردوا : ليس خطأ ولكن المقروض ماتقولش .. لأن الناس ما تعرفش عنه حاجة ... » (جريدة الخميس المصرية ٥ / ١ / ٢٠٠٦) ..

وفى حوار مع (محيط . نت للمعلومات العربية) بين أبو العلا ماضى حقيقة الكبت داخل المجتمع الإخوانى ، قائلا : « المشكلة تكمن فى أن أغلب القيادات ترى الأفراد على ألا تناقش أو تعترض أو تنتقد وإذا فعل ذلك يوصف بالتمرد وأنه يعانى من حب الذات وحب الظهور وتضخيم الذات .. وأصبح الشاب المسلم بين نارين السكوت على بعض الأوضاع التى تحتاج إلي تقويم رغم أنه يريد أن يشارك بالنقد فيما يستحق النقد والتصويب أو يطبق السمع والطاعة ويتحول إلى آلة دون أن يكون له أدنى قدر من المشاركة فى صنع القرار والتشكير .. أهـ

فالمرشد هو الخصم والحكم .. وله الحق كما فى القانون الأساسى للجماعة أن يوقعهم .. وللمطروود أن ينظمم إليه هو فقط .

وطريق الإخوان مرسوم لا يجوز فيه الجدل ، وهكذا قال حسن البنا : « إن

طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده .. من أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلي غيرها من الدعوات « (رسالة المؤتمر الخامس)
وهذا ما أكده المؤرخون منهم في التعامل مع من يختلف معهم .

قال السيبي : « فمن كان يؤمن بما يؤمن به الإخوان فهو منهم ، ومن كان يؤمن بأفكار أخرى غير أفكارهم فعليه أن ينصرف إلى المحيط الذي يتلاءم مع أفكاره ، وأوصحننا لهم أننا لن نسمح في دارنا لمن يخالف اتجاهنا » (في قافلة الإخوان ص / ٢٥٩) .. وقد أخبرني شيخنا الفاضل الأستاذ / عبد العزيز عاشور (حفظه الله) « وهو أحد قدامى أنصار السنة في المركز العام بعبايدن بالقاهرة » أن : « شباب الإخوان المسلمين الذين تعلموا التوحيد والسنة وتدريبوا على وسائل الطلب والتحقيق في جماعة أنصار السنة في الفترة التي كان فيها الإخوان في السجون .. هؤلاء الشباب لم يقبلهم الإخوان معهم بنفس الاعتقاد والمنهج عندما خرجوا من السجون ، وخيروهم بين ترك هذا المنهج الذي انتهوا إليه في مقابل البقاء معهم في الجماعة وإلا الطرد والإبعاد » أه ..

وهكذا الإخوان إلى الآن . قال الشيخ جاسم المهلهل : « دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أى شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ، ولو كان من أروع الدعاة فهما للإسلام وعقيدته » (للدعاة فقط ص / ١١٢ ، وانظر الوقتات للمجمي ص / ٩٤) .

وقد أقر الدكتور / عصام العريان بوجود هذا النوع من الاستئصال في الجماعة إلى الآن ، قائلا : « الإخوان يفتقدون أعدادا هائلة كل عام بسبب شروط العضوية ، وأنا من أنصار أن من لا يصلح كعضو لا يجب فقده ، ولكن عندما يسيطر فكر " التنظيم أولا " يحدث هذا » (الشاهد للدراسات السياسية . نت) .

آثار الفكر الاستئصالي ... في دعوة الإخوان ..

ونتيجة لهذا الفكر الاستئصالي الذي تربي عليه دعاة الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن لم يستطع عالم من علماء الشريعة المشهود له بالدين والدراية أن يتفقد أمرها .. وحلا للأزمات وخروجا عن الخلافات فأكبر الأعضاء سنا هو الذي له الحق في تولي المسؤولية والوصول إلى درجة المرشد ، بقطع النظر عن علمه أو فقهه .. وقد كان هذا المنطق التنظيمي أحد أوجه الاختلاف الواقع بين الإخوان والغزالي ، وقد حذرهم من ذلك ، قائلا كما في كتابه (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي) : « فاحذروا على كيانكم أيها الإخوان هذا التطاول الذي - إذا كره طارد العلماء المجاهدين وإذا رضى قرب المداهين أو القاعدين ثم ادعى بعد ذلك أنه يحكم بما أنزل الله » أه ..

ونتيجة لذلك لم يكن لمثل هذه الجماعة أن تستوعب المثقفين والمفكرين ، الذين يملكون المفاهيم الفكرية للجماعة نفسها داخل التنظيم ، حتى إن أمثال هؤلاء يؤثرون العمل خارج الإطار التنظيمي للجماعة من العمل داخلها . فقد خرج كثير منهم ضحرا من الجماعة وهربا من ضغوطها التي لا تتيح لأحد أن يسمع أو يتكلم أو يفكر إلا بالكيفية التي يفرضها القادة . وكثير من هؤلاء ممن يحملون على كاهلهم فكر التغيير الديمقراطي الليبرالي دعوة الإخوان . ومع ذلك لم ينتج لهم السيادة في الجماعة ، كما أتبع للامة منهم ..

وفي الجانب الديني خرج منهم أحمد الباقوري ، وعبد العزيز كامل ، ومحمد الغزالي ، و سيد سابق ، والقرضاوي . لم يستطع هؤلاء جميعا العمل داخل الإطار التنظيمي لجماعة الإخوان ، بينما استطاع أكثرهم أن يفعل ما يريد ، من خلال الدولة التي يحاربها الإخوان ، حتى في زمن عبد الناصر .. ولا أظن عاقلا يقبل الاستمرار في تلك الجماعة إلا إذا ألقى عقله ، وتنازل عن كافة حقوقه في التفكير والنقد والاعتراض ، واستسلم للأمر غير مأسوف عليه .. ورضى بالجماعة وهى تلفظ أكبر مفكرها وأدبائها ، بل وتبرأ منهم .. وأناس بهذا الوصف لا يعرفون مبادلة الآراء

والأفكار ولا ينزلون على حكم الآخرين مهما كان قدره ..

والإخوان ينقلون في كتبهم عن عبد الناصر أنه كان يريد أن يحرك البلاد بزر في أول عهد الثورة ، كما حكى فريد عبد الخالق عنه قوله :

« أنا أشعر أنني خلال سنتين أو ثلاث إلى وضع يمكنني أن أضغط على زر تتحرك البلد كما أريد لها وأن أضغط على زر فقف » (الإخوان في ميزان الحق . ص/ ٨٨) ونسي هؤلاء أنهم أول من أنشد ذلك .. فقد أوجب عليهم حسن البناء تنفيذ الأوامر في التو واللحظة ، قائلا : « أريد بالطاعة التامة امتثال الأمر وإنفاذه توا » (رسالة التعليم ص/ ٣٩٧) نظام الطاعة " نظام عسكري بحث من الناحية العملية " كما قال . فأى زر أشد من هذا الزر ؟

لأجل ما تقدم يشكك كثير من الناس في تصريحات كثير من المتحدثين الرسميين للإخوان ، الذين يزعمون أنهم يعيشون داخل مجتمع حر ، أو حتى في مجتمع ديمقراطي بالمفهوم المعاصر أو بمفهوم الشورى ، وذلك لأنهم لا يعبرون عن حقيقة ما يدور في الداخل ، الذي يمارس الاستبداد القهري ، على وجه لا مثيل له إلا في المجتمعات الكهنوتية الباطنية . حتى وردوا المهالك والمحن .

وقد شهد بذلك محمود عبد الحليم حين عاتب المستشار عبد القادر عودة على موقفه من لجنة الإصلاح ، بقوله : « إن دماء هؤلاء أمانة في أعناقنا نحن الذين اختارونا قادة لهم ، يتلقون منا دون مناقشة ولا مراجعة ، فمن حقهم علينا أن نطعمهم على ما عندنا . الخ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٩١) .

ويكفي إلى الآن أننا لم نر أحدا من منظري الإخوان اعترض على تصرفات المرشد العام التي تمس الحياة العامة على الملأ ، كما يعترضون على الرؤساء على الملأ ... وهذا التعميم لا ينتج إلا من عقول ترى أن المرشد إذا أخطأ فلا ينبغي تخطئة على الملأ ، حتى يبقى علما مقدسا في أذهان الناس في مقابل مجتمع مظلم مشوه .. قال أبو الملا ماضي : « ودائما كنت أقول لهم هو مطلوب مني أن أكون شجاعا أمام الرئيس وأكون أربيا أمام المرشد العام .! أنتقد رئيس الدولة ولا أستطيع أن أنتقد أبا

رمز في الإخوان .! » (جريدة الخميس . ٥ / ١ / ٢٠٠٦) .

ولو قدر أن انتقد أحدهم المرشد على صفحات الجرائد .. فالمعقوبة هي تحذير القواعد الشبابية منه ، وتحميد عضويته ، كما حدث مع الدكتور المليجي حين انتقد الجامعة في الناحية المالية والدعوية على الملأ .. فانقلبه الأستاذ عاكف . وقال في جريدة الكرامة : « إذا كان لدي المليجي استفسار أو تساؤل فلماذا لم يأت إلينا ، ويجلس معنا ويناقشنا ، ساعتها سرد عليه ، وإذا كان من يسأل عنه يحتاج إلي دراسة أو مشورة سنقوم بها ، أما الكلام في الجرائد فهذا أسلوب معيب ولا أقره ، فهو خارج عن المؤلف في الجامعة » (الكرامة ١ / ٥ / ٢٠٠٧ م . محمد سعد عبد الحفيظ) .

فالنصيحة الخاصة بالجامعة لا تكون على الملأ ، حفاظا على الجامعة ، أما تعرية المجتمع ونشر عوراته فهذا من أوجب واجبات الجامعة .. فالمفهوم الديني لحفظ صورة الجامعة نقية أمام المجتمع .. والمفهوم الديمقراطي للدولة والمجتمع ، لأنه السبيل الأوحد لتتبع الجامعة على كرسى الحكم .

الإخوان بين الحرية والشرعية ..

ظهر بمرور الأيام والتجارب أن نظرات حسن البناء قبالة الأحزاب والديمقراطية صارت عائقا أمام وصول الإخوان إلى سدة الحكم ، ولا بد من مراجعة هذا النهج ، كي تتوافق السبل مع الواقع الجديد .. فالأمة لم تعد تجتمع على تلك المفاهيم التي تقوم على مبدأ المغالبة ، ولا بد من المشاركة - ولو في المرحلة الدعوية - ولا مانع من استبدال الخطاب السياسي بالخطاب الديني . ولا مانع من التنازل عن المقدسات التي أسسها حسن البناء . ولا مانع من الموافقة على إقامة الأحزاب باختلاف توجهاتها الفكرية . علمانية ليبرالية كانت ، أو شيوعية ، أو نصرانية أو شيعية أو يهودية . ولا ضرر من الموافقة على الائتلاف مع جميع الأحزاب ، ولا مانع من اختراق الهيئات وال نقابات ، إما بالانتخابات ، وإما بالأموال ، وإما بالخدمات الاجتماعية .. وتأكيدا على حسن النية ، وتديلا على الوفاء للديمقراطية جعل الإخوان غياب الأيدولوجيات

الفكرية المعاصرة مشكلة كبرى تهدد استقرار المجتمع وأمنه .. قال عصام العريان : « الإخوان ليسوا استصاليين ، ولا يستعدون أحدا ، من واجب الإخوان المحافظة على وجود تيارات متنوعة في المجتمع ، لأنه ضمان له ، فالمجتمع إذا تكلم بلغة واحدة واجتمع على رأى واحد فهذه مشكلة كبيرة لأنه لابد أن تتنوع الآراء وتعدد الاتجاهات » (الأسبوع . ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٥م) وحتى تطمئن جميع الأطراف السياسية لدعوة الإخوان فتح عبد المنعم أبو الفتوح أبواب الترشيع لرئاسة الجمهورية للزنادقة ، فقال : « حق لأى مواطن بغض النظر عن دياناته وعقيدته السياسية ، فحتى لو كان زنديقا فمن حقه أن يرشح نفسه ، وإذا اختاره الشعب فهذه إرادته ، لأن البديل فى هذه الحالة هو أن تحارب الشعب وتصبح مستبدا ، وهذا ما نرفضه تماما ففتح مع ما يختاره الشعب أيا كان » (العربى ٥ أكتوبر / ٢٠٠٣ م) وقال مثل ذلك فى (أفاق عربية . ١٧ فبراير ٢٠٠٥ م) وذهب إلى ما هو أكثر من ذلك ، فقال :

« إذا أراد الشعب أن ينحي الإسلام ويرفضه ويرفض أن يكون مرجعية فنحن نحترم أيضا خياره إذا اختار غير ذلك ، نحن مع خيار الشعب » (الجزيرة . نت . ١٤ / ٢ / ٢٠٠٥ م) .. ولم يقف الأمر عند ذلك .. فقد اتسع نطاق الحرية فى الاتجاهات الإخوانية المعاصرة ، ليشمل الدعوة بكل صراحة إلى الإلحاد والزندقة .. بشرط أن تنشر تلك الأعمال على نفقة أصحابها . قال عبد المنعم أبو الفتوح :

« الأعمال المختلف عليها من حق صاحبها أن ينشرها على نفقته أو على نفقة ناشر خاص ، ويقول فيها ما يشاء ، حتى لو كان يدعو إلى الإلحاد... » (العربى . ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣م)

وقد شاركه فى تلك الدعوة محمد عاكف إذ طالب الدولة : « بإعطاء الشعب حريته فى الحركة والدعوة إلى الله ، وحتى الدعوة إلى العلمانية والإباحية وأن تكون الحرية للجميع » (نافذة مصر . نت . ٤ / ١٢ / ١٤٢٧) .

وانتهى القرضاوى إلى القول بأن : « المطالبة بإطلاق الحريات مقدمة على تطبيق الشريعة » (الأهرام . الأحد ٢٩ / ٨ / ٢٠٠٤)

وقد يغتر بعض الأعمار ويصفق لما يسمع من الإخوان فى الفضائيات والمتديتات السياسية من الثناء المستمر على الحرية وقبول التعددية الحزبية والديمقراطية بمفهوم تبادل الآراء والشورى .. الخ

والحقيقة أن هذا الأمر لا يعرضه الإخوان من باب الحرية .. فإنهم لم يعرفوا الحرية ولم يمارسوها فى حياتهم ، فقد كانوا كالتوتى بين يدى مرشديهم .. ولما ذلك من باب فرق تسد . شنت جهود المجتمع فى أحزاب هزيلة ، لتبقى فقط قوة الإخوان ظاهرة على الساحة من أجل الضغط السياسي ، أو لمن أراد استخدامها فى ذلك ، حتى يدرك من تولى عنهم أنه لن يصل إلى شئ بدونهم .

ثم إن الحرية بمفهومها المطلق فيها ما يتناقض مع الإسلام ويدعو إليه .. فلا بد أن يعرف ماذا يقصدون بهذا المفهوم ؟

فالحرية عند الليبراليين لها مفهوم مطلق يبيح الكفر بالله وعبادة الشيطان وممارسة الرذيلة والزواج المثلي والدعوة إلى الإلحاد .. وإقامة المنظمات والهيئات التى تنفخ فى نشر تلك الدعاوات ، وتهيئة المجتمع لها .. بحجة أن هذه حرية شخصية .. فهذا حق من الحقوق التى يقدها الفكر الليبرالى . فهل يؤمن الإخوان بذلك ؟ . نعم هذا أمر ثابت فى كتابات عبد المنعم أبو الفتوح وتصريحات محمد عاكف .. فعندهما ما يدل على جواز فتح الباب لنشر الإباحية والعلمانية والإلحاد .. وليس هذا من نهج الدعاوات الإسلامية .. ولا شك أن مقصدهم من الحرية يرمي إلى نوع من الفوضى الداعية إلى تهيج المجتمع للتخلص من الدولة ..

ولو أرادوا حرية التعبير .. فالتناس فى هذه الأيام يعبرون عن آرائهم فى الصحف وفى المجلات ، إلى أقصى حد .. وعلى كل فقد تبين من تقديم الحرية على الشريعة فى دعوة الإخوان عدة مسائل ينبغى التنبيه عليها :

المسألة الأولى : أن الإخوان يعتقدون أن فتح الباب للممارسات السياسية وإعادة الشعب الإخوانية أهم وأولى من تطبيق الشريعة .. تلك هى الحرية التى تؤمن للإخوان الاستحواذ على المجتمع قبل الحكم حتى يكون الجميع تحت تصرفهم وفى ملكتهم ..

المسألة الثانية : أن الإخوان يسلكون هذا النهج تطميئا لطائفة معينة . وكسبا لودها ، ولو على حساب المناهج ، التي كانوا يكفرون مخالفتها من قبل ..

المسألة الثالثة : إذا كان المقصود أن الله تعالى خلق الإنسان قادرا مختارا وأن له كسبا مؤثرا يحاسب عليه يوم القيامة فهذا صحيح ، ولا يجب أن يجبر الإنسان على خلاف ما يعتقد. قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [البقرة : ٢٦٥] وقال تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف : ٢٩] وتلك الآيات تخص من أراد أن يدخل في الإسلام ابتداء .

فلا بد من الرضا واليقين . أما أن يدخل في الدين بالتناق ، ليتلاعب به ويرتد عنه ، ليشكك الناس في دينهم . فقد حدد الدين للمتلاعب به عقوبة القتل مرتدا ، قال النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » (البخاري . ٣ / ١٠٩٨)

وقد قاتل أبو بكر المرتدين ، وحرق علي السبابة . وعلى ذلك فلا يمكن أبدا أن يقال إن الحرية في الإسلام تمنى إباحتها للكفر والردة والمعصية . فهذه أمور نهى الله تعالى عنها وحرّمها ، وحد حدودا تحفظ المجتمع من شرورها . فمن جعل الكفر من المباحات الشرعية فقد قلب الدين وزيف الشريعة وضل عن سبيل الله .

المسألة الرابعة : أن الإخوان لم يعرفوا الحرية في تاريخهم ، كي يكونوا من دعائهم .. فقد تربوا على الطاعة العمياء ... وكانوا بين يدي شيوخم كالموتى بين يدي مغسلهم .. وجعلوا الفكر البشري لإمامهم في درجة المقدس .. ولم يفهموا إلا بالامر .. ولم يتزوجوا إلا بالامر .. فكيف يكون أمثال هؤلاء من دعاة الحرية ؟

المسألة الخامسة : أما قول الإخوان بتقديم الحرية على الشريعة فهو قول ناتج من خلل بالغ في فهم الشريعة ، واتهام عظيم لها بالقصور أمام مقومات النفس الإنسانية الضرورية وحوادثها .. وما تقدم بكفى لبيان ذلك .. ولا يتقطع العجب من قول الإخوان أنهم من دعاة الحرية المطلقة ، بينما هم ينطلقون بغير وعى على من ينتقدهم أو يتعرض لتاريخهم المهيّن وأفكارهم الشاذة بالمحاربة والتشنيع والتضييق ، كأنهم أبرياء من كل تقصير ، ولو نزلت صحيفة أكتتاب فضبح أحوالهم كانوا أسرى

الناس في إخفاء أسرارهم ..

وأخيرا فليعلم كل امرئ: أن الله تعالى رقيب على العباد . لا تخفى عليه خافية ، وكل إنسان راجع إليه ، وكل راجع واقف بين يديه ، وكل واقف مسئول على ما قدم وآخر ، فهو الرب الرقيب الحسيب . والخلق عباده لم يخلقهم سدى بلا حساب ولا عقاب . ليقبل من شاء ما يشاء . بل هناك حساب وعقاب ، قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] .

الدول القبرية تطلب الحوارج الإخوان ...

عندما وصل الإخوان إلى هذا الحد فتحت لهم دول أوروبا وأمريكا أبواب الحوار المتعاون والتلاقى .. وبدأت تقوى شوكتهم ، وتمارس الضغوط على الدول العربية والإسلامية من أجل إتاحة فرص الظهور لهم .. فهذا هو الإسلام المعتدل ، الذي يريد الغرب بدلا عن الإسلام المنطرد والأنظمة العربية القائمة .. فالأهداف واحدة .. بل إن الديمقراطية التي يسعى إليها الإخوان أشد انحرافا من التي ينادى بها الغرب .. فالديمقراطية المطلقة عند الغرب لها قواعد تحكمها وضوابط تقيدها ، تبعاً لدينها الذي تدن به ، وأغلبية أهلها .. فآلمانيا لا توافق على وجود أحزاب نازية ، وفرنسا لا توافق على وجود أحزاب ملكية ، وأمريكا لا توافق على وجود أحزاب شيوعية .. لا للدعوة إلى الإحاد ، ولا لمناقشة قضايا المجتمع .. غير أن عبد المنعم أبو الفتوح أبى إلا أن يسلك مسلك " اندروز راسموسين رئيس الوزراء الدنماركي " ففتح الباب لحرية الفكر ، ولو كان يدعو إلى الكفر والزندقة ..

والعجب أنه على الرغم من أن أمريكا لم تراع مشاعر المسلمين ، عندما احتلت بعض الدول الإسلامية إلا أنه عندما نشرت صحيفة دغاركية صورة مشينة في حق الرسول (، وادعت أن هذا يجر من حرية الفكر امتزجت أمريكا على ذلك ، وقالت على لسان رئيسها جورج بوش : « إن احترام الأحاسيس الدينية مقدم على حرية الفكر والنشر والتعبير » . وقال كورتيس كوبر « المتحدث باسم الخارجية الأمريكية » : « كلنا نقر حرية الصحافة والتعبير ولكنها يجب أن تقتنر بالمسؤولية » (الأخبار ٤ فبراير ٢٠٠٦م) .

وعندما رفض راسموين^١ الاعتذار للمسلمين ، وقال : « إنه لا يستطيع أن يمنع الصحافة في بلاده من أن تكتب أو ترسم أو تنشر ما تراعى مؤكداً أنه يقف إلى جانب حرية الفكر » (الأهرام ٤ فبراير ٢٠٠٦م) ..

رد عليه الرئيس مبارك في تصريح لـ^٢ وكالة أنباء الشرق الأوسط " قائلا : «إن حرية الرأي والتعبير التي نكفلها ونحترمها لا ينبغي أن تكون ذريعة للنيل من المقدسات والمعتقدات » (الأخبار ٤ فبراير ٢٠٠٦م) ..

هذا هو موقف الدول .. غير أن مفكرى جماعة الإخوان يغازلون الدول الغربية بأكثر قدر من الضلال ، ليكونوا بديلا عن الحكومات والجماعات . فلم يلتزموا أى ضوابط ، ولم يراعوا أى قواعد . لا قواعد الإسلام ، ولا ثوابت المجتمع ، بل ولا مكانة الدستور الذى يقول الدولة مسلمة ودينها الإسلام ، والمصدر الأول للتشريع هو الإسلام .. يريدون أن يقولوا نحن واجهة شريفة للديمقراطية ، نحن البديل المناسب لمواجهة التطرف .. نحن الإسلام الديمقراطي المتطور ..

وإن كان الإخوان يرفضون هذا الانتهام ، ويقولون إنما أردنا فقط أن ندعم موقف الدولة ضد الاتجاه الداعى إلى الإصلاح السياسي في المنطقة بمنظور أمريكى .. ونحن نريده بمنظور داخلى ! فالحقيقة تشهد أن منظور الإخوان الداخلى أشد خطرا على الأمة الإسلامية من المنظور الأمريكى .. فالمنظور الأمريكى في ظاهره يريد أن يجعل للتوجهات الإسلامية المعتدلة التى عد الإخوان واحدة منها مساحة فى الحرية والظهور .. كما قال ريتشارد هاس^٣ .. كما تقدم ..

أما الإخوان فإنهم يفتحون الطريق للزنادقة للوصول إلى الحكم ، ويقدمون فروض الولاء الفكرى للغرب على طبق من ذهب ..

وقد أرادت أمريكا ذويان ثقافات الدول الإسلامية في ثقافات الدول الغربية وأمريكا .. وقد وقعت الدول الإسلامية أمام المشروع الأمريكى ، باعتبار أن للأمة الإسلامية خصوصية فى الدين والحضارة واللغة ..

ففى مصر حذر الرئيس مبارك من الحادثة فى الدين باسم الإصلاح والديمقراطية، وحث على اقتفاء آثار الصحابة الشرفاء ، وقال فى خطابه الذى ألقاه

فى السادس والعشرين من رمضان ١٤٢٥هـ :

« فعلى علماء المسلمين توخى الحذر فى التعامل مع ما يتنادى به البعض من تطوير وتحديث للديانة الإسلامية بادعاء أن ذلك يجعلها أكثر تمثيا مع التيار الدولى المتصاعد نحو الإصلاح والتحديث ، الذى اتخذ أحد مظاهره أخيرا مطالبة البعض بتغيير مفردات اللغة العربية ، التى أنزل الله بها القرآن على نبينا الكريم ، واتخذت فى بعضها الآخر مظهر التعرض بالشكيك والتأويل لسيرة نبينا الكريم وصحابته الشرفاء ، وأؤكد هنا بكل صراحة ووضوح أن القيم والمبادئ السامية التى نزل بها قرآننا الكريم - باللغة العربية - لا تحتاج إلى أى تغيير أو تطوير ، إلا أن ما نحتاج إليه اليوم هو تطوير سلوكياتنا كمسلمين ، حتى تتفق على نحو أكبر من هذه القيم والمبادئ وحتى يظهر الإسلام بصورته الحقيقية » (الأهرام ٢٧ رمضان ١٤٢٥هـ) . ولا يمكن أن تتوفر تلك الضوابط الواردة فى هذا الخطاب عند مخرفى الطرق الصوفية الذين يردون الشرع والعقل ويعظمون الخرافات والخيالات ، ولا عند الأشاعرة الذين جعلوا العقل شرطا لصحة النقل والإيمان .. حتى دعاهم إلى التعطيل والتأويل ، ولا عند العلمانيين الليبراليين الذين يسقطون التكاليف الشرعية ويعظمون الفلسفات الغربية .. إنما تنحصر تلك الضوابط فقط فى منهج السلف أهل الحديث .. (رضى الله عنهم وأرضاهم)

وفى المملكة العربية السعودية أكد سمو الأمير نايف بن عبد العزيز أن المملكة متفتحة على العالم فى التقدم والتكنولوجيا ، أما الفكر والثوابت والتراث والدين فلا .. وقال : « إن بلاده ترفض أن تنجر إلى فكر أو حياة الآخرين ، مؤكداً " تمسكنا بثوابتنا وأخلاقتنا النابعة من العقيدة الإسلامية " .

وقال : نأمل أن نشارك الآخرين فى التقدم الصحيح .. التقدم العلمى والاقتصادى والعرفى ، أما الثقافة والفكر والحياة لا .. نحن نرفضها تماما نحن لنا ثوابتنا ولنا أخلاقنا النابعة من عقيدتنا ومن تراثنا متمسك بها لأن فيها صلاح أمرنا » (القدس العربى ١٩ / ٥ / ٢٠٠٩) .

(الخاتمة)

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى وبعد : فلو كانت ضوابط الحق وموازن التوحيد والسنة في حركة الإخوان آخذة بزمام المبادرة في إصلاح الدين ورأب الصدع لما قمنا بأرد عليهم ، ولكننا رأينا انتكاسا في الأمر والنهى ، وخلطا في المفاهيم والأفكار ، وتهوينا للسفن ، واحتقارا للأئمة ، وتعظيما للفسهاء والضعفاء ، وهذا يدفعنا إلى توجيه النصائح وبذل المعروف بكلمة الحق ، خاصة أن كثيرا من الدعاة أصبحوا أداة لتوظيف الدين لخدمة تلك الجماعة ، كما أن كثيرا من دهماء الناس اغتروا بما يدعيه قادة تلك الحركة بأنهم كثرة .. ولولا ذلك ماردنا عليهم .. وحتى لا تتمتر مسيرة دعوة أهل السنة والحديث أردنا أن نبين الموقف من تلك النكبات الإخوانية ، ونوضح أنه لا علاقة لها بالإسلام ، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من كل ما خالف معتقد أهل الحديث وسبلهم ، سواء من حركة الإخوان أو من غيرهم . ولقد كتبت هذا الكتاب تحذيرا للشباب وطلبة المدارس والجامعات والمسلمين عامة باختلاف طبقاتهم العلمية ودرجاتهم الوظيفية من تلك المتزلزلات الخطيرة وهذا التقليد الأعمى في تلك الجماعة .. وهو مجرد نصيحة في الله لم يحملنا فيها الجدال إلى السباب واللعان ، فليس هذا هو طريقنا ، كما تلوكه السنة الحصوص ، وإنما هو بيان لتعلو كلمة الله تعالى ، ولندحض البدعة مهما كان فاعلها ، وما قسونا إلا ليزدجروا ، ومسلكتنا فيه أن نعرف الرجال بالحق لا أن نعرف الحق بالرجال ، وأن نتعصب للدليل . والبرهان لا إلى قول فلان وفلان ..

هذا ما أردت بيانه إحقاقا للحق وإبطالا للباطل . والله تعالى أسأل أن يهدي بهذا الكتاب من قرأه ونشره ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء . ٨٩] كما أسألك اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تحفظ بلادنا وبلاد المسلمين عامة من فتن الإخوان وأذيالهم ، وأن تبصرنا بطريق السلف الصالح أهل الحديث (رضى الله

عنهم ، طريق التوحيد الخالص والسنة المطهرة .. وأنت تجعل أعمالنا ابتغاء وجهك الكريم . كما أسألك اللهم أن تغفر لى ولوالدى ولشايخنا ، وأن تغفر لأهل ولاولادى وإخواننا فى الله تعالى وللمسلمين أجمعين ، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

وكتب : أبو عبد الرحمن /

على بن السيد الوصفى

رفع

فهرس الموضوعات

عن (الشيخ) (الشيخ) (الشيخ)
أسكن الله الفردوس
الموضوع

الصفحة

٥	مقدمة المؤلف
٢٣	الفصل الأول: تاريخ ونشأة
٢٤	نشأة جماعة الإخوان المسلمين
٢٨	مناهج المرشدين
٢٨	منهج حسن البنا
٣٠	حسن الهضيبي
٣١	عمر التلمساني
٣٣	محمد حامد أبو النصر
٣٣	مصطفى مشهور
٣٣	المامون الهضيبي
٣٣	محمد عاكف
٣٥	مفكرو الإخوان
٣٥	الاستاذ سيد قطب
٣٦	الاستاذ محمد الغزالي
٣٧	الشيخ القرضاوى
٣٨	أحكام علماء الدين
٣٨	صفات أهل البدع
	فى عام ١٩٥٤م .. أعلن مشايخ الأزهر أن جماعة الإخوان تستخدم
٣٩	الدين لكسب ثقة الناس فيهم، وأنها انحرفت عن منهج القرآن والسنة

- مراحل متعددة وأحكام منسوخة ٤٠
- أقوال الأئمة ٤٤
- ١- ليس لهم عقيدة واضحة ٤٤
- ٢- ليسوا من أهل السنة ٤٥
- ٣- ليسوا من أهل المناهج الصحيحة ٤٥
- ٤- يسعون إلى الحكم بضراوة ٤٥
- ٥- مفرقون للجمع ٤٥
- ٦- متلونون ، لا يحترمون السنة ٤٥
- ٧- حكم المحدث الشيخ محمود شاكر في الإخوان ٤٤
- ٩- ليسوا على أساس ٤٦
- ١٠- خوارج انقلابيون ٥٤
- ١١- مفسدون في الأرض ٥٤
- الإخوان يطمنون في الإخوان ٥٧
- سيد قطب ٥٧
- أ- السذاجة والضعف النفسي ٥٧
- ب- ضحالة فكرية ٥٧
- ٢- محمد الغزالي ٥٨
- أ- جماعة مخترقة من الماسونية العالمية ٥٨
- ب- جبناء في حياة حسن البنا ٥٨
- ت- حقوقيون فاشلون في الإدارة ٥٨
- ث- التنظيم الخاص كان أداة للتخريب والإرهاب ٥٨
- ج- القادة يتحللون طرق الأحزاب المنحلة ٥٨
- ح- عيون يتطاير منها الشرر ضد من يقيم الشهادة لله ٥٩

- خ- يأبون الحكم بما أنزل الله على أنفسهم ٥٩
- ٣- المستشار حسن الهضيبي والشيخ القرضاوى ٥٩
- جماعة مليئة بالزاعات والأهواء ٥٩
- غلاة في الحب والكراهة ، غير صادقين في الحكم ٦٠
- ٤ - أحمد رائف ٦٠
- ٥ - السذاجة السياسية ٦٠
- محمد قطب ... العبث في مواجهة السلطة ٦٠
- ٦- محمود عبد الحليم ٦١
- أ- اقتفاء مبدأ ميكافيلي لمصلحة الدعوة ٦١
- ب - سايحون في الأوهام ٦١
- ٧- عبد العزيز كامل ٦٢
- أ- سطحيون يسخرون من العلم والمنهجية ٦٢
- ب- يظنون أن الله تعالى تمهد لهم بتصحيح أخطائهم ٦٢
- ٨- سعيد حوى ٦٣
- أ- أصحاب الأفلام المأجورة والألسنة المسعورة ٦٣
- منحرفون في التصوف ٦٣
- ٩- سعد الدين صالح ... لا يسمعون ولا يفقهون ٦٣
- ١٠- أبو العلا ماضي ٦٤
- أ- لا يقولون النصيحة كأنهم معصومون ٦٤
- ١١- سيد عبد الستار المليجي ٦٤
- أ- جماعة يقودها الصرافون وليس الدعاة ٦٤
- ب- مذبذبون في فهم أهداف الجماعة ٦٤
- بعض القادة مشاركون في تلطيع أعراض إخوانهم ٦٤

١٧-	عصام تليمة	٦٤
	عاطفة مجردة من العلمية	٦٤
	معروف بخيت	٦٥
	خطاب مضطرب	٦٥
	الأمير/ نايف بن عبد العزيز : «الإخوان سبب المشاكل في العالم الإسلامي»	٦٦
	الفصل الثاني : الخلل التربوي في دعوة الإخوان	٦٧
	تأثر حسن البنا بالسيد عبد الوهاب الحصافي الصوفي	٦٨
	تأثر حسن البنا بنواب صفوي الراجحي	٧١
	تأثر حسن البنا بالأفغاني	٧٧
	الإخوان منظمة سرية	٨١
	فكرة التنظيم السري	٨١
	متى يلحق الشباب بالتنظيم السري ؟	٨٣
	بداية التربية الإخوانية	٨٣
	لماذا يرفض أهل الحديث التنظيمات السرية ؟	٩٠
	التربية الحزبية في دعوة الإخوان	٩٤
	منهج الصحابة	٩٦
	مثل الإخوان	٩٧
	احتجاج قديم	٩٨
	متى أسفر حسن البنا عن فكر التجميع	٩٩
	القاعدة الشهيرة	١٠١
	نظرية اللباب والقشور	١٠٣
	مرجعية الإخوان	١٠٣
	تتبع الرخص والزلات	١٠٥

١١١	معالجات تربوية مؤسفة	١١١
١١١	صورة أولى .. جمال البنا والتلمساني لا أمرك ولا أنهارك	١١١
١١٢	صورة ثانية : سيد قطب ومقال عن العري	١١٢
١١٣	صورة ثالثة : عدم تنفيذ حجج الشيوعيين	١١٣
١١٧	صورة رابعة : الرد بالتنظيم على أسئلة أحمد رفعت	١١٧
١٢٥	غاية التربية في الفكر الإخواني	١٢٥
١٢٥	الغاية الكبرى : الوصول إلى الحكم	١٢٥
١٣٠	القضايا التربوية المعاصرة في دعوة الإخوان	١٣٠
١٣٠	١- فكر التحالف وحدوده	١٣٠
١٣٤	٢- تكوين حزب سياسي	١٣٤
١٣٧	٣- الانتخابات والإخوان	١٣٧
١٣٩	٤- المظاهرات	١٣٩
١٤٨	الفصل الثالث : الخلل العلمي في دعوة الإخوان	١٤٨
١٥٤	لا تقرأوا التفاسير !	١٥٤
١٨٤	الفصل الرابع : الآثار المسلكية الفاسدة في دعوة الإخوان	١٨٤
١٨٥	مظاهر الغلو والغرور	١٨٥
١٩٠	التمام والكمال	١٩٠
١٩٢	ثانيا : مظاهر الكذب في دعوة الإخوان	١٩٢
١٩٢	الكذب المقصود	١٩٢
١٩٣	١ - الهيئة التأسيسية تتفق على الكذب	١٩٣
١٩٥	٢- مكر وسذاجة	١٩٥
١٩٦	٣- تلايس د/ يوسف القرضاوى	١٩٦
١٩٦	١ - الخصومة بين الإخوان	١٩٦

- ب- كذبة الوظائف ١٩٩
- ٦- تلايس زينب الغزالي ٢٠٠
- ٧- إعدام سيد قطب وهو ميت ٢٠٢
- ٨- صياحات محمد مهدي عاكف .. وكذبة الأرقام الفلكية .. حقائق الترفيه التي اعترف بها الإخوان في سجون شمس بدران ٢٠٣
- تغاغل متعمد .. ترفيه في السجون ٢٠٥
- تكوين التشكيلات الطبقية ٢٠٦
- الأنشطة الرياضية .. الأنشطة الفنية والمسرحية ٢٠٦
- ٩- كذبة التلمساني في حق الملك فاروق ٢٠٧
- ١٠- كذبة التلمساني في حق الملك عبد العزيز آل سعود ٢٠٨
- ١١- تطوير الأزهر بين الباقوري والتلمساني ٢٠٩
- ١٢- الصباغ يشكك في كتابات التلمساني ٢١٠
- ١٨- الدكتور محمد مرسى يكذب عبد المنعم أبو الفتوح ، ويتهم آراءه بالشذوذ ، ويرد على العريان ويتهم آراءه بالخداع ٢١١
- ١٩- د / توفيق الواعى وتشنيعاته ٢١٤
- ثالثا : مظاهر التلون والتقية ٢١٩
- التقية ومفاسدها ٢١٩
- الإخوان والتقية ٢١٩
- التقية في منهج حسن البنا ٢٢٢
- تدبير المكائد .. حسن البنا والكشكول الجديد ٢٢٣
- التقية في الأحكام ٢٢٧
- التقية ملكة ومنهج في حركة الإخوان ٢٣١
- ١- الهضيبي وحل الجماعة ٢٣١

- ٢- الهضيبي والصحافة ٢٣٢
- ٣- التقية في منهج مصطفى مشهور ٢٣٢
- ٤- التذبذب في فكر محمد عاكف ٢٣٣
- ٥- مناورات القرضاوى مع الصحافة ٢٣٨
- ٦- مناورات أبو الفتوح ٢٤٠
- رابعا : عداوة العلماء والأئمة ٢٤٦
- سر الغداوة ٢٤٧
- تطاولات الإخوان على الأئمة والمشايخ ٢٥٠
- ١- تطاول الإخوان على مشايخ الأزهر ٢٥٠
- تطاول الإخوان على أهل الحديث ٢٥٢
- تطاولات الغزالي ٢٥٣
- حسن البنا يعالج امرأة صرعى من الجن .. والغزالي يرى مسافة بين العلم والدين إذا خاطب ابن باز جنيا في جسم إنسى ٢٥٥
- الفصل الخامس : الفكر التكفيري في دعوة الإخوان** ٢٥٨
- ثبوت فكر التكفير ٢٦٢
- الهضيبي أول من أطلق صيحات التكفير ٢٦٤
- سيد قطب والفكر التكفيري ٢٦٩
- عاطف وجريشه يطعمان في القرضاوى ٢٧٠
- سيد قطب يتبرأ من معاوية ويكفر أبا سفيان وبنى أمية ٢٨٢
- القرضاوى يرد على منكرى التكفير في فكر سيد قطب ٢٨٤
- تضارب وتعارض ٢٨٧
- القرضاوى يكفر خصوم الإخوان ويدعو لبابا الفاتيكان بالرحمة والمثوبة ٢٨٧

الفصل السادس : الفكر الانقلابي في دعوة الإخوان

٥٨٩	حقيقة الفكر الانقلابي
٢٩٠	منطق الدولة داخل الدولة
٢٩٠	بيعة حسن البنا للملك فاروق
٢٩١	حسن البنا يطلب البيعة لنفسه
٢٩٢	بيعة دولة
٢٩٣	المنهج الانقلابي في فكر حسن البنا
٢٩٦	تأصيلات فكر الخروج في دعوة الإخوان
٢٩٨	١ - فتنة ابن الأشعث
٢٩٩	٢ - أمر عبد الله بن الزبير (رضى الله عنه)
٣٠٠	تنظيمات حسن البنا
٣٠٢	الإخوان والفكر الثوري
٣٠٤	الخطوة الإخوانية في الانقلاب والثورة
٣٠٦	جرائم التنظيم السري
٣٠٨	أشهر الاغتيالات السياسية في دعوة الإخوان
٣١٣	١- قتل أحمد ماهر باشا عام ١٩٤٥م
٣١٣	٢- مقتل القاضي أحمد الحازندار
٣١٧	٣- مقتل الإمام يحيى بن حميد
٣١٨	٤- مقتل النقراشي باشا رئيس وزراء مصر
٣٢٣	محاولات وجرائم سابقة
٣٢٦	تبرير مقتل النقراشي باشا
٣٢٨	محاولات واغتيالات إخوانية أخرى
٣٣١	إلقاء القنابل في جميع أقسام القاهرة
٣٣١	

٦٢٣	الإخوان المسلمون بين الابتداء الديني والإفلاس السياسي
٣٣٢	إلقاء القنابل على البوليس في مظاهرة المدرسة الخديوية
٣٣٢	محاولة قتل إبراهيم عبد الهادي باشا « رئيس وزراء مصر »
٣٣٣	أوكار الإخوان الإرهابية
٣٣٣	قتل المهندس سيد فايز
٣٣٥	حرمة القتل السياسي في الإسلام
٣٣٥	القرضاوى بين مصر والعراق في زمن الاحتلال
٣٣٨	الإيمان قيد الفتك
٣٤١	الفصل السابع : الإفلاس الجهادي في حركة الإخوان
٣٤٥	مظاهر ضعف الإخوان المسلمين
٣٤٦	أين كان الإخوان ؟
٣٤٧	الجهاد عند الإخوان
٣٤٧	الجهاد الأول : التفجيرات الجسدية
٣٥٠	الجهاد الثاني : المقاطعة الاقتصادية
٣٥١	مواقف الإخوان الجهادية
٣٥١	١- موقف الإخوان من الاحتلال الإنجليزي لمصر
٣٥٥	الفضيبي ينكر اشتراك الإخوان في معارك القتال
٣٥٧	٢ - جهاد الإخوان في حرب فلسطين ٤٨ هـ
٣٥٧	ستمائة متطوع إخواني في حرب فلسطين
٣٦١	حسن البنا وخطابه لحاخام اليهود
٣٦٣	صورة رائعة جلية من صور الولاء والبراء في الله تعالى
٣٦٣	خطاب الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس الأمريكي تورمان
٣٦٦	حماس وفلسطين
٣٧١	عصام العريان وإسرائيل .. بين الاعتراف والمناورة

٣٧٦	٣- الإخوان وأفغانستان
٣٧٨	فتوى القرضاوى المهينة
٣٨١	فترة تنظيم الجهاد في مصر
٣٨٤	نشأة تنظيم الجهاد الجديد
٣٨٦	تنظيم الجماعة الإسلامية يتراجع
٣٨٨	تراجع تنظيم الجهاد
٣٩٠	أصول الدوافع وراء الإصلاح
٣٩١	فترة تنظيم القاعدة
٣٩٣	المعالم الرئيسة لتنظيم القاعدة
٣٩٣	أولاً : إثارة الفتن
٣٩٧	ثانياً - استباحة الأنفس المسلمة والدماء المعصومة
٣٩٨	ثالثاً - استباحة عهود المعاهدين وأمان المستأمنين
٤٠١	مكافحة تنظيم القاعدة
٤٠٣	الدكتور سيد فضل الله المصري يتهم أين الظواهرى بعدة اتهامات
٤٠٤	الفصل الثامن : (الإخوان ودولة الثورة) النشأة والتاريخ ..
٤٠٥	الأحداث والنتائج فترة ١٩٥٤م ، تنظيم ١٩٦٥م. الفتن المتابعة حتى ٢٠٠٩م
٤٠٥	كشف الحقائق .. وعدل الإسلام
٤٠٧	شخصية الهضيبي
٤٠٨	التأفف من مقابلة الملك فاروق !
٤١٠	لقاء الهضيبي مع الملك
٤١١	الهضيبي بعد المقابلة
٤١٢	الجزء من جنس العمل
٤١٣	معاملة الوصى أو تهيج البلاد

٤١٦	لغة الخطاب عند الهضيبي
٤١٦	فهل أنزل الهضيبي ساقه فيما بعد أم بقي على حاله ؟
٤١٧	التمسائي يضع الساق على الساق
٤١٨	بصيرة أئمة السلف
٤١٩	حسن الهضيبي في عيون الإخوان
٤٢١	انقسام الإخوان
٤٢٦	المواجهات المشتعلة من ١٩٥٢م ، ١٩٥٤م
٤٣٤	رفض الإخوان الإعلان عن تأييد الثورة في أول مهده
٤٣٨	رفض الدخول في هيئة التحرير
٤٤٢	رفض الاشتراك في وزارة محمد نجيب
٤٤٢	فصل الشيخ الباقوري عقب اشتراكه في الوزارة
٤٤٦	المطالبة بعودة ضباط الجيش إلى الثكنات
٤٤٧	حل مجلس قيادة الثورة إعانة محمد نجيب على حساب عبد الناصر
٤٤٩	مظاهرة مارس ١٩٥٤م .. نقض بيعة عبد الناصر
٤٥٤	٨- عودة التنظيم السري الخاص لمباشرة أعماله
٤٥٦	رفض اتفاقية الجلاء
٤٥٩	المحنة الأخيرة
٤٥٩	رفض الاتفاقية التي تمت بين كبراء الإخوان وبين عبد الناصر
٤٦٦	خاتمة أحداث ١٩٥٤م .. حادث المنشية
٤٧٦	فترة سيد قطب وتنظيم ١٩٦٥م
٤٧٦	المواجهة الثانية
٤٧٦	أسرار القبض على ثلاثة آلاف إخواني ! عام ١٩٦٥م
٤٧٦	د/ جابر قمحية واستخفافه بأئمة السلف

٤٨٣	المنهج قبل الأشخاص
٤٨٦	نشأة سيد قطب ودوره مع الثورة
٤٩٠	لماذا دخل سيد قطب السجن عام ١٩٥٤م ؟
٤٩٣	كيف اكتشف تنظيم ١٩٦٥م ؟
٥٠٠	علاقة سيد قطب بالتنظيم وهدفه
٥٠٠	هل حوكم سيد قطب من أجل إعلان الحاكمية ؟
٥٠٠	اتهامات القرضاوى وعلى عبد عثماني ومثل النيابة لسيد قطب واحدة ..
٥٠٧	فترة السبعينيات
٥٠٧	١- التشنيع على الملا
٥٠٨	لقاء السادات بالطلاب الإخواني
٥١٣	لقاء السادات بالأستاذ التلمساني
٥١٩	ماذا كان يقصد الرئيس السادات بكلمة : « لا دين فى السياسة » ؟
٥٢١	طرق التعامل مع الحكام
٥٢٦	٢- معاهدة السلام
٥٢٧	مشيخة الأزهر ومعاهدة السلام
٥٢٨	العلامة عبد العزيز بن باز ومعاهدة السلام
٥٣٠	تناقضات الإخوان العملية
٥٣٤	الفن المعاصرة فى مصر
٥٣٦	* حقيقة اللقاءات السرية بالغرب
٥٤٥	الوجه القبيح
٥٤٥	كيف رتب الإخوان اللقاءات العلنية ؟
٥٤٧	الإخوان والغرب
٥٤٩	الأستاذ محمد مور يدعو الإخوان إلى أن يكفوا عن مغازلة الأمريكان

٥٥١	محاولات قديمة واتصالات مريبة بين فنصل فرنسا و «بلنت» الإنجليزي ..
٥٥٤	الفصل التاسع ... الإخوان والإفلاس السياسي
٥٥٥	فقه الواقع عند الإخوان
٥٥٩	سيد قطب وفقه الواقع ..
٥٦١	مجالات السياسة
٥٦٤	من هو السياسي ؟
٥٦٤	هل الإخوان يفهمون السياسة ؟ ..
٥٦٦	حقيقة التذبذب السياسي
٥٦٩	حقيقة الإفلاس
٥٦٩	قواعد غافلة وكوادر مناورة
٥٧١	الإخوان مطية الأحزاب ..
٥٧٤	نهاية العمل السياسي عند حسن البنا
٥٨٢	الفكر الاشتراكي فى دعوة الإخوان
٥٨٣	محمد الغزالي والاشتراكية
٥٨٤	سيد قطب و تاصيل المفهوم الاشتراكي
٥٨٦	النظرية الثالثة لمعمر القذافي
٥٨٧	مرجعية عبد الناصر الاقتصادية
٥٨٩	انتقاد عبد الناصر للمفهوم الاشتراكي ..
٥٩٠	عودة الحقوق إلى أصحابها
٥٩٢	الفكر الديمقراطي فى دعوة الإخوان
٥٩٨	١- فى نطاق الممارسات الحزبية
٦٠٠	٢- فى نطاق الممارسات العامة ..
٦٠٢	آثار الفكر الاستصالي ..

الإخوان بين الحرية والشرعية ..	٦٠٥
الدول الغربية تطلب الحوار مع الإخوان ..	٦٠٩
(الخاتمة) ..	٦١٢
فهرس الموضوعات ..	٦١٤